اَلحَدِيقَةُ النَّدِيَّةُ

شَرْحُ

الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

الجزء الأول

للعارف بالله تعالى سيدي العلامة
عبد الغني النابلسي الحنفي رحمه الله تعالى
المتوفى سنة ١١٤٣ هـ. [١٧٣١ م] في الشام

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست
مكتبة الحقيقة

يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول-تركيا

هجري قمري	**هجري شمسي**	**ميلادي**
١٤٣٩	**١٣٩٦**	**٢٠١٨**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) وقال ايضا (**خذوا العلم من افواه الرجال**).

ومن لم تتيسّر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكّر كتبا من تأليفات عالم صالح وصاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي والسيد عبد الحكيم الارواسي الشافعي واحمد التيجاني المالكي ويتعلم الدين من هذه الكتب ويسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس ومن لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص ويدعي أنه من العلماء الحق وهو من الكاذبين من علماء السوء. واعلم انّ علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأمّا علماء السوء هم جنود الشياطين.[١]

(١) لاخير في تعلّم علم مالم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج: ١ ص: ٣٦٦، ٣٦٧ والمكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلّد الأوّل من المكتوبات للإمام الرّبّاني المجدّد للألف الثاني قدّس سرّه)

تنبيه: إنّ كلاًّ من دعاة المسيحية يسعون إلى نشر المسيحية والصهاينة اليهود يسعون إلى نشر الادعاءات الباطلة لحاخاماتها وكهنتها ودار النشر – **الحقيقة** – في استانبول يسعى إلى نشر الدين الاسلامي وإعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإمحاء وازالة الاديان جميعا فاللبيب المنصف المتصف بالعلم والادراك يعي ويفهم الحقيقة ويسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق ويكون سببا في إنالة الناس كافة السعادة الابدية وما من خدمة اجلّ من هذه الخدمة اسديت إلى البشريّة.

Baskı: İhlâs Gazetecilik A.Ş.
Merkez Mah. 29 Ekim Cad. İhlâs Plaza No: 11 A/41
34197 Yenibosna-İSTANBUL Tel: 0.212.454 30 00

ISBN: 978-975-8883-36-3

شرح الطريقة المحمدية

لسيدي عبد الغني

النابلسي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي شرح بالطريقة المحمدية صدور عباده الأبرار، حتى سرح طرف قلوبهم في الحدائق اليانعة من تلك المعارف والأسرار، وأذاقهم حلاوات مناجاته في خلوات عباداته وكشف عن وجههم أستار الأغيار، فتسابقوا في ميدان التوحيد على خيل التجريد مسرجة بالتفريد فلم يدرك لهم غبار، وجعلهم حجة على أهل الغفلة المكبلين في قيود الاغترار، ومحجة واضحة إلى عناية المالك الجليل وحماية الملك الجبار، والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد النبي المختار، الذي اهتدى بأنوار شرائعه وارتوى بأنواء ذرائعه ذو الغواية المختار، صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود الموصل كل من اتبعه إلى رؤية الله تعالى في دار القرار، وعلى آله السادة الأطهار، الطالعين في سموات السلالة الشريفة طلوع الشموس والأقمار، وعلى أصحابه الأئمة الكاملين في جميع الأطوار، أهل الزهد والتوكل والاستقامة والإيثار، خصوصا الخلفاء الأربعة منهم والمهاجرين والأنصار، وعلى التابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار

(أما بعد) فيقول الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرّحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة النابلسي الدمشقي الحنفي أخذ الله تعالى بيده، وأمده بمدده، ورحم أجداده وأسلافه، وسقاهم من الرحيق المختوم في الجنان سلافه، لما أرسل الله تعالى محمدا صلّى الله عليه وسلّم بالهدى ودين الحق وأظهره على الدين كله ما جل منه وما دق وكانت الشريعة ما ظهر للمجتهدين من أقواله وأفعاله، والطريقة ما تبين للسالكين من أخلاقه وأحواله

والحقيقة ما انكشف للواصلين من مكاشفاته في معاملاته وخطر على باله وللشريعة فقهاء وكتب لهم مؤلفة في ذلك، وللطريقة فضلاء وكتب لهم مصنفة للسالك، وللحقيقة علماء وكتب لهم مشيرة إلى ما هنالك، وإن من أجل المصنفات في علم الطريقة التي هي البرزخ المتوسط بين الشريعة والحقيقة (**كتاب الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية**) التي صنفها الشيخ الإمام، والمولى الهمام، العالم العامل، والفاضل الكامل، محمد أفندي الرومي البركلي تغمده الله تعالى[1] برحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح جنانه، كان أبوه رحمه الله تعالى رجلا عالما من أصحاب الزوايا ونشأ هو في طلب العلوم والمعارف حتى برع فيها واشتغل على المولى محيي الدين أخي زاده وصار ملازما من المولى عبد الرحمن أحد قضاة العساكر في زمن السلطان سليمان ثم غلب عليه الزهد والصلاح واتصل بخدمة الشيخ المرشد عبد الله القرماني البيرامي ثم أمره شيخه بالعود إلى الاشتغال بمدارسة العلوم وإفادة الطلبة فانتفع به خلق كثير وحصل بينه وبين عطاء معلم السلطان سليم محبة ومودة فبنى عطاء المذكور مدرسة بقصبة بركل وجعله مدرسا فيها وعين له في كل يوم ستين درهما، له من المصنفات هذا الكتاب الذي سماه الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية وشرح مختصر الكافية للبيضاوي في النحو وله متن لطيف في علم الفرائض وله في الحديث والقرآت والفقه تعاليق ورسائل كان قائما بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم ينصر الشريعة ولا يهاب كبيرا ولا صغيرا مع كمال الزهد والصيانة والورع والديانة توفى في جمادي الأولى سنة، إحدى وثمانين وتسعمائة، رحمه الله تعالى وكتابه هذا يا له من كتاب لطيف وتأليف شريف مزج فيه المسائل الفقهيات بالمقامات الزهديات، وجمع بين الفوائد العلميات والفرائد الاعتقاديات، وأتقن تحريره، وأوضح تقريره، ونصح فيه الأمة وأزال به عن القلوب الغمة وقد دعاني إلى شرحه بعض الأصحاب، جعلني الله تعالى وإياه من المؤيدين بالعناية والصواب، ولم أكن وقفت له على شرح يكشف عن عباراته، ويوضح ما أشكل عند القاصرين من إشاراته فشرعت

---

(1) محمد بن علي البرگوي توفي سنة ٩٨١ هـ [١٥٧٣ م] في قرية برگى من قرى إزمير

في شرح له مختصر المباني، مستجمع المعاني، يجذب إلى محاسنه قلوب أهل الكمال، ويصرف عن التطفل على موائد فوائده أهل التعصب من الجهال، وقد سميته (**الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية**) ومن الله تعالى أستمد الهداية والتوفيق، وأسأله أن يوقيني مواضع الزلل ويؤيدني بالتحقيق، وأن ينفع بكتابي هذا أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ويوفّقهم لعلمه والعمل به ويمنحني وإياهم حسن الختام، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، قال المصنف رحمه الله تعالى (**بسم الله الرّحمن الرّحيم**) الاسم كلمة وضعتها العرب بإزاء مسمى متى أطلقت فهم منها ذلك المسمى على هذا لا بد من مراعاة أربعة أشياء الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمي بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها أو تخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمي هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى إذا أطلق أو أحس به فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى أو غيره وهي مسألة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم إلى أن الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى (**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى** * الأعلى: ١) والتسبيح إنما هو للرب جل وعلا فدل على أن اسمه هو هو وأجيب بأنه أشرب معنى سبح أذكر فكأنه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى (**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** * الإنسان: ٢٥) وقد أشرب معنى اذكر سبح عكس الأول قال تعالى (**وَاذْكُرْ رَبَّكَ** * آل عمران: ٤١) أي سبح ربك والإشراب جار في لغتهم يشربون معنى فعل فعلا واستشكل على معنى كونه هو المسمى إضافته إليه فإنه يلزم منه إضافة الشيء إلى نفسه وأجيب بأن الاسم هو بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لأن التسمية هي اللفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال بأن الاسم عين المسمى أيضا بقوله تعالى، (**بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى** * مريم: ٧) ثم قال (**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** * مريم: ١٢) فنادى الاسم فدل على أنه المسمى وجوابه أن المعنى يا أيها الغلام

الذي اسمه يحيى ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال العسل ذاق حلاوته كذا قاله القسطلاني في مواهبه وذكرنا في كتابنا (**المطالب الوفية**) اختلاف العلماء في الاسم والمسمى والتسمية على اثنين وأربعين قولا وحررنا هذه المسألة هناك أكمل تحرير بأوضح تقرير وفي (**حاشية تفسير البيضاوي لشيخي زاده**) ذهب جمهور أهل اللغة في اسم الله إلى أنه عربي مشتق صار علما بالغلبة لأن أسماء الله تعالى كلها صفات مشتقة ليعرف المكلف معناها فيتوسل بها إليه فإن قدماء الفلاسفة أنكروا أن يكون لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم بناء على أن المراد من وضع ذلك الاسم أن يذكر عند أحد لتعريف ذلك المسمى به وقد ثبت أن أحدا من خلقه لا يعرف ذاته المخصوصة البتة فكيف يشار إليه بذكر اسم وإذا لم يصح أن يشار إليه بذكر اسم لم يبق لوضع الاسم لذاته المخصوصة فائدة فثبت أن هذا النوع من الاسم مفقود وأن جميع أسمائه صفات مشتقة وهي ما تدل على ذات مبهمة باعتبار معنى معين وإنما قلنا أن ذاته المخصوصة ليس معقولا لأحد لأنا إذا رجعنا إلى عقولنا لا نجد عند عقولنا من معرفة الله تعالى إلا أحد أمور أربعة إما العلم بكونه موجودا وإما العلم بدوام وجوده وإما العلم بصفات الجلال وهي الاعتبارات السلبية وإما العلم بصفات الإكرام وهي الاعتبارات الإضافية وقد ثبت بالدليل أن ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الأربعة فإنه ثبت أن حقيقته غير وجوده وإذا كان كذلك كانت حقيقته أيضا مغايرة لدوام وجوده وثبت أيضا أن حقيقته مغايرة للاعتبارات السلبية والإضافية وإذ قد تحقق أنه ليس في عقولنا من معرفته تعالى إلا هذه الأمور الأربعة وأنها مغايرة لحقيقته المخصوصة ثبت أن حقيقته المخصوصة غير معقولة للبشر وأنه لا سبيل إلى إدراكه من حيث هو هو وهو المسمى بالمعرفة الذاتية وإنما نعرفه بالأمور الخارجية عنه وهو المعرفة العرضية وهي كما إذا رأينا بناء علمنا بطريق الإبصار بأنه لا بد له من بان فالمعلوم بالذات هو البناء وأما الباني فهو معلوم بالعرض في هذه الصورة وعلم الباني لكونه بانيا له لا يستلزم علمه بخصوصيته وخصوصية حقيقته وأنها

من أي نوع الماهيات والمعرفة الذاتية كما إذا عرفنا اللون المعين ببصرنا وعرفنا الحرارة بلمسنا وعرفنا الصوت بسمعنا فإنه لا حقيقة للحرارة والبرودة إلا هذه الكيفية الملموسة ولا حقيقة للبياض والسواد إلا هذه الكيفية المرئية وكذا الحال إذا رأينا المحدثات وعلمنا احتياجها إلى محدث وخالق فقد عرفنا الله تعالى معرفة عرضية وهي التي في وسع البشر في الدنيا وأجاب بعضهم أنه لا يمتنع في قدرة الله تعالى أن يشرف بعض المقربين من عباده بأن يجعله عارفا بتلك الحقيقة المخصوصة ومن العلماء من تورع في لفظ الجلالة عن طلب مأخذه وذكر معناه ومنهم من قال لعله مشتق لا يعرف المشتق منه ولم نكلف بمعرفته وقال بعضهم هو اسم عربي علم غير مشتق كما ذهب إليه الخليل والزجاج وقال بعضهم أنه سرياني معرب ثم ذكر اشتقاقه وأطال الكلام في ذلك (والرّحمن الرّحيم) اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم بأن جعل الفعل المتعدي لازما بمنزلة الغرائز ليفيد المبالغة فنقل إلى فعل بضم العين فاشتق منه الصفة المشبهة وإنما ابتدأ بالبسملة اقتفاء لأثر القرآن العظيم واحترازا عما حذر منه الرسول الرحيم بقوله عليه الصلاة والتسليم (**كُلُّ أمْرٍ ذِي بالٍ**) يعني حالا يهتم به شرعا فيخرج المحرم والمكروه وفي المباح كلام (**لا يُبْدأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أجْذَمُ**) أي أقطع بمعنى مقطوع البركة (الحمد لله) وهو لغة الثناء الجميل ولو ادعاء الاختياري ولو مآلا على جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث أنه منعم على الحامد أو غيره فمورده عام لشمول الفعل ومتعلقه خاص وهو النعمة المدح لغة الثاء باللسان على الجميل مطلقا اختياريا كان أو غيره على جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم الممدوح والشكر لغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث أنه منعم على الشاكر أو غيره وعرفا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع وغيره إلى ما خلق لأجله وتمامه في كتاب الأحكام للشيخ الوالد رحمه الله تعالى وأعقب التسمية بالتحميد اقتداء بأسلوب الكتاب المجيد وعملا بقوله عليه السلام (**كُلُّ أمْرٍ ذِي بالٍ لا يُبْدأُ فِيهِ بالحَمْدِ للهِ أقْطَعُ**) رواه أبو داود وغيره من حديث

أبي هريرة ولا تعارض بين حديثي البدأة بالتسمية والتحميد لإرادة الحمد العرفي وهو أعم من فعل اللسان فإنه يحصل بالقلب فيمكن البداءة معا في وقت واحد بالتسمية باللسان والحمدلة بالقلب كما حررته في كتابتي على أوائل تفسير البيضاوي فيكون ذكره باللسان أيضا إخبارا عما في القلب وتأكيدا له (الذي جعلنا) معاشر أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم أمة الإجابة وهم المؤمنون ويحتمل ان يراد جميع من ارسل اليهم محمد صلّى الله عليه وسلّم وهم أمة الدعوة أيضا على تقدير إيمانهم لو كانوا مؤمنين (أمة وسطا) بالتحريك أي خيارا عدولا مزكين بالعلم والعمل ولهذا أعقبه في الآية بقوله تعالى، (**لِتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ** * البقرة: ١٤٣) لأن منصب الشهادة مفتقر لوصف العدالة وبهذا يقوى دليل أبي حنيفة رضي الله عنه في جعله كل مسلم عدلا وقال الشافعية هذا باعتبار الكل المجموع لا باعتبار الأفراد ولصحة هذا الاعتبار قال تعالى (**وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ** * الطلاق: ٢) ولما كانت الأطراف مما يتسارع إليها الخلل والأغوار والأوساط محمية محفوظة فسر الوسط بالعدل لأنه عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها بأقرب من بعض، ذكره ابن أقبرس في فتح الصفا شرح الشفا وقال البيضاوي الوسط في الأصل اسم للمكان الذي تستوي فيه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط كالجود بين الإسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم أطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي يوصف بها (خير أمم) الأول اقتباس من قوله تعالى (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** * البقرة: ١٤٣) وهذا اقتباس أيضا من قوله تعالى (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) فإن الاقتباس تضمين الكلام شيئا من القرآن والحديث لا على أنه منه كما ذكره علماء البديع فلا يضر الحذف والتغيير قال الكازروني في حاشية البيضاوي ولا يجب في الاقتباس إلا الإتيان ببعض ألفاظ القرآن أو الحديث وأما إيراده من غير زيادة ولا نقصان فلا يجب انتهى، فتأمل قوله كنتم أي في اللوح المحفوظ أو في علم الله

أو فيما بين الأمم المتقدمين وهو دليل على خيريتهم فيما مضى ولا يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى (**وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً** * النساء: ٩٦) قال ابن أقبرس خير أمة أي أفضل أمة لأن دينه صلى الله تعالى عليه وسلم خير الأديان لقوله تعالى (**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ** * آل عمران: ١٩) وهو شهادة الله والملائكة وأولي العلم وكفى بالله شهيدا وهذه منة عظيمة من الله تعالى على عباده بهذا النبي صلّى الله عليه وسلّم وقال السلمي في حقائقه قال يحيى بن معاذ هذه مدحة لهم ولم يكن الله تعالى ليمدح قوما ثم يعذبهم وقال جعفر الصادق تأمرون بالمعروف وهو موافقة الكتاب والسنة وفي مواهب القسطلاني قال مجاهد كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس إذا كنتم على الشرائط المذكورة أي (**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** * آل عمران: ١١٠) وقيل إنما صارت أمة محمد عليه السلام خير أمة لأن المسلمين منهم أكثروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم فشى فقيل هذا لأصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم كما قال عليه السلام (**خَيْرُ النّاسِ قَرْنِي ثُمّ الذِينَ يَلُونَهُمْ**) وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل ممن بعدها وإلى هذا ذهب بعض العلماء وأن من صحبه صلّى الله عليه وسلّم ورآه ولو مرة من عمره أفضل من كل من يأتي بعده وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل وهذا مذهب الجمهور وذهب أبو عمر بن عبد البر إلى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضل ممن كان في جملة الصحابة وأن قوله عليه السلام (**خير الناس قرني**) ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه عليه السلام جماعة من المنافقين المظهرين الإيمان وأهل الكبائر الذين أقام عليهم وعلى بعضهم الحدود وقد روى أبو أمامة أنه صلّى الله عليه وسلّم قال (**طُوْبىَ لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بي مَرَّةً وَطُوبىَ لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بي سَبْعَ مَرَّاتٍ**) وفي مسند أبي داود الطيالسي عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**أتدرون أي الخلق أفضل إيمانا؟**) قلنا الملائكة، قال (**وحق لهم بل غيرهم**) قلنا الأنبياء، قال (**وحق لهم بل غيرهم**) ثم قال صلّى الله عليه وسلّم (**أفضل الخلق إيمانا**

قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم أفضل الخلق إيمانا) وروي أن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب إلى سالم بن عبد الله أن أكتب إلي بسيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها فكتب إليه سالم إن عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر لأن زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال أبو عمر فهذه الأحاديث تقتضي تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل إلا أهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله يؤتي فضله من يشاء وإسناد حديث أبي داود الطيالیسي إلى عمر ضعيف فلا يحتج به لكن روى أحمد والدارمي والطبراني عن أبي عبيدة يا رسول الله أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال **(قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني)** وإسناده حسن وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والدلائل على أفضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل بذكرها انتهى ويمكن التوفيق بين ما ذهب إليه أبو عمر بن عبد البر وبين ما ذهب إليه الجمهور بأن الصحابة أفضل من وجه الصحبة التي لا يعادلها عمل ويمكن أن يكون غيرهم أفضل منهم من وجوه أخرى وبهذا يندفع التعارض بين الأحاديث والله اعلم (والصلاة) هي من الله تعالى الرحمة ومعناها تعظيم شريعته وإبقاؤها إلى يوم القيامة وفي الآخرة تشفيعه في أمته، ومن الملائكة الاستغفار وهو من باب قوله صلّى الله عليه وسلّم **(إِنَّهُ لَيُغانُ على قَلْبِي وإني لأَسْتَغْفِرُ اللهَ في كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ)** على أحد الوجوه ومن المؤمنين دعاء له ببعثته المقام المحمود وأولى ما يراد بها ههنا ما أمرنا به صلّى الله عليه وسلّم بقوله **(سَلوا لي الوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ الرَّفِيعَةَ)** ذكره الوالد رحمه الله تعالى في أحكامه وفي مواهب القسطلاني قال أبو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء قال في فتح الباري وهذا أولى الأقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة

لا طلب أصل الصلاة وعن ابن عباس أن معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء أخرجهما إسماعيل القاضي عنه وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة وتعقب بأن الله غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه (**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** * البقرة: ١٥٦) وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى (**صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** * الأحزاب: ٥٦) حتى سألوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وأقرهم النبي صلّى الله عليه وسلّم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي أن تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شيء وحكى القاضي عياض عن أبي بكر القشيري أنه قال الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم من الله تعالى تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى في الأحزاب (**إِنَّ اللهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ** * الأحزاب: ٦٥) وقال قبل ذلك في السورة المذكورة (**هُوَ الَّذِي يُصَلِي عَلَيْكُمْ وَمَلَئِكَتُهُ** * الأحزاب: ٤٣) ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي صلّى الله عليه وسلّم من ذلك أرفع مما يليق بغيره، وقال الحليمي المقصود بالصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره تعالى وقضاء حق النبي صلّى الله عليه وسلّم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال ليس صلاتنا على النبي صلّى الله عليه وسلّم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافاة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا إلى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ أبي محمد المرجاني وقال

ابن العربي فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلّى الله عليه وسلّم وأما الصلاة على غير الأنبياء فإن كان على سبيل التبعية فهذا جائز بالإجماع وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى (**هُوَ الَّذِي يُصَلِي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ** * الأحزاب: ٤٣) وبقوله تعالى (**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** * البقرة: ١٥٦) وبقوله تعالى (**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ** * التوبة: ١٠٣) وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال كانَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قالَ (**اللّهُمّ صَلّ عَلَيْهِمْ**) فأَتَاهُ أبي بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ (**اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**) أخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعار الأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق غيرهم بهم فلا يقال أبو بكر صلّى الله عليه وسلّم أو علي صلّى الله عليه وسلّم وإن كان المعنى صحيحا كما لا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا لأن هذا من شعار ذكر الله تعالى وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم وقال آخرون لا يجوز ذلك لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صار من شعار أهل الأهواء يصلون على من يعتقدون فيهم العصمة فلا يقتدى بهم في ذلك ثم اختلف المانعون هل هو من باب التحريم أو كراهة التنزيه أو خلاف الأولى أقوال ثلاثة حكاها النووي في الأذكار ثم قال والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم والله اعلم (والسلام) أي الدعاء بالسلامة من كل قدح ونقصان أو هو مصدر بمعنى سلمه الله أي جعله سالما ولا يفرد به غير الأنبياء فلا يقال علي عليه السلام والأحياء والأموات فيه سواء غير أن الحاضر يخاطب به فيقال عليك السلام وجمع بين الصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى (**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** * الأحزاب: ٥٦) وحذرا من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر ولو خطأً وقد صرحوا بأنه

يكره ترك الصلاة والسلام والاقتصار على أحدهما وقيل المراد بالكراهة خلاف الأولى وليست على بابها فإن الإتيان بهما فيه أجر وتركهما أو أحدهما مخل بذلك الأجر وترك للأولى ذكره والدي رحمه الله تعالى في أحكامه ويستحب الترضي للصحابة والترحم للتابعين ومن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الأخيار وهل يجوز عكسه فقال بعضهم لا يجوز بل الترضي مخصوص بالصحابة ويقال لغيرهم رحمه الله فقط وقال النووي هذا غير صحيح بل الصحيح الذي عليه الجمهور استحبابه ودلائله أكثر من أن تحصى وأما إذا ذكر من اختلف في نبوته كذي القرنين ولقمان فقال بعض العلماء كلاما يفهم منه أن يقال صلّى الله عليه وسلّم قال النووي والذي أراه أن هذا لا بأس به وأن الأرجح أن تقول رضي الله عنه لأن هذا مرتبة غير الأنبياء ولم يثبت كونهما نبيين وأما الصلاة والسلام على الملائكة استقلالا فقال النسفي في مسائل شتى آخر الكنز ولا يصلى على غير الأنبياء والملائكة إلا بطريق التبع وفي أذكار النووي أجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الملائكة والأنبياء استقلالا (على أفضل من) أي شخص (أوتي) أي آتاه الله تعالى (النبوة) بالهمز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز تسهيلا أي أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون نبيا منبئا أو يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما أطلعه الله تعالى عليه وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة وهي ما ارتفع من الأرض أي إن له رتبة شريفة ومكانة عند الله تعالى منيفة قال الزركشي كان نافع يقرأ النبيء بالهمز في جميع القرآن والاختيار تركه والترك لغة النبي صلّى الله عليه وسلّم وقد جاء في الحديث أن رجلا قال يا نبيء الله يعني بالهمز فقال له (**لست نبيء الله ولكن نبي الله**) فأنكر الهمز لأنه لم يكن من لغته عليه السلام قال الجوهري والصاغاني إنما أنكره لأن الأعرابي أراد يا من خرج من مكة إلى المدينة يقال نبأت من أرض إلى أرض إذا خرجت منها إلى أخرى والنبوة شرعا إيحاء الله تعالى لإنسان حر ذكر بحكم تكليفي سواء أمره بتبليغه أم لا فهي أعم من الرسالة إذ لا بد في الرسالة من الأمر بالتبليغ مع ما ذكر وقيل بينهما مساواة كما بسطنا الكلام على

ذلك في كتابنا (**المطالب الوفية**) وعدة النبيين على ما ورد في الحديث مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة وعشرون ونوح أول رسول إلى الكفار وآدم أول رسول إلى بنيه ولم يكونوا كفارا ورسالته إليهم بتبليغ الإيمان والطاعة لله تعالى وكذلك بعده شيث وإدريس أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود من فتح الصفا لابن أقبرس (والحكم) جمع حكمة وهي تحقيق العلم وإتقان العمل قاله البيضاوي وفي حقائق السلمي الحكمة العلم اللدني وقيل الحكمة إشارة لا علة فيها وقيل الحكمة إشهاد الحق على جميع الأحوال وقيل الحكمة تجريد السر لورود الإلهام وقال أبو عثمان الحكمة هي النور المفرق بين الإلهام والوسواس سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الكتاني يقول أن الله تعالى بعث الرسل بالنصح لأنفس خلقه وأنزل الكتاب لتثبتة قلوبهم وأنزل الحكمة لسكون ارواحهم فالرسول داع إلى أمره والكتاب داع إلى أحكامه والحكمة مشيرة إلى فضله وقيل الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك وقيل الحكمة الفهم في كتاب الله ومن أوتي فهم كتابه أوتي حظا عظيما من قربه قاله ابن عطاء وقيل الحكمة النبوة وقيل الخشية انتهى وعلى كونها النبوة فالعطف للتفسير وعلى غيره من باب التدلي أي أفضل شخص أوتي النبوة وشخص أوتي الحكم وهو الولي يعني أفضل الأنبياء والأولياء ويدخل في الأولياء الملائكة قال تعالى (**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ** * البقرة: ٢٥٣) قال المفسرون يعني موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا في اختصاص موسى بالكلام وقد ثبت أنه تعالى كلم نبينا أيضا ولا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف أن يشتق له منه اسم وقوله (**وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** * البقرة: ٢٥٣) يعني محمدا صلّى الله عليه وسلّم رفعه الله تعالى من ثلاثة أوجه بالذات في المعراج والسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لأنه عليه السلام أوتي بالمعجزات ما لم يؤته نبي قبله قال بعض أهل العلم فيما حكاه القاضي عياض في التفضيل المراد به هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال أن تكون آياته ومعجزاته

أظهر وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل وأطهر وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحفة ولايته فلا مرية أن آيات نبينا صلّى الله عليه وسلّم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى وذاته افضل واطهر وخصوصياته على جميع الانبياء اشهر من أن تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته أزكى وأفضل من سائر المخلوقين كما قال صلّى الله عليه وسلّم (**أنا سَيّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَوّلُ مَنْ تَنْشَقّ عَنْهُ الأرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) رواه ابن ماجه وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أَنَا سَيّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ بني آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إلاّ تَحْتَ لِوَائِي**) وفي حديث أبي هريرة مرفوعا عن البخاري (**أَنَا سَيّدُ الناس يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) وهذا يدل على انه أفضل من آدم عليه السلام ومن كل أولاده وروى البيهقي في فضائل الصحابة أنه ظهر علي بن أبي طالب من البعد فقال صلّى الله عليه وسلّم (**هذا سيد العرب**) فقالت عائشة ألست بسيد العرب فقال (**أنا سيد العالمين وهو سيد العرب**) وهذا يدل على أنه أفضل الأنبياء بل أفضل خلق الله كلهم ولم يقل صلّى الله عليه وسلّم أنا سيد الناس عُجُباً وافتخارا على من دونه وإنما قاله إظهارا لنعمة الله تعالى عليه وإعلاما للأمة بقدر إمامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه ليعرفوا نعمة الله عليهم وعليه وكذلك العبد إذ لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره إلى ربه في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين أنشأ له ذلك في قلبه سحائب السرور فإذا انبسطت هذه السحائب في سماء قلبه وامتلأ أُفقه بها أمطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فإن لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجري على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى (**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** * يونس: ٥٨) فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار في باطنه ولا ينافي أحدهما الآخر وجمهور أهل السنة أن خواص

بني آدم وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون وخواص الملائكة أفضل من عوام بني آدم وعوام بني آدم أفضل من عوام الملائكة والمراد بعوام بني آدم هنا الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه ابن أبي شريف ونص البيهقي عليه في الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا في الملائكة والبشر فذهب ذاهبون إلى أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة كذا في المواهب القسطلانية (وعلى آله) آل الرجل أهله وعياله وآله أيضا أتباعه ولا يقال إلا للأشراف من العقلاء وهم إما من حيث النسب قال النبي صلّى الله عليه وسلّم أولاد علي وجعفر وعقيل والعباس والحارث بن عبد المطلب أو من حيث الدين كما روي عنه عليه السلام حين سئل من آلك قال (**آلي كل مؤمن**) أو (**مؤمن تقي**) على اختلاف الروايتين ويروى أنه لما نزل قوله تعالى (**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** * الشورى: ٢٣) قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما واختلف في المراد بأهل بالبيت في قوله تعالى (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** * الأحزاب ٣٣) فروى ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نساء النبي صلّى الله عليه وسلّم وروى أحمد عن وائلة بن الأسقع أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا هذه الآية (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ**) إلى آخره وقال (**اللهم هؤلاء بيتي وأهل بيتي أحق**) زاد في رواية ابن جرير فقلت وأنا يا رسول الله من أهلك قال (**وأنت من أهلي**) قال وائلة وإنها من أرجى ما أرتجى وفي الترمذي وقال حسن غريب (**أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيت بحبي**) وفي المناقب لأحمد (**من أبغض أهل البيت فهو منافق**) وروى ابن سعيد (**من صنع إلى أحد من أهل بيت معروفا فعجز عن مكافاته في الدنيا فأنا المكافئ له**

في القيامة) والمراد بالقرابة من ينتسب إلى جده الأقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلّى الله عليه وسلّم منهم ورآه من ذكر أو أنثى وهم علي وأولاده الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم من فاطمة وجعفر وأولاده وهم عبد الله وعون ومحمد ويقال أنه كان لجعفر بن أبي طالب ولد اسمه أحمد وعقيل بن أبي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب وأولاده يعلى وعمارة وأمامة والعباس بن عبد المطلب وأولاده الذكور عشرة الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه شعرا (تموا بتمام فصاروا عشرة * يا رب فاجعلهم كراما بررة) ويقال أن لكل منهم ذرية وكان له من الإناث أم حبيبة وأمية وصفية وأكثرهم من لبابة أم الفضل ومغيث بن أبي لهب والعباس بن أبي لهب كان زوج أمية بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وأخته صناعة وكانت زوج المقداد ابن الأسود وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحارث وهند ابن الحارث هذا وأميمة وأروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب أسلمت صفية وصحبت وفي الباقيات خلاف وقد اشتهر استعمال أربعة ألفاظ يوصفون الأول آله عليه السلام وهم ما تقدم ذكره وقيل الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس والثاني أهل بيته فقيل من ناسبه إلى جده الأدنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب أو سبب والثالث ذووا القربى وهم علي وفاطمة وابناهما والرابع عترته بكسر العين وسكون المثناة الفوقية فقيل هم عشيرته وقيل ذريته والعشيرة هم الأهل والأدنون والذرية نسله وأولاد بنت الرجل ذريته (وأصحابه) جمع صاحب على رأي والتحقيق أن فاعلا لا يجمع على أفعال فهو جمع صحب تخفيف صاحب كنهر وأنهار أو جمع صحب بالسكون اسم جمع كتمر وأتمار والمستعمل في موضع المفرد صحابي بالفتح منسوب إلى صحابة مصدر بمعنى الصحبة وقد جاء بمعنى أصحاب ذكره الجوهري ويقال صحب وصحبة وصحبان وصحابة وأصحاب والصحابي من لقي النبي صلّى الله عليه وسلّم من الثقلين مؤمنا به ومات على الإسلام وإن تخللت ردة طالت

الصحبة أو لا فاللقاء أعم من الرؤية والمجالسة ليدخل عميان الصحابة ومن لم يجالسه وبإسناده إلى ضمير غير النبي صلّى الله عليه وسلّم يخرج عنه من كشف له صلّى الله عليه وسلّم عنه ليلة الإسراء ولم يلق هو النبي صلّى الله عليه وسلّم وبالتقييد بالثقلين تخرج الملائكة وبموته على الإسلام يخرج المرتد الذي لم يرجع عن ارتداده كابن جحش بخلاف من مات بعد ردته مؤمنا كبعد الله بن أبي سرح واختلف في ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل وبحيرا الراهب حيث اجتمعا به عليه السلام قبل بعثته وكانت عدة الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند وفاته عليه السلام مائة ألف ألف وأربعة عشر ألفا كلهم من أهل الدراية كذا ذكره والدي رحمه الله تعالى في أحكامه وفي مواهب القسطلاني وهل يختص جميع ذلك ببني آدم أم يعم غيرهم من العقلاء محل نظر أما الجن فالراجح دخولهم لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم بعث إليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره من الصحابة وأما الملائكة فيتوقف عددهم في ذلك على ثبوت البعثة إليهم فإن فيه خلافا بين الأصوليين حتى نقل بعضهم الإجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن رآه في قيد الحياة الدنيوية أما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح أنه ليس صحابيا وكذا من اتفق أنه يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الأعصار وكذلك من كشف له من الأولياء عنه صلّى الله عليه وسلّم ورآه كذلك على طريق الكرامة وكذا من رآه في المنام وإن كان قد رآه حقا فذلك فيما يرجع إلى الأمور المعنوية لا الأحكام الدنيوية (المقتدين) نعت للآل والأصحاب (به) صلّى الله عليه وسلّم أي المتابعين له ظاهرا وباطنا على كل حال (في القصد) بلام العهد أي النية الصالحة التي له صلّى الله عليه وسلّم في نصرة الدين والحماية عنه ونصح الأمة ومحبة الخير وكراهة الشر وقد حصل لهم ذلك منه ببركة صحبتهم له صلّى الله عليه وسلّم وسريان حالته فيهم وحلول نظره عليهم من إخلاصهم في صحبته وبذل نفوسهم وأموالهم في محبته والخروج عن أهلهم وأوطانهم في مرضاته والاقتصاد في العمل أي التوسط فيه بين الإفراط

والتفريط كما ورد في الحديث (**أن الله لا يمل حتى تملوا**) وهو عادته صلّى الله عليه وسلّم كما قال (**ولكني أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**) رد بذلك على قوم من الصحابة أرادوا أن يصوموا الدهر ويعتزلوا النساء فتركوا ما أرادوا واقتدوا به صلّى الله عليه وسلّم في اقتصاده في عمله (والشيم) جمع شيمة وهي الخلق والعادة والخلق بضم الخاء واللام ويجوز إسكانها ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة والجمع أخلاق وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة أو مكتسب وتمسك من قال بأنه غريزة بحديث ابن مسعود (**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم**) الحديث رواه البخاري وقال القرطبي الخلق جبلة في نوع الإنسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا وإلا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذلك إن كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوي وكانت الصحابة رضي الله عنهم يقتدون بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في أفعاله وأقواله وأحواله على كل حال إلا فيما أختص به عنهم لتكمل أخلاقهم كما كملت أخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الإمام السنوسي في شرح مقدمته وقد علم من دين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ضرورة إتباعه عليه السلام من غير توقف ولا نظر في جميع أقواله وأفعاله إلا ما قام فيه دليل على اختصاصه به فقد خلعوا نعالهم لما خلع نعله عليه السلام ونزعوا خواتيمهم لما نزع عليه السلام خاتمه وحسر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ركبتيهما في قضية جلوسهما على البئر كما فعل عليه السلام وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة الازدحام على الحلاق عند ما رأوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحلق رأسه وحل من عمرته في قضية الحديبية وكانوا يبحثون البحث العظيم على هيئات جلوسه ونومه وكيفية أكله وشربه وغير ذلك ليقتدوا به وقد ثبت أن ابن عمر رضي الله عنهما لما سأله السائل عن صبغه بالصفرة ولبسه النعال السِّبْتِيّةَ وكونه لا يحرم إلا إذا هل هلال ذي الحجة وإنما يحرم في يوم التروية وكونه إنما يلمس الركنين اليمانيين فأجابه بأنه استند في ذلك كله إلى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم

وقد أدار راحلته رضي الله عنه في موضع وعلل ذلك بأنه رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل كذلك وانظر قول عمر رضي الله عنه للحجر الأسود لقد علمت أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبلك ما قبلتك وقد ثبت عن بعض السلف وأظنه أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه كان لا يأكل البطيخ فقيل له في ذلك فقال يمنعني من أكله أنه لم يثبت عندي كيف أكله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة فإتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم في جميع أفعاله إلا ما اختص به ورؤية الكمال فيها جملة وتفصيلا مما علم من دين السلف ضرورة (ما دامت) أي مدة دوام (السموات) جمع سماء تذكر وتؤنث وتجمع على اسمية أيضا والسماء كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء قاله الجوهري (والأرض) بالإفراد لأنها واحدة في قول بعضهم والسموات سبع قال تعالى (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** * الأنعام: ١) إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على جمع السموات وإفراد الأرض وقال اللاقاني رحمه الله تعالى في شرح جوهرته الأصح أن الأرضين سبع كما أن السموات سبع لقوله عليه السلام (**طوقه من سبع أرضين**) وقال البيضاوي جمع السموات دون الأرض وهن مثلهن لأن طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها انتهى فالمراد ما دامت سموات الدنيا وأرضها أو سموات الآخرة وأرضها على ما قالوا في قوله تعالى (**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ** * هود: ١٠٧) يعني سموات الآخرة وأرضها وفي تفسير الواحدي قال الضحاك ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما وكل ما علاك فهو سماء وكل ما استقرت عليه قدماك فهو أرض والأكثرون على أن المراد منه التأبيد قال ابن قتيبة وابن الأنباري للعرب في معنى الأبد ألفاظ يقول لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والأرض وما اختلفت الجرة والدرة وما أَطَّتِ الإبل في أشباه كثيرة لهذا ظنا منهم أن هذه الأشياء لا تتغير فخاطبهم الله تعالى بما يستعملون في ألفاظهم انتهى ويؤيد المعنى الأول أن السماء مع علا من السقف وقد ورد في

الحديث (**سقف الجنة عرش الرحمن**) وفي مقابلة ذلك الأرض لما سفل كما ورد أن أرضها الزعفران فيكون في الكلام اقتباس من الآية وهو أبلغ لإفادته تأبيد ذلك وعدم انقطاعه بانقضاء الدنيا (وما تعاقبت) أي مدة تعاقب أي تتابع (الأضواء) جمع ضوء وهو الضياء وكذلك الضوء بالضم تقول ضاءت النار تضوء ضوأ وضوأ وأضاءت مثله وإضاءته يتعدى ولا يتعدى ذكره الجوهري والضوء والضياء هو النور أو أخص منه أو الضياء ما بالذات والنور ما بالعرض كما قال تعالى (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً** * يونس: ٥) (والظلم) جمع ظلمة فالضوء هو النهار والظلمة هي الليل بقرينة التعاقب أو أعم من ذلك (وبعد) أصلها أما بعد فالواو قائمة مقام أما ويؤيده أنه لم يقع في مثل هذا الموضع وأما بعد بالواو ولعل وجهه أن أما قد تورد لتدل على أن ما بعدها غير مرتبط بما قبلها حتى أنه سمي فصل الخطاب والجملتان اللتان بينهما كمال الاتصال لا يفصل بينهما بالواو العاطفة فلها دلالة ما على انفصال ما بعدها عما قبلها في الجملة فاستعيرت لاما الدالة على الانفصال، ذكره البيرجندي في شرح الوقاية وبعد من الظروف التي قطعت عن الإضافة ونوى فيها معنى المضاف إليه فبني على الضم يعني بعد ما تقدم من الحمدلة والصلاة والسلام على النبي وآله وأصحابه وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يأتي بها في خطبه وكتبه وفي غرائب مالك للدارقطني بسند ضعيف لما جاء ملك الموت إلى يعقوب عليه السلام قال يعقوب في جملة كلامه أما بعد فأنا أهل بيت وكل بنا البلاء فإن صح فهو أول من ابتدأ بها وقيل أول من ابتدأ بها داود عليه السلام وأنها فصل الخطاب الذي أوتيه وقيل قس بن ساعدة وقيل كعب بن لؤي وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان قاله والدي رحمه الله تعالى في أحكامه (فإن) الفاء على توهم أما فإن الشيء إذا اشتهر في موضع جاز تركه مع بناء الكلام عليه نحو ما زيد كاتبا ولا شاعر بالجر على توهم الباء أو على تقديرها بطريق تعويض الواو عنها بعد الحذف على أنه لا يمنع من اجتماع الواو مع أما كما وقع في عبارة المفتاح أواخر فن البيان ذكره الخيالي وما تقدم عن البيرجندي محمول على الكثير الغالب (العقل) وهو العلم بصفات الأشياء من

حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين أو مطلق لأمور لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات تثبت بها الأغراض والمصالح ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلماته والحق أنه روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ كذا في القاموس وفي عمدة القاري شرح البخاري للعيني اختلفوا في العقل فقيل هو العلم لأن العقل والعلم في اللغة واحد ولا يفرقون بين قولهم عقلت وعلمت وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هو قوة يميز بها بين حقائق المعلومات واختلفوا في محله فقال المتكلمون هو في القلب وقال بعض العلماء هو في الرأس انتهى فعلى القول بأنه هو العلم يكون بمعنى القوة العالمية حتى يبقى للمفاضلة بينه وبين العلم بمعنى الأمور المعلومات معنى قال النسفي في بحر الكلام العلم أفضل من العقل وفي التمهيد في معرفة التوحيد الأصح أن العلوم متنوعة علم بالله وبالدين وبالشرائع فهذا أفضل من العقل لأن العبد ينجو مع انعدام العقل ولا ينجو مع انعدام الدين ولأن كل عاقل مخاطب ومأمور بتعلم هذا العلم وطلبه وكل علم سوى علم المعرفة والدين كعلم الحرف والاكتساب والنحو والطب فالعقل أفضل انتهى فمراده بالعلوم المتنوعة المسائل المبرهن عليها ونفس البراهين من إطلاق المصدر على اسم المفعول أي التي من شأنها أن يعلمها العالم لا نفس القوة العالمية التي هي العقل قال القسطلاني في مواهبه فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان وقال بعضهم لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل البصر (والنقل) وهو النصوص الواردة في الشريعة قطعية كان أو ظنية (متوافقان) أي كل واحد منهما يوافق الآخر يعني أن القوة العالمية في الإنسان متفقة من حيث حكمها بنفسها بلا دلالة من الغير ولا اطلاع منه لها مع الدلالة والاطلاع من الغير المسمى ذلك نقلا لنسبته إلى متكلم صادق كما سمي الأول عقلا لربطه الأمر على حسب قوته وقدم العقل لكونه أصلا لثبوت النقل (والكتاب) أي كتاب الله تعالى وهو القرآن العظيم (والسنة) أي سنة النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو

قوله عليه السلام وفعله وسكوته عند أمر عاينه من قول أو فعل صدر من أحد أمته ومن السنة طريقة الصحابة رصي الله عنهم لقوله عليه السلام (**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**) والحديث والخبر يختصان بقوله عليه السلام فقط وكذلك الأثر وربما يطلق ذلك على السنة فتكون الأربعة بمعنى واحد وقدم الكتاب لشرفه وأخر السنة لأن حجيتها ثابتة به قال تعالى (**وَمَا آتيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهيكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** * الحشر: ٧) (متطابقان) أي كل واحد منهما يطابق الآخر ولا حجة أقوى من هذه الأصول الثلاثة الأول دليل العقل والثاني دليل النقل وهو قسمان الكتاب والسنة فذكر الكتاب والسنة بعد ذكر النقل بيان للمراد منه (إن الدنيا) قال الجوهري سميت الدنيا لدنوها والجمع دنى مثل الكبرى والكبر والصغرى والصغر انتهى يعني لدنوها أي قربها من الإنسان بالنسبة إلى الآخرة أو لدنوها من القلب بسبب مشتهياتها وفي حقيقتها قولان للمتكلمين أحدهما ما على الأرض مع الهواء والجو والثاني كل المخلوقات من الجواهر والأعراض قبل الدار الآخرة قال النووي رحمه الله تعالى وهو الأظهر كما قاله العيني في شرح البخاري فيدخل في ذلك النقدان وما يشترى بهما مما لا ضرورة فيه وما فيه ضرورة غير أن ما فيه ضرورة مأمور بتناوله كما قال تعالى (**وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** * القصص: ٧٧) قال الواحدي في تفسيره قال قتادة لا تنس الحلال من الدنيا ابتغ الحلال والمعنى على هذا لا تترك أن تطلب فيها حظك من الرزق الحلال وقال الحسن أمر أن يأخذ من ماله قدر عيشه ويقدم ما سوى ذلك لآخرته وعنه أيضا في هذا المعنى قدم الفضل وأمسك ما يبلغك وعلى هذا المراد بالنصيب قدر ما يكفيه (فانية) من الفناء وهو الاضمحلال والزوال قال أبو محمد الخازن في قوله تعالى (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** * الرحمن: ٢٦) أي هالك لأن وجود الإنسان في الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمان اليسير إلى الطاعة انتهى فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانية إنها عرض غير باق وما ليس بباق فهو فان وقال القسطلاني في تفسير قوله تعالى (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** * القصص: ٨٨) أي إلا ذاته فإن ما عداه ممكن

هالك في حد ذاته معدوم وفي شرح وصية أبي حنيفة رحمه الله تعالى معنى كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ إن كل شيء مما سوى الله تعالى معدوم في ذاته بالنظر إلى ذاته تعالى من حيث أنه ممكن مع قطع النظر عن موجده لأن كل ما سواه ممكن والممكن بالنظر إلى ذاته لا يستحق الوجود فلا يكون بالنظر إلى ذاته موجودا وذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرح الجامع الصغير في قوله عليه السلام (**قال موسى يا رب كيف شكرك آدم**) الحديث قال ومن نظر بعين التوحيد المحض عرف إنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وإنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام وهذا محال أن يوجد إذ الموجود المحقق هو هذا القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فإن اعتبر من حيث ذاته لم يكن له وجود البتة وإنما الموجود هو القائم بنفسه ومن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا يتصور أن يكون القيوم إلا واحدا فليس في الوجود غير الحي القيوم الواحد فالكل منه مصدره وإليه مرجعه ويعبر الصوفية عن هذا بفناء النفس أي فنى عن نفسه وعن غير الله فلا يرى إلا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويستخر منهم فيسخرون منه هذا كله كلام الغزالي رحمه الله تعالى انتهى وهذا المعنى هو المراد بوحدة الوجود والوحدة المطلقة وغير ذلك من العبارات التي تذكرها العارفون من أهل التحقيق وليس مرادهم المعنى الفاسد الذي عند أهل الزندقة والإلحاد وقد أنكرته عليهم علماء الكلام وقد كشفت عن ذلك في رسالة سميتها إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود واذا عرفت ما تقدم فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانية أي معدوما بالنظر إلى وجود الحق تعالى الباقي لا بالنظر إلى ما يظهر منها للحس والعقل أو معدومة بالنظر إليها في ذاتها وإن كانت موجودة من طرف إيجاد الحق تعالى لها ومعنى كون العقل والنقل متوافقين على ذلك وكذلك الكتاب والسنة ما ذكرنا من الآيتين ومن قوله عليه السلام (**كان الله ولا شيء معه وهو الآن على مع عليه كان**) وقال عليه السلام (**أشعر كلمة تكلم بها العرب كلمة لبيد**):

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

قال المناوي في شرح هذا الحديث وفي رواية أصدق كلمة قالها شاعر وفي رواية أخرى أصدق بيت قالته الشعراء وباطل أي فان أو غير ثابت أو خارج عن حد الانتفاع أو آيل إلى البطلان أو كان باطلا لكونه بين العدمين ولا يشكل بصفات الباري لأن بقاءها معلوم من ذكر الذات لكونها غير قابلة للانفكاك وهذا قريب من قوله تعالى (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** * القصص: ٨٨) وإنما كان ذلك أصدق لتطابق العقل والنقل على حقيقته والشهادة به، وروى السلفي في مشيخته البغدادية عن يعلى بن جراد قال أنشد لبيد النبي صلّى الله عليه وسلّم قوله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال له (صدقت) فقال

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال (كذبت، نعيم الآخرة لا يزول) انتهى ومن استقصى ما ورد في الكتاب والسنة تحقق معنى الموافقة والمطابقة وتيقن ذلك كله بنفس واثقة وحكم بصحة ما ذكر هنا وصحة ما سيأتي من أن الدار الآخر لهي الحيوان وإن الظفر بها لا يحصل إلا بمتابعة خاتم النبيين وإن الشيطان للإنسان عدو مبين (سريعة الزوال) من حيث أعيانها (والخراب) من حيث بنيانها وهذا يقتضي إرادة المصنف رحمه الله تعالى للمعنى الأول الذي فسرنا به كونها فانية قال الخازن في تفسير قوله تعالى (**إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ**) أي متعة ينتفع بها مدة ثم تنقطع (**وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ** * غافر: ٣٩) أي التي لا تزول والمعنى إن الدنيا فانية منقرضة ولا منفعة فيها وإن الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى (**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** * يونس: ٢٤) إلى آخره وتأويل الآية إن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وزهرة الدنيا مما يروق ويعجب حتى إذا كثر ذلك عند صاحبه وظن أنه

ممتع به سلب ذلك عنه بموته أو بحادثة تهلكه كما أن الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته حتى تتزين به الأرض وتظهر بهجتها وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك أهلكها الله وردها إلى الفناء حتى كأن لم تكن (عزها) أي الدنيا يعنى العز الذي لأهل الدنيا بالدنيا من جاه وحشمة ومال ومنصب ورياسة ونحو ذلك (ذل) عاجل ولكن أهله لا يشعرون به لسكرهم بخمر محبة الدنيا قال أبو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى** * النساء: ٤٣) قال بعضهم السكر على أنواع منها سكر الخمر وهو أسرعها إفاقة وسكر الغفلة وسكر الهوى وسكر الدنيا وسكر المال وسكر الأهل والولد وسكر المعاصي وسكر الطاعات وكل هذا وما يشبهه يمنع صاحبه عن إتمام صلاته والقيام فيها بشرط العبودية والتأدب للمناجاة وشرط إقامة الصلاة هو القيام إليها بالغفول عن كل ما سواها (ونعمها) أي الدنيا جمع نعمة وهي ما يتمتع به الإنسان وغيره فيها لا ما يحصل للإنسان فيها من المعرفة والطاعات التي هي من أجل النعم لأن التمتع بهذه إنما يكون في الآخرة لا في الدنيا ومراده هنا شهوات الدنيا ولذائذها من كل مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومركوب ومسكون وغير ذلك (نقم) جمع نقمة يعنى محنا وبلايا ولقد أحسن من قال من أهل الكمال إن الدنيا ليس فيها لذة مطلقا وما يظهر فيها بصور اللذائذ فإنما ذلك زوال الآلام لا لذائذ في الحقيقة فإن لذة الأكل زوال ألم الجوع ولهذا لا توجد إلا بعد الجوع وكذلك لذة الشرب زوال ألم العطش ولذة الجماع زوال ألم الشبق الذي هو احتراق المني فجميع ما في الدنيا قسمان الآلام وزوال الآلام ويسمى زوال الآلام لذائذ عند أهل الدنيا بخلاف الآخرة فإن أهل الجنة لا ألم عندهم حتى تكون لذائذهم زوال ذلك الألم فلذائذهم حقيقية فلذة أكلهم لا عن جوع ولذة شربهم لا عن عطش كما قال تعالى (**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَؤُا فِيهَا وَلاَ تَضْحَى** * طه: ١١٨-١١٩) وهكذا جميع لذائذهم ولا يمكن في الدنيا ذوق لذة من ذلك بل لا يمكن إدراك معناها ذكر الشيخ الشعراوي في العهود المحمدية قال سمعت سيد عليا الخصواص رحمه الله تعالى يقول الدنيا كلها ابنة إبليس وكل

من أحبها زوجها له ويصير إبليس يتردد إليه لأجل بنته بل سمعته يقول إن الشيطان يتردد إلى من خطب ابنته ولولم يدخل بها على عادة الأصهار فإن أردت يا أخي الحفظ من ذلك فلا تصاهره ولا تخطب بنته وذكر الشيخ محي الدين بن العربي قدس الله تعالى سره في كتابه روح القدس قال والله ما يستوي فراغ عارف عنده درهمان وفراغ عارف عنده درهم بل صاحب الدرهم أفرع من صاحب الدرهمين جاء رجل إلى سيدنا أبي مدين فقال له يا سيدنا إن الشيطان يؤذيني فعسى أن تدفعه عني فقال له الشيخ قد شكى إلى إبليس بك قبلك قال وما قال لك قال قال لي لتعلم يا شيخ إن الدنيا خلقها لي ربي وجعلها حبالتي وشركي وملكنيها فجاء فلان فتعدى عليّ فيها وأخذ لي منها فعدوت وراءه أطلب حقي منه ووالله ما قصدت منهم إنسانا ولا طلبت أحدا ولا برحت من مكاني أحفظ على بستاني ومالي فمن أخذ لي منه شيئا تبعته أطلب حقي وقد عرفت أن فلانا يشكوني إليك فسبقته وقد أخبرتك بالقصة وأنا لا أترك منه حقي وأسلبه فيما أقدر عليه من دينه أو يرد إليّ متاعي كما فعل الزهاد والموفقون لهذا قال تعالى (**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** * الحجر: ٤٢) فمالي عليهم حجة ولا حق فإنهم تركوا مالي وهذا تعدى (**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** * البقرة: ١٩٤) فمن الظالم فقال الرجل أنا فقال له الشيخ رد إليه دنياه يرد إليك آخرتك (وشرابها) أي الدنيا يعني جميع مشروباتها المحسوسة التي هي عند النفوس عذب زلال ومشروباتها المعقولة أيضا التي هي مستحسنات النفوس من الطبائع والأحوال (سراب) بالسين المهملة قال الفراء السراب ما لصق بالأرض والآل الذي يكون ضحا كالماء بين السماء والأرض قال ابن السكيت السراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء وهو يكون نصف النهار وهو الذي يلصق بالأرض وقال أبو الهيثم سمي السراب سرابا لأنه يسرب سربا أي يجري جريا يقال سرب الماء يسرب سروبا كذا في تفسير الواحدي شبهت مشروبات الدنيا ولذيذات أحوال أهلها بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وذلك لسرعة زوالها وكونها على التقضي والاضمحلال لفنائها في حقيقة الأمر كما قدمنا قال

أبو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى (**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ** * النور: ٣٩) الآية قال ابن عطاء يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء هو قلب ليس فيه شيء من أنوار الله فقير بما فيه رجوعه إلى الأسباب شرك يظهر إذا ذاك له أن الرجوع إلى الحق هو الإيمان قال تعالى (**وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ** * النور: ٣٩) أي وجد الطريق إليه وقال ابن عطاء في قوله تعالى (**حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً** * النور: ٣٩) قال ما وجد الخلق إلا الخلق وأبى الحق تعالى أن يكون لخلق إليه سبيل أو طريق إذ لا يعرفه سواه ولا يشهده غيره قال جعفر أضلتهم ظلم صحبة الأغيار فكانت على قلوبهم مثل السراب لم تغن عنهم شيئا ولم تدخلهم على حق لو وجدوا السبيل إلى الله لأضاءت سرائرهم وكانت كما قال تعالى (**نُورٌ عَلَى نُورٍ** * النور: ٣٥) قال بعضهم القلب الذي تعلق بشيء غير الله هو فقير بما فيه لأن الفقر هو صحبة الأشكال والغناء الرجوع عن الخلق إلى الله عز وجل، وقال ابن عطاء كل ما كان دون الله فهو فقر وكل قلب فيه محبة شيء سوى الله فصاحبه فقير انتهى فالمنهمك في الدنيا وأحوالها وهو المشتغل بالأغيار والأسباب المعاشية والمعادية دون الله تعالى انهماكه في أمر محال أي باطل واشتغاله في فاقة من دينه ووبال فهو المغرور بما لديه في كل حال ذكر الشيخ محي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه روح القدس في ترجمة شيخه أبي محمد عبد الله القطان المفتوح عليه في القرآن كان يصدع بالأمر لا تأخذه في الله لومة لائم يرد كلام السلاطين في وجوههم أقبح الرد له صولة يرمي من شاء بالحق ولا يبالي عرض بنفسه للقتل من كثرة سبه لأفعال السلاطين وما هم عليه من مخالفة الشريعة له مجالس معهم يضيق الوقت عن ذكرها لا يتكلم إلا بالقرآن ولا يرى غيره ولم يكتب كتابا سمعته يقول بمدينة قرطبة في جماعة مساكين أصحاب المصنفات والتآليف ما أطول حسابهم غدا في كتاب الله مقنع وفي حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يحافظ على صاحبه ولم يتنعم قط ولا جمع بين درهمين وجه السلطان فيه ليقتله فأخذه الأعوان ودخلوا به على الوزير فأقعد بين يديه فقال له يا ظالم يا عدو الله وعدو نفسه فيما ذا وجهت فقال له قد أمكن الله منك ما تعيش بعدها أبدا فقال له الشيخ لا

تقرب أجلا ولا تدفع مقدورا كل ذلك لا يكون أنا والله أشهد جنازتك فقال الوزير لوزغته اسجنوه حتى أشاور السلطان في قتله فسجن تلك الليلة فانصرف هو وهو يقول عجبا لم يزل المؤمن في السجن وإنما هذا بيت من بعض بيوت السجن فلما كان في اليوم الثاني جلس السلطان وأخبره الوزير بقصة الشيخ وكلامه فأمر به فحضر بين يديه فرأي رجلا دميم الخلقة لا يؤبه له وما أحد من أهل الدنيا يريد له خيرا وهذا كله لقوله الحق وإظهار معايبهم وما هم عليه من الفساد والجور فقال له السلطان بعد ما سأله عن اسمه ونسبه أتحفظ توحيدك فتلاه عليه من القرآن بتقاسيمه فتعجب الملك وانبسط له إلى أن دخل معه في المملكة وشأنها فقال له السلطان ما تقول في ملكي هذا؟ فضحك فقال له مم تضحك؟ فقال منك تسمي الهذيان الذي أنت فيه ملكا وتسمي نفسك ملكا أنت كمن قال الله فيه (**وَكَانَ وَرَاءهُم مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً** * الكهف: ٧٩) إنما كان الملك الذي يصلى اليوم بناره أو يجزى بها وأما أنت فرجل عجنت لك خبرة وقيل لك كلها ثم أغلظ عليه في القول بكل ما يكرهه ويغيظه وفي المجلس الوزراء والفقهاء فسكت السلطان وخجل وقال هذا رجل موفق يا عبد الله تحضر مجلسنا قال لا فإن مجلسك مغصوب ودارك التي تسكنها أخذتموها بغير حق ولولا أني مجبور ما دخلت هنا حال الله بيني وبينك وبين أمثالك وما مضى زمن قليل إلا والوزير قد مات وخرج أبو محمد وحضر جنازته وقال بررت قسمي انتهى فهذا من وقائع أهل الحق مع أهل الدنيا المغرورين بما لا حقيقة له من العرض الفاني كما قال تعالى (**وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** * آل عمران: ١٨٥) قال البيضاوي أي لذاتها وزخارفها شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر أو جمع غار انتهى وقال تعالى (**وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** * القصص: ٦٠) قال العز بن عبد السلام في تفسيره وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ أعطيتم من رياش الدنيا من مال وولد فمتاع الحياة الدنيا تتمتعون به ليس من زاد الآخرة ولا مما ينفعكم في معادكم (وَإِنَّ الدَّارَ ٱلآخِرَةَ) معطوف على أن الدنيا ولم يقل الدار

الدنيا ولا الآخرة بدون لفظة الدار لأن الدنيا ليست بدار لعدم القرار فيها والدار هي الآخرة لأنها للقرار والخلود وسميت آخرة لتأخرها عن الدنيا (لَهِيَ الْحَيَوَان) مِؤكدة بأن وبلام القسم لجحود الكفار لها أي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها (أُعِدَّتْ) أي هيئت وفيه إشارة إلى أن الجنة مخلوقة الآن وكذلك النار وجميع ما في الآخرة غير أنه خارج عن هذا العالم وهو الحق (لِلْمُتَّقِينَ) أي المحترزين عن مخالفة ربهم فيما أمرهم به ونهاهم عنه ظاهرا وباطنا قال المناوي في شرح الجامع الصغير التقوى على مراتب وقاية النفس عن الكفر وهو للعامة وعن المعاصي وهو للخاصة وعما سوى الله وهو لخاصة الخاصة انتهى والآخرة مهيأة لأهل هذه المراتب الثلاثة على حسب مراتبهم فيها (من أهل الإيمان) بيان للمتقين إذ لا تقوى بدون الإيمان وهو التصديق ظاهرا وباطنا بما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم من عند ربه عز وجل من الاعتقاديات والعمليات على مقتضى ما يعلمه الله تعالى ويعلمه رسوله عليه السلام وهو الإيمان بالغيب الذي هو فرض على كل مكلف وهو غير متفاوت بحسب مراتب الناس الثلاثة العامة والخاصة وخاصة الخاصة وإنما مراتب الكشف والعيان ظهور ذلك على حسب استعداد الإنسان وليس هو الذي كلف الله تعالى به العبد ولكنه السبيل إلى حقيقة الإتقان كما أشار إليه الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه في أوائل كتاب العبادلة (عزتها) أي الدار الآخرة يقال عز فلان يعز عزا وعزة وعزازة صار عزيزا أي قوي بعد ذلة قاله الجوهري (باقية) غير فانية كعزة الدنيا التي هي حقيقة المذلة كما مر (أبدية) لا انقضاء لها (ونعمها) جمع نعمة وهي ما في الآخرة مما ينعم الله تعالى به على عباده المؤمنين من أنواع النعيم المقيم (صافية) أي خالصة من شوائب الأكدار (سرمدية) لا نهاية لها قال الله تعالى (**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** * الأعلى: ١٦-١٧) قال الخازن يعني إن الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني وأنتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الأشج كنا عند ابن مسعود فقرأ الآية فقال أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لأنّ الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها

وبهجتها وإن الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل وقال الواحدي الآخرة أي الدار الآخرة يعني الجنة خير أفضل وأبقى وأدوم من الدنيا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من طلب آخرته أضر بدنياه ومن طلب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى**) وتفسير السلمي قال أبو العباس الدينوري من خس طبعه وحقرت همته آثر الدنيا بخستها وحقارتها ومن علت همته وعظم قدره آثر الآخرة ومن شرف حاله وصحت حقائقه آثر الله على الدارين وما فيها (وشرابها) أي الآخرة والمراد الجنة وهو اسم للخمرة ولهذا أنثها حيث قال (خالية عن إثم) أي تحريم إذ هي الخمرة الحلال والإثم أيضا من أسماء الخمرة التي في الدنيا والمعنى على هذا خمرة الآخرة خالية عن مشابهة خمرة الدنيا كما قال تعالى (**لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ** * الواقعة: ١٩) قال الخازن أي لا يصدع عنها رؤوسهم من شربها وَلا يُنزِفُونَ أي لا تغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقال في قوله تعالى (**لاَ فِيهَا غَوْلٌ** * الصافات: ٤٧) أي لا تضار عقولهم فتذهب بها وقيل لا إثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في جفاء وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء والعربدة وغير ذلك أي من الأحوال المكرهة ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة وقال في قوله تعالى (**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً** * الإنسان: ٢١) يعني طاهرا من الأقذار والأقذاء لم تمسه الأيدي ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا وقيل أنه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في أبدانهم كرشح المسك وذلك أنهم يؤتون بالطعام ثم بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الأذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وحسد وغش وقال الواحدي وهو طهور ليس بنجس كما كانت في الدنيا مذكورة بالنجاسة والمعنى إنّ ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا (و) خالية تلك الخمرة أيضا عن (لاغية) أي لغو قال الخازن (**فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً** * الغاشية: ١٠-١١) أي ليس فيها لغو ولا باطل وقال الواحدي في قوله

تعالى (**لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً** * الواقعة: ٢٥) أي لا لغو فيها فيسمع ولا يقول بعضهم لبعض أثمتَ لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم وهذا معنى قول ابن عباس لا يتكلمون بالإثم كما يتكلم أهل الدنيا انتهى فلعل المراد من خلو خمرة الآخرة عن اللغو أنها لا تشرب على الكلام الفاحش والغناء الباطل وإنما تشرب على التغني باللطائف الإلهية والكلام الحق (فيها) أي في الدار الآخرة والمراد الجنة (حُورٌ) جمع حوراء وهي النقية البياض من النساء وقال الواحدي الحور هن البيض الوجوه وقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وفي تفسير الخازن والحور من النساء النقيات البياض التي يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن (مَقْصُورَاتٌ) أي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبي صلى الله وسلم أنه قال (**لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينها ولملأت ما بينها ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**) يعني الخمار وقيل قصر طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا (فِي ٱلْخِيَامِ) قيل هي البيوت قال ابن الأعرابي الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ثم تسقف بالثُّمامِ فيقال خيم فلان خيمة إذا بناها من جريد النخل وخيم بها إذا قام بها وتظلل فيها وهي خيام من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف يضاف إلى القصور في الجنة وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**إن للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء**) وفي رواية (**عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا**) وقال الواحدي روى قتادة عن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها أربعة آلاف مصراع من ذهب وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون**) وفي آخر الإحياء للغزالي قال أنس رضي الله عنه قال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**لما أسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر**) فقلن السلام عليك يا رسول الله (**فقلت يا جبريل ما هذا النداء**) قال هؤلاء المقصورات في الخيام

استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدا وقرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ** * الرحمن: ٧٢) وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء في الجنة وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا**) (ناعمات) من النعومة وهي لين الملمس (مطهرات) أي نظيفات نقيات من الطهارة وهي النظافة (عن الأقذار) جمع قذر بالذل المعجمة محركة قال الجوهري القذر ضد النظافة وشيء قذر بين القذارة وقذرت الشيء بالكسر وتقذرته واستقذرته إذا كرهته (و) عن (الآلام) جمع ألم وهو المرض والوجع أي لا تألم لهن ولا توجع بشيء أصلا ولا يدركهن مرض ولا يعلوهن اصفرار ولا تذهب بهجة حسنهن ولا جمالهن على الأبد بل دائما يزددن بمرور الأحقاب صحة وعافية وحسنا وجمالا وبهجة وسرورا قال البيضاوي في قوله تعالى (**أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ** * البقرة: ٢٥) مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال وقال الواحدي مطهرة لا يتغوطن ولا يبلن ولا يمنين ولا يحضن فهن مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد ومطهرات من كل الأقذار وقيل مطهرة من مساوي الأخلاق لما فيهن من حسن التبعل ودل على هذا قوله عُرُباً أَتْرَاباً وقال الخازن في قوله تعالى (**فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً** * الواقعة٣٦ – ٣٧) قيل هن الحور العين أنشأهن الله تعالى لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع عُرُباً جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها قاله ابن عباس وفي رواية عنه أنها الملقة وقيل الغنجة وعن أسامة بن زيد عن أبيه عربا قال حسان الكلام أَتْرَاباً يعني أمثالا في الخلق وقال العز بن عبد السلام عربا أي عواشق أزواجه وقيل يتحاب بعضهن بعضا لا كضرائر الدنيا وقيل غنجات وقيل حسنات الكلام من قوله عليه السلام (**يُعْرِب عنها لِسَانُها**) وفي الخبر (**كلامهن عربي**) (كَأَنَّهُنَّ) أي تلك الحور التي في الجنة (الْيَاقُوتُ) وهو أربعة أنواع أحمر وأصفر واسمانجوني وأبيض فالأحمر ينقسم

إلى أربعة الوردي والخمري وهو أحمر مشرب والأحمر بلونِ الْعُصْفر الشديد الحمرة والبهرمان نقي الحمرة بحيث لا يشوبها شائبة وهو أجوده قالوا وربما بلغ مثقاله مائة دينار إذا كان جيدا جدا والأصفر منه الرقيق قليل الصفرة والخلوفي أصبغ صفرة منه والجلناري أصبغ من الخلوفي وهو أجوده والاسمانجوني منه الأزرق واللازوردي والنيلي والكحلي وهو أصبغ من النيلي ويسمى الزيتي والأبيض منه المائي وهو الشديد البياض والذكر وهو أثقل من المائي وهذا أرخص اليواقيت وأدونها ذكره والدي رحمه الله تعالى في كتاب الزكاة من أحكامه والمراد هنا الياقوت الأحمر أو الأبيض (والمرجان) وهو صغار اللؤلؤ قاله الجوهري واللؤلؤ قيل مطر الربيع يقع في الصدف فيصير لؤلؤا وقيل الصدف حيوان يخلق منه اللؤلؤ قال الخازن في تفسير قوله تعالى (**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** * الرحمن: ٥٨) أراد صفاء اللون من الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وفيه تشبيه لونهن بياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لأن أحسن الألوان البياض المشرب حمرة والأصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا أي خيطا ثم استصفته أي طلبت معرفة صفته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون أن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روى عن ابن مسعود عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها**) وذلك بأن الله يقول (**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**) فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفته لرأيته من ورائه أخرجه الترمذي وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح وقال الواحدي (**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**) أراد لهن صفاء الياقوت في بياض المرجان وقال العز بن عبد السلام كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ صفاء وَالْمَرْجَانُ بريقا إذ هو أبيض من اللؤلؤ لصفائهن وحسنهن فيرى مخ سوقهن من وراء أجسامهن كما يرى السلك في الياقوت والمرجان (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ) قال الواحدي الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية يقال طمث يطمث ويطمث قال المفسرون لم يطأهن

ولم يغشهن ولم يجامعهن قال مقاتل لأنهن خلقن في الجنة (إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ) أي قبل أزواجهن من أهل الجنة ومعنى الآية المبالغة في نفي الطمث عنهن لأن ذلك أقر لأعين أزواجهن إذا لم يغشهن أحده غيره كذا في تفسير الخازن وإنما قدم قوله (**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**) على قوله لم يطمثهن مع أن الآية بالعكس لقصد الاقتباس وشرطه إرادة أن لا يكون من القرآن كما مر لطول السَّجعَة الثانية على الأولى فإنه لا يحسن إطالة الأولى على الثانية كما ذكره علماء البديع (وُجُوهٌ) لهم يعني لأهل الجنة جمع وجه بمعنى العضو المخصوص أو هو مجموع الذات كما قالوا في وجه الله أي ذاته (يَوْمَئِذ) أي في يوم القيامة (نَّاضِرَة) قال العز بن عبد السلام حسنة مستبشرة مسرورة مشرقة متهللة وقال الخازن ناضرة من النضارة وهي الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (إِلى رَبِّهَا) أي ربّ تلك الوجوه (نَاظِرَة) تلك الوجوه قال ابن عباس وأكثر المفسرين تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق سبحانه وتعالى كذا قاله الخازن وقال الواحدي قال الزجاج نضرت بنعيم الجنة والنظر إلى ربها عز وجل وعن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار**) قال (**فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم**) وعن ابن عمر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**إنّ أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألف سنة لا يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر في سرره وأزواجه وخدمه وأن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله كل يوم مرتين**) رواه الحاكم في صحيحه وفي تفسير البيضاوي إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس وهذا في كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره، وفي حقائق السلمي قال النضرآبادي من الناس، ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا إليه ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله لهم فقالوا رؤيتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلا علة وهو أتم بركة وأسهل نفعا وقال عبد العزيز الخلق في

لقاء الله على ضروب منهم من يطمع فيه غفلة ومنهم من يطمع فيه جراءة ومنهم من لا يطمع فيه هيبة وهو أفضلهم وأشرفهم وأرجاهم أن يؤهل لذلك انتهى.

فإن قلت إذا كانت الوجوه بمعنى الذوات كما سبق فيكف رؤيتها للرب سبحانه قلت وكذلك يقال إذا كانت الوجوه على ظاهرها ويوضح هذا ما ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوي في طبقاته في ترجمة شيخه الشيخ علي الخواص أنه كان يقول نشأة أهل الجنة مخالفة للنشأة الدنيوية التي نحن عليها الآن صورة ومعنى كما أشار إليه حديث (**إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**) وأيضاح ذلك أن حجاب البشرية مادام موجودا في الشخص فلا يعلم أحوال الجنة لأن الجنة نشأة شهود وإطلاق لا حجاب وتقييد ولذلك كان علم أحوال الجنة خاصا بالعارفين واعلم أن الحق تعالى جعل لنا السمع والبصر والشم والذوق واللمس واللذة في النكاح والإدراك حقائق متغايرة حكما ومحلا مع اتحادها في الباطن لأن الإدراك ليس إلا للنفس وهي حقيقة واحدة بمنافذ مخصوصة وإنما تنوعت الآثار في هذه الحقائق بتنوع محالها واعلم إن هذه الصفات المتغايرة هنا حكما ومحلا يقع الإتحاد بينها في الآخرة حكما ومحلا فيسمع بما به يبصر بما به يتكلم بما به ينطق بما به يذوق بما به يشم وكذلك الحكم في الضد من غير تضاد فيبصر بسائر جسده ويسمع كذلك ويأكل كذلك وينكح كذلك ويشم كذلك وينطق كذلك ويدرك كذلك وهذا القدر النزر من أحوال الجنة لا يصح وجوده في العقل لأنه محال في عقل من يسمع ذلك فكيف بغير النزر مما هو أعظم من ذلك ولم أر أحدا تكلم على ما ذكرته غير سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه في تائيته فراجعها انتهى وذكر الشيخ محي الدين بن العربي قدس الله سره أن أهل الجنة ينكحون جميع نسائهم وجواريهم في آن واحد نكاحا حسيا بإيلاج ووجود لذة خاصة بكل امرأة من غير تقدم ولا تأخر قال وهذا هو النعيم الدائم والاقتدار الإلهي والعقل يعجز عن إدراك هذه الحقيقة من حيث فكره وإنما يدركه بقوة إلهية في قلب من شاء من عباده وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ومما يؤيد أن مراده بالوجوه الذوات قوله (عنده) أي عند ربها (مرضية)

تلك الوجوه أي مرضي عنها (مطمئنة) وهي التي اطمأنت بذكر الله فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته فتستقر على معرفته وتستغني به عن غيره أو إلى الحق بحيث لا يريبها شك أو الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن قاله البيضاوي وقال العز بن عبد السلام المطمئنة المؤمنة بأن الله ربها المسلمة لأمره وقيل المجيبة الموفية بوعده أو إلى ذكره وقال الواحدي المطمئنة الراضية بقضاء الله الذي قدر الله فعلمت أن ما أصابها لم يكن ليخطئها وأن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وقال الخازن أي الثابتة على الإيمان والإيقان المصدقة بما قال الله الموقنة وقيل هي الآمنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر الله (وعنه) أي عن ربها (راضية) بما أوتيت وقيل عن الله بما أعد الله لها وتقديم الخبر في الموضعين مفيد أنها ليست مرضية عند غيره وهو اعوجاج الخلق على أهل الإخلاص في الدنيا وليست راضية عن غيره لخروجها عن كل ما سواه (شاكرة) له على ما أنعم عليها وذكر القشيري في رسالته أن الشكر ينقسم إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة، وشكر بالقلب وهو اعتكافه على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة وقال أبو بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليا وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر، وقال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة (وهذه) الأمور المذكورة الأخروية (هي النعمة) التامة والمنة العامة لا أمور الدنيا الفانية المضمحلة المنتنة القذرة (واللذة العظمى) الأبدية وكل لذة سواها في الدنيا فإنها وهمية (والفوز) أي الظفر بغاية المنى (والفلاح) أي الخير الكثير (والسعادة الكبرى) التي لا شقاوة بعدها أبدا (وإن الظفر) معطوف على أن الدار الآخرة (بها) متعلق بالظفر أي بهذه الأمور الأخروية المذكورة (لا يحصل) لأحد أبدا (إلا بمتابعة) وهي عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير (خاتم) بكسر التاء اسم فاعل وبفتح التاء الطابع ذكره ابن ملك في شرح المجمع (النبيين) جميع نبي من النبوة وقد سبق تعريفها وقرئ خاتم بالكسر والفتح فمن قرأ وخاتم بالكسر فمعناه ختم النبيين ومن قرأ وخاتم الفتح فمعناه

آخر النبيين لا نبي بعده صلّى الله عليه وسلّم قاله الزجاج في كتابه معاني القرآن وقال البيضاوي خاتم النبيين آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه أن يكون نبيا كما قال عليه السلام في إبراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذ نزل كان على دينه مع أن المراد أنه آخر من نبئ (سيدنا) معشر الموجودين الآن (وسيد) بصيغة اسم الفاعل فيهما من السيادة يقال ساد قومه يسودهم سيادة وسوددا وسيدودة فهو سيدهم إذا علا عليهم وارتفعت رتبته (الأولين) من الأنبياء وغيرهم (والآخرين) إلى يوم الدين وقدمنا بيان فضيلته صلّى الله عليه وسلّم على جميع العالمين وإذا كان الأنبياء الماضون عليهم السلام مأمورين بمتابعته صلّى الله عليه وسلّم على تقدير أن يدركوا زمانه فكيف بأمته عليه السلام الذين هم ليسوا بأنبياء قال في المواهب اللدنية وقد أخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليؤمننّ به إن أدركوه ولينصرنّه قال تعالى (**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ** * آل عمران: ٨١) أخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم أن يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاووس وقتادة وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم وعن علي بن أبي طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلّى الله عليه وسلّم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاووس لا يضادد ما قاله علي وابن عباس رضي الله عنهم ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه إذا بعث محمد صلّى الله عليه وسلّم أن يؤمنوا به وأن ينصروه واحتج له بأن الذين أخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الإيمان بمحمد صلّى الله عليه وسلّم عند مبعثه وكان الأنبياء عند مبعث محمد صلّى الله عليه وسلّم من جملة الأموات والميت لا يكون مكلفا فتعين أن يكون الميثاق مأخوذا على الأمم قالوا ويؤكد هذا أنه تعالى حكم الذين أخذ عليهم الميثاق أنهم لو

تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما يليق بالأمم وأجيب بأن يكون المراد من الآية أن الأنبياء لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الإيمان بمحمد صلّى الله عليه وسلّم ونظيره قوله تعالى (**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** * الزمر: ٦٥) وقد علم الله تعالى أنه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال تعالى (**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** * الحاقّة: ٤٤-٤٦) وقال في الملائكة (**وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ** * الأنبياء: ٢٩) مع أنه تعالى أخبر عنهم بأنهم لا يسبقونه بالقول وبأنهم يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير وإذا نزلت هذه الآية على أن الله تعالى أوجب على جميع الأنبياء عليهم السلام أن يؤمنوا بمحمد صلّى الله عليه وسلّم لو كانوا في الأحياء وأنهم لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلا يكون الإيمان بمحمد صلّى الله عليه وسلّم واجبا على أممهم من باب أولى فكان صرف هذا الميثاق إلى الأنبياء أقوى في تحصيل المقصود وقال السبكي في هذه الآية أنه عليه السلام على تقدير مجيئهم في زمانه يكون مرسلا إليهم لتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله صلّى الله عليه وسلّم (**وبعثت إلى الناس كافة**) لا يختص به الناس في زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا وإنما أخذ له المواثيق على الأنبياء عليهم السلام ليعلموا أنه المتقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وفي أخذ المواثيق وهي في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة وهي كأنها إيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعل إيمان الخلفاء أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلّى الله عليه وسلّم من ربه تعالى فإذا عرفت هذا فالنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم نبي الأنبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلّى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك لأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم

اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلّى الله عليه وسلّم الشريفة وإنما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم إتباعه بلا شك ولهذا يأتي عيسى عليه السلام في آخر الزمان على شريعة وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحدا من هذه الأمة نعم إنه واحد من هذه الأمة لما قلنا من إتباعه للنبي صلّى الله عليه وسلّم وإنما يحكم بشريعة نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم بالقرآن والسنة وكل ما فيها من أمر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة وهو نبي كريم على حاله لا ينقص منه شيء وكذلك لو بعث النبي صلّى الله عليه وسلّم في زمانه أو في زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم والنبي صلّى الله عليه وسلّم نبي عليهم ورسول إلى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم ومتفق مع شرايعهم في الأصول لأنها لا تختلف وتقدم شريعته صلّى الله عليه وسلّم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع إما على سبيل التخصيص وإما على سبيل النسخ أو لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلّى الله عليه وسلّم في تلك الأوقات بالنسبة إلى أولئك الأمم مما جاءت به أنبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة الشريفة والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيين عنا أحدهما قوله صلّى الله عليه وسلّم (**بعثت إلى الناس كافة**) كنا نظن أنه من زمانه إلى يوم القيامة فبان أنه جميع الناس أولهم وآخرهم والثاني قوله صلّى الله عليه وسلّم (**كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد**) كنا نظن أنه بالعلم فبان أنه زائد على ذلك وإنما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلّى الله عليه وسلّم وبلوغه الأربعين وما قبل ذلك بالنسبة إلى المبعوث إليهم وتأهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة إليه ولا إليهم لو تأهلوا قبل ذلك وتعليق الأحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فهنا التعلق إنما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث إليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل

الأب رجلا في تزويج ابنته إذا وجدت كفؤا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفؤ لا يوجد إلا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة وأهلية الوكيل (في العقائد) متعلق بمتابعة وهي جمع عقيدة اسم لما يعقد عليه القلب من المعاني الدينية أي يربط يعني يقطع ويجزم من غير شك ولا تردد لأن الشك والتردد كفر وكذلك الظن وهو الطرف الراجح قال تعالى (**إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً** * يونس: ٣٦) وأما قوله (**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُوا رَبِّهِمْ** * البقرة: ٤٦) فقال البيضاوي أي يتوقعون لقاء الله وقيل ما عنده أو يتيقنون أنهم يحشرون إلى الله فيجازيهم ويؤيده أن في مصحف ابن مسعود يعلمون وكأن الظن لما شابه العلم في الرجحان أطلق عليه لتضمين معنى التوقع انتهى فيبقى على هذا للظن أطلاقان إطلاق بمعنى رجحان أحد الطرفين وهو في الإيمان كفر وإطلاق بمعنى التوقع واليقين وهو محض الإيمان وقدم المتابعة في العقائد لأنها الأصل لكل متابعة ولتوقف كل عمل عليها ولأنها تكون بالقلب والقلب سبب المؤاخذة بالأعمال كما قال تعالى (**وَلَكِن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** * البقرة: ٢٢٥) ولأنها مطهرة لموضع نظر الرب سبحانه كما ذكر النووي رحمه الله تعالى في رياض الصالحين حديثا طويلا عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه (**إن الله لا ينظر إلا أجسادكم ولا إلى صوركم**) وفي رواية (**ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**) وفي رواية (**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**) (وفي الأقوال) جمع قول وهو قول الحق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه العموم دون الخصوص كما كان يفعل النبي صلّى الله عليه وسلّم ولا يفضح أحدا من أمته فكان يقول (**ما بال أقوام يفعلون كذا**) وفي تفسير الخازن في قوله تعالى (**وَلاَ تَجَسَّسُوا** * الحجرات: ١٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال صعد النبي صلّى الله عليه وسلّم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال (**يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**) انتهى والحاصل

أن أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم بالمعروف ونهيه عن المنكر كان على وجه العموم دائما ولم يرد عنه عليه السلام أنه كان يقول لفاسق معين لا تفعل الفسق بل ولا يظن في أحد من المسلمين إلا خيرا وكيف يتصور أن يصدر منه ذلك وقد قال (**ولا تتبعوا عوراتهم**) كما في الحديث وهل كان يتتبع العورة وينهى عن تتبعها ولا يسترها، وفي تفسير الخازن في المحل المذكور عن أبي هريرة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**) انتهى فهذه كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه المتابعة للنبي صلّى الله عليه وسلّم في أقواله وسيأتي إن شاء الله تعالى لهذا المبحث زيادة إيضاح في هذا الكتاب (وفي الأخلاق) جمع خلق وتقدم تفسيره وأخلاق النبي صلّى الله عليه وسلّم كلها عظيمة قال الله تعالى (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** * القلم: ٤) قال البيضاوي إذ تحتمل من قومك ما لا تحتمله أمثالك وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلّى الله عليه وسلّم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** * المؤمنون: ١) وفي تفسير الخازن ولما كانت أخلاق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كاملة وأفعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بأنها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التجنب عن الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب والمعاشرة بالمعروف مع الأقارب والأجانب والتساهل في جميع الأمور والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتشاجر واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى مع طلاقة الوجه وإدامة البشر فهذه الخصال تجمع لجميع محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوصفه الله تعالى بقوله (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** * القلم: ٤) وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين أحب إلى الله ولا أرضى عنده منه وهو دين الإسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول صلّى الله عليه وسلّم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما

كان يأتمر به من أوامر الله وينتهي عنه من نواهي الله تعالى والمعنى وإنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله تعالى (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** * الأعراف: ١٩٩) وقال العز بن عبد السلام وقيل على طبع كريم اجتمعت فيه مكارم أخلاق الأنبياء عليهم السلام لأنها قصت عليه وقيل له (**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** * الأنعام: ٩٠) وفي المواهب اللدنية قال الحليمي وإنما وصف خلقه بالعظم مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم لأن كرم الخلق يراد به السماحة والأمانة والدماثة ولم يكن خلقه صلّى الله عليه وسلّم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا في صدور الأعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم أولى ليشمل الإنعام والانتقام وقال الجنيد رضي الله عنه وانما كان خلقه صلّى الله عليه وسلّم عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقيل لأنه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الأخلاق فيه قال عليه السلام فيما رواه الطبراني في الأوسط عن جابر (**إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال**) وفي رواية مالك في الموطإ (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) فجميع الأخلاق الحميدة كلها كان فيه صلّى الله عليه وسلّم فإنه أدب بالقرآن وقال صاحب عوارف المعارف ولا يبعد أن قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الإلهية أن تقول كان متخلقا بأخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها فكما أن معاني القرآن لا تتناهى فكذلك أوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى إذ في كل حالة من أحواله يتجدد له من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى فإذا التعرض لحصر جزئيات أخلاقه الحميدة صلّى الله عليه وسلّم تعرض لما ليس من مقدور الإنسان ولا من ممكنات عاداته وقد كان صلّى الله عليه وسلّم مجبولا على

الأخلاق الكريمة في أصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود إلهي ولهذا لم تزل تشرق أنوار المعارف في قلبه حتى وصل إلى الغاية العليا والمقام الأسنى وأصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل لأن به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلّى الله عليه وسلّم إلا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا وأن محمدا صلّى الله عليه وسلّم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر وعن بعضهم مما هو في عوارف المعارف اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلّى الله عليه وسلّم وجزء في سائر المؤمنين (وفي الأفعال) جمع فعل وقد فعل صلّى الله عليه وسلّم الأفعال الجميلة الحسنة المرضية من بداية أمره إلى نهايته فكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن لا يبث بصره في وجه أحد، يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز قمح أو شعير أكله وإن وجد حلواء أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله لا يأكل متكئا ولم يشبع من خبز قمح ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر لا يهوله شيء من أمور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانية ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الأيمن أو الأيسر يردف خلفه عبده أو غيره يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يمزح ولا يقول إلا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق أهله وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس يخرج إلى بساتين أصحابه لا يحقر

مسكينا لفقره ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشبكه ثم شد قبضته وكان لا يجلس أحد إليه وهو يصلي إلا خفف صلاته وجلس إليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه كان حيث ما انتهى به المجلس جلس وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث وكان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذي بركة وإن الله تعالى لم يطعمنا نارا فأبردوه وكان يأكل مما يليه ويأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان وجاءه عثمان بن عفان بفالوذج فأكل منه وقال (**ما هذا يا أبا عبد الله**) فقال بأبي أنت وأمي نجعل السمن والعسل في البرمة ونصفيهما في النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى فقال عليه السلام (**إن هذا طعام طيب**) وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في أمر الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم ثم نهض عنهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلاّ عن حرام إلى غير ذلك من أفعاله صلّى الله عليه وسلّم وأحواله الشريفة العظيمة وتمامها مبسوط في إحياء علوم الدين للغزالي رحمه الله تعالى وفي كتاب المسامرات للشيخ محي الدين العربي رضي الله عنه وكان صلّى الله عليه وسلّم لا يذكر عنده الأراذل يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي بشره عن أحد ولا خلقه يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في أيد الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه انتهى وفي الجامع الصغير للسيوطي كان صلّى الله عليه وسلّم إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد وكان يحمل ماء زمزم وكان يحدث حديثا بحيث لو عده العاد لأحصاه وكان يعجبه النظر إلى الخضرة والماء الجاري إلى أكثر

من ذلك مما هو مفصل في كتب الشمائل النبوية والأخلاق المحمدية (وإن الشيطان) معطوف على أن الظفر بها والشيطان إما من شاط يشوط شوطا في الأرض وهو سرعة السير لسرعته في السريان في باطن الآدمي لتلبيس الأمور وعجلته في الإضلال أو من شاط إذا احترق لغلبة النارية عليه أو من شاط إذا هلك لهلاكه بكفره وعناده فوزنه على هذا فعلان أو من شطن إذا بعد لبعده عن رحمة الله فوزنه فيعان وهو اسم لإبليس وأولاده كالإنسان اسم لآدم وأولاده قال أبو محمد الخازن في تفسير قوله تعالى (**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** * النحل: ٩٨) المراد من الشيطان إبليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم بأقدار الله إياهم على ذلك وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة (**فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ** * ٦١) قال أكثر أهل اللغة والتفسير سمي إبليس بهذا الاسم لأنه أبلس من رحمة الله أي أيس منه والمبلس المكتئب الحزين الآيس وفي القرآن (**فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ** * الأنعام: ٤٤) وقيل لا يجوز أن يكون مشتقا من أبلس لأنه لو كان كذلك لانصرف ونون كما ينون أكليل وبابه وترك تنوينه في القرآن يدل على أنه أعجمي معرب والأعجمي لا يعرف له اشتقاق وقال ابن عباس كان إبليس قبل أن يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة أشد اجتهادا ولا أكثر علما منه فلما تكبر على الله وأبى السجود لآدم وعصاه طرده ولعنه وجعله شيطانا وسماه إبليس (للإنسان) وهو الواحد من بني آدم ذكرا كان أو أنثى (عدو مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء فأخرجهما من الجنة وقال (**لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ** * الإسراء: ٦٢) وفي تفسير الخازن يعني أنه بين العداوة لأن عداوته قديمة وعن أبي قتادة قال كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه سلّم يقول (**الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلاّ من يحب وإذا رأى ما يكره فَلْيَتْفُلْ عن يساره ثلاثا ويتعوذ بالله من الشيطان وشرها فإنها لن تضره**) انتهى وهذا من

عداوة الشيطان لا يسلم منه ابن آدم ولا في حالة نومه قال الشيخ المناوي في شرح الجامع الصغير المؤمن محسود ولع به شيطانه لشدة عداوته فهو يكيده ويخزيه من كل وجه ويلبس عليه فإذا رأى رؤيا صادقة خلطها ليفسد عليه بشراه أو إنذاره أو معاينته ونفسه عون للشيطان اللعين فيلبس عليه بما اهتم به في يقظته انتهى واعلم أن الشيطان وإن كان لك عدوا مبينا فإنه لا يظهر منك إلا ما هو فيك من السوء ولا تأثير له فيما يصدر منك أصلا كما لا تأثير لك أنت أيضا في ذلك وإنما ينسب الفعل إليك وينسب سبب ذلك الفعل وهو الوسوسة إلى الشيطان العدو والله خالق كل شيء وهو بكل شيء عليم ولله الحجة البالغة (**وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** * النحل: ٩) وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما أخرجه السيوطي في جامعه الصغير (**بعثت داعياً ومبلغاً وليس إلي من الهدى شيء وخلق إبليس مزيناً وليس له من الضلالة شيء**) وقال شارحه المناوي فالرسل إنما هم مستجلبون لأمر جبلات الخلق وفطرهم فيبشرون من فطر على خير وينذرون من جبل على شر والشيطان إنما ينشر جبائله لأمر جبلات الخلق كما تقرر فكلا الفريقين لا يستأنفون أمراً لم يكن بل يظهرون أمراً كان مغيباً وكذا حال كل إمام وعالم في زمنه ودجال وضلال في أوانه فإنما يميز كل منهما الخبيث من الطيب انتهى فتأمل هذا في جميع ما سيأتي من أمور الشيطان وأحذر أن تعتقد أن له لعنه الله تعالى من أمر الله شيئا فإنه تعالى قال لحبيبه محمد صلّى الله عليه وسلّم (**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ** * آل عمران: ١٢٨) فكيف يكون لعدو اللعين من الأمر شيء إنما الأمر كله لله ولكن هي كلمات وألفاظ تفصح عن معاني حضرات الله تعالى في اسمه المضل واسمه الهادي وإنه يضل من يشاء بمن يشاء أي بملابسته لا بالاستعانة به ويهدي من يشاء بمن يشاء كذلك (يصد) أي الشيطان بمعنى يمنع يقال صده عن الأمر يصده صدا منعه وصرفه عنه قاله الجوهري (عنه) أي عن الظفر بالدار الآخرة وما فيها على حسب ما سبق أو عن الإنسان والمفعول محذوف أي الخير يعني يمنع ويصرف عن الإنسان كل خير وصلاح (صدا) مصدر مؤكد للفعل المذكور (بأقصى) أي بغاية (جهد) بضم الجيم وفتحها أي طاقة

وقدرة كما قرئ (**وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ** * التوبة: ٧٩) وجهدهم أي طاقتهم (متين) من المتانة وهي القوة ومتن الأرض ما صلب منها (إنما) كلمة حصر (يدعو) يعني الشيطان بمعنى يقهر ويغلب (حزبه) أي أشياعه وأولياءه وكل من أطاعه لا غير وهو ما ذكرنا من أن كل داع إلى طاعة أو معصية يميز الله به بين الخبيث والطيب فقط (ليكونوا) أي من دعاهم (من أصحاب السعير) تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى إتباع الهوى والركون إلى الدنيا قاله البيضاوي وقال السلمي في قوله تعالى (**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** * فاطر: ٦) قال الواسطي فاتخذوه عدوا بما نصركم عليه واحذروا أن يعانيكم فإنه إنما يدعوا حزبه وحزبه هم الراكنون إلى الدنيا والمحبون لها والمفتخرون بها، وقالت رابعة رضي الله عنها أرجى آية في كتاب الله عندي قوله تعالى (**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**) قالت كأنه يخاطبنا ويقول أنا حبيبكم فاتخذوني حبيبا، وقال سهل حزبه أهل البدع والضلالات والأهواء الفاسدة والسامعون ذلك من قائلها، وقال الواسطي حذر وسمى حزبه ومتابعيه وأمر بطرده بضياء المبادرة في العهود وحفظ الحدود ورعاية الود بطرد الوساوس كما أن بضياء النهار تطرد الكلاب من المجالس وأنشد شعرا:

ومن رعى غنما في أرض مسبعة *ونام عنها تولى رعيها الأسد

(فخذوا) يا أيها المؤمنون (حذركم) منه لئلا يدخل عليكم سوء ملبسا في صورة خير ولا تشعرون به بقدرة الله تعالى الممدة له فيما هو بصدده فإن الله تعالى أعطاه خلقه الذي هو مقتضى ما خلق له وهو الإضلال كما أعطى كل شيء خلقه من خير أو شر ثم هدى أي بين لكم مقتضى خلق كل شيء لا بقدرته هو التي هي فيه سبب الإمداد المذكور (واتخذوه) أي الشيطان (عدوا) لكم في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم (فإنه) أي الشيطان (كلب مبير) أي مهلك من البوار وهو الهلاك فله تكالب على ذلك وحرص شديد قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في كتاب شرح عجائب القلب من إحياء العلوم قال جرير بن عبيد العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد

ما أجد في صدري من الوسوسة فقال إنما مثل ذلك مثل البيت الذي تمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه يعني إن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان فلذلك قال الله تعالى (**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** * الحجر: ٤٢) وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك يسلط عليه الشيطان وقد قال تعالى (**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** * الجاثية: ٢٣) أشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عثمان بن العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال (**ذلك شيطان يقال له خَنْزَبَ إذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا**) قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني وفي الخبر (**إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه**) ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب إلا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لأنه إذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله وسوى ما يتعلق به يجوز أن يكون أيضا مجال الشيطان فذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وإنما الشيطان يطوف بقلبهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ** * الأعراف: ٢٠١) وقال مجاهد في معنى قوله (**من شر الوسواس الخناس**) قال هو منبسط على قلب الإنسان فإذا ذكر الله خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال تعالى (**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ** * المجادلة: ١٩) وقال أنس قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه**) وقال ابن وضاح في حديث ذكره إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما أن

الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلّى الله عليه وسلّم (**إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع**) وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات لتقلب من جوانبه قال تعالى حكاية عن إبليس (**لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ** * الأعراف: ١٦-١٧) قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إنّ الشّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلاَمِ فَقَالَ أتسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ وَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ أتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ وَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ أتُجَاهِدُ وَهُوَ جَهْدُ النّفْسِ وَالْمَالِ تُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ نساؤك وَيُقْسَمُ مَالُكَ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ**) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم (**فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَمَاتَ كَانَ حَقّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنّةَ**) فقد ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فإذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال ما من أحد إلا وله شيطان انتهى واعلم أن الشيطان كما يكون من الجن على حسب ما ذكرنا من أوصافه الرديئة وعداوته لأهل الملة الإسلامية يكون من الإنس أيضا قال الواحدي في تفسير قوله تعالى (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ** * الأنعام: ١١٢) يعني مردة الإنس والجن والشيطان كل عات متمرد من الإنس والجن قالوا إن من الجن شياطين ومن الإنس شياطين وإن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه قال يدل على هذا ما روي أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لأبي ذر (**هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن**) قال قلت وهل للإنس من شياطين؟ قال (**نعم هم شر من شياطين الجن**) قال مالك من بن دينار

أن شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن وذلك إني إذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا وفي تفسير الخازن في قوله تعالى (**مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** * الناس: ٦) قال إن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الإنس وكما أن شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الإنس قد يوسوس للإنسان كالناصح له فإن قبل زاد في الوسوسة وإن كره السامع ذلك إنخنس وانقبض (فغاية بغيته) أي الشيطان والبغية بالكسر والضم الحاجة نفسها يقال لي في بني فلان بغية وبغية أي حاجة وبغى ضالته وكذلك كل شيء طلبه بغاء بالضم والمد وبغاية أيضا (سلب) أي أخذ وإزالة (الإيمان) من الإنسان بالله تعالى أو برسله أو بشيء مما ورد عنهم من اليقينيات ولو بالتشكيك فيه ليتساوى الإنسان معه في رتبة الكفر التي هو فيها ورتبة الشكوك والترددات فيما هو عين الحق المبين قال ابن أقبرس في فتح الصفاء شرح الشفاء اختلف العقلاء في إن إبليس حين اشتغاله بالعبادة كان كافرا أم لا فمنهم من قال أنه كان كافرا أبدا واستدل بما نقل صاحب شرح الأناجيل الأربعة من أنه وقع المناظرة بين الملائكة وبين إبليس فقال إبليس للملائكة أنا أسلم إن الله خالقي وخالق الخلق لكن لي على حكمته أسئلة، الأول ما الحكمة في الخلق لا سيما إذا كان عالما أن الكافر لا يستوجب عند حكمته إلا الإثم، الثاني ما الفائدة في التكليف مع تنزهه عن عود الفائدة إليه وما يعود إلى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير توسط التكليف، الثالث هب أنه خلقني لمعرفته وطاعته فلم كلفني بالسجود لآدم، الرابع ثم لما عصيته فتركت السجود لآدم فلم لعنني وأوجب عقابي مع أنه لا فائدة له ولا لغيره فيه ولي فيه أعظم الضرر، الخامس هب أنه فعل ذلك فلم مكنني من دخول الجنة ووسوسة آدم، السادس لما فعل ذلك فلم سلطني على أولاده ومكنني من غوايتهم وإضلالهم السابع ثم لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك فلم أمهلني ومعلوم أن العالم كان خاليا عن الشر فأوحى الله إليه من سرادقات الجلال والكبرياء (**يا إبليس إنك ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض علي في شيء من أفعالي فإني**

أنا الله لا إله إلا أنا لا أسئل عما أفعل) قال بعض المحققين لا جواب عن هذه الشبهات إلا الجواب الذي ذكره الله تعالى وأقول إن الله تعالى إنما اقتصر له على هذا الجواب لعلمه تعالى بما أودعه فيه من صفة الجهل بحكمته وإنه عاجز عن إدراك ذلك إذ لازم ما ذكره في الشبه التعطيل ولا شك أن الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا والحكمة في أفعاله تعالى قد تكون خفية فيختلف فيها الحال باختلاف الأشخاص في الإدراك وقد تكون جلية وعندي أن جواب هذه الشبه غير بالغ في الخفاء وليس هذا المقام بقابل للتطويل بذكر الحكمة في كل سؤال من هذه الأسئلة لأن فيه خروجا عن المقصود انتهى والحاصل أنه لعنه الله كافر بجهله وعناده لما قام عنده من الشبهات التي فتنه الله تعالى بها فهو يوسوس في صدور الناس ليحملهم على ما وقع منه فيقع منهم نظيره ويكفرون كما كفر هو قال تعالى (**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ*** الحشر: ١٦) قال الواحدي إذ قال للإنسان وهو عابد في بني إسرائيل واسمه برصيصا ذكر ابن عباس قصته فقال كان في بني إسرائيل عابد عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤون على يده وإنه أتى بامرأة ذات شرف قد جنت وكان لها إخوة فأتوه بها وكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا وكذا ثم أتى بقية إخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول والله لقد أتاني آت ذكر لي شيئا يكبر علي ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته مثل له الشيطان فقال أنا الذي زينت لك هذا وألقيتك فيه هل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة واحدة فسجد له وقتل الرجل فهو قوله (**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** * الحشر: ١٦) وقال البيضاوي في قوله تعالى (**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ** * الأنفال:

٤٨) في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس إليهم وقال (**وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ** * الأنفال: ٤٨) مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن إتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر إحدى الفئتين وأفضل الدينين انتهى وكم له لعنه الله من حيلة على ابن آدم ليوقعه في الكفر كما وقع هو فيه والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين (و) غاية بغيته (الخلود) أي خلود الإنسان وهو دوام البقاء تقول خلد الرجل يخلد خلودا وأخلده الله إخلادا وخلّده تخليدا قاله الجوهري (الدائم) تأكيد له لفظي بموافقه نحو أجل جيري (في النيران) أي نيران الكفر والشرك والعياذ بالله تعالى فإن قلت قال أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر لا يجوز أن نقول بأن الشيطان يسلب الإيمان من العبد المؤمن قهرا وجبرا فكيف قال المصنف رحمه الله تعالى غاية بغيته سلب الايمان قلت ليس مراده سلب الإيمان من العبد قهرا عنه وجبرا عليه ولو كان كذلك ما كان العبد كافرا حينئذ لإكراهه على ذلك وزوال اختياره وإرادته عنه بل مراده سلب الإيمان باختيار العبد لتركه وإرادته ذلك حتى يبقى العبد مكلفا فيستحق العقاب ولما كان سببا للسلب بوسوسته نسب السلب إليه ولهذا قال للإنسان أكفر يعني وسوس له في نفسه بأن يكفر باختياره وإرادته فلما كفر قال إني برئ منك كما مر وقد أجاب أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر عن ذلك بقوله ولكن نقول العبد يدع الإيمان يعني باختياره وإرادته لأن الشيطان وسوس له بذلك فأطاعه فحينئذ يسلبه منه وفي تفسير الخازن في قوله تعالى (**وَقَالَ الشَّيْطَانُ**) يعني إبليس (**لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ** * إبراهيم: ٢٢) يعني فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار في لوم إبليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع إليه أهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله تعالى بقوله (**إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ**) وتقديره فصدق في وعده (**وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ**) وقيل يقول لهم إني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار (**وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِن سُلْطَانٍ**) يعني من ولاية وقهر وقيل لم آتيكم بحجة فيما وعدتكم به (**إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ**

فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم) يعني ما كان مني إلا الدعاء وإلقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا إلي ولا تسمعوا قولي فلما رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة فكان اللوم بكم أولى بإجابتي ومتابعي من غير حجة ولا دليل (**مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ**) يعني بمغيثكم ولا منقذكم (**وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ**) يعني بمغيثي ولا منقذي مما أنا فيه (**إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ** * إبراهيم: ٢٢) يعني كفرت بجعلكم إياي شريكا له في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى أن إبليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك (ثم) يتنزل مع الإنسان بعد ذلك إذا لم يبق له حيلة في تكفيره والتسبب له بالخلود في النار فيرضى أن يكون منه (الفسق) وهو الخروج عن طاعة الله تعالى مع الإيمان بها كفعل المعاصي وترك المأمورات (الظاهر) على الإنسان يعني الذي يظهر به الإنسان عن قصد منه واختيار وللشيطان أبواب يدخل منها على الإنسان فيتحكم منه بها فيحمله على ما يغويه وهي كثيرة من أكبرها الدنيا قال في الإحياء للغزالي قال ثابت لما بعث النبي صلّى الله عليه وسلّم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ماذا هو فانطلقوا ثم جاؤه وقالوا ما ندري قال إبليس أنا آتيكم بخبره فذهب وجاء وقال بعث محمد صلّى الله عليه وسلّم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحي ذلك فقال إبليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروي أن عيسى عليه السلام توسد حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه من تحت رأسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وذكر أيضا قال إن لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو إليه قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره فذكر أن أسماءهم ثبر والأعور ومسوط وداسم وزلنبوز فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فهو صاحب الزنا يأمر به ويزينه وأما مسوط فهو صاحب الكذب

وأما داسم فيدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم وأما زلنبوز فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون ملتطمين وشيطان الصلاة يسمى خنْزب وشيطان الوضوء الولهان وقد وردت في أخبار كثيرة وقد روى عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه عز وجل أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبيه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس ومثل هذا قد يشاهد في اليقظة بعينه وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا (والظلم) لنفسه بمنعه حقها من الخير وفعله بها ما يضرها من الشر ولغيره بمنعه حقه أو بفعل ما يضره (القاهر) أي الذي يكون بطريق التعدي والجور لا ما فيه كف عن سوء أو حمل على خير في النفس أو في الغير (وأدناها) أي أدنى بغية الشيطان أي أقل ما يكون من حاجته بالإنسان (التثبيط) أي المنع للإنسان والتعويق له (في) فعل (الخيرات) عن المضي فيها وعن إنشائها من الأصل وعن الاعتناء بها (والحط) أي التسفل والرضى بالدون (في المراتب) العلمية (والدرجات) العملية بأن يقول للإنسان لا تترك التنعم واللذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر بلية عظيمة فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول ليس النار أشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه فيترك العبد المعصية وينهمك في فعل الطاعات فينخذل الشيطان اللعين ويذهب عنه وربما قال له في نفسه إن الله غفور رحيم وإن رحمته واسعة فافعل ما شئت من المعاصي فإن الله يغفرها كلها لك كما قال البيضاوي في قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**) فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها

(**وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ** * فاطر: ٥) الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وفي تفسير الخازن (**فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**) أي لا تخدعنكم بلذاتها وما فيها عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله (**وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ**) أي لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فإن الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور بقوله (**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ** * الفاطر: ٦) انتهى والحاصل إن الشيطان له وساوس يلقيها في نفوس أهل الغفلة عن شهود الله تعالى فيحملهم بها على الكفر اولا فان لم يمكنه بأن وفقهم الله تعالى للاحتفاظ على ايمانهم يحملهم على فعل المعاصي وارتكاب الآثام من الذنوب القاصرة على نفوسهم والذنوب المتعدية إلى غيرهم فإن لم يمكنه ذلك حملهم على التواني والتضاعف والتكاسل في العبادات والطاعات وحرمهم نيل المراتب والدرجات والعاليات وهذا الترتيب دأبه وعادته في كل أحد لا يقنع بالأدنى إلا إذا عجز عن الأعلى ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى (ولا يرضى) يعني الشيطان (به) أي بكل واحد من التثبيط والحط المذكورين (إلا عند اليأس) أي القنوط بالكلية (من غيره) أي غير كل واحد منهما فإن آيس من الكفر رضي بالفسق وإن آيس من الفسق رضي بالتثبيط في الطاعات والحط عن الدرجات العاليات (نعوذ) أي نلتجي ونحتمي ونستجير (بالله) الذي خلقنا وخلقه (ثم نعوذ) تأكيد لفظي للأول (بالله) كذلك (من شره) أي الشيطان قال الخازن في تفسير قوله تعالى (**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ** * الأعراف: ٢٠٠) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه أي يبعثه على ما لا ينبغي فاستعذ بالله أي من شره إنه هو السّميع أي لاستعاذتك العليم بأحوالك قال الغزالي في الإحياء فإن قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله فاعلم ن علاج ذلك سد مداخله وتطهير القلب من الصفات المذمومة وليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله نعم إذا قلعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اختبارات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من

الاختبار ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلاّ فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا** * الأعراف: ٢٠١) خصص ذلك بالتقى والمتقين ومثل الشيطان مثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وإن كان بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفع حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه يعني داخله فيستقر الشيطان في سويداء القلب أي في داخله وإما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا عادت إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى (**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ** * النحل: ٩٨) وسائر الآيات والأخبار الواردة في الذكر وقال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر سمين دهين كاس وإذا شيطان المؤمن مهزول أشعث عاد فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك قال أنا مع رجل إذا أكل سمى فأظل جائعا وإذا شرب سمى فأظل عطشانا وإذا أدهن سمى فأظل شعثا وإذا لبس سمى فأظل عريانا فقال شيطان الكافر ولكنني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه، وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وأبعد بيننا وبينه كما بعدت بينه وبين جنتك إنك على كل شيء قدير فتمثل له إبليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال اللعين قال له وما تريد قال أريد أن لا تعلّم أحدا هذه الاستعاذة قال والله لا منعتها من أراها فاصنع الآن ما شئت، وقال صلّى الله عليه وسلّم (**ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير فجه**) هذا لأن القلوب مطهرة

عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع في أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر دواء والتقوى احتماء يخلى القلب من الشهوات فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الأطعمة قال تعالى (**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ** * ق: ٣٧) وقال تعالى (**كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ** * الحج: ٤) ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول إن الحديث ورد مطلقا بأن الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر إلى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل فإن منتهى ذكرك وعبادتك صلاتك فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يتجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى إنك لا تذكر ما يشتبه من فضول الدنيا إلا في صلاتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت والصلاة محك القلوب فيها يظهر مساويها ومحاسنها فإن شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر وقد فر الشيطان منك كما يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله لا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له انتهى فقولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأنت فاسد القلب من غير تقوى عندك في ظاهرك وباطنك لا يؤثر شيئا عند الشيطان بل ربما استعان الشيطان على غرورك بقولك ذلك لظنك إنك طردت الشيطان عنك بمجرد لقلقة لسانك وأنت مقيم على الغفلات والمعاصي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (والمؤمن) بالله تعالى وبرسله وما جاء عنهم (الطالب) بظاهره وباطنه مع الإخلاص (للحق) أي لمعرفته سبحانه وتعالى وللوصول إليه (والباقية) وهي الدار الآخرة التي أهلها فيها دائمون خالدون في نعم أو عذاب أليم وكل من طلب الأمرين معا فهو

من الأبرار أصحاب السلوك في طريق المعرفة بالله تعالى ولا وصول لهم إليه تعالى بعد وأدنى منهم المنقطعون الواقفون عن الطلب المذكور وهم عامة المؤمنين وأعلى من الكل الكاملون الواصلون المقربون وقد اقتصر طلبهم على الله تعالى وحده فهم سائرون به إليه فيه ولما كان هذا الكتاب منحصرا في بيان رتبة الأبرار وذكر رفعتها بالنسبة إلى رتبة عامة المؤمنين لم يذكر فيه رتبة المقربين ولا كلامهم (لا تخفى عليه) أي على ذلك الطالب للأمرين معا الحق والدار الآخرة الطلبة (الأولى) التي هي الحق سبحانه (ولا) الطلبة (الثانية) وهي الباقية أي الآخرة إذ كل من طلب شيئا فإنه يعرفه وطلب المجهول محال البتة فمن طلب الحق تعالى فلولا أنه يعرفه بوجه ما وهو طالب كمال معرفته ما طلبه ولا خطر في باله حسن الوصول إليه سبحانه وكذلك من طلب الآخرة فلولا أنه يعرفها بوجه من الوجوه ما أمكنه أن يطلبها ولا كان يخطر على باله حسنها فكل من تيسر له الطلب المذكور فهو عارف لما يطلب معرفة إلهامية حصلت له بمحض فيض فضل الله تعالى وهو الذي يسمى مريدا في اصطلاح الصوفية وأما من كانت إرادته مجرد تشهي المعرفة الإلهية وتشهي الوصول إلى الدار الآخرة من غير سعي في طريق ذلك الموصل إليه فهو صاحب غرور في الحياة الدنيا وليس بمريد كما أن من أراد السفر إلى بلاد مثلا إذا قصد ذلك بقلبه ولم يخرج من بلاده التي هو فيها فإنه ليس بمسافر أصلا بل هو مشتهي السفر ومُتَرَجٍّ له وإنما المسافر من خرج من أوطانه وأعرض عن جميع أهله وإخوانه وجرد قصده إلى مطلوبه وأقبل بكليته إلى وجه محبوبه ومن كان كذلك فلا يخفى عليه شيء من المسالك ولو فرضنا أنه جاهل بالطريق فإنه يرى له حيث صدق في التوجه ألف رفيق ولهذا قال الجنيد البغدادي رضي الله عنه المريد الصادق غني عن علم العلماء كذا نقله القشيري في الرسالة يعني غنيا بالله عن من سواه من كل عالم فالله تعالى يعلمه بالعلماء من أي نوع كان من إنسان أو حيوان أو جماد أو نبات وعلامة ذلك وجود العلم عنده وكل شيء في الوجود له عقل وعلم كما بينته مفصلا في كتاب لمعات البرق النجدي شرح تجليات محمود أفندي (وإنما الاشتباه) وهو دخول الشيء في شبهه يقال اشتبه الأمر

إذا لم يتميز من أشباهه وأشكل إذا دخل في إشكاله (والالتباس) مثل الاشتباه فإن الشيء إذا لبس هيئة الآخر اشتبه به فيقال التبس به حيث لم يتميز عنه (ونفوذ) أي مضى يقال نفذ السهم في الغرض إذا مضى فيه الذال المعجمة وإما بالدال المهملة فهو التمام والفراغ يقال نفد المال إذا تم وفرغ (وسواس) اسم مصدر كالوسوسة مثل الزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر كالزلزال والوسوسة الهمز والصوت الخفي وقال العز بن عبد السلام في تفسيره الوسواس الشيطان وأصل الوسوسة الحركة وقيل الصوت الخفي والوسواس الصوت الجلي وحديث النفس وقال الخازن في قوله تعالى (**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ** * الناس: ٥) يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع (الخناس) الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه قاله البيضاوي وقال العز بن عبد السلام الخناس المختفي عن الأعين وقيل هو الذي يخنس مرة ويوسوس أخرى وقيل المتأخر عند ذكر الله وقيل وهو جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس وقال الخازن الخناس الرجاع وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر الله رجع ووضع رأسه على القلب (في الجاهلين) متعلق بنفوذ أي تأثير ذلك في أهل الجهل وهو خلاف العلم فيشم الشك والوهم والظن في الاعتقاديات وإن الحق بالعلم في العمليات والمراد بهم الذين جهلوا ما أوجب الله تعالى عليهم علمه والعمل به من الأحكام الشرعية (المتنسكين) أي المتعبدين من النسك وهي غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة قاله البيضاوي والمراد أنهم عابدون لله تعالى مع الجهل به تعالى وبعبادته وفي الخلق أناس كذلك ولكنهم غير معلومين بأعيانهم لوجوب الحمل على الكمال وستر عورات المسلمين وحرمة الظن السوء والتجسس عنهم كما ورد في صريح الآيات والأحاديث وليس مراد المصنف رحمه الله تعالى جماعة مخصوصين لوجوب ظن الخير فيه وإنما كلامه عام ليعم النفع به فكذلك يجب أن يكون كلام كل مدرس

وواعظ في كل زمان حتى لا يتدنس بالآثام في باطنه وظاهره فينجع في غيره كلامه (و) في (العالمين) بكسر اللام جمع عالم وهو موصوف بالعلم (الغافلين) عن ما هم مأمورون بذكره واستحضاره ومن أسرار التوحيد ولطائف العبادات وهم العلماء المنهمكون في الشهوات النفسانية المغرورون بالزخارف الدنيوية وهم غير معلومين أيضا بأعيانهم ولكن بيانهم على طريق العموم كالأولين قال الله تعالى (**وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ** * البقرة: ٢٢٠) (فيما) أي كائنان يعني الاشتباه والالتباس في الأمور التي هي (عداهما) أي غير الحق والباقية المذكورين بمعنى الله تعالى والآخرة (من) جميع أنواع (الشرور) جمع شر ضد الخير من أمور الدنيا وما فيها وكون الله تعالى والآخرة لا اشتباه ولا التباس فيهما ولا على الجاهلين المتنسكين والعالمين الغافلين لأن الله تعالى غيب مطلق والآخرة غيب مقيد والغيب يجب الإيمان به قبل الاطلاع عليه ولا يقبل الإيمان به بعد الاطلاع عليه لأنه ليس بإيمان اختياري بل هو شهود ضروري حينئذ لا يتصور فيه التكليف ولهذا لا يصح إيمان الكافر إذا شاهد أمر الآخرة كما قال تعالى (**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ** * الأنعام: ١٥٨) والإيمان قدر مشترك بين الجاهل والعالم وبين الغافل والمتيقظ كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه إيمان أهل السماء والأرض سواء وإنما التفاوت فيما عدا ذلك من الآيات التي في الآفاق وفي الأنفس يراها الجاهل ظلمات فيحرفها عن مواضعها ويبدلها بعد ما سمعها وتغلب حالته على العالم الغافل فيقتدى به في ذلك فلهذا سماها شرورا لأنها منشأ الشر لكل منهما فإن قلت الجاهلون المتنسكون والعاملون الغافلون لا يعرفون الله تعالى ولا الآخرة كما يعرف العالمون العاملون الكاملون فكيف يكون الله تعالى والآخرة غير مشتبهين ولا ملتبسين عليهما قلت لا يتصور الاشتباه والالتباس في الأمر المعجوز عن إدراكه للكل الذي اشترك الكل في الإيمان به من غير تحكم عليه بما ليس واردا عنه من الأوصاف والقصور في القاصرين إنما هو من جهة ما عدا الله تعالى والآخرة فإنها الشرور التي متى اشتغل بها أحد أنسته ذكر الله تعالى وأحضرت عنده كل سوء ونقص وحملته على نسبة ذلك إلى الله تعالى وإلى

الآخرة وهما مبرآن من ذلك فالاشتباه والالتباس المنسوبان في الظاهر عند الجاهل والغافل إلى الله تعالى وإلى الآخرة واقعان في نفس الأمر على ما عدا الله تعالى والآخرة من الأمور الدنيوية لأنه من لم يعرف نفسه لا يعرف ربه ومن لم يعرف أحوال نفسه لا يعرف الآخرة فالفطرة الإنسانية مجبولة على معرفة الله تعالى ومعرفة الآخرة وإنما الاشتباه والالتباس فيما عدا هما فإذا تقطعت أسباب ماعداهما ظهرت الفطرة الأصلية ظهورا اضطراريا لا اختياريا كسبيا فلا ينفع ذلك قال تعالى (**حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** * يونس: ٢٢-٢٣) قال البيضاوي دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال العارض من شدة الخوف انتهى قلت ولأجل هذا شرع الجهاد فيهم لعل أن تتراجع فطرهم ويزول العارض لهم عن معرفة حقيقة الأمر بالإغلاظ عليهم والتخويف لهم فيرون الحق حقا والباطل باطلا ويضمحل عنهم الكفر والجهل وفي تفسير الواحدي دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ قال ابن عباس رضي الله عنهما تركوا الشرك وأخلصوا لله في الربوبية وقالوا لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ الريح لنكونن من الشاكرين الموحدين الطائعين فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يعملون فيها بالفساد والمعاصي والجراءة على الله تعالى وقال أبو محمد الخازن يعني أنهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحدا سواه من آلهتهم وقيل في معنى الإخلاص العلم الحقيقي لا إخلاص إيمان لأنهم كانوا يعلمون حقيقة أنه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا إلا الله تعالى فكانوا إذا وقعوا في شدة وضر وبلاء أخلصوا لله عز وجل الدعاء (فَدَلاَّهُمَا) أي الشيطان المتقدم ذكره وضمير التثنية راجع إلى الجاهلين المتنسكين والعلماء الغافلين (بغرور) بما غرهما به من التنسك مع الجهل والعلم مع الغفلة أو متلبسين بغرور وفي تفسير الواحدي التدلية إرسال الدلو في البئر قيل أصله تدلية العطشان في البئر ليروي من الماء ولا يجد الماء فيكون مدلي بغرور ثم وضعت التدلية في موضع الإطماع فيما لا

يجدي نفعا فيقال دلاه إذا أطمعه في غير مطمع وقال الخازن فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ إي فخدعهما يقال مازال فلان يدلي فلانا بغرور يعني مازال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل والغرور إظهار النصح مع إبطان الغش وهو أن إبليس حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية لأن التدلي لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل (فيفرطون) بكسر الراء مخففة من إفراط في الأمر إذا جاوز فيه الحد قاله الفارابي في ديوان الأدب وهو وصف راجع إلى الجاهلين المتنسكين يعني أنهم من جهلهم بالأحكام الشرعية يجاوزون حدودها ويتعدون عنها القدر الذي عينه الشارع ظنا منهم إن ذلك حسن في الشرع فيكثرون من العبادات الصورية بل من البدع والمخالفات ولا يشعرون (أو يفرطون) بكسر الراء مشددة من فرط في الأمر بالتشديد إذا ضيعه وتهاون فيه وهو وصف للعالمين الغافلين يعنى أنهم من كثرة استيلاء الغفلة على قلوبهم بانهماكهم في شهوات نفوسهم وغرورهم في الدنيا مع علمهم بقبح ذلك كله ومعرفتهم طريق النجاح ضيعوا حقوق الله تعالى عليهم واستهانوا بها وضيعوا حقوق العباد أيضا المتعلقة بهم ولم يبالوا بما فعلوا اعتمادا على علمهم الذي هو حجة عليهم قال تعالى (**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** * الماعون: ٤-٥) قال البيضاوي أي غافلون غير مبالين بها وقال العز بن عبد السلام ساهون لاهون أو غافلون لا يبالون صلوا أم لم يصلوا وقيل يصلونها رياء ويتركونها خلاء وقيل يلتفتون فيها تهاونا وقيل لا يذكرون الله ولا يقرون فيها ويتركونها وفي الحديث يؤخرونها عن وقتها بلا عذر وقيل الذي لا يدري عن ثلاث انصرف أي سلم أو عن رابع وقال الخازن لما قال الله تعالى عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ بلفظ عن علم أنها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين أن سهو المنافق هو أن لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن إذا سهى في صلاته تدارك في الحال وجبره بسجود السهو وقيل السهو عن الصلاة هو أن يبقى ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر إلا من المنافق الذي لا يعتقد فائدة صلاته وأنها عليه واجبة ولا يرجو الثواب على فعلها ولا يخاف العقاب على تركها وقال أبو عبد الرحمن السلمي عَن صَلَاتِهِمْ

سَاهُونَ قال بعضهم الذين لا يحضرونها بشهود قلب ورعاية حقوق المناجاة وخشوع الجوارح فيها لا يعلمون أن الصلاة مواصلة بين العبيد وبين ربهم فإذا لم يراع حقوقها كانت مفاصلة سمعت عبد الله بن علي البغدادي يقول سمعت أحمد بن فاتك يقول سمعت أبا العباس ابن عطاء يقول ليس في القرآن وعيد صعب إلا وبعده وعد لطيف غير هذه الآية (**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**) ذكر الويل لمن صلاها بلا حضور من قلبه فكيف بمن تركها رأسا سئل ما الصلاة قال اتصال العبد بالله عز وجل من حيث لا يعلم إلا الله تعالى انتهى وهذا شأن الجاهلين والغافلين في جميع عباداتهم وطاعاتهم في الصلاة وغيرها يتجاوزون الحدود أو يقصرون في إقامة المحدود (وهم) أي الجاهلون المتنسكون والعالمون الغافلون (يحسبون) أي يظنون (أنهم يحسنون) فيما يعملون قال الواحدي في قوله تعالى (**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً** * الكهف: ١٠٣) بالقوم الذين هم أخسر الخلق فيما عملوا (**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا (**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً** * الكهف ١٠٤) يظنون أنهم بفعلهم محسنون انتهى والإحسان راجع إلى إتقان العبادات ومراعات حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار فيها كذا في المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي (فأردت) الفاء للتفريع أي يتفرع على ما تقدم إني أردت أي قصدت (أن أصنف) أي أجعل صنوفا أي أنواعا وأقساما فهو أخص من التأليف الذي هو إيقاع الألفة بين المسائل ولو من نوع واحد وفي المواهب اللدنية للقسطلاني ومن خصائص هذه الأمة أنهم أوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم (**ولا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله**) رواه الشيخان ولنا كلام على هذا الحديث بشرحه في كتابنا نهاية المراد شرح هدية ابن العماد (الطريقة) أي السنة والدين وقال الفارابي في ديوان الأدب يقال مازال على طريقة واحدة أي حالة واحدة (المحمدية) المنسوبة إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم نبينا ورسولنا (واجبت) معطوف على اردت (أن ابين) أي اكشف واوضح (السيرة) اسم من سار يسير وهي الطريقة خيرا كان

أو شرا ومنه سيرة العمرين أي طريقتهما قال العيني في شرح الكنز (الأحمدية) المنسوبة إلى أحمد وهو نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم وقد ذكر القسطلاني في مواهبه ما يزيد على أربعمائة اسم للنبي صلّى الله عليه وسلّم وقال رأيت في كتاب أحكام القرآن للقاضي أبي بكر ابن العربي قال بعض الصوفية لله تعالى ألف اسم وللنبي صلّى الله عليه وسلّم ألف اسم انتهى ومعنى عبارة المصنف رحمه الله تعالى هنا وقد اشتهر بها اسم هذا الكتاب أن مراده أن يذكر في كتابه هذا طريقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التي هي مقتضى شرعه المفهومة من الكتاب السنة وكلام السلف الصالحين والأئمة المجتهدين الخالية من البدعة في الاعتقاد والعمل والغرض من ذلك (حتى يعرض عليها) أي على هذه طريقة المحمدية والسيرة الأحمدية (عمله) بالباطن والظاهر فيعم الاعتقادات والأفعال والأقوال والأحوال (كل إنسان سالك) في طريق الله تعالى الموصل إلى رضوانه والجنة فيكون هذا الكتاب ما صنفه مصنفه رحمه الله تعالى إلا للعمل بما فيه لا ليتمتع الفقيه بحفظ ألفاظه ودراية معانيه ويزين بعباراته المجالس وقلبه مملوء من الوساوس فهو تحفة العاملين وحسرة الغافلين وميزان السالكين ومعراج الصالحين (فيتميز) بعرض العمل عليها (المصيب) أي الذي وافق الصواب في عمله (من المخطئ) أي الذي أخطأ في العمل وهذا في الدنيا لأن الصواب والخطأ يظهران اليوم فيمكن التدارك بمعاطاة الأسباب الموجبة لإزالة الخطأ شرعا (ويتميز) أيضا (الناجي) وهو المصيب (من الهالك) وهو المخطئ وهذا في حكم الآخرة لأن النجاة والهلاك يظهران في يوم القيامة وعلامتهما في الدنيا بأن يصيب الطريقة المحمدية أو يخطئها والطريقة المحمدية هي ما اشتملت عليه كتب الشريعة والدين علما وعملا واعتقادا (ورتبته) أي هذا المصنف الذي هو الطريقة المحمدية (على ثلاثة أبواب) وبيانها على التفصيل، الباب الأول في الاعتصام بالكتاب والسنة وما يتبع ذلك وهو ثلاثة فصول الفصل الأول نوعان، النوع الأول في الاعتصام بالكتاب، النوع الثاني في الاعتصام بالسنة، الفصل الثاني في البدع، الفصل الثالث في الاقتصاد في العمل الباب الثاني في الأمور المهمة في الشريعة، وهو ثلاثة فصول الفصل الأول في تصحيح الاعتقاد،

الفصل الثاني في العلوم المقصودة لغيرها، وهو ثلاثة أنواع، النوع الأول في المأمور به، وهو صنفان، الصنف الأول في فروض العين، الصنف الثاني في فروض الكفاية، النوع الثاني في المنهي عنه، النوع الثالث في المندوب إليه، الفصل الثالث في التقوى، وهو ثلاثة أنواع، النوع الأول في فضيلتها، النوع الثاني في تفسيرها، النوع الثالث في مجاريها، وهو تسعة أصناف، الصنف الأول في منكرات القلب، وهو على قسمين القسم الأول في تفسير الخلق، القسم الثاني في الأخلاق الذميمة والكفر ثلاثة أنواع جهلي وجحودي وحكمي والرياء سبعة مباحث، المبحث الأول في تعريفه وتقسيمه، المبحث الثاني فيما به الرياء المبحث الثالث فيما له الرياء، المبحث الرابع في الرياء الخفي وعلاماته المبحث الخامس، في أحكام الرياء، المبحث السادس في أمور مترددة بين الرياء والإخلاص، المبحث السابع في علاج الرياء ثم الكبر خمسة مباحث، المبحث الأول في تفسيره وضده وحكم ذلك، المبحث الثاني في أقسام الكبر، المبحث الثالث في أسباب الكبر، المبحث الرابع في علامات الكبر، المبحث الخامس في أسباب الضعة والتواضع، ثم الحسد، أربعة مباحث المبحث الأول في تفسيره وضده، المبحث الثاني في غوائل الحسد، المبحث الثالث في العلاج العلمي والعملي، المبحث الرابع في العلاج القلعي ثم الحقد فيه ثلاث مقالات المقالة الأولى في تفسيره وحكمه، المقالة الثانية في غوائله، المقالة الثالثة في سبب الحقد ثم الغضب وفيه خمس مقامات المقام الأول في تفسيره وأقسامه، المقام الثاني في العلاج العلمي، المقام الثالث في العلاج العملي، المقام الرابع في العلاج القلعي، المقام الخامس في الحلم، ثم الحلم ثلاث مقاصد، المقصد الأول في فوائده ، المقصد الثاني في فوائد ثمرته، المقصد الثالث في طريق تحصيل الحلم، ثم البخل مبحثان، المبحث الأول في غوائله وسببه وآفته، المبحث الثاني في سبب حب المال وعلاجه، ثم حب الدنيا فيه مقالتان، المقالة الأولى في ذمه وغوائله، المقالة الثانية في ثمراته وذمها وضده ومدحه وفيه مقامان، المقام الأول في ثمراته، المقام الثاني في ضد حب الدنيا، ثم الإسراف خمسة مباحث، المبحث الأول في ذمه وغوائله، المبحث الثاني في السر والسبب الأصلي في مذموميته،

المبحث الثالث في أصناف الإسراف، المبحث الرابع في أن الإسراف هل يقع في الصدقة، المبحث الخامس في علاج الإسراف، الصنف الثاني من الأصناف التسعة في آفات اللسان وهو قسمان، القسم الأول في وجوب حفظه وعظم جرمه، القسم الثاني في آفاته وفيه ستة مباحث، المبحث الأول في الكلام الذي الأصل فيه الحظر، المبحث الثاني فيما الأصل فيه الإذن من العادات التي لا يتعلق بها نظام المعاش، المبحث الثالث فيما الأصل فيه الأذن من العادات التي تعلق بها النظام، المبحث الرابع فيما الأصل فيه الأذن من العبادات المتعدية، المبحث الخامس فيما الأصل فيه الأذن من العبادات القاصرة، المبحث السادس في آفات اللسان من حيث السكوت، الصنف الثالث في آفات الأذن، الصنف الرابع في آفات العين، الصنف الخامس في آفات اليد، الصنف السادس في آفات البطن، الصنف السابع في آفات الفرج، الصنف الثامن في آفات الرجل، الصنف التاسع في آفات البدن الغير المختصة بعضو معين، الباب الثالث في أمور يظن أنها من التقوى والورع وهو ثلاثة فصول، الفصل الأول في دقة أمر الطهارة وهو أربعة أنواع، النوع الأول في كون الدقة في ذلك بدعة وهو صنفان، الصنف الأول فيما ورد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وخير القرون، الصنف الثاني فيما ورد عن أئمتنا الحنفية، النوع الثاني في ذم الوسوسة وآفاتها، النوع الثالث في علاج الوسوسة، النوع الرابع في اختلاف الفقهاء في أمر الطهارة والنجاسة، الفصل الثاني في التورع والتوقي من طعام أهل الوظائف، الفصل الثالث في أمور مبتدعة باطلة أكب الناس عليها على ظن أنها قربة وهذا آخر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأبواب والفصول والأنواع والأصناف ذكرناها على ما هي عليه ليقف الإنسان من أول وهلة على ما تضمنه من بيان الطريقة المحمدية على وجه الإجمال ولم يذكره المصنف رحمه الله تعالى في خطبته قبل الشروع في المقصود لطول الكلام عليه وليتشوق الطالب إليه فتتوفر الدواعي إلى مطالعته كله وحاصله أن بيان الطريقة المحمدية منحصر في هذه الأبواب الثلاثة وما في ضمنها من انحصار الكلي في جزئياته لأن كل مسألة من ذلك تسمى طريقة محمدية ما لم يكن هذا اللفظ

اسما للكتاب فيصير من انحصار الكل في أجزائه وذلك لأن الكلام عليها إما أن يكون من حيث ذاتها وماهيتها أو من حيث ما يعرض لها فإن كان الأول فهو الباب الثاني وما تضمنه وإن كان الثاني فإما من حيث ما هي عليه من الأوصاف في نفسها مما يدعو إليها وهو الباب الأول وإما من حيث ما يشتبه بها وليس منها وهو الباب الثالث (متوكلا) حال من ضمير الفاعل في قوله ورتبته أي معتمدا (على ربّ) أي مالك (الأرباب) أي المالكين كلهم من خلقه وفي رسالة القشيري قال سهل بن عبد الله أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير وقال حمدون التوكل هو الاعتصام بالله ومن حكم ابن عطاء الله الإسكندري رضي الله عنه من علامة النجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات فلهذا قال المصنف رحمه الله تعالى ذلك في ابتداء سلوكه هذه المسالك.

(الباب الأول)

من الأبواب الثلاثة وهو ما يدخل منه قال والدي رحمه الله تعالى في أحكامه، اعلم أن الفصل صنف تحت الصنف المسمى بالباب كما أن الباب صنف تحت الصنف المسمى بالكتاب والكل تحت الصنف المسمى بالعلم المدون والصنف من العلم بمعنى الإدراك جنس وما تحته من اليقين والظن نوع والمدون يكون ظنيا كالفقه وقطعيا كالكلام والحساب والهندسة فواضع العلم لما لاحظ الغاية المطلقة له فوجدها تترتب على العلم بأحوال شتى أو أشياء خاصة وضعه ليبحث عن أحواله من تلك الجهة فقد قيد ذلك العلم بعارض كلي فصار صنفا وقيل للواضع صنف هذا العلم أي جعله صنفا فالواضع للعلم أولى باسم المصنف من المؤلفين وإن صح أيضا فيهم (في الاعتصام) أي الامتناع والاحتفاظ من العصمة وهي المنع كما في قول تعالى (**لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ** * هود: ٤٣) أي لا مانع (**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** * المائدة: ٦٧) أي يمنعك (بالكتاب) هو القرآن العظيم (والسنة) أي سنة رسول الله محمد صلّى الله عليه وسلّم وتقدم بيانها (والاحتراز) أي التوقي (عن العادات) جمع عادة وهي ما يعود من أفعال

الإنسان مرة بعد أخرى (السيئة) أي القبيحة المنكرة في الشرع (والبدع) جمع بدعة معطوف على العادات السيئة على طريقة البيان لها لأن العادة تثبت بمرة على رأي بعضهم أو هي أعم من العادات لاشتراط التكرار في العادة دون البدعة فيكون من عطف العام على الخاص لقصد التتميم (المحدثة) صفة كاشفة إذ كل بدعة محدثة نظير قوله تعالى (**يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا** * المائدة: ٤٤) (والاقتصاد) مصدر كقولك اقتصد في النفقة إذا لم يسرف ولم يقتر قاله الفارابي في ديوان الأدب (في الأعمال) المرضية في الشرع (والتوسط) وهو معنى الاقتصاد مصدر توسط يتوسط (والاجتناب) أي التباعد (عن الطرفين) المذمومين شرعا عقلا قال الجوهري الطرف بالتحريك الناحية من النواحي والطائفة من الشيء وفلان كريم الطرفين يراد به نسب أبيه ونسب أمه فالطرف الأول (الإفراط) أي الإكثار والزيادة يقال أفرط في الشيء إذا اشتط فيه وبالغ (و) الطرف الثاني (التفريط) وهو التقصير يقال فرط في الشيء أي قصر فيه فيكون هذا الباب مشتملا على ثلاثة أمور فلهذا قال (وهو) أي هذا الباب (ثلاثة فصول) لكل أمر من تلك الأمور الثلاثة فصل يبينه (**الفصل الأول**) من الفصول الثلاثة (**نوعان**) تثنية نوع وهو القسم من الشيء (**النوع الأول**) من هذين النوعين (في) بيان (الاعتصام) أي الاحتفاظ على النفس والدين والعقل والمال والعرض وهي الخمسة التي يجب على كل مكلف الاحتفاظ عليها كما قررته مفصلا في كتاب المطالب الوفية (بالكتاب) أي كتاب الله تعالى (الكريم) لأن مضمونه الكرم على العباد أو لأنه من عند الله (والقرآن) بيان للكتاب (العظيم) من العظمة وهي كبر الشأن والمراد بالاعتصام بالكتاب الإيمان به والدخول في رِبْقة أحكامه عن رضا وتسليم حتى تصير تلك الأشياء الخمسة محفوظة له محترمة محصنة بالحصن الشرعي ومحمية من كل متعرض لها (و) الدليل على ذلك (الآيات) الواردة فيه وهي جمع آية قال الأُسْيُوْطِيُّ في الإتقان حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج في صورة وأصلها العلامة ومنه أن آية ملكه لأنها علامة للفضل والصدق أو الجماعة لأنها جماعة كلمة وهي

الواحدة من المعدودات في السور سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدي بها وقيل لأنها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه عما بعدها قال الواحدي وبعض أصحابنا يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن وقال أبو عمر والداني لا أعلم كملة هي وحدها آية إلاّ قوله (**مُدْهامَّتانَ**) قال غيره بل فيه غيرها مثل والفجر والضحى والعصر وكذا فواتح السور عند من عدها وقال بعضهم الصحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السور وقال الآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن وعما قبلها وعما بعدها في غيرهما أي غير الأول والآخر مشتمل على مثل ذلك قال وبهذا القيد خرجت السورة انتهى وجملة الآيات التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى هنا اثنتي عشرة آية من سور متفرقة مترتبة **الآية الأولى** أول سورة البقرة ولا يخفى حسن بدايته بها تبركا واقتداء بكتاب الله تعالى في أول كتابه وهي قوله تعالى (**الٓمٓ**) كثر اختلاف المفسرين في الحروف المقطعة في القرآن فذهب قوم إلى أن الله تعالى لم يجعل لأحد سبيلا إلى إدراك معانيها وأنها مما استأثر الله تعالى بعلمها فنحن نؤمن بظاهرها ونكل علمها إلى الله تعالى قال الشعبي أن لكل كتاب سرا وأن سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك وفسرها الآخرون قال ابن عباس معنى **الم** أنا الله اعلم وأن كل حرف منها له تفسير قال والدليل أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها وأنشد قلت لها قفي فقالت قاف فنطق بقاف فقط يريد قالت أقف وقيل أن **الم** وسائر حروف التهجي في القرآن أسماء للسور ذكره الواحدي وقال أبو محمد الخازن قيل أن حروف الهجا في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وهي سر الله تعالى في القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب رضي عنه إن لكل كتاب صفوة،

وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وقال آخرون من أهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد، وقيل الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هي أسماء الله مقطعة لو علم الناس تألفها لعلموا اسم الله الأعظم ألا ترى أنك تقول الر، وحم، ون، فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعا وقال ابن عباس هي أقسام قيل أقسم الله بهذه الأحرف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وإنما اقتصر على بعضها وإن كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت (الحمد لله وتريد أنك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف إن هذا الكتاب هو الكتاب المثبتة في اللوح المحفوظ وقيل أن الله تعالى لما تحداهم بقوله (**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** * البقرة: ٢٣) (**بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ** * هود: ١٣) فعجزوا عنه أنزل هذه الأحرف ومعناها أن القرآن ليس إلا من هذه الأحرف وهم قادرون عليها فكان يجب أن يأتوا بمثله فلما عجزهم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من عند البشر، وقيل أنهم لما أعرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الأحرف فكانوا إذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا إلى ما يجئ به محمد صلّى الله عليه وسلّم فإذا أصغوا إليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا لإيمانهم وقيل إن الله تعالى حير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة خطابه إلا باعترافهم بالعجز عن معرفة حقيقة خطابه (ذَلِكَ الْكِتَابُ) ذلك إشارة إلى **الَم** أن أول بالمؤلف من هذه الحروف أو فسر بالسورة أو القرآن فإنه لما تكلم به وتقضى أو واصل من المرسل إلى المرسل إليه صار متباعدا وتذكيره متى أريد بألم السورة لتذكير الكتاب فإنه صفته أو خبره الذي هو هو قاله البيضاوي وقال الواحدي ذلك يجوز أن يكون بمعنى هذا عند كثير من أهل التفسير ومثاله في الكلام إنك تقول قدم فلان فيقول السامع قد بلغنا ذلك أو يقول بلغنا هذا الخبر، وقيل إنما قال تعالى ذلك الكتاب فأشار إلى غائب لأنه أراد هذه الكلمات يا محمد ذَلِكَ الْكِتَابُ الذي وعدتك

أن أوحيه إليك لأن الله تعالى لما أنزل على نبيه صلّى الله عليه وسلّم (**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** * المزمل: ٥) كان واثقا بوعد الله إياه فلما أنزل عليه (**الَم * ذَلِكَ الْكِتَابُ**) دله على الوعد المتقدم أو الكتاب مصدر كتبت ويسمى المكتوب كتابا كما يسمى المخلوق خلقا، وأصل الكتب في اللغة الضم والجمع، والكتابة جمع حرف إلى حرف (**لاَ رَيْبَ فِيهِ**) معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيدا بالغا حد الإعجاز لا أن أحدا لا يرتاب فيه قاله البيضاوي وقال الخازن أي لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا ترتابوا فيه قال الواحدي فإن قيل كيف قال لاَ رَيْبَ فِيهِ وقد ارتابت فيه المرتابون قيل معناه أنه حق في نفسه وصدق وإن ارتابت فيه المبطلون كما قال الشاعر:

ليس في الحق يا أمامة ريب * إنما الريب ما يقول الكذوب

فنفى الريب عن الحق وإن كان القاصر في العلم يرتاب (**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**) أي يهديهم إلى الحق والهدى في الأصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة إلى البغية لأنه جعل مقابل الضلالة قال تعالى (**لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ** * سبأ: ٢٤) ولأنه لا يقال مهدي إلا لمن اهتدى إلى المطلوب ذكره البيضاوي وقال الواحدي معنى الاتقاء في اللغة الحجز بين الشيئين يقال اتقاه بترسه أي جعل الترس حاجزا بينه وبينه فالتقي هو الذي يتحرز بطاعته عن العقوبة ويجعل اجتنابه عما نهى وفعله ما أمر حاجزا بينه وبين العقوبة التي توعد بها العصاة، والمراد بالمتقين في هذه الآية المؤمنون الذين اتقوا الشرك وجعلوا إيمانهم حاجزا بينهم وبين الشرك كأنه قال القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك وهم المؤمنون وخص المؤمنون بأن الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا به لانتفاعهم به دونهم كقوله تعالى (**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** * النازعات: ٤٥) وكان صلّى الله عليه وسلّم منذرا لمن يخشى ولمن لم يخش وقيل معناه هدى للمتقين والكافرين فاكتفى بأحد الفريقين عن الآخر كقوله تعالى (**سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ** * النحل: ٨١) وأراد الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما وقال الخازن فإن قيل كيف

قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز الكريم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة له إلى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى (**اِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** * الفاتحة: ٦) وقال البيضاوي وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا إيجازا وتفخيما لشأنه **الآية الثانية** في سورة آل عمران وهي قوله تعالى (**وَاعْتَصِمُوا**) أي تمسكوا (**بِحَبْلِ اللهِ**) أي بدينه الإسلام أو بكتابه لقوله عليه السلام (**القرآن حبل الله المتين**) استعار له الحبل من حيث أن التمسك به سبب للنجاة عن الرداء كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي واستعار للوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز قاله البيضاوي وقال الواحدي حبل الله الجماعة وقال قتادة والسدي والضحاك هو القرآن، وقيل الاعتصام بحبل الله هو ترك الفرقة وإتباع القرآن لأن المؤمن إذا اتبع القرآن أمن العذاب وقال مجاهد وعطاء بعهد الله وبأمره وسمي عهد الله حبلا لأنه سبب النجاة كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر ونحوها (جَمِيعاً) أي مجتمعين عليه (وَلاَ تَفَرَّقُوا) أي ولا تتفرقوا عن دين الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة ذكره البيضاوي وقال الواحدي أي تناصروا على دين الله ولا تتفرقوا وقال الخازن وقيل معناه ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والأمر بالاتفاق والاجتماع لأن الحق لا يكون إلا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا وإذا كان كذلك وجبت النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لأن كل ذلك كان عادة أهل الجاهلية فنهوا عنه والله اعلم **الآية الثالثة** في سورة المائدة وهي قوله تعالى (قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ) أي ضياء من الضلالة يعني الإسلام، وقيل النور محمد صلّى الله عليه وسلّم وهو الذي يبين الأشياء، قاله الواحدي وقال الخازن إنما سماه الله نورا لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام (وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) يعني القرآن فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال وفيه بيان ما يختلفون فيه (يَهْدِي بِهِ اللهُ) أي بالكتاب المبين كما قاله الواحدي وقال البيضاوي وحد الضمير لأن المراد بهما واحد او لأنهما في الحكم

كواحد انتهى، يعني أن المراد بالنور والكتاب المبين شيء واحد وهو القرآن العظيم فالعطف للبيان إذ الكتاب نور من الله وعلى التغاير الذي هو الأصل في العطف هما في حكم شيء واحد لاشتراكهما في الإبانة والكشف عن الأمور (مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ) أي اتبع ما رضيه الله تعالى مما مدحه وأثنى عليه وهو دين الإسلام (سُبُلَ) أي طرق (السَّلاَمِ) قال ابن عباس يريد دين الإسلام دين الله والسلام اسم من أسماء الله تعالى وقال جائز أن يكون أراد طرق السلام أي طرق السلامة التي من سلكها سلم في دينه، ويجوز أن يكون أراد سبل السلام، كما قال تعالى (**لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ** * الأنعام: ١٢٧) ويراد بها طرق الجنة ولكنه على حذف المضاف أي سبل دار السلام ذكره الواحدي وقال البيضاوي أي طرق السلامة من العذاب أو سبل الله (وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلىَ النُّورِ) يعني من أنواع الكفر إلى الإسلام (بِإِذْنِهِ) يعني بتوفيقه وهدايته وإرادته (وَيَهْدِيهِمْ إِلىَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) إلى طريق هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤد إليه لا محالة، ذكره البيضاوي وقال الواحدي هو الذي يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة يعني الإسلام **الآية الرابعة** في سورة الأنعام وهي قوله تعالى (وَهَذَا كِتَابٌ) يعني القرآن (أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ) أي كثير النفع والخير والبركة ولا يتطرق إليه نسخ قاله الخازن، (فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) بواسطة إتباعه وهو العمل بما فيه، ذكره البيضاوي وقال الواحدي اتبعوا حلاله واتقوا حرامه لتكونوا راجين للرحمة وقال الخازن فَاتَّبِعُوهُ يعني فاعملوا بما فيه من الأوامر والنواهي والأحكام واتقوا يعني مخالفته لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ يعني ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله، وقيل معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى **الآية الخامسة** في سورة يونس وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) قال ابن عباس يريد قريشا، وقيل هم على العموم وهو الأصح وهو اختيار الطبري (قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ) يعني القرآن والوعظ زجر مقرون بتخويف، وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، وقيل الموعظة الإنابة عما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع إلى كل خير وصلاح بهذا الطريق ذكره الخازن، وقال البيضاوي أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن

محاسن الأعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد (وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ) يعني أن القرآن دواء وشفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك أن داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي الأخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الأمراض كلها لأنه فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الأمراض القلبية وإنما خص الله تعالى الصدر بالذكر لأنه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الإنسان لمكان القلب فيه قاله الخازن (وَهُدًى) إلى الحق واليقين (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان وتبدلت مقاعد هم من طبقات النيران بمصاعد درجات الجنان والتنكير في الموعظة للتعظيم وقال الخازن وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يعني ونعمة على المؤمنين لأنهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم انتهى **الآية السادسة** في سورة النحل وهي قوله تعالى (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) يعني القرآن (تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ) قال البيضاوي بيانا بليغا لكل شيء من أمور الدين على التفصيل أو الإجمال بالإحالة إلى السنة أو القياس وقال الزجاج تبيان اسم في معنى البيان ومثل التبيان التلقاء ولو قرئ تبيانا على وزن تفعال لكان وجها لأن التبيان في معنى التبيين ولا تجوز القراءة به لأنه لم يقرأ به أحد من القراء، وقال الخازن تبيانا لكل شيء يعني من أمور الدين أما بالنص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلّى الله عليه وسلّم لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم بين ما في القرآن من الحدود والأحكام والحلال والحرام أو إجماع الأمة فهو أيضا أصل ومفتاح لعلوم الدين والله اعلم (وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةً) لمن آمن به وصدق وإنما حرمان المحروم من تفريطه (وَبُشْرَى) من الله سبحانه وتعالى (لِلْمُسْلِمِينَ) خاصة **الآية السابعة** في سورة الإسراء وهي قوله تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) أي للحال التي هو أقوم الحالات وهي توحيد الله تعالى شهادة أن لا إله إلاّ الله والإيمان برسله والعمل بطاعته وهذه صفة الحال التي هي أقوم، قاله الزجاج وقال الواحدي أي يرشد إلى الكلمة

التي هي أعدل الكلمات وأصوبها وهي كلمة التوحيد وقال الخازن أي إلى الطريقة التي هي أصوب **الآية الثامنة** في سورة الإسراء أيضا وهي قوله تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء) فمن لبيان الجنس والمعنى وننَزّل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء قال قتادة إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه وعلى هذا معنى كونه شفاء أنه ببيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك فهو شفاء من داء الجهل وقال ابن عباس يريد شفاء من كل داء وعلى هذا معناه أن يتبرك به فيدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار ويؤكد هذا ما روى أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال **(من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله)** ذكره الواحدي، وقيل أن من للتبعيض والمعنى أنه منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء، قاله البيضاوي وقال الخازن شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها، وقيل هو شفاء للأمراض الباطنة والظاهرة وذلك لأنها تنقسم إلى نوعين أحدهما الاعتقادات الباطنة والثاني الأخلاق المذمومة أما الإعتقادات فأشدها فسادا الإعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كله مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الأشياء وأبطال المذاهب الفاسدة فلا جرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والإرشاد إلى الأخلاق المحمودة والأعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الباطنة وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض يدل عليه ما روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في فاتحة الكتاب **(وما يدريك أنها رقية)** (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) قال ابن عباس يريد ثوابا لا انقطاع له يعني في تلاوته يرحمهم الله بها ويثيبهم عليها ذكره الواحدي (وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً) قال الخازن لأن الظالم لا ينتفع به، المؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لأن كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم وقال الواحدي ولا يزيد القرآن الظالمين المشركين إلا خسارا لأنهم يكفرون

به ولا ينتفعون بمواعظه والقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسارة الكافرين وقال قتادة عن أويس القرني قال لم يجالس هذا القرآن أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان قضاء من الله الذي قضى شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارا **الآية التاسعة** في سورة العنكبوت وهو قوله تعالى (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ) هذا جواب لقولهم قبله (**لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِن رَبِّهِ** * العنكبوت: ٥٠) كمال قال الخازن، وقال الزجاج كان قوم من المشركين كتبوا أشياء عن اليهود فأتوا بها النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال عليه السلام (**كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم إن رغبوا عما أتى به نبيهم إلى ما أتى به غير نبيهم إلى غير قومهم**) يعني كان هذا سبب نزول الآية (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) يعني تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات أو يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك ذكره البيضاوي وقال الخازن معناه إن القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الأنبياء عليهم السلام لأن معجزة القرآن تدوم على ممر الزمان والدهور ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أي الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة (لَرَحْمَةً) لنعمة عظيمة (وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وتذكرة لمن همه الإيمان دون التعنت، قاله البيضاوي **الآية العاشرة** في سورة ص وهي قوله تعالى (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) أي هذا كتاب يعني القرآن أنزلناه إليك (مُبَارَكٌ) أي كثير خيره ونفعه (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) ليتفكروا في أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة، وقيل تدبر آياته إتباعه في أوامره ونواهيه ذكره الخازن، وقال البيضاوي ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الأصل ولتدبروا أي أنت وعلماء أمتك (وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ) وليتعظ به ذوو العقول السليمة أو يستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فإن الكتب الإلهية بيان لما لا يعلم إلاّ من الشرع وإرشاد إلى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للأول والتذكر للثاني، قاله البيضاوي **الآية الحادية عشر** في سورة الزمر وهي قوله تعالى (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) يعني القرآن وكونه أحسن الحديث **لوجهين**

أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى **أما الأول** فلأن القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل نوع يخالف الكل في أسلوبه **وأما الوجه الثاني** فلأنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الأولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وقال العز بن عبد السلام روي أن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله تعالى الآية أَحْسَنَ الْحَدِيثِ يعني أكمله برهانا وأجمعه بيانا وأعدله حكما وأفصحه نظما (كِتَاباً مُّتَشَابِهاً) بدل من أحسن أو حال منه وتشابهه تشابه أبعاضه في الإعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على النافع العامة ذكره البيضاوي وقال الخازن أي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام أي يشبه بعضه بعضا في التصديق أو في الإعجاز والعدل أو يشبه الكتب المتقدمة في الأمر والنهي والترغيب والترهيب (مَثَانِيَ) جمع مثنى أو مثنى قال البيضاوي في سورة الحجر المثاني من التثنية أو الثناء فإن كل ذلك مثنى تكرر قراءته وألفاظه أو قصصه ومواعظه ويثنى عليه بالبلاغة والإعجاز ومثنى على الله سبحانه وتعالى بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى وقال الواحدي المثاني جمع مثناة وهو كل شيء يثنى أي يجعل اثنين وأكثر وقال العز بن عبد السلام مثاني ثنى فيه القصص وقيل ذكر الجنة والنار أو يثنى في التلاوة فلا يمل أو يشتمل على المزدوجات كالأمر والنهي والوعد والوعيد والرحمة والعذاب (تَقْشَعِرُّ) أي تضطرب وتشمئز (مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث في جلد الإنسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم ذكره الخازن، وقال البيضاوي تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حرف القشع وهو الأديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقْمَطرَّ من القمط وهو الشد (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىَ ذِكْرِ اللهِ) من الرجاء وقيل لإعظامه وعند تلاوته، وقيل بوعده ووعيده، وقال البيضاوي بالرحمة

وعموم المغفرة والإطلاق للإشعار بأن أصل أمره الرحمة وأن رحمته سبقت غضبه والتعدية بإلى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلب لتقدم الخشية التي هي من عوارضه، وقال أبو محمد الخازن أي لذكر الله قيل إذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وإذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وجليت قلوبهم، وقيل حقيقة المعنى أن جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء، روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها**) وفي رواية (**حرمه الله على النار**) قال بعض العارفين السيارون في بيداء جلال الله إذا نظروا إلى عالم الجلال طاشوا وإن لاح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا قال قتادة نعت أولياء الله الذين نعتهم الله به أن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان وروي عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه كيف كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم فإن قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا في الرجاء قلت إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد في أول وهلة وإذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقُشَعْرِيرَةِ لينا في جلودهم وقيل إن المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف لأن الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فإذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد وإذا حصل الرجاء اطمأن إليه القلب ولان الجلد (ذَلِكَ) أي الكتاب الذي هو أحسن الحديث (هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ) هدايته وهو الذي شرح الله صدره لقبول الهداية (وَمَن يُضْلِلِ اللهُ) ومن يخذله ويجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يخرجه من الضلال **الآية الثانية عشر** في سورة فصلت وهي قوله تعالى (وَإِنَّهُ) أي الذكر يعني القرآن لأنّ الآية قبله (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ**

وَإِنَّهُ * فصلت: ٤١) (لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) كثير النفع عديم النظير أو منيع لا يتأتى إبطاله وتحريفه ذكره البيضاوي وقال العز بن عبد السلام عزيز أي عند الله والمؤمنين وقيل لا يوجد له مثل أو ممتنع من أن يأتيه الباطل أو على الناس أن يأتوا بمثله وقال الخازن، قال ابن عباس كريم على الله، وقيل العزيز العديم النظير وذلك لأن الخلق عجزوا عن معارضته، وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل إليه سبيلا (لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره، وقيل إنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان، وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجئ بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه وقيل لا يأتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ) أي مانع عن تبديل معانديه بأحكام مبانيه (حَمِيدٍ) مستحق للتحميد بإلهام معانيه قاله العز بن عبد السلام وقال البيضاوي من حكيم حاكم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه، وقال الخازن من حكيم في جميع أفعاله حميد إلى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم انتهى الكلام على هذه الآيات فقد دلت بمنطوقها ومفهومها على وجوب الاعتصام بكتاب الله تعالى على كل مكلف (و) الدليل على ذلك أيضا (الأخبار) النبوية الواردة في ذلك جمع خبر وهو الحديث وتقدم بيان الفرق بينهما وبين السنة والأثر، واعلم أن المصنف رحمه الله تعالى رمز في تخريج هذه الأحاديث والأخبار التي في هذا الكتاب رموزا كما رمز الأُسْيُوْطِيُّ رحمه الله تعالى ذلك في جامعه الصغير اختصارا في الكلام واستدعاء لقوابل الهمم والإفهام وجملة ذلك مما اشتمل عليه هذا الكتاب ثمانية وثلاثون رمزا وبيانها أن الخاء المعجمة للبخاري وتكتب هكذا (خ) والميم لمسلم وتكتب هكذا (م) والدال المهملة لأبي داود وتكتب هكذا (د) والتاء المثناة الفوقية للترمذي وتكتب هكذا (ت) والسين المهملة للنسائي وتكتب هكذا (س) والطاء المهملة لموطأ مالك وتكتب هكذا (ط) والغين المعجمة للبغوي صاحب المصابيح

وتكتب هكذا (غ) والزاي للبزاز وتكتب هكذا (ز) وهذه الرموز المفردات وهي ثمانية حروف والمركبات الطاء المهملة والباء الموحدة للطبراني وتكتب هكذا (طب) والطاء المهملة والكاف للطبراني في معجمه الكبير وتكتب هكذا (طك) وطاآن مهملتان للطبراني أيضا في معجمه الأوسط وتكتب هكذا (طط) والطاء والصاد المهملتان للطبراني أيضا في معجمه الصغير وتكتب هكذا (طص) والطاء المهملة والكاف والصاد المهملة للطبراني أيضا في معجمه الكبير والأوسط وتكتب هكذا (طكص) والطاآن المهملتان والصاد المهملة للطبراني أيضا في معجه الأوسط والصغير وتكتب هكذا (ططص) والطاء المهملة والكاف والطاء المهملة أيضا والصاد المهملة للطبراني أيضا في معجمه الكبير والأوسط والصغير وتكتب هكذا (طكطص) والحاء المهملة والباء الموحدة لابن حبان وتكبت هكذا (حب) والحاء المهملة والكاف للحاكم وتكتب هكذا (حك) والحاء المهملة والدال المهملة لأحمد بن حنبل وتكتب هذا (حد) والدال المهملة والراء للدارمي وتكتب هكذا (در) والميم والجيم لابن ماجه وتكتب هكذا (مج) والخاء المعجمة والزاي لابن خزيمة وتكتب هكذا (خز) والصاد المهملة والفاء للأصفهاني وتكتب هكذا (صف) والصاد المهملة والباء الموحدة للأصبهاني وتكتب هكذا (صب) والقاف والطاء المهملة والنون للدارقطني وتكتب هكذا (قطن) والهاء والقاف للبيهقي وتكتب هكذا (هق) والباء الموحدة والراء لابن عبد البر وتكتب هكذا (بر) والدال المهملة والياء المثناة التحتية واللام والميم لأبي منصور الديلمي وتكتب هكذا (ديلم) والقاف والشين المعجمة للقشيري وتكتب هكذا (قش) والدال المهملة والنون والياء المثناة التحتية والألف لابن أبي الدنيا وتكتب هكذا (دنيا) والياء المثناة التحتية والعين المهملة واللام والياء صورة المقصور لأبي يعلى وتكتب هكذا (يعلى) والنون والعين المهملة والميم لأبي نعيم وتكتب هكذا (نعم) والسين المهملة والنون والياء المثناة التحتية لابن السني وتكتب هكذا (سني) والشين المعجمة والياء المثناة التحتية والخاء المعجمة لأبي الشيخ وتكتب هكذا (شيخ) والعين المهملة والسين المهملة والكاف والراء لابن عساكر وتكتب هكذا (عسكر)

والعين المهملة والدال المهملة لابن عدي وتكتب هكذا (عد) والباء الموحدة والراء والكاف لابن مبارك وتكتب هكذا (برك) والراء والزاي والألف والقاف لعبد الرزاق وتكتب هكذا (رزاق) والطاء المهملة والحاء المهملة للطحاوي وتكتب هكذا (طح) وهذه رموز المخرجين لأحاديث هذا الكتاب وأخباره كلها أوردناها ليسهل الأمر في الابتداء على مطالع هذا الكتاب وهنا سبعة أحاديث:

الحديث الأول (طك) يعنى روى الطبراني في معجمه الكبير بإسناده (عن أبي شريح رضي الله عنه أنه قال خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وإني رسول الله؟) هذا الاستفهام لتقرير الكلام وتثبيته ولذا دخلت في جوابه بلى الموضوعة لإثبات الكلام المنفي وإبطال نفيه كقوله تعالى (**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى** * الأعراف: ١٧٢) أي بلى أنت ربنا فأجروا النفي مع التقرير مجرى النفي المجرد فلذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لو قالوا نعم لكفروا ووجهه أن نعم لتصديق الخبر بنفي أو إثبات ولهذا كان جوابهم هنا أنهم (قالوا بلى) أي بلى أنه لا إله إلا الله وأنك رسول الله وفائدة هذا الكلام من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لهم ليستنطقهم ما هو موجود فيهم من الإيمان بالله ورسوله والإسلام لما جاء به من الحق حتى يبتني عليه قوله بعد ذلك ويتحقق عندهم ويثبت وإن كان محققا من قبل وثابتا في قلوبهم كما أنك إذا أردت أن تحدث ابنك مثلا بحديث هو نصح له فقلت له ألست ابني فقال لك بلى أنا ابنك فإذا حدثته بعد ذلك بالحديث كان في غاية التأكيد عنده وكمال النصح له باعترافه بأبوتك وكذلك هنا (قال) صلّى الله عليه وسلّم (إن هذا القرآن) يعني الكلام القديم المنزل بجبرائيل عليه السلام على محمد صلّى الله عليه وسلّم المحفوظ في القلوب بالحروف والكلمات المتخيلة المقروء بالألسنة بالحروف والكلمات اللفظية الهوائية المكتوب في المصاحف والألواح بالحروف والكلمات الرسمية المدادية فمادة الحروف الأولى الخيال ومادة الحروف الثانية الهواء ومادة الحروف الثالثة الحبر والمداد كما أن موضع الأولى القلب وموضع الثانية الفم وموضع الثالثة القرطاس وهذه الأنواع الثلاثة

من الحروف في مواضعها الثلاث صور يتصور بها كلام الله تعالى القديم المنزه عن الحروف والأصوات والمواضع والكلمات فهي كسوته ولباسه في ظهوره لنا لا على معنى أنه حال فيها أو متحد بها أو متصل بها أو منفصل عنها لأن كلام الله تعالى صفة وصفات الله تعالى كلها قديمة والقديم لا وجود للحادث معه بوجود آخر من نفس الحادث أو من قديم آخر إذ لا قديم إلا واحد عقلا وشرعا بل للحادث وجود بالقديم الواحد ووجود الحادث إذا كان بالقديم كان الوجود للقديم والحادث منسوب إليه الوجود فقط فكيف يتصور الحلول ونحوه فيه والموجود لا يحل في المعدوم إذا علمت هذا ظهر لك فساد قول من قال إن كلام الله تعالى مقول بالاشتراك الوضعي على معنيين الصفة القديمة والمؤلف من الحروف والكلمات الحادثة فإنه قول يؤول بصاحبه إلى اعتقاد الشرك في صفات الله تعالى وإن الله تعالى يوصف بالكلام الحادث مع قدمه سبحانه وإشارة النبي هنا في هذا الحديث إلى القرآن تفيد أنه واحد لا تعدد له أصلا وهو الصفة القديمة وهو المكتوب في المصاحف المقروء بالألسنة المحفوظ في القلوب من غير حلول في شيء من ذلك ومن لم يفهم هذا على حسب ما ذكرنا لصعوبته عليه، يجب عليه الإيمان به بالغيب كما يؤمن بالله وبباقي صفاته سبحانه وتعالى ولا يجوز لأحد أن يقول بحدوث ما في المصاحف والقلوب والألسنة غاية الأمر أن القرآن العظيم له طرفان الطرف الواحد مما يلي الحق سبحانه وتعالى لأنه كلامه وكلامه صفته والطرف الثاني مما يلي الخلق وهو ظهوره بتلك الأنواع الثلاثة من الحروف والكلمات في تلك المواضع الثلاثة من كل إنسان فتتعدد صوره وتتكثر بسبب ذلك مع وحدته في نفسه كما يتعدد الوجه الواحد إذا ظهر في المرايا الكثيرة بطريق انطباع آثاره فيها لا حلوله فيها بنفسه وتختلف صور ظهوراته بحسب اختلاف تلك المرايا بالصغر والكبر والطول والعرض ونحو ذلك فلا يجوز أن يقال لزيد وجهان أحدهما في جسمه الظاهر والآخر في وسط المرآة بل يلزم على هذا أن يقال أن له وجوها كثيرة مختلفة بحسب اختلاف تلك المرايا وهو ممتنع ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم (طرفه) أي القرآن يعني أحد وجهيه (بيد الله) سبحانه وتعالى بحيث لا يعلم به إلا

هو وهو وجه وحدته وكمال نزاهته وتقدسه (وطرفه) أي وجهه الآخر (بأيديكم) وهو صوره المتعددة له المسماة عندكم حروفا وكلمات مخيلة أو لفظية أو رقمية (فتمسكوا به) أي بالقرآن المذكور من حيث ظهوره لكم في صوره المذكورة وإيمانكم به من حيث ما غاب عنكم من إطلاقه عن كل صورة وتنزهه عن ذلك وتقدسه في ذات الله تعالى (فإنكم) إن فعلتم ذلك (لن تضلوا) أي لن تتحيروا في اعتقاد ولا قول ولا عمل في الدنيا (ولن تهلكوا) في الآخرة بمخالفة في شيء من ذلك (بعده) أي بعد القرآن المذكور أو بعد تمسككم به (أبدا) لأن الله تعالى لم يفرط فيه من شيء وفي ذكر اليد من الجانبين مشاكلة نظير قوله تعالى (**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ** * البقرة: ١٩٥) ولم يقل فجازوه وأورد هذا الحديث الأُسْيُوْطِيُّ في كتابه الإتقان برواية أخرى عن أبي شريح أيضا وزاد فيه قال وأخرج ابن أبي شيبة من حديث أبي شريح الخزاعي (**إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا**) والسبب الحبل وذكر السبب في هذه الرواية مما يؤيد ما ذكرناه من وحدة القرآن وعدم تعدده لأن الحبل الواحد إذا كان له طرفان أحدهما بيد واحد والآخر بأيدي جماعة لا يلزم أن يكون لأجل ذلك حبلين

الحديث الثاني (حب) يعني روي عن ابن حبان بإسناده (عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال القرآن) يوم القيامة عند الله تعالى (شافع) في المؤمنين المذنبين الذين ماتوا قبل التوبة (مشفع) بصيغة اسم المفعول أي مقبول الشفاعة عند الله تعالى وهذا يقتضي المغايرة بينه وبين الله تعالى مع أنه صفته وصفات الله تعالى لا تغايره كل المغايرة على ما قررناه في موضعه فهو باعتبار طرفه الذي بأيدينا اللابس صور الحروف والكلمات المتشكل في أشكالها من غير أن تستقل دونه بوجود فيلزم أن يحل فيها كما قدمناه يصح فيه أن يظهر في أي صورة شاء الله تعالى من غير أن يتغير عن إطلاقه وتنزهه وتقدسه كما ورد عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه لما مرض فشارف الاحتضار وأبوه جالس عند رأسه يقرأ له سورة يس ثم لقنه الشهادة

فكان كلما قال له لا إله إلا الله يقول لا، فخاف عليه من الفتنة حتى زالت عنه تلك الحالة وبرئ من مرضه فأخبره بذلك فقال تصور لي الشيطان وكان يقول لي أفلت مني يا أحمد فقلت له لا، ورأيت شابا حسن الصورة يدفع عني الشيطان فسألته من أنت فقال أنا سورة يس وذكر الغزالي في كتابه الدرة الفاخرة أن القرآن يأتي يوم القيامة في صفة رجل ويشفع فيشفع والإسلام مثله فيخصم ويخاصم وقد ذكرنا حكاية الإسلام عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الإحياء وبعد مخاصمته يتعلق به ما شاء الله فيأوي به إلى الجنة وكذا تأتي الدنيا في صورة عجوز شمطاء أقبح ما يكون فيقال للناس أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من هذه فيقال لهم هذه الدنيا التي كنتم لها تحبون وعليها تتحاسدون وفيها تتباغضون وكذا تأتي الجمعة كأنها عروس تزف أحسن ما يكون فتحدق بها المؤمنون وتحيط بها كثبان المسك والكافور عليها نور يعجب منه كل أهل الموقف حتى تدخل بهم الجنة فانظر رحمك الله وجود القرآن والإسلام والجمعة أشخاصا وذلك في الدنيا لا يعقل له عين بل هو متحيز إلى العالم الملكوتي وعارف حقيقته لا يقول بخلق القرآن كما قالت الجهمية آلى آخر عبارته ووردت أحاديث في شفاعة القرآن يوم القيامة فمن ذلك ما ذكره النووي رحمه الله تعالى في رياض الصالحين عن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيْعَاً لأَصْحَابِهِ**) رواه مسلم وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**) رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن وفي رواية أبي داود تشفع (وماحل) أي القرآن يعني خصما مجادلا وقيل معناه ساع من قولهم محل بفلان إذا سعى به إلى السلطان قال في القاموس محل به مثلثة الحاء محلا ومحالا قاده بسعاية إلى السلطان

وماحله مماحلة ومحالا قاواه حتى يتبين أيهما أشد (مصدق) بصيغة اسم المفعول والمعنى أن القرآن خصم يخاصم عن قارئه العامل به يوم القيامة فيصدقه الحق تعالى في مخاصمته عنه ومجادلته أو ساع بقارئه الغير العامل به إلى ربه فيقبل الله تعالى سعايته فيه أو بقارئه العامل به إلى الحق تعالى ليرفع درجاته في مقامات القرب لديه ولا يرد الحق تعالى سعايته بل يصدقه في كل ما سعى به (من جعله إمامه) أي قد أمه بمعنى تابعه واقتدى بما فيه من الأحكام والمواعظ واعتبر بقصصه وأخباره وتحقق بنصائحه وأمثاله (قاده) أي أوصله (إلى الجنة ومن جعله خلف) أي وراء (ظهره) وفي رواية أنس مرفوعا (خلفه) بأن ترك العمل به ولم يعتبر بما فيه وأهمله وأشتغل بما تقتضيه طبيعته ويستحسنه عقله من الاعتقاد والقول والعمل كما قال تعالى (**نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** * البقرة: ١٠١) فقيل أراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الأقرب لأن النبذ لا يكون إلاّ بعد التمسك ولم يتمسك بالقرآن أما نبذهم التوراة فكانوا يقرؤونها ولا يعملون بها، وقيل أنهم أدرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها ذكره الخازن وقال الواحدي قوله نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يعني علماء اليهود الذين تواطئوا على كتمان أمر محمد صلى الله عيه وسلم وقوله كِتَابَ اللهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ يجوز أن يكون المراد بكتاب الله القرآن ويجوز أن يكون المراد به التوراة لأن الذين كفروا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم نبذوا التوراة والنبذ الطرح ويقال لكل من استخف بشيء ولم يعمل به نبذه وراء ظهره، وقيل هو بين أيديهم يقرؤونه ولكن نبذوا العمل به، وقيل أدرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ وقوله كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ أعلم الله تعالى أنهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم بعظيم ما يفعلون حتى كأنهم لا يعلمون ما يستحقونه من العذاب انتهى وهذه عبرة عظيمة في المؤمنين بالقرآن إذا تركوا العمل به مع المواظبة على قراءته ولم يتعظوا بمواعظه ولم يتحققوا بقصصه وأخباره وأدرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة واعتمدوا على مجرد تعظيمه والتبرك به من دون

إحلال حلاله وتحريم حرامه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه فإنهم عاملون حينئذ نظير عمل أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم هذه المقالة المذكورة (ساقه إلى النار) أي أوصله إليها واستعمل في الأول القود لأنه تسيير الدابة بجذب عنانها من قدامها ومن جعل القرآن أمامه فقد جذبه القرآن إلى الجنة من قدامه بعنان الطاعة واستعمل السوق في الثاني لأن السوق زجر الدابة من خلفها ومن جعل القرآن خلف ظهره زجره القرآن ودفعه إلى النار وفي الكلام إشارة إلى أنه لابد من التقليد للمكلف فإما يقلد القرآن ويتبع أحكامه فينجو وإما أن يقلد طبعه وعقله ويجعل القرآن وراء ظهره فيهلك ويفهم من قوله ساقه إلى النار أن الإضلال منسوب إلى القرآن أيضا فيمن لم يتبعه كالهداية كما قال تعالى (**يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً** * البقرة: ٢٦)

الحديث الثالث (زحك) يعني روى البزار والحاكم بإسنادهما (عن سهل بن معاذ رضي الله عنه عن أبيه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال من قرأ القرآن) لعل المراد من تعلم قراءته حتى كان متى أراد قرأه وتلاه وتعلم تفسيره وتأويله لأجل قوله (وعمل به) يعني بمضمون آياته من الأحكام والأسرار مع الإخلاص والخشوع بأن صار عالما بالقرآن عاملا به على وجه السنة لا البدعة (ألبس) بضم الهمزة أي ألبس الله تعالى (والداه) إذا ماتا مؤمنين أو أحدهما إذا مات كذلك (تاجا) وهو الإكليل تقول توجه فتتوج أي ألبسه التاج فلبسه يقال العمائم تيجان العرب قاله الجوهري (يوم القيامة) يحتمل في الجنة ويحتمل قبل دخولها وهما في المحشر إكراما لهما حيث أنتجا هذا السعيد الموفق وجزاء على تعليمه بأنفسهما أو بمالهما أو بإعانتهما له ولو بالدعاء قال تعالى (**يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** * الشعراء: ٨٨-٨٩) يعني من الشرك والكفر فمن أتى بالله بقلب سليم من الشرك والكفر ينفعه المال والبنون حينئذ كما ورد في هذا الحديث ولهذا شرطنا الإيمان في الوالدين ولو كان في الحديث أبواه مكان والديه لقلنا بدخول الجد والجدة في ذلك فإنه قد يسمى الجد أبا ولكن لا يسمى والدا كما هو المتبادر (ضوءه) أي ذلك التاج (أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا) من جهة

الإنارة والإشراق ولم يرد التشبيه بالشعاع بل بما يظهر عنه في البيوت من خلف الجدران وفيه كمال البهجة واللطافة (فما ظنكم) يا معشر المؤمنين (بالذي عمل بهذا) يعني بذلك الولد الذي قرأ القرآن وعمل به كما ذكرنا فإن له عند الله تعالى جزاء أعظم من ذلك لا يوصف، وأورد هذا الحديث الأُسْيُوْطِيُّ في الإتقان برواية أخرى عن الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة (**ما من رجل يعلم ولده القرآن إلا توج يوم القيامة بتاج في الجنة**) وأخرج أبو داود وأحمد والحاكم من حديث معاذ بن أنس (**من قرأ القرآن فأكمله وعمل به ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل هذا**) وفي قوله فأكمله إشارة إلى أن من قرأ بعضه لا ينال هذه الفضيلة لعدم اطلاعه على تمام ما كلف به علما وعملا ويحتمل أن يكون المراد بإكماله تصحيح كلماته وتجويده وتقويم معانيه

الحديث الرابع (حك) يعني روى الحاكم بإسناده (عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال إن هذا القرآن مأدبة الله) أي ضيافته قال في القاموس المأدبة والأدبة بالضم طعام يصنع لدعوة أو عرس أدبه يأدبه دعاه إلى طعامه انتهى ووجه كونه مأدبة أنه مشتمل على أنواع الأقوات الروحانية والأحكام والحكم والنصائح والمواعظ الممدة للأرواح كما يمد الطعام للأجسام (فأقبلوا مأدبته) أي ضيافته التي هيأها لكم واستعملوا منها (ما استطعتم) أي مقدار استطاعتكم ولا تردوها عليه فيغضب من عدم استعمالكم لها (إن هذا القرآن حبل الله المتين) أي القوي لأن له طرفين أحدهما بيد الله وهو وجه إطلاقه عن الحروف والأصوات والآخر بأيدي العباد وهو وجه تقييده بالحروف والأصوات كما قدمناه وبهذا الاعتبار أطلق عليه حبل فكل من تمسك به جذبه الله تعالى إليه فوصل إلى معرفته ورضوانه (والنور المبين) أي الكاشف عن خفايا الملك والملكوت والموضح لما به رضاء الله تعالى وما به غضبه ولا يخفى ما بين المتين والمبين من أنواع البديع وهو جناس الصحيف (والشفاء النافع) من كل داء في النفس أو في الجسد يشفي أمراض القلوب الروحانية بالعلوم الحقيقية

ويشفي الأمراض البدنية بالتطبب به والرقية القولية والرقمية (عصمة) بالكسر أي منع ووقاية وحفظ (لمن تمسك به) في اعتقاده وقوله وعمله (ونجاة) أي خلاص يقال نجا نجوا ونجاة ونجاية خلص وأنجاه الله ونجاه كذا في القاموس (لمن اتبعه) أي عمل بما فيه من الأوامر والنواهي واتعظ بمواعظه ورغب بترغيبه ورهب بترهيبه وقام بحقوقه عليه قالا وحالا (لا يزيغ) أي القرآن قال في القاموس زاغ مال يزيغ زيغا وزيغانا وزيغوغة والزيغ الشك والجور عن الحق انتهى والمعنى أنه لا يميل عن الحق ولا يعدل عنه لأنه حق من حق (فيستعتب) استعتبه أعطاه العتبى والعتبى الرضاء كأعتبه واستعتبه طلب إليه العتبى ضده كذا في القاموس والمناسب هنا المعنى الثاني وهو طلب العتبى لا عطاؤها يعني أن القرآن العظيم لا يجور عن الحق بأحد أتبعه ولا يميل عنه حتى يطلب الرضاء من أحد بإزالة ذلك الجور منه الميل عن الحق (ولا يعوج) عوج كفرح والاسم عوج كعنب ويقال في كل منتصب كالحائط والعصا فيه عوج محركة وفي نحو الأرض ولدين كعنب وقد اعوج اعوجاجا وعوجته فتعوج كذا في القاموس يعني أن القرآن العظيم لا يدخل فيه عوج لأنه صراط الله المستقيم كما قال تعالى (**قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** * الزمر: ٢٨) قال البيضاوي لا اختلال فيه بوجه ما وقال الخازن أي منزها عن التناقض قال ابن عباس غير مختلف، وقيل غير ذي لبس، وقيل غير مخلوق، ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق انتهى فكونه ليس بمخلوق ظاهر وكونه ليس بخالق لأنه ليس بمغاير لله تعالى كل المغايرة بل هو صفته سبحانه فالله تعالى هو الخالق به لأنه كلامه القديم وأمره العظيم كما قال تعالى (**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** * النحل: ٤٠) (فيقوم) أي يزال عوجه يقال قومته أزلت عوجه وقومته عدلته والقرآن العظيم غني عن التقويم والتعديل قال تعالى (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** * (الحجر: ٩) (ولا تنقضي) أي لا تفرغ قال في القاموس تقضي فني وانصرم كانقضى (عجائبه) جمع عجيب يقال تعجبت منه واستعجبت منه كعجبت منه يعني ما فيه من الأمور العجيبة

لا تفرغ ولا تفنى ولا تنصر وتنكشف منه المعاني الشريفة على ممر الأزمان لقلوب أهل المعرفة والإيمان وتتجلى لهم خبايا الأسرار وخفايا الأنوار شيئا فشيئا من غير فراغ ولا نقصان قال تعالى (**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** * الكهف: ١٠٩) قال الواحدي قال ابن عباس يزيد أن كلماته أعظم من أن يكون لها أمد، وكلام القديم سبحانه صفة من صفات ذاته فلا يجوز أن يكون لكلامه نهاية ومنتهى كما ليس له غاية وحد فأوصاف ذاته غير محدودة وهذا رد على اليهود حين ادعوا أنهم أوتوا العلم الكثير وكأنه قيل لهم أي شيء الذي أوتيتم في علم الله وكلماته التي لا تنفد لو كتبت بماء البحر وقال الخازن المعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات الله ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مددا وزيادة، وقال تعالى (**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ** * لقمان: ٢٧) قال البيضاوي والبحر المحيط بشعبه مدادا ممدودا بسبعة أبحر ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد (ولا يخلق) أي لا يبلى يقال خلق الثوب كنفر وكرم وسمع خلوقة وخلقا محركة بلى كذا في القاموس وهذا وصف على طريق الاستعارة بتشبيه ألفاظ القرآن بالثوب الذي لا يبلى بل هو مستمر على هيئته الابتدائية لا يطرأ عليها ما يخرجها عن إطلاق اسم الجديد إلى العتيق البعيد من قولهم ثوب خلق أي بال وهو من باب علم يعلم كذا في فتح الصفاء لابن أقبرس (من كثرة الترداد) أي تكرار تلاوته يعني أن قارئه لا يمل منه ولا يسأم على ممر الزمان كما إشارة إليه ابن أقبرس ويحتمل أن يكون معناه أنه لا يتغير حرف من حروفه ولا يتبدل مع كثرة من يتلوه ويدرسه من العلماء والجهلاء والأعراب والأعجام فإن الله تعالى حافظه من ذلك ومقيض له من يرد الخطأ في تلاوته وفي معناه إلى أن يرفعه الله تعالى إليه حتى ورد في الحديث كما أخرجه الأُسْيُوْطِيُّ في الجامع الصغير عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال (**إذا قرأ القارئ فأخطأ أو لحن أو كان أعجميا كتبه الملك كما أنزل**) قال الشارح المناوي رحمه الله تعالى وفيه أن

القارئ يكتب له ثواب قراءته وإن أخطأ أو لحن لكن محله إذا لم يتعمد ولم يقصر في التعلم وإلا فلا يؤجر بل يؤزر انتهى أما اشتراط أنه لم يتعمد فظاهر لأن المسلم المؤمن بالقرآن العظيم لا يقع منه في الغالب أن يتعمد اللحن فيه والتحريف ولكن يقع منه ذلك جهلا لاسيما ولفظ الحديث فيه ذكر الخطأ والخطأ لا يكون عمدا غايته أنه قد يكون مقصرا في التعلم مع مطاوعة لسانه للتصحيح فيأثم وأما إذا كان لسانه ثقيلا في النطق لا يطاوعه ولم يستطع إتقان ذلك فهو معذور مأجور على قراءته وإن أخطأ وإن لحن كما هو صريح الحديث المذكور ولا تكتبه الملائكة له إلا صحيحا كما أنزل فقد قيض الله تعالى للقرآن العظيم ملائكة يكتبون الخطأ واللحن فيه صحيحا (أتلوه) أمر من التلاوة وهي القراءة وتستحب في غير الصلاة من المصحف أو من الحفظ عن ظهر القلب والأول أفضل لزيادة فضيلة النظر في المصحف فإنه عبادة أخرى غير التلاوة قال الغزالي في الإحياء قراءة القرآن في المصحف أفضل إذ يزيد عمل البصر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه، وقيل الختمة من المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضا عبادة وقد خرق أي قطع عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يقرؤون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف وقال علي رضي الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن (فإن الله) تعالى (يأجركم) من الأجر وهو الجزاء على العمل وجمعه أجور وآجار أجره يأجره ويأجره جزاه كذا في القاموس (على تلاوة) أي قراءة (كل حرف) من حروف القرآن وهي حروف التهجي ويطلق الحرف على الكلمة أيضا قال في شرح الدرر وأما تعليمه يعني الجنب القرآن حرفا حرفا فلا بأس به اتفاقا قال والدي رحمه الله تعالى يعني كلمة كلمة كما فسره به الحلبي في شرح المنية ولكن ليس المراد هنا بالحرف الكلمة بدليل ما يأتي (عشر حسنات أما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم قال الجوهري هو تحقيق للكلام الذي يتلوه تقول أما أن زيدا عاقل أعني أنه عاقل على الحقيقة لا على المجاز وتقول أما والله لقد ضرب زيد عمرا (أني لا أقول) كلمة

(الم حرف) واحد (لكن) أقول (ألف) منه (حرف) مستقل أي اسم لمسمى ذلك المسمى حرف (ولام حرف) مستقل أيضا (وميم حرف) كذلك وكل حرف بعشر حسنات فقارئ الم له ثلاثون حسنة وإن اعتبرنا بسط حروف ألف لام ميم فجملة ذلك تسعون حسنة وجعل هذا الحديث في كتاب الإحياء للغزالي موقوفا على حديث ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال قال ابن مسعود رضي الله عنه (**اقرؤوا القرآن، فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات أما إني لا أقول ألم حرف، ولكن أقول الألف حرف واللام حرف والميم حرف**) ووصله النووي في رياض الصالحين حيث قال وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشرة أمثالها لا أقول ألم حرف، ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**) رواه الترمذي وقال حسن صحيح

الحديث الخامس (ت) يعني روى الترمذي بإسناده (عن الحارث بن أغور أنه قال مررت بالمسجد) لعله مسجد النبي صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة (فإذا الناس) أي الصحابة الموجودون هناك حينئذ (يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ) قال في القاموس خاض الماء يخوضه خوضا وخياضا دخله وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ أي في الباطل وتخاوضوا في الحديث تفاوضوا انتهى والمراد أنهم كانوا يتفاوضون في أحاديث الدنيا (فدخلت على علي رضي الله عنه فأخبرته) بما وجدت في المسجد من ذلك (فقال) علي رضي الله عنه (أو قد فَعَلُوهَا) يعني هذه الفعلة على وجه الإنكار لذلك حيث لم يعهده في السنة النبوية (قلت نَعَمْ) يعني فعلوها (قال) علي رضي الله عنه (أَمَا) بالتخفيف كما سبق (إِنِي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يَقُولُ أَلاَ) بالفتح والتخفيف تدل على التحقيق ما بعدها قال في المغني ويقول المعربون فيها حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق نحو (**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ** * القيامة ٤٠) ذكره الأسيوطي في الإتقان (إِنَّهَا) يعني هذه الفعلة المذكورة وهي كلام الدنيا في المساجد كأنها معلومة عند علي

رضي الله عنه من أخبار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولهذا قال أو قد فعلوها على طريقة الاستفهام ويحتمل أن يكون الضمير المؤنث للقصة نظير ضمير الشأن في المذكر قال الأُسْيُوْطِيُّ في الإتقان قال ابن هشام متى أمكن الحمل على غير ضمير الشأن فلا ينبغي أن يحمل عليه ومن أمثلة ضمير الشأن والقصة (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**) (**فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا** * الأنبياء: ٩٧) (**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الْأَبْصَارُ** * الحج: ٤٦) وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بأن يذكر أولا مبهما ثم يفسر (سَتَكُونُ) أي توجد (فِتْنَةٌ) وهي بالكسر الحيرة فتنه يفتنه فتنا وفتونا وأفتنه والضلال والإثم والفضيحة والإضلال واختلاف الناس في الآراء كذا في القاموس وهذه المعاني الستة مناسبة هنا (قلت) يعني قال علي رضي الله عنه (فما المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ الله) أي ما موضع الخروج بالسلامة من تلك الفتنة (قال) رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المخرج منها (كِتَابُ الله) تعالى أي التمسك به ترك الآراء العقلية فإن فيه بيان حكم هذه المسألة كما قال تعالى (**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** * النور: ٣٦) قال أبو محمد الخازن المراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أيضا أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ أي تبنى، وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا أي المكروه من القول وتطهر عن الأنجاس والأقذار (**وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**) قال ابن عباس يتلى فيها كتابه انتهى ففي كتاب الله بيان حكم كل شيء حتى المسألة المذكورة في التكلم في المساجد بكلام أهل الدنيا وفيه المعافاة من كل داء والسلامة من كل فتنة وكل محنة ظاهرا وباطنا (فيه) أي في كتاب الله (نَبَأُ) أي خبر (مَا) أي الذين (قَبْلَكُمْ) وقد يستعمل موضعها من فهما سواء في الإطلاق على من يعقل كما بينته في كتاب خمرة الألحان ورنة الألحان (وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ) يعني علوم الأولين

والآخرين وهي قصص الأمم الماضية وحديث هذه الأمة إلى اليوم القيامة (وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ) في الدنيا من حلال وحرام ومندوب ومكروه ومباح وصحيح وفاسد وفي الآخرة من ثواب وعقاب وعتاب وسؤال وحساب وخلود في نعيم أو في عذاب أليم (هُوَ) يعني كتاب الله (الفَصْلُ) أي الحق من القول أو القضاء بين الحق والباطل كذا في القاموس وضمير الفصل للحصر أي لا فصل غيره كما قال (**هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً** * فاطر: ٣١) (لَيْسَ) هو (بِالْهَزْلِ) أي لم ينزل باللعب فهو جد ليس بالهزل قاله الواحدي، وقال العز بن عبد السلام بالهزل باللعب أو العبث أو الباطل أو الكذب، وقال ابن أقبرس قوله هو الفصل ليس بالهزل إشارة إلى قوله تعالى (**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ** * **وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ** * الطارق: ١٣-١٤) (مَنْ تَرَكَهُ) أي لم يعمل به ولم يقف عند حلاله وحرامه ولم يتعظ بمواعظه فيرغب في ترغيبه ويرهب من ترهيبه وينتصح بنصائحه (مِنْ جَبّارٍ) بيان لمن تركه إذ التارك له لا يكون إلا جبارا وهو كل عات والعظيم القوي الطويل وقلب لا تدخله الرحمة والقتال في غير حق كذا في القاموس وهذه المعاني الأربعة مناسبة هنا (قَصَمَهُ الله) تعالى قال في القاموس قصمه يقصمه كسره وأبانه أو كسره وإن لم يبن فانقصم وتقصم ورجع من حيث جاء انتهى والمعنى أهلكه الله تعالى ودمره في كل أمر شرع فيه لكونه ترك الاقتداء والإتباع لكتاب الله تعالى وتبع رأيه وعقله (وَمَنْ ابْتَغَى) أي طلب يقال بغيته أبغيه طلبته كابتغيته وتبغيته واستبغيته كذا في القاموس (الْهُدَى) بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة، هداه هدى وهديا وهداية بكسرهما أرشده كما في القاموس فيستعمل الهدى بمعنى الدلالة فقط كقوله تعالى (**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى** * فصلت: ١٧) أي دللناهم، وقوله (**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** * الشورى: ٥٢) أي تدل وبمعنى الإيصال إلى الحق كقوله (**مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي** * الكهف: ١٧٨) وقوله (**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ** * القصص: ٥٦) أي لا توصل وإن دللت، والهدى هنا بمعنى الإيصال إلى الحق (فِي غَيْرِهِ) أي في غير كتاب الله تعالى وأما السنة والإجماع والقياس التابع لذلك فهي من الكتاب أيضا بدليل قوله تعالى (**وَمَآ آتَيكُمُ الرَّسُولُ**

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا * الحشر: ٧) وقوله (**وَلاَ تَفَرَّقُوا** * آل عمران: ١٠٣) وقوله (**وَلاَ تَنَازَعُوا** * الأنفال ٤٦) وقوله (**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ** * النساء: ١٣٥) وقوله (**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي ٱلْأَبْصَارِ** * الحشر ٢) فإن الاعتبار هو القياس كما أن النهي عن التفرق والتنازع يقتضي الحث على الإجماع، وذكر الخازن في تفسير قوله تعالى (**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ** * النساء: ١١٥) الآية قال روي أن الشافعي رحمه الله تعالى سئل عن آية من كتاب الله تدل على أن الإجماع حجة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله (**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ** * النساء: ١١٥) وذلك لأن إتباع غير سبيل المؤمنين مفارقة الجماعة وهو حرام فوجب أن يكون إتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا لأن الله تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا أن إجماع الأمة حجة وذكره البيضاوي أيضا في تفسير الآية المذكورة (أَضَلَّهُ الله) تعالى من الضلال وهو ضد الهدى إذ ما بعد كتاب الله تعالى هدى لمهتد وكل ما خالف كتاب الله تعالى فهو باطل (وَهُوَ) أي كتاب الله تعالى (حَبْلُ الله المتِينُ) الذي دلاه من حضرته الغيبية الذاتية إلى حضرته الفعلية فنزل إلى أفعال المخلوقين بمعاني وحروف وكلمات فقرؤوه وعملوا به على حسب توفيقهم له فنجوا وكل من تركه هلك (وَهُوَ الذِّكْرُ الحْكِيمُ) أي المحكم الممنوع من الباطل وهو القرآن لأنه حاكم يستفاد منه جميع الأحكام قاله الخازن، وقال البيضاوي الحكيم المشتمل على الحكم والمحكم الممنوع عن تطرق الخلل إليه وقال الواحدي الحكيم يعنى الحاكم أي المانع من الفساد وكل ما يقبح (وَهُوَ الصِّرَاطُ المسْتَقِيمُ) أصله سراط من سرط الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الإطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل عنه وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم السوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الإسلام ذكره البيضاوي (وَهُوَ الَّذِي لاَ تزيغ) أي لا يميل عن الحق (بِهِ) أي بسببه (الأَهْوَاءُ) جمع هوى وهو إرادة النفس يعني إرادات النفوس وأهواءها من جميع الخلق لا تزيغ بسبب إتباعه والإقتداء بما فيه عن

الطريق الحق، وقال ابن أقبرس الزيغ الخروج عن الشيء والحيد عنه يقال زاغ عن الحق أي خرج عنه، ومنه قوله تعالى (**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا** * آل عمران: ٨) يعني عن الهداية لقوله (**بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**) والأهواء الأغراض النفسانية التي تهوي بصاحبها بالميل إلى المهلكات، قال الله تعالى (**وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ** * الكهف: ٢٨) أي مال مع غرض نفسه تابعا إياه والفرق بين الهوى المقصور والممدود ظاهر وقد أفرد له ابن دريد مصنفا مشهورا والمعنى أن القرآن إذا تمكنت في القلوب معرفة معانيه وأصوله الإعتقادية فلا يطرأ عنها شبهة تورث زيغا وذلك بتوفيق الله تعالى (وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ) هذا في غاية الظهور لأن الله ميز هذا اللسان العربي عن سائر الألسن ومكن الإسماع من حال هذا التمييز كل التمكن فأمن اللبس فيه مثل عين الشمس، قاله ابن أقبرس، وفي القاموس لبس عليه الأمر يلبسه خلطه وألبسه غطاه وأمر ملبس وملتبس مشتبه والتلبيس التخليط والتدليس والألسنة جمع لسان وهو اللغة والمعنى أن هذا القرآن العظيم من غاية ظهوره ووضوحه لا تلتبس معانيه وحكمه وأحكامه وكونه حقا من حق وكونه معجزا للبشر على أحد مطلقا وأهل جميع اللغات التي للخلق يعرفون هذه الصفة له وينتفعون به وإن لم يكن على لغتهم ولا جاء بلسانهم (وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ) قال ابن أقبرس لأنه بحر المعاني فكل ظمآن يطلب ريه منه انتهى فقد عدل فيه عن معنى الأكل إلى معنى الشرب والمراد أن به غذاء العلماء وتربية كمالهم الروحاني لا أن المراد به مجرد تبريد غلة العطش والمراد بالعلماء الذين يغتذون بكتاب الله تعالى العلماء بالله تعالى الذين استغنوا به عمن سواه وهم أهل الخشية قال تعالى (**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** * فاطر: ٢٨) قال الشيخ جمال الدين خليفة في حاشيته على تفسير البيضاوي أي العلماء بالله دون غيرهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته وكمال صفاته وقوة أفعاله وعلموه أنّه كم أهلك من عباده ولم يبال وسينتقم من كثير من العباد يوم القيامة ولا يبالي وما يقال من أن الآية تدل على أن الخشية في العلماء ولا تدل على أن كل عالم فيه خشية فمدفوع بأن مأخذ الاشتقاق يفيد العلية وفي الكشاف في سورة النازعات لأن الخشية لا تكون

إلا بالمعرفة قال تعالى (**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**) أي العلماء به وذكر الخشية لأنها ملاك الأمور من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام (**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ**) الإدلاج السير أول الليل وفي الحاشية المذكور عند قوله تعالى (**وَهُم مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** * الأنبياء: ٢٨) فالعلماء هم العالمون بجلال الله وجماله وعظمته وكماله فمن ذلك علم أن العلماء من هم ومن يقال له عالم (وَلاَ يَخْلُقُ) أي هو ثوب يعنى أنّ القرآن شبه ثوب هو جديد يلبسه المؤمن به فيغشيه بنوره فيخلق المؤمن به ويبلى وينتقل في أطوار خلقته والقرآن جديد لا يخلق بل هو على ما هو عليه لأنه كلام الله تعالى القديم والقديم لا يتغير والمؤمنون به كلهم حادثون والحادث متغير في كل حال (عَلى كَثْرَةِ الترداد) بتكرار التلاوة له والإيمان به والاحتفاظ على الكمال باردية أنواره والتلفف بأدرعة حقائقه وأسراره (وَلاَ تَنْقَضي) أي لا تفرغ ولا تتم (عَجَائِبُهُ) جمع عجيبة أو عجيب على إرادة النوع ومعناه الحالة الحاصلة للمتعجب من الشيء لكونه أمرا مستغربا فإن قلت ذلك معنى قائم بالمتعجب والأعراض تزول بزوال محالها فما معنى كونه لا تنقضي عجائبه ولا بد من انقضاء كل من قام به هذا الوصف قلت إن اعتبر ذلك وصفا قائما بالمعنى القديم فواضح فيه المعنى وإن اعتبر وصفا قائما بصورة نظمه من الألفاظ والأصوات والحروف فيكون ذلك على قصد المبالغة في بقائه دائما إلى حين انقراض الخلق وانقضاء الصحف المكتوب تلك الصور فيها كذا أشار إليه ابن أقبرس (هُوَ الّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجْنّ) وهم جنس من الخلق سموا بذلك لاجتنانهم أي استتارهم عن الأعين والنسبة إليهم جني بالكسر والجنة بالكسر طائفة منهم، قال الخازن اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالأرواح السفلية وزعموا أنهم أسرع إجابة من الأرواح الفلكية إلا أنهم أضعف، وأما جمهور أرباب الملل وهم أتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة وقيل أنها جواهر وليست بأجسام ولا إعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية

فبعضها حرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدد أنواعهم إلا الله تعالى، وقيل أنهم أجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي كونها حاصلة في الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق وينقسمون إلى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الأجسام الهوائية اللطيفة أن تكون مخالفة لسائر أنواع الأجسام في الماهية وأن يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة شاقة تعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون بأشكال مختلفة وذلك بأقدار الله تعالى إياهم على ذلك وقيل إن الأجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الأشعري وجمهور أتباعه (إِذْ) أي حين (سَمِعَتْهُ) أي القرآن من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال الخازن اختلفت الرواية هل رأى النبي صلّى الله عليه وسلّم الجن فأثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وأنكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجع الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك إلا من نبي قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وهو بنخلة عامدا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم وعلى هذا فهو صلّى الله عليه وسلّم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وإنما اعلمه الله عز وجل بما أوحى إليه من قوله (**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ** * الجن: ١) إلى آخره وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بأن الجن والشياطين موجودون يتعبدون بأحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقهم وحالهم وإن نبينا صلّى الله عليه وسلّم مبعوث إلى الإنس والجن فمن دخل في دينه فهو من

المؤمنين ومعهم في الدنيا والآخرة والجنة ومن كذبه فهو الشيطان المبعد من المؤمنين فيهما والنار مستقره وروى الواحدي في تفسيره بإسناده إلى علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله من كان منكم مع النبي صلّى الله عليه وسلّم ليلة الجن فقال ما كان منا معه أحد فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة فقلنا اغتيل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو أستطير فانطلقنا نطلبه في الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء قلنا يا رسول الله أين كنت لقد أشفقنا عليك وقلنا له بتنا الليلة شر ليلة بات بها قوم حين فقدناك فقال إنه أتاني داعي الجن فذهبت أقربهم القرآن فذهب بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم فأما أن يكون صحبه منا أحد فلم يصحبه وقال الخازن في تفسيره قوله تعالى (**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ** * الأحقاف: ٢٩) قال جماعة أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله تعالى إليه نفرا من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه (**إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيكم يتبعني**) فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا فتبعه عبد الله بن مسعود بعد الثالثة قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى إذا أتى على مكة دخل نبي الله صلّى الله عليه وسلّم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم أمرني أن أجلس فيه ولا أخرج حتى يعود إليّ فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى مثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلّى الله عليه وسلّم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم مع الفجر فانطلق إلي فقال لي نمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعت تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يختطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يستنجي بالعظم والروث قال

فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال إنهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال أن الجن بدرت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إليّ فقضيت بينهم بالحق واختلفوا في عدد أولئك النفر الذين صرفهم الله تعالى من الجن إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رسلا إلى قومهم، وقال آخرون كانوا تسعة، وروي أنه كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن، وروي أن الجن ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يرحلون ويظعنون، ونقل بعضهم أن أولئك الجن كانوا يهودا فأسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الإنس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة أصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على أن الكل مكلفون وسئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (حَتّى قالُوا) يعني الجن الذين استمعوا القرآن (إِنّا سَمِعْنَا قُرْآنَا عَجَبَاً) قال ابن عباس بليغا والمعنى قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته، قاله الواحدي وقال البيضاوي عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يَهْدِي إِلَىَ الرّشْدِ) يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان (فَآمَنّا بِهِ) بذلك القرآن ذكره الواحدي (فَمَنْ قالَ بِهِ) أي بكتاب الله تعالى يعني تكلم بما تضمنه من الأحكام والحكم والأسرار والقصص والمواعظ أو من اعتمد عليه في جميع أحواله الظاهرة والباطنة (صَدَقَ) في كل ما يقول وفي جميع أعماله وأفعاله (وَمَنْ عَمِلَ بِهِ) أي بمقتضى ما فيه من الأمر والنهي (أُجِرَ) بالبناء للمفعول أي أثيب يعنى يكتب الله تعالى له الأجر والثواب ولا يضيع الله تعالى له عملا أبدا بل يضاعفه له أضعافا كثيرة بخلاف من لم يعمل به وعمل برأي نفسه ومقتضى عقله فإن عمله مردود عليه يستحق العقاب عليه والعذاب (وَمَنْ حَكَمَ) على نفسه أو على غيره (بِهِ) أي بما جاء في القرآن من أحكام النفس والغير في الظاهر والباطن (عَدَلَ)

في حكمه أي وافق العدل قال في القاموس العدل ضد الجور وما قام في النفس من أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة عدل يعدل (وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ) أي ساق قال في القاموس دعاه ساقه والنبي صلّى الله عليه وسلّم داعي الله ويطلق على المؤذن انتهى يعنى من دعى غيره من الخلق إلى إتباع القرآن والدخول تحت أحكامه والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بقصصه وأمثاله ومعلوم أنه قبل ذلك قد دعا نفسه (هُدِيَ) بالبناء للمفعول أي هداه الله تعالى بمعنى أوصله (إِلىَ صِرَاطٍ) أي طريق (مُسْتَقِيمٍ) استقام اعتدل وقومته عدلته وهو قويم ومستقيم كذا في القاموس وهو طريق الحق ومنهج الصدق قال تعالى (**وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** * آل عمران: ١٠١) قال الواحدي وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ أي يستمسك بحبل الله ويمتنع به، فَقَدْ هُدِيَ إِلىَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ يعني الإسلام وقال الخازن أي إلى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي إلى الجنة

الحديث السادس (حك) يعني روى الحاكم بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (خطب الناس في حجة الوداع) وهي خطبة عرفة، قال القرطبي في شرح مسلم فلما كانت سنة عشر يعني من الهجرة حج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حجته المسماة بحجة الوداع (قال) في أثنا خطبته (إن الشيطان) أي جنسه وهو شيطان كل إنسان (قد يئس أن يعبد) بالبناء للمفعول أي يعبده أحد منكم (بأرضكم) وذلك ببركة الإيمان بالله تعالى وعبادة الشيطان هي عبادة الأصنام لأنه ورد أن الشيطان كان يكلمهم من داخل الأصنام فيسجدوا له وبعد ظهور الإسلام أيس الشيطان من أهل الإسلام أن يعبدوا الأصنام كما كانوا في الجاهلية يعبدونها ويؤيده ما في صحيح مسلم من أنه عليهم السلام قال في خطبة الحج ألاَ كُلّ شَيْءٍ مِنْ أُمُوُرِ الجْاهِلِيّةِ تَحْتَ قَدَمَيّ مَوْضُوعٌ فقال القرطبي في شرحه يعني به الأمور التي أحدثوها والشرائع التي كانوا أشرعوها في الحج وغيره وهذا كقوله صلى الله عليهم وسلم (**مَنْ أحْدَثَ في أمْرِنَا هَذَا ما لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**) (ولكن رضي) أي الشيطان منكم (أن يطاع) أي أن تطيعوه إذا أمركم (فيما سوى ذلك) يعني في غير عبادة الأصنام التي هي عبادته وذلك (فيما

تحتقرون) أي في الأمور التي تحتقرونها (من أعمالكم) ولا تعدونها أمرا كبيرا كقوله تعالى في قصة الإفك (**وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ** * النور: ١٥) قال البيضاوي أي وتقولون كلاما مختصا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب لأنه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله (**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ** * آل عمران: ١٦٧) (**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً** * النور: ١٥) سهلا لا تبعة فيه وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فاحذروا أن يطيعوه في ذلك أو احذروا أن تحتقروا شيئا من أعمالكم فإن احتقار المعصية يوجب عظمها عند الله تعالى حتى ذهب بعضهم في الفرق بين الصغيرة والكبيرة إلى أن الإنسان إذا استصغر الذنب فهو كبيرة وإذا استكبره فهو صغيرة كما بينته في كتاب المطالب الوفية (إني قد تركت) أي أبقيت (فيكم) أي فيما بينكم وعندكم (ما) أي شيء عظيم (إن اعتصمتم) أي تمسكتم به في جميع أموركم (فلن تضلوا) أي لا تقعون في الضلال ما دمتم متمسكين بذلك (أبدا) وهو (كتاب الله) تعالى (وسنة نبيه) صلّى الله عليه وسلّم وهما شيئان في الظاهر وشيء واحد في حقيقة الأمر لأن الكل وحي، قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرح الجامع الصغير الأحاديث القدسية تفارق القرآن بأنه اللفظ المنزل للإعجاز بشيء منه، والحديث القدسي إخبار الله تعالى نبيه عليه السلام معناه بإلهما أو منام فأخبر عنه بعبارة نفسه وبقية الأحاديث لم يضفها إليه ولم يروها فالقرآن أشرف الكل فالقدسي لأنه نص إلهي في الدرجة الثانية وإن كان بغير واسطة ملك غالبا لأن المنظور إليه معناه دون لفظه وفي التنزيل اللفظ والمعنى معا ذكره الطيبي انتهى وقال القسطلاني في المواهب اللدنية في الكلام على قوله تعالى (**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** * النجم: ١-٤) تأمل كيف قال تعالى (**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ**) ولم يقل ما ضل محمد تأكيدا لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله وإنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه أمرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل (**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ**

* المؤمنون: ٦٩) ثم نزه نطق رسوله صلّى الله عليه وسلّم أن يصدر عن هوى فقال تعالى (**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**) ولم يقل وما ينطق الهوى لأن نفي نطقه عن الهوى أبلغ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن نفي الأمرين نطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال ثم قال تعالى (**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**) فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أي ما نطقه إلا وحي يوحى وهذا أحسن من جعل الضمير عائدا إلى القرآن فإن نطقه بالقرآن والسنة وإن كلاهما وحي يوحى قال الله تعالى (**وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** * النساء: ١١٣) وهما القرآن والسنة وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالسنة كما نزل عليه بالقرآن يعلمه إياه

الحديث السابع (ت) يعني روى الترمذي بإسناده (عن علي رضي الله عنه قال) يعني عليا رضي الله عنه (قالَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم) (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ) أي تلاه أو تعلم تلاوته (واستظهره) أي حفظه عن ظهر قلبه قال في القاموس استظهر به استعان من ظهر القلب أي حفظا بلا كتاب وقرأه ظاهرا واستظهره وأظهرت على القرآن وأظهرته قرأته على ظهر لساني انتهى وحفظ القرآن الكريم عن ظهر القلب فرض كفاية قال والدي رحمه الله تعالى في كتابه الأحكام ومعزيا إلى المضمرات حفظ قدر ما تجوز به الصلاة من القرآن فرض عين وحفظ الفاتحة وسورة واجب وأما حفظ جميع القرآن ففرض كفاية انتهى وفي لفظ استظهر الواقع في الحديث من الأدب ما ليس في قولهم حفظ ولهذا نقل الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه روح القدس في ترجمة شيخه أبي جعفر العريبي رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل معه ابنه قال الشيخ الأكبر وأنا إلى جانبه جالس فسلم عليه وقال لابنه سلم عليه وكان الشيخ قد ذهب بصره فقال له الرجل يا سيدنا ابني هذا من حملة القرآن يحفظه فتغير الشيخ وصاح وطرأ عليه حال وقال القديم يحمله المحدث، القرآن يحمل ابنك ويحملنا ويحفظ ابنك ويحفظنا فهذا كان من حضوره رضي الله عنه (فَأَحَلّ) الفاء للسببية إذ

قراءته واستظهاره سبب لذلك (حَلاَلَهُ) أي حلال القرآن يعنى اتخذ الأحكام الحلال التي فيه حلالا ولم يحرم شيئا منها ظاهرا وباطنا (وَحَرّمَ حَرَامَهُ) أي اتخذ جميع ما فيه من الأحكام الحرام أيضا حراما ولم يحلل شيئا منها والمراد أنه اعتقد ذلك وعمل عليه ذلك وأما إذا اعتقده ولم يعمل به بأن ترك الحلال وفعل الحرام فهو فاسق وإن لم يعتقد الحلال حلالا والحرام حراما فهو كافر كما سيأتي بيانه (أَدْخَلَهُ الله بِهِ) أي بسببه بسبب القرآن الذي قرأه واستظهره (الْجَنّةَ) مع السابقين الأولين إن مات على ذلك وإن شقي قبل موته لم ينفعه ذلك وهو محتمل فلا يترك لأجل احتماله ما هو الأصل المحقق وهو بقاء ما كان على ما كان (وَشَفّعَهُ) بالتشديد أي قبل الله تعالى شفاعته (فِي عَشْرَةٍ) أشخاص (مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ) ذكورا كانوا أو إناثا وهم سكان بيته أبناؤه وآباؤه وأزواجه وكل من اتصل به من قبل آبائه كما ذكره الفقهاء في كتاب الوقف لو قال أوقفت على أهل بيتي يدخل فيه أبو الواقف وولده من الصلب وكل من اتصل به من قبل آبائه إلى أحزاب في الإسلام ومن قبل أولاده الذكور ولا يدخل قوم الأم لأن الإنسان يعد من قوم الأب لا من قوم الأم واختلف في أولاد البنات كما حررته في شرحي على عمدة الحكام (كُلّهُمْ) أي العشرة المذكورين على طريقة التغليب بضمير المذكر (قد وَجَبَتْ لَهُ) أي لكل واحد منهم (النّارُ) أي دخولها والتعذيب بها يعني استحقها لاقترافه الذنوب وموته بلا توبة على وجه التطهير لا التكفير لأن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين

(**النوع الثاني**) من النوعين اللذين اشتمل عليهما الفصل الأول (في) بيان (الاعتصام) أي التمسك (بالسنة) أي سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهي قوله وفعله وسكوته كما مر والدليل على ذلك (الآيات) القرآنية وهي سبعة عشرة آية من سور شتى تذكر على الترتيب

الآية الأولى من سورة آل عمران وهي قوله تعالى (قُلْ) يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا (**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ** * المائدة: ١٨) أو لقريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها

فوقف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليهم فقال **(يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل)** فقالت قريش إنما نعبدها حبا لله ليقربونا إلى الله الزلفى فنزلت الآية وقيل أن نصارى نجران قالوا إنما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فأنزل الله تعالى هذه الآية كذا في تفسير الخازن (إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ) فيما تزعمون وتعبدون الأصنام لتقربكم إلى الله (فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم قاله الواحدي وقال الخازن، لأنه قد ثبت نبوة محمد صلّى الله عليه وسلّم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل إن كنتم صادقين في ادعاء محبة الله منقادين لأوامره ومطيعين له فاتبعوني فإن إتباعي من محبة الله وطاعته، وقال البيضاوي المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلاّ لله وإنّ كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه الاّ لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لإتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته وقال القسطلاني في مواهبه اعلم أن المحبة كما قال صاحب المدراج هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون وإليها تشخص العاملون فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل أثقال السائرين إلا بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها وتبوءهم من مقاعد الصدق إلى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها وقد قدر الله تعالى يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب فيا لها نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم إلى السعادة وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون وقد اختلفوا في المحبة

وعباراتهم وإن كثرت فليست في الحقيقة ترجع إلى اختلاف مقال وإنما هي اختلاف أحوال وأكثرها يرجع إلى ثمرتها دون حقيقتها، وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهدها فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته وإثبات المحب لذاته وهذا من أحكام الفناء في المحبة وهو أن تمحى صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو لأبي يزيد وهو أيضا من أحكامها وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيي منه ولو ناله من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الأول لكنه مخصوص بما من المحب ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو أيضا حكم المحبة وموجبها ومنها أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء وهو لسيدنا أبي عبد الله القريشي وهو أيضا من موجبات المحبة وأحكامها والمراد أن تهب إرادتك وعزماتك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا في مرضاته ومحابه ولا تأخذ منها لنفسك إلا ما أعطاكه فتأخذ منه له ومنها أن تمحو عن القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك ومنها أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك وهو للشبلي ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها أن يكون مثلك يحبه ومنها غض طرف المحبوب عما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة فإن غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل لكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه، قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف

ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره فلا ريب أن من أحب شيئا أكثر من ذكره ومنها الميل إلى ما يوافق الإنسان كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة وغير ذلك من الملاهي التي لا يخلو كل طبع سليم عن الميل إليها لموافقتها أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة أو يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة إحسانه إليه وإنعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها كما رواه أبو نعيم في الحلية، وأبو الشيخ وغيرهما، فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعا أو استنقذه من هلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الأليم من لا يفنى ولا يحول وهو الله سبحانه وتعالى ثم بسط الكلام في هذا المقام (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) فيحببكم ويغفر لكم جواب الأمر أي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوءكم في جوار قدسه عبر عن ذلك المحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة قاله البيضاوي (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يعني أنه تعالى يغفر ذنوب من أحبه ويرحمه بفضله وكرمه

الآية الثانية من سورة آل عمران أيضا وهي قوله تعالى (قُلْ) يا محمد ولما نزلت الآية الأولى قال عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين لأصحابه أن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فأنزل الله تعالى هذه الآية (أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ) يعنى أنّ طاعة الله متعلقة بطاعة رسوله صلّى الله عليه وسلّم فإن طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه كل أمر أو نهي ثبت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما أمر الله به في كتابه أو نهى عنه، وقال ابن عباس معناه فإن طاعتكم لمحمد صلّى الله عليه وسلّم طاعتكم لي، فأما إن تطيعوا وتعصوا محمدا فلن أقبل منكم قاله الخازن (فَإِن تَوَلَّوْا) أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وإنما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولي كفر به من هذه الحيثية بنفي محبة الله وأن محبته مخصوصة بالمؤمنين ذكره البيضاوي، وقال

الخازن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم (**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبىَ**) قَالُوا وَمَنْ يَأْبَى قَالَ (**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبىَ**) وعنه قال قال صلّى الله عليه وسلّم (**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**)

الآية الثالثة من سورة آل عمران أيضا وهي قوله تعالى (وَأَطِيعُوا اللهَ) يعنى فيما أمركم به ونهاكم عنه (وَالرَّسُولَ) أي وأطيعوا الرسول أيضا فإن طاعته طاعة الله (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أي لكي ترحموا ولا تعذبوا إذا أطعتم الله ورسوله فإن طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قاله الخازن وقال البيضاوي لعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل خبرا له

الآية الرابعة من سورة آل عمران أيضا وهي قوله تعالى (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) يعني أحسن إليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى وقال البيضاوي أنعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها (إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ) يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم من أنفسهم نسبه وليس حي من أحياء العرب إلاّ وقد ولده وله فيهم نسب إلاّ نبي تغلب فإنهم كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية فطهر الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وسلّم من أن يكون له فيهم نسب، قاله الخازن وقال البيضاوي من أنفسهم من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به وقرئ من أنفسهم أي من أشرفهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم وقال الخازن، وقيل أراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله من أنفسهم أي بالإيمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا أحد من غير بني آدم وقيل من أنفسهم يعني أنه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام ووجه المنة والإنعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلّى الله عليه وسلّم لكونه داعيا لهم إلى ما يخلصهم من العذاب

العظيم ويوصلهم إلى الثواب في جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لأنه إذا كان اللسان واحدا سهل الأخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع أحواله وأفعاله يعرفون صدقه وأمانته فكان أقرب إلى تصديقه والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به أبو طالب حين زوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة ببيته وسواس حزبه وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وأن ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى إلاّ رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل، وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليهم وسلم إن الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وأنعم عليهم وأحسن إليهم بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم أنقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به إلى صراط مستقيم وإنما خص المؤمنين بالذكر لأنهم هم المنتفعون بما جاء بهم دون غيرهم (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) يعنى يقرأ عليهم كتابه الذي أنزل عليه بعد أن كانوا أهل الجاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي السماوي (وَيُزَكِّيهِمْ) أي يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث ذكر الخازن، وقال البيضاوي ويطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) يعنى القرآن والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلّى الله عليه وسلّم قاله الخازن وقال البيضاوي يعني القرآن والسنة ولم يقل التي سنها على لسان نبيه لقصد تعميمها حتى تشمل الفعل والسكوت (وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ) أي من قبل بعثة الرسول صلّى الله عليه وسلّم (لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلّى الله عليه وسلّم ذكره الخازن

الآية الخامسة من سورة النساء وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ) يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول صلّى الله

عليه وسلّم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية أمر الناس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل يعني في الآية قبله وهي قوله تعالى (**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** * النساء: ٥٨) تنبيها على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى (**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ** * النساء: ٨٣) ذكره البيضاوي، وقال الواحدي أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ إتباع الكتاب والسنة وأولى الأمر منكم، قال ابن عباس في رواية الوالبي هم الفقهاء والعلماء أهل الدين يعلمون الناس معالم دينهم أوجب الله طاعتهم، وقال في رواية عطاء هم الولاة وقيل هم الأمراء والسلاطين لما أمروهم بأداء الأمانة في الرعية بقوله تعالى (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** * النساء: ٥٨) الآية أمرت الرعية بحسن الطاعة لهم فيما وافق الحق، قال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**أَلاَ مَنْ وَلِي عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلاَ يَنْزِعَنَّ يَداً مِنْ طَاعَةٍ**) رواه مسلم، وقال الخازن عن ابن عباس قال نزلت الآية في عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي السهمي إذ بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سرية، وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك أنه بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل إلى عمار قد أسلم فأمنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فأخذ مال الرجل فقال عمار إني قد أمنته وقد أسلم فقال خالد تجير علي وأنا الأمير فتنازعا وقدما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير الثانية على أمير، فأنزل الله تعالى (**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** * النساء: ٥٩) وأصل الطاعة الانقياد لذلك الأمر، وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلّى الله عليه وسلّم واجبة أيضا لقوله تعالى وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فأوجب طاعة رسوله صلّى الله عليه وسلّم على الخلق، واختلف العلماء في أُولِي الأَمْرِ مِنكُم الذين أوجب الله تعالى طاعتهم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلّمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد، وقال أبو هريرة هم

الأمراء والولاة وهي رواية عن ابن عباس أيضا، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة فإذا أمر فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا وعن ابن عمر رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ أو كره إلاّ أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**)، وعن أنس أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ ما أقام فيكم كتاب الله**)، وقال ميمون بن مهران هم أمراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس أيضا ووجه هذا القول أن الآية نازلة فيهم، وقال عكرمة أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله قال، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إِنّي لاَ أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ، فاقْتَدُوا بالّذين مِنْ بَعْدِي أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ**) أخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة رضي الله عنهم لما روي عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أصحْابي كالنُجومِ بأيهم اقتديْتُم اهتدَيْتُم**) أخرجه رزين في كتابه، وروى البغوي بسنده عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح**) قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح، قال الطبري وأولى الأقوال بالصواب قول من قال هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة أولي الأمر من يقوم بشأن المسلمين في أمر دينهم وجميع ما أدى إليه صلاحهم قال العلماء طاعة الإمام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فإذا زل عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وإنما تجب طاعته فيما واقف الحق انتهى ويؤيد هذا ما رواه الإمام أحمد ابن حنبل في مسند العشرة قال في مسند على رضي الله عنه حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سعد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

سرية واستعمل عليهم رجلا من الأنصار فلما خرجوا قال وجد عليهم في شيء قال فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن تطيعوني قالوا بلى قال فقال اجمعوا حطبا ثم دعا بنار فأضرمها فيه ثم قال قد عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم بدخولها قال فقال لهم شاب منهم إنما فررتم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإن أمركم أن تدخلوها فأدخلوها قال فرجعوا إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فأخبروه قال لهم (**لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا إنما الطاعة في المعروف**) انتهى وقال شيخي زاده في حاشيته على البيضاوي عند قوله تعالى (**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا** * البقرة: ٣١) المراد من أولي الأمر العلماء في أصح الأقوال لأنّ الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس وقال الشيخ العيني رحمه الله تعالى في شرح الكنز قوله وللشاب العالم أن يتقدم على الشيخ الجاهل في مسائل شتى آخر الكنز لأنه أفضل منه قال الله تعالى (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** * الزمر: ٩) ولهذا يقدم في الصلاة وهي أحد أركان الإسلام وهي تالية الإيمان وقال تعالى (**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** * النساء: ٥٩) والمراد بأولي الأمر العلماء في أصح الأقوال والمطاع شرعا مقدم وكيف لا يقدمون والعلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام على ما جاء به السنة (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ) أنتم وأولوا الأمر منكم (فِي شَيْءٍ) من أمور الدين وهو يؤيد الوجه الأول يعني من أن المراد بأولي الأمر الأمراء إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس إلاّ أن يقال الخطاب لأولي الأمر على طريقة الالتفات قاله البيضاوي وقال الخازن تنازعتم يعني اختلفتم في شيء من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصلها من انتزاع الحجة وهو أنّ كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فَرُدُّوهُ إِلَىَ اللهِ وَالرَّسُولِ) أي ردوا ذلك الأمر الذي تنازعتم فيه إلى كتاب الله عز وجل وإلى رسوله صلّى الله عليه وسلّم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه إلى سنته والرد إلى كتاب الله وسنة رسول الله واجب فإن وجد ذلك الحكم في كتاب الله أخذ به فإن لم يوجد في كتاب

الله ففي سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإن لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد، وقيل الرد إلى الله ورسوله أن تقول لما لا تعلم الله ورسوله اعلم وقال البيضاوي فردوه فراجعوا فيه إلى الله إلى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا أنه تعالى أوجب رد المختلف إلى كتابه وسنته دون القياس وأجيب بأن رد المختلف إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد إليهما على وجه القياس وقال الواحدي روى عن عمر بن ميمون عن أبيه قال قال مسلمة بن عبد الملك أليس قد أمرتم بطاعتنا يعني (**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**) قال قلت إن الله انتزعه منكم إذا خالفتم الحق قال الله تعالى (**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىَ اللهِ وَالرَّسُولِ**) قال فأين الله قلت الكتاب قال فأين الرسول قلت السنة والمعنى فإن تنازعتم في شيء أنتم وأمراؤكم فردوا الحكم فيما تنازعتم فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله (إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) يعني افعلوا ذلك الذي أمرتكم به إن كنتم تؤمنون بالله وإن طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي فيه جزاء الأعمال قال العلماء في الآية دليل على أن من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالأحاديث الواردة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر قاله الخازن (ذَلِكَ) أي ردكم ما اختلفتم فيه إلى الكتاب والسنة وترككم التجادل (خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) أي أحمد عاقبة والعاقبة تسمى تأويلا لأنها مآل الأمر يقال إلى هذا مآل الأمر وتأويله أي عاقبته قاله الواحدي وقال الخازن وقيل معناه ذلك أي ردكم ما اختلفتم فيه إلى الله ورسوله أحسن تأويلا منكم له وأعظم أجرا انتهى وفي هذا المعنى تأييد لمذهب السلف الصالحين في الآيات المتشابهات وأن تسليمها إلى الله أحسن وأعظم أجرا عنده

الآية السادسة من سورة النساء أيضا وهي قوله تعالى (فَلاَ) أي ليس الأمر كما زعموا أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال (وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ)

وهذا قول بعضهم إن الآية نازلة في قصة اليهودي والمنافق اللذين اختصما وهي متصلة بما قبلها والذي قبلها قوله تعالى (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ** * النساء: ٦٠) الآية قال المفسرون وقع نزاع بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين فقال اليهودي بيني وبينك أبوالقاسم يعني النبي صلّى الله عليه وسلّم وعلم أنه لا يقبل الرشوة وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الأشرف لأنه علم أنه يأخذ الرشوة ويميل في الحكم فاختلفا ثم اتفقا أن يأتيا كاهنا من جهينة فيتحاكما إليه فأنزل الله تعالى (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ**) وقال آخرون هذه مستأنفة نازلة في قصة أخرى وهي ما أخبرنا أن الزبير خاصم رجلا من الأنصار إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم في شراج الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم للزبير أسق ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري فقال يا رسول الله إن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم قال للزبير أسق ثم أحبس الماء حتى يرجع إلى الجدر فاستوعى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للزبير حقه وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة له وللأنصاري فلما أحقد الأنصار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا حاطب بن أبي بلتعة فقال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ويتهمونه في القضاء والله لقد أذنبنا مرة في حياة موسى عليه السلام فقال لنا موسى اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ففعلنا فقتل سبعون ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس والله لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت فأنزل الله في شأن حاطب وليه شدقه (**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ**) الآية قال عروة قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلاّ في ذلك والشراج جمع شرج وهو مسيل الماء من الحرة إلى الوادي ذكره الواحدي والخازن (حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) أي اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه قاله البيضاوي يقال شاجره في الأمر إذا نازعه مشاجرة وتشاجروا تشاجرا واشتجروا وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض

عند المنازعة (ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ) أي ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله فإن الشاك في ضيق من أمره (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ذكره البيضاوي وقال الواحدي يعني يرضون بقضائك وقيل لا تضيق صدورهم بقضيتك ويسلموا لما يأتي من حكمك لا يعارضونه بشيء أي لا يتركون الرضاء بحكمك ويتركون التسخط والمنازعة

الآية السابعة من سورة النساء أيضا وهي قوله تعالى (وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ) نزلت الآية في ثوبان مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان شديد الحب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(ما غير لونك)** قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك أستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم أني إذا ذكرت الآخرة أخاف أن لا أراك لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين وإني وإن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا وقيل أن بعض أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فيكف نراك فأنزل الله هذه الآية ذكره الخازن وقال الواحدي أن ناسا من الأنصار قالوا يا رسول الله إنك تسكن الجنة في أعلاها ونحن نشتاق إليك فكيف نصنع فنزلت هذه الآية وقيل جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يبكي فقال **(وما يبكيك يا فلان)** فقال يا رسول الله بالله الذي لا إله إلاّ هو لأنت أحب إلي من نفسي وأهلي ومالي وولدي وإني لأذكرك وأنا في أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى أراك وذكرت موتي وإنك ترفع من النبيين وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك فلم يرد النبي صلّى الله عليه وسلّم شيئا فأنزل الله تعالى ومن يطع الله يعني في الفرائض والرسول يعنى في السنن فأولئك يعني المطيعين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين أي أنه يستمتع برؤية النبيين وزيارتهم والحضور معهم فلا يتوهمن من أجل أنهم في أعلى عليين أنه لا يراهم وقال الخازن من يطع الله في أداء الفرائض

واجتناب النواهي والرسول أي ويطع الرسول في السنن التي سنها فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة من النبيين يعني أن المطيعين مع النبيين في الجنة لا يفوتهم رؤية الأنبياء في الجنة ومجالستهم لا أنهم يكونون في درجتهم في الجنة لأن ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول (وَالصِّدِّيقِينَ) جمع صديق فعيل وهو الكثير الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق الذي صدق بكل الدين لا يخالجه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كأبي بكر فإنه هو الذي سمى بالصديق من هذه الأمة وهو أفضل أتباع الرسل قاله الخازن وقال الواحدي كل من صدق بكل ما أمر الله لا يداخله شك وصدق الأنبياء فهو صديق وهو قوله تعالى (**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ** * النساء: ١٥٢) وقيل الصديقون أول من صدق الأنبياء حين عاينوهم (وَالشُّهَدَاء) يعني القتلى في سبيل الله وقال الخازن هم الذين استشهدوا يوم أحد (وَالصَّالِحِينَ) جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته في الخير وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلّى الله عليه وسلّم وبالصديقين أبو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة وقال الواحدي والصالحون هم سائر المسلمين وقال البيضاوي (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين أو حال منه أو من ضميره قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الأنبياء عليهم السلام الفائزون بكمال العلم والعمل والمتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليه ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعة الله تعالى وأموالهم في مرضاته ولك أن تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله تعالى وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين في مقام الاستدلال والبرهان

والأولون إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الأنبياء عليهم السلام أو لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعد وهم الصديقون والآخرون إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون في العلم الذين هم شهداء لله في أرضه وإما أن يكون بأمارات وإقناعات تطمئن إليه نفوسهم وهم الصالحون (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ولم يجمع لأنه يقال للواحد والجمع كالصديق أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا وقال الواحدي وحسن (أولئك رفيقا يعني الأنبياء وهؤلاء رفيقا أي أصحابا ورفقاءهم جمع رفيق وسمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ويقال للجماعة في السفر رفقة لارتفاق بعضهم ببعض ووحد الرفيق لأن الواحد في التمييز ينوب عن الجماعة نحو قولك هذا أجمل فتى المعنى هو أجمل الفتيان

الآية الثامنة من سورة النساء أيضا وهي قوله تعالى (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) يريد أن طاعتكم لمحمد صلّى الله عليه وسلّم طاعة الله وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وذكر الشافعي في الرسالة في باب فرض طاعة الرسول هذه الآية وقال كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا أداء شيء من العبادات وإذا كان الرسول من الشريعة بهذه المنزلة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ذكره الواحدي وقال البيضاوي لأنه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى وقال الخازن سبب نزول هذه الآية أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال **(من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله)** فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فأنزل الله هذه الآية **(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ)** يعني فيما أمر به ونهى عنه فقد أطاع الله فطاعة الرسول صلّى الله عليه وسلّم طاعة الله لأنه هو آمر به

الآية التاسعة من سورة النساء أيضا وهي قوله تعالى (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ) أي يخالفه من الشق فإن كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر ذكره البيضاوي نزلت

في طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث من الأنصار سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكان الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق فجحده طعمة فأنزل الله تعالى قوله (**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً** * النساء: ١٠٥) آخر الآية ثم حكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على طعمة بالقطع فخاف على نفسه الفضيحة فهرب إلى مكة كافرا مرتدا عن الدين فأنزل الله فيه (**ومن يشاقق الرسول**) يعني يخالفه في التوحيد والإيمان (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى) ظهر له أن دين الإسلام وأن ما أتى به محمد صلّى الله عليه وسلّم حق وصدق قاله الواحدي وقال الخازن أي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الإسلام وذلك لأن طعمة كان قد تبين له بما أنزل فيه وأظهر من سرقته ما يدله على صحة دين الإسلام فعادى الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأظهر الشقاق ورجع عن الإسلام (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) أي غير ما هم عليه من إعتقاد وعمل ذكره البيضاوي وقال الخازن يعني ويتّبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الإيمان ويتبع عبادة الأوثان (نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى) أي نجعله واليا لمن تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره قاله البيضاوي وقال الخازن أي نكله في الآخرة إلى ما نولي في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ) أي ونلزمه جهنم وأصله من الصلا وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وَسَاءتْ مَصِيراً) يعني وبئس المرجع إلى النار وقال البيضاوي والآية تدل على حرمة مخالفة الإجماع لأنه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة وإتباع غير سبيل المؤمنين وذلك إما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما والثاني باطل إذ يصح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخنزير استوجب الحد وكذا الثالث لأن المشاقة

محرمة ضم إليها غيرها أو لم يضم وإذا كان إتباع غير سبيلهم محرما كان إتباع سبيلهم واجبا لأن ترك إتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم إتباع غير سبيله

الآية العاشرة من سورة الأعراف وهو قوله تعالى (قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء) يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام (**عذابي أصيب به من أشاء من خلقي وليس علي اعتراض لأن الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لأحد عليه اعتراض**) (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) يعني أن رحمته تعالى عمت خلقه كلهم البر والفاجر في الدنيا وهو للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل للمؤمنين خاصة في الدين والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله تعالى له فإذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قاله الخازن وقال الواحدي ورحمتي وسعت كل شيء قال الحسن وقتادة أن رحمته وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي إن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) أي يتركون الكفر والمعاصي (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق عليهم (وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) فلا يكفرون بشيء منها (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ) سماه رسولا بالإضافة إلى الله ونبيا بالإضافة إلى العباد (الأُمِّيَّ) الذي لا يكتب ولا يقرأ وصف به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته، قاله البيضاوي وقال الواحدي قال قتادة وابن عيينة في قوله ورحمتي وسعت كل شيء قال إبليس أنا من ذلك الشيء فأنزل الله فسأكتبها للذين يتقون إلى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتوراة والإنجيل ونؤدي الزكاة فاختلسها الله من إبليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الأمة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الأمي وهو نبيكم كان أميا لا يكتب (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ) يجدون نعته ونبوته وأمره عن الصلصال قال كنا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوما فقال لنا إن عبادة بن

الصامت عليل امضوا بنا لنعوده فوثب صلّى الله عليه وسلّم وأمنا واتبعناه فاجتاز في طريقه برجل من اليهود يمرض ابنا له فمال إليه فقال (**يا يهودي هل تجدونني عندكم مكتوبا في التوراة**) فأومأ إليه اليهودي برأسه يعلمه أنهم لا يجدونه عندهم في التوراة مكتوبا فقال ابن اليهودي والله يا رسول الله إنهم يجدونك عندهم في التوراة مكتوبا ولقد طلعت وإن في يده لسفرا من التوراة يقرأ فيه صفتك وصفة أصحابك وذكرك فلما رآك ستره عنك فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمدا عبده ورسوله فكانت آخر ما تكلم به الغلام حتى قضى نحبه فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أقيموا على أخيكم حتى تقضوا حقه**) قال فحلنا بين اليهودي وبينه وتولينا أمره حتى واريناه وانصرفنا وقال الخازن المراد بالذين يتبعون الرسول جميع أمته الذين آمنوا واتبعوه سواء كانوا من بيني إسرائيل أو غيرهم وأجمع المفسرون على أن المراد بالرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم وصفه بكونه رسولا لأنه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلّغ رسالاته وأوامره ونواهيه وشرائعه إليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا أيضا من أعلى المراتب وأشرفها وذلك يدل على أنه رفيع القدر عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالأمي قال ابن عباس هو نبيكم صلّى الله عليه وسلّم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى الأمي هو الذي على صفة أمة العرب لأن العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبي صلّى الله عليه وسلّم كان كذلك ولهذا وصفه الله تعالى بكونه أميا وصح في الحديث أنه صلّى الله عليه وسلّم قال نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب قال أهل التحقيق وكونه صلّى الله عليه وسلّم أميا من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه أنه صلّى الله عليه وسلّم أتى بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين والمغيبات وأعجز الخلائق بفصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى (**سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى** * الأعلى: ٦) وقيل إنه لو كان يحسن الكتابة ثم أنه أتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال أنه كتبه ونقله عن غير فلما كان أميا وأتى بهذا الكتاب

العظيم دل على كونه معجزة له صلى لله عليه وسلم فإن الكتابة تعين الإنسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم أنه أتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على أحد فدل ذلك على كونه معجزة له صلّى الله عليه وسلّم وقيل في معنى الأمي الذي هو منسوب إلى أمه كأنه لم يخرج بعد عن من ولدته وقيل سمي أميا لأنه منسوب إلى أم القرى وهي مكة والذين يجدونه مكتوبا عندهم يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في التوراة فقال أجل إنه موصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً** * الأحزاب: ٤٥) وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلاّ الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا والصخاب الكثير الصياح ويقال بالسين المهملة أيضا (يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ) قال ابن عباس يريد مكارم الأخلاق وصلة الأرحام (وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ) عبادة الأوثان وقطع الأرحام ولم يكن صلّى الله عليه وسلّم يخصص أحدا منهم بعينه على وجه الإغلاظ والتبكيت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل كان يلين الكلام لكل واحد خصوصه طمعا في إيمانه وقبوله النصح ويغلظ عليهم من حيث عمومهم بلا تخصيص أحد فليكن هكذا طريقة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من هذه الأمة المحمدية ولا يبتدعون كيفية سيئة بتخصيص أحد بعينه وإن ظهر منكره فإن ستره متعين كما كان يستر النبي صلّى الله عليه وسلّم ما هو أبلغ من المعصية وهو الكفر وسنبينه إن شاء الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) يعني ما كان يحرمه أهل الجاهلية من البحائر

والسوائب والوصائل والحوامي وغيرها (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ) الميتة والدم ولحم الخنزير قاله الواحدي وقال البيضاوي يحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة وقال الخازن يأمرهم بالمعروف يعني بالايمان والتوحيد وينهاهم عن المنكر يعني الشرك وقيل المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة ويحل لهم الطيبات يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحوم الإبل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو المستلذات التي تستطيبها النفس ويحرم عليهم الخبائث قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس انتهى وهذا القول بأن المراد بالخبائث كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس يقتضي أن تكون اللام في الخبائث لاستغراق الجنس وهو خلاف الأصل المقرر عند علماء الأصول من أنه متى أمكن حمل اللام على العهد لا يعدل عنه إلى حملها على غيره إلا إذا تعذر قال في متن المنار في أصول الفقه إذا دخلت لام المعرفة فيما لا يحتمل التعريف بمعنى العهد أوجبت العموم وقال ابن ملك في شرحه أي عموم الجنس ثم قال لأن اللفظ الذي تدخل عليه اللام دال على الماهية بدون اللام فحمل اللام على الفائدة الجديدة أولى من حمله على تعريف الجنس والفائدة الجديدة إما تعريف العهد أو استغراق الجنس فتعريف العهد أولى من الاستغراق لأنه إذا ذكر بعض أفراد الجنس خارجا أو ذهنا فحمل اللام على ذلك البعض أولى من حمله على جميع الأفراد لأن لبعض متيقن وإذا لم يحتمل العهد فالاستغراق متعين وفي شرح مرقاة الأصول اعلم أن الأصل الراجح عند علماء الأصول هو العهد الخارجي لأنه حقيقة التعيين وكمال التمييز ثم الاستغراق لأن الحكم على نفس الحقيقة بدون اعتبار الأفراد قيل الاستعمال جدا والعهد الذهني موقوف على وجود قرينة البعضية فالاستغراق هو المفهوم من الإطلاق حيث لا عهد والخارج انتهى وبهذا الاعتبار اقتصر البيضاوي والواحدي كما ذكرنا على القول بأن المراد من الخبائث الخبائث المعهودة كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا والرشوة ونحو ذلك فمن أثبت به حراما

جديدا لم يصب لعدم عمومه حيث تعين لعهد خارجي (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) يعني ثقلهم وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالإصر هنا العهد والميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة من الأحكام وكانت تلك شديدة قاله الخازن وقال الواحدي قال الزجاج الإصر ما عقدته من عقد ثقيل قال ابن جبير هو شدة العبادة (وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) قال البيضاوي ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وقال الخازن يعني ويضع الأثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقرض الثوب المتنجس بالقراض وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت وأن صلاتهم لا تجوز إلاّ في الكنائس وتتبع العروق من اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني إسرائيل شبهت بالأغلال مجازا لأنّ التحريم يمنع من الفعل كما أنّ الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق كما أن اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد إلى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الأثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلّى الله عليه وسلّم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلّى الله عليه وسلّم (**بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّهْلة السَّمْحَةِ**) (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ) أي بمحمد صلّى الله عليه وسلّم (وَعَزَّرُوهُ) يعني وقروه وعظموه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير الشيء تعظيمه وإجلاله ودفع الأعداء عنه (وَنَصَرُوهُ) يعني على أعدائه (واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ) وهو القرآن سمي نورا لأن به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة إلى ضياء اليقين والعلم ذكره الخازن وقال البيضاوي النور الذي أنزل معه أي مع نبوته يعني القرآن وإنما سماه نورا لأنه بإعجازه ظاهر من مظهر غيره أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوه أي واتبعوا النور المنزل مع إتباع النبي فيكون إشارة إلى إتباع الكتاب والسنة (أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون بالرحمة الأبدية

الآية الحادية عشر عقيب هذه الآية من السورة المذكورة وهو قوله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ) الخطاب عام وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مبعوثا إلى كافة الثقلين وسائر الرسل إلى أقوامهم (جَمِيعاً) حال من إليكم قاله البيضاوي وقال الخازن الخطاب للنبي صلّى الله عليه وسلّم أي قل يا محمد للناس إني رسول الله إليكم جميعا لا إلى بعضكم دون بعض ففي الآية دليل على عموم رسالته إلى كافة الخلق لأنّ قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم أمره الله عز وجل بأن يقول إني رسول الله إليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا إلى جميع الناس (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) لما أمر الله تعالى رسوله أن يقول يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا أردفه بما يدل على صحة دعواه يعني إن (الذي له ملك السموات والأرض وهو مدبرهما ومالك أمرهما هو الذي أرسلني إليكم وأمرني بأن أقول لكم ذلك (لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ) فإن من ملك العالم كان هو لا إله إلا هو لا غيره، وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية قاله البيضاوي وقال الخازن وصف الله تعالى نفسه بالألوهية وإنه لا شريك له فيها وأنه القادر على إحياء خلقه وإماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على إرسال الرسل إلى خلقه (فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ) أمر تعالى جميع خلقه بالإيمان به وبرسوله لأن الإيمان به هو الأصل والإيمان برسوله فرع عليه فلهذا بدأ بالإيمان بالله ثم ثنى بالإيمان برسوله ثم وصفه تعالى فقال (النَّبِيِّ الأُمِّيِّ) وتقدم معناهما (الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ) قال قتادة يعني آياته وهي القرآن وقال مجاهد والسُدّي أراد بكلماته عيسى بن مريم لأنه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يؤمن بجميع كلمات الله تعالى ذكره الخازن وقال البيضاوي كلماته ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والإتباع له (وَاتَّبِعُوهُ) يعني واقتدوا به أيها الناس فيما يأمركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على

قسمين متابعة في الأقوال ومتابعة في الأفعال أما المتابعة في الأقوال بأن يمتثل التابع جميع ما يأمر به المتبوع على طريقة الأمر والنهي والترغيب، وأما المتابعة في الأفعال بأن يقتدي به في جميع أفعاله وآدابه إلا ما خص به صلّى الله عليه وسلّم وثبت الدليل أنه من خصائصه فلا متابعة فيه (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) أي ترشدون وتصيبون الحق والصواب في متابعتكم إياه قاله الخازن وقال البيضاوي جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين يعني الإيمان والإتباع تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه في التزام شرعه فهو بعد في الضلالة

الآية الثانية عشر من سورة الأنبياء وهي قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) أي يا محمد صلى الله عليه وسلم (إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم من الخسف والمسخ وعذاب الإستيصال ذكره البيضاوي وقال الخازن قيل كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله تعالى محمدا صلّى الله عليه وسلّم حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الأحكام وميز الحلال من الحرام، وقيل إلا رحمة للعالمين أي للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم، وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ الخسف والاستيصال وقال رسول الله صلى الله عليه وسم (**إنما أنا رحمة مهداة**)

الآية الثالثة عشر من سورة النور وهي قوله تعالى (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) أي يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الإعراض أو يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالف عن الأمر إذا صد عنه دونه وحذف المفعول لأن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فإن الأمر له حقيقة أو للرسول فإنه المقصود بالذكر قاله البيضاوي وقال الخازن أي يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه وقال العز بن عبد السلام وقيل خلافا عن أمره أي عن أمر الله وعن زائدة أو عن أمر النبي

صلّى الله عليه وسلّم، وقيل عدى بعن لأن معناه يعرضون (أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) أي لئلا تصيبهم فتنة أي بلاء في الدنيا ذكره الخازن وقال العز بن عبد السلام أي محنة في المال والنفس الولد أو كفر بأن يفتنوا عن دينهم أو عقوبة أو زلازل وأهوال وتسليط سلطان جائر أو طبع القلوب أو إظهار ما فيها أو فساد فيها أو إسباغ النعم استدراجا أو قسوة القلب عن معرفة المعروف وإنكار المنكر، وقيل الفتنة للعوام والبلاء للخواص (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي وجيع في الآخرة أو هو القتل قاله العز بن عبد السلام

الآية الرابعة عشر من سورة الأحزاب وهي قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) أي قدوة صالحة أي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو أن تنصروا دين الله تعالى وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب الأذى فصبر وواسكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته قاله الخازن وقال البيضاوي أسوة حسنة خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاسات الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد (لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ ٱلآخِرَ) أي ثواب الله أو لقائه ونعيم الآخرة وأيام الله واليوم الآخر خصوصا، وقيل هو كقولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر يوم الله بحسب الحكم والرجاء يحتمل الأمل والخوف ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها ذكره البيضاوي، وقال الخازن يعني أن الأسوة برسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمن كان يرجو الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما يرجو ثواب الله واليوم الآخر يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء (وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً) أي في جميع المواطن على السراء والضراء، وقال البيضاوي وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية لملازمة الطاعة فأن المؤتسي بالرسول من كان كذلك

الآية الخامسة عشر من سورة الأحزاب أيضا وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً) أي للرسل بالتبليغ، وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة ذكره الخازن وقال البيضاوي على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقال

العز بن عبد السلام شاهدا لوحدانيتنا وقيل شاهدا لنا فلا يرى إلاّ إنّا (وَمُبَشِّراً) برحمتنا أو للمحسنين برضانا وقال الخازن أي لمن آمن بالجنة (وَنَذِيراً) لمن كذب بالنار وقال العز بن عبد السلام ونذيرا بنقمتنا وللعصاة بعقابنا (وَدَاعِياً إِلَىَ اللهِ) أي إلى الإقرار به وبتوحيده وما يجب الإيمان به من صفاته قاله البيضاوي وقال الزجاج إلى توحيد الله وما يقرب به وقال العز بن عبد السلام وداعيا إلى عبادتنا أو داعيا الخلق إلى بابنا أو إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله أو إلى الطاعة (بِإِذْنِهِ) أي بأمره أو بعلمه أو بالقرآن المنزل بإذنه وقال البيضاوي بتيسيره أطلق له يعني الإذن للتيسير من حيث أنه من أسبابه وقيد به الدعوة إيذانا بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جناب قدسه (وَسِرَاجاً مُنِيراً) أي وكتابا بينا المعنى أرسلناك شاهدا وذا سراج منير أي وذا كتاب بين وإن شئت كان وسراجا منصوبا على معنى داعيا إلى الله وتاليا كتابا بينا قاله الزجاج وقال العز بن عبد السلام وسراجا حجة ظاهرة لحضرتنا أو هاديا لهم إلى أنوار الأنس منيرا عليهم ظلمات النفس وقيل أي ذا سراج أي آتيناك سراجا بعد وقت منيرا أي تاليا كتاب الله المنير وقال البيضاوي منيرا يستضاء به في ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر وقال الخازن سماه سراجا منيرا لأنه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار وصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء فإن قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد إضاءة من السراج وأنور، قلت لأن نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فإنه يؤخذ منه أنور كثيرة انتهى وفيه نظر فإن نور القمر مأخوذ من نور الشمس وكذلك أنوار النجوم على رأي البعض ولا يبعد أن يكون معنى السراج المنير هنا الشمس فإن الله تعالى قال (**وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً** * نوح ١٦) فيكون سماه شمسا منيرة ولم يؤنث الوصف باعتبار لفظ السراج فإنه مذكر

الآية السادسة عشر من سورة الأحزاب أيضا وهي قوله تعالى (وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ) في الأوامر والنواهي (فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة

سعيدا قاله البيضاوي وقال الخازن أي ظفر بالخير العظيم

الآية السابعة عشر من سورة الحشر وهي قوله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) أي من مال الغنيمة قاله الخازن وقال الواحدي من الفيء فخذوه فهو لكم حلال وقال البيضاوي وما أعطاكم من الفيء أو من الأمر فخذوه لأنه حلال لكم أو فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة (وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) أي من الغلول وغيره وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي صلّى الله عليه وسلّم أو نهى عنه من قول أو عمل من واجب ومندوب ومستحب أو نهي عن محرم فيدخل فيه الفيء وغيره وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال (**لَعَنَ الله الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله**) فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمّ يَعْقُوبَ وكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَتَتْهُ فقالَتْ ما حديث بَلَغَني عَنْكَ إنّكَ قلت كذا وكذا وذكرته فقالَ عبد الله وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَه رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وَهُوَ في كِتَابِ الله فقالَتِ المرأة لَقَدْ قَرَأْتُ لِوَحْيِ المِصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ، فقال إن كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل (**وَمَآ آتَيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** * الحشر: ٧) ذكره الخازن (وَاتَّقُوا اللهَ) في مخالفة رسوله (إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالف قاله البيضاوي وقال الخازن أي على ترككم ما أمركم به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونهاكم عنه (و) الدليل على الاعتصام بالسنة أيضا (الأخبار) أي الأحاديث الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهي عشرون حديثا

الحديث الأول (د) يعني روى أبو داود بإسناده (عن العرباض) بعين مهملة مكسورة وباء موحدة وأصله الطويل (ابن سارية رضي الله عنه أنه قال صلى بنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه) الكريم يعني بعد فراغه من الصلاة كما هو العادة المشروعة في الإمام إذا فرغ من صلاته يستقبل القوم بوجهه ما لم يكن خلفه مسبوق فيحرف إلى يمين القبلة أو يسارها (فوَعَظَنا) من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب (موعظةً) تنكيرها للتعظيم (بليغة) من البلاغة قال في القاموس بالغ

مبالغة وبلاغا إذا اجتهد ولم يقصر والبليغ الفصيح يبلغ بعبارته كنه ضميره بلغ ككرم والبلاغة في علم المعاني مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة كلماته (ذرفت فيها العيون) أي سال دمعها من البكاء قال في القاموس ذرف الدمع يذرف وذرفت عينه سال دمعها (ووَجِلت) أي خافت وخشيت (منها القلوب فقال رجل) ممن حضر من الصحابة رضي الله عنهم من كثرة ما رأى من اجتهاد النبي صلّى الله عليه وسلّم في تلك الموعظة واهتمامه بها وزيادة التخويف والتهويل فيها والتقريع للمخالف لها (يا رسولَ الله كأن هذه الموعظةُ موعظة مُودّع) أي رجل مودع قومه يريد أن يرحل عنهم فيعظهم قبل ارتحاله بما يعلم أنهم محتاجون إليه بعده غاية الاحتياج ويوصيهم وينصحهم ويخوفهم ويقرعهم ويحذرهم من المخالفة حرصا عليهم أن يضلوا بعده ومنه قوله صلّى الله عليه وسلّم (**صَلِّ صَلاَةَ مُوَدِعٍ**) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الصغير يعني صل صلاة رجل يعلم أنه لا يعيش حتى يصلي بعدها صلاة أخرى والمراد استفراغ الجهد في إتقان الصلاة بمراعات حقوقها المشروعة لها كلها من غير زيادة ولا نقصان وفي الحديث إشارة إلى أن الواعظ ينبغي له في وقت وعظه أن يستفرغ جهده في نصح الحاضرين عنده ولا يترك فائدة يعلم أنهم محتاجون إليها إلى مجلس آخر لعدم القطع بالحياة إلى المجلس الآخر وأنه يجوز له التخويف والتقريع أحيانا على مقتضى الحال من غير أن يتكلف ذلك ولا يعتاده كما كان يفعله النبي صلّى الله عليه وسلّم في وقت دون وقت (فماذا تعهد إلينا) أي توصينا به قال في القاموس العهد الوصية من عهد إليه أوصاهم (قال) صلّى الله عليه وسلّم (أُوصِيكُمْ) معاشر المؤمنين (بِتَقْوَى اللهِ) تعالى أي الاحتراز منه في الاعتقاد والقول والعمل والسكوت فلا يعتقد أحدكم ولا يقول ولا يعمل إلا بما يعلم أن الله تعالى يرضى به ولا يسكت إلا عما يعلم أنه يرضى به تعالى أيضا ويجتنب ما يسخطه تعالى اعتقادا وقولا وعملا وينكره مطلقا من غير تعيينه في أحد مع ستر ما يرى من عورات المسلمين عنه وعن غيره بالتأويل والحمل على المحامل الحسنة وفي لفظ التقوى الوارد في الكتاب والسنة إشارة إلى أن المتقي هو

المحترز من ذلك على حسب قدرته وطاقته كما قال الله تعالى (**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** * البقرة: ٢٨٦) فلا يمنع من التقوى وقوع المؤمن في زلة في بعض الأوقات من غير إصرار عليها ولا اهتمام بفعلها ولا يشترط في المتقي أن يكون دائم العصمة كالأنبياء عليهم السلام (وَالسَّمْعِ) أي لمن يتكلم عليكم من ولاة الأمور بمعنى الامتثال كقوله تعالى (**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ** * الأنفال: ٢١) أي أحسسنا بالكلام بحاسة آذاننا وهم لا يمتثلون معنى ذلك الكلام كما يقال فلان سمع من فلان أي امتثل كلامه وليس المراد الإحساس بحاسة الأذن فقط والمناسب أن يكون هذا هو المراد بالسمع لولاة الأمور فيما أمروا به (وَالطَّاعَةِ) لهم أيضا فيما نهوا عنه إذا لم يكن فيما أمروا به أو نهوا عنه معصية الله تعالى كما قدمناه وهذا الامتثال لهم في أمرهم ونهيهم على طريقة الوجوب لأنهم نواب الشرع وهذه وصية نبوية جامعة لنفع الآخرة بذكر التقوى ولنفع الدنيا بذكر السمع والطاعة للولاة وإن كانت التقوى أعم فهو من عطف الخاص على العام للتأكيد والاهتمام (وَإِنْ كان) والي أمركم الآمر الناهي لكم (عبدا) أي رقيقا استعمله الإمام الأعظم عليكم أميرا إمارة خاصة أو عامة (حبشيا) أي منسوبا إلى الحبشة وهم جيل من السودان ذكرهم دون غيرهم لكثرتهم وشهرتهم بالخدمة في بلاد الحجاز أيام العرب وإلى الآن وفي حديث الجامع الصغير قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**) قال الشارح المناوي بزاي مفتوحة حبة عنب سوداء حالا أو صفة لعبد مشبها رأسه بالزبيبة في السواد والحقارة وقباحة الصورة أو في الصغر يعني وإن كان صغير الجثة حتى كأنّ رأسه زبيبة وقد يضرب المثل بما لا يكاد يوجد تحقيرا لشأن الممثل له واستدل بهذا الحديث على أن الإمام إذا أمر بعض رعيته بالقيام ببعض الحرف والصنائع من زراعة وتجارة وعمل أنه يتعين على من عينه لذلك وينتقل من فرض الكفاية إلى فرض العين عليه بتعيين الإمام قال الزين العراقي حتى قاله بعض شيوخنا في الفلاحين المقررين لزراعة البلدان أنه أمر شرعي بتقرير الإمام ذلك عليهم نعم إن تعدى عليهم وألزموا بما

لا يلزمهم من إيجار الأرض بغير رضاهم لم يجز لكن يكونوا كالعمال يعملون ويستحقون أجر المثل انتهى ومراده بالقيام ببعض الحرف والصنائع لأنفسهم ولبقية الرعية لا لولي الأمر فقط بأن أمرهم أن يصنعوا له شيئا بلا أجرة أو سخرهم في عمل مطلقا من غير أجرة فإنه ظلم محض لا يجب عليهم إطاعته في شيء منه أصلا وإنما يجوز لهم ذلك ويؤجرون عليه إذا أكرههم فخافوا من شره وربما يجب عليهم ذلك خوفا على أنفسهم من شرّه إذا تحققوا منه وقوع ما هددهم به وهي مسألة الإكراه التي ذكرها الفقهاء لا مسألة إطاعة ولي الأمر (فَإِنَّهُ) أي الشأن (مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى) في هذه الأمة من ولاة الأمر وغيرهم (اخْتِلافاً كَثِيراً) وهذا إخبار منه صلّى الله عليه وسلّم بما يقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف أولا في أمر الخلافة كما وقعت الحروب على ذلك في زمان علي ومعاوية رضي الله عنهما واختلف اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في ذلك وإن كانوا كلهم مثابين عليه وإن أخطأ بعضهم لعدم دخول حظوظ أنفسهم فيه بل إنما كان ذلك منهم نصرة للدين ثم كثرة الحروب بعد ذلك والاختلافات بين ملوك الإسلام والأمراء في غالب الأزمان إلى هذا الأوان واختلفت العلماء أيضا في أمور الدين وافترقت منهم الأقوال والأعمال والاعتقادات وذهبوا في الأصول والفروع إلى مذاهب كثيرة وكل هذا في إشارة خبره صلّى الله عليه وسلّم (فَعَلَيْكُم) أي ألزموا، يقال عليك زيدا أي ألزمه وتزاد الباء للتأكيد كما تزاد في خبر ليس فيقال عليك بزيد كما يقال ليس زيد بقائم (بسُنَّتِي) وهي اسم لأقواله عليه السلام وأفعاله واعتقاداته وأخلاقه وسكوته عند قول الغير أو فعله كما مر وأصلها الطريقة في الدين مرضية كانت أو غير مرضية (وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ) جمع خليفة قال في القاموس الخليفة السلطان الأعظم ويؤنث كالخليف وجمعه خلائف وخلفاء وخلفه خلافة كان خليفته وبقي بعده وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير قال الراغب الخلافة النيابة عن الغير لغيبة المنوب عنه أو موته أو عجزه أو تشريف المستخلف وعلى الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض انتهى فالمراد من الخلفاء هنا الصحابة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله

عنهم وربما يراد بعدهم كل خليفة موصوف بما وصفهم به النبي الله عليه وسلم في هذا الحديث حيث قال (الرَّاشِدينَ) رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كاسترشد واسترشد طلبه والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه، كذا في القاموس وهم العالمون العاملون المخلصون الثابتون على ذلك إلى موتهم (المَهْدِيِّينَ) بصيغة اسم المفعول أي الذين هداهم الله تعالى فاهتدوا أي دلهم وأوصلهم إلى مقام قربه وألجأهم إلى حضرة الأنس به سبحانه فأدخلهم مدخل صدق إلى مقام شهوده ومعرفته العيانية وأخرجهم مخرج صدق من رؤية ما سواه (تمسكوا بها) أي بكل واحدة من سنتي وسنة الخلفاء المذكورين (وعَضُّوا عَلَيْها) أي على كل واحدة من السنتين وأفرد الضمير فيهما إشارة إلى أن سنة الخلفاء بعده هي سنته أيضا لأنهم سنوها من شريعته إرشادا وهداية للقاصرين إلى طريقته صلّى الله عليه وسلّم لا من قبل نفوسهم لتمشية أغراضها (بالنَّواجِذِ) وهي أقصر الأضراس وهي أربعة أو هي الأنياب أو التي تلي الأنياب أو هي الأضراس كلها جمع ناجذ والنجذ شدة العض بها كذا في القاموس والمعنى احتفظوا على ذلك بكمال قدرتكم وطاقتكم واحرصوا عليه بمنزلة من يمسك شيئا بأسنانه وأضراسه ويعض عليه فإنه لا يسقط من فمه ما دام كذلك وشبه المتمسك بالسنة في آخر الزمان بالماسك على الشيء بأسنانه وأضراسه إشارة إلى أن ذلك متعب جدا ومانع من الكلام والأكل والشرب والتنفس لا بكلفة ومشقة فإن من أمسك شيئا بأسنانه كان حاله هكذا وإذا لم يتكلف له كان سريع التفلت منه ومثله المتمسك بالسنة في آخر الزمان لا يقدر على الكلام الحق إلا بمشقة كلية ولا يقدر أيضا على الأكل الحلال والشرب الحلال كذلك لإتلاف الظلمة أموال المسلمين بغصبها وإنفاقها حتى التنفس المريح لجسده لا يكاد يقدر عليه أيضا بين المبتدعة أهل الجهل المركب لعداوتهم له وتضييقهم في أموره إلا بجهد جهيد (وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثاتِ الأُمُورِ) كلاهما منصوب بفعل مضمر أي باعدوا واحذروا الأخذ بالأمور المحدثة في الدين واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين (فإنَّ كُلَّ) أمر (محدث) في الدين على خلاف ما كان عليه النبي صلّى الله

عليه وسلّم وكانت عليه الخلفاء الراشدون من بعده إلى يوم القيامة فهو (بِدْعَة) بالكسر وهي الحدث في الدين بعد الإكمال أو ما استحدث بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم من الأهواء والأعمال جمعه بدع كعنب كذا في القاموس واختصت البدعة هنا بالدين إذ البدعة في غير الدين كبدع العادات غير مرادة هنا كما سيأتي بيانه (وكل بدعة) في الدين (ضَلالَةٌ) يضل بها مبتدعها والعامل بها عن الصراط المستقيم (وكل ضلالة) يضل بها منشئها والعامل بها (في النار) أي كائنة في نار جهنم والمعنى كون صاحبها في النار ولكن أريد المبالغة بأن نفس البدعة في النار مع أنها لم تظلم هي وإنما ظلم بها صاحبها نفسه نظير قوله تعالى (**وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ** * التكوير: ٨-٩) قال البيضاوي وإذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن سئلت بأي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى (**أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ** * المائدة: ١١٦) انتهى وهذا الحديث المذكور أخرجه الحافظ أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي بنوع تغيير يسير في كتاب المدخل بإسناده إلى عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه (**وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ** * التوبة: ٩٢) فسلمنا فقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العرباض صلى بنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأن هذا موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال (**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**)

الحديث الثاني (دت) يعني روى أبو داود والترمذي بإسنادهما (عن المقداد رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ألاَ) بفتح الهمزة وتخفيف

اللام أداة استفتاح وتنبيه كما مر (إِنِّي أُوتِيتُ) أي آتاني الله تعالى (الْكِتَابَ) وهو القرآن العظيم (وَمِثْلَهُ مَعَهُ) وهو السنة النبوية فإن الله تعالى آتاه إياها أيضا كما آتاه الكتاب قال الإمام البيهقي في المدخل أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي رحمه الله تعالى قال وسنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ثلاثة أوجه أحدها ما نزّل الله فيه نص كتاب فسن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمثل نص الكتاب والثاني ما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما أراد بالجملة وأوضح كيف فرضها أعاما أم خاصا وكيف أراد أن يأتي به العباد والثالث ما سن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مما ليس فيه نص كتاب فمنهم من قال جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضا أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب ومنهم من قال لم يسن سنة قط الا ولها أصل في الكتاب كما كانت سنته لتبيين عدد الصلاة وعمل بها عن أصل جملة فرض الصلاة وكذلك ما من في البيوع وغيرها من الشرائع لأن الله تعالى قال (**لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ** * النساء: ٢٩) وقال (**وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** * البقرة: ٢٧٥) فما أحل وحرم فإنما بين فيه عن الله عز وجل كما بين الصلاة ومنهم من قال بل جاءته به رسالة الله جل ثناؤه فأثبتت سنة بفرض الله عز وجل، ومنهم من قال ألقى الله في روعه كلما سن وسنته الحكمة التي ألقيت في روعه عن الله عز وجل وروى البيهقي أيضا في كتابه المذكور بإسناده إلى عبد الله بن رافع قال سمعت أم سلمة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في قصة الرجلين يختصمان في مواريث وأشياء قد درست فقال (**إنما أقضي بينكما برأيي فيما لم ينزل علي فيه**) وروى أيضا بإسناده عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو على المنبر يا أيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مصيبا لأن الله عز وجل كان يريه إنما هو منا الظن والتكلف وذكر البيهقي أيضا قال وأمر الله تعالى إياه صلّى الله عليه وسلّم وجهان أحدهما وحي ينزله فيتلى على الناس، والثاني رسالة يأتيه

عن الله بأن افعل كذا فيفعله قال الشافعي رضي الله عنه ولعل من حجة من قال هذا القول أن يقول قال الله تعالى (**وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ** * النساء: ١١٣) فيذهب الى أن الكتاب ما يتلى عن الله تعالى والحكمة ما جاءته الرسالة به عن الله فأثبتت سنة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وروى بإسناده عن قتادة في قول الله تعالى (**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ** * الأحزاب: ٣٤) قال القرآن والسنة وروى بإسناده إلى عطاء أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ يَعْلَى بن أمية كَانَ يَقُولُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَيْتَنِي أَرَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ فَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم بِالْجِعْرَانَةِ، وَعَلَى النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم ثَوْبٌ قد اظل عليه ومعه فيه ناس مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ عُمَرُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ جبة متضمخ بطيب وقد احرم بعمرة فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ فِي جُبَّةٍ بَعْدَ مَا تَضَمَّخَ بِطِيبٍ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم سَاعَةً، ثُمَّ سَكَتَ، فَجَاءَهُ الْوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ بيده إلى يعلى رضي الله عنهما أن تعال فَجَاءَ يَعْلَى فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم مُحْمَرُّ الْوَجْهِ يَغِطُّ سَاعَةً، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ (**أَيْنَ الَّذِي سَأَلَنِي عَنِ الْعُمْرَةِ آنِفاً**) فَالْتُمِسَ الرَّجُلُ، فَجِيءَ بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم (**أَمَّا الطِّيبُ الَّذِي بِكَ، فَاغْسِلْهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَّا الْجُبَّةُ فَانْزِعْهَا، ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ مَا تَصْنَعُ فِي حَجّتِكَ**) أخرجه البخاري في الصحيح وعن حسان بن عطية قال كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن انتهى وقدمنا هذا فيما سبق فالسنة مما آتاه الله تعالى لنبيه صلّى الله عليه وسلّم وليست مما جاء بها من تلقاء نفسه (ألاَ) بالفتح والتخفيف للاستفتاح والتنبيه (يُوشِكُ) بالكسر من وشك الأمر ككرم سرع واوشك اسرع السير ويوشك الامر ان يكون وان يكون الامر ولا تفتح شينه أو لغة ردية كذا في القاموس والمعنى يقرب أن يكون (رَجُلٌ) وهو مثل قوله عليه السلام (**ربّ صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع**) أي

نادر وجود ذلك في المسلمين (شَبْعَانُ) من الشبع وهو ضد الجوع كناية عن الغافل المغرور المنهمك في شهوة بطنه وفرجه فإن الشبع كان في صدر الإسلام معدودا من العيوب المنقصة للكمال الإنساني ولهذا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه)** الحديث وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلّى الله عليه وسلّم شبعا قط ذكره في الشفاء وقال صلّى الله عليه وسلّم **(جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش)** وقال عليه السلام **(سيد الأعمال الجوع)** وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك، كما بسطه الإمام الغزالي في كتاب الإحياء (عَلَى أَرِيكَتِهِ) في القاموس الأريكة كسفينة سرير في حجلة أو كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش وسرير متخذ مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة جمعه أرائك انتهى والمعنى أنه في ترف من العيش ورفاهية فيه يجلس على كرسي وعظه وإمارته (يَقُولُ) بطريق الوعظ لكم والنصيحة أو الاحتجاج لبعض أغراض نفسه وحظوظها (عَلَيْكُمْ) أي ألزموا الاقتصار على العمل (بِهَذَا الْقُرْآنِ) الذي بين أيديكم يتلى ويحفظ ويكتب (فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ) ولا يمكن أن يجدوا إلا بحسب قدرتهم وإلا فكل شيء في القرآن كما قال تعالى **(مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ** * الأنعام: ٣٨) فالقاصر يجد على حسب قصوره فيلزم أن يجهل أكثر مما يعلم (مِنْ) حكم (حَلاَلٍ) وهو ما نص على تحليله بعينه أو جنسه كالبيع وأكل الخبز (فَأَحِلّوهُ) أي أحكموا بحله واعملوا على ذلك (وَمَا وَجَدْتُمْ) أنتم أيضا كذلك (فِيهِ) أي في هذا القرآن (مِنْ) حكم (حَرَامٍ) وهو ما نص على تحريمه بعينه أو جنسه كالربا والرشوة (فَحَرّمُوهُ) أي احكموا بتحريمه أيضا واتركوا العمل به وهذا القول من قائله ذلك الرجل المذكور فيه قصور واضح إذ لا يمكنهم أن يجدوا في القرآن كلما حلله الله تعالى لهم وحرمه عليهم وإن كان القرآن جامعا لجميع ذلك فلابد من النظر في السنة النبوية أيضا فإن فيها بيان ما خفي في القرآن وإيضاح مجمله وتفصيل مقتضياته ثم لما فرغ صلّى الله

عليه وسلّم من حكاية قول الرجل المذكور قال (وإن ما) أي الحكم الذي (حرم) أي حكم بتحريمه (رسول الله) يعني نفسه (كما) أي مثل الحكم الذي (حرم الله) من حيث أن كلا منهما بوحي من الله تعالى لنبيه عليه السلام كما ذكرنا لا من قبل رأي نفسه ثم قال صلّى الله عليه وسلّم (ألاَ) للتنبيه والاستفتاح **(لاَ يَحِلّ لَكُم)** معشر المسلمين (الْحِمَارُ الأهْلِيّ) يعني أن تأكلوا لحمه وكان يؤكل قبل ذلك قال الشيخ النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم قد وقع في أكثر الروايات أن النبي صلّى الله عليه وسلّم نهى يوم خيبر عن لحومها وفي رواية حرم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لحوم الحمر الأهلية وفي رواية أن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وجد القدور تغلي بلحمها فأمر بإراقتها وقال **(لا تأكلوا من لحومها شيئا)** وفي رواية **(نهينا عن لحوم الحمر الأهلية)** وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **(أهريقوها واكسروها)** فقال رجل يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها قال **(أو ذاك)** وفي رواية نادى منادي النبي صلّى الله عليه وسلّم ألا إن الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر فإنها رجس أو نجس فاكفئت القدور بما فيها واختلف العلماء في المسألة فقال الجماهير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم بتحريم لحومها لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة وقال ابن عباس ليست بحرام وعن مالك ثلاث روايات أشهرها أنها مكروهة كراهة تنزيه شديدة والثانية حرام والثالثة مباحة والصواب التحريم كما قاله الجماهير للأحاديث الصريحة وأما الحديث المذكور في سنن أبي داود عن غالب ابن أبجر قال أصابتنا سنة فلم يكن في مالي شيء أطعم أهلي إلا شيء من حمر وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حرم لحوم الحمر الأهلية فأتيت النبي صلّى الله عليه وسلّم فقلت يا رسول الله أصابتنا السنة ولم يكن في مالي ما أطعم أهلي إلاّ سمان حمر وإنك حرمت لحوم الحمر الأهلية فقال **(أطعم أهلك من سمين حمرك فإنما حرمتها من أجل جوال القرية)** يعني بالجوال الذي يأكل الجلة وهو العذرة فهذا الحديث مضطرب مختلف الإسناد شديد الاختلاف ولو صح حمل على الأكل منها في حال الاضطرار انتهى كلامه ويمكن له وجه آخر بأن يحمل قوله صلّى

الله عليه وسلّم (**أطعم أهلك من سمين حمرك**) أي من أجرتهن أو من ثمنهن فإنه لما وصفهن بالسمن للأكل حول النبي صلّى الله عليه وسلّم هذا الوصف للأجرة على الحمل والركوب والحراسة والدياسة ونحو ذلك بأخذ الأجرة عليها أو ببيعهن والإطعام من ثمنهن كما قال الفقهاء فيمن حلف لا يأكل من هذه النخلة تقيد حنثه بأكله من تمرها حتى لو أكل من عينها لم يحنث وإن لم يكن لها تمر ينصرف اليمين إلى ثمنها فيحنث إذا اشترى به مأكولا وأكله فيبقى قوله صلّى الله عليه وسلّم بعد ذلك فإنما حرمتها من أجل جوال القرية اعتذار لغالب بن أبجر على قوله وإنك حرمت لحوم الحمر الأهلية وبيان لسبب التحريم لا دليل التحريم إذ الدليل حكم الله تعالى بالوحي المنزل عليه (وَلاَ) يحل لكم أيضا (كُلّ ذِي نَابٍ مِنَ السّباع) أن تأكلوا لحمه والناب هو السن خلف الرباعية مؤنث وجمعه أنيب وأنياب ونيوب وأنابيب كذا في القاموس وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم نهى النبي صلّى الله عليه وسلّم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وفي رواية كل ذي ناب من السباع فأكله حرام والمخلب بكسر الميم وفتح اللام للطير والسباع بمنزلة الظفر من الإنسان وفي هذه الأحاديث دلالة لمذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وداود والجمهور أنه يحرم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وقال مالك يكره ولا يحرم قال أصحابنا فذو الناب ما يتقوى به ويصطاد واحتج مالك بقوله سبحانه وتعالى (**قُلْ لاَ أجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إلَيّ مُحَرّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ** * الأنعام: ١٤٥) الآية واحتج أصحابنا بهذه الأحاديث قالوا والآية ليس فيها إلاّ الأخبار بأنه لم يجد فبذلك محرما إلا المذكورات في الآية ثم أوحى إليه بتحريم كل ذي ناب من السباع فوجب قبوله والعمل به (وَلاَ) يحل لكم أيضا (لُقَطَةُ) من لقطه أخذه من الأرض فهو ملقوط ولقيط ولقط الثوب رفعه واللقطة محركة وكخرمة وهمزة ما ألتقط كذا في القاموس والمراد ما يجده الإنسان في الطريق وغيره من الأمتعة الساقطة من أصحابها وفي شراح الكنز لمسكين هي مال يوجد في الطريق ولا يعرف له مالك بعينه سميت بها لأنها تلقط غالبا (مُعَاهِدٍ) من العهد وهو

الأمان والذمة عاهده إذا أخذ عليه عقد لأمان والذمة والمراد بالمعاهد الذمي الذي عاهده الإمام على إعطاء الجزية والخراج فإنّ له ما لنا وعليه ما علينا ويدخل في ذلك الحربي الذي دخل بالأمان إلى دار الإسلام فإنه آمن على دمه وماله كالذمي فمن وجد لقطة لذمي أو لمستأمن وجب ردها إليه بعد إقامة البينة كلقطة المسلم ويجوز ردها من غير وجوب عليه إن ذكر لعلامة فقط قال في المنبع شرح المجمع يستحب أخذ اللقطة ورفعها خوفا من أن تصل إليها يد خائن وإذا خاف ضياعها يجب الالتقاط صونا لأموال الناس عن الضياع وقال بعض أصحابنا إذا خاف على نفسه الطمع فيها وأنه لا يعرفها ولا يردها فالأفضل الترك صيانة لنفسه عن الوقوع في المحرم وهي أمانة بشرط أن يشهد الملتقط أنه يأخذها ليحفظها فيردها على صاحبها وإن لم يشهد ضمن ويعرفها مدة يغلب على ظنه أن صاحبها لا يطلبها بعد ذلك ثم يتصدق بها على فقير لا غني إن شاء فإن جاء صاحبها فأمضاها وإلاّ ضمن الملتقط أو المسكين إن شاء وإن كانت قائمة أخذها منه وأيهما ضمن لا يرجع على الآخر ويجوز للفقير أن ينتفع بها لا للغني إلا بإذن الإمام ويجوز التقاط البهائم الضالة ويؤجرها الحاكم وينفق عليها من الأجرة إن كان منفعة وإلا باعها وحفظ ثمنها وإن إذن الحاكم للملتقط في النفقة رجع بها ويحسبها لاستيفائها وإلاّ كان متبرعا وإذا دعاها لم تدفع إليه إلا ببينة ويحل له دفعها بذكر علامة (إلاّ أنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا) أي عن اللقطة (صَاحِبُهَا) بأن كانت حقيرة كتمرة ونحوها قال في مختصر المحيط قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله تعالى ولا بأس بأن يلتقط ما لا قيمة له أصلا مثل النوى وعلف الدواب وقشر الرمان إذا نبذه صاحبه والانتفاع به ولصاحبه أن يأخذه من الملتقط وإن كان ذلك كثيرا لم يجز للملتقط أن يأخذه انتهى وكذلك أن وصل إليه أن صاحبها أباحها له أو لكل من أخذها (وَمَنْ نَزَلَ) أي ضيفا (بِقَوْمٍ) أي صار ضيفا عندهم في قرية أو بلدة أو محلة وقد تعذرت عليه كفايته من القوت ولم يمكنه الشراء (فَعَلَيْهِمْ) أي بطريق الوجوب حيث علموا به وهو محتاج إلى القوت (أنْ يَقْرُوهُ) أي يضيفوه بإعطائه كفايته من ذلك قال الجوهري قريت

الضيف قرى وقراء أحسنت إليه إذا كسرت لفاف قصرت وإذا فتحت مددت وفي القاموس أقرى طلب ضيافة فقوله أن يقروه بفتح الياء من قراه لا بضمها من أقراه، وفي حديث الجامع الصغير للأسيوطي قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أيما ضيف نزل بقوم فأصبح الضيف محروما فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه**) وقال الشارح المناوي فأصبح الضيف محروما من الضيافة أي لم يطعمه القوم تلك الليلة فله أن يأخذ من مالهم بقدر قراه أي ضيافته أي بقدر ما يصرف في ثمن طعام يشبعه ليلته قال الطيبي وقوله فأصبح الضيف مظهر أقيم مقام المضمر إشعارا بأن المسلم الذي ضاف قوما يستحق لذاته أن يقري فمن منعه حقه فقد ظلمه فحق لغيره من المسلمين نصره وأخذ بظاهره الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأوجب الضيافة فإن الضيف يشتغل بأخذ ما يكفيه بغير رضاء من نزل عليه أو على نحو بستانه أو زرعه وحمله الجمهور على أنه كان في أول الإسلام فإنها كانت واجبة حين إذ كانت المواساة واجبة فلما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة أو على التأكيد كما في غسل الجمعة واجب فلما ارتفع وجود الاستقلال بالأخذ حمل على المضطر لكنه يغرم بدله بعد أو على مال أهل الذمة المشروط عليه ضيافة من نزل بهم لأدلة أخرى كخبر (**لا يَحِلْ مالُ امرئ مُسلمٍ إلا عن طيب نفس**) وأما قول بعض المالكية المراد أن له أن يأخذ من عرضهم بلسانه ويذكر للناس عيوبهم فعورض بأن الأخذ من العرض والتحدث بالعيب عيب ندب الشارع إلى تركه لا إلى فعله، وفي حديث الجامع أيضا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أَيّمَا رَجُلٍ أَضَافَ قَوْماً فأَصْبَحَ الضّيْفُ مَحْرُوماً فإنّ نَصْرَهُ حَقّ عَلَى كُلّ مُسْلِمٍ حَتّى يَأْخُذَ بِقِرَى**) أي ضيافة ليلته من زرعه وماله وقال الشارح المناوي ويقتصر على ما يشد الرمق بشين معجمة أي يقوي بقية الروح أو مهملة أي يسد الخلل الحاصل من الجوع قال الطيِّبي وأفرد الضمير فيها باعتبار المنزل عليه والمضيف هو واحد ثم هذا في المضطر أو في أهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة (وَلَهُ) أي يجوز له (أَنْ يَعْقِبَهُمْ) أي يجازيهم قال الجوهري أعقبه بطاعته أي جازاه، والعقبى جزاء الأمر والمعنى

أن يجازيهم على منعهم حقه فلا يحترمهم ولا يستأذنهم (بِمِثْلِ قِرَاهُ) أي بأخذ مثل ضيافته أي مقدار ذلك يعني قدر حاجته المضطر إليها من المأكل والمشرب وعلف الدابة ونحو ذلك وأخرج الإمام البيهقي في المدخل هذا الحديث المذكور برواية أخرى أسندها عن المقدام بن معدي كرب عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال (**ألا أني أوتيت الكتاب ومثله إلا أني أوتيت القرآن ومثله ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فإن له أن يعقبهم بمثل قراه**) وروى بإسناده أيضا عن الحسن بن جابر أنه سمع المقدام بن معدي كرب الكندي صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول حرم النبي صلّى الله عليه وسلّم أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهلي وغيره فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وأن ما حرم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما حرم الله عز وجل**) وهذا إسناد صحيح

الحديث الثالث (دت) يعني رواه أبو داود والترمذي بإسنادهما (عن أبي رَافِعٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالَ لاَ أُلْفِيَنّ) بضم الهمزة أي أجدن يقال ألفيت الشيء بالفاء وجدته قاله الجوهري والمعنى لا جعلني الله أجدن (أَحَدَكُمْ) أي الواحد منكم أيها المؤمنون (مُتَّكِئاً) أي معتمدا مستندا، قال في القاموس توكأ عليه تحمل واعتمد (عَلَى أَرِيكَتِهِ) أي سريره وكرسيه (يَأْتِيهِ) أي يصل إليه (أَمْرِي) أي شأني (مِمّا) أي من جهة الأمر الذي (أَمَرْتُ بِهِ) الأمة بطريق الخلافة عن الله تعالى في الأرض (أَوْ نَهَيْتُ) الأمة عنه بالنيابة عن الله تعالى (فَيَقُولُ) ذلك المتكئ على أريكته (لاَ أَدْرِي) هذا الوارد إليّ من الأمر والنهي (وَمَا) أي الحكم الذي (وَجَدْنَا فِي كِتَابِ الله) تعالى من الأمر والنهي (اتَّبَعْنَاهُ) لا غير وهذا قول من طبع الله على قلبه فأراد أن يفرق بين الله ورسوله

ولن يصل إلى ذلك أبدا قال البيهقي في المدخل زاد أبو عبد الله في روايته بهذا الإسناد عن الشافعي رضي الله عنه قال وفي هذا تثبيت الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإعلامهم أنه لازم لهم وإن لم يجدوا له نص حكم في كتاب الله عز وجل

الحديث الرابع (د) يعني روى أبو داود بإسناده (عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) يعني خطيبا (فقال أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ) حال كونه (مُتّكِئاً) أي مستندا (عَلَى أرِيكَته) أي كرسيه (يَظُنّ) تأكيد لفظي ليحسب بمرادفه (أنّ الله) تعالى (لَمْ يُحَرّمَ) على الأمة (شَيْئاً إلاّ مَا) أي الذي (فِي هَذَا الْقُرْآنِ) من المحرمات الظاهرة منه لكل أحد وإلا فقد قال تعالى (**مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ** * الأنعام: ٣٨) أو في الحديث قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**الْحَلاَلُ ما أحَلّ الله في كِتَابِهِ والْحَرَامُ ما حَرّمَ الله في كِتَابِهِ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمّا عفى عنهُ**) أخرجه الأسيوطي في الجامع الصغير فإن في القرآن من الأحكام ما لا يظهر بالبداهة لغالب الأنام ولهذا لما دق نظر إمامنا أبي حنيفة رضي الله عنه في استنباط المسائل من القرآن ما لم يعثر عليه أكثر المجتهدين نسب إليه القاصرون القول بالرأي فإن من وجد الحكم في كتاب الله تعالى لا يعدل عنه إلى السنة ومن لم يجده في الكتاب عدل إلى السنة (ألاَ) للاستفتاح والتنبيه (وَإنّي قَدْ أمَرْتُ) بالمعروف الذي وجدته في كتاب الله تعالى ما لم يجده غيري وهي الحكمة التي قال الله تعالى عنها (**وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** * النساء: ١١٣) وهي سنة النبوية كما قدمناه فإن أمره صلّى الله عليه وسلّم من أمر الله تعالى لأنه نبيه ورسوله روى البيهقي في المدخل بإسناده عن أبي جعفر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه دعى اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام فصعد النبي صلّى الله عليه وسلّم المنبر فخطب الناس فقال (**إن الحديث سيفشو عني فما اتاكم عني يوافق القرآن فهو عني وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني**) وقال الشافعي رضي الله عنه وليس يخالف الحديث القرآن ولكن حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مبين معنى ما أراد خاصا

وعاما وناسخا ومنسوخا ثم يلزم الناس ما سن بفرض الله تعالى فمن قبل عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعن الله قبل وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إنها تكون بعدي رواة يروون عني الحديث فاعرضوا حديثهم على القرآن فما وافق القرآن فحدثوا به وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به**) (ووعظت) أي ذكرت الترغيب والترهيب وبشرت وأنذرت أخذا من كتاب الله تعالى بوجه لم ينكشف لغيري (وَنَهَيْتُ) الأمة (عن أَشْيَاءَ) من الأقوال والأعمال والاعتقادات والأحوال التي وصلت إلي من كتاب الله تعالى ولم يهتد إلى طريقها أحد من المجتهدين أصلا لأن طريق الوصول إليها الوحي والنبوة لا الاجتهاد وإن أقر النبي صلّى الله عليه وسلّم قول المجتهد المخطئ ووعده بالثواب عليه مرة لضرورة فقدان الوحي النبوة (إِنَّهَا) أي تلك الأشياء التي نهيت عنها (مِثْلُ) المناهي الظاهرة لكم من (الْقُرْآنِ) لأني أخذتها منه بالوحي والنبوة ولا أمر ونهي إلا ما في القرآن يدل عليه ما رواه البيهقي في المدخل بإسناده عن ابن طاوس عن أبيه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي مات فيه (**يا أيها الناس لا تمسكوا علي بشيء فإني لا أحل إلا ما أحل الله ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه**) انتهى وجميع علم النبي صلّى الله عليه وسلّم من القرآن لكنه من وجه الوحي والنبوة فلهذا لا يمكن أن يصل إليه غير نبي وفتح الأولياء وإن كان في القرآن أيضا كذلك ولكنه من وجه آخر غير وجه الوحي والنبوة وكذلك علم المجتهدين ولكنهم زادوا بالأخذ من بيان النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي هو سنة وبيان غيرهم من المؤمنين الذي هو الإجماع والتأمل بالمقايسة في الكتاب والسنة والإجماع الذي هو القياس والكل يجتمعون في أصل واحد هو مأخذهم وهو القرآن أخذ منه النبي سنته والولي فتحه والمجتهد علمه (أَوْ أَكْثَرُ) من المناهي الظاهرة لكم من القرآن لزيادة اطلاع النبي صلّى الله عليه وسلّم على كتاب الله تعالى ما لم تطلع عليه الأولياء ولا المجتهدون فيكشف منه عن أكثر ما ظهر لهم كلهم فلهذا تمسك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من المجتهدين بالسنة أكثر من الكتاب حيث قال الشافعي رضي الله عنه إذا

صح الحديث فهو مذهبي (وَأنّ الله) تعالى (لَمْ يُحِلّ) بالضم من أحل أي جعل حلالا لكم (أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ) من اليهود والنصارى وغيرهم لأن ذلك يؤذيهم ولا يجوز إيذاء أهل الذمة (إلاّ بِإذْنٍ) منهم في ذلك (وَلاَ) أحل لكم أيضا (ضَرْبَ نِسَائِهِمْ) أي أهل الكتاب لأن فيه كمال إيذائهم (وَلاَ) أحل (أَكْلَ ثِمَارِهِمْ إذَا أَعْطَوكُمْ) الحق (الّذِي عَلَيْهِمْ) من الجزية والخراج فإذا امتنعوا من ذلك انتقض عهد ذمتهم عند الأئمة الثلاثة خلافا لأبي حنيفة قال والدي رحمه الله تعالى عند شرح قول صاحب الدرر لا ينقض عهده إذا امتنع عن الجزية لأن إلزامها باق وبالإباء تؤخذ منه جبرا وفي رواية كما في المجمع ذكرها في الواقعات في كتاب الزكاة أنه ينتقض وهو قول الثلاثة هذا إذا أبى عن دفعها أما لو أبى عن قبولها انتقض عهده كذا في فتح القدير وإذا انتقض عهدهم حل فيهم ما حل في أهل الحرب وأصل الحديث ما ذكره البيهقي في المدخل بإسناده عن الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ السّلَمِيّ قال نَزَلْنَا مَعَ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خَيْبَرَ وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أصْحَابِهِ وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ رَجُلاً مَارِداً مُنْكَراً فَأقْبَلَ إلَى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقالَ يَا مُحَمّدُ ألَكُمْ أنْ تَذْبَحُوا حُمُرَنَا وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا فَغَضِبَ يَعْنِي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وَقَالَ (**يَا ابْنَ عَوْفٍ ارْكَبْ فَرَسَكَ ثُمّ نَادِ ألاَ إنّ الْجَنّةَ لاَ تَحِلّ إلاَ لِمُؤْمِنٍ وَأنِ اجْتَمِعُوا لِلصّلاَةِ**) قالَ فَاجْتَمِعُوا ثُمّ صَلّى بِهِمْ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثُمّ قَامَ فَقَالَ (**أيَحْسَبُ أحَدُكُمْ مُتّكِئاً عَلَى أرِيكَته يَظُنّ أنّ الله عز وجل**) إلى آخر الحديث المتقدم ذكره

الحديث الخامس (م) يعني روى مسلم بإسناده (عن جابر رضي الله عنه) أنه قال (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا خطب) في الجمع والأعياد وغيرهما أو في غالب أمره بحسب الوقائع الدينية والدنيوية (احْمَرّتْ عَيْنَاهُ) من كمال شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم في تبليغ أحكام الله تعالى (وَعَلاَ) أي ارتفع (صَوْتُهُ) لتنقذ دعوته إلى الحق في جوانب مجلسه على التمام (وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ) في إظهار دين الله تعالى وإيصاله إلى صميم القلوب (كَأَنّهُ) عليه الصلاة والسلام في تلك الحالة (مُنْذِرُ) أي مخوف

(جَيْشٍ) أي عسكر عظيم من غارة تدركهم (يَقُولُ) في إنذاره الجيش من تتمة التشبيه (صَبَّحَكُمْ) بالتشديد أي أدرككم العدو في وقت الصباح (وَمَسَّاكُمْ) بالتشديد أيضا أدرككم في وقت المساء فتهيؤا للقائه ومقارعته ويحتمل أن يكون معنى ذلك صبحكم الأمر الذي أنذركم به في الآخرة ومساكم من شدة قربه منكم (وَيَقُولُ) في خطبته أيضا (بُعِثْتُ) أي بعثني الله تعالى (أَنَا وَالسَّاعَةُ) أي القيامة قال المناوي في شرح الجامع الصغير الساعة الوقت الذي تقوم فيه القيامة وهي ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم (كَهَاتَيْنِ) أي كأصبعين من شدة القرب (وَيَفْرُقُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ) يسيرا (السَّبَّابَةِ) وهي المسبحة (وَالْوُسْطَى) وهو من تمثيله صلّى الله عليه وسلّم الغائب بالحاضر إشارة إلى دوام شريعته وبقائها إلى يوم القيامة وأنه لا يتخلل بينه وبين الساعة نبي ولا شريعة (وَيَقُولُ) في الخطبة (أَمَّا بَعْدُ) بالبناء على الضم أي بعد دعائي لك وأول من قاله داود عليه السلام أو كعب بن لؤي كذا في القاموس وتقدم هذا في شرح الخطبة (فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ) وهو الخبر يأتي على القليل والكثير ويجمع على أحاديث على غير قياس قال الفراء نرى أن واحد الأحاديث أحدوثة ثم جعلوه جمعا للحديث ذكره الجوهري (كِتَابُ اللهِ) وهو القرآن العظيم (وَخَيْرُ الْهَدْيِ) جمع هدية وهي السيرة قال الجوهري وما أحسن هديته وهديته أيضا بالفتح أي سيرته والجمع هدى مثل تمرة وتمر ويقال أيضا هدى هدى فلان أي سار سيرته وفي الحديث وأهد وأهدى عمار (هَدْيِ مُحَمَّدٍ عليه السلام) نبينا ورسولنا (وَشَرُّ الأُمُورِ) أي الأفعال والأقوال والأحوال والاعتقادات (مُحْدَثَاتُهَا) أي المحدثات منها في ا لدين بعد زمان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وزمان الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم (وَكُلُّ) أمر (محدث) في الدين لم يكن في الصدر الأول من فعل أو قول أو حال أو اعتقاد (بِدْعَةٍ) أي فعلة على خلاف الملة المحمدية (وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ) أي يضل بها صاحبها عن طريق السنة

الحديث السادس (خ) يعني روى البخاري بإسناده (عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) يعني أمة الإجابة

وهم المسلمون المؤمنون به صلّى الله عليه وسلّم وبجميع ما ورد عنه ويحتمل أن يراد بالأمة ما يشمل أمة الدعوى أيضا بقرينة قوله (إِلاَّ مَنْ أَبَىَ) أي امتنع أن يدخل الجنة (قيل) أي قال أحد ممن حضر تعجبا من حال من أبى أن يدخل الجنة (ومن أبى) يعني أي إنسان امتنع من ذلك وهو مراد الكل (قال) صلى لله عليه وسلم (مَنْ أَطَاعَنِي) في كل ما أمرت به ونهيت عنه بالظاهر والباطن (دَخَلَ الْجَنَّةَ) خالدا فيها أبدا (وَمَنْ عَصَانِي) أي لم يطعني في امتثال كل ما أمرت به ونهيت عنه مع الإيمان بذلك إن أريد بالأمة أمة الإجابة بقرينة ذكر العصيان فإنه مشتهر بمعنى الفسق للكفر وإن أريد أمة الدعوى فمعنى عصاني لم يطعني فيما أمرت به ونهيت عنه لا إيمانا ولا عملا وهو الكافر (فقد أبى) أي امتنع أن يدخل الجنة

الحديث السابع (حك) يعني روى الحاكم بإسناده (عن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أنّه قال قال رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مَنْ أَكَلَ طَيِّباً) أي حلالا متيقن الحل لا شبهة فيه وإن جاز أكل ما فيه شبهة روي عن أم عبد الله بنت أوس الأنصارية أخت شداد بن أوس أنها بعثت إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم بقدح لبن عند فطره فرد عليها الرسول صلّى الله عليه وسلّم وقال (**أنى لك هذا**) قالت من شاة لي قال (**أنى لك الشاة**) قالت اشتريتها من مالي فشرب ثم قال صلّى الله عليه وسلّم (**أمرت الرسل أن لا تأكل إلا طيبا ولا تعمل إلا صالحا**) ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير (وعَمِلَ) بقلبه في اعتقاد وبلسانه في قول وبجوارحه في فعل وبنفسه في حال عملا كائنا (في سُنَّةٍ) أي إتباع للنبي صلّى الله عليه وسلّم ظاهرا وباطنا (وَأَمِنَ النّاسُ) من أهل الإسلام ولو فاسقين أو معاهدين من الكفار (بَوَائِقَهُ) جمع بائقة وهي الداهية وباق جاء بالشر والخصومات وباق به حاق وباق القوم عليه اجتمعوا فقتلوه ظلما وباق المال فسد وبار وباق فلان تعدى على إنسان أو هجم على قوم بغير إذنهم كإنباق وباق القوم سرقهم كذا في القاموس (دَخَلَ الْجَنَّةَ) من غير عذاب يسبق (قالوا) أي الحاضرون من الصحابة رضي الله عنهم (يا رسول الله إن هذا) يعني أكل الطيب والعمل في سنة

وأمن الناس البوائق (في أمتك) يعني أمة الإجابة المسلمين المؤمنين بك وبجميع ما جئت به من عند الله تعالى (اليوم) يعني في ذلك الزمان الأول في صدر الإسلام (كثير) حيث لم تظهر البدع بعد (قال) صلّى الله عليه وسلّم (وسيكون في قوم) نكرهم للتقليل أو للتعظيم (بعدي) يعني إلى يوم القيامة فإن الله تعالى حاشاه أن ينزع الكمال من هذه الأمة المحمدية وقد شهد لها بالخيرية في قوله تعالى (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) ألم تر أن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم كان فيهم المنافقون والفاسقون ولم يخرجوا بذلك عن الكمال من حيث عموم الظاهر

الحديث الثامن (هق) يعني روى البيهقي بإسناده (عن ابن عباس رضي الله عنهما) أي عنه وعن أبيه العباس عم النبي صلّى الله عليه وسلّم (عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال من تمسك بسنتي) أي احتفظ على العمل بها (عند فساد أمتي) بإتباع الأهواء والبدع بحيث تصير نفوسهم لا تطمئن في الأعمال والمعاملات إلا إلى الوساوس الشيطانية والاختراعات العقلية مع علمهم بالسنن النبوية والمقادير والحدود الشرعية (**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً** * الكهف: ١٠٤) (فله) عند الله تعالى يوم القيامة (أجر) أي ثواب (مائة شهيد) قاتل في سبيل الله فقتل لما يلحق من المشقة في العمل بالسنة وإحيائها لعدم المعاون وكثرة العوائق كما تلحق الشهيد المقاتل للكفار كذا في شرح الشرعة

الحديث التاسع يعنى روى الترمذي بإسناده (عن زيد بن ملحة عن أبيه عن جده عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال إنّ الدّينَ) أي دين الإسلام الذي هو ملة محمد صلّى الله عليه وسلّم (بَدَأَ) أي ظهر قال الجوهري بدأ الأمر بدوا مثل قعد قعودا أي ظهر وابديته أظهرته (غَرِيباً) أي مستغربا يستغرب أحكامه كل أحد لعدم معرفته والإيتلاف به (وَيَرْجِعُ) في آخر الزمان (غَرِيباً) أيضا كما بدا فلا يعرفونه ولا يأتلفون به فينكرونه وقد كان فيما بين بدايته ورجوعه معروفا مألوفا وهو زمان عزته ونصرته يجدون عليه أعوانا صدورهم مملوءة توحيدا وإيمانا ومعرفة وإيقانا وإخلاصا وإحسانا (فطوبى) فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمة قبلها ويقال طوبى لك وطوباك بالإضافة قال

يعقوب ولا تقل طوبيك بالياء قاله الجوهري (لِلْغُرَبَاءِ) جمع غريب وهو الإنسان الغريب فإنه الذي يستمسك بالدين الغريب فهو غريب مثله وقد فسرهم النبي صلّى الله عليه وسلّم بقوله (الّذِينَ يُصْلِحُونَ) من أصلحه ضد أفسده والصلاح ضد الفساد كالصلوح صلح كمنع وكرم وهو صلح بالكسر وصالح وصليح كذا في القاموس (مَا) أي الذي (أَفْسَدَ النّاسُ) أو إفسادهم (مِنْ بَعْدِي) متعلق بأفسد (مِنْ سُنَتِي) أي سيرتي وطريقتي اعتقادا أو عملا أو قالا أو حالا وإصلاحهم لما فسد من السنة إما بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر على وجه العموم من غير تخصيص أحد باللسان ولا بالقلب مع ستر عورات المسلمين وتغطية ما أنكشف من قبائحهم كما هو الطريقة المسنونة في الأمر والنهي لا لمبتدعة التي اخترعها جهلة العلماء من كشف فضايح المسلمين واستباحة أعراضهم على توهم المنكر فضلا عن تحققه أو بالعمل بذلك والمواظبة عليه حتى يقتدي به أهل الدين والتقوى مع الإخلاص والخشوع أو بتصنيف الكتب في بيان ذلك أو بإقراء الكتب المصنفة فيه أو بالإعانة عليه والترغيب فيه وعدم المبالاة بفساد الزمان والإخوان حتى ورد في حديث آخر تفسير الغرباء أخرجه الأسيوطي في الجامع الصغير وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم (**طوبى للغرباء أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**) وقال الشارح المناوي وفي رواية بدله (**من يبغضهم أكثر ممن يحبهم**) ومن ثم قال الثوري إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه لو نطق بالحق لأبغضوه قال الغزالي وقد صار ما ارتضاه السلف من العلوم غريباً بل أندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع وقد صارت علوم أولئك غريبة بحيث يمقت ذاكرها

الحديث العاشر (م) يعني روى مسلم بإسناده (عن رافع بن خديج أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (أَنْتُمْ) يا معشر المكلفين من الصحابة وغيرهم (أَعْلَمُ) أي أكثر علما مني (بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ) لكثرة اشتغالكم بذلك وليس أمر الدنيا بأمر عظيم القدر عند الله تعالى حتى يدخل النقص في جناب النبوة بنفي الإعلامية فيه حيث كانت الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله كما ورد في الخبر وتقدير المعنى فلا

تحتاجون في أحوال الدنيا إلى أمري لكم فيها بما ينفعكم من التصرفات ونهي عما يضركم لاكتفائكم في ذلك بنظر عقولكم وتجربتكم وقائع الأحوال ولكن (إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ) أمر (دِينِكُمْ) امتثالا لطاعة أو انْكِفَافاً عن معصية فدخل النهي في الأمر لأنه أمر بالكف كما أن الأمر أمر بالفعل (فَخُذُوا) أي تمسكوا واحتفظوا (بِهِ) وامتثلوا له والتقدير فإني أعلم منكم بأمر دينكم كما جاء في حديث آخر (**فواللهِ لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**)

الحديث الحادي عشر (ت) يعني روى الترمذي بإسناده (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما) أي عنه وعن أبيه عمر بن الخطاب (عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال لا يؤمن) أي يصدق ويعترف بما جئت به من عند الله تعالى أمرا ونهيا ظاهرا وباطنا (أحدكم) أي الواحد منكم ذكرا كان أو أنثى (حتى يكون هواه) أي ميله ورغبته ومحبته (تبعاً) أي تابعا (لما جئت به) من عند الله تعالى من الشرايع والأحكام بحيث لا يستحسن برأيه وعقله زيادة فيه أو نقصانا منه ولا يستقبح بنظره ما يخالف شيئا من ذلك بل يصير رأيه وعقله ونظره في أثر ما جاء عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم يحكم فيه الوارد في الشرع لا يحكم هو في الوارد في الشرع

الحديث الثاني عشر (خم) يعني روى البخاري ومسلم بإسنادهما (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال ليأتين) أي والله ليأتين (على أمتي) يعنى أمة الإجابة المؤمنين به عليه السلام بسبب طول العهد عن زمن نبوته ونقصان النقلة لدينه من غير زيادة ولا نقصان وذهاب العدول إلا قليلا (كما أتى على بني إسرائيل) أي أمة موسى عليه السلام يعني من التغيير والتبديل لشرايع الدين والزيادة فيها والنقصان منها (حذو) بالذال المعجمة (النعل بالنعل) قال الجوهري حذوت النعل بالنعل حذوا إذا قدرت كل واحدة على صاحبتها يقال حذو القذة بالقذرة انتهى والمعنى موافقة هذه الأمة لبني إسرائيل موافقة كلية في جميع ما صدر منهم في دين الله تعالى (حتى إن كان منهم) أي من بني اسرائيل (من اتى) أي جامع (امة) التي ولدته (علانية)

أي جهرا من غير استتار وهو أقبح معصية في الإسلام عقلا وشرعا ومروة وعرفا (لكان في أمتي من يصنع ذلك) إيثار الهوى نفسه على ما جاء به نبيه صلّى الله عليه وسلّم من عند ربه من الحق وبنو إسرائيل هؤلاء هم أولاد يعقوب جمع ابن قال البيضاوي الابن من البناء لأنه مبني أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال أبو الحرب وبنت فكر وإسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعربية صفوة الله وقيل عبد الله وقال الخازن اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام ابن اسحق عليه السلام ابن إبراهيم صلّى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين (وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة) بالكسر وهي الشريعة والدين كذا في القاموس (وتفترق أمتي) يعني أمة الإجابة المؤمنين به صلّى الله عليه وسلّم لأن أمة الدعوى مفترقون أكثر من ذلك في زمانه عليه السلام (على ثلاث وسبعين ملة) بزياد ملة واحدة ولعل ذكر السبعين للتكثير لا للتعديد (كلهم في النار) للتطهير لا للتكفير إذ لو كفروا لكانوا أمة دعوى لا أمة إجابة فساووا ملل أمة الدعوى وكذلك كل فرقة كفرت منهم خرجت على الثلاث والسبعين وأصله أن الخطأ في الاجتهاد في الاعتقاد إذا كان في غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة هل يوجب الكفر أم لا كما أن الخطأ في الاجتهاد في العمليات في غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة مثاب عليه اتفاقا وأما المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة من قسم الاعتقاديات كحدوث العالم وحشر الأجساد وثبوت صفات الله تعالى مما جحدته الفلاسفة ومن قسم العمليات كأركان الإسلام الخمسة وحرمة الربا والزنا وشرب الخمر والسرقة والظلم ونحو ذلك فإن الاجتهاد في شيء من هذا باطل لا يصح إجماعا لأن جحوده كفر قال في شرح مرقاة الأصول في الخلاف في الاجتهاد بين أهل السنة والمعتزلة فالمجتهد يخطئ ويصيب عندنا وعندهم كل مجتهد مصيب بناء على أن الحكم عند الله واحد عندنا ومتعدد عندهم فإن المجتهدين إذا اجتهدوا في حادثة واحدة فالحكم عند الله تعالى على رأينا واحد منها وعلى رأيهم ما أدى إليه اجتهاد كل مجتهد وهذا الخلاف في الشرعيات لا العقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والأفعال من الإلهيات

والنبوات فإن المليين اجمعوا على وحدة المصيب في العقليات إلا عند بعض المعتزلة وهو أبو الحسن العنبري والجاحظ فإنهما قالا أن كل مجتهد مصيب في مسائل الكلام وفي شرح المنار لابن ملك وهذا الخلاف في الشرعيات لا في العقليات التي من أصول الدين والحق فيها واحد بالإجماع والمخطئ فيها كافر إن خالف ملة الإسلام كاليهودي والنصراني انتهى وتقديره وإن لم يخالف ملة الإسلام بأن كان اجتهاده في غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكون كافرا إن أخطأ في ذلك وهو ما فصلناه آنفا فهؤلاء الثلاث والسبعون فرقة إن لم يكفروا بجحود مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كلهم مسلمون مجتهدون في دين الإسلام من حيث الاعتقاد فمن أخطأ المجتهد في العمليات إلا على مقتضى مذهب أبي الحسن العنبري والجاحظ من المعتزلة لتسويتهم في صحة الاجتهاد وقبول الخطأ فيه بين العمليات والاعتقاديات ومما يؤيد ما قلناه قوله صلّى الله عليه وسلّم (**كفوا عن أهل لا إله إلاّ الله لا تكفروهم بذنب فمن أكفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب**) أخرجه الأسيوطي في الجامع الصغير وقال شارحه المناوي فمخالف الحق من أهل القبلة ليس بكافر ما لم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الأجساد فإنه حينئذ ليس من أهل لا إله إلاّ الله فنكفره انتهى وإذا تأملت هذا ظهر لك الجواب عن قول العلامة السعد التفتازاني في شرح عقائد النسفي رحمهما الله تعالى والجمع بين قولهم لا نكفر أحدا من أهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرآن أو استحالة الرؤية أو سب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولعنهما وأمثال ذلك فمشكل انتهى كلامه فإن المراد بأهل القبلة من لم يكفر بإنكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة والتكفير بهذه الثلاثة المذكورة مختلف فيه بين المجتهدين فمن أكفر بها أراد بأهل القبلة من لم يقل بذلك (إلا ملة واحدة) استثناها فبقي اثنان وسبعون ملة مقدار ملل بني إسرائيل وهذه الملة المستثناة لا تدخل النار أصلا بسبب عدم عصيانها في الاعتقاد إن ماتت معتقدة مقتضى مذهبها ولكن يمكن أن تدخل النار بسبب عصيانها في العمل هذا إن حملنا افتراق هؤلاء المسلمين الثلاث

والسبعين ملة على افتراقهم في الاعتقاد فقط وإن أطلقناه في الاعتقاد وفي العمل أيضا على معنى افتراقهم في الشيئين معا بقرينة قوله عليه السلام في صدر الحديث حتى إن كان منهم من أتى أي جامع أمة علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك فإن هذا متابعة في العمل فتكون هذه الملة المستثناة لا تدخل النار أصلا بسبب عدم عصيانها في الاعتقاد وفي العمل إن ماتت على ذلك وهو المتبادر من ظاهر الحديث (قالوا) أي من حضر من الصحابة رضي الله عنهم (من هي) أي تلك الملة الواحدة (يا رسول الله قال ما) أي الذي أو أمر وشأن معناه ملة (أنا) منطو (عليه وأصحابي) من هذه الملة الإسلامية والسيرة المرضية المحمدية والمراد بالملة هنا وفيما تقدم أصحاب الملة المعتقدون لها العاملون بمقتضاها من إطلاق أحد المتجاورين على الآخر لأنها تجاورهم بالاعتقاد لها والعمل بها، فصح إطلاقها عليهم وأن يرادوا بها كما قالوا منهي فاستفهموا عن أصحابها بمن التي تستعمل فيمن يعقل فقال عليه السلام **(ما أنا عليه)** مجيبا بما التي تستعمل فيما لا يعقل بمعنى الملة نفسها، وفي كتاب المدخل قال البيهقي قد أخبر سيدنا المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عما ظهر بعده من اختلاف الأمة وحذرهم متابعة أهل الأهواء منهم فيما أحدثوا من البدعة وحثهم على متابعة سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده من الصحابة ودلهم بالإشارة إلى ما كانوا عليه على الفرقة الناجية فمن سلك في دينه سبيلهم ولزم في متابعة الكتاب والسنة هديهم فاز فوزا عظيما ونال حظا جسيما ولعل قائلا يزعم أن المجتهدين من أهل السنة والجماعة اختلفوا أيضا اختلافا كثيرا وتباينوا تباينا شديدا فهم وإن اختلف اجتهادهم فيما يسوغ فيه الاجتهاد فقد اجتمعوا من حيث لم يخالف واحد منهم كتابا نصا ولا سنة قائمة ولا إجماعا ولا قياسا صحيحا عنده وأن كل واحد منهم قد أدى ما كلف من الاجتهاد وأحرز الأجر الموعود على طلب الصواب واختصاص بعضهم بإحراز الأجر الأخر الموعود على إصابة العين التي أمر بالاجتهاد في طلبها فضل الله يؤتيه من يشاء والذي لم يصبها غير آثم بالخطإ لأنه إنما كلف في الحكم الاجتهاد على الظاهر دون الباطن ولا يعلم الغيب إلا الله فهم مع اختلافهم هذا النوع

من الاختلاف من أهل السنة والجماعة وأنا أرجوا أن لا يؤخذ على واحد منهم أنه قصد أن يخالف كتابا نصا ولا حديثا ثابتا ولا قياسا صحيحا عنده ولكن قد يجهل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها لا أنه عمد خلافها وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل وقد تكون نازلة ويوجد لها في أصلين شبه فيذهب ذاهب إلى أصل والآخر إلى أصل غير فيختلفان ثم بسط الكلام في هذا المقام

الحديث الثالث عشر (ت) يعني روى الترمذي بإسناده (عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لي يَا بُنَيّ) هذه حكاية قول أنس رضي الله عنه وفي هذا النداء لأنس ما لا يخفى من الإكرام والتحنن والأنس (إِنْ قَدِرْتَ) أي أقدرك الله تعالى بعنايته وتوفيقه (أَنْ تُصْبِحَ) يعني في كل صباح طول عمرك (وَتُمْسِيَ) في كل مساء طول عمرك (و) الحال أنه (لَيْسَ فِي قَلْبِكَ) إضمار (غِشٌ) بالكسر اسم من غشه لم يمحضه النصح أو أظهر له خلاف ما أضمر كغششة والغش الغل والحقد وبالضم الغاش كذا في القاموس (لِأَحَدٍ) بالتنكير ليشمل المؤمن والكافر والصديق والعدو والإنسان وغيره (فَافْعَلْ) كذلك وعوّد نفسك برياضيتها على ذلك ليطهر قلبك من أدناس الوسواس (ثمّ قالَ) النبي صلّى الله عليه وسلّم لأنس رضي الله عنه (يَا بُنَيّ وَذَلِكَ) يعني سلامة القلب من إضمار الغش لأحد دائما (سُنّتِي) أي سيرتي وطريقتي (وَمَنْ أَحب سُنّتِي) هذه وغيرها أيضا فعمل عليها حتى تخلق بها (فَقَدْ أَحبّنِي) أي كان ذلك دليلا على أنه يحبني فإن من أحب أحدا أحب جميع أفعاله كما قال القسطلاني في مواهبه ومن علامات محبته صلّى الله عليه وسلّم محبة سنته وقراءة حديثه فإن من دخلت حلاوة الإيمان في قلبه إذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تشربتها روحه وقلبه ونفسه فتعمه تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء أشد للهيبة وحريقه

من أعراضه عنه ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليه من العذاب الجسماني كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه وإقباله أعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله تعالى ذوق حلاوة هذا الشراب (وَمَنْ أَحبّنِي كَانَ مَعِي في الْجَنّةِ) يعني أوصلته محبة الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى النعيم الأبدي والرضوان السرمدي فإن (**المرء مع من أحب**) كما ورد في الحديث وليس المراد أنه معه في منزلته بل مطلع عليه وكاشف عنه وكل واحد منهما في منزلته لم يتغير عنها قال الشيخ النووي في شرح مسلم عند الكلام على هذا الحديث فيه فضل حب الله تعالى وحب رسوله صلّى الله عليه وسلّم والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات ومن أفضل محبة الله تعالى ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم وقد صرح في الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال رجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال أهل العربية لما لنفي الماضي المستمر فتدل على نفيه في الماضي وفي الحال بخلاف لم فإنها تدل على الماضي فقط ثم إنه لا يلزم من كونه معهم أن تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه

الحديث الرابع عشر (دز) يعني روى أبو داود والبزار بإسنادهما (عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم حين أتاه عمر) ابن الخطاب رضي الله عنه (فقال) يعني عمر رضي الله عنه (إنا نسمع أحاديث) جمع حديث وهي أخبار الكتب الماضية (من) أناس (يَهُودَ) جمع يهودي وهم الزاعمون أنهم الآن من أمة موسى عليه السلام (تعجبنا) تلك الأحاديث لما فيها من الحكم والمواعظ (أفَتَرَى) أي أفتنظر (أن نكتب) أي نجمع عندنا (بعضها) لنعتبر به ونتعظ بمعانيه (فقال) صلّى الله عليه وسلّم (أمُتَهَوِّكونَ أنتم) أي متحيرون قال الجوهري التهوك التحير، وفي الحديث أمتهوكون أنتم قال ابن عون فقلت للحسن ما متهوكون قال متحيرون والتهوك أيضا مثل التحير وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة (كما تَهَوَّكَتِ) أي تحيرت (اليهودُ والنصارى) جمع نصراني وهم الزاعمون أنهم الآن من أمة عيسى عليه السلام (لقد جئتكم) من عند الله تعالى

(بها) أي بتلك الأحاديث التي تعجبكم (بيضاء) أي منيرة مشرقة بألفاظ عربية فصيحة ومعان واضحة راجحة بخلاف تلك الأحاديث التي هي عند أهل الكتاب فإنهم تلقوها من أنبيائهم باللسان العجمي وتناقلتها فهوم الجاهلية في أيام الفترة فكثفت لطائفها وجهلت معارفها وطمست أنوارها وكدرت أنهارها (نقِيَّةً) أي خالصة من شوب الخفاء والالتباس متطهرة من أنواع العيوب والأدناس بخلاف أحاديث أهل الكتاب فإنهم لما نقلوها من العجمية إلى العربية دنسوها بقبائح كلماتهم وخلطوها بخبائث وساوسهم (ولو كان موسى) ابن عمران عليه السلام (حيا) في هذا الزمان (ما وسعه) أي ما جاز له (إلا إتباعي) ولا يسوغ له أن يستقل بشريعته دوني إذ هو صلّى الله عليه وسلّم نبي الأنبياء ورسول المرسلين من حضرة رب العالمين وقد أخذ الله تعالى الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين أن كل من لقيه صلّى الله عليه وسلّم منهم وأدرك زمانه يكون تابعا له في شريعته كما قال تعالى (**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ** * آل عمران: ٨١) الآية وقد قدمنا الكلام على هذا المبحث وفي الحديث إشارة إلى أنه لا يجوز لعالم ولا جاهل أن ينظر في كتب أهل الكتاب اليوم ولا في التوراة والإنجيل والزبور والصحائف الموجودة الآن بأيدي الكفار ولو بنية الانتصاح والاعتبار كما كره الفقهاء الدخول إلى البيعة أو الكنيسة لأنها مأوى الشياطين وكذلك كتبهم وصحائفهم الآن التي حرفوها وغيروها وبدلوها صارت مشتملة على كلام الشياطين ولهذا جوز بعض الشافعية الاستنجاء بها إذا خلت من ذكر الله تعالى قال الشيخ علوان بن عطية الحموي رحمه الله تعالى في كتابه هداية العامل وما حُرّف من الكتب أو نسخ لا حرمة له ولا يجوز الإيمان بالمحرف ولا العمل به بل بالغ بعض العلماء فجوز الاستنجاء بالتوراة التي في أيدي اليهود اليوم، وعندي فيه نظر إلا ما تحقق تحريفه بالألفاظ الكفرية ونحوها انتهى وقرأت في هذا المحل على هامش نسخة من الكتاب المذكور هداية العامل من خط العلامة المرحوم الشيخ شمس الدين الميداني قال ما ذكره من النظر هو الصواب لأن التوراة حق لا شك فيه فاحترامها واجب لأنها كلام الله تعالى ونحن الآن شاكون فيها هل بدلت أم لا لا جائز

أن يقال بدلت كلها لأن فيها ما يجزم الإنسان بأنه غير مبدل بل يقال بدل بعضها واختلف الأئمة هل هو تبدل معنى مع بقاء اللفظ بحاله أو تبديل لفظ بلفظ وعلى كل تقدير فقد اشتملت على معظم وغير معظم فإذا لم يتميز المبدل من غيره فنعظمها رجوعا إلى الأصل واحتياطا للمعظم الذي لم يبدل وتحرم إهانتها تغليبا للمعظم الذي إنبهم علينا انتهى كلامه ويؤيد هذا أن الأئمة الحنفية كرهوا للجنب قراءة التوراة وعللوا بنحو ما ذكر قال في شرح الدرر ويكره له أي الجنب قراءة التوراة والزبور والإنجيل انتهى وقد أخبرني رجل كان يتردد إلى أنه دخل مرة كنيسة اليهود فكشفوا له عن صحائف التوراة فاستهان بها حتى أنه أغفلهم وبصق فيها وخرج ثم إني رأيته بعد ذلك لم يزل ينكب في دينه وفي دنياه حتى مات أقبح ميتة وقيل إنه قتل نفسه والعياذ بالله تعالى فعلمت أنه بسبب إهانته لما ينسب إلى الله تعالى من الكلام وإن كان محرفا وعرفت سر كراهة علمائنا قراءة التوراة للجنب حثا على الاحترام وتعظيما لما ينسب إلى كلام ذي الجلال والإكرام والحاصل أنه لا يجوز إهانة هذه الكتب المنسوخة ولا يجوز القراءة فيها أيضا ولا المطالعة

الحديث الخامس عشر (حدز) يعني روى أحمد بن حنبل والبراز بإسنادهما (عن مجاهد رضي الله عنه أنه قال كنا مع ابن عمر) ابن الخطاب رضي الله عنهما (في سفر فمر بمكان فحاد) أي أعرض (عنه) أي عن ذلك المكان (فسئل) أي سأله من حضره (لم فعلت ذلك قال) يعني ابن عمر رضي الله عنهما (رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعل ذلك) يعني حاد عن ذلك المكان (ففعلت) أنا كذلك وهذا من زيادة متابعته للنبي صلّى الله عليه وسلّم في جميع أفعاله وأعماله وأقواله وأحواله

الحديث السادس عشر (ز) يعني روى البزار بإسناده (عن ابن عمر) ابن الخطاب (رضي الله عنهما أنه كان يأتي شجرة) في موضع (بين مكة والمدينة فيقيل تحتها) من القائلة وهي نصف النهار قال قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا وتقيل نام فيه فهو قائل كذا في القاموس والمعنى أنه كان ينام تحت تلك الشجرة وقت القيلولة نصف النهار

(ويخبر أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يفعل ذلك) وهو يقتدي به ويتابعه في مثل فعله الذي رآه يفعله حرصا على متابعة السنة المحمدية قال الإمام البيهقي في المدخل إن أبا عبد الله الحافظ أخبره بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي قال لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا سمع من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حديثا أجدر أن لا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا ولا من ابن عمر وحدث أيضا بإسناده عن مالك عن عبد الله بن عمر أنه كان يتبع أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآثاره وحاله ويهتم به حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك

الحديث السابع عشر (م) يعني روى مسلم بإسناده (عن أنس رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من رغب) أي أعرض (عن سنتي) يقال رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة أراده كارتغب وعنه لم يرده وإليه ابتهل وهو الضراعة كذا في القاموس والسنة الطريقة والسيرة تعم الأقوال والأفعال والأحوال كما قدمنا (فليس) محسوبا (مني) أي من ملتي وديني لإعراضه عن السنة وإتباعه البدعة فإن اعرض عنها معتقدا لها فهو مبتدع فاسق وإن لم يرها حقا وتهاون بها فهو كافر

الحديث الثامن عشر (حب) يعني روى ابن حبان بإسناده (عن عبد الله بن عمر) ابن الخطاب (رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لكل عمل) من أعمال بني آدم في الخير والشر بظاهره أو باطنه (شرة) أي نشاط من شرة الشباب بالكسر نشاطه كذا في القاموس والمعنى أن ابن آدم كلما عمل عملا من الأعمال بقصده واختياره كان له إلى ذلك العمل نشاط وحرص شديد ورغبة زائدة في وقت عمله له ولهذا لا يمكن في الغالب إرجاعه عنه بلوم أو تضيق ما لم يرجع هو بنفسه إذا تم نشاطه فيه كما قال **الشاعر**:

لا ترجع الأنفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

(ولكل شرة) أي نشاطا لي عمل من الأعمال وشدة رغبة فيه من كل أحد (فترة) يقال فتر يفتر فتورا سكن بعد حدة ولان بعد شدة، وفتر الماء سكن حره، وفتر جسمه فتورا

لانت مفاصله وضعف، كذا في القاموس والمعنى أن كل من غلب نشاطه إلى شيء مطلقا واشتدت رغبته فيه لا بد أن يضعف منه ذلك النشاط وتزول تلك الرغبة لأن النفس جاهلة من أصل خلقتها ولها غفلة ورعونة وطيش في طبيعتها لا تتكلف لشيء من ذلك لأنها مجبولة عليه فإذا ظهر لها كمال في شيء من الأعمال وغيرها سواء كان خيرا أو شرا أو نفعا أو ضرا حالا أو مآلا أقبلت على ذلك الشيء ورغبت فيه كمال الرغبة ونشطت إليه أبلغ نشاط ولا يمكنها في ذلك الوقت أن ترجع عنه بوجه مطلقا حتى يتراءى لها في ذلك الشيء وجه من وجوه النقص ولا بد أن يظهر لها ذلك في كل ما هي راغبة فيه وناشطة إليه كائنا ما كان ذلك الشيء فعنده ذلك تذهب رغبتها ويقل نشاطها وتضعف عما كانت فيه من قبل وهذا من كمال جهلها وزيادة رعونتها وحمقها (فمن كانت فترته) أي سكونه من نشاط نفسه وغلبة رغبته في علم من الأعمال مطلقا (إلى سنتي) بأن ترك إقباله على كل شيء وانهماكه في كل أمر واشتغل بالسنة النبوية والطريقة المحمدية (فقد اهتدى) أي وصل إلى سعادة الدنيا والآخرة (ومن كانت فترته) أي سكون نشاطه وضعف طلبه من عمل من أعماله (إلى غير ذلك) أي إلى غير السنة بل كان إلى البدعة أو إلى عمل آخر من أعماله وهو معرض عن السلوك في طريق السنة (فقد هلك) بالضلال في الدنيا والآخرة، وفي الحديث إشارة إلى أن مراعات حظوظ النفوس بالنشاط والحرص على المباحات غير مذموم لذاته بل ربما كان محمودا إذا تركه الإنسان بعد الاهتمام به والانهماك فيه وعدل إلى سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مراعات ذلك فإن له أجر المهاجر من نفسه إلى ربه أي من حظ نفسه إلى أمر ربه كما قال تعالى (**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** * النازعات: ٤٠-٤١) وفيه إشارة أيضا إلى أن الله تعالى يقبل المسرف على نفسه إذا ترك ما كان فيه من الخطايا والآثام وأقبل على سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتقيد بمتابعتها والمحافظة عليها وإن كان تركه خطاياه وآثامه سامة منها وفتورا فيها من عدم قبول طبيعته لها وأن المقصود الشرعي ترك ذلك والإقلاع عنه كيف ما كان

الحديث التاسع عشر (طك حب حك) يعني روى الطبراني في المعجم الكبير وابن حبان والحاكم بإسنادهم (عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال ستة لَعَنْتُهم) يقال لعنه أي طرده وأبعده فهو لعين وملعون والمعنى دعوت الله تعالى أن يطردهم ويبعدهم عن رحمته فقول الإنسان عن غيره لعنه الله دعاء منه بأن الله لا يرحمه ضد قوله عنه رحمه الله وهو الدعاء بأن الله تعالى يرحمه وما ساغ ذلك للنبي صلّى الله عليه وسلّم إلا بعد علمه بلعن الله تعالى لهم ولهذا قال (ولعنهم) أي طردهم (الله) تعالى وأبعدهم عن رحمته ويجوز للإنسان لعن من لعنه الله تعالى كإبليس والكافرين والظالمين وأما من لم يلعنهم الله تعالى فلا يجوز لعنهم روى الإمام النووي في رياض الصالحين عن أبي زيد ثابت ابن الضحاك الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة، وليس على رجل نذر فيما لا يملك، ولعن المؤمن كقتله**) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا**) رواه مسلم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**) رواه مسلم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لعن فإن كان أهلا وإلا رجعت إلى قائلها**) رواه أبو داود وهذا كله في لعن معين لم يرد عن الله لعنه بعينه ولا عن رسوله صلّى الله عليه وسلّم وأما لعن غير المعين من أصحاب المعاصي فهو جائز قال تعالى (**أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** * هود: ١٨) وقال تعالى (**فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** * الأعراف: ٤٤) أن لعنة الله على الظالمين وثبت في الصحيح أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**لعن الله الواصلة المستوصلة**) وأنه قال (**لعن الله آكل الربا**) وأنه لعن المصورين وأنه قال (**لعن الله من غير**

منار الأرض) أي حدودها وأنه قال (**لعن الله السارق يسرق البيضة)** وأنه قال (**لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله)** وأنه قال (من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وأنه قال (**اللهم ألعن رعلا وزكوان وعصية عصوا الله ورسوله)** وهذه ثلاث قبائل من العرب وأنه قال (**لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** وأنه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الألفاظ في الصحيح بعضها في صحيح البخاري ومسلم وبعضها في أحدهما وفي شرح صحيح مسلم للإمام النووي رحمه الله تعالى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (**اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا)** وفي رواية (**أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة)** وفي رواية (**فأي المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة)** وفي رواية (**إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له زكاة وقربة)** وفي رواية (**إني اشترطت على ربي فقلت إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتي دعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة)** هذه الأحاديث مبينة ما كان عليه صلّى الله عليه وسلّم من الشفقة على أمته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم والرغبة في كل ما ينفعهم وهذه الرواية المذكورة آخرا تبين المراد بباقي الروايات المطلقة وأنه إنما يكون دعاؤه عليه كفارة ورحمة وزكاة ونحو ذلك إذا لم يكن أهلا للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه وكان مسلما وإلا فقد دعى صلّى الله عليه وسلّم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك بهم رحمة فإن قيل فكيف يدعو على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أو يسبه أو يلعنه فالجواب ما أجاب به العلماء ومختصره وجهان **أحدهما** أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر ولكنه في الظاهر مستوجب له فيظهر له صلّى الله عليه وسلّم استحقاقه لذلك بامارة شرعية ويكون في باطن الأمر ليس أهلا لذلك وهو صلّى الله عليه وسلّم مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر **والثاني** أن ما وقع من سبه ودعائه

ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب في فصل كلامها بلا نية كقوله تربت يمينك ولا كبرت سنك وفي حديث معاوية لا أشبع الله بطنه ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء فخاف صلّى الله عليه وسلّم أن يصادف شيء من ذلك إجابة فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورا وأجرا وإنما كان يقع منه هذا في النادر والشاذ من الأزمان القليل ولم يكن صلّى الله عليه وسلّم فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا منتقما لنفسه وأما قوله صلّى الله عليه وسلّم أغضب كما يغضب البشر فقد يقال إن السب ونحوه كان بسبب الغضب وجوابه ما ذكره المازري رحمه الله تعالى قال يحتمل أنه صلّى الله عليه وسلّم أراد أن دعاءه وسبه وجلده كان مما تخير فيه بين أمرين أحدهما هذا الذي فعله والثاني زجره بأمر آخر فحملة الغضب لله تعالى على أحد الأمرين المخير فيهما وهو سبه أو لعنه وجلده ونحو ذلك وليس ذلك خارجا عن حكم الشرع والله اعلم (وكل نبي) من أنبياء الله تعالى عليهم السلام (مجاب الدعوة) يعني بعين ما دعى من غير تأخير إلى الآخرة وإلا فكل مؤمن مجاب الدعوة كما قال تعالى (**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ** * غافر: ٦٠) ولكن إما بعين ما دعى أو بأعلى منه أو بأدنى منه في الحال أو بعد الحال أو في الآخرة على حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية بل دعاء الكافر مجاب أيضا كما قال إبليس اجعلني من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم فاستجاب الله له وجعله من المنظرين وأما قوله تعالى (**وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلاَلٍ** * الرعد: ٤١) فهو إخبار منه تعالى أنهم لا يدعون فيما هو هدى لهم والله تعالى مجيب لهم أيضا فيما يدعونه فهو يضلهم بدعائهم على حسب مشيئته تعالى فإن قلت حيث كان كل نبي مجاب الدعوة فلماذا لم تقع الإجابة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم في دعائه أن يجعل الله تعالى حساب أمته إليه يوم القيامة كما ورد في حديث الأسيوطي في الجامع الصغير قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**سألت الله أن يجعل حساب أمتي لي لئلا تفتضح عند الأمم فأوحى الله عز وجل إليّ يا محمد بل أنا أحاسبهم فإن كان منهم زلة سترتها عنك لئلا يفتضحوا عندك**) حتى ذكر الشارح المناوي

قال ابن العربي وفيه أن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في أصل الإجابة كسائر المسلمين في أنه يجوز أن يعطي ما دعى فيه وأن يعرض عما سأل فالجواب أن الله تعالى إذا جعل حساب أمته إليه سبحانه فإن كان منهم زلة سترها لئلا يفتضحوا عند نبيهم صلّى الله عليه وسلّم أيضا فهذه إجابة لدعاء النبي صلّى الله عليه وسلّم على أبلغ وجه طلبه من الله تعالى لأن مراده صلّى الله عليه وسلّم بأن الله تعالى يجعل حساب امته إليه لئلا يفتضحوا يوم القيامة عند الامم كما علّل بذلك سؤاله فأعطاه الله تعالى مراده من سؤاله بأبلغ مما سأل ولم يفتضحهم عنده أيضا فإن حلم الله تعالى أوسع ورحمته أعم ومغفرته أشمل فقد يضيق صدره صلّى الله عليه وسلّم لكونه بشرا فلا يحتمل قبائح العصاة إذا عرضت عليه فيشدد في الحساب عليهم يوم القيامة وإن طلب ذلك في الدنيا من الله تعالى لأنه لم يطلع عليهم تفصيلا مثل اطلاع الله تعالى فبقي العموم على أصله في أن كل نبي مجاب الدعوة كما ذكرنا وكلام ابن العربي معناه جواز الإعراض عما سأل النبي صلّى الله عليه وسلّم لا وقوع ذلك وجواز الإعراض عن خصوص ما طلب لا عمومه وفي هذا الحديث الإجابة بأعلى ما طلب ثم اعلم أن قوله صلّى الله عليه وسلّم ولعنهم الله يحتمل أرادة الإخبار عن الله تعالى أنه لعنهم كما ذكرنا فالواو للعطف ويحتمل إنشاء اللعن عليهم من النبي صلّى الله عليه وسلّم فالواو للاستئناف ويناسبه الأخبار بعده بأن كل نبي مجاب الدعوة فمعناه أن دعوتي بلعنهم مستجابة ولا بد وقوله وكل نبي مجاب الدعوة محتمل أيضا أن تكون الواو للحال من فاعل لعنتهم وان تكون للعطف عليه والمعنى أن كل نبي مجاب الدعوة لعنهم أيضا ويبقى قوله مجاب الدعوة صفة كاشفة لنبي كقوله تعالى (**يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا** * المائدة: ٤٤) فإن النبيين كلهم أسلموا وليس منهم من لم يسلم ثم إن النبي صلّى الله عليه وسلّم ذكر الستة الذين لعنهم فقال الأول منهم (الزائد) يعني الذي زاد (في كتاب الله) تعالى ما ليس منه عامدا متعمدا بأن وضع كلمة مثلا زائدة وعلمها لمن لم يقرأ القرآن بعد أو كتب كلمة زائدة في المصحف وادخلها في كلام الله تعالى أو اخترع كيفية عمدا وقرأ بها آية من كتاب الله تعالى أو زاد

حكما من أحكام الله تعالى بمجرد قياس عقله وطبعه كمن حرم ما لم يحرمه الله تعالى في كتابه أو أباح ما لم يبحه الله تعالى في كتابه ولا يدخل في ذلك من حرم أو أباح بالسنة أو الإجماع أو القياس في حق المجتهد فإنه حكم بالكتاب أيضا لأنها منه كما قدمنا وكذلك من اخترع بعقله ورأيه معنى الآية من كتاب الله تعالى لا يليق بالشريعة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من قال قي القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**) وفي رواية (**من قال في القرآن برأيه**) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأي إنما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواء وهذا لا يخلوا إما أن يكون عن علم أو لا فإن كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغير هم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وإن كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك أن تكون الآية محتملة لوجه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فأما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط إلى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فإن الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبي صلّى الله عليه وسلّم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعى صلّى الله عليه وسلّم لأبن عباس فقال (**اللّهمّ فقهه في الدين وعلمه التأويل**) فكان أكثر ما نقل عنه لتفسير كذا قاله أبو محمد الخازن في أول تفسيره (و) الثاني (المكذب بقدر الله) أي الذي يقول لا قدر وإنما الأمر أنف أي لم يطرقه أحد من قولهم روضة أنف بضمتين قال الجوهري روضة أنف بالضم أي لم يرعها أحد والكلاء الأنف الذي لم يرع وفي حواشي شرح السنوسية

للعلامة الشيخ أحمد المقري رحمه الله تعالى قال الا بي القدر بالفتح والسكون مصدر قدرت الشيء إذا أحطت بمقداره وهو في عرف المتكلمين عبارة عن تعلق علم الله تعالى وإرادته أزلا بالكائنات قبل وجودها فلا حادث إلا وقد قدره سبحانه وتعالى أزلا أي سبق به عمله وتعلقت به إرادته وزعم كثير أن معنى القدر جبر الله تعالى العبد على ما قدره وقضاه وليس كذلك والقول بالقدر عقيدة أهل الإسلام أجمع، إلى أن ظهرت هذه الطائفة المسماة بالقدرية آخر زمان الصحابة فقالوا لا قدر وإنما الأمر أُنُفٌ حتى أن الله تعالى لا يعلم الأشياء قبل وجودها وإنما لا يعلمها بعد أن تقع و مَعْبَد الجُهَني هو أول من قال بالقدر وغيلان الدمشقي وأكثر مذهبهم مبني على منزع الفلاسفة إلا الإلهيات لكن لقبحه رجعت جميع طوائفهم عنه مع بقائهم على أصل الاعتزال من إثبات منزلة بين المنزلتين ويسمونه عدلا نفي الصفات الذي اطبقت طوائفهم عليه واخذوه ايضا من الفلاسفة ويسمونه توحيدا ليدرأ بذلك عن أنفسهم اسم المجوسية التي سماهم بها للشرع في قوله صلّى الله عليه وسلّم (**القدرية مجوس هذه الأمة**) وزعموا أن القدر المذموم المعنى في الحديث إنما هو القدر الأول وليس المعنى في الحقيقة إلا هم فإنهم شاركوا المجوس في الثنوية في إثبات فاعل غير الله تعالى حيث قالوا العبد يخلق أفعاله والخير من الله والشر من غيره انتهى وقد أخبر صلّى الله عليه وسلّم عنهم أيضا بما يلزمهم معنى المجوسية الوارد في الحديث المذكور كما أخرج الأسيوطي في الجامع الصغير قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر**) فقال الشارح المناوي أي لا يصدقون بأن الله تعالى خلق أفعال عباده كلها من خير وشر وكفر وإيمان وأخرج الأسيوطي أيضا قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى**) وقال المناوي رحمه الله تعالى في شرحه لأن من قطع بأن الخلق لو أجمعوا كلهم على أن ينفعوه لم ينفعوه إلا بشيء قدره الله له ولو اجمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قدره عليه وطرح الأسباب فقد استمسك بأعظم العرى واستنار قلبه وانشرح صدره وأيقن بأن العبد لا يعلم مصلحته إلا أن أعلمه الله إياها ولا

يقدر على تحصيلها حتى يقدره الله عليه ولا يريد ذلك حتى يخلق الله فيه إرادة ومشيئة فعاد الأمر كله من ابتدئ منه وهو الذي بيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله قبل وفي التقدير بطلان التدبير والمرء طالب والقضاء غالب والقضاء يبعد القريب ويقرب البعيد انتهى وفي مختصر شرح الإمام النووي على صحيح مسلم قال اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات القدر وهو أنه سبحانه وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه لم يقدرها في سابق علمه وأنها مستأنفة العلم أي يعلمها سبحانه بعد وقوعها كذبوا تعالى ربنا وتقدس عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة القدرية لإنكارهم القدر وقد انقرضت هذه الفرقة وصارت القدرية في هذه الأزمان تعتقد أن الخير من الله والشر من غير تعالى الله عن ذلك قال إمام الحرمين في إرشاده أن بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم إثبات القدر وهذا جهالة وتواقح فإننا بحمد لله تعالى نفوض أمورنا إلى الله تعالى ونضيف جميع الأمور إلى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونها إلى أنفسهم ومضيف الشيء إلى نفسه أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقده لغيره قال إمام الحرمين وقد قال صلّى الله عليه وسلّم (**القدرية مجوس هذه الأمة**) شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة كما قسمت المجوس الخير إلى يزدان والشر إلى أهرمن وهذا الحديث أخرجه أبو داود وأخرجه الحاكم في المستدرك على شرط الصحيحين وقال الخطابي التشبيه من حيث أن المجوس أضافت الخير إلى النور والشر إلى الظلمة ثم قال وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله تعالى العبد على ما قضاه وليس كذلك وإنما معناه الإخبار عن تقديم علم الله تعالى بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لخيرها وشرها والمقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر وقدر بتخفيف الدال وتشديدها (و) الثالث (المتسلط) من التسليط وهو إطلاق القهر والقدرة والسليط الشديد واللسان الطويل والطويل اللسان وقد سلط ككرم وسمع سلاطة وسلوطة بالضم

كذا في القاموس والمعنى المطلق قهره وقدرته أو المطلق لسانه بالسب والشتم (على أمتي) أمة الإجابة والمعاهدين من أمة الدعوى (الجبروت) أي بالتكبر والباطل والغرور (ليذل) من أمتي له أو لغيره أو مطلق الذلة (من أعز الله) أي جعله الله تعالى عزيزا بعلم أو دين وصلاح أو منصب دنيوي أو مال حلال أو معرفة صنعة أو فراسة وحذق أو حسن خلق أو خلقة أو نحو ذلك (ويعز) من الأمة أيضا أي يجعل عزيزا عنده أو عنده غيره (من أذل الله) أي جعله الله تعالى ذليلا بسبب الجهل أو فساد الدين أو قلة العمل بالعلم أو سوء الخلق ويدخل في ذلك أعوان الظلمة الذين لم يقصدوا بخدمة الحكام نصرتهم في تنفيذ الأحكام الشرعية (و) الرابع (المستحل) أي الذي يستحل بمعنى يستبيح (لحرم الله) بالفتحتين وهو حرم مكة حرم الله ورسوله يعنى الموضع الذي يحترم لأجل الله ورسوله فلا تهتك فيه حرمة الله ورسوله قال في شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح الحرم حرم مكة ومقداره من قبل المشرق ستة أميال ومن الجانب الثاني أثنى عشر ميلا ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلا ومن الجانب الرابع أربعة وعشرون ميلا هكذا قال الفقيه أبو جعفر وذكر أن الحجر الأسود أخرج من الجنة وله ضوء فكل موضع بلغ ضوءه كان حرما محترما فيعظمه بأبلغ ما يقدر عليه من التعظيم واعلم المواقيت الخمسة التي وقتها النبي صلّى الله عليه وسلّم وعينها للإحرام فناء للحرم وهو فناء للبيت شرفه الله تعالى ومن قصد مكة سواء كان للزيارة أو غيرها لا يحل له التجاوز من هذه الأفنية غير محرم تعظيما له إلا إذا كان القاصد من داخل الميقات فيحل له أن يدخل مكة بلا إحرام لحاجة غير الحج والعمرة وجاء في الأثر (**أن الله تعالى ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول ما ينظر إليهم أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه نائما مستقبل القبلة غفر له**) ولا يحل لأحد أن يحمل فيه سلاحا للمحاربة مع المسلمين أما حمل السلاح للبيع والمحاربة مع الكفار فيجوز كما فعل النبي صلّى الله عليه وسلّم للفتح ولا يجني فيه جناية على النفس وما دونها ولا يؤذي فيه مسلما وإذا أراد أن يأكل أو يقضي حاجته من البول

والتغوط خرج إلى الحل إن استطاع الخروج والاّ فالى مقدار ما يستطيع عليه لما روى في حق كل منهما من الأحاديث والآثار حكى أن عمر بن عبد العزيز وأمثاله من الأمراء كان يضرب فسطاطين فسطاطا في الحرم وفسطاطا في الحل فإذا أراد أن يصلي أو يعمل شيئا من الطاعات دخل فسطاطا الحرم رعاية لفضل المسجد الحرام، وإذا أراد أن يتكلم أو يأكل أو غير ذلك خرج إلى فسطاط الحل كذا في الخالصة، ولا يطيل بمكة الإقامة فيسأم من مجاورة الحرم أو يقصر في تعظيمه، ولهذا كان عمر الفاروق رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم وتكره إطالة المجاورة فيها عند أبي حنيفة رضي الله عنه خلافا لهما ولا تظنن أن كراهة ذلك تناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع وفي الأشباه والنظائر في أحكام الحرم لا يدخل أحد إلا محرما وتكره المجاورة فيه ولا يقتل ولا يقطع من فعل خارجه والتجأ به ويحرم التعرض لصيده ويجب الجزاء بقتله ويحرم قطع شجره ورعي حشيشه إلا الأذخر ويسن الغسل لدخوله وتضاعف فيه الصلوات وحسناته، كسيئاته ويؤاخذ فيه بالهم، ولا يسكن فيه كافر وله الدخول فيه، ولا تمتع ولا قران لمكي وتختص الهدايا به، ويكره إخراج حجارته وترابه وهو مساو لغيره عندنا في اللقطة والدية على القاتل فيه خطأً ولا حرم للمدينة فلا يثبت له هذه الأحكام إلا اثنان الغسل لدخولها وكراهة المجاورة بها انتهى وذكر والدي رحمه الله تعالى في كتابه الأحكام قال في الحقائق لا حرم للمدينة عندنا وعند الشافعي رحمه الله تعالى لها حرم ثم اتفقت أقاويله أنه لا يباح قتل صيد حرم المدينة ولا قطع أشجاره واختلفت أقاويله في وجوب الجزاء وفي المصفى والأصل أن إثبات الشرع بالرأي لا يجوز فلا يجوز إلحاق حرم المدينة بحرم مكة بالرأي حتى لا يجوز أخذ صيده وأما قوله عليه الصلاة والسلام (**إنّ إبراهيم عليه السلام حرم مكة وأنا أحرم المدينة**) فمعناه أجعل لها حرمة وذكر بعد ذلك في بيان الحرم المكي قال ذهب جماعة من السلف إلى أن السيئات تتضاعف بمكة كما تتضاعف الحسنات منهم ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وأحمد بن

حنبل وغيرهم لتعظيم البلد والعقاب على الهم بالسيئات بها وإن لم يفعلها قال تعالى (**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** * الحج: ٢٥) ولهذا تعدى فعل الإرادة بالباء لما ضمن معنى هم وهذا مستثنى من قاعدة الهم بالسيئة وعدم فعلها كل ذلك تعظيما لحرمته ولذلك أهلك الله أصحاب الفيل قبل الوصول إلى بيته وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه لو أن رجلا هم أن يقتل في الحرم أذاقه الله تعالى من العذاب الأليم ثم قرأ الآية وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبل الفعل إلا مكة وقرأ الآية وتورع بعضهم عن قضاء الحاجة بمكة وكان يتأول أنها مسجد وهذا التأويل مردود بالإجماع وبفعله عليه السلام وأصحابه والسلف، نعم روى الطحاوي في تهذيب الآثار من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلّى الله عليه وسلّم لما كان بمكة كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس وهو على ميلين من مكة رواه الطبراني وفي الأوسط من طريق آخر انتهى ووجدت في كتاب مشارق الأنوار القدسية في العهود المحمدية للشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قال سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لشخص من العلماء أراد الحج إياك يا أخي أن تجاور في مكة أو المدينة فتعجز عن القيام بآدابهما فيصدق عليك المثل حججت ومعك خرج وزر، فرجعت وفوق ظهرك ألف خرج أوزار أي لأن تبعات كل ممن تستغيبهم تجعل وحدها يوم القيامة فكأنها خرج وحدها فقال له يا سيدي اسمحوا لي بالمجاورة فقال لا أسمح لك إلا إن كنت تدخل على الشروط فقال له وما الشروط فقال الشيخ منها إنك لا تدخر قط فيها قوتا ولا دراهم مدة إقامتك فيها، ومنها أن لا تأكل قط طعاما وحدك وأنت تعلم أن فيها أحدا جائعا في ليل أو نهار، ومنها أن تلبس الهدم والخليقات ولا تلبس شيئا قط من الثياب الفاخرة بل تبيعها وتنفقها على الفقراء الجياع، ومنها أن لا تحن مدة إقامتك إلى رجوعك إلى بلدك أبدا ولا تشتاق إلى دار ولا ولد ولا إلى وظيفة ولا إلى إخوان في غير مكة لأنك في حضرة الله الخاصة ولا يؤاخذ منك إلا قلبك وقلبك خرج من حضرته فبقيت في حضرته جسما بلا قلب، ومنها أن لا يطرقه مدة إقامته هلع ولا

رايحة اتهام للحق تعالى من أمر رزقه ولا يخاف أن يضيعه أبدا، لأن أهل حضرته تعالى لا يجوز له ذلك بل ربما مقت صاحب الاتهام وطرد من حضرة الله تعالى لسوء أدبه وضعف يقينه وهو يرى الحق تعالى يطعمه ويسقيه من حين كان في بطن أمه إلى أن شابت لحيته وهذا من أقبح ما يكون مع أن تلك الأرض تعطي ساكنها بالخاصية الهلع والاتهام للحق في أمر الرزق حتى لا يكاد يسلم من ذلك إلا أكابر الأولياء ومن هنا كره الأكابر الإقامة بمكة، ومنها أن لا يخطر في نفسه مدة إقامته هناك معصية أبدا ولو بعد الوقوع من مثله فكيف بقريب الوقوع ومن هنا سافر الأكابر من الأولياء بنسائهم وتكلفوا مؤنة حملهم لأجل ذلك وكان الشعبي رضي الله عنه يقول لإن أقيم في حمام أحب إليّ من أن أقيم بمكة وكان يقول لإن أكون مؤذنا بخراسان أحب إليّ من أن أقيم بمكة خوفا أن يخطر في نفسي إرادة ذنب ولو أفعله فيذيقني الله من عذاب أليم لقوله تعالى (**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** * الحج: ٢٥) وهذا خاص بالحرم المكي فهو مستثنى من حديث (**أن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به انفسها ما لم تعمل**) وقد قالوا لابن عباس رضي الله عنهما لما سكن الطائف لم لا تقيم بمكة فقال لا أقدر على حفظ خاطري من إرادة ظلمي للناس أو ظلمي لنفسي فكيف لو وقعت في الفعل فإن الله تعالى لم يتوعد أحدا على مجرد إرادة السوء دون الفعل له إلاّ بمكة فقال الشخص يا سيدي التوبة عن المجاورة وحج ولم يجاور (و) الخامس (المستحل) أي المستبيح بمعنى المنتهك (من عترتي) وهي بالكسر نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى ومن سيأتي والمعنى من ذريتي ومن أهل بيتي الثابت نسبهم بطريق التواتر أو الشهرة أو حكم الحاكم كأن صار واقعة شرعية وثبت بالبينة وإلا فهو مظنون محترم على الظن (ما) أي فعلا أو قولا أو ظنا (حرم الله) أي حكم الله تعالى بحرمته كالزاني بهم أو القاذف لهم أو الشاتم أو الذي ظن بهم سوءا أو اغتابهم أو ظلمهم أو نحو ذلك فإن إثمه أبلغ من إثم من فعل ذلك مع غيرهم لهذا الحديث حيث آذى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بإيذاء ذريته (و) السادس (التارك لسنتي) الفعلية أو القولية أو الإعتقادية أو الحالية وهي السنن المؤكدات

دون الزوائد والمستحبات وأخرج البيهقي هذا الحديث أيضا في المدخل برواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليذل بذلك من أعز الله ويعز من أذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي**) وأخرجه أيضا بإسناده إلى عبيد الله ابن عبد الرحمن بن موهب قال سمعت علي بن الحسين يقول قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب**) فذكر الحديث بتمامه

الحديث العشرون (خم) يعني روى البخاري ومسلم بإسنادهما (عن أنس رضي الله عنه أنه قال قال) يعني النبي (صلّى الله عليه وسلّم لا يؤمن) أي يصدق بالحق الذي جئت به ظاهرا وباطنا ويذعن له وينقاد إليه (أحدكم) أبدا (حتى أكون أحب) أي أكثر حبا (إليه) في الظاهر والباطن (من والديه) أي أبيه وأمه الذي تولد هو منهما فهما أصله (و) من (ولده) ايضا الذي تولد منه ذكرا كان او انثى فهو فرعه (و) من (الناس) أي بقية قرابته والأجانب عنه من أصحابه وغيرهم (أجمعين) تأكيد للكل من والديه وولده والناس فإن الولد والدة وإن لم يطلقا على الجد والجدة يراد بهما الأب والأم فيشملان الأجداد والجدات كما قال تعالى (يا بني آدم) وهو جدهم وقال **الشاعر**:

الناس من جهة التكريم اكفاء * ابوهم آدم والأم حواء

مع أن حواء جدتهم وكذلك الولد شامل للابن وابن الابن وإن سفل والبنت وبنت البنت وإن سفلت قال الإمام القرطبي في شرح مسلم عند الكلام على حديث (**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**) هذا الحديث على إيجازه يتضمن ذكر أصناف المحبة فإنها ثلاثة محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد والعلماء والفضلاء، ومحبة رحمة وإشفاق كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة غير من ذكرنا وأن محبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا بد أن تكون راجحة على ذلك كله وإنما كان ذلك لأن الله تبارك وتعالى قد كمله على جميع جنسه وفضله على سائر نوعه بما جعله

عليه من المحاسن الظاهرة والباطنة وبما فضله به من الأخلاق الحسنة والمناقب الجميلة فهو أكمل من وطئ الثرى وأفضل من ركب ومشى وأكرم من وافى القيامة وأعلاهم منزلة في دار الكرامة قال القاضي أبو الفضل فلا يصح الإيمان إلا بتحقيق إنافة قدر النبي صلّى الله عليه وسلّم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن وظاهر هذا القول إنّه صرف محبة النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى اعتقاد تعظيمه وإجلاله ولا شك في كفر من لا يعتقد ذلك غير أن تنزيل هذا الحديث على ذلك المعنى غير صحيح لأن اعتقاد الاعظيمة ليس بالمحبة ولا الأحبية ولا مستلزما لها إذ قد يجد الإنسان من نفسه إعظام أمر أو شخص ولا يجد محبته ولأن عمر رضي الله عنه لما سمع قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين**) قال يا رسول الله أنت أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي فقال (**ومن نفسك يا عمر**) فقال ومن نفسي فقال (**الآن يا عمر**) وهذا كله تصريح بأن هذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل إلى المعتقد تعظيمه وتعلق القلب به فتأمل هذا الفرق فإنه صحيح ومع ذلك فقد خفي على كثير من الناس وعلى هذا فمعنى الحديث والله اعلم أن من لم يجد من نفسه ذلك الميل وأرجحيته للنبي صلّى الله عليه وسلّم لم يكمل إيمانه على أني أقول أن كل من صدق النبي صلّى الله عليه وسلّم وآمن به ايمانا صحيحا لم يخل عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة للنبي صلّى الله عليه وسلّم غير أنهم في ذلك متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك الأرجحية بالحظ الأوفى كما قد اتفق لعمر رضي الله عنه حين قال ومن نفسي، ولهند امرأة أبي سفيان حين قالت للنبي صلّى الله عليه وسلّم لقد كان وجهك أبغض الوجوه كلها إليّ فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ الحديث وكما قال عمرو بن العاص لقد رأيتني وما أحد أحب إليّ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو شئت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ولا شك في أن حظ أصحابه من هذا أعظم لأن معرفتهم لقدره أعظم لأن المحبة ثمرة المعرفة فتقوى

وتضعف بحسبها ومن المؤمنين من يكون مستغرقا بالشهوات محجوبا بالغفلات عن ذلك المعنى في أكثر الأوقات فهذا بأخس الأحوال لكنه إذا ذكر بالنبي صلّى الله عليه وسلّم أو بشيء من فضائله احتاج لذكره واشتاق لرؤيته بحيث يؤثر رؤيته بل رؤية قبره ومواضع آثاره على أهله وماله وولده ونفسه والناس أجمعين فيخطر له هذا ويجده وجدانا لا شك غير أنه سريع الزوال والذهاب لغلبة الشهوات وتوالي الغفلات ويخاف على من كان هذا حاله ذهاب أصل تلك المحبة حتى لا يوجد منها حبة فنسأل الله الكريم أن يمن علينا بدوامها وكمالها ولا يحجبنا عنها آمين وفي مختصر شرح النووي على مسلم عند الكلام على هذا الحديث قال الخطابي لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار إذ حب الطبع لا يمكن قلبه فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حقه صلّى الله عليه وسلّم آكد من حق أبيه وابنه والناس أجمعين وكيف وقد استنقذنا من النار وهدانا إلى الصراط المستقيم ومن محبته نصرة سنته وتأييد شريعته وإجلالها وتعظيمه التعظيم اللائق ولا يصح إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي صلّى الله عليه وسلّم على كل والد وولد ومحسن ومفضل وقال ابن أقبرس في شرح الشفاء محبته صلّى الله عليه وسلّم هي الواجب الفرض الثابت الصحيح المرضي إذ لا يكون المؤمن مؤمنا دون محبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذلك واجب عقلا وشرعا أما عقلا فإن جميع ما كان عليه قولا وفعلا أمرا ونهيا مستحسن وفي العقول وقد علم ذلك عقلا للكفار كهرقل حيث سأل أبا سفيان في قوله فماذا يأمركم به الحديث في أول صحيح البخاري هذا من جهة معناه وأما صورة فكما ثبت أنه أحسن خلق الله صورة فكان كاملا صورة ومعنى ولا شك في كون ذلك من دواعي المحبة وأسبابها من جهة الفعل ولا يخالف عاقل في ذلك فإن النفوس مجبولة على حب الصور الحسان والمعاني الجميلة المتصورة في الأذهان وأما شرعا فبالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى (**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا** * التوبة: ٢٤) الآية وفيها دلالة وحجة على

إلزام المحبة ووجوبها وعظم خطرها وأما السنة فبالأحاديث الواردة في ذلك وقال الشيخ القسطلاني في المواهب اللدنية روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلّى الله عليه وسلّم قال (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**) رواه البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس وفي رواية البخاري والنسائي تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد العزيز ابن صهيب عن أنس والناس وفي صحيح ابن خزيمة من أهله وماله بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد أدخل في المعنى لأنهما أعز على العاقل من الأهل والمال بل ربما يكونان أعز من نفسك ولذا لم يذكر النفس في حديث أبي هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص

(**الفصل الثاني**) من الفصول الثلاثة من الباب الأول (في) بيان أقسام (البدع) وذكر أحكامها وهي جمع بدعة خلاف السنة اسم للاعتقاد المخالف والعمل المخالف والقول المخالف والأصل فيه إن الله تعالى لم يخلق المكلفين إلا لعبادته كما قال تعالى (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ** * الذاريات: ٥٦) والعبادة هي الذل للمعبود وذلك بترك الدخول تحت أحكام العقول ومقتضيات الطباع من التحسينات والتقبيحات، وإسلام النفس بالكلية لربها تستحسن ما استحسنه لها ربها وتستقبح ما استقبحه منها وقد آمنت برسوله الصادق وكتابه المنزل بالحق فلزمها أن تدخل تحت تصرفات أحكام الكتاب والسنة فمتى اخترعت أمرا مطلقا فقد خرجت عن العبودية لله تعالى وانفصلت عن مقتضى الإسلام وبرئت من حب الكتاب والسنة فإن كان ذلك الأمر في الاعتقاد فإن أوجب جحود مجمع عليه معلوم من الدين الضرورة كانت بدعة مكفرة وإن لم يكن في الاعتقاد بل في مجرد القول أو العمل فهو الفسق إن أوجب فعل محرم أو ترك فرض وسيأتي لهذا زيادة بيان إن شاء الله تعالى في هذا الفصل والدليل على قبح البدع والنهي عنها (الأخبار) الواردة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وهي ستة أحاديث

الحديث الأول (خ م) يعني روى البخار ومسلم بإسنادهما (عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (من أحدث) أي ابتدأ

واخترع (في أمرنا) أي شأننا وهو شرع محمد صلى الله وسلم (هذا) أشار إليه من كمال استحضاره وشرف منزلته عنده وشدة ظهوره له ومنه بحيث صار كأنه أمر محسوس يشار إليه (ما) أي اعتقاد أو قول أو فعل أو حال أو زيادة فيما شرع من ذلك أو نقصان منه ومعنى الإحداث فيه إدراجه في جملة أحكامه ورجاء الثواب عليه (ليس منه) أي من أمرنا المذكور بأن كان ليس من مقصود الشرع ولم يكن فيه داعية إلى إقامة مقصود الشرع (فهو) أي ما أحدثه مما ذكرنا (رد) أي صرف منه لأمرنا وعدم إيمان به وتخطئة له أو هو مصدر بمعنى اسم المفعول مبالغة أي مردود عليه غير مقبول منه وفيه إشارة إلى أن البدع إذا لم تكن في الدين والعبادة بأن كانت في العادة لم تكن ردا نحو البدع في المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن مما لم يقصد بها فاعلها التقرب إلى الله تعالى بل مراده مجرد الاستعمال ما لم يترتب عليها ترك طاعة شرعية أو فعل أمر منهي عنه كما اذا لبس العمامة الكبيرة الى عدم التمكن من السجود في الصلاة او اقتضى نفي الخشوع فيها وكذلك اذا اشتغل الخاطر عن الطاعة بلبس الثياب الجميلة أو أدى إلى رياء وعجب ونحو هذا فيكره حينئذ فعل ذلك (وفي رواية) أخرى عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (من عمل عملا) بقلبه أو بجوارحه أو بلسانه أو بكله بأن اعتقد أو فعل أو قال أو تخلق بأمر (ليس عليه أمرنا) أي شأننا يعني شرعنا المحمدي (فهو رد) علينا أو عليه كما ذكرنا

الحديث الثاني (خ) يعني روى البخاري بإسناده (عن الزهري رضي الله عنه قال دخلت على أنس) بن مالك رضي الله عنه (وهو) الواو للحال أي والحال أن أنسا رضي الله عنه (يبكي فقلت ما) يعني أي شيء (يبكيك) يا أنس (قال لا أعرف) يعني الآن (شيئا مما) أي من الأشياء العظيمة التي (أدركت) أي أدركتها في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتقدير الكلام فبقي من غير تغيير عما كنت أدركته (إلا هذه الصلاة) أي جنسها فيشمل الفرض والواجب والنفل أشار إليها لاستحضارها في ذهنه أو تعظيم أمرها عنده لأنها تالية الإيمان (و) الحال أن (هذه الصلاة قد ضيعت) بالضم

والتشديد أي ضيعها الناس فلم يأتوا بها على الوجه الأكمل من إتمام شروطها وأركانها وواجباتها وسننها ومستحباتها وآدابها وترك مفسداتها ومكروهاتها ومراعات خشوعها والحضور فيها وجمع القلب عليها من غير التفات فيها إلى غيرها كما قال تعالى (**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً** * مريم: ٥٩) قال العز بن عبد السلام في تفسيره خلف أولاد سوء بالفتح للمدح قيل هم من هذه الأمة من بنى المشيد وركب الذلول ولبس المشهور وأضاعوا الصلاة أخروا أو تركوا أو حدودها وشروطها وهو اسم الجنس وقرأ الحسن بالجمع وغيا جزاءا وخسرانا أو عذابا وشرا أو ضلالا وخيبة وقيل واد في جهنم وقال الخازن أضاعوا الصلاة أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل أخروها عن وقتها وهو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس وقال أبو عبد الرحمن السلمي قال محمد بن حامد أولئك قوم حرموا تعظيم الأنبياء والأولياء والصديقين فحجبهم الله تعالى عن معرفته وأصابتهم شقاوة تلك الحال فأضاعوا الصلاة التي هي محل الوصلة للعبد مع سيده ترسموا بها ولم يتحققوا واتبعوا آراءهم وأهواءهم فأصابهم الخذلان وحرموا بذلك السعادة وأثر الشقاوة على العبيد هو حرمان الخدمة وتعظيم من عظم الله حرمته انتهى وخلاصة المعنى في هذا الحديث هو بكاء أنس رضي الله عنه على إضاعة الصلاة بالزيادة فيها والنقصان منها مما هو خلاف السنة التي كان يعهدها في زمان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومخالفة السنة هو البدعة وفيه الحث على إظهار الأسف والحزن عند انتهاك حرمات الشرع وعدم رضاء المؤمن بذلك وفيه عدم تعيين أحد في إنكار المنكر وتعميم الإنكار وستر قبايح المسلمين المعينين فإن أنسا رضي الله عنه ما بكى من ذلك إلا بعد رؤيته في إنسان معين أو جماعة معينين ولم يذكرهم ولم يعينهم وإنما أنكر منكرهم على مقتضى ما يعرفه من كيفية إنكار المنكر على وجه السنة لا البدعة المخترعة من جهال العلماء في هذا الزمان وقد مر غير مرة التنبيه على ذلك

الحديث الثالث (طب) يعنى روى الطبراني بإسناده (عن غضيف بن الحارث

رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (ما من أمة) أي جماعة من المسلمين (ابتدعت) واستحدثت (بعد) ذهاب (نبيها) عنها وتباعد عهد سنته حتى يمكنها ذلك (في دينها) الذين تدين الله تعالى به أي تطيعه فيه وهو شريعتها وملتها احتراز عن الابتداع في أمور الدنيا كالبدع في العادة وهي التي لا يقصد بها صاحبها إذا فعلها أجرا ولا ثوابا من الله تعالى يوم القيامة وإنما مراده مجرد عملها لنفع دنيوي أو لدفع ضرر عنه في الدنيا أولا لنفع ولا لضرر كالأشياء المباحة في أنواع المآكل والمشارب والملابس والمساكن ونحو ذلك (بدعة) أي فعلة ليست معروفة في السنة النبوية من أي نوع كانت في الاعتقاد أو العمل أو القول أو الأخلاق ولهذا نكرها والنكرة في الإثبات وإن لم تعم عندنا لكنها مطلقة دالة على فرد غير معين فلا يختص بها نوع دون نوع وعند الشافعي رحمه الله تعالى تعم كما هو مبسوط في الوصول وهذا الحكم في البدعة الواحدة وكذلك البدع الكثيرة وهي البدعة غير المكفرة إذ المكفرة تزيل الإسلام فضلا عن إضاعة السنة (إلا أضاعت) تلك الأمة أي تركت وأهملت (مثلها) أي مثل تلك البدعة يعني من جنسها اعتقادا أو قولا أو عملا أو تخلقا (من السنة) النبوية الإعتقادية أو العملية أو القولية أو الأخلاقية والمعنى أن الناس كلما ابتدعوا بدعة في الدين تركوا من جنسها سنة نبوية مثل ابتداع الفرق الضالة في الاعتقاد كاعتقاد المعتزلة أنهم يخلقون أفعال أنفسهم مثلا على معنى أن لهم تأثيرا في ذلك يخلق الله تعالى فيهم قدرة على ذلك فإن هذه بدعة في الدين اعتقادية لما ظهرت ذهبت سنة الاعتقاد بأن الله تعالى خالق أفعال العباد كلها من الخير والشر والنفع والضر منسوبة إلى الإنسان ولا تأثير للإنسان فيها أصلا كما أنه تعالى خلق للإنسان يدين ورجلين منسوبات له ولا تأثير للإنسان في خلق ذلك له أبدا ومع هذا فيقال يد الإنسان ورجل الإنسان مع أنه ليس بخالق لذلك ولا يقال يد الله ولا رجل الله مع أنه تعالى خالق ذلك فكذلك جميع أفعال الإنسان خالقها هو الله تعالى وحده ولا تنسب إليه تعالى ولكنها تنسب إلى الإنسان كلها والإنسان ليس بخالق لها وقد صنفت رسالة في هذه المسألة سميتها تحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد

جعلتها مكتوبا أرسلت بها إلى بعض علماء المدينة المنورة فهذه سنة في الاعتقاد ضاعت وتركت عند المعتزلة ومن تابعهم لما ابتدعوا ما ينافيها من بدعتهم المذكورة، وكذلك إذا ابتدع الناس بدعة في العمل ولو كانت تلك البدعة في العادة لا في الدين حيث لا يرجون الثواب عليها من الله تعالى ولا هي عندهم معصية يخافون العقاب منها ولكن بسبب فعلها ضاعت سنة مثلها أيضا في العمل كالصلاة مع الغفلة وعدم حضور القلب فيها بل يلقى القلب مشتغلا بأمور الدنيا وهم في الصلاة ولا يمكنهم الخشوع فيها فإن هذه بدعة ابتدعها الناس في العادة لم تكن في الزمان الأول ولما ظهرت ذهبت سنة الخشوع في الصلاة والحضور فيها والمراقبة وترك البيع والشراء من فكر القلب أيضا كما قال تعالى عن الصدر الأول (**رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ** * النور: ٣٧) وقال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ** * الجمعة: ٩) وقال تعالى (**قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** * المؤمنون: ٢) وقال تعالى في أصحاب البدعة المذكورة في الصلاة (**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ** * الماعون: ٤) وقال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** * النساء: ٤٣) (**وَإِذَا قَامُوا إِلَىَ الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً** * النساء: ١٤٢) فهذه بدعة في العمل عادية لما ظهرت تركت مثلها سنة في العمل ونسيت، ومثل ذلك إذا ابتدع الناس بدعة في القول مثل الكلام في وقت تشييع الجنازة فإنه لما فشى في الناس خصوصا التحدث في أمر الدنيا وكثرة اللغط وإن كانت بدعة في العادة أيضا فقد ذهبت بها سنة السكوت والصمت والاعتبار والتفكر في أمر الموت والقبر في تلك الحالة وكذلك البدعة في الأخلاق كما اعتادت الناس أن يتبعوا بعضهم بعضا في كل أمر كانوا عليه كما سمعتهم يقولون يا أيها الناس كونوا مع الناس فإن هذه البدعة في العادة لما ظهرت ذهبت سنة إتباع النبي صلّى الله عليه وسلّم والصحابة والتابعين وأئمة الهدى رضي الله عنهم فصار الناس يبحثون عن عادات بعضهم بعضا في الدين والدنيا ليتابعوا ذلك

ويعملوا عليه ولا يبحثون عن سنة النبي صلّى الله عليه وسلّم وسيرة الصحابة والصالحين ليسيروا عليها وهكذا سائر البدع في العادة وفي العبادة إلا البعض من البدع في العادة لما ظهرت تركت ونسيت جميع السنن التي تماثلها وتقابلها وانمحت آثارها بالكلية وأندرست حتى صار الجاهل إذا فعلت عنده يقطع بأنها بدع لا سنن، كما نقل الشيخ المناوي في شرح الجامع الصغير عن بعض الحكماء أنه قال معروف زماننا منكر زمان مضي ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت انتهى وما من زمان إلا وما بعده شر منه وفي روح القدس للشيخ محي الدين بن العربي قدس الله سره قال روينا عن ابي حامد وغيره وعن ابي مغيث في كتاب المنقطعين له من حديث ابن المهلب قال مررت بالساحل فرأيت شابا احتفر لنفسه حفرة في الرمل فسألته فتأوه ثم قال يذم أهل زمانه توعرت السبل وقل السالكون لها قد افترشوا الرخص وتمهدوا الزلل واعتلوا بزلل الماضين إلى مثل هذا الكلام ثم قام فمشى على الماء حتى غاب عني

الحديث الرابع (طب) يعنى روى الطبراني بإسناده (عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (إن الله) سبحانه وتعالى بمحض عدله (حجب) أي منع وستر (التوبة) مصدر تاب إلى الله توبا وتوبة ومتابا وتابة وتنوبة رجع عن المعصية وهو تائب وتواب وتاب الله عليه وفقه للتوبة أو رجع به من التشديد إلى التخفيف أو رجع عليه بفضله وقبوله وهو تواب على عباده كذا في القاموس فالتوبة من العبد والتوبة من الرب أيضا فحجب الرب توبته عدم التوفيق لها أو منع الرجوع الفضل والقبول وحجب الرب توبة العبد عدم تيسيرها له كلما أرادها العبد وفي رياض الصالحين قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط أحدها أن يقلع عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لا يعود إليها أبدا فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه وإن كان حد قذف أو نحوه مكنه منه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها (عن

كل صاحب) أي فاعل سواء كان هو الذي ابتدع تلك البدعة أو فعلها فقط ولم يبتدعها (بدعة) في الدين اعتقادية أو فعلية أو قولية أو أخلاقية وهو في بدعة واحدة فما بالك بأكثر من ذلك لأنه يرجو الثواب عليها فكيف يتوب منها ولهذا كلما أراد المبتدع أن يتوب من بدعته منع منها مانع من نفسه فلا يتيسر له ما أراد لاحتجاب التوبة من تلك البدعة عنه ويحتمل مطلق التوبة من تلك البدعة وغيرها من الذنوب أما التوبة من تلك البدعة فظاهر لأن شرط صحة التوبة ترك المعصية والإقلاع عنها في الحال كما قدمناه فالتوبة محجوبة عنه حتى يقلع عن بدعته وأما مطلق التوبة ويؤيدها الحديث الآتي بعده فلعله لزيادة قبح البدعة وشؤم ارتكابها أو كونها مكفرة فلا تتأتى معها التوبة من ذنب غيرها وإلا فإن التوبة من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر صحيحة قال النووي رحمه الله تعالى في رياضه ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك وبقي عليه الباقي (حتى يدع) أي يترك ذلك المبتدع (بدعته) ويقلع عنها لتصبح توبته منها أو من غيرها من الذنوب أيضا

الحديث الخامس (مج) يعنى روى ابن ماجه بإسناده (عن ابن عباس رضي الله عنهما) أي عنه وعن أبيه العباس عم النبي صلّى الله عليه وسلّم (أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبى) أي كره والإباءة الكراهة (الله) تعالى بحكمه العدل من كثرة قبح البدعة لأنها شرع النفوس الأمارة بالسوء وحكم الشيطان المستولي على القلب الغافل (أن يقبل عمل صاحب بدعة) في الدين أي مصر على فعل بدعة من البدع الإعتقادية أو العملية أو القولية أو التخلقية وهذا في بدعة واحدة غير مكفرة فكيف ببدع كثيرة غير مكفرة لاعتقاده أنها طاعة مثاب عليها وعمله الذي لا يقبله الله تعالى قد يكون اعتقادا أو فعلا أو قولا أو تخلقا وقد يكون صحيحا من جهة استيفاء شروطه ولكنه غير مقبول عند الله تعالى لتدنسه بشؤم البدعة وقبح عملها وذلك مدة ارتكابه لتلك البدعة ما دام مصرا على فعلها (حتى يدع) أي يترك (بدعته) لأجل الله تعالى إما خوفا منه تعالى أو طمعا في ثوابه أو ابتغاء وجهه الكريم لا خوفا من الناس أو

لعدم قدرته على ذلك أو محافظة على صلاحه وتقواه أن يزول من أعين الغير فيزول احترامه عندهم وينقص من أعينهم فإن هذا تقوى الناس لا تقوى الله تعالى وهو غير مانع من الإصرار في الباطن على المعصية وصاحبه عابد للناس باطنا وإن كان يزعم أنه عابد لله تعالى في الظاهر كما قال تعالى (**فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي** * البقرة: ١٥٠) وقال تعالى (**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ** * النساء: ١٠٨)

الحديث السادس (مج) يعنى روى ابن ماجه بإسناده (عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يقبل الله) سبحانه وتعالى وأن حكم بالصحة بمقتضى شرعه المحمدية إذ ليس كل عمل صحيح بمقبول كما قال تعالى (**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** * المائدة: ٢٧) وغير المتقين من المسلمين وإن صح عملهم فهو غير مقبول والقبول رفعة شأن العمل عنده وإن كان قليلا وإعطاؤه عليه الجزاء الوافي ومباهاة الملائكة به ورفع الدرجات به في الدنيا بإحساس العبد بمقامات الكشف الإلهي والقرب الأقدس وفي الآخرة بمقامات الرؤية الربانية في دار النعيم الأبدي (لصاحب البدعة) أي المصر عليها يعني بدعة في العبادة غير مكفرة إذ المكفرة تنافي صحة العمل فضلا عن قبوله وهذا في بدعة واحدة فكيف بأكثر من ذلك (صوما) فرضا أو نفلا ولم يذكر الصلاة لأنها مفهومة بالأولى حيث أنها أعظم من الصوم وكذلك الزكاة تالية الصلاة وهما تاليتا الإيمان فهو كذلك (ولا حجا ولا عمرة) وإن فعل ذلك على وجه السنة فهو صحيح تام لكنه غير مقبول (ولا جهادا) في سبيل الله تعالى (ولا صرفا) أي انصرافا عن المعصية بمعنى التوبة (ولا عدلا) أي استقامة في الأمر أو ضد الجور قال الجوهري الصرف التوبة يقال لا يقبل منه صرف ولا عدل قال يونس فالصرف الحيلة ومنه قولهم أنه ليتصرف في الأمور وقوله تعالى (**فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْراً** * الصافات: ٢٦) وقال في القاموس الصرف في الحديث التوبة والعدل الفدية أو هو النافلة والعدل الفريضة أو بالعكس أو هو الوزن والعدل الكيل أو هو الاكتساب

والعدل الجزاء أو الحيلة انتهى وحاصل المعنى هنا أن الله تعالى لا يقبل لصاحب البدعة في الدين عملا من أعمال الطاعات مطلقا وإن صحت تلك الأعمال منه لاستيفاء شروطها الشرعية مادام مصرا على فعل تلك البدعة حتى يتوب منها وإنما ورد التصريح هنا من الأعمال بالصوم والحج والعمرة والجهاد فقط ثم عمم بالصرف والعدل لأن هذه العبادات الأربعة المخصوصات بالذكر لها صعوبات على النفوس أكثر من غيرها فالصوم حبس النفس عن شهوتي البطن والفرج والحج والعمرة إتعاب النفس بإنفاق القوة والمال مع حبسها عن شهوات الجماع والطيب ولبس المخيط وقتل صيد البر ونحو ذلك والجهاد أبلغ من ذلك للمخاطرة بالنفس فيه والمال فوقع التصريح بذلك ليفهم ما عداه بالطريق الأولى فإنه حيث بذل نفسه في هذه الطاعات المشقة عليه ولم تقبل منه لإصراره على بدعته فكيف تقبل منه الأعمال التي مشقته فيها دون ذلك (يخرج) يعنى صاحب البدعة في الدين حيث يعدها طاعة بسبب دخوله تحت حكم نفسه وشيطانه وخروجه بظاهره عن حكم نبيه ورحمانه (من الإسلام) الظاهر فقط الذي هو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى وعدم المحاربة له كما تخرج العصاة من التسليم والانقياد لحكم الله تعالى عليهم إلى التسليم والانقياد لحكم النفس والشيطان مع التصديق بقبح ذلك الفعل والإيمان بكونه معصية وهو الفارق بين العاصي والمبتدع لاعتقاده بدعته طاعة ودليل صحة إطلاق الإسلام على ما ذكرنا قوله تعالى (**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** * الحجرات: ١٤) قال البيضاوي إذ الإيمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب والإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة وقال الخازن فإن قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالإيمان لا يحصل إلا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالإسلام أعم والإيمان أخص لكن العام في الصورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود فذلك المؤمن والمسلم انتهى وحاصله أن

الإيمان وهو التصديق بالقلب لا يفارق صاحب البدعة غير المكفرة أبدا كما قدمناه وأما الإسلام فنوعان إسلام بالقلب وهو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى وهو لا يفارق صاحب البدعة المذكورة أيضا فهو مؤمن مسلم والإيمان والإسلام واحد عند أهل السنة وإسلام بظاهر اللسان والجوارح وهو الذي يفارق صاحب البدعة المذكورة مع وجود الإيمان والإسلام في قلبه (كما يخرج الشعر) قال في القاموس الشعر ويحرك ينبته الجسم مما ليس بصوف ولا وبر والجمع أشعار وشعور وشعار الواحدة شعرة (من العجين) مثال لكمال تخليص صاحب البدعة في الدين مما كان فيه قبل ذلك من إظهار التسليم والانقياد باللسان والجوارح أيضا لحكم الله تعالى على طريقة الردع له والزجر فإن الشعرة إذا جذبت من العجين لا يعلق عليها من العجين شيء فتخرج وليس فيها أثر من ذلك أصلا فإن قلت كيف خرج صاحب البدعة في الدين غير المكفرة من الإسلام الظاهر وله صوم وحج وعمرة وجهاد قلت لما كان مصرا على بدعته في الدين فاعلا لها لا محالة طالبا الثواب عليها من الله تعالى خرج عن التسليم الظاهر لحكم الله الذي كلفه بالصوم والحج والعمرة والجهاد بالنسبة إلى فعله تلك البدعة حيث هو مداوم عليها داخل تحت حكم من حكم عليه بتلك البدعة من النفس والشيطان فإن قلت جميع المعاصي والمخلافات بدع فالمرتكب لشيء منها مذنب عاص فهل مبتدع حتى لا يقبل عمله مدة إصراره على ذنبه ذلك ومعصيته قلت ليس المذنب العاصي بمبتدع ولا المعاصي والمخالفات بدع في الدين بل البدع في الدين معاص ومخالفات وشرط البدعة في الدين كما قدمناه أن يدين الله تعالى بها ويطيعه فيها فيقصد بفعلها الثواب والأجر من الله تعالى وأما المعاصي والمخالفات فلا يدين الله تعالى بها فاعلها ولا يطلب الثواب عليها والأجر من الله تعالى وإلا لكفر باستحلالها بل إنما يحمله على فعلها الشهوة والغرض النفساني فليست بدعا في الدين ولا فاعلها بمبتدع لا يقبل عمله بل إذا خلا من فعل البدعة في الدين قبل عمله ولا يمنع من قبول عمله ارتكاب المعصية (وقد سبق) في نوع الاعتصام بالسنة عند ذكر الأخبار النبوية

(حديث العرباض بن سارية) المشتمل على قوله صلّى الله عليه وسلّم (**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**) وتقدم منا الكلام على ذلك (و) سبق حديث (جابر) أيضا (رضي الله عنهما) أي عن العرباض وجابر المشتمل على قوله صلّى الله عليه وسلّم (**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد عيه السلام، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة**) وتقدم منا الكلام أيضا عليه بالتمام ثم لما كان هذان الحديثان يشتملان على قوله صلّى الله عليه وسلّم (**كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة**) نشأ منهما أشكال أورده بقوله (فإن قيل) أي قال لك قائل من الناس (كيف التطبيق) أي المطابقة والموافقة وزوال المنافاة والمناقضة (بين قوله عليه الصلاة والسلام) في هذين الحديثين المذكورين (كل بدعة ضلالة وبين قول الفقهاء) أصحاب المذاهب الشرعية لما قسموا البدع إلى أقسام كما سيبينه قريبا (إن البدعة قد تكون) بدعة (مباحة) لا يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها (كاستعمال المنخل) بضم الخاء المعجمة ويجوز أن تفتح خاؤه ما ينخل به كذا في القاموس وكان السلف لا يكثرون نخل الدقيق بل يأكلون الخبز غير منخول وإنما كثر النخل بعد ذلك في الخلف (والمواظبة على أكل لب الحنطة) بعد إزالة قشرها وكدرها بالمنخل وإن كان في السلف أكل لب الحنطة أيضا كما قدمناه عن إحياء الغزالي في خبر عثمان رضي الله عنه لكنه نادر من غير مواظبة عليه (وشبع منه) أي من أكل لب الحنطة قال في شرعة الإسلام أول بدعة حدثت في الإسلام الشبع وهذه المناخل ولم ير نبينا عليه السلام نقيا أي ما نقي دقيقه من النخالة ولا منخلا وقال في شرحها، وعن سهل بن سعد ما رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم النقي ولا رأى منخلا حين بعثه الله تعالى حتى قبضه كذا في المصابيح (وقد تكون) يعني البدعة (مستحبة) يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها (كبناء المنارة) والأصل منورة موضع النور كالمنار والمسرجة والمأذنة

والجمع مناور ومناير كذا في القاموس والمراد هنا المأذنة موضع الأذان وفي القاموس المأذنة بالكسر موضع الأذان أو المنارة والصومعة انتهى وذكر والدي رحمه الله تعالى في كتابه الأحكام أنه لم يكن في زمنه صلّى الله عليه وسلّم مئذنة وروى أبو داود من حديث عروة ابن الزبير عن امرأة من بني النجار قالت كان بيتي من أطول بيت حول المسجد وكان بلال يأتي بسحر فيجلس عليه ينظر إلى الفجر فإن رآه أذن، ذكره في البحر شرح الكنز وفي وسائل الأسيوطي أن أول من رقي منارة مصر للأذان شرحبيل بن عامر المرادي وقال ابن سعد بالسند إلى أم زيد بن ثابت كان بيتي أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى أن بنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مسجده فكان يؤذن بعد ذلك على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهره (و) بناء (المدارس) جمع مدرسة موضع الدراسة وهي القراءة قال في القاموس درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة قرأه كأدرسه والمدارس المواضع يقرأ فيها القرآن ومنه مدارس اليهود انتهى والمراد هنا الموضع الذي بني لدراسة العلم مع الطلبة أو دراسة القرآن (وتصنيف الكتب) أي في جميع العلوم أي جعلها صنوفا وأبوابا وفصولا لنشر العلم وبيانه (بل قد تكون) أي البدعة (واجبة) يثاب بفعلها ويأثم على تركها للقادر عليها (كنظم) أي جمع وترتيب (الدلائل) جمع دليل وهو ما يستدل به من المقدمات اليقينية أو الظنية (لرد) أي إبطال (شبه) جمع شبهة وهي ما يشبه الدليل في العقائد وليس بدليل (الملاحدة) جمع ملحد من الإلحاد وهو الميل والعدول عن طريقة أهل السنة والجماعة (ونحوهم) كالمعتزلة والفلاسفة وسائر فرق الضلال (قلنا) في الجواب عن هذا الأشكال المذكور (للبدعة) بالكسر من حيث هي فعلة حادثة بعد إن لم تكن (معنيان) الأول (معنى لغوي) منسوب إلى اللغة وهي لغة العرب (عام) يشمل جميع أقسام البدعة وذلك (هو المحدث) بصيغة اسم المفعول من حدث يحدث حدوثا وحداثة نقيض قدم (مطلقا) أي حدوثا مطلقا عن القيد بشيء ثم بينه فقال (عادة كان) ذلك المحدث (أو عبادة) والمراد بالعادة ما لا يطلب فاعله عليه ثوابا من الله

تعالى يوم القيامة بل مقصوده مجرد تحصيل غرضه الدنيوي والعبادة بخلاف ذلك وهي ما يطلب فاعله عليه من الله تعالى ثوابا يوم القيامة (لأنها) أي البدعة (اسم) مشتق (من الابتداع) مصدر ابتدع (بمعنى الإحداث) والاختراع (كالرفعة) بالكسر للشرف والعلو اسم (من الارتفاع والخلفة) اسم (من الاختلاف) قال في القاموس الخلفة بالكسر اسم من الاختلاف أي التردد جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً أي هذا خلف من هذا وهذا يأتي خلف هذا أو معناه من فاته أمر بالليل أدركه بالنهار وبالعكس يعني ومن فاته أمر بالنهار أدركه بالليل (وهذه) أي البدعة اللغوية العامة (هي المقسم) أي موضع القسمة إلى الأقسام الآتية (في عبارة الفقهاء) الحنفية وغيرهم (يعنون) أي يقصدون (بها) أي بالبدعة اللغوية العامة المذكورة (ما) أي الأمر الذي أو أمرا (أحدث) بالبناء للمفعول أي أحدثه محدث من أهل الإسلام وغيرهم (بعد) ذهاب (الصدر) وهو أعلى مقدم كل شيء وأوله كذا في القاموس (الأول) نعت للصدر وهم السلف المتقدمون في زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والصحابة رضي الله عنهم أجمعين لقوله عليه الصلاة والسلام (**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**) وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فما حدث منهم في زمانهم فليس ببدعة والبدعة ما حدث بعد زمان التابعين وتابعيهم قال في شرعة الإسلام في بيان السنة التي يجب التمسك بها هي ما كان عليه القرن المشهود لهم وهم الخلفاء الراشدون ومن عاصر سيد الخلائق ثم الذين من بعدهم من التابعين ثم من بعدهم، فما أحدث بعد ذلك من أمر على خلاف مناهجهم فهو من البدعة (مطلقا) يعني سواء كان في العبادة والدين أو غير ذلك (و) الثاني (معنى شرعي) أي منسوب إلى الشرع وهو شرع محمد صلّى الله عليه وسلّم (خاص) بالعبادة والدين (هو الزيادة) على ما ورد (في الدين) زيادة مستقلة كابتداع طاعة ما لها أصل في دين الله تعالى أو غير مستقلة كزيادة في طاعة شرعية (أو نقصان منه) أي من الدين نقصانا مستقلا كترك طاعة شرعية، اعتقد تاركها ذلك الترك طاعة أو غير مستقل كترك بعض طاعة شرعية اعتقد

التارك ترك ذلك البعض طاعة (الحادثان) نعت للزيادة والنقصان (بعد) انقراض زمان (الصحابة) وكذا زمان التابعين وتابعيهم رضي الله عنهم وهم الصدر الأول كما قدمنا (بغير إذن) في تلك الزيادة أو النقصان (من الشارع) أي المبين للشرع فينا ابتداء وهو محمد صلّى الله عليه وسلّم (لا قولا) أي بالقول (ولا فعلا) أي بالفعل (ولا صريحا) أي بالصريح (ولا إشارة) أي بالإشارة والمعنى أنه يكتفي في ورود الإذن بأحد هذه الطرق الأربعة لو وجد احتراز عما ورد الإذن فيه للزيادة والنقصان كقوله صلّى الله عليه وسلّم **(من قال في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه وذلك أدناه ومن قال في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاثا فقد تم سجوده وذلك أدناه)** ذكره في شرح الدرر وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعا كتب من العابدين ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين ومن صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله تعالى له بيتا في الجنة من ذهب)** رواه البيهقي في السنن الصغير فقد ورد التخيير في هذه الزيادة والنقصان فليس شيء من ذلك ببدعة (فلا تتناول) البدعة من حيث معناها الشرعي شيئا من أنواع (العادات أصلا) جمع عادة وهو كل أمر يقصد به حصول غرض دنيوي كالملابس المخترعة في هذا الزمان والمساكن والمآكل والمشارب مما اتخذه الناس أنواعا منوعة فلا يسمى في الشرع بدعة لأنه ليس في الدين بل في الدنيا وشرط البدعة في الشرع أن تكون في الدين بأن يتخذها فاعلها طاعة يعبد الله تعالى بها (بل تقتصر) أي البدعة في الشرع اليوم (على بعض الاعتقادات) كإعتقادات الفرق الضالة ومن تابعهم (وبعض صور العبادات) الواردة في الشرع بأن يزاد في صورتها أو ينقص منها مع اعتقاد أن تلك الزيادة والنقصان طاعة بمجرد الرأي لتخرج من البدع هذه الزيادة والنقصان الواقعة في العبادات على حسب اختلاف المذاهب الأربعة اليوم كتثنية الإقامة عند أبي حنيفة رضي الله عنه بالنظر إلى مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وأفرادها عند الشافعي بالنظر إلى مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وصلاة

الكسوف بركوعين وسجودين وفاتحتين في كل ركعة عند الشافعي لا عند أبي حنيفة رضي الله عنهما فإن هذا أو ما أشبهه ليس ببدعة في الدين لأنه مأخوذ من الأدلة الشرعية لا من مجرد الرأي وإنما المأخوذ من مجرد الرأي الزيادة على الوضوء الشرعي والغسل الشرعي بكثرة صب الماء إذا اعتقده فاعله عبادة كان بدعة وإذا اعتقد أنه وسوسة مكروهة كما سيأتي إن شاء الله تعالى فهو معصية وليس ببدعة وكذلك تكرار التكبير في افتتاح الصلاة وتكرار النطق في الصلاة بكل كلمة من القراءة والتشهد، وغسل الثياب الجديد لاحتمال النجاسة فيها، وغسل الفم من أكل الخبز لاحتمال نجاسة الحنطة ببول الثيران عليها في وقت الدياس ونحو ذلك مما هو منصوص في كلام العلماء على كونه خارجا عن قانون الشرع وهو محض وسوسة فمتى فعل ذلك أحد قاصدا بأنه طاعة كان بدعة وإن لم يقصد أنه طاعة كان معصية وليس ببدعة لاعتراف فاعله بقبحه وكونه يخالف الشرع وهكذا كل أمر يضارع ما ذكرنا (فهذه) البدعة في الشرع دون العادة (هي مراده عليه الصلاة والسلام) حيث قال في الحديثين السابقين كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة يعني كل محدث في الشرع بدعة وكل بدعة في الشرع ضلالة والمراد كل بدعة في الشرع ليس فيها إعانة على الطاعة الشرعية بأن كانت بدعة سيئة وأما البدعة في الشرع اذا كان فيها اعانة على طاعة شرعية فإنها تكون بإذن من الشارع ولو بطريق الاشارة كما تقدم فهي بدعة حسنة فلا تدخل تحت كل بدعة في الشرع ضلالة (بدليل) متعلق بقوله فلا تتناول العادات يعني أن البدعة في الشرع غير شاملة للبدع في العبادات والدليل على ذلك مقتضى (قوله عليه الصلاة والسلام) في الحديث السابق (فعليكم) يا معشر المكلفين يعني ألزموا العمل (بسنتي) وهي ما شرعه صلّى الله عليه وسلّم لهم في دينهم دون ما شرعوه هم لأنفسهم من الدين وهي البدع ولم يشرع لهم صلّى الله عليه وسلّم شيئا في العادات لأنه جاء ليعلمهم دينهم لا دنياهم فلا تدخل في ذلك البدع في العادات (وسنة الخلفاء) جمع خليفة (الراشدين) أي أهل الرشد ضد الغي (المهديين) وهم أبو بكر وعمر وعثمان

وعلي رضي الله عنهم أجمعين يعنى ألزموا ما شرعه لكم خلفائي (من بعدي) يعني في الدين إذ لم تشرع الخلفاء شيئا إلا في الدين فلا يشمل أمر العادة (وقوله عليه الصلاة والسلام) في صدر الحديث المتقدم (أنتم أعلم بأمر دنياكم) يعني لا تحتاجون أن أشرعه لكم أي أبينه وإنما حاجتكم لأمر دينكم أن أشرعه لكم فلا تشرعوا أنتم أمر دينكم لأنكم لا تعلمون ماذا يريد الله تعالى من الحكم عليكم فلا تدخل العادات في ذلك (وقوله عليه الصلاة والسلام من أحدث) أي اخترع (في أمرنا) أي شرعنا وديننا (هذا ما ليس منه) من الاعتقاد أو العمل أو القول أو التخلق واعتقد أن ذلك شرع ودين (فهو رد) منه علينا إذ الشارع نحن بوحي الله تعالى ونبوته لا غيرنا أو رد منا عليه فلا يقبل منه ذلك كما سبق بيانه فهذا تصريح بأن البدعة الشرعية التي هي ضلالة هي ما ابتدعت في الشرع والدين دون العادات وكذلك ما تقدم من حديث غضيف بن الحارث أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة إلا أضاعت مثلها من السنة**) فقد خص البدعة بكونها في الدين فخرجت البدعة في العادات فإنها ليس ببدعة في الشرع ولا هي ضلالة وفي شرح الشرعة وكل بدعة قبيحة ضلالة فلا يجوز التمسك بها قال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) أي ما أحدثه مردود جدا والمراد أن كل بدعة في الدين كانت على خلاف مناهجهم وطرقهم يعني الصحابة والتابعين وتابعي التابعين رضي الله عنهم أجمعين بحيث لو اطلعوا عليها لأنكروها وكرهوها فهي ضلالة وإلا فقد حققوا أن من البدعة ما هي حسنة مقبولة كالاشتغال بالعلوم الشرعية وتدوينها وبناء المنارة وغيرها مما رأوا فيه مصلحة (والبدعة) الشرعية (في الاعتقاد) كاعتقادات القدرية والجبرية وبقية الفرق الضالة وأتباعهم (هي المتبادرة) في السبق إلى الذهن (من إطلاق) اسم (البدعة) الشرعية (و) إطلاق اسم (المبتدع) في الشرع على فاعلها (و) إطلاق اسم (الهوى) أي الميل النفساني بمجرد العقل الحيواني (و) إطلاق اسم (أهل الأهواء) على فاعل ذلك كما هو مذكور في كتب علم الكلام وغيره فيقال أهل البدع والمبتدعة وأهل الهوى

وأهل الأهواء والمراد بذلك البدعة الشرعية في الاعتقاد لا غير (فبعضها) أي بعض البدعة الشرعية في الاعتقاد (كفر) كجحود أي نكران حشر الأجساد ونفي الصفات الإلهية والحكم بقدم العالم (وبعضها) أي بعض تلك البدعة (ليست به) أي بالكفر كجحود سؤال القبر وخبر المعراج (ولكنها) أي هذه البدعة التي ليست بكفر (أكبر من كل كبيرة) كائنة (في العمل) أي من كبائر العمل فدونها كل كبيرة لتضمنها تكذيب الشارع فيما أخبر عنه دون صريح التكذيب لثبوت ذلك بالدليل الظني وهو خبر الآحاد لا بطريق التواتر ولا الشهرة ولهذا لم تكن كفرا (حتى) أنها أكبر من كبيرة (القتل) أي قتل المؤمن المعصوم الدم عمدا (و) أكبر من كبيرة (الزنا) أيضا لأن صاحبها يعتقدها حقا ويدين الله تعالى بها وهي بدعة قبيحة وأما القتل والزنا فإذا صدرا من المؤمن لا يستحلهما ويعتقد حرمتهما فهما أخف من البدعة مع تساويهما معها في عدم المشروعية (وليس فوقها) أي فوق البدعة المذكورة في الاعتقاد (إلا الكفر) سيما وصاحبها تحجب عنه التوبة حتى يدعها كما سبق في لفظ الحديث ولا يقبل الله له عملا مطلقا مع أن صاحب الكبائر يقبل عمله وهو والكافر لا تحجب عنهما التوبة لأن صاحب الكبائر معترف بأنه صاحب معاص ومخالفات، والكافر غير ملتزم شرائع الإسلام ولا مدعي الملة المحمدية بخلاف المبتدع في الدين فإنه يدعي الإسلام ويزعم أن بدعته طاعة من طاعات الله تعالى وقالوا في كتب علم الكلام ولا نكفر أحدا من أهل القبلة قال العلامة حسن چلبي في حاشيته على شرح المواقف معناه إن الذين اتفقوا على ما هو من ضروريات الإسلام كحدوث العالم وحشر الأجساد وما أشبه ذلك واختلفا في أصول سواه كمسألة الصفات وخلق الأعمال وعموم الإرادة وقدم الكلام وجواز الرؤية ونحو ذلك مما لا نزاع أن الحق فيه واحد لا يكفر المخالف للحق في ذلك وإلا فلا نزاع في كفر أهل القبلة المواظب طول العمر على الطاعات باعتقاد قدم العالم ونفي الحشر ونفي العلم بالجزئيات ونحو ذلك وكذا الصدور شيء من موجبات الكفر عنه كذا في شرح المقاصد ولعله أراد أن اعتقاد قدمه مع نفي الحشر كفر وإلا فقد

ذهب كثير من حكماء الإسلام إلى قدم بعض الأجسام والفحول من أرباب المكاشفة قدس الله أسرارهم ذهبوا إلى قدم العرش والكرسي دون سائر الأفلاك فلا وجه للتكفير إذ لا تكذيب فيه للنبي صلّى الله عليه وسلّم انتهى فلعل مرادهم بقدم العرش والكرسي قدمهما بالنسبة إلى إيجاد الله لهما فإنه تعالى موجدهما من الأزل حيث لا بداية للزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه لأنه تعالى لا يمر عليه الزمان ولا على صفاته فقبل حضور الزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه لا وجود لهما بالنسبة إلينا ولهذا كانا حادثين عندنا ولا وجود لهما أيضا بالنسبة إلى الله تعالى وإما في الزمان الذي ابتدأ وجود هما فهما موجودان فيه عندنا بطريق الحدوث والابتداء لهما لتقييدنا بالزمان وموجودان فيه ايضا عند الله تعالى لكن لا بطريق الحدوث والابتداء بل من الازل والله تعالى ليس متقيدا بالزمان اذ هو من جملة محدثاته في مرتبته من الازل ولا فعله تعالى حادثا بل الحادث مفعوله بالنظر الينا لا بالنظر اليه تعالى لحضور الازمان كلها عنده تعالى من غير زمان يكون هو متقيدا به وعدم حضور الازمان كلها بالنظر الينا لتقييدنا بزمان دون زمان وهذا القائل بالقدم في العرش والكرسي من فحول أرباب المكاشفة قدس الله أسرارهم يقول بحدوثهما من جهة التقييد بالزمان أيضا كقول علماء الكلام ولهذا قال دون سائر الأفلاك فإن سائر الأفلاك فيها خصوص في عموم لوجود الزمان بالنظر إلى سائر الأفلاك دونهما والحدوث منشؤه الزمان ولكن ينفرد بالمعرفة الإلهية في صدور العالم عن الله تعالى ما لا يعرفه غيره ويريد بالعرش والكرسي العالمين الكليين وما اشتملا عليه من جميع النفوس والأجسام وذلك مجموع العالم كله وأما الحكم بقدم شيء من العالم بالنظر إلى التقييدين بالزمان كقول الفلاسفة ومن تابعهم فلا خلاف في أنه كفر (والخطاء في الاجتهاد) وهو بذل المجهود لنيل المقصود يعني بذل تمام الطاقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد عليه (فيه) أي في الاعتقاد (ليس بعذر) شرعي (بخلاف) الخطاء في (الاجتهاد في الأعمال) البدنية فإنه عذر بالاتفاق قال في التلويح للسعد التفتازاني فلا يجري الاجتهاد في القطعيات وفيما يجب فيه الاعتقاد الجازم من أصول

الدين ثم قال بعد ذلك والمخطئ في الاجتهاد يعني في فروع الدين لا يعاتب ولا ينسب إلى الضلال بل يكون معذورا ومأجورا إذ ليس عليه إلا بذل الوسع وقد فعل فلم ينل الحق لخفاء دليله إلا أن يكون الدليل الموصل إلى الصواب بينا فأخطأ المجتهد بتقصير منه وترك مبالغة في الاجتهاد فإنه يعاتب، وما نقل من طعن السلف بعضهم على بعض في مسائلهم الاجتهادية كان مبنيا على أن طريق الصواب بين في زعم الطاعن وإنما قال المخطئ في الاجتهاد لأن المخطئ في الأصول والعقائد يعاتب بل يضلل أو يكفر لأن الحق فيها واحد إجماعا والمطلوب هو اليقين الحاصل بالأدلة القطعية إذ لا يعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية الصانع وعدمها فالمخطئ فيها مخطئ ابتداء وانتهاء وما نقل عن بعضهم من تصويب كل مجتهد في المسائل الكلامية إذا لم يوجب تكفير المخالف كمسألة خلق القرآن ومسألة الرؤية ومسألة خلق الأفعال فمعناه نفي الإثم وتحقق الخروج من عهدة التكليف لا حقية كل من القولين وفي مرقاة الأصول والاجتهاد في الشرعيات لا العقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والأفعال من الإلهيات والنبوات فإن المليين اجمعوا على وحدة المصيب في العقليات إلا عند بعضهم أي بعض المعتزلة وهو أبو الحسن العنبري والجاحظ فإنهما قالا أن كل مجتهد مصيب في مسائل الكلام وهو باطل لأن المطلوب فيها هو اليقين الحاصل بالأدلة القطعية ولا يعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية الصانع وامتناعها ونحو ذلك انتهى وسبق نظير هذا (وضد هذه البدعة) التي في الاعتقاد أي ما يضادها فيمتنع وجوده معها (اعتقاد أهل السنة) النبوية المحمدية (والجماعة) الإسلامية الإيمانية من الأشاعرة والماتريدية (والبدعة في العبادة) أي الأعمال الظاهرة في مقابلة البدعة في الاعتقاد كالزيادة والنقصان في صورة بعض العبادات وأشار بقوله في العبادة دون قوله في العمل إلى أن صاحبها يطلب عليها الثواب من الله تعالى مثل سائر العبادات مع أنها مبتدعة لا أصل لها فلهذا كانت البدعة أقبح من جميع المعاصي (وإن كانت) هذه البدعة (دونها) أي دون البدعة في الاعتقاد يعني أقل منها قبحا وشناعة وإنما وذلك لأن البدعة في

الاعتقاد تنجيس موضع نظر الرب سبحانه وتعالى وهو القلب والبدعة في الأعمال تنجيس موضع نظر الخلق وهو ظاهر العبد كما ورد أن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم (لكنها) أي البدعة في العبادة أيضا (منكر) في دين الله تعالى (وضلالة) يجب تركها والاجتناب عنها أكثر من جميع المعاصي (لا سيما إذا صادمت) أي دافعت وزاحمت (سنة) من سنن النبي صلّى الله عليه وسلّم (مؤكدة) أي كان فعل تلك البدعة مانعا من فعل سنة مؤكدة مشغلا للعبد عن الاشتغال بالسنة فإنه يشتد حينئذ قبح البدعة ويكثر الإثم على فعلها (ومقابل هذه البدعة) التي في العبادة أي مضاد لها بحيث لو وجد هو امتنع وجودها (سنة الهدى) بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة كذا في القاموس يعني التي فعلها رشاد لفاعلها ودلالة من فاعلها لغيره على الرشاد (وهي ما) أي فعل (واظب عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم من جنس العبادة) ليخرج ما واظب عليه من العادات من غير أن يقصد عبادة الله تعالى به فإنه ليس بسنة هدى بل هو من الزوائد كالمشي والقعود (مع الترك) لذلك الفعل (أحيانا) جمع حين يعني أوقاتا أو بلا ترك أصلا ولا يفهم الوجوب من عدم الترك ما لم يقترن به النهي عن الترك والتوعد عليه ولهذا قال (و) مع (عدم الإنكار) من النبي عليه السلام (على تاركه) أي تارك ذلك الفعل لأنه لو اقترن بالمواظبة إنكار على الترك كان واجبا لا سنة (كالاعتكاف) وهو لغة اللبث والدوام على الشيء، وشرعا لبث رجل في مسجد جماعة أو امرأة بنيته أي الاعتكاف، وهو واجب في المنذور وسنة مؤكدة في العشر الأخير من رمضان ومستحب فيما سواه أي العشر الأخير وكذا في شرح الدرر قال في مرقاة الأصول والسنة نوعان الأول سنة الهدى مكملة للدين وتاركها مسيء مستحق اللوم كصلاة العيد والأذان والإقامة والصلاة بالجماعة والسنن الرواتب ولذا لو تركها قوم عوقبوا أو أهل بلدة وأصروا قوتلوا والثاني سنة الزوائد وتاركها لا يستحق اللوم كتطويل أركان الصلاة، وسيرة النبي صلّى الله عليه وسلّم في لباسه كالبيض وقيامه وقعوده انتهى وقال والدي رحمه الله تعالى في كتابه الأحكام والحاصل أن الذي يظهر أن القول أو

الفعل يعني قول النبي عليه السلام أو فعله إن قارنه إنكار على الترك فواجب وإلا فإن كان مع صيغة أمر أو نهي ولا مواظبة فمستحب وإلا فسنة مؤكدة والسنة نوعان سنة هدى وتركها يستوجب إساءة كالجهاد والأذان وزوائد وتاركها لا يستوجب ذلك كالسنن في القيام والقعود واللباس كما في المنار إن كانت على سبيل العبادة فسنن الهدى وعلى سبيل العادة فسنن الزوائد كلبس الثياب والأكل باليمين وتقديم اليمين في الدخول (وأما البدعة في العادة) أي من غير أن يقصد بها عبادة الله تعالى ولا يطلب عليها ثواب (كالمنخل) للدقيق وكذلك الملعقة للأكل ونحو ذلك لعدم قصد مخترعها ومستعملها عبادة الله تعالى به والثواب عليها (فليس فعلها ضلالة) ولا وعيد البدعة شامل لها (بل) فعلها (ترك أولى) عند أهل الورع والاحتياط (فتركها) أي البدعة في العادة (أولى) من فعلها لما تورث الطمأنينة على نعيم الدنيا وتوصل راحة القلب بالغفلة والغرور قال في الكشاف وقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعادة الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظار فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ذكره الشيخ المناوي في شرح الجامع الصغير فهي من البدع العادية ومن ذلك البنيان زيادة على مقدار الحاجة كما روى الشيخ النووي في رياض الصالحين عن قيس بن أبي حازم قال دخلنا على خباب رضي الله عنه نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال أن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا وإنا أصبنا مالا لا نجد له موضعا إلا التراب ولولا أن النبي صلّى الله عليه وسلّم نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطا له فقال إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب متفق عليه وهذا لفظ رواية البخاري ومن ذلك ظهور السمن في الرجال كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أكثر من أكلة كل يوم سرف**) وفي شرح الجامع الصغير للمناوي ومن علامات الساعة ظهور السمن في الرجال انتهى ومن ذلك استعمال التتن والقهوة الشايع ذكرهما في هذا الزمان بين الأسافل والأعيان والصواب أنه

لا وجه لحرمتهما ولا لكراهتهما في الاستعمال بل هما من البدع في العادة ومن علل حرمتهما بشيء لزمه حرمة البدعة العادية وهو خلاف ما عليه جمهور العلماء وأمر السلطان ونهيه إنما يعتبران إذا كانا على طبق أمر الله تعالى ونهيه لا على مقتضى نفسه وطبعه كما أن أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم ونهيه على طبق أمر الله تعالى ونهيه لا هو من تلقاء نفسه ومقتضى رأيه وعقله وحاشاه صلّى الله عليه وسلّم من ذلك ولو فرضنا أن أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم ونهيه كانا من تلقاء نفسه لا من أمر الله تعالى ونهيه لما وجب علينا امتثال ذلك فكيف يجب علينا امتثال أمر السلطان ونهيه الصادر من مجرد رأيه وعقله ما لم يكن موافقا لحكم الله تعالى إلا إذا ظلم السلطان وجار وشدد على الناس وضيق عليهم في النهي عن استعمال هذين المباحين وخاف الناس على أنفسهم من شره خصوصا إذا كان يستحل دماء المسلمين ويوجب تعذيرهم في رأيه بسبب ذلك فلا يجوز أن يلقي أحد بنفسه إلى التهلكة ويكف المؤمن عن استعمال ذلك بهذا السبب لا معتقدا الحرمة أو الكراهة بل حاقنا دمه وعرضه وقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول في بيتي هذا (**اللَّهُمَّ مَنْ وَلي مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلي مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**) رواه مسلم كما ذكره النووي في رياض الصالحين وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى (**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** * النساء: ٥٨) أي وأن تحكموا بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ولأن الحكم وظيفة الولاة وقيل الخطاب لهم (**إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ** * النساء: ٥٨) أي نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به من العدل في الحكومات إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً بأقوالكم وأحكامكم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ يريد بهم أمراء المسلمين في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية أمر الناس بطاعتهم بعد أن أمرهم بالعدل تنبيها على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع

لقوله تعالى (**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ** * النساء: ٨٣) الآية فإن تنازعتم أنتم وأولوا الأمر منكم في شيء من أمور الدين وهو يؤيد الوجه الأول يعني في أن أولي الأمر هم الخلفاء والأمراء لا العلماء إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس إلا أن يقال الخطاب لأولي الأمر يعني فقط على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه إلى الله إلى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعده إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الإيمان يوجب ذلك يعني الرد المذكور ذلك أي الرد خير لكم وأحسن تأويلا عاقبة أو أحسن تأويلا من تأويلكم انتهى كلام البيضاوي باختصار لعبارته وسبق ما يضارع هذا ولنا في كتابنا نهاية المراد شرح هدية ابن العماد كلام في هذه المسألة أكثر من هذا وكذلك في كتابنا المطالب الوفية وغيره (وضدهما) أي ضد البدعة في العادة (السنة الزائد) المقابلة لسنة الهدى كما قدمناه ومعنى زيادتها كونها ليست لتكميل الدين بخلاف سنة الهدى كما ذكرنا فإن الدين يتكمل بها (وهي ما) أي فعل (واظب عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم) وهو (من جنس العادة) حيث لم يقصد به العبادة ليكون تكميلا للدين (كالابتداء باليمين) من اليد والرجل وغيرهما (في الأفعال الشريفة) يعني غير الخسيسة لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يحب التيامن في تنعله وترجله وظهوره وفي شأنه كله قال القرطبي في شرح مسلم كان ذلك منه تبركا باسم اليمين لإضافة الخير إليها كما قال وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ ولما فيه من اليمن والبركة وهو من باب التفاؤل ونقيضه الشمال ويؤخذ من هذا الحديث احترام اليمين وإكرامها فلا تستعمل في إزالة شيء من الأقذار ولا في شيء من خسيس الأعمال وقد نهى صلّى الله عليه وسلّم عن الاستنجاء ومس الذكر باليمين وفي رياض الصالحين وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال (**كل بيمينك**) فقال لا أستطيع قال (**لاَ اسْتَطَعْتَ**) ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه رواه مسلم وفي شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح وأن يأكل ويشرب بيمينه لما روى أبو هريرة رضي الله

عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطي بشماله**) ولا بأس بأن يستعين بيساره في الأكل وغيره عند الحاجة وإنما البأس في الأكل بها على الاستقلال بغير حاجة (و) الابتداء (باليسار) من اليد والرجل وغيرهما (في) الأفعال (الخسيسة) كدخول الخلاء والاستنجاء ومس الذكر حتى نقل الإمام القرطبي في شرح مسلم أن من استنجى بيمينه فقد أساء وأجزأه وقال أهل الظاهر لا يجزئه لاقتضاء النهي فساد المنهي عنه وعند الجمهور لا يقتضيه وأيضا فإن الجمهور صرفوا هذا النهي إلى عين ذات المنهي عنه وهو احترام اليمين والمطلوب الذي هو الإنقاء قد حصل فيجزئ عنه ونهيه في حديث أبي قتادة رضي الله عنه عن إمساك الذكر باليمين وعن التمسح في الخلاء باليمين يلزم منهما تعذر اختلف في كيفية التخلص منه فقال المازري يأخذ ذكره بشماله ثم يمسح به حجرا ليسلم على مقتضى الحديثين وتمامه هناك (فهي) أي هذه السنة الزائدة (مستحبة) أي استحبها النبي صلّى الله عليه وسلّم والسلف الماضون قال والدي رحمه الله تعالى في كتابه الأحكام ثم في الحاوي القدسي والأدب والمستحب والنافلة ما فعله عليه الصلاة والسلام مرة مرة وهي تسمى سنة أيضا وفي شرح درر البحار اعلم أن المستحب أدون من السنة وأعلى من الأدب ولم يفرق بعض مشايخنا بين الأدب والمستحب وقد يطلق المستحب على السنة (فظهر) من هذا (إن البدعة بالمعنى الأعم) وهو ما تقدم من المعنى اللغوي العام الذي هو مطلق الابتداع والاختراع سواء كان في العادة أو في العبادة (ثلاثة أصناف مرتبة في القبح) أي أعظمها قبحا الأول وهو البدعة في الاعتقاد، ثم أوسطها قبحا الثاني وهو البدعة في العبادة ثم أدناها قبحا الثالث وهو البدعة في العادة قال في شرح الشرعة وذكر في شرح المشارق أن العلماء قالوا البدعة خمسة واجبة كنظم الدلائل لرد شبه الملاحدة وغيرهم ومندوبة كتصنيف الكتب وبناء المدارس ونحوها ومباحة كالتبسط بألوان الأطعمة عند ضيافة الإخوان وغيرها ومكروهة وحرام وهما ظاهران (فإذا علمت هذا) التقسيم الذي

تقدم بيانه (فالمنارة) المذكورة في نوع البدعة المستحبة إنما كانت مستحبة مع أنها بدعة لأنها (عون) أي معينة للمؤذنين في قصدهم (لإعلام) الناس بدخول (وقت الصلاة) المفروضة كالصلوات الخمس والجمعة (المراد) نعت للإعلام (من) معنى (الأذان) شرعا إذ معناه لغة مطلق الإعلام وفي الشرع هو الإعلام بوقت الصلاة وفي المنارة إعانة في انتشار ذلك بين المسلمين ما ليس في غيرها (والمدارس) المبنية للعلم وقراءة القرآن (و) كذا (تصنيف الكتب) الشرعية في علم التوحيد والعقائد والأحكام الفقهية والتفسير والحديث وآلة ذلك كالنحو والصرف واللغة ونحو هذا (عون) أي معينة (للتعليم) بسبب تقرير المسائل وإيضاحها وإيراد كل شيء في محله من الأبحاث المناسبة والإشكالات والأجوبة وتحرير الأدلة وبيان الخلاف حتى يسهل معرفة ذلك على المعلم والمتعلم (و) عون لحصول (التبليغ) أيضا من العلماء الأولين إلى الفضلاء المتأخرين أي تبليغ الشرائع والأحكام على أكمل ما يكون من الكلام تسهيلا على القرائح والأفهام (ورد) مبتدأ أي صرف ومنع الفرق (المبتدعة) من المعتزلة وغيرهم (بنظم) أي جمع وترتيب (الدلائل) العقلية والبراهين القطعية في تحقيق المسائل الإعتقادية الأصولية (نهي) خبر المبتدأ (عن المنكر) القبيح ممن تقدم لمن تأخر على وجه العموم كما هو الطريقة المسنونة في ذلك من غير تعيين فاعله على حسب ما قدمناه (وذب) أي طرد ومحاماة وردع وزجر (عن الدين) المحمدي والحاصل أن السادة الأئمة الأولين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين لما حصلوا على سعادة الجهاد في أعداء الدين بظواهر الغرائم وقارعوهم بالسماهر والصوارم حتى فتحت البلاد واطمأنت القلوب الإسلامية وبردت الأكباد ولم يبق للمتأخرين حظ من ذلك فجعل الله تعالى لهم مسلكا بافتراق الأمة وتشتت الكلمة وظهور الزائغين وكثرة المخالفين في العقائد والمعاندين فانفتحت لهم أبواب جهاد آخر في النفوس الجاهلية فلم يفتهم حظهم من سعادة الجهاد في أهل الضلال فحاربوهم بعزائم البواطن وقارعوهم بسيوف الحجج والبراهين في جميع المواطن وبنوا حصون الكتب المصنفات الكثيرة المتنوعة وأتقنوها جهدهم ونصبوا فيها مجانيق

الأدلة لهدم حصون الضلال وهلاك وساوس أهل العناد والجدال وبنوا المدارس وشيدوها لنشر ذلك وإعلانه على حسب حال المعين على الخير من أهل التقوى في زمانه فجزاهم الله تعالى خير الجزاء يوم القيامة وبلغهم غايات أمانيهم في دار الإقامة (فكل) بالتنوين أي كل واحد مما ذكر من بناء المنارة والمدارس وتصنيف الكتب ونظم الدلائل (مأذون فيه) من قبل الشارع إذ قصده بقاء ما شرعه وتقويته وإزالة ما يمانعه وهذا المعنى موجود فيما ذكر (بل مأمور به) من قبل الشارع ولو على طريق العموم كما قال تعالى (**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ** * البقرة: ٢٣٨) وقال تعالى (**وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلا الْحَقّ** * النساء: ١٧١) فبناء المنارة والمدرسة من جملة المحافظة على الصلوات وتصنيف الكتب ونظم الدلائل من جملة قول الحق على الله وعدم قول الباطل وما أشبه ذلك (وعدم وقوعه) أي وقوع كل من ذلك (في الصدر الأول) زمان الصحابة والتابعين وتابعي التابعين رضي الله عنهم أجمعين (إما لعدم الاحتياج) إلى كل واحد من ذلك لاستغنائهم بكثرة الاجتهاد والمجتهدين عن تدوين العلوم وبسهولة مراجعة الثقات من أئمة الدين عن تصنيف الكتب وبقلة المخالفين عن نظم الدلائل (أو لعدم القدرة) فيه (بعدم المال) في الإنفاق على بناء المنارة والمدارس وجعل الأوقاف عليها والوظائف (أو لعدم التفرغ له) أي لفعل ذلك (بالاشتغال) ليلا ونهارا ظاهرا وباطنا (بالأهم) من ذلك على حسب ما يعلمون من قتال الكفار وفتح البلاد وتمهيد القواعد الإسلامية والقوانين الإيمانية بين العباد والمحافظة على فعل السنة النبوية والسيرة المحمدية والقيام بها في الأحوال كلها صونا لها من الضياع والابتذال (ونحو ذلك) من الأعذار المانعة للأوائل عن عمل ذلك كعدم حدوث ما يقتضيه في زمانهم ووجود ما يغني عنه في ذلك الزمان دون غيره وعدم تنبههم لمثله (ولو تتبعت كل ما قيل فيه) بين العام والخاص (بدعة حسنة) سواء كان اعتقادا أو قولا أو عملا أو تخلقا (من جنس العبادة) إذ جنس العادة ليس ببدعة شرعا كما مر (وجدته مأذونا فيه من) قبل (الشاعر) لكل أحد (إشارة) في آية أو حديث (أو دلالة) من آية أو حديث لا يكاد يخرج شيء من ذلك

عما ذكر أصلا والقصور في عدم الاطلاع والفرق بين الإشارة والدلالة أن الإشارة هي إيماء النص إلى غير ما سيق له كقوله تعالى (**وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ** * البقرة: ٢٣٣) الآية سيق الكلام لإثبات النفقة وفيه إشارة إلى أن النسب من الأب والدلالة إفهام النص لازم معناه كالنهي عن التأفيف يوجب حرمة الضرب بالأولى في قوله تعالى (**فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ** * الإسراء: ٢٣) وقد سئل بعض العلماء عن هذه المقامات المنصوبة حول الكعبة التي يصلون فيها الآن بأربعة أئمة على مقتضى المذاهب الأربعة ما كانت السنة على ذلك ولا عصر التابعين ولا تابعيهم ولا عهد الأئمة الأربعة ولا أمروا بها ولا طلبوها فأجاب بأنها بدعة ولكنها بدعة حسنة لا سيئة لأنها تدخل بدليل السنة الصحيحة وتقريرها في السنة الحسنة لأنها لم يحدث منها ضرر ولا حرج في المسجد ولا في المصلين من المسلمين لعامة أهل السنة والجماعة بل فيها عميم النفع في المطر والحر الشديد والبرد وفيها وسيلة للقرب من الإمام في الجمعة وغيرها فهي بدعة حسنة ويسمون بفعلهم للسنة الحسنة وإن كان بدعة أهل السنة لا أهل البدعة لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**من سن سنة حسنة**) فسمى المبتدع للحسن مسننا فأدخله النبي صلّى الله عليه وسلّم في السنة وقرن بذلك الابتداع وإن لم يرد في الفعل فقد ورد في القول فالسان سني لا بدعي لدخوله بتسمية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما قرره من السنة وضابط السنة ما قرره أو فعله النبي صلى الله عليه وسلم وداوم عليه وأظهره ومن جملة فعله أيضا قوله صلّى الله عليه وسلّم وسكوته على الأمر لأنه تقرير وإذن في ابتداع السنة الحسنة إلى يوم الدين وأنه مأذون له بالشرع فيها ومأجور عليها مع العاملين لها بدوامها أخرج الإمام أحمد بن حنبل ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جرير عن عبد الله عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجرهم شيء ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**) وأخرج البيهقي عن أبي جحيفة عن النبي صلّى الله عليه

وسلّم (**من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا**) الحديث فيدخل في السنة تقريره صلّى الله عليه وسلّم كل بدعة حسنة ومنها الربط والمدارس والمرافق والمصالح حيث كانت للمسلمين بالطرق وغيرها للمنافع وكل حدث مستحسن وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم عند الكلام على حديث من (**سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة**) وحديث (**مَنْ دَعَا إلى هُدًى، وَمَنْ دَعَا إلَى ضَلاَلَةٍ**) هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة وأن من سن حسنة كان له مثل أجور من يعمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سيئة كان عليه مثل وزر من يعمل بها إلى يوم القيامة وأن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور تابعيه أو إلى ضلالة كان عليه آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى أو الضلالة هو الذي ابتدأه أو كان منسوبا إليه وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدبا أو غير ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم (**فعمل بها بعده**) معناه بعد أن سنها سواء كان العمل في حياته أم بعد موته انتهى والظاهر أن السنة الحسنة والسنة السيئة يترتب عليهما الجزاء لمن ابتدأهما مثل جزاء فاعلهما إلى يوم القيامة سواء نوى من ابتدأهما عند ابتدائهما أن يتبعه غيره فيهما أو لم ينو ذلك وفعلهما لنفسه فقط ابتداء، كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**ليس من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل**) متفق عليه وربما يقال لا يترتب الجزاء لمن ابتدأ هما مثل جزاء فاعلهما ما لم يكن نوى عند ابتدائهما أن يتبعه غيره فيهما وإن لم ينو فليس له إلا جزاؤه على فعلهما فقط لقوله عليه الصلاة والسلام (**إنَّما الأعْمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّمَا لِكُلّ امرئ مَا نَوَى**) فإن الحصر في هذا الحديث مانع من ترتب ذلك على مجرد الفعل من غير نية الإمامة فيه نظيره ما صرح به الفقهاء بأن الإمام إذا لم ينو الإمامة في الصلاة بأن يتبعه غيره فيها فلا ثواب له عليها وإن صح الاقتداء به وصحت متابعته

وهو منفرد فيما يصلي فثوابه ثواب المنفرد لعدم النية ويؤيده حديث (**مَن دَعا إلى هُدىً كانَ لهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعا إلى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلكَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئاً**) رواه مسلم كما تقدم وحديث (**مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فاعِلِهِ**) رواه مسلم أيضا وقد صدر الشيخ النووي رحمه الله تعالى باب من سن سنة حسنة أو سيئة في كتابه رياض الصالحين بقوله تعالى (**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً** * الفرقان: ٧٤) وقوله تعالى (**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** * الأنبياء: ٧٣) ومعلوم أن الإمام لا يصير إماما مثابا على إمامته بعدد المقتدين حتى ينوي أن يتابعه غيره في عمله وإلا فليس بإمام إذ لو كان المراد مطلق الفعل لكان في الحديث من عمل عملا حسنا، من عمل عملا سيئا فإن السنة مشعرة بما ذكرنا ويمكن أن يقال في حديث ابن آدم المذكور أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كشف له عن حال ابن آدم أنه نوى بقتله لأخيه لتشفي نفسه منه وأن يتبعه غيره في ذلك ولهذا قال عنه لأنه كان أول من سن القتل ولم يقل أول من قتل فإن معنى السنة الطريقة المسلوكة ولو لم يكن نوى أنها تسلك بعده ما قيل عنه أنه سنها كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسن السنن بنية أن يتابعه فيها غيره فيكون إماما فيها فيترتب له ثواب من عمل بها إلى يوم القيامة (ثم اعلم) يا أيها المكلف (أن فعل البدعة) السيئة في الدين (أشد ضررا) على الفاعل وغيره (من ترك السنة) معتقدا كراهة ذلك الترك وفيه إشارة إلى أن ترك السنة ليس بدعة إذا لم يعتقد الترك طاعة فإن اعتقده طاعة كان بدعة سيئة في الدين أيضا فساوى البدعة الفعلية وإنما كان فعل البدعة أضر من ترك السنة لتعدي ضررها إلى عمل الغير واعتقاده ما ليس بشرع خصوصا فيمن ظاهره الصلاح بخلاف ترك السنة فإنه وإن تعدى إلى الغير لم يكن متعديا في الاعتقاد (بدليل) متعلق بأشد (أن الفقهاء قالوا إذا تردد) أي المكلف (في) فعل (شيء) من الأعمال أو الأقوال أو العقائد أو الأحوال (بين كونه) أي ذلك الشيء (سنة) من سنن البني صلّى الله عليه

وسلّم فيثاب على فعلها (وبدعة) في الدين سيئة فيعاقب بفعلها وشك في ذلك ولم يظهر له دليل يرجح عنده أحد الطرفين (فتركه) أي ذلك الشيء المتردد فيه (لازم) عليه أي واجب قال في محيط السرخسي من كتاب السجدات أن ما تردد فيه بين الواجب والبدعة يأتي به احتياطا وما تردد بين البدعة والسنة تركه لأن ترك البدعة لازم وأداء السنة غير لازم انتهى وقال ابن نجيم الحنفي رحمه الله تعالى في كتابه الأشباه والنظائر في قاعدة درء المفاسد أولى من جلب المصالح فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفع المفسدة غالبا لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات ولذا قال عليه الصلاة والسلام (**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**) وروى في الكشف حديثا (**لترك ذرة مما نهى الله عنه أفضل من عبادة الثقلين**) ومن ثمة جاز ترك الواجب دفعا للمشقة ولم يسامح في الإقدام على المنهيات خصوصا الكبائر ومن ذلك ما ذكره البزازي في فتاواه ومن لم يجد سترة ترك الاستنجاء ولو على شط نهر لأن النهي راجح على الأمر حتى استوعب النهي الأزمان ولم يقتض الأمر التكرار انتهى والمرأة إذا وجب عليها الغسل ولم تجد سترة من الرجال تؤخره والرجل إذا لم يجد سترة من الرجال لا يؤخره ويغتسل وفي الاستنجاء إذا لم يجد سترة يتركه والفرق أن النجاسة الحكمية أقوى والمرأة بين النساء كالرجل بين الرجال كذا في شرح النقاية، ومن فروع ذلك المبالغة في المضمضة والاستنشاق مسنونة وتكره للصائم، وتخليل الشعر سنة في الطهارة ويكره للمحرم وقد تراعى المصلحة لغلبتها على المفسدة فمن ذلك الصلاة مع اختلال شرط من شروطها من الطهارة أو الستر أو الاستقبال فإن في ذلك مفسدة لما فيه من الإخلال بجلال الله تعالى بأن لا يناجى إلاّ على أكمل الأحوال ومتى تعذر شيء من ذلك جازت الصلاة بدونه تقديما لمصلحة الصلاة على هذه المفسدة ومنه الكذب مفسدة محرمة ومتى تضمن جلب مصلحة تربو عليه جاز كالكذب للإصلاح بين الناس وعلى الزوجة لإصلاحها وهذا النوع راجع إلى ارتكاب أخف المفسدتين في الحقيقة (وأما ترك الواجب هل هو أشد) قبحا وإثما (من فعل

البدعة) السيئة في الدين لفوات امتثال الأمر بالكلية في ترك الواجب وفواته من وجه في فعل البدعة (أو) القضية (على العكس) من ذلك وهو أن فعل البدعة أشد من ترك الواجب لاعتقاد أنها طاعة بخلاف ترك الواجب فإنه معلوم عند تاركه بأنه معصية (ففيه) أي في ترك الواجب المتردد بين الأمرين المذكورين (اشتباه) أي التباس عندنا لم يرتفع من ابتداء الأمر حتى يظهر وجه الصواب فيه وبيانه أن الفقهاء (حيث صرحوا فيمن يتردد في شيء) مطلقا (بين كونه بدعة) سيئة (و) كونه (واجبا) ولم يدر ما حكم فعله بأن تعارض فيه ما يقتضي وجوبه وما يقتضي عدم مشروعيته أصلا (أنه يفعله) ترجيحا لما يقتضي وجوبه احتياطا في امتثال الأمر فقالوا إذا ضاق الوقت عن الإتيان بالسنن وفي الصلاة يتركها ويأتي الصلاة الواجبة عليه وإن لزمت البدعة من ترك السنن ولهذا قال في شرح الدرر من أمن فوت الوقت يتطوع قبل الفرض إلا إذا ضاق الوقت وقال الوالد رحمه الله تعالى في شرحه لأن صلاة التطوع عند ضيق الوقت حرام لتفويتها الفرض كما في البحر انتهى وقال في الأشباه والنظائر لو ضاق الوقت أو الماء عن سنن الطهارة حرم فعلها وذكر في تنوير الأبصار ما لو نذر ركعتين بغير طهارة أيهما يلزمانه بالطهارة عن أبي حنيفة رضي الله عنه وهو ترجيح لجانب فعل الواجب على ترك المنهي عنه وفي الأشباه والنظائر مسألة ما لو استشهد الجنب فإنه يغسل عند أبي حنيفة رضي الله عنه مع أن تغسيل الشهيد بدعة ترجيحا لوجوب غسل الجنابة وهناك فروع كثيرة يعرفها من تتبعها في مواضعها (وفي) كتاب (الخلاصة) في فقه الحنفية (مسألة تدل على خلافه) أي خلاف ما ذكر من أن فعل الواجب مقدم على ترك البدعة فمقتضاها أن ترك البدعة مقدم على فعل الواجب (حيث قال) في الكتاب المذكورة في مسائل الشك في الصلاة (إذا شك) المصلي (في صلاته) المفروضة عليه (أنه) أي الشأن (هل صلاها أم لا) ولم يغلب على ظنه شيء منهما (إن كان) ذلك وقع منه (في الوقت فعليه) أي يلزمه (أن يعيدها) ليخرج من عهدتها بيقين كما وجبت عليه بيقين (وإن خرج الوقت ثم شك) هل أداها فيه أم لا (لا شيء فيه) أي في الشك

المذكور والأصل براءة ذمته من بقائها عليه قال في الأشباه والنظائر في قاعدة الأصل براءة الذمة ولذا لم يقبل في شغلها شاهد واحد ولذا كان القول قول المدعى عليه لموافقته الأصل والبينة على المدعي لدعواه ما خالف الأصل فإذا اختلفا في قيمة المتلف والمغصوب فالقول قول الغارم لأن الأصل البراءة عما زاد ولو أقر بشيء أو حق قبل تفسيره بما له قيمة والقول للمقر مع يمينه ومن شك هل فعل شيئا أو لا، فالأصل أنه لم يفعل ويدخل فيها قاعدة أخرى من تيقن الفعل وشك في القليل والكثير حمل على القليل لأنه المتيقن إلا أن يشتغل الذمة بالأصل فلا تبرأ إلا باليقين وهذا الاستثناء راجع إلى قاعدة ثالثة وهي ما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين والمراد به غالب الظن ولذا قال في الملتقط ولو لم يفته من الصلاة شيء وأحب أن يقضي صلاة عمره منذ أدرك لا يستحب ذلك إلا إذا كان أكبر ظنه فسادها بسبب الطهارة أو ترك شرط فحينئذ يقضي ما غلب على ظنه وما زاد عليه يكره لورود النهي عنه شك في صلاة هل صلاها أعاد في الوقت شك في ركوع أو سجود وهو فيها أعاد وإن كان بعدها فلا وإن شك أنه كم صلى فإن كان أول مرة استأنف وإن كثر تحرى وإلا أخذ بالأقل وهذا إذا شك فيها قبل الفراغ فإن كان بعده فلا شيء عليه إلا ذا تذكر بعد الفراغ أنه ترك فرضا وشك في تعيينه قالوا يسجد سجدة واحدة ثم يقعد ثم يقوم فيصلي ركعة بسجدتين ثم يقعد ثم يسجد للسهو كذا في فتح القدير ولو أخبره عدل بعد الصلاة والسلام أنك صليت الظهر ثلاثا وشك في صدقه وكذبه فإنه يعيد احتياطا لأن الشك في صدقه شك في الصلاة ولو وقع الاختلاف بين الإمام والقوم فإن كان الإمام على يقين لا يعيد وإلا أعاد بقولهم وقال والدي رحمه الله تعالى نقلا عن الخلاصة أو أخبره رجل عدل بعد السلام إنك صليت الظهر ثلاث ركعات قالوا إن كان عند المصلي أنه صلى أربع ركعات لا يلتفت إلى قول المخبر وإن شك المصلي في الخبر أنه صادق ام كاذب عن محمد أنه يعيد صلاته احتياطا وإن شك في قول عدلين يعيد صلاته وإن لم يكن المخبر عدلا لا يقبل قوله وكذا لو وقع الاختلاف بين الامام والقوم إن كان الإمام على

يقين لا يعيد وإلا أعاد بقولهم ولو اختلف القوم فقال بعضهم صلى ثلاثا وقال بعضهم صلى أربعا والإمام مع أحد الفريقين يؤخذ بقول الإمام وإن كان معه واحد فإن أعاد الإمام الصلاة وأعاد القوم معه مقتدين به صح اقتداؤهم لأنه إن كان صادقا يكون هذا اقتداء المتنفل بالمتنفل وإن كان كاذبا يكون اقتداء المفترض بالمفترض ولو استيقن واحد من القوم أنه صلى ثلاثا واحد أنه صلى أربعا والإمام والقوم في شك ليس على الإمام والقوم شيء وعلى المستيقن بالنقصان الإعادة ولو أن الإمام استيقن أنه صلى ثلاثا كان عليه أن يعيد بالقوم ولا إعادة على الذي يتيقن بالتمام، ولو استيقن واحد من القوم بالنقصان وشك الإمام والقوم فإن كان ذلك في الوقت أعادوها احتياطا وإن لم يعيدوا لا شيء عليهم إلا إذا استيقن عدلان بالنقصان وأخبرا بذلك وقيد في الظهيرية الإعادة بقول العدل بأن كان في الوقت والمسألة في المحيط مذكورة بنحو ما في الخلاصة وفي الظهيرية قال محمد بن الحسن أما أنا فأعيد بقول عدل واحد بكل حال، ثم في واقعات الناطفي إمام صلى بقوم وذهب، فقال بعضهم هي الظهر وقال بعضهم هي العصر فإن كان في وقت الظهر فهي الظهر وإن كان في وقت العصر فهي العصر لأن الظاهر شاهد لمن يدعي ما يوافقه الوقت فإن كان مشكلا قال في العتابية بأن كان غيما، قال في المحيط جاز للفريقين ما يزعم في القياس بمنزلة قطرة الدم وقعت من خلف الإمام ولا يدري ممن هي لأن الشك في وجوب الإعادة والإعادة لا تجب بالشك انتهى وتمام هذه الفروع في المطولات (ولو كان الشك) من المصلي (في صلاة العصر) حيث يكره النفل بعدها فإنه يحترز أن تقع إعادته نفلا صحيحا تباعدا من الكراهة بأن (يقرأ في الركعة الأولى) من هذه الأربع المعادة فاتحة وسورة أو آية طويلة أو ثلاث آيات قصار (و) كذلك يقرأ في الركعة (الثالثة ولا يقرأ) شيئا أصلا (في) الركعة (الثانية و) لا في الركعة (الرابعة) كيلا يصح النفل بعد العصر على احتمال صحة صلاة العصر فإن القراءة فرض في جميع ركعات النفل متى تركها في ركعة بطل ذلك الشفع منه وفي ركعتين غير معينتين من الفرض فقط وعلى احتمال عدم صحة صلاة العصر تقع هذه الأربع

ركعات فرض صلاة العصر (انتهى) يعنى فرغ كلام الخلاصة، ثم قال المصنف رحمه الله تعالى (وتعيين) الركعتين (الأوليين للقراءة في) صلاة (الفرض واجب) يعني دون الفرض فتركه سهوا يوجب سجود السهو وعمدا يقتضي نقصان الصلاة لا بطلانها فتجب إعادتها في الوقت ويستحب إعادتها إذا خرج الوقت كما هو مقرر في موضعه من كتب الفقه (وقد أمر) أي أمره الشارع على مقتضى اجتهاد المجتهد القائل بذلك (بتركه) أي بترك ذلك الواجب (حذرا) أي لأجل الحذر والاحتراز (عن احتمال وقوع النفل) من الصلاة (بعد) أداء صلاة (العصر) على تقدير كونه صلى العصر وأما على تقدير كونه ما صلى العصر يقع النفل قبل أداء صلاة العصر وهو جائز ولهذا يستحب تأخير صلاة العصر ما لم تصفر الشمس تكثير النوافل (وهو) أي وقوع النفل بعد العصر (بدعة مكروهة) لحديث الصحيحين (**لاَ صَلاَةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتّى تغرب الشّمْسُ وَلاَ بَعْدَ الفجر حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ**) وهذه الكراهة باقية إلى أداء صلاة المغرب فدخل في النفل المكروه في هذين الوقتين الصلاة المنذورة وركعتا الطواف وما بدأ به فأفسده لا قضاء فائتة ولو وترا وصلاة جنازة وسجدة تلاوة وفي شرح الدرر في مسألة ما لو اتى بالقعود الاخير ثم قام فلم يتذكر حتى سجد في الخامسة ضم اليها سادسة وقد تم فرضه قال ولو عصرا إشارة إلى ضعف ما قيل لا يضم في العصر لكراهة النفل بعدها وقيل يضم لأن هذا ليس بمقصود والنهي عن النفل بعد العصر يتناول المقصود فلا يكره بدونه وهو الأصح كذا قال الزيلعي وفي غرر الأذكار والأصح أنه إذا أتى بالفجر والعصر بعد القعود الأخير بركعة ساهيا يضم إليها ركعة أخرى لأن المنهي بعدهما هو التنفل قصدا وفي شرح ابن ملك قالوا إذا صلى في الفجر والعصر بعد القعدة الأخيرة ركعة ساهيا لا يضم إليها أخرى لكراهة النفل بعدها والأصح أنه يضم إليها لأن المنهي عنه هو النفل المقصود وهذا لم يشرع فيه بالقصد انتهى وهو يقتضي أنه لا حاجة إلى ما سبق ذكره في مسألة الخلاصة من ترك القراءة في الصلاة العصر في الثنية والرابعة إذا شك في أدائها حذرا من كراهة النفل بعد العصر حيث كان الأصح أنه لا يكره إلا إذا كان مقصودا

وهنا في مسألة الشك غير مقصود فلا يكره ولكن لم يذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه المسألة لخصوص بيان الحكم فيها بل لترجيحهم فيها ترك واجب القراءة حذرا من الوقوع في بدعة التنفل بعد صلاة العصر حيث عارض هذا القول منهم لقولهم بترجيح فعل الواجب على ترك البدعة المكروهة إذا وقع التردد بينهما وقد أجاب عنه بقوله (فالتطبيق) أي المطابقة بين قول الفقهاء بترجيح فعل الواجب على ترك البدعة المكروهة وبين عبارة الخلاصة المقتضية ترجيح ترك البدعة المكروهة على فعل الواجب (إما بحمل البدعة) المكروهة في كلام الفقهاء حيث حكموا بترجيح فعل الواجب على تركها كما مر (على ما) أي فعل بدعة مكروهة (لم ينه) أي لم يرد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه نهى (عنه) أي عن فعل تلك البدعة المكروهة (بخصوصه) أي خصوص فعل ذلك بل كان داخلا في عموم النهي ومسألة الخلاصة لا ترد حينئذ لأن البدعة فيها ورد النهي عنها بخصوصه وهو ما سبق من حديث الصحيحين (أو بحمل الواجب) الواقع في قول الفقهاء بترجيح فعله على ترك البدعة (على معنى الفرض) الاعتقادي أو العملي وهو مرجح على ترك البدعة المكروهة ولهذا قالوا لم يكره قضاء الفوائت بعد العصر والفجر لأنها فرائض (أو) بحمل (الواجب) في قولهم على الواجب الذي هو دون الفرض (المستقل) كالوتر في رواية وصلاة العيدين (لا) الواجب (الضمني) الذي يكون في ضمن غيره كتعيين القراءة في الأوليين من الفرض إذ التابع لغيره أسهل من المستقل في نفسه حيث ينجبر الأول بسجود السهو دون الثاني (أو بالحمل على) ورود (الروايتين) عن المجتهد في مسألة الخلاصة والأصح منهما ما ذكرناه مما يقتضي عدم كراهتها لأن النقل فيها بعد صلاة العصر غير مقصود فلا كراهة فيه (والله تعالى اعلم) بما هو الحق والصواب في ذلك والمشاركة في العلم بيننا وبينه المستفادة من أفعل التفضيل باعتبار أن علمنا أثر صادر عنه سبحانه فهو من علمه كنسبة لا شيء إلى شيء لا يتناهى قال تعالى (**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ**) أي يطلع (**عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** * الجن: ٢٦ – ٢٧) الآية ومقتضاها أنه يطلع من ارتضى

من رسول والرسول يطلع أمته فيكون علم الأمة من علم الله تعالى فقد وجد أفعل التفضيل بالمشاركة والزيادة واستعمله بعضهم بالألف واللام ولا يفيد غير حصر الاعلمية فيه سبحانه ومعنى المشاركة باق (فإن قيل) أي قال قائل (ما سبق) أي في فصل الاعتصام بالكتاب والسنة وفي أوائل هذا الفصل (قد دل) مجموع ذلك كله جملة وتفصيلا (على أن الكتاب) العزيز القرآني (والسنة) النبوية المحمدية (كافيان) لكل مكلف (في أمر الدين) الحق لا يحتاج من يريد القيام به في الظاهر والباطن إلى متابعة غيرهما والاستضاءة بغير أنوارهما (و) دل ذلك أيضا على (أن ما) أي الذي أو أمر (لم يثبت بأحدهما) أي الكتاب والسنة فهو (بدعة) مكروهة (وضلالة فكيف يستقيم) مع هذا (قول الفقهاء) في أصول الفقه (الأدلة الشرعية أربعة) قال الإمام النسفي في المنار أصول الشرع ثلاثة الكتاب والسنة وإجماع الأمة والأصل الرابع القياس وزاد في أصول فخر إسلام والأصل الرابع والقياس المستنبط من هذه الأصول وفي شرح مرقاة الوصول الأدلة أربعة وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس وجه الضبط أن الدليل إما وحي أو غيره والوحي إما متلو فالكتاب اولى فالسنة وغير الوحي إن كان قول كل مجتهد في عصر فالاجماع والا فالقياس (قلنا) في الجواب عن ذلك نعم أدلة الشرع أربعة ولكنها ترجع إلى اثنين الكتاب والسنة إذ (لا بد للإجماع من سند) أي دليل يستند قول أهل الإجماع إليه، قال في شرح مرقاة الوصول ولا بد له أي للإجماع من سند أي دليل أو إمارة يستند الإجماع إليه لاستحالة الاتفاق بلا داع عادة ولأن الحكم الذي ينعقد به الإجماع إن لم يكن عن دليل سمعي كان عن عقل وقد ثبت أن لا حكم له عندنا، وفي شرح المنار لابن ملك وقيل ينعقد الإجماع لا عن دليل بل بإلهام وتوفيق بأن يخلق الله تعالى فيهم علما ضروريا ويوفقهم لاختيار الصواب كبيع التعاطي وأجرة الحمام ولكن نقول ذلك فاسد لأن العدول لا يتصور منهم الإجماع على حكم من أحكام الله تعالى جزافا بل بناء على حديث أو معنى من النصوص رواه مؤثر، وما ذكره من بيع التعاطي وأجرة الحمام فالإجماع فيهما واقع عن دليل لأنه لم ينقل إلينا اكتفاء بالإجماع كذا في

جامع الأسرار وقال التفتازاني في التلويح والجمهور على أنه لا يجوز الإجماع إلا عن سند وأمارة لأن عدم السند يستلزم الخطأ إذ الحكم في الدين بلا دليل خطأ ويمتنع إجماع الأمة على الخطأ وأيضا اتفاق الكل من غير داع مستحيل عادة كالاجتماع على أكل طعام واحد وفائدة الإجماع بعد وجود السند سقوط البحث وحرمة المخالفة وصيرورة الحكم قطعيا ثم اختلفوا في السند فذهب الجمهور إلى أنه يجوز أن يكون قياسا وإنه واقع كالإجماع على خلافة أبي بكر رضي الله عنه قياسا على إمامته في الصلاة حتى قيل رضيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأمر ديننا أفلا نرضاه لأمر دنيانا وذهب الشيعة وداوود الظاهري ومحمد بن جرير الطبري إلى المنع من ذلك وأما جواز كون السند خبر واحد فمتفق عليه كذا في عامة الكتب وقد وقع في الميزان وأصول الإمام السرخسي أن المذكورين خالفوا في الظني قياسا كان أو خبر واحد ولم يجوزوا الإجماع إلا عن قطعي لأنه قطعي فلا يبتنى إلا على قطعي لأن الظن لا يفيد القطع وجوابه أن كون الإجماع حجة ليس مبنيا على دليل أي سنده بل هو حجة لذاته كرامة لهذه الأمة واستدامة لأحكام الشرع والدليل على بطلان مذهبهم أنه لو اشترط كون السند قطعيان لوقع الإجماع لغوا ضرورة ثبوت الحكم قطعيا بالدليل القطعي (من أحدهما) أي من الكتاب أو السنة (حالا) بأن كان صريح آية أو حديث ولو خبر واحد (أو مآلا) أي مرجعا يرجع إلى كتاب أو سنة وهو القياس كما قدمناه (على) القول (الصحيح) إذ في اشتراط السند للإجماع خلاف ذكرنا وكذا في كون القياس وخبر الواحد سندا للخلاف الذي مر (و) لا بد (للقياس) أيضا (من أصل ثابت بأحدهما) أي بالكتاب أو السنة (فإنه) أي القياس (مظهر) للحكم الثابت به (لا مثبت) له قال في شرح مرقاة الوصول القياس مظهر لا مثبت والمثبت ظاهرا دليل الأصل وحقيقة هو الله تعالى، ثم قال في شروط القياس وأن يكون المعدى حكما شرعيا ثابتا بأحد الأدلة الثلاثة الكتاب والسنة والإجماع إذ لو كان حسيا أو لغويا لم يجز لأن المطلوب إثبات حكم شرعي للمساواة في علته ولا يتصور إلا بذلك وكتب

التفتازاني في التلويح على القول بأن مثبت الحكم هو الله تعالى أنه غير واف بالمقصود لأنه ينبغي على هذا التقدير أن لا يجعل شيء من الأدلة مثبتا للحكم بل يجعل مظهرا على ما ذهب إليه المحققون من أن مرجع الكل إلى الكلام النفسي والأوجه أن حكم الفرع يثبت بالنص أو الإجماع الوارد في الأصل والقياس بيان لعموم الحكم في الفرع وعدم اختصاصه بالأصل وهذا واضح، وفي شرح المنار لابن ملك قدم الكتاب لأنه حجة من كل وجه وأعقبه بالسنة لأن حجيتها ثابتة بالكتاب وأخر الإجماع لتوقف حجيته عليهما ثم قال والقياس أصل بالنسبة إلى حكمه فرع بالنسبة إلى الثلاثة انتهى وكون حجية السنة موقوفة على الكتاب لقوله تعالى (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** * الحشر: ٧) وتوقف الإجماع عليهما بسبب اشتراط السند له وهو من أحدهما حالا أو مآلا كما مر، فالكتاب أصل من وجه والسنة والإجماع والقياس أصول من وجه، وفروع من وجه (فمرجع) أي موضع رجوع (الأحكام) الشرعية كلها (ومثبتها) أي الحاكم بإثباتها وتحققها (اثنان) فقط (في الحقيقة) وهما الكتاب والسنة والأدلة الباقية راجعة إليهما كما مر قال في شرح مرقاة الوصول وأما شرائع من قبلنا فملحقة بالكتاب والسنة والعرف والتعامل ملحق بالإجماع والاستصحاب والتحري عمل بأحد الأربعة والعمل بالظاهر والاظهر عمل بالاستصحاب والأخذ بالاحتياط عمل بقوله عليه السلام (**دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ**) والقرعة لتطييب القلب بالسنة أو الإجماع وآثار الصحابة وكبار التابعين بشبهة الحديث أو بقوله عليه السلام (**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**) وقوله عليه السلام (**خير القرون قرني الذين أنا فيهم ثم الذين يلونهم**) الحديث وفي شرح ابن ملك على المنار فإن قلت قد ثبت الحكم بشرائع من قبلنا وبتعامل الناس وبالأخذ بالاحتياط والتحري وبآثار الصحابة فكيف حصرت الأصول في الأربعة؟ قلنا هذه الأحكام غير خارجة عنها أما شرائع من قبلنا فقد صارت شريعة لنا لأن نبينا صلّى الله عليه وسلّم قصها علينا ولم ينكرها والتعامل ملحق بالإجماع العملي والأخذ بالاحتياط عمل بأقوى الدلائل كما في

الأصول الثلاثة والعمل بالتحري عمل بالنسبة لأنها وردت في جوازه عند الحاجة والعمل بالآثار عمل بقوله صلّى الله عليه وسلّم (**أصحابي كالنجوم**) انتهى والحاصل أن كل ما ذكر راجع إلى الأصول الأربعة والأصول الأربعة راجعة إلى الكتاب والسنة والسنة شرح الكتاب وبيانه فهي راجعة إليه قال البيهقي في أول المدخل ووضع يعني الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وسلّم في دينه موضع الإبانة عنه ما أراد بكتابه عاما وخاصا وفرضا وندبا وإباحة وإرشادا ووقتا وعددا فقال جل ثناؤه (**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** * النحل: ٤٤) انتهى فالأصل الحقيقي هو كتاب الله تعالى لا غير (فظهر) لك أيها المنصف في الدين السالك طريق المتقين (من هذا) الكلام كله الذي تقدم في بيان الاعتصام بالكتاب والسنة والاحتراز من البدعة وأن أصول الشريعة أربعة ترجع إلى اثنين هما الكتاب والسنة (أن ما) أي القول الذي (يدعيه بعض المتصوفة) أي المنتسبين إلى التصوف وليسوا من أهله حيث لم يقل بعض الصوفية تطهيرا للسادة الصوفية خلاصة أهل السنة والجماعة أن ينسب إليهم مثل هذه المقالات الشنيعة (في زماننا) هذا الذي نحن فيه وهو عصر التسعمائة وذكر أمور الزمان وذم وقائعه شيء مشى عليه السلف والخلف من غير تعيين أحد بذم ولا تخصيص شخص بنقيصة لقصد تحذير الغير ونصيحه قال الشيخ الأكبر محي الدين العربي قدس الله سره في كتابه روح القدس لما قرأت بالحرم الشريف على الناس ما ذكرته في حق المنتسبين إلى الصوفية وذمي أحوالهم ثقل ذلك على شخص فقال ما دعاه إلى هذا والإعراض عن هذا كان أحسن وما أشبه هذا الكلام فزاد عندي اعتراضه تقوية إن هذا هو الحق لكونه ثقل عليه ولقد عمى هذا القائل عن الأصول التي استندت إليها في فعلي هذا وهو يسلمها وقد قرعت سمعه غير مرة ولم يعتب عليهم بل استحسن ذلك فلما وقع ذلك في أهل زمانه رأى إن ذلك فضول لكونه في ذلك الزمان فيخاف أن يتطرق إليه الذم في نفسه فحزن ولو أنصف لبحث عن نفسه، أما الأصول التي استند إليها في ذلك فكثيرة جدا روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال يوم فتح مكة في

القرن الفاضل لما فقد عقدا من عنق بعض أهله تأوه وقال ارتفعت اليوم الأمانة من الناس وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان ذكره في السير في غزوة فتح مكة والأصل الآخر بنته رضي الله عنها لما نظرت إلى زمانها وأهله وما هم فيه من البخل والمذام تأوهت وقالت يرحم الله لبيدا حيث يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ثم قالت كيف به لو أدرك زماننا هذا، فذمت زمانها وأهله وروينا عن غير واحد عن ابن القشيري وعن الغانمي كلاهما عن القشيري أنه قال في رسالته يذم أهل زمانه وقد سمعها هذا المعترض علي واستحسن ذلك منه أنه قال لم يبق في زماننا من أهل هذه الطريقة إلا آثارهم أما الخيام فإنها كخيامهم وأراى نساء الحي غير نسائها حصلت الفترة في الطريقة لا بل قد اندرست الطريقة الحقيقة وذمهم بأشد الذم في أول الرسالة له ولتداولها بين أيدي الناس أضربنا عن حكاية قوله وروينا عن غير واحد من حديث عبد الرحمن بن الحسين عن هارون عن أبي معونة عن الأعمش عن أبي صالح قال لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون، فقال أبو بكر هكذا كنا، ثم قست القلوب وتقريع النبي صلّى الله عليه وسلّم المعذبين بمكة على إسلامهم ومنهم خباب وقاسى بلاء شديدا من أجل إسلامه قال خباب شكونا إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم ما نلقاه من البلاء وقلنا ألا تدعو الله ألا تستنصر الله لنا فجلس محمرا وجهه ثم قال (**والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شيء أو يمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شيء**) انتهى ثم بسط الكلام بأكثر من ذلك ولا زال كل زمان يشتمل على ما يذم وما يمدح في طبقات جميع الناس والخير والشر باق إلى يوم القيامة ومن ذم نوعا من أنواع الناس مراده أهل الشر منهم وهم موجودون وكذلك من مدح نوعا مراده أهل الخير من ذلك النوع وهم موجودون أيضا وإن زاد كل فريق على ما يقابله أو نقص في كل زمان فالفريقان لا يزولان البتة ولا يجوز تعميم الذم في زمان من الأزمان لجميع أهل ذلك

الزمان لما روى مسلم بإسناده في صحيحه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم**) قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه روى أهلكهم على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها والرفع أشهر ومعناه أشدهم هلاكا وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين لا أنهم هلكوا في الحقيقة واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم لأنه لا يعلم أسرار الله تعالى في خلقه، قالوا فأما من قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه وفي الناس من التقصير في أمر الدين فلا بأس عليه كما لا أعرف من أمة النبي صلّى الله عليه وسلّم إلا أنهم يصلون جميعا هكذا فسره الإمام مالك وتابعه الناس عليه قال الخطابي معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم أي أسوء حالا منهم لما يلحقه من الإثم في غيبتهم والوقيعة فيهم وربما أداه ذلك إلى التعجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم (إذا أنكر) بالبناء للمفعول أي أنكر (عليهم) أحد من الناس (بعض أمورهم) التي هم موصوفون بها في ظواهرهم أو بواطنهم إذا أظهروها (المخالف) ذلك البعض من أمورهم (للشرع الشريف) والمراد لما هو المجمع عليه بين المجتهدين كالزنا وشرب الخمر والسرقة وترك الصلاة وما أشبه ذلك وأما ما لم يكن كذلك فليس بمنكر قال الإمام الغزالي في الإحياء في شروط المنكر أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه للنبيذ الذي ليس بمسكر إلى آخر ما بسطه من الكلام في هذا المقام وقال الشيخ اللاقاني في شرح جوهرة التوحيد قال الكافة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاثة شروط الشرط الأول أن يعلم ما يأمر به وينهى عنه فالجاهل بالحكم لا يحل له النهي عما يراه ولا الأمر به قال السعد قال إمام الحرمين أن الحكم الشرعي إذا استوى في إدراكه الخاص العام ففيه للعالم وغير العالم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإذا اختص مدركه

بالاجتهاد فليس للعوام فيه أمر ولا نهي بل الأمر فيه موكول إلى أهل الاجتهاد ثم ليس لمجتهد أن يعترض بالردع والزجر على مجتهد آخر في موضع الاجتهاد إذ كل مجتهد مصيب في الفروع عندنا ومن قال أن المصيب واحد فهو غير متعين عنده الشرط الثاني أن يأمن من أن يؤدي إنكاره إلى منكر أكبر منه والثالث أن يغلب على ظنه إن إنكاره المنكر مزيل له كما سيأتي (أن حرمة ذلك) الأمر المنكر المذكور ثابتة (في العلم الظاهر) فقط فهو حرام على أهل الظاهر وحدهم (وإنا) معشر المتصوفة (أصحاب العلم الباطن) وهو علم القلب ومعرفة أحواله وجريان الأمور على مقتضاه (وأنه) أي ذلك الأمر المنكر (حلال فيه) أي في العلم الباطن فهو حلال لنا وليس بحرام علينا وهذا كفر صريح من قائله والراضي به إذ فيه إنكار ما علم حكمه من الدين بالضرورة وأجمعت عليه المجتهدون قال في شرح الدرر ومن اعتقد الحلال حراما أو بالعكس يكفر إذا كان حراما لعينه وإن كان حراما لغيره لا يكفر وإن اعتقده وإنما يكفر إذا كانت حرمته ثابتة بدليل قطعي وأما لو كان بأخبار الآحاد فلا يكفر وقال في جامع الفتاوى اتفق العلماء من المتكلمين والفقهاء أنه إذا أنكر الحكم الشرعي الثابت بالقرآن أو الحديث المتواتر أو الإجماع القطعي مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج والغسل من الجنابة أو من الحيض أو الوضوء بعد الحدث يكفر ويقتل إن دام على ذلك ولا يقبل تأويله ولا يكون جهله عذرا لأن فرض العين يكون شائعا بين المسلمين فجهله لا يكون عذرا إلا إذا دق بحيث لا يعلم إلا بنظر دقيق وتأمل صادق فجهله حينئذ يكون عذرا وسيأتي بقية هذا (وإنكم) معشر أهل العلم الظاهر (تأخذون) جميع أحكامكم العملية والاعتقادية (من الكتاب) العزيز (وإنا) معشر أهل العلم الباطن (نأخذ) جميع أحكامنا (من صاحبه) أي صاحب الكتاب الذي أنزله الله تعالى عليه (محمد) بدل من صاحبه (صلّى الله عليه وسلّم فإذا أشكل علينا مسألة) في الاعتقاد أو في العمل (استفتيناها منه) أي طلبنا منه الفتيا فيها قال الجوهري استفتيت الفقيه في مسألة فأفتاني والاسم الفتيا والفتوى وتفاتوا إلى الفقيه أو ارتفعوا إليه في الفتيا (فإن حصل لنا)

بفتوى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (قناعة) أي اكتفاء (فبها) أي فقد رضينا بها (وإلا) أي وإن لم يحصل لنا قناعة بذلك (رجعنا) في تلك المسألة (إلى الله تعالى بالذات) تأكيد لاسم الجلالة وال عوض عن المضاف إليه والباء زائدة يعني إلى الله تعالى ذاته دون غيره لأنا نعرفه تعالى فنعرف كيفية الرجوع إليه لأنه أقرب إلينا من حبل الوريد (فنأخذ) حكم تلك المسألة التي اشكلت علينا (منه) سبحانه بلا واسطة أحد وهذا القول كفر أيضا لا محالة بالإجماع من وجوه الأول التصريح بعدم الدخول تحت أحكام الكتاب والسنة مع وجود شروط التكليف بذلك من العقل والبلوغ ووصول الدعوة والكون في دار الاسلام ومنها التصريح بعدم قبول قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أفتاه في حكم من الأحكام وأنه مخير فيه إن شاء قبله وإن شاء رده ومنها دعوى تلقي الأحكام الشرعية من الله تعالى بلا واسطة نبي وذلك دعوى نبوة قال السعد التفتازاني في شرح العقائد عند قول النسفي ولا يصل العبد ما دام عاقلا بالغا إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي لعموم الخطابات الواردة في التكاليف وإجماع المجتهدين على ذلك وذهب بعض الإباحيين إلى أن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفاء القلب واختار الإيمان على الكفر من غير نفاق سقط عنه الأمر والنهي ولا يدخله الله تعالى النار بارتكاب الكبائر، وبعضهم إلى أنه تسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكر، وهذا كفر وضلالة فإن أكمل الناس في المحبة والإيمان هم الأنبياء عليهم السلام خصوصا حبيب الله تعالى مع أن التكاليف في حقهم أتم وأكمل وأما قوله عليه السلام (**إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب**) فمنعاه أنه عصمه من الذنوب فلم يلحقه ضررها انتهى يعني تيسر التوبة له ظاهرا وباطنا في كل حال حتى يصير يستغفر الله ويتوب إليه من وجوده ومن هفوات خاطره فضلا عن أفعاله الظاهرة بلا صعوبة عليه في ذلك ولا مشقة (وإنا) معشر أهل الباطن (بالخلوة) وهي الانفراد عن الخلق (وهمة شيخنا) وهو الذي عاهدوه على الدخول تحت أمره ونهيه يربيهم بأقواله وأفعاله على حسب حالته التي هو فيها وهمته خاطره المتوجه دائما من غير فتور إلى مراتب الكمال

بمقتضى ما يظهر له على زعمه (نصل إلى) معرفة (الله تعالى) ونحظى بكمال قربه والفوز لديه (فتنكشف لنا العلوم) كلها فنأخذ منها ما نريد (فلا نحتاج) مع ذلك (إلى) قراءة (الكتاب) أي القرآن أو كتاب العلم (ولا) نحتاج إلى (المطالعة) في الكتب مطلقا (و) لا إلى (القراءة على الأستاذ) أي المعلم للقرآن وللعلم وهذا القول منهم كذب محض وافتراء على الله تعالى واجتراء عليه سبحانه حيث زعموا أنه يوصلهم إلى معرفته مع قولهم الأول الذي هو كفر صريح (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** * المائدة: ٦٧) نعم الخلوة وهمة الشيخ الصادق العارف الكامل في مرتبتي العلم والعمل الجامع بين علمي الظاهر والباطن كافية للمريدين ومغنية لهم عن قراءة الكتاب والمطالعة والاشتغال في العلوم إذ همته وحدها وغيرته الإلهية لا تتركهم على جهل في حكم من الأحكام مطلقا وحيث دخلوا تحت تربيته فهو كتاب لهم وزيادة لأن عنده جميع ما يحتاجون إليه مما في الكتاب وربما كانت قراءتهم ومطالعتهم ودراستهم على أستاذ غيره مانعة لهم من الدخول تحت أمره ونهيه فيما يعلمه من صلاح أحوالهم على مقتضى الشريعة المحمدية فهو ينهاهم عن طلب العلم لئلا تألف قلوبهم الإكثار من العلم مع ترك العمل به فيكون علمهم حجة عليه ويعلّمهم ما ينفعهم شيئا فشيئا لأنه أعرف بمصالحهم منهم وأما إذا كان شيخهم قاصرا جاهلا لا يعلم حكم الله تعالى عليه ولا عليهم وقد أمرهم بذلك فهو ضال مضل (وإن الوصول إلى) معرفة (الله تعالى) والتحقق بوجوده سبحانه (لا يكون) أي لا يوجد في أحد (إلا برفض) أي ترك الالتفات إلى (العلم الظاهر) بالكلية وهو العلم المستفاد من معاني الكتاب والسنة فيما يتعلق بالاعتقاد وما يتعلق بالعمل (و) رفض أي ترك (الشرع) وهو البيان الإلهي الوارد على السنة والوسائط من الملائكة والأنبياء عليهم السلام خطابا لجميع المكلفين وهذا القائل إن أراد بترك العلم الظاهر وترك الشرع عدم تعلم ذلك وعدم الاعتناء به والالتفات إليه لأن العلم الظاهر والشرع لا حاجة إليه فقد سفه الخطاب الإلهي وسفه الأنبياء ونسب العبث والبطلان إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب فلا شك في كفره أشد

الكفر وإن أراد بترك العلم الظاهر وترك الشرع ترك الاشتغال بذلك عن شهود الله تعالى وحده ومراقبته سبحانه في جميع الأحوال فهو لعمري طريق الوصول إلى الله تعالى إن لم ينضم إليه ما تقدم من المقالات لأنه لا يصل إليه سبحانه من اشتغل عنه بسواه ولا شك أن العلم الظاهر والشرع سواه تعالى فمن اشتغل بشيء من ذلك وظنه مقصودا بالذات فقد انحجب عن الوصول إليه تعالى وغايته الوصول إلى الحرمان والغرور في جميع الأمور فإن من اشتغل بالطهارة ليلا ونهارا وانهمك فيها ظانا أنها مقصودة بالذات وأنه ما طلب منه غيرها فقد انقلب فعلها عليه ضلالا وخسرانا كما نقل الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري رحمه الله تعالى في كتابه **لطائف المنن** عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره أنه كان يقول لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله وكان يقول لن يصل الولي إلى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته قال ومعنى كلام الشيخ رضي الله عنه لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله أي انقطاع أدب لا انقطاع ملل يغلب عليه التفويض إلى الله وشهود حسن الاختيار عنه فيلقي القياد إليه ويترك نفسه سلما بين يديه فلا يختار مع مولاه شيئا لعلمه بما في الاختيار مع الله من الآفات ونقل عن الشيخ أبي الحسن أيضا أنه قال كنت أنا وصاحب لي قد آوينا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا له من أنت؟ فقال عبد الملك فعلمنا أنه من أولياء الله، فقلنا له كيف حالك؟ فقال كيف حال كيف حالك كيف حال من يقول غدا يفتح لي بعد غد يفتح لي فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لم لم تعبدين الله لله قال فنفطنا من أين دخل علينا فتبنا واستغفرنا ففتح لنا ونقل عن الشيخ أبي الحسن أيضا أنه قال الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأحل ثوابه فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون

ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما أدنى الأدنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدالة على الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم (**فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** * فصلت: ٣٦) (وإنا لو كنا على الباطل) في اعتقاد أو عمل كما تزعمون أنتم (لما حصل لنا) من الله تعالى (تلك الحالات) جمع حالة (السنية) أي المضيئة الرفيعة التي تقدم ذكرها وهي إنا نأخذ الدين من محمد صلّى الله عليه وسلّم بلا واسطة فإذا أشكل علينا مسألة استفتيناها منه فإن حصل لنا قناعة بذلك وإلا رجعنا إلى الله تعالى بالذات فنأخذ منه سبحانه وإنا بالخلوة والشيخ نصل إلى الله تعالى فتنكشف لنا العلوم كلها فلا نحتاج إلى قراءة ولا مطالعة ولا أستاذ (والكرامات) جمع كرامة وهي ما يكرم الله تعالى به العبد في الدنيا من الأمور الخارقة للعادة من غير تحد (العلية) أي المرتفعة عن قدرة الغير (من مشاهدة) بيان للكرامات (الأنوار) الملكوتية المتنزلة بالحضرات الرحمانية (ورؤية الأنبياء الكبار) بالبصائر والأبصار مناما بالليل ويقظة بالنهار وقائل هذا الكلام كاذب مفتر على الله وعلى الأنبياء عليهم السلام وعلى نفسه إذ من كان قائلا بهاتيك المقالات المتقدمة الباطلة فهو كافر بالله تعالى والكافر في الوساوس والأباطل فكيف يكرمه الله تعالى في الدنيا أو الآخرة وكيف يهديه تعالى إلى شهود الأنوار ويتحفه سبحانه برؤية الأنبياء الأخيار (**إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** * المائدة: ٦٧) وإنما يتركه يتخبط في بحار الغرور والمكر والاستدراج يرتوي من الشراب بالسراب ويكتفي عن العذاب بالأجاج، كما ذكر

الإمام الغزالي في كتاب ذم الغرور من إحياء علوم الدين في بيان غرور المتصوفة وقسمهم إلى فرق قال وفرقة ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومحاورة المقامات والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ إلا أنه تلقف من الألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الإزراء فضلا عن العوام حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما معدودة ويتلقف منهم الكلمات المزيغة فهو يرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد أنهم أجراء متعبون ويقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى إتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة منهم وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام، فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وإنما يغتر به من لم يجرب وأما نحن فقد جربنا فأدركنا أن ذلك محال ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والأرب من أصلها بل تأديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع، وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله ويرفعون درجة أنفسهم عن درجة الأنبياء إذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل العبادة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل أحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء وذكر الإمام المحاسبي في كتاب

الغرة من الرعاية قال إن الغرة بالله عز وجل تكون من الكافرين ومن العاصين من المسلمين ومن الديانين النساك ومن العلماء وغيرهم فكل قد اغتر بشيء من الأشياء حتى ضيع أمر الله عز وجل وقل حذره منه وخوفه فالغرة بالله عز وجل إنما هي خدعة من النفس بصنيع الله عز وجل بالعبد وباسم رجاء الله عز اسمه أو ببعض العبادة أو العلم فيغتر كثير من العباد ببعض ذلك حتى يعصي الله عز وجل وهو يرى أنه من المحسنين أو يكفر بالله عز وجل وهو يرى أنه من المهتدين أو يغتر فيعصي على علم وهو يرى أنه مغفور له ناج لا يعذب، فأما الغرة من الكافرين فهي خدعة من أنفسهم وعدوهم بظاهر الدنيا عن الآخرة انتهى وقد أكثر علماء أهل السنة في تصانيفهم من الكلام على أقسام هؤلاء المغرورين وبينوا زيغهم لئلا يغتر بهم أحد من المسلمين فيفسد عليه أمره كما فسدت أمور هم ولم يعين العلماء أحدا منهم بعينه ولا طائفة مخصوصين فلا يجوز لأحد من الناس أن يأخذ هذا الكلام الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى وذكرناه نحن في حق أهل الزيغ والضلال على وجه العموم فيحمله على طائفة مخصوصين تفرس فيهم أنهم على هذا الوصف والمذكور فيظن فيهم سوء ويؤذيهم بسبب ذلك بل كل من اشكل عليه حاله من امة محمد صلى الله عليه وسلم يحسن الظن به ويصرف كل ما يلقيه الشيطان في قلبه من النقائص عن أخيه المسلم فإن الشيطان للإنسان عدو مبين ويحمل جميع ما يسمعه من ذلك على ما يعلمه الله تعالى من أحوال عباده ويحترز في نفسه من وجود شيء من ذلك فيها ويعظ به غيره على وجه العموم متقيا وقوع قلبه في تهمة أحد معين ويجتلب التجسس والظن السوء ولا يفتري على هذا المصنف أو غيره بأنه يحكم على طائفة مخصوصين بما يذكره في كتابه فينكر هو على أهل زمانه بسوء ظنه وتجسسه ويتعلل بكلام غيره من العلماء فإن النهي عن المنكر في الدين من أصله وارد على العموم والتخصيص من فهم المتفقه القاصر لقبح نيته وخبث طويته والله على ما يقول وكيل (وإنا) معشر أهل العلم الباطن (إذا صدر منا) فعل (مكروه أو حرام) في ظاهرنا أو باطننا (نبهنا) بالبناء للمفعول أي نبهنا

الله تعالى على ذلك الفعل المكروه أو الحرام (بالنوم بالرؤيا) التي يرينا الله تعالى إياها اعتناء بنا وتسديدا لأمرنا وتقوية لشأننا (فنعرف بها) أي بالرؤيا التي نراها في المنام (الحلال والحرام) من الأحكام الشرعية (وإنما) أي الفعل الذي (فعلنا) مخالفا للشرع (مما قلتم) أنتم يا معشر علماء الظاهر (أنه حرام) علينا (لم ننه) أي لم ينهنا الله تعالى (عنه في المنام) بالرؤيا كما عودنا ذلك (فعلمنا) من عدم نهينا عنه في المنام (أنه حلال) لنا فعله وهذا القول من غلبة الجهل عليهم وفساد عقولهم لأنهم في أحكام شريعتهم يتكلون على ما يرونه في مناماتهم من الخيالات الشيطانية والوساوس النفسانية لعدم اعتنائهم بالحلال والحرام ورفضهم بالكلية لشرايع الإسلام نعم إن الله تعالى يجوز أن ينبه بعض أهل خصوصه ممن هو سالك على طريقة أهل السنة والجماعة فيريه في منامه ما يسوغ له فعله وما لا يسوغ في خصوص بعض القضايا حيث كان ذلك السالك مؤمنا كاملا على يقظة وسنة فيزل ويهفو والله تعالى يأخذ بيده وينبهه عناية به لكونه من خاصة أهل الإسلام كما كان يعرض للحارث المحاسبي رضي الله عنه في اليقظة أنه إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك فيه أصبعه وكان بعض مشايخنا يتنبه للمأكل الحرام برائحة كريهة كان يشمها منه ونحو هذا مما يقع للعلماء العاملين يقظة ومناما وبعيد من هذا أحوال الكفرة الطغاة أعداء الشرائع والأحكام المصرين على ما تقدم من قبيح الكلام (ونحو هذا) من المقالات الشايعة التي تهدم قواعد الشريعة وترفع أحكام الإسلام (من الترهات) المبنية على زخارف الأوهام وفي القاموس الترهة كقبرة الباطل والجمع ترهات وتراريه وتره كسمع وقع فيها (كله) أي كل ما ذكر (إلحاد) يقال ألحد مال وعدل ومارى وحاول وفي الحرم ترك القصد فيما أمر به أو أشرك به أو ظلم كذا في القاموس وهذا معناه في اللغة وفي الشرع هو العدول عن ظواهر الكتاب والسنة لغير ضرورة دعت إلى ذلك (وضلال) وهو ضد الهدى ومعناه الحيرة في الدين والإعراض عن سبيل المؤمنين (إذ) تعليلية (فيه) أي في كل ما ذكر من المقالات القبيحة (ازدراء) أي تحقير قال الجوهري ازدريته أي حقرته (للشريعة الحنيفية) أي المائلة عن الباطل إلى الحق

قال عليه السلام (**بعثت بالحنيفية السمحة**) قال في شرح الكرماني الملة السمحة التي لا حرج فيها ولا ضيق على الناس وفي المغرب الحنيف المائل من كل دين باطل إلى الدين الحق وفي القاموس الحنف محركة الاستقامة والحنيف كأمير الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه واحتقارهم لذلك باعتبار قولهم إنهم لا يأخذون من الكتاب بل من صاحبه محمد عليه السلام وإذا أشكل عليهم أمر استفتوه منه وإن أرادوا من الحق تعالى فإن في هذا تحقير للشريعة المحمدية (و) ازدراء أيضا لكل من (الكتاب) العزيز (والسنة) النبوية المحمدية باعتبار قولهم إنا بالخلوة وهمة شيخنا نصل إلى الله تعالى فلا نحتاج إلى الكتاب والمطالعة والقراءة على الأستاذ فإن هذا احتقار للكتاب والسنة (وعدم) معطوف على ازدراء (الاعتماد عليهما) أي على الكتاب والسنة باعتبار قولهم أن الوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا برفض العلم الظاهر والشرع فإنه صريح في عدم الاعتماد المذكور (وتجويز الخطأ) في الألفاظ (والبطلان) في المعاني أو بالعكس (فيهما) أي في الكتاب والسنة باعتبار قولهم وإنا لو كنا على الباطل إلى آخره والتقدير كما أنكم أنتم على الباطل (العياذ) أي الالتجاء والاحتماء (بالله) تعالى من هذه المقالات الفاسدة والأباطيل الكاسدة (فالواجب) أي فرض العين (على كل من سمع) من المكلفين (مثل هذه الأقاويل) جمع أقوال (الباطلة) المضادة لقول الحق (الإنكار) أي الرد والردع (على قائله) أي قائل مثل ذلك لأن إنكار الباطل حق كما أن إنكار الحق باطل (والجزم) أي القطع (ببطلان مقاله) أي قول مثل ذلك في القاموس جمع القول أقوال وجمع الجمع أقاويل وقال قولا وقيلا وقولة ومقالة ومقالا (بلا شك) في الحكم ببطلان ذلك (ولا تردد) فيه (ولا توقف ولا تلبث) أي تصبر عن الحكم بذلك فإن الباطل باطل قطعا من غير شبهة (وإلا) أي وإن شك أو تردد أو توقف أو تلبث (فهو محسوب (من جملتهم) أي جملة هؤلاء الكافرين القائلين بالمقالات المذكورة حيث تحقق من قائلها وتابعهم عليها وصدقهم فيها فهو منهم (فيحكم) بالبناء للمفعول أي يحكم الشرع المحمدي (بالزندقة عليهم) كلهم جملة القائلين بذلك والموافقين لهم فيه ولو

بالشك والتردد والتوقف والتلبث في امرهم بعد تحقق قولهم ذلك ومعاينته منهم لا اذا لم يتحققه ولم يعاينه بأن أخبره بذلك عنهم مخبر من الناس ولم يثبت الثبوت الشرعي وبعد الثبوت الشرعي أيضا يحتمل كون الشهود زورا فإن حكم الحاكم مستندا إلى الشهادة إن صدقت وإن كذبت فلا قطع في ذلك باطنا كما أشار إليه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في خاتمة كتابه ميزان الذرية في عقائد الطائفة العلية وفي شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح قال أبو الليث الزنديق معروف وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق، وعن ثعلب ليس زنديق من كلام العرب ومعناه على ما يقوله العامة ملحد ودهري، وعن ابن دريد أنه فارسي معرب وأصله زنده أي من يقول بدوام الدهر انتهى وفي القاموس الزنديق بالكسر من الثنوية او القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو هو معرب زندين أي دين المرأة وجمعه زنادقة أو زناديق وقد تزندق والاسم الزندقة (وقد صرح العلماء) من الأصوليين وغيرهم (بأن الإلهام) يقال ألهمه الله خيرا لقنه إياه كذا في القاموس ويكون في الخير والشر كما قال تعالى (**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** * الشمس: ٨) قال الواحدي جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور واختار الزجاج هذا القول في حمل الإلهام على التوفيق والخذلان وهذا هو الوجه في تفسير الإلهام فإن التبيين والتعليم والتعريف دون الإلهام، والإلهام أن يوقع في قلبه ويجعل فيه إذا أوقع الله في قلب عبد شيئا فقد ألزمه ذلك الشيء، كما ذكره سعيد بن جبير وهذا صريح في أن الله تعالى خلق في المؤمن تقواه وفي الكافر فجوره (ليس من أسباب المعرفة بالأحكام) الشرعية التكليفية فإن في شرح مرقاة الوصول إن إلهام النبي وحي بأن يريه الله تعالى بنوره كما قال تعالى (**لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ** * النساء: ١٠٥) وهو حجة منه لأمته يجب عليهم إتباعه بخلاف الهام الاولياء فإنه لا يكون حجة على غيره وفي شرح العقائد للتفتازاني والالهام المفسر بإلقاء معنى في القلب بطريق الفيض ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء عند أهل الحق وكان الأولى أن يقول ليس من أسباب العلم بالشيء إلا

أنه حاول التنبيه على أن مرادنا بالعلم والمعرفة واحد لا كما اصطلح عليه البعض من تخصيص العلم بالمركبات أو بالكليات والمعرفة بالبسائط والجزئيات إلا أن تخصيص الصحة بالذكر مما لا وجه له ثم الظاهر أنه أراد أن الإلهام ليس سببا يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للإلزام على الغير وإلا فلا شك أنه قد يحصل به العلم وقد ورد القول به في الخبر وقد حكي عن كثير من السلف انتهى وطائفة المحققين من أهل الله تعالى جميع علومهم التي يعتمدون عليها في دينهم إلهامية وهبية وأما العلوم الاكتسابية فهي آلة عندهم لتحصيل مقام الإلهام كما نقل المناوي في شرح الجامع الصغير قال الإمام مالك علم الباطن لا يعرفه إلا من عرف علم الظاهر فمتى علم علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن ولا يكون ذلك إلا مع فتح قلبه وتنويره وقال ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله في القلب يشير إلى علم الباطن، وقال تونسي اجتمع العارف علي وفا والإمام البلقيني فتكلم علي معه بعلوم بهرت عقله فقال البلقيني من أين لك هذا يا علي قال من قوله تعالى (**وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ** * البقرة: ٢٨٢) فأمسك وقال العارف سهل التستري خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطني حاكم على علم الظاهر لما قال المصطفى صلّى الله عليه وسلّم (**استفت قلبك**) فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر وتخلو عنها زبر التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين ولا محقق الفقهاء المعتبرين وفي طبقات الشعراوي في ترجمة الشيخ علي الخواص رضي الله عنه أنه كان يقول لا يسمى العالم عالما عندنا إلا إذا كان علمه غير مستفاد من نقل أو صدر بأن يكون خضري المقام أما غير هذا فإنما هو حامل لعلم غيره فقط له أجر من حمل العلم حتى أداه لا أجر العالم وَاللهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، ثم قال ومن أراد أن يعرف مرتبته في العلم يقينا لا شك فيه فليرد كل قول حفظه إلى قائله وينظر بعد ذلك إلى علمه فما وجده معه فهو علمه وأظن لا يبقى معه إلا شيء يسير لا يسمى به عالما إذا علمت هذا فاعلم أن

الإلهام ليس حجة عند علماء الظاهر والباطن بحيث تثبت به الأحكام الشرعية فيستغنون بذلك عن النقل من الكتاب والسنة بل هو طريق صحيح لفهم معاني الكتاب والسنة عند المحققين من علماء الباطن بعد تصحيح العمل على مقتضى ما فهم بالاجتهاد من معاني الكتاب والسنة وإلا كان وسوسة شيطانية لا يجوز العمل به كما قال الإمام القسطلاني في مواهبه لا يظهر على أحد شيء من نور الإيمان إلا بإتباع السنة ومجانبة البدعة وأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتعلق العلم من مشكاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم بدعواه علما لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وإنما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا موافقته لما جاء به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان لدني روحاني ولدني شيطاني الروحاني هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد وكفر مخرج عن الإسلام موجب لإراقة الدم والفرق أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه ولهذا قال له أنت موسى بني إسرائيل قال نعم ومحمد صلّى الله عليه وسلّم مبعوث إلى جميع الثقلين فرسالته عامة للإنس والجن في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه فمن ادعى أنه مع محمد صلّى الله عليه وسلّم كالخضر مع موسى عليهما السلام أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليشهد بشهادة الحق فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله تعالى وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدني الروحاني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد سئل هل خصكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بشيء دون الناس فقال لا إلا فيما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي وإتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور

ورياض النفوس ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين (وكذلك) أي كالإلهام ليس من أسباب المعرفة بالأحكام الشرعية (الرؤيا) التي يراها الإنسان (في المنام) قال في شرح المواقف وأما الرؤيا فخيال باطل عند المتكلمين وفي حاشية حسن چلبي فيه بحث لأنه ثبت بالأحاديث الصحيحة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم جعل الرؤيا الصالحة جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعمل بها قبل الوحي ستة أشهر فكيف تكون خيالا باطلا اللهم إلا أن يقال الباطل مطلقا عند المعتزلة هو كون ما يتخيله النائم إدراكا بالبصر رؤية وما يتخيله إدراكا بالسمع سمعا وهكذا وأما كون العلم الحاصل في النوم خيالا باطلا وكون النوم مضادا للعلم فإنما هو بالنسبة إلى عامة الخلق وأما عند الأصحاب فالظاهر أن الكل بالنسبة إلى عامة الخلق ويؤيده تعليلهم ذلك لعدم جريان العادة بخلق الإدراك في الشخص وهو نائم لدلالته على جواز ذلك بطريق خرق العادة كسائر المعجزات والكرامات وفي شرح المناوي على الجامع الصغير ذكر الحكيم الترمذي أن سبب الرؤيا أن الإنسان إذا نام سطع نور النفس حتى يجول في الدنيا ويصعد إلى الملكوت فيعاين الأشياء ثم يرجع إلى معدنه فإن وجد مهلة عرض على العقل والعقل يستودع لحفظ ذلك وقال بعضهم الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي فيطلع الله النائم على ما جهله من معرفة الله والكون في يقظته ولهذا كان المصطفى صلّى الله عليه وسلّم إذا أصبح سأل هل رأى أحد منكم رؤيا هذه الليلة وذلك لأنها آثار نبوة في الجملة فكان يجب أن يشهدها في أمته، قال والناس في غاية من الجهل بهذه المرتبة التي كان المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يعتني بها ويسأل عنها كل يوم وأكثرهم يهزأ بالرائي إذا رآه يعتمد الرؤيا وفي شرح مسلم للإمام النووي عند قوله صلّى الله عليه وسلّم (**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب**) قال الخطابي وغيره قيل المراد إذا قارب الزمان أن يعتدل ليله ونهاره وقيل المراد إذا قارب القيامة والأول أشهر عند عبر الرؤيا وجاء في حديث ما يؤيد الثاني وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا**) ظاهره أنه على إطلاقه وحكى القاضي عن بعض العلماء أن هذا يكون في

آخر الزمان عند انقطاع العلم وموت العلماء والصالحين ومن يستضاء بقوله وعمله فجعله الله تعالى جابرا وعوضا ومنبها لهم والأول أظهر لأن غير الصادق في حديثه يتطرق الخلل إلى روايته وحكايته إياها وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**ورؤيا المؤمن جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة**) وفي رواية (**رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة**) وفي رواية (**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة**) وفي رواية (**رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة**) وفي رواية (**الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة**) فحصل ثلاث روايات المشهورة ستة وأربعين والثانية خمسة وأربعين والثالثة سبعين جزءا وفي غير مسلم من رواية ابن عباس (**أربعين جزءا**) وفي رواية (**من تسعة وأربعين**) وفي رواية العباس (**من خمسين**) وفي رواية ابن عمر (**من ستة وعشرين**) وفي رواية عبادة (**من أربع وأربعين**) قال القاضي أشار الطبري إلى أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف حال الرائي فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزءا من ستة وأربعين جزءا والفاسق جزء من سبعين جزءا وقيل المراد أن الخفي منها جزء من سبعين جزءا والجلي جزء من ستة وأربعين قال الخطابي وغيره قال بعض العلماء أقام صلّى الله عليه وسلّم يوحي إليه ثلاثا وعشرين سنة منها عشر سنين بالمدينة وثلاث عشرة بمكة وكان قبل ذلك ستة أشهر يرى في المنام الوحي وهي جزء من ستة وأربعين جزءا قال المازري وقيل المراد إن للمنامات شبها مما حصل له ومزية من النبوة بجزء من ستة وأربعين قال وقد قدح بعضهم في الأول بأنه لم يثبت أن أمد رؤياه صلّى الله عليه وسلّم قبل النبوة ستة أشهر وبأنه رأى بعد النبوة منامات كثيرة فلتضم إلى الأشهر الستة وحينئذ تتغير النسبة قال المازري هذا الاعتراض الثاني باطل، لأن المنامات الموجود بعد الوحي بإرسال الملك منغمرة في الوحي فلم تحسب قال ويحتمل أن يكون المراد أن المنام فيه إخبار بالغيب وهو إحدى ثمرات النبوة وهو يسير في جنب النبوة لأنه يجوز أن يبعث الله نبيا ليشرع الشرايع ويبين الأحكام ولا يخبر بغيب أبدا ولا يقدح ذلك في نبوته ولا يؤثر في مقصودها وهذا الجزء من النبوة وهو الإخبار بالغيب إذا وقع لا يكون إلا

صدقا قال الخطابي هذا الحديث توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها قال وإنما كانت جزءا من أجزاء النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم وكان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة قال الخطابي وقال بعض العلماء معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة انتهى والحاصل أن الرؤيا المنامية بمنزلة الإلهام الروحاني ليس من أسباب المعرفة بالأحكام الشرعية وإن كان كل واحد منهما جزءا من أجزاء النبوة ووجها من وجوه الوحي النبوي في أهل الدين والصلاح يعتمد عليهما أصحاب التقوى فتنكشف بهما لهم ما خفي عنهم من دقائق المعارف والحكم الربانية ولطائف الأسرار والحقائق الرحمانية بعد اعتمادهم في إصلاح ظواهرهم وبواطنهم على طبق الكتاب والسنة وترك البدعة والمعصية دون تقليد شيء منهما في ثبوت حكم من الأحكام العملية أو الإعتقادية بخلاف ما يزعمه أهل الزندقة والإلحاد من الاكتفاء بهما عن الكتاب والسنة في استفادة أحكام الله تعالى منهما فإن ذلك دعوى نبوة إذ الإلهام والرؤيا المنامية قسمان من أقسام الوحي النبوي يأخذ النبي منهما أحكام الشرايع التي كلف الله تعالى بها نفسه وأمته فلو كان الولي كذلك لكان نبيا وغاية ما للولي من الوراثة في ذلك إلهام الأحكام التي جاء بها إليه نبيه فقبلها منه في اليقظة وتعرض عليه في المنام أيضا فيقبلها فإلهامه ورؤياه مظهران له ما خفي عليه لا مثبتان عنده ما جحده والله الموفق للصواب (خصوصا إذا خالفا) أي الإلهام والرؤيا في المنام مقتضى (كتاب) الله (العليم العلام أو) مقتضى (سنة محمد) نبي الله (عليه الصلاة والسلام) فإنهما حينئذ ليسا من أسباب المعرفة بالأحكام بالطريق الأولى إذ لا يصلح ذلك في الولي مثبتا لشرع جديد ولا ناسخا لشيء من أحكام الشرع المحمدي لانقطاع الوحي وختم البنوة والشرع لا يثبته إلا النبوة ولا ينسخه إلا شرع مثله (وقد قال سيد الطائفة الصوفية) من التصوف قال القشيري في رسالته هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة الصوفية ولمن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفون وليس يشهد لهذا

الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب فأما قول من قال إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال أنهم منسوبون إلى صفة مسجد النبي صلّى الله عليه وسلّم فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي ومن قال إنه من الصفا فاشتقاق الصوفي من الصفا بعيد في مقتضى اللغة وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة من الصف ثم هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستبيان اشتقاق وتكلم الناس في التصوف ما معناه وفي الصوفي من هو وكل عبر بما وقع له ثم استقصى جملة من كلام القوم في التصوف والصوفي يطول ذكرها (وإمام أرباب) أي أصحاب (الطريقة) وهي معرفة أخلاق النفس وصفات القلب وكيفية قطع المنازل في السير إلى الله تعالى ودخل فيها الشريعة التي هي معرفة كيفية الاعتقاد الصحيح إجمالا وكيفية العمل الصالح إجمالا لأنها قبل الطريقة فلا طريقة لمن لا شريعة له (والحقيقة) وهي مشاهدة الربوبية في حالة القيام بالعبودية والإنباء عن تصريف الحق فيما ورد من تكليف الخلق أبو القاسم (الجنيد) بن محمد (البغدادي) نسبة إلى بغداد المدينة المعروفة أصله من نهاوند ومنشاؤه ومولده العراق وأبوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريري وكان فقيها على مذهب أبي ثور صاحب السري السقطي والحارث بن أسد المحاسبي ومحمد بن علي القصاب مات سنة سبع وتسعين ومائتين (عليه رحمة الله الهادي) لمن يشاء إلى صراط مستقيم (الطرق) جمع طريق وهو مسلك موصل الى الله تعالى (كلها) تأكيد للطرق (مسدودة) أي لا يمكن السلوك منها إلى الله تعالى لعدم إيصالها إليه بسبب رد السالك فيها وصده عن بلوغ غايتها والمراد بها جميع الشرايع والأديان والمذاهب المخالفة فإن أهلها الآن ما سلكوا فيها إلا ليصلوا منها إلى الله تعالى فهي طرق إلى الله تعالى باعتبار زعم أهلها لا في حقيقة الأمر ولهذا أخبر عنها أنها مسدودة والمسدود ليس بطريق إلا بمجرد الزعم لمن

لم يعرف ذلك فإن الجاهل إذا سلك طريقا فانتهى فيه إلى حد وراؤه مسدود تبين له حينئذ أنه ليس بطريق فيرجع من حيث سلك وقد زعم في الأول بأنه طريق ثم تبين له خلاف ذلك (إلا على من) أي الذي أو رجل (اقتفى) أي اتبع (أثر الرسول صلّى الله عليه وسلّم) بأن سار كسيره في تلك الطرق المذكورة كلها فإنها حينئذ ليست بمسدودة عنه بل مفتوحة له يدخل منها إلى حضرة الله تعالى بسبب سيره فيها السير المخصوص الذي لا تعرفه أهلها السالكون فيها وهم على الباطل منها وإلى هذا المعنى يشير شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه من أبيات له مطلعها قوله

ما في المناهل منهل مستعذب * إلاّ ولي فيه الألذ الأطيب

وقول الشيخ محي الدين بن العربي قدس الله سره من أبيات له أيضا

عقد الخلائق في الإله عقائدا * وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فإن جميع العقائد الباطلة واقعة من معتقديها على مظاهر تجليات الحق تعالى من حيث حضرات أفعاله سبحانه وكفر أهلها باعتبار دعواهم أن بعض مظاهر تجليات تلك الحضرات الأفعالية هي ذات الحق سبحانه على ما هي عليه في الغيب المطلق وهو خطأ محض وجهل وكفر وهذا المعنى هو الذي سدت به تلك الطرق كلها وما انفتحت إلا للمحمديين من ورثة الأولياء فأخذوا منها الألذ الأطيب وهو مشهود تجليات حضرات الأفعال الإلهية وتركوا ما انسدت به هذه الطرق من دعاوي ما فوق ذلك من تجليات الذات الإلهية المطلقة مع بقاء شهود آثار أفعالها الكونية فانظر قول الجنيد رضي الله عنه ذلك فإنه لولا اقتفاء أثر الرسول صلّى الله عليه وسلّم لما انفتحت تلك الطرق للسالك في الوصول إلى الله تعالى وفيه إشارة إلى أن طريق الحق ليس طريقا معينا منفردا عن تلك الطرق كلها ولا واحدا منها بل هو طريق منفتح يوصل من سلك فيه إلى الله تعالى وجميع تلك الطرق إذا انفتح شيء منها كان هو طريق الحق وإذا أنسد فهو طريق الباطل وانفتاحه بعدم الوقوف فيه عند شيء مطلقا دون من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والوقوف عند شيء هو الانسداد (وقال) الجنيد البغدادي أيضا رضي الله

عنه (من لم يحفظ القرآن) بكلماته ومعانيه وحدوده وأحكامه وظاهره وباطنه ومعارفه وحقائقه وأسراره (ولم يكتب) أي يجمع في طرسه أو نفسه (الحديث) النبوي بلفظه ومعناه وظاهره وباطنه وأسراره وأنواره (لا يقتدى) بالبناء للفعول أي لا يجوز لأحد من السالكين أن يقتدى (به) أي بمن خلا عن ذلك وهو الجاهل المغرور بالغفلة والقصور (في هذا الأمر) العظيم الذي هو السلوك والوصول إلى الله تعالى وفيه إشارة إلى أنه إذا لم يقتد به لا يلزم أن يكون هو على باطل في نفسه إذ يجوز أن يفتح الله تعالى على قلب أحد من الناس وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف قرآنا ولا حديثا فيصير عارفا بالتجليات الإلهية والحقايق الربانية وإذا قرئ عليه القرآن أو الحديث تكلم في معاني ذلك بما يبهر العقول من الفتح لا من النقل وقد وجد كثير على هذه الصفة لكن لا يصلح للاقتداء به وجعله إماما في الإرشاد والتسليك وإن كان هو وليا فإنه ليس بمرشد كما قال تعالى (**وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً** * الكهف: ١٧) إذ الإرشاد يحتاج إلى معرفة أحكام الكتاب والسنة وأساليبهما في المحاولة للأمور بالترغيب والترهيب والأمر والنهي وغير ذلك كمن شدت عيناه بخرقة وأدخل إلى دار فإنه لا يعرف من أين دخل إليها هو حتى يرشد غيره إلى طريق الدخول فيها بخلاف من دخلها مفتوح البصر فإنه يعرف طريقها الموصل إليها فيهتدي السالك بدلالته إلى الوصول إليها (لأن علمنا) هذا الذي هو علم الحقايق الإلهية والمعارف الربانية (ومذهبنا هذا) الذي هو مذهب السلف الصالحين والخلف المتقين (مقيد بالكتاب والسنة) لا يخرج شيء من ذلك عن مقتضاهما أصلا وإن كان متلقى من الفيض والفتح لا من الكتب ولا من أفواه المشايخ لكنه مطابق لمقتضى ذلك إذا حققه العارف وجده كذلك ولا يجهله وينكره على أهله لعدم قدرته على المطابقة بينه وبين الحق النقلي إلا الشقي الهالك قال الشيخ محي الدين بن العربي قدس الله سره في الباب الرابع عشر وثلاثمائة من كتاب الفتوحات المكية ثم لتعلم أنه إذا رقت الأولياء في معارج الهمم فغاية وصولها إلى الأسماء الإلهية التي تصليها فإذا وصلت إليها في معارجها أفاضت عليها من العلوم وأنوارها على قدر الاستعداد

الذي جاءت به فلا تقبل منها إلا على قدر استعدادها ولا يفتقر في ذلك إلى ملك ولا رسول فإنها ليست علوم تشريع وإنما هي أنوار فهو فيما أتى به هذا الرسول في وحيه أو في الكتاب الذي أنزل عليه أو الصحيفة لا غير وسواء علم ذلك الكتاب أو لم يعلمه ولا سمع بما فيه من التفاصيل ولا يخرج علم هذا الولي عما جاء به ذلك الرسول من الوحي عن الله تعالى وكتابه وصحيفته لا بد من ذلك لكل ولي صديق برسوله إلى هذه الأمة فإن لهم من حيث صديقيتهم بكل رسول ونبي العلم والفتح والفيض الإلهي بكل ما يقتضيه وحي كل نبي وصفته وكتابه وصحيفته وبهذا فضلت هذه الأمة على كل أمة من الأولياء فلا يتعدى كشف الولي في العلوم الإلهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه قال الجنيد رحمه الله تعالى في هذا المقام علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال الآخر كل فتح لا يشهد له الكتاب والسنة فليس بشيء فلا يفتح لولي قط الا في الفهم في الكتاب العزيز فلذا قال تعالى (**مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** *) وقال سبحانه في ألواح موسى عليه السلام (**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ** * الأعراف: ١٤٥) فلا يخرج علم الولي جملة واحدة عن الكتاب والسنة فإن خرج واحد عن ذلك فليس بعلم ولا علم ولاية معا بل إذا حققته وجدته جهلا والجهل عدم والعدم ما له وجود محقق وفي الباب الثاني والتسعين ومائتين قال رضي الله عنه في علم الإفصاح الإلهي عن درجات القرب الإلهي من حضرة اللسن اعلم أن ذلك معرفة علم الشارع المترجم عن الله تعالى الذي أمرنا بالإيمان بمحكمه ومتشابهه ولنقبل جميع ما جاء به فإن تأولنا شيئا من ذلك على أنه مراد المتكلم في نفس الأمر زال عنا درجة الإيمان فإن الدليل حكم على الخير فتعطل حكم الإيمان وجاء العلم الصحيح من المؤمن يقول لصاحب هذا الدليل إما القطع منك بأن هذا أعطاك نظرك هو مقصود المفصح بما أفصح به فهو عين الجهل وفقد العلم الصحيح وقد أزال عنك الإيمان والسعادة مرتبطة بالإيمان وبالعلم الصحيح والعلم الصحيح هو الذي يبقى معه الإيمان فعلى العارف أن يبين طريق السعادة نيابة عن الله تعالى في خلقه كنيابة القمر عن

الشمس في اتصال النور فالأنبياء عليهم السلام هم التراجمة عن الحق والورثة على مدرجتهم بما يعطيهم الله تعالى من الفهم فيما جاءت به الرسل من كتاب وسنة انتهى وذكر الشيخ محي الدين أيضا في شرح الوصية اليوسفية قال ومريد التربية ما عنده ميزان الشرع إنما ذلك للشيخ الذي يربيه فحقه أن يعرض غرضه أو خياله على الشيخ خاصة والشيخ ينظر في ذلك بما يعلمه من الله فيه والميزان هنا ما أراده الجنيد بقوله علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة والمعنى في ذلك إن الذي وجدوه من العلم في بواطنهم والعزم وغير ذلك إنما هو نتيجة عن العمل بالكتاب والسنة وسبب ذلك أن الأمور المفتوح بها على النفوس من جانب الأرواح العلوية المسمين في الشرع ملائكة وعند القدماء عقولا فعالة قد ترد بهذه الأمور على النفوس عند تركها شهوات الطبيعة وخلوصها من أسرها وصفائها برياضة ومجاهدة وصقالة مرآتها ينتقش بها فيها جميع ما في العالم فينطق بالغيوب ويعلم ما هو الأمر عليه وسواء كانت هذه النفوس مقيدة بالشرع الخاص على طريق الإيمان به أو لم تكن فإن صفائها يعطي ذلك أي يعطي لحوقها بالأصل الذي صدرت منه فما أخبرت إلا عما أعطاه مقامها ومحلها فقال الجنيد هذا الحاصل لنا ولأهل الله لم يكن طريقنا فيه طريق القدماء يعني بالنظر الفكري في أصل خلقة النفوس وما أهلت له وإنما سلكنا بما قال لنا الشارع وآمنا به وأخذنا عنه سلوكنا وإن وقعت المشاركة في الفتح والنتيجة فإن أصحاب الأذواق يجدون فرقا بين الإدراكين بينا ذوقا ثم إن أهل الله العاملين على الإيمان يكون لهم من الله إلقاء خاص لا يناله أبدا من لم يكن طريقه الإيمان وبهذا أيضا يفترق الصنفان وهذا قول الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة أي أنه لم يحصل لنا إلا على العمل بكتاب الله وسنة رسوله انتهى فإذا علمت هذا ظهر لك أن علم الولي مأخوذ من الله تعالى بطريق الإلهام والفتح والفيض لا بطريق التعلم والقراءة والدراسة على المشايخ ومطالعة الكتب ولكن شرطه أن يكون مطابقا لعلم الكتاب والسنة الذي عند المجتهدين فيما أجمعوا عليه من الحق وقد يخالف ما اختلفوا فيه لعدم تعين الحق عندهم في موضع الاختلاف وهو معنى قول الجنيد

رضي الله عنه علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة لا أن معناه أن الولاية مشروطة بقراءة الكتاب والسنة على المشايخ وتعلم العلوم الظاهرة التي هي مادة الفهم في ذلك عند المحجوبين من أهل الغفلة كما يظنه كثير ممن يطالع هذا الكتاب وغيره فينكر الكمال على أهل الفتح والفيض من الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ونحوهم ممن يقرأ يكتب ولكن لم يشتغل في طلب العلم الظاهر وإن كان ذلك شرطا في الإرشاد واقتداء المريدين به ليتيقن المطابقة ويصير على بصيرة في أمره فإنها حالة الداعي إلى الله كما قال تعالى (**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىَ اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِ** * يوسف: ١٠٨) وأما بقية الأولياء ممن لم يقمهم الله تعالى في مقام الدعوة إليه وإن اجتمعت عليهم الناس واتخذوهم مشايخ لا بإذنهم بل للناس في ذلك أغراض ومقاصد فلا يشترط في كونهم أولياء حفظهم الكلمات القرآني ولا كتابتهم للحديث النبوي بل يكفي موافقة علومهم الكشفية لذلك عندهم وعند من يعرف الموافقة بينهما ولا يضر إنكار الجاهل والقاصر لأن المقصود من الكتاب والسنة العمل بمقتضى ما فيهما لا مجرد علمهما فإذا وجد المقصود بتعليم الله تعالى حصل المراد الإلهي ولهذا لما ظن المغرورون بعلم الكتاب والسنة على فرض اتقانهم معرفة ذلك أنهم ممتثلون أمر الله تعالى ونهيه بمجرد علمهم بذلك ومباشرتهم وعظ غيرهم به من غير عمل بشيء منه في أنفسهم وإن عملوا بالبعض ابتدعوا بالزيادة والنقصان ومهدوا لأنفسهم الرخص في تسليك أغراضهم عند الظلمة أنكروا على المتقيدين بالأعمال الصالحة بتوفيق الله تعالى لهم ذلك وإلهامه لهم وفتحه على قلوبهم ما هو الحق والصواب عنده من غير اشتغال بتلك العلوم القولية واستحالوا وجود ذلك إلا بتعلم علمهم وأخذه عنهم والسير على سيرتهم وعلموا لفظ التوفيق وأنكروا معناه في المكلفين الذي هو خلق الطاعة في العباد وجعل العباد موافقين لما هو الحق والصواب عناية من الله تعالى بهم كما وقع لسيد التابعين أويس القرني رضي الله عنه وغيره ممن لا يعرف القراءة ولا الكتابة اتخذهم الله تعالى أولياء ووفقهم للأعمال الصالحة على طبق الكتاب والسنة من غير تعلم ولا أخذ عن شيخ أصلا

وهؤلاء المنكرون تجسسوا على عباد الله وقد ورد في علمهم حرمة التجسس وكشفوا عورات أهل الإسلام وفي علمهم حرمة ذلك ولم يؤولوا ما ظهر لهم من احتمال الخطأ في أقوال المؤمنين وأفعالهم وهم مأمورون بذلك في علمهم الذي يتكبرون به على عباد الله ويقطعون بسببه لأنفسهم بالنجاة من الله يوم القيامة وهلاك غيرهم ممن لا يعلم علمهم المذكور ويسيؤون الظنون بكلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وكلام غيره من أهل التصانيف المصرحين بالإنكار على من خالف الشريعة ونابذ أحكامها على العموم في كل من خالف ونابذ فتراهم يخصصونهم في إنكارهم فيقذفون قوما مخصوصين ويلعنونهم ويشتمونهم وينسبون ذلك الصنيع إلى الكتب فيقولون قال فلان في كتابه كذا وقال فلان في كتابه كذا وفلان إنما قال فيمن هو موصوف بذلك وجميع العالم بأعيانهم عنده بريئون مما قال وإن قال مما هو موجود في زماننا فإن ما لم يعلم بعينه لا إثم فيه والكتاب والسنة على إنكار المناكر بوجه العموم لا الخصوص لأن الخصوص فضيحة وهتك وسوء ظن وتجسس وكل هذا حرام في علمهم الذي هم يزعمون القيام به (وقال) أبو الحسن (السري) ابن المفلس (السقطي) خال الجنيد وأستاذه وكان تلميذ معروف الكرخي كان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية وعلوم التوحيد (التصوف) عند السادة الصوفية (اسم لثلاثة معان) هي أصول في طريق القوم رضي الله عنهم المعنى الأول (وهو) أي الصوفي المفهوم من ذكر التصوف (الذي لا يطفئ نور معرفته) بالله تعالى (نور ورعه) أي امتثاله لأوامر الله تعالى واجتنابه عن نواهيه على أكمل الوجوه وقال القشيري في رسالته الورع ترك الشبهات وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل انتهى وإنما كان الصوفي قائما بالنورين لأن نور المعرفة في القلب يكشف به عن حقايق الموجودات الجسمانية والعرضية ويطلع على حضرات الذات وتجليات الأسماء والصفات ونور الورع في الجسد يعمل به جميع ما أمره الله تعالى أن يعمله به على وجه الكمال ويكف به عن كل ما نهاه الله تعالى عنه بأتم ما يكون فتى أشكل مراعاة النورين وأشغل عن الآخر الالتفات لأحد الشيئين يكون قد فقد

معنى التصوف وزالت حقيقته من التعرف وقال الغزالي في مشكاة الأنوار القلب بيت هو منزل الملائكة والصفات الردية كالغضب والشهوة والحسد والكبر كلاب نابحة فكيف تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب قال عليه الصلاة السلام (**إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ ولا صورة**) قال ولست أقول المراد بلفظ البيت القلب وبالكلب الغضب والصفات المذمومة بل أقول هو تنبيه عليه ودخول من الظواهر إلى البواطن مع تقرير الظواهر فبهذه القضية فارقنا الباطنية فإن هذا طريق الاعتبار ومسلك الأئمة الأبرار ومعنى الاعتبار أن تعبر مما ذكر إلى غيره فلا تقتصر على ما ذكر ولا تظنن إن هذا الانموذج بطريق ضرب الأمثال رخصة مني في دفع الظواهر واعتقادي إبطالها حتى أقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله (**اخْلَعْ نَعْلَيْكَ** * طه: ١٢) وحاشا لله فإن إبطال الظواهر رأي الباطنية كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية فإن الذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهم كامل ولهذا ورد للقرآن ظاهر وباطن وحد ومقطع بل أقول فهم موسى عليه السلام من الأمر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الأمر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا بطرح العالمين فهذا هو الاعتبار أي العبور من الظاهر إلى السر وفرق بين من يسمع قول النبي صلّى الله عليه وسلّم (**إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ**) فيقتني الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مرادا بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لأنه يمنع المعرفة التي هي من أنوار الملائكة إذ الغضب غول العقل وبين من يمتثل الأمر في الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلبا لصورته بل لمعناه وهو السبعية والضرارة وإذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجبا عن صورة الكلب فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن سر الكلبية أولى فأنا أجمع بين الظاهر والسر فهذا هو الكمال وهو المعنى بقولهم الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه انتهى والحاصل أن الكمال هو الجمع بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة وهو معنى التصوف في قول السري المذكور (و) المعنى الثاني الصوفي هو الذي (لا يتكلم بباطن) أي بحقيقة (في علم) من

علومه النورانية (ننقضه) أي ينقض ذلك الباطن بمعنى يبطله ويظهر فساده (عليه ظاهر الكتاب) العزيز أي ما يظهر من معاني القرآن لكل مكلف فإذا لم ينقضه ظاهر الكتاب فهو تصوف صحيح وإن نقضه كان فاسدا والذي يتأتى منه نقضه هو صاحب التحقيق في العلم الظاهر والعلم الباطن لا كل أحد من الناس فإن نقض القاصر في درجة الكمال لا يعتبر لعدم معرفته بالتطبيق بين بواطن الحقايق وظواهر الشرايع خصوصا إذا كان لا يعرف اصطلاحات الصوفية في خطاباتهم ومواقع كلامهم فإن قول أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه سبحاني ما أعظم شأني، مثلا عن من لم يعرف اصطلاح القوم ولم يكن صاحب تحقيق في علمي الظاهر والباطن منقوض بظاهر القرآن العظيم فإن ذلك دعوى ربوبية منه عند القاصر مع أن أبا يزيد رضي الله عنه عارف رباني وكامل صمداني فلا بد من عالم محقق وفي العلمين يعرف اصطلاح الفريقين بشرح معنى ذلك على وجه لا يخالف ظاهر القرآن ويكون معنى عظم الشأن والمفهوم من كلام الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه في بعض كتبه أن معنى ذلك كمال التنزيه للحق تعالى وهو تنزيه التنزيه فإنه لما رأى تنزيهه لله تعالى وتسبيحه له عما لا يليق به مخلوقا فيه لله تعالى ورأى ظاهرا منه على حسب استعداده والحق تعالى أعظم وأجل تحقق أن الحق تعالى ظهر له على حسب استعداده بل استعداده ظهر له في حضرة تجلي الحق المطلق فعلم أن تسبيحه لله تعالى وتنزيهه راجعا الى غاية استعداده الظاهر له في مرآة التجلي المطلق فأرجعه إلى استعداده في نفسه وقنع بالعجز عن التنزيه والتسبيح في تنزيه الله تعالى وتسبيحه فقال سبحاني، ثم لما رأى جميع المنزهين والمسبحين متوجهين بالتنزيه والتسبيح إلى غاية استعداداتهم في التجلي المطلق واستعداده أتم الاستعدادات فقال ما أعظم شأني، وهو موافق لما في القرآن لا مناقض له وهذا مقدار ما يليق بهذا الموضع من معنى كلامه فإذا تكلم أحد من العارفين في هذا الزمان بكلام نظير هذا الكلام ينبغي أن يعرض كلامه على أهل المعرفة الجامعين بين علمي الظاهر والباطن فإنهم يعرفون معناه من غير أن ينقضه ظاهر الكتاب وأما

القاصرون من علماء الرسوم الذين لا يعرفون إلا ظواهر العلوم فلا عبرة بكونه مناقضا عندهم لظاهر القرآن لأنهم لا يعلمون إشارات الصوفية ولا مواجيد أهل الكمالات العرفانية فغايتهم أنهم يستنطقون الكلمات بحسب إعرابها ومعانيها اللغوية ويفوتهم الوضع الخاص المسمى بالاصطلاح فيقعوا في سب أهل الكمال وهم قاصرون ويحكموا بتخطئة المصيب وهم لا يشعرون فإن لكل ميدان مجالا ولكل مجال رجالا ونظير هذا ما وقع للشيخ أبي الغيث ابن جميل قدس الله سره أنه جاء إليه جماعة من الفقهاء فقال لهم مرحبا بعبيد عبدي، فاشتد إنكارهم عليه فذكروا ذلك للشيخ إسماعيل الحضرمي رضي الله عنه وكان من أهل العلم الظاهر والباطن، فقال صدق أنتم عبيد الهوى والهوى عبده (و) المعنى الثالث الصوفي هو الذي (لا تحمله الكرامات) جمع كرامة وهي الأمور الخارقة للعادة بلا دعوى نبوة (على هتك) أي عدم احترام (محارم الله تعالى) أي محرماته التي حرمها تعالى على عباده المكلفين القطعية والظنية وهذا شرط لكونها كرامات فلو انتهك بها محرما من المحرمات الشرعية كانت مكرا من الله تعالى واستدراجا لا كرامات وكونها تقتضي انتهاك محرم من المحرمات يحتاج إلى نظر دقيق من صاحب تحقيق ولا عبرة بنظر القاصرين عن مقاصد الواصلين فإن لله تعالى تلبيسات على الجاهلين بأفعال الكاملين ولا دخل للكاملين في قصد ذلك (**وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ** * إبراهيم: ٢٧) (وقال أبو يزيد) طيفور بن عيسى (البسطامي) كان جده مجوسيا أسلم وكانوا ثلاثة إخوة آدم وطيفور وعلي وكلهم كانوا زهادا وأبو يزيد كان أجلهم حالا قيل مات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل أربع وثلاثين ومائتين (رحمه الله تعالى لبعض أصحابه) من أهل بسطام (قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية) وشهرة النفس بها كناية عن الدعوة إلى الله بتربية قلوب المريدين فإن كانت بحق كانت محمودة وإن كانت بباطل كانت مذمومة ولما احتملت الأمرين لم يكن هذا الكلام ذما من أبي يزيد لذلك الرجل لعدم قصده الذم ولكن لما غلب عليه حب الخفأ كان ذلك عنده على خلاف مشربه فخرج كلامه كذلك وليس فيه تجسس أيضا منهي

عنه لأنه في قصد ظهور الكمال له من ذلك الرجل لينتفع بصحبته ولقياه لا بقصد الاستكشاف عن معايبه (وكان) ذلك (رجلا مقصودا) أي تقصده الناس من كل جهة من جهات الأرض يتبركون به (مشهورا بالزهد) والتقوى والدين بين الخاص والعام (فمضينا إليه) بقصد زيارته والتماس بركته (فلما خرج من بيته ودخل المسجد) ونحن ننظر إليه قبل أن نكلمه (رمى ببزاقه) من فمه (تجاه القبلة) أي جهتها (فانصرف أبو يزيد) في الحال حين رآه فعل كذلك (ولم يسلم عليه) ولم يكلمه (وقال) لمن كان معه (هذا رجل غير مأمون) أي لم يؤمنه الله تعالى (على أدب) واحد (من آداب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) وذلك لأنه استهان بالقبلة التي جعل الله تعالى استقبالا شرطا في صحة الصلاة وورد النهي عن استقبالها ببول وغائط وكره العلماء مد الرجلين إليها في نوم وغيره وأوجب الله تعالى الطواف بها والطهارة لذلك الطواف وحكم بأنها بيته تعالى تعظيما لها وتشريفا وآداب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله تعالى احترام ما احترمه الله تعالى وانتقاص ما انتقصه واستهان به سبحانه كالكفر والكافرين ومواضع عباداتهم الباطلة ونحو ذلك وفي شرح اليوسفية للشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه إذا رأينا من يدعي في هذه الأمة مقام الدعاء إلى الله على بصيرة ويخل بأدب من آداب الشريعة ولو ظهر عليه من خرق العوائد ما يبهر العقول ويقول إن ذلك أدب يخصه لا يلتفت إليه وليس بشيخ ولا بحق فإنه لا يؤمن على أسرار الله تعالى إلا من يحفظ عليه آداب الشريعة ولكن شرطه أن يبقى عليه عقل التكليف فإن طرأ عليه ما يخرجه عن عقل التكليف فيسلم إليه حاله ولا يقتدى به وهو سعيد وهو في الوقت الذي سلب عنه عقل التكليف بمنزلة الشيخ عند ما يموت فكما تقبض روحه على ما كان عليه كذلك يؤخذ عن هذا الموله عقله على ما كان عليه فتبقى سعادته سعادة الميت ولا تدبير لنفسه الناطقة في هيكله لفقد آلامها فيبقى مثل سائر الحيوانات يدبره روحه الحيواني ولا يعترض عليه فإن الله ما كلفه كما أنه لم يكلف الموتى وإن كانوا سعداء فافهم ما ذكرناه لك تسعد فإن هذه الحال جهلها أكثر أهل الطريق فكيف

عامة الفقهاء فإذا عرفوا ما قلناه لم يقدروا على إنكاره وإنما يحجبهم عن ذلك ما يرونه منه من حركاته الطبيعية في أكل وشرب ونكاح وشبه ذلك فيقولون كما أنه ينكح ويأكل ويشرب فليصل وتحجبهم الصورة الإنسانية الظاهرة وما يعلمون أنه حيوان في صورة إنسان وإن نفسه الناطقة انتقلت إلى البرزخ انتقال الموتى وإن كان لها التفات إلى هذا الهيكل فمن أجل بلوغ الأجل المسمى الذي للروح الحيواني في كل حيوان يموت فإن الموت إنما هو للحيوان لا للإنسان إلا من كونه حيوانا فافهم فيعتقد في مجانين أهل الله ولا يقتدى بهم بخلاف عقلائهم (فكيف يكون) ذلك الرجل (مأمونا) من قبل الله تعالى (على ما) أي الذي أو شيء (يدعيه) من الولاية والزهد فإن الله تعالى لا يؤمن على أسراره وأنواره إلا من آمنه أولا على الأخلاق المرضية والآداب المحمدية اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ والحكمة وضع الشيء في موضعه وهي الملازمة لأفعال الله تعالى لا ينفك عنها فعل من أفعاله تعالى البتة وليس من الحكمة وضع الولاية والكمال في المنتهك للحرمة والتارك للأدب بل الحكمة تقتضي عقابه لا ثوابه أو العفو عنه لا المدح منه، فإن قلت يمكن أن يكون ذلك الرجل رمى ببزاقه تجاه القبلة خطأ وغفلة من غير تعمد فكيف أنكر عليه أبو يزيد رضي الله عنه حاله ولم يحمله على محمل حسن والخطأ مرفوع الإثم كما تقرر في الشرع قلت وقد فعل أبو يزيد رضي الله عنه كذلك فإنه ما حكم بإثمه ولا نسب إليه فسقا ولا قال عنه أنه فعل مكروها لاحتمال أن يكون فعل ذلك خطأ منه والخطأ لا مؤاخذة فيه والمسلم محمول على الكمال في كلا حال ولكنه نفى عنه ما يدعيه بلسان حاله حيث دعى الناس إلى الله من الولاية ومقام القرب فإن ذلك قدر زائد على مجرد الصلاح والتقوى والديانة ولا يثبت الزائد إلا بعلامة تدل عليه ولم توجد العلامة عند أبي يزيد فلم ينسب إليه ما أشتهر عنه من الولاية من غير طعن فيه ولا انتقاص له وقوله غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إخبار عن الواقع لا احتقار واستنقاص له وحاشا مثل أبي يزيد رضي الله عنه من احتقار أحد من أهل إسلام (وقال) أبو يزيد البسطامي أيضا رحمه الله تعالى في غير

واقعته المذكور كما يشير إليه كلام القشيري في رسالته (لو نظرتم) أيها الناس وهو أبلغ من سمعتم أو ظننتم لكمال الانكشاف (إلى رجل) يدعي الولاية وقد (أعطي) أي أعطاه الله تعالى (من الكرامات) أي الخوارق للعادات من المشي على الماء وإحياء الموتى وطي المسافة البعيدة في الزمان القليل ونحو ذلك (حتى تربع في الهواء) بين السماء والأرض أبلغ من مشي على الهواء لما في المشي من وضع القدمين الموهمين احتمال التمسك بهما (فلا تغتروا به) أي لا تستدلوا على ولايته ورفيع جاهه عند الله تعالى بما رأيتموه من ذلك لاحتمال أن يكون مكرا من الله تعالى به من حيث لا يعلم هو ولا تعلمون أنتم أيضا واستدراجا له من الله تعالى كما قال تعالى (**سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ** * الأعراف: ١٨٢) واستهزاء به من الحق تعالى وسخرية كما قال تعالى (**اَللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** * البقرة: ١٥) وقال (**سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ** * التوبة: ٧٩) (حتى تنظروا) بتحقق أيضا وكمال معرفة ولو تمسكا بالأصل وهو الصلاح لأنه يقين وحق مبين من دون تشكيك ولا وسوسة فإن المؤمن مؤمن حقا والكافر كافر حقا وكذلك الفاسق فاسق حقا والصالح صالح حقا ولا شك ولا تردد إلا عند أهل القلوب الضعيفة والبصائر المطموسة والزيغ المبين والقصور المهين فإن من لم تظهر مخالفته الموجبة لفسقه ظهورا تاما لا يحتمل التأويل أصلا من غير تجسس عليه فليس بفاسق وهو ملتحق بأهل العافية أو التهمة من الصالحين (كيف تجدونه) بنفوسكم وأنتم تاركون التجسس عنه والوساوس الشيطانية التي يلقيها الشيطان إليكم في حقه ومن غير سماعكم ذلك من الغير إلا إذا حضرتم ثبوته على الوجه الشرعي عند حاكم شرعي فتكونوا وجدتموه ظاهرا لا حقيقة الوجدان فانكروه حينئذ ظاهرا لا حقيقة الإنكار (عند الأمر) الإلهي القطعي والظني (والنهي) الإلهي كذلك (وحفظ الحدود) التي حدها الله تعالى لعباده المكلفين في مقدار ماء الطهارة وأعضائها وأعداد حركات الصلوات وأوقاتها ومقادير جميع العبادات وأوقاتها ومقادير المعاملات وما يجوز منها وما لا يجوز وكيفيات العقائد والقصص الواردة والمواعظ من غير زيادة في شيء من ذلك ولا نقصان منه (وأداء) أي

تسليم جميع ما هو المطلوب منه في (الشريعة) المحمدية علما وعملا أمرا ونهيا وتخييرا على وجه العدل فيه والمراد أن يجد ذلك من يعلمه على حسب ما أجمعت عليه الأمة أو اختلفت فيه فيعلم المجمع عليه والمختلف فيه كله من المذاهب الأربعة الموجودة الآن في الأرض وغيرها أيضا من مذاهب جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذ يحتمل أن ذلك الولي قلد في عمله ذلك مذهبا ثبتت عنده تلك المسألة فيه بشروطها فعمل بها فلا يجوز إنكارها عليه قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرح الجامع الصغير وقد نقل الإمام الرازي إجماع المحققين على منع العوام من تقليد أعيان الصحابة وأكابرهم نعم يجوز لغير عامي من الفقهاء تقليد غير الأربعة في العمل لنفسه إن علم نسبته لمن يجوز تقليده وجمع شروطه عنه انتهى ويحتمل أيضا أن يكون ذلك الولي مجتهدا علم من الأدلة ما لم يعلمه غيره، الإجتهاد باق إلى يوم القيامة فمن اجتمعت فيه شرائطه ولا يلزمه بيانها وشروط الاجتهاد عند العارفين من أهل الله تعالى غير شروطه عند أهل الأصول من علماء الظاهر كما نقلته في كتابي لمعات البرق النجدي شرح تجليات محمود أفندي فلا يكاد أحد يجد المخالفة من الولي وجه اليقين وإنما ينكر الجاهل بجهله ما لم يفعله الولي فيأثم الجاهل لدخوله فيما لا يعرفه ولإنكاره حكم المجتهد الذي أقره عليه الله ورسوله ويثاب الولي وترفع درجته قال الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه في كتابه شرح الوصية اليوسفية التي تكلم بها الشيخ علي الكردي على لسان يوسف إبراهيم الشافعي ويقصد جهده أن يدفع عن نفسه الخيالات الردية يعني في حق شيخه كيلا يحرم المنفعة به فإن الشيطان لا يزال يلقي إلى نفس المريد في شيخه ما يكرهه إليه ولهذا بعض المريدين المحرومين يعترضون على شيوخهم بما يرونه من حركاتهم ولا سيما إن كان لظاهر الشريعة التي عليها فقهاء الزمان على تلك الحركة حكم مقرر عندهم ولا سيما عند صاحب المذاهب الأربعة وما علم أن الشيخ من المحال أن يحلل ما حرم الله أو يحرم ما أحل الله أو يحكم بما لم يحكم الله به فيما يفتي فيه أو يدل عليه مريده أو يفعله الشيخ على طريق الحل وهو محرم في حكم الله تعالى على لسان النبي

صلّى الله عليه وسلّم الواصل إلينا بشرع الله فإنهم رضي الله عنهم قد يصح عندهم من طريق الكشف عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مشافهة منه إليهم أو إلهاما من الله عز وجل أو إلقاء في قلوبهم على الطريقة المعهودة التي لأولياء الله مع الله في تلقياتهم أن حكم الرسول عن الله في ذلك الأمر هو هكذا لا ما حكمت به المذاهب الأربعة أو مذهب ما وإن كان الله قد قرر ذلك الحكم بالنظر إلى ذلك المجتهد ومن قلده وقد رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسألته في المطلقة بالثلاث في المجلس الواحد كيف حكمه عندك يا رسول الله فقال هي ثلاث كما قال (**فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ** * البقرة: ٢٣٠) فقلت له فإن جماعة من أهل الظاهر حكموا أنها واحدة فقال هؤلائك حكموا بما وصل إليهم وأصابوا وحكمي أنا في المسألة ما ذكرته لك في رؤيا طويلة فمن ذلك الوقت صرت أقول بهذا الحكم عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا يلزم الشيخ مع هذا الكشف تقليد إمام في اجتهاد كما لا يلزم المجتهد تقليد مجتهد آخر في مسألة مع اجتهاده ولا يحل لمجتهد أن يحكم في نازلة باجتهاده على طريق فرض الوقوع حتى تنزل فإذا نزلت تعين الحكم منه فيها بما يؤديه إليه اجتهاده فإن نزلت مرة ثانية ويسأل فيها استأنف الاجتهاد أيضا في الحكم فإن وافق الأول كان وأفتى به عن هذا الاجتهاد وإن لم يوافق وحكم بأمر آخر في تلك النازلة حرم عليه أن يحكم فيها إلا بما ظهر له الآن مع صحة الأول في وقته لا في هذا الوقت ولذلك كان يقول مالك بن أنس إذا سئل في مسألة هل نزلت فإن قيل له نعم نظر وأفتى وإن قيل له لم تنزل ولكن فرضنا نزولها كان لا يفتى فيها بشيء إلا أن تنزل فانظر إلى تحري هذا الإمام رضي الله عنه فمتى رأيت المريد يزن الشيخ وحركاته بميزان الشرع المقرر عنده من اجتهاده أو من تقليده لإمام فاعلم أن المريد في إدبار لا يفلح أبدا فلذلك قال الشيخ يعني علي الكردي على لسان يوسف بن إبراهيم الشافعي في وصيته هذه المقالة في الخواطر الردية هذا في تحليل محرم أو تحريم محلل وأما أن لا يعصى الشيخ فذلك لا يمكن أن يقطع به في حق أحد لا شيخ ولا غيره فإن أبا يزيد قيل له أيعصى

العارف قال (**وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً** * الأحزاب: ٣٨) فينبغي للمريد أن لا يصحب شيخا على طريق العصمة وإنما يصحبه على طريق العلم بطريق الله ولينظر في أقواله وفتياه لا في أفعاله ولذلك قال الله تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ * النحل: ٤٣) وما أمرنا أن نتأسى بأفعالهم لعدم فرض العصمة فيهم وقال في حق الأنبياء لما عصمهم الله تعالى (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** * الممتحنة: ٦) وقال تعالى (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** * الأحزاب: ٢١) فإنا نتبع الرسول في جميع أفعاله إلا ما نص علينا من أفعاله التي يختص بها ولا يجوز لنا فعلها واعلم أن هذا من أعظم الأدوية لهذا العلة التي تطرأ على المريد من الشيطان ولا شك أن النفس الخبيثة تقبل على الفور مثل هذا الإلقاء بما تراه من حكم الشيخ عليها وهي بالطبع لا تريد أن تكون محكومة لأحد فإذا أخطر لها إبليس في الشيخ خاطرا رديا قبلته من حينها إلا أن يوفقها الله ولقد خدم صادق شيخا فرآه قد زنى بامرأة وعلم الشيخ أن المريد قد رآه ثم رأى المريد يبالغ في خدمته كما كان وما تغير عليه من حاله شيء فقال له الشيخ يا فلان أنت قد رأيتني قد وقع مني ما وقع وثبت على طريقك في خدمتي فقال يا سيدي ما صحبتك على أنك معصوم عن المعاصي وإنما صحبتك أنك عالم بطريق الله الذي فيه رشدي وأنت مع نفسك بحسب ما قدر الله عليك، فقال الشيخ مثلك من يدعي أنه خديم قلت ذكر شيخنا أن بعض من روى هذه الحكاية قال إن ما وقع من الشيخ المذكور كان اختبارا للمريد ولم يكن ما وقع منه زناء في نفس الأمر وقد جرى لنا مثل هذا مع بعض شيوخنا وكنا معه مثل هذا المريد ووالله ما تغير لي باطن ولا قلب على شيخ من أجل حركته وسكونه وإني ما صحبته إلا أنه ينصحني فيما يلقي إلي وأن أقتدي بكلامه لا بفعله وكل مريد خرج عن هذه القضية فإنه لا يجئ منه رجل أبدا ثم لتعلم إن لله عبادا قد قيل لهم افعلوا ما شئتم فقد غفرت لهم فما يدريك أن هذا الشيخ منهم وباب المريد حسن الظن لا سوء الظن واعلم أن الله عز وجل إذا فتح على عبد في باطنه بسوء ظن بأحد من خلق الله فإن ذلك من مقت الله به ومن عمي بصيرته ومن فرض

العصمة لأحد فذلك غاية الجهل بالله والمعاصي لا تغير مسلما ولا يتغير لها وإن كره فيكره الفعل لا الفاعل فإن سلطان الإيمان أقوى فإنه يكفيه في المعصية من الطاعة اعتقاده إنها معصية فالناصح نفسه ينبغي له أن يحمي باطنه من الخواطر الردية في حق المؤمنين والكافرين في الوقت لأنه لا يدري بماذا يختم لهذا الكافر المعين بالكفر في الوقت وإنما يكره الكفر من حيث هو كفر لا هذا الكافر فكيف المؤمن وكل من أساء الظن بأحد من خلق الله بلا خلاف إنه ممقوت من الله وذلك بدو الحرمان وطريق الخسران وقد قال صلّى الله عليه وسلّم (**طوبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عنْ عيوب النّاس**) وأي عيب أعظم من سوء الظن بالناس وهل يكون ذلك الا من مراقبة هذا المحروم لحركات الناس فلو اشتغل بنفسه ما تفرغ إلى النظر في غيره كما قال بعض شيوخنا وفي النفس لي شغل عن الغير شاغل، فرحم الله هذا الشيخ بما وصى به ولقد وصى بخير كثير (وقال أبو سليمان) عبد الرحمن بن عطية (الداراني) نسبة إلى داريا قرية من قرى دمشق مات بها سنة خمس عشرة ومائتين رحمه الله تعالى ورضي عنه (ربما) لإفادة التقليل إشارة إلى أن الغالب أنه يجد في الوقت شاهدين من الكتاب والسنة على ما يقع في قلبه أو في ثاني الوقت دون المدة المذكورة (تقع في قلبي) بطريق الفيض من حضرة ربي (النكتة) مشتقة من النكت بالتاء المثناة الفوقية وهو أن ينكت في الأرض بقضيب أي يضرب فيؤثر فيها والنكتة كالنقطة قاله الجوهري وفي القاموس النكتة بالضم النقطة والجمع نكات كبرام انتهى وكأنها سميت بذلك لأنها تنكت في القلب أي تؤثر فيه بلطف بلاغتها (من نكت) جمع نكتة (لقوم) وهم أهل التحقيق من السادة الصوفية والمراد مما يفتح الله تعالى على قلوبهم بطريق الفيض والإلهام من المعارف والأسرار الإلهية (أياما) أقلها ثلاثة فيتردد في قبول ذلك الواقع في قلبه أو عدم قبوله والمبادرة إلى رده حرصا على المحافظة على الإتباع واحترازا من الوقوع في الابتداع (فلا أقبل) ذلك الواقع في قلبي (منه) أي من قلبي (الا بشاهدين) أي دليلين مثبتين معنى النكتة (عدلين) أي موثقين ليس مطعونا فيها الأول (من الكتاب) أي القرآن العظيم وهو متواتر لا ضعف

في سنده إلا من حيث القراءات الشاذة والتفسير الغريب (و) الثاني من (السنة) النبوية المحمدية ومنها الصحيح وغير الصحيح وفي العقد النضيد في تحقيق كلمة التوحيد لابن الهايم رحمه الله تعالى قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا انتهى ومعنى كونه لا يقبل ذلك إلا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة على حسب ما يفتح له في معاني الكتاب والسنة ولا يلزم أن يذكر ذلك الدليل الذي فتح عليه فيه حتى يعلمه غيره ولا أن يفتح لغيره ما فتح له فيعلمه به والمقصود بيان أن علمه مقيد بالكتب والسنة كما سبق عن الجنيد البغدادي رضي الله عنه وأهل الفتح والإلهام يجدون في الكتاب والسنة من العاني الصحيحة والأحكام الرجيحة ما لا يجده غيرهم من علماء الرسوم المتحكمين فيما يجدونه بالفهوم فإن صفاء البصائر وسلامة السرائر يكشف الأسرار الخفية ويورد على القلب المعارف الإلهية فلا يتأتى نقد أحوالهم إلا لأمثالهم باعتبار نظرهم في الوقايع بالله واتكالهم في الإطلاع على الله كما قال عليه السلام (**احذروا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فإِنّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله**) ونظر علماء الغفلة والحجاب بأنفسهم المغموسة وبصائرهم المصموسة فإن إيمانهم قاصر وعقلهم حاصر فكشفهم أنوار الشمس والقمر والنجوم من أعظم المنن عليهم فلا يطمعون مع نقصانهم الذي هم فيه في كشف حقائق العلوم وهو من عدل الحي القيوم حيث تسلطوا بسوء الظن وبذاءة اللسان على من يعلمهم الله تعالى من أهل ولايته الذين لحومهم سمون والله يفصل بين الظالم والمظلوم (وقال) أبو الفيض (ذو النون المصري) واسمه ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض بن إبراهيم وكان أبوه نوبيا توفي سنة خمس وأربعين ومائتين (رحمه الله تعالى ومن علامات المحبة) من الإنسان (لله تعالى متابعة حبيب الله محمد عليه الصلاة السلام) ظاهرا وباطنا (في أخلاقه) أي طبايعه وعاداته صلّى الله عليه وسلّم فإنها من أعظم الأخلاق كما قال له الله تعالى (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** * القلم: ٤) (وأفعاله) التي كان يفعلها من القيام بحقوق الله تعالى عليه وحقوق الخلق والنصرة لدين الله تعالى (وأوامره) من قبل الله تعالى

بالفعل قطعا أو ظنا وبالكف كذلك فتدخل الفروض والواجبات والمحرمات والمكروهات (وسننه) جمع سنة وهي طريقته وسيرته صلى الله تعالى عليه وسلم التي كان عليها من تلقاء نفسه فيما لم يأمره الله تعالى به وأوحى به تعالى إليه باطنا قال الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية اعلم أن محبة الله تعالى على قسمين فرض وندب، فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الأوامر والانتهاء عن المعاصي والرضاء بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه، والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية، والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات والمتصف بذلك في عموم الأوقات والأحوال نادر وفي البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم فيما يروي عن ربه تعالى أنه قال (**مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بمثل أداء ما افْتَرَضْتُه عَلَيْهِ**) وفي رواية (**بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ من أداء ما افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وَلئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَني لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قبض نَفْسِ عبدي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مسَاءَتَهُ**) واستفيد من قوله (**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ**) أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرائض وأجيب بأن المراد من النوافل إذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده أن في رواية أبي أمامة بن آدم (**إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضته عليك**) أو يجاب بأن الإتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرائض وقال الفاكهاني معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض وداوم على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى وقد استشكل أيضا كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلى آخره، وأجيب بأجوبة منها أنه ورد

على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في إتيان أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ومنها أن المعنى أن كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلي ما يرضيني ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به، ومنها أن المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه ومنها أنه على حذف مضاف كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك إلى آخره قاله الفاكهاني قال ويحتمل معنى آخر أرق من الذي قبله وهو أن يكون بمعنى مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأتمن إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده إلا بما فيه رضائي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلماء ممن يقتدى بقوله على أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية (**فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي**) وقال الخطابي عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن أبي عثمان الحيري أحد أئمة الطريق قال معناه كنت أسرع إلى قضاء حوايجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا أسنده عنه البيهقي في الزهد انتهى وأحسن ما رأيت في قريب من معنى ذلك ما قرأته بخط أبي الطيب الغزي رحمه الله تعالى وهو فإن قيل كيف يجوز أن يتصف المخلوق بصفات الخالق ولا حلول بينهما ولا اتصال؟ الجواب انظر كيف تكسو النار صفتها الماء بواسطة الحجاب فيعود الماء في الصورة ماء وفي المعنى نارا فيفعل فعل النار في احراقها من غير أن تتحيز النار في ذات الماء ولا اتصلت به ولا مازجته ولا جانسته فهي متصلة بالصفات منفصلة بالذات وما ذلك إلا أنه بواسطة قرب الماء من النار كسته صفتها فصار محرقا فكذلك لطف الله سبحانه وتعالى بواسطة قرب عبده منه وإقباله عليه كساه الله تعالى صفته الباقية من غير تحيز ولا إتصال ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون وأنشد في المعنى:

سلم إذا ذكر اتحادا عاشق * وافطن فطور المرء ليس يزيد

فالنار يدخلها الحديد فيغتدى * نارا وذاك معاين مشهود

فإذا تخلى عن مقام وصالها * فالنار نار والحديد حديد

وفي المواهب اللدنية تضمن هذا الحديث الشريف الإلهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر أسباب محبته تعالى في أمرين أداء فرائضه والتقرب إليه بالنوافل وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله تعالى فإذا صار محبوبا لله تعالى أوجبت محبة لله له محبة أخرى فيه لله فوق المحبة الأولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والإلهام لغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الأعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته الذي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه وإن أبصر أبصر به وإن نظر نظر به وإن مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه والباء هنا للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الإخبار عنها والعلم بها فالمسألة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوايجه ومطالبه فقال **(ولئن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذنه)** أي كما وافقني في مرادي في امتثال أوامري والتقرب إلى محابي فأنا أوافقه في رغبته ورغبته فيما يسألني أن أفعله به ويستيعذني أن يناله وقوي أمر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في إماتته عبده لأنه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ولكن مصلحته في إماتته فإنه ما أماته إلا ليحييه ولا أمرضه إلا ليصحه ولا أفقره إلا ليغنيه ولا منعه إلا ليعطيه ولا يخرجه من الجنة في صلب أبيه إلا ليعيده إليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه وقال الخطابي التردد في حق الله تعالى غير جائز والبدأ عليه في الأمور غير سائغ ولكن له تأويلان أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل

به فيدعوا الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرا ثم يبدله فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله لأن الله تعالى قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه والثاني أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترددي إياهم في نفس المؤمن كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده إليه مرة بعد أخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله أنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعني باعتبار متعلقها أي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلا عن إزالة الكراهة عنه وبالجملة فلا حياة للقلب إلا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش إلا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بمحبوبهم وسكنت نفوسهم إليه واطمأنت قلوبهم واستأنسوا لقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي إليه بطريق توصله إليه ويخرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب إليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية ويرغب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا بخطره فضول لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والإنابة إليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه إلى فضاء الخلوة بربه وذكره فحينئذ يجمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربه وطلبه والشوق إليه فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله إمامه وأستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته ومبادئ أموره وكيفية نزول الوحي إليه

ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعباداته ومعاشرته لأهله وأصحابه إلى غير ذلك مما منحه الله تعالى حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه فإذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث إذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا نزلت فيه وماذا أريد بها وحظه المختص به منها من الصفاء في الأخلاق والأفعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف ولمحبة الرسول صلّى الله عليه وسلّم علامات كثيرة من اتصف بها فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه السلام للذي حده في الخمر لما لعنه بعضهم، وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلّى الله عليه وسلّم (**لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله**) فأخبر أنه يحب الله ورسوله نفي وجود ما صدر منه وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الأمر بالدعاء له وفيه أنه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله انتهى.

وذكر في فتح الصفا شرح الشفاء لابن أقبرس في لزوم محبة الله تعالى ورسوله الإقتداء بالسنة النبوية والإتباع لجميع الأحكام الشرعية قال والمراد باللزوم ههنا اللزوم عند أهل المحبة التي ينتهي الحال فيها عندهم إلى مقام الفناء فيها وسلب الاختيار مع المحبوب فهذه هي المحبة التي يلزمها ذلك وهذه محبة الخواص وأما محبة العوام فهي الواقع فيها التفاوت بالشدة والضعف إلى أن ينتهي الحال فيها إلى الذرة المشار إليها بقوله عليه السلام (**يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان**) وقد دل عليه حديث الرجل الذي حده النبي صلّى الله عليه وسلّم في الخمر حيث نهى عن لعنه وأخبر بكونه يحب الله ورسوله فأثبت له المحبة مع المعصية فإن قلت فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**) قلت هو محمول على كمال الإيمان لا سيما على مذهب من يطلق الإيمان على الأعمال (وقال) أبو نصر (بشر) بن الحارث (الحافي) أصله من مرو فسكن بغداد ومات بها سنة سبع وعشرين

ومائتين (رحمه الله تعالى رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال لي يا بشر هل تدري بم رفعك الله تعالى) في الدنيا والآخرة (من بين أقرانك) أي المماثلين لك في زمانك (قلت لا يا رسول الله) يعنى لا أعرف السبب في ذلك (قال) رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رفعك الله (بإتباعك لسنتي) ظاهرا وباطنا على وجه اليقين والإخلاص (وخدمتك) باعتقاد قلبك وعمل جوارحك وثناء لسانك ومحاماته وتأويل ما يحتمل الخطاء (للصاحين) من أهل الخصوص والعموم والصالح كل من لم يتحقق فسقه وعصيانه ولا عبرة بالشك والظان السوء من أول وهلة فاسق وكذا المتجسس والقاصد فضيحة أخيه والذي يحب أن تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا فلا عبرة بأقوالهم وشهاداتهم شرعا قال الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه روح القدس ولم أزل أبدا الحمد لله أجاهد الفقهاء في حق الفقراء السادة حق الجهاد وأذب عنهم وأحمي وبهذا فتح لي ومن تعرض لذمهم والأخذ على التعيين فإنه لا خفاء بجهله ولا يفلح أبدا انتهى وقد احترز بقوله على التعيين من الأخذ فيهم على طريقة العموم من غير تخصيص احد منهم بعينه تنبيها على النوع الفاسد منهم من غير خصوصه ليعلم المكلف أن فيهم الدخيل فيتحذر ويكون على يقظة كما هو عادة غالب الفقهاء المتقدمين ومنهم المصنف لهذا الكتاب رحمه الله تعالى بخلاف فقهاء زماننا الذين يأخذون الكلام العام الصادر من الأولين ويخصصون به فقراء زمانهم ويتحكمون فيهم بظنونهم السيئة ولهذا قال فيمن يفعل كذلك فإنه لا خفاء بجهله ولا يفلح أبدا انتهى (ونصيحتك لإخوانك) المسلمين بتبيين ما يصلح عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم على طبق السنة من غير تخصيص أحد بعينه مخافة احتمال فهمه أنه بخلاف ذلك فيتأذى واقتفاء لأثر الكتاب والسنة في كيفية ذلك البيان (ومحبتك لأصحابي) كلهم من غير طعن في أحد منهم مع السكوت عما وقع بينهم من الحروب والمخاصمات والقطع بأن ذلك كله اجتهاد منهم في الدين مثابون عليه وإن أخطأ بعضهم فيه (و) محبتك (لأهل بيتي) أي ذريتي وأقربائي من أولاد فاطمة وعلي وجعفر وعقيل وأولاد العباس وحمزة رضي الله عنهم وقد سبق بيانهم (هو) أي مجموع ما ذكر من

الأمور الأربعة إتباع السنة وخدمة الصالحين ونصيحة الإخوان ومحبة الأصحاب وأهل البيت (الذي بلغك) أي أوصلك (منازل) جمع منزل وهو موضع النزول وهي الأحوال والمقامات التي تنزلها في القرب الإلهي جملة (الأبرار) جمع بر وهو الصادق في معاملة الحق والخلق (وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) من أهل بغداد مات سنة سبع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى (كل) أمر (باطن) أي من علم الباطن وهو علم الحقائق الإلهية والمعارف الربانية (يخالفه) أمر (ظاهر) أي من الظاهر وهو علم الشرايع النبوية والأحكام المحمدية (فهو) أي ذلك الأمر الباطن شيء (باطل) لا اعتبار له لأنه وسوسة شيطانية وزخرفة نفسانية حيث خالف الظاهر وهذه المخالفة لا يعرفها غير أهل التحقيق في علمي الظاهر والباطن ولا اعتبار بعلم القاصرين لها فإنهم ربما ينكرون المعروف زعما منهم بأنه مخالفة خصوصا من لم يعرف اصطلاح الصوفية في مواجيدهم وأذواقهم (وقال) أبو عبد الله (محمد بن الفضل البلخي) ساكن سمرقند بلخي الأصل أخرج منها فسكن سمرقند ومات بها سنة تسع عشرة وثلاثمائة (ذهاب الإسلام) أي اضمحلال رسومه واستتار أنواره عن قلوب العاملين بحيث يبقى له اسم بلا رسم ويصير طبيعة بعد أن كان شريعة فلا يحكم الرجل إلا بما يستحسنه برأيه وعقله ويترك ما علمه من الشرع قانعا بجهله وذلك عند تقهقر الزمان وإنكار العلم النافع على أهل الإيمان (من أربعة أمور) الأول أنهم (لا يعملون بما يعلمون) لأنهم تعلموا العلم ليتميزوا به عن العوام ويجمعوا به الدنيا من حلال وحرام لا ليعملوا به فهم جارون على مقتضى قصدهم في ذلك والاسم علماء وأفعالهم أفعال الجهلاء بل أفعال المستهزئين بربهم كأنهم علموا دينه ليحتجوا به عليه فتراهم يقعون في الكبائر عمدا وهم معتقدون أنه غفور رحيم وأنه يسامحهم قطعا بسبب ما علموه من دينه فيزدادون مقتا على مقت وغضبا على غضب وهم لا يشعرون إلا بأنهم محسنون (و) الثاني أنهم (يعملون) في اعتقاداتهم وعباداتهم ومعاملاتهم أو في بعضها (بما لا يعلمون) من أحكام الله تعالى فيها فيتبعون عقولهم وما أدى إليه رأيهم واستحسنته نفوسهم ويأمرون بذلك غيرهم ويحاربون عليه من خالفهم وهم يعتقدون أن

ما هم فيه هو الصواب ويرجون من الله تعالى عليه غاية الثواب (و) الثالث أنهم (لا يتعلمون) من المشايخ أو الكتب (ما يعملون) به من الاعتقادات والأقوال والأفعال والأحوال وليس لهم خلوص سريرة ولا صفاء بصيرة حتى يتولى الله تعالى تعليمهم ويوفقهم لما يحبه منهم ويرضاه لهم ولا يحوجهم إلى الشيخ ولا الكتاب كما قال تعالى (**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآن** * الرحمن: ١-٢) وقال (**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** * العلق: ٤-٥) وقال (**وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ** * البقرة: ٢٨٢) ولكن بواطنهم مملوءة من الأخباث والأدناس وظواهرهم مزخرفة بأنواع اللباس لا يقدر المؤمن أن ينظر في وجوههم من قبح نياتهم وسوء طوياتهم يتقلب الواحد منهم في اليوم والليلة ألف مرة ليس لأحدهم صديق يثق به لاغتيابه له في غيابه ولا عدو يحذر منه لمداهنته له في حضوره (و) الرابع إن (الناس) المضمر ذكرهم في الثلاثة الأول (من التعلم) للعلم النافع في الدنيا بمعرفة كيفية العمل الصالح الخالي من البدعة وفي الآخرة بالنجاة من النيران والخلود في دار الجنان ورؤية الرب تعالى بالمشاهدة والعيان مع الذين أنعم الله عليهم من أهل الإيمان (يمنعون) كل من قدروا على منعه بتخويفه من العلم النافع أو ممن يعلمه ذلك أو بتزين العلم المضر في الدنيا والآخرة ترويجا لسلعتهم الكاسدة في الدنيا وتلبيسا لطريق المتقين حبا للعاجلة ورغبة في الحاضر الحاصلة فيحتقرون العلوم الشرعية ويعظمون الفشارات العقلية وهم غالب أهل زماننا هذا من غير تعيين والله أعلم بالظّالمين ثم قال المصنف رحمه الله تعالى (كل ما ذكر) أي ذكره هو (من) ابتداء (كلام سيد الطائفة) الصوفية الجنيد البغدادي رضي الله عنه على حسب ما تقدم (إلى هنا منقول) كله بحروفه من رسالة الشيخ الإمام العارف بالله تعالى عبد الكريم بن هوازن (القشيري) رحمه الله تعالى وهي رسالة كتبها إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (انظر) بعين الإنصاف واترك التعصب والاعتساف يا (أيها العاقل الطالب للحق) ليعرفه ويعمل به (إن هؤلاء) السادة المذكورين وهم الجنيد والسري وأبو يزيد وأبو سليمان الداراني وذو النون المصري وبشر الحافي وأبو سعيد الخراز ومحمد بن الفضل كلهم

(عظماء) جمع عظيم مضاف إلى (مشايخ) جمع شيخ مضاف إلى (علماء) جمع عالم مضاف إلى (الطريقة) وهي طريقة السادة الصوفية أهل العلم المؤسسة على الكتاب والسنة (وكبراء) جمع كبير مضاف إلى (أرباب) جمع رب بمعنى صاحب (السلوك إلى الله تعالى) على الكشف والعيان في مقام الإحسان (و) أرباب (الحقيقة) وهي مشاهدة الربوبية في أفعال العبودية وارتفاع الحجاب مع القيام في الأسباب (وكلهم يعظمون الشريعة المحمدية) والطريقة المصطفوية بظواهرهم وبواطنهم وكيف وهم ما وصلوا إلى مقاماتهم العالية ودرجاتهم السامية إلا بذلك التعظيم والسلوك على هذا المسلك المستقيم ولم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم من السادة الصوفية الكاملين أنه احتقر شيئا من أحكام الشريعة المطهرة ولا امتنع من قبوله بل كلهم مسلمون له مؤمنون به عالمون له عاملون به ومن طعن في أحد منهم فإنما طعن لقصور باعه في العلم عن معرفة مقام القوم والقاصر معذور بالجهل والقصور والله عليم بذات الصدور (ويبنون علومهم الباطنة) المفاضة عليهم بالفتح الرباني والإلهام الرحماني في معاني القرآن العظيم والسنة النبوية مما هو مذكور في كتبهم النافعة ومصنفاتهم الرافعة (على السيرة) أي الطريقة (الأحمدية) المنسوبة إلى نبينا أحمد صلّى الله عليه وسلّم (والملة الحنيفية) أي المائلة عن الباطل إلى الحق وهي ملة الإسلام وحاشاهم أن تخالف علومهم المذكورة لشيء من ذلك عند كل عارف وسالك بخلاف ما يدعيه الجاهل المغرور فيقتحم به المالك من المخالفة لعدم العلم والذوق والسلوك على هذه المسالك (فلا يغرنك) حيث علمت تمسك القوم بالشرايع وتقربهم إلى الله تعالى بأقرب الذرايع (طامات) جمع طامة من طم الماء طما وطموما غمر والإناء ملأه والشيء كثر حتى علا وغلب والطامة الداهية تغلب ما سواها كذا في القاموس والمراد هنا الأمور المضرة في الدين من أفعال (الجهال المتنسكين) أي المتعبدين بلا علم ولا معرفة (وشطحهم) أي مجاوزتهم الحدود الشرعية عن قصد منهم (الفاسدين) نعت للجهال وفسادهم باعتبار اعتقادهم ما ليس بحق من أمور الدين جهلا منهم بعقائد أهل السنة وقولهم ما يخالف الشريعة وعملهم الأعمال الباطلة من جهلهم المركب

وتخيلهم في أنفسهم أنهم على هدى ورشاد (المفسدين) لمن تابعهم من العوام على غير بصيرة (الضالين) أي المتحيرين في معرفة الحق المبين (المضلين) المحيرين في معرفة ذلك (لغيرهم) من الناس (بعد) متعلق بالمضلين (أن كانوا) قبل أن يضلوا غيرهم (زائغين) أي مائلين (عن الشرع القويم) إلى الدين الباطل والمذهب العاطل (ومائلين عن الصراط) أي الطريق الواضح (المستقيم) إلى صراط الجحيم (خارجين) بظواهرهم وبواطنهم (عن مناهج) جمع منهج وهو الطريق الواضح (علماء الشريعة) المحمدية لتمسكهم بأحكام عقولهم الضعيفة وآرائهم السخيفة وعلماء الشريعة يتمسكون بأحكام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم وإجماع الأمة المهديين وتعميم الدليل بحكم القياس في الثابت باليقين (ومارقين) أي متجاوزين (عن مسالك) أي طرق (مشايخ الطريقة) النبوية والسيرة الأحمدية لإعراضهم عن التأدب بآداب الشريعة وتركهم الدخول في حصونها المنيعة فهم كافرون بإنكارها مدعون الاستنارة بأنوارها ومشايخ الطريقة قائمون بالآداب الشرعية معتقدون تعظيم أحكام الله تعالى على كافة البرية ولهذا أتحفهم الله تعالى بالكمالات القدسية في المقامات الأنسية وهؤلاء المغرورون بالفشار اللابسون حلة العار الذين هم مسلمون في الظاهر وإذا حققتهم فهم كفار لم يزالوا معتكفين على أصنام الأوهام مفتونين بما يلقي لهم الشيطان من الوساوس في الأفهام (فالويل) وهو حلول الشر وكلمة عذاب وواد في جهنم كذا في القاموس (كل الويل لهم) حيث كانوا في هذه المثابة مصرين على هذه الحالة لا يعلمون أنها سوء ليرجعوا عنها ولا يخطر لهم أنهم جاهلون ليقبلوا تعليم الغير لهم ما ينفرهم منها (و) الويل كل الويل أيضا (لمن تبعهم) في حالتهم القبيحة وسيرتهم التي هي في الدنيا والآخرة فضيحة (أو حسن) بالتشديد أي حكم بأنه حسن اغترارا بهم وافتتانا بحالهم (أمرهم) أي شأنهم الذي هم عليه مما تقدم بيانه (فهم) أي هؤلاء المذكورون وأتباعهم والذين حسنوا أمرهم كلهم (قطاع طريق الله تعالى على العابدين) لله تعالى بحيث يمنعون من أراد سلوك طريق العبادة والطاعة والإخلاص والورع بأقوالهم المزخرفة وأعمالهم المتعجرفة وأحوالهم المنكوسة وآرائهم المعكوسة (يلبسون) أي

يخلطون من لبس عليه الأمر يلبسه خلطه كذا في القاموس (الحق) في كل أمر من أمور الإسلام (بالباطل) لإنكارهم شرايع الأحكام وجحودهم ما اشتمل عليه الدين من الحلال والحرام (ويكتمون الحق) الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم من عند الله تعالى إلى كافة المكلفين (وهم يعلمون) أنه الحق المبين غير أنهم قصدوا تسهيل الأمر عليهم وألفوا نسبة الكمال إليهم مع ما هم فيه من سخافة العقول وإضاعة الفروع والأصول واعلم أن هؤلاء المذكورين هنا لم يعينهم المصنف رحمه الله تعالى في طائفة مخصوصين بأعيانهم وإنما نبه على من هذا وصفهم فلا يلزم أن يكونوا موجودين بالنسبة إلى زماننا هذا وبلادنا هذه ولا يلزم عدم وجودهم أيضا فالواجب علينا أن لا نسيء الظن بأحد من الناس بعينه ونؤول الأقوال والأعمال لإخواننا المسلمين سترا عليهم ولا نتجسس عن عوراتهم وننصحهم على العموم من غير أن نظن فيهم ما نذكره لهم فضلا عن التصريح لهم بأنه فيهم ونتبع في ذلك طريقة الله ورسوله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله يعلم المفسد من المصلح ونخالف ما اصطلح عليه علماء هذا الزمان ووعاظهم من تخصيص الناس بالمقاصد في الكلام وتقريعهم وتوبيخهم وفضيحتهم على رؤوس الأنام مع التجسس والظنون السيئة في الخاص والعام واعتقادهم كل ذلك طاعة وهو من أقبح الآثام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وفي شرح اليوسفية للشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه قال ولقد رأيت والله اعلم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في النوم أو بعض المعصومين فقال لي أتدري بم نلت ما نلت من الله قلت له لا، قال باحترامك لمن يدعي أنه من أهل الله سواء كان ذلك في نفس الأمر كما ادعاه أم لا فراعى الله لك ذلك وشكره منك فأعطاك ما قد علمت وذكر أيضا قال ولله رجال ونساء جبلهم الله على الخير المحض فلا يرون أحدا إلا ويحسنون الظن به بل ما يخطر لهم فيه خاطر رديء وهذه قلوب قد خبأها الله للخير المحض فهم ينتفعون بكل أحد فمن وجد ذلك من نفسه فليشكر الله على ما منحه جعلنا الله وإخواننا ممن سلم من الوقوع في أوليائه بل من الوقوع في عامة المسلمين بمنه وكرمه

الفصل الثالث تمام الفصول الثلاثة التي اشتمل عليها الباب الأول من أبواب الكتاب الثلاثة (في) بيان (الاقتصاد) وهو ضد الإفراط ومعناه التوسط من غير تكثير ولا تقصير (في العمل) بالجوارح والأعضاء لأنواع العبادات وعليه أدلة من الكتاب والسنة أما من الكتاب فهو (الآيات) جمع آية والمذكور منها هنا سبع آيات

الآية الأولى من سورة البقرة وهي قوله تعالى (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ) يا معشر المكلفين (الْيُسْرَ) وهو السهولة يقال تيسر هذا الأمر إذا سهل ولان، ذكره الواحدي وقال الخازن أي التسهيل في هذه العبادة وهي إباحة الفطر للمسافر والمريض وفي تفسير البغوي قال الشعبي ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله عز وجل (وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) أي يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر قاله البيضاوي وقال الواحدي لأنه لم يشدد ولم يضيق عليكم قال الشعبي إذا اختلف عليك أمران فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق لأن الله تعالى يقول (**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** * البقرة: ١٨٥) روي أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بلغه أن رجلا في المسجد يطيل الصلاة فأتاه فأخذ بمنكبيه ثم قال (**إن الله رضي لهذه الأمة اليسر وكره لهم العسر**) قالها ثلاث مرات (**وإن هذا أخذ بالعسر وترك اليسر**) الآية الثانية من سورة النساء وهي قوله تعالى (يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ) فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق قاله البيضاوي وقال البغوي يسهل عليكم في أحكام الشرع وقد سهل وقد قال جل ذكره (**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ** * الأعراف: ١٥٧) وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**بعثت بالحنيفية السهلة**) وقال الواحدي يخفف عنكم في أحكام الشرع وفي جميع ما يسره لنا وسهله علينا ولم يثقل التكليف كما ثقل على بني إسرائيل وقال الخازن يعني يسهل عليكم أحكام الشرايع فهو عام في كل أحكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا إحسانا منه إلينا وتفضلا ولطفا علينا وقال أبو عبد الرحمن السلمي يخفف عنكم أثقال العبودية لعلمه بضعفكم وجهلكم وقيل يريد الله أن يخفف عنكم ما حملتموه بجهلكم من عظيم الأمانة (وَخُلِقَ الإِنسَانُ) أي جنسه من ذكر وأنثى (ضَعِيفاً) قال ابن

عباس والأكثرون يضعف عن الصبر عن الجماع ولا يصبر عن النساء ولا يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمر النساء لا يصبر عنهن فذلك أباح له نكاح الأمة أي يستميله هواه وشهوته فهو ضعيف في ذلك قاله الواحدي وقال الحسن هو أنه خلقه من ماء مهين بيانه قوله تعالى (**اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ** * الروم: ٥٤) ذكره البغوي وقال البيضاوي لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث يعني قوله تعالى قبل هذه الآية (**يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ** * النساء: ٢٦) وقوله (**وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** * النساء: ٢٧) وقوله (**يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ** * النساء: ٢٨) (**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ** * النساء: ٣١) (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ** * النساء: ٤٨) (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** * النساء: ٤٠) (**وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً** * النساء ١١٠) (**مَا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ** * النساء: ١٤٧) وقال أبو عبد الرحمن السلمي قيل ضعيف الرأي ضعيف العقل إلا من أيد بنور اليقين فقوته باليقين لا بنفسه

الآية الثالثة من سورة المائدة وهي قوله تعالى (مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ) يعني من ضيق في الدين ولكنه جعله واسعا قاله الواحدي

الآية الرابعة من سورة المائدة أيضا وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ) الطيبات أي اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل إليه القلوب قال المفسرون هم قوم من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم عزموا أن يرفضوا الدنيا ويحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل ويخصوا أنفسهم فأنزل الله تعالى هذه الآية واعلم أن الطيبات لا ينبغي أن تجتنب قاله الواحدي (وَلاَ تَعْتَدُواْ) يعني لا تجاوزوا الحلال إلى الحرام وقيل معناه ولا تعتدوا بالإسراف في الطيبات قاله الخازن وقال الواحدي وسمي الخصاء اعتداء فقال ولا تعتدوا أي لا تجبوا أنفسكم قال ابن عباس كنا نغزو مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليس لنا نساء فقلنا له ألا نستخصى فنهانا عن ذلك ثم قرأ هذه الآية (إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ) يعني المتجاوزين الحلال إلى الحرام ذكره الخازن وقال البيضاوي كأنه لما تضمن ما قبله يعني من آية طمعهم في الدخول مع القوم الصالحين وغير ذلك من مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهي عن الإفراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال (ولا تعتدوا ويجوز أن يراد به ولا تعتدوا ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم وداعية إلى القصد بينهما

الآية الخامسة من سورة الأعراف وهي قوله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) يعني قل يا محمد لهوءلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الآية قولان أحدهما وهو قول جمهور المفسرين إن المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكر الرازي أنه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلي ولولا أن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص بالتحريم على الرجال دون النساء (وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الآية أقوالا أحدها أن المراد بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم والقول الثاني وهو قول ابن عباس وقتادة أن المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس أن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الرزق وغيره وهو قول الله سبحانه (**قُلْ أَرَأَيْتُم مَا أَنزَلَ اللهُ لَكُم مِن رِزْقٍ فَجَعَلْتُم مِنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً** * يونس: ٥٩) فأنزل الله قل من حرّم الآية والقول الثالث أن الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات إلا ما ورد نص بتحريمه كذا قاله الخازن وفي هذا دلالة واضحة على إباحة نحو القهوة والتتن مما تستلذه بعض الطباع وتجد له نفعا وليس هو من المسكرات لها وليس في حرمته نص آية ولا حديث

ولا قياس على ثابت بأحدهما وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم وقال البيضاوي قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي أخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة لأن الاستفهام في من للإنكار (قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالأصالة والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع (خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) لا يشاركهم فيها غيرهم وقال الواحدي المعنى قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مشتركة وهي لهم في الآخرة خالصة وهذا قول ابن عباس والمفسرين شارك المسلمين المشركون في الطيبات في الحياة الدنيا فأكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء وقرأ نافع خالصة والمعنى قل هي ثابتة للمؤمنين في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال الخازن وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لأنه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فأعلمهم أنها خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الأحكام لهم قاله البيضاوي وقال الخازن يعني كذلك نبين الحلال مما أحللت والحرام مما حرمت لقوم علموا إني أنا الله وحدي لا شريك لي فأحلوا حلالي وحرموا حرامي

الآية السادسة من أول السورة وهي قوله تعالى (طه) اختلف في تفسيرها فقال أهل اللغة هي من فواتح السور نحو حم وألم وروي أن النبي الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع رجلا ووضع أخرى فأنزل الله تعالى طه أي طأ الأرض بقدميك جميعا وقوله (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) أي لتصلي على إحدى رجليك فيشتد عليك، وقيل طه لغة بالعجمية معناه يا رجل قال الزجاج، وقال الخازن قيل طه قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل معناه يا رجل والمراد به النبي صلّى الله عليه وسلّم وكذلك يا إنسان وقيل هو بالسريانية وقيل

بالقبطية فعلى هذا تكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا إنسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الأرض بقدميك يريد به في التهجد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال (**طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** * طه: ١-٢) وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك فنزلت مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى أي لتتعنى وتتعب وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في حقائق القرآن طه طأ الأرض هديت لبساط القربة والإنس وقال الواسطي هو مستخرج من الطاهر الهادي أي أنت طاهر بنا هادي إلينا وقال محمد بن عيسى الهاشمي طوى عن سر محمد صلّى الله عليه وسلّم الأكوان كلها بما فيها وهدي إلى الاشتغال بمكونها وقال محمد بن علي الترمذي أي طوبى لمن اهتدى بك وجعلك السبيل إلينا وقال الواسطي سمي القرآن قرآنا لأنه مقارن للمتكلم به لا يفارقه تعظيما لشأن القرآن كما وصل إلينا شعاع الشمس وحرارتها ولم تباين الفرص وقال ابن عطاء مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى أي لتتعب في خدمتنا، فكان جوابه من النبي صلّى الله عليه وسلّم زيادة تعبد واجتهاد حتى تورمت قدماه كأنه يقول وهل يشقى أحد في خدمتك ويتعب أحد وهي محل استرواح العارفين فأما هذه الحركات فهي القيام بشكر ما نالني من لذيذ قربك ومناجاتك وخدمتك والدنو منك ألا تراه عليه السلام لما قيل له أتفعل هذا وقد غفر الله كلما تقدم من ذنبك وما تأخر قاله (**أفلا أكون عبدا شكورا**)

الآية السابعة من سورة الحج وهي قوله تعالى (وَمَا جَعَلَ) أي الله تعالى (عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أي من ضيق جعل الله تعالى على من لم يستطع الشيء الذي يثقل في وقت ما هو أخف منه فجعل للصائم الإفطار في السفر وتقصير الصلاة وللمصلي إذا لم يطق القيام أن يصلي قاعدا وإن لم يطق القعود أن يومي وجعل للرجل أن يتزوج أربعا وجميع ما ملكته يمينه فوسع الله تعالى ذلك قاله الزجاج وقال الواحدي

من حرج قالوا جميعا من ضيق واختلفوا في وجه رفع الحرج فروي عن ابن عباس أنه قال جعل الكفارات مخرجا يعني من أذنب ذنبا جعل له منه مخرجا إما بالتوبة أو بالقصاص أو برد المظلمة أو بنوع كفارة فلم يبتلى المؤمن بشيء من الذنوب إلا جعل له منه مخرج وهذا رؤية الزهري عنه، وري عنه قول آخر هذا في هلال شهر رمضان إذا شك فيه الناس، وفي الحج إذا شكوا في الهلال، وفي الفطر وأشباهه حتى يتيقنوا وعلى هذا رفع الحرج يعود إلى أنا أمرنا بالأخذ باليقين عند الاشتباه وري عن أبي هريرة أنه قال لابن عباس أما علينا في الدين من حرج أن نسرق أو نزني قال بلى قوله وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قال ذلك الأمر الذي كان على بني إسرائيل وضعه الله عنكم، وقال مقاتل بن حيان يعني إباحة الرخص عند الضرورات كالقصر في الصلاة والتيمم وأكل الميتة والإفطار عند المرض والسفر وهو قول الكلبي وقال الخازن من حرج أي ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يبتلي بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها بأنواع الكفارات من الأمراض والمصائب وغير فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد سبيلا إلى الخلاص منه من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل أعطى الله هذه الأمة خصلتين لم يعطهما أحدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ وقال البيضاوي من حرج أي ضيق بتكليف ما يشتد به القيام عليكم إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه أو إلى الرجعة في إغفال ما أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام (**إذا أمرتكم بشيء فأتوا به ما استطعتم**) وأما الأدلة من السنة فهي (الأخبار) جمع خبر وهي عشرة أحاديث الأول (خ م) يعني روى البخاري ومسلم في صحيحيهما بإسنادهما (عن أنس رضي الله عنه أنه قال جاء رهط) هم من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة وما فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه وجمعه أرهط وأراهط وأرهاط وأراهيط كذا في القاموس (إلى بيوت أزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم) يعني زوجاته فالزوج اسم للمرأة وللرجل قال في القاموس الزوج البعل والزوجة (يسألون) من أزواجه صلّى الله عليه وسلّم (عن) كيفية

(عبادة النبي صلّى الله عليه وسلّم) الزائدة على ما يعلمونه منه عليه السلام مما يفعله في بيته ليلا أو نهارا إذ لا يطلع على سر الرجل في الغالب إلا زوجته (فلما أخبروا) بالبناء للمفعول أي أخبرتهم زوجاته عليه السلام عما سألوا (كأنهم تقالوها) أي أشبهت حالتهم حالة من رآها قليلة وقللها بعضهم لبعض وكانوا يعهدون أنها كثيرة مبالغ فيها على حسب ما تدعو إليه عقولهم وتستحسنه نفوسهم من اعتقاد الكمال في الإكثار وحسن التشديد على النفوس في رأيهم ثم بعد ذلك اعتذروا عن قلتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حيث (قالوا) بأن قال بعضهم إلى بعض (فأين نحن من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) أي لا تقاس نفوسنا الغير المعصومة على نفسه المعصومة ولا نعامل ربنا في عباداته مع قصورنا مقدار ما يعامل هو ربه مع كماله وكيف نفعل ذلك (و) الحال أنه (قد غفر) بالبناء للمفعول أي غفر الله تعالى بمعنى ستر وتجاوز (له) أي لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم (ما) أي جميع الذي (تقدم) في ابتداء عمره صلّى الله عليه وسلّم (من ذنبه وما) أي الذي (تأخر) منه أي جنس ذنبه الذي صدر منه بالنظر إلى رفعة مقامه صلّى الله عليه وسلّم وانكشاف عظمة الله تعالى له وهو قولهم حسنات الأبرار سيئات المقربين وإلا فالأنبياء كلهم عليهم السلام معصومون من الذنوب قبل النبوة وبعدها كما سيأتي تحقيقه (قال أحدهم) أي واحد منهم (أما أنا فأصلي) النوافل (الليل) كله (أبدا) أي مدة عمري (وقال الآخر) منهم (وأنا اصوم) الصوم النفل (الدهر كله) أي مدة عمري (ولا أفطر) ولا يوما (وقال الآخر وأنا أعتزل النساء) فلا أبيت معهن وأحفظ نفسي من اشتهائهن والميل إليهن (ولا أتزوج) شيئا منهن حرائر وإماء (أبدا) أي مدة عمري (فجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم فقال) لهم معاتبا على ما صدر منهم (أنتم الذين قلتم كذا وكذا) كناية عما سبق من قولهم ثم لم ينتظر جوابهم مسارعة لبيان الحق فقال مؤكدا بالقسم (أما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم (والله إني لأخشاكم) أي أكثركم خشية (لله تعالى) والخشية تبع للعلم كما قال تعالى (**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** * فاطر: ٢٨)

يعني العلماء به والنبي صلّى الله عليه وسلّم أعلم الخلق بالله فهو أخشاهم له تعالى (وأتقاكم) أي أكثركم تقوى (له) سبحانه وتعالى يعني فكيف تقولون مع ذلك بأني أقل أعمالا وأدنى طاعات وتعتذرون عن ذلك بأن الله تعالى غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر فلم أحتج إلى كثرة ذلك وأنتم لم يغفر الله تعالى لكم فتحتاجون إلى الكثرة (ولكني) في مقابلة ما فهمتم من حالي وأخطأتم فيه (أصوم) مرة ما بدا لي أن أصوم من غير تكلف كما كان عليه السلام يدخل على بعض أهله فيقول هل عندكن اليوم غذاء فإذا قالوا لا قال إني صائم وأمره الله تعالى أن يقول (**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ** * ص: ٨٦) (وأفطر) ما بدا لي أن أفطر أيضا كما ورد عن أسامة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يسرد الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه النسائي وعن أنس قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئا ولمسلم كان يصوم حتى يقال قد صام صام ويفطر حتى يقال أفطر أفطر وعن ابن عباس كان يصوم حتى يقول القائل لا والله لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم رواه البخاري ومسلم والنسائي (وأصلي) في ليلة (وأرقد) أي أنام عن التهجد في ليلة أخرى أو أصلي بعضا من الليل وأرقد البعض الآخر ولا أصلي الليل كله يدل عليه قول عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع إلى فراشة فإذا أذن وثب فإن كانت به حاجة اغتسل وإلا توضأ وخرج، رواه الشيخان وقالت أيضا كان عليه السلام ربما اغتسل في أول الليل وربما اغتسل في آخره وربما أوتر في أول الليل وربما أوتر في آخر وربما جهر بالقراءة وربما خفض وقالت أم سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى حتى يصبح، رواه أبو داود والترمذي والنسائي (وأتزوج) أي أعقد وربما يراد الوطئ فيشمل الأمة (النساء) وهي النسوة بالكسر والضم والنسوان والنسون بكسرهن جموع المرأة من غير لفظها كذا في القاموس وكانت نساؤه صلّى الله عليه وسلّم اللواتي تزوج بهن إحدى عشرة امرأة ستا من قريش خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت

عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع عربيات زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية وواحدة غير عربية من بني إسرائيل هي صفية بنت حيي من بني النضر، ومات عنده اثنان منهن خديجة وزينب أم المساكين ومات هو صلّى الله عليه وسلّم عن تسع وأما سراريه صلّى الله عليه وسلّم فأربعة مارية القبطية وريحانة بنت شمعون وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش وأخرى أصابها في بعض السبي وتمامه مبسوط في المواهب اللدنية للقسطلاني (فمن رغب) أي أعرض (عن سنتي) يقال رغب عنه إذا أعرض عنه ولم يرده والسنة السيرة والطريقة (فليس) محسوبا (مني) يعني أنا برئ منه (وزاد) الراوي لهذا الحديث (في رواية) أخرى عند (النسائي وقال بعضهم) أي بعض الرهط الذين جاؤا إلى أزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم يسألون عن كيفية عبادته عليه السلام أخذا عن فم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا أكل اللحم) أي لحم الحيوانات مطلقا قال المناوي في شرح الجامع الصغير، قال الغزالي وينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم قال علي كرم وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه وفي تفسير البغوي عند قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ** * المائدة: ٨٧) قال أهل التفسير ذكر النبي صلّى الله عليه وسلّم الناس ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبيوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا في الأرض فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية واسمها الحولاء وكانت عطارة (**أحق ما**

بلغني عن زوجك وأصحابه) فكرهت أن تكذب وكرهت أن تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هو وأصحابه فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا**) قالوا بلى يا رسول الله وما أردنا إلا الخير فقال عليه السلام (**إني لم أومر بذلك**) ثم قال (**إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**) ثم جمع الناس وخطبهم ثم قال (**ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان من قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع**) فأنزل الله عز وجل هذه الآية وعن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال ائذن لنا في الاختصاء فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ليس منا من خصي ولا من اختصى إن خصاء أمتي الصيام**) فقال يا رسول الله ائذن لنا في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله قال يا رسول الله ائذن لنا في الترهب فقال (**إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظار الصلاة**) وروي عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال يا رسول الله إني أصبت من اللحم فانتشرت فأخذني شهوة فحرمت اللحم فأنزل الله (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ** * المائدة: ٨٧) يعني اللذات التي تشتهيها النفوس مما أحل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وقال أبو محمد الخازن فأعلم الله عز وجل بهذه الآية أن شريعة نبيه صلّى الله عليه وسلّم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وأنه لا ينبغي أن تجنب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا

تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فإن من أعتقد تحريم شيء أحله الله فقد كفر أما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع إلى الله تعالى والتفرغ لعباداته من غير إضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير فضيلة لا منع منها بل مأمور بها

الحديث الثاني (خم) يعني روى البخاري ومسلم في صحيحيهما بإسنادهما (عن عائشة رضي الله عنها أنه) أي الشأن (صنع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيئا) لعله من المآكل اللذيذة صنع له بإذنه أو غير ذلك من أنواع المباحات ولم ينص عليه لعدم تعلق حكم بخصوصه أو لقصد التعميم في كل مباح (فرخص فيه) أي حكم بالرخصة وعدم الحرج على أحد بتعاطيه (فتنزه) أي تباعد وامتنع (عنه) فلم يرغب فيه (قوم) من الصحابة رضي الله عنهم إيثار للزهد في الدنيا وكفا لأنفسهم عن تناول شهواتها مخافة أن تبغي عليهم نفوسهم في الاسترسال مع المباحات فلا يقدرون على منعها فتوقعهم في المحرمات وعلمهم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم معصوم محفوظ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يضره فعل شيء من ذلك فلا تقاس أنفسهم على نفسه (فبلغ ذلك) التنزه الذي صدر منهم (النبي صلّى الله عليه وسلّم) فغضب غضبا شديدا فجمع الصحابة (فخطب) لهم في ذلك (فحمد الله تعالى) كما هو عادته صلّى الله عليه وسلّم في خطبه (ثم قال) بعد ذلك (ما بال أقوام) استفهام إنكار والبال الحال يعني أي شيء حال أقوام نكرهم سترا عليهم حتى لا يفتضحوا عند غيرهم فيصيروا مذمومين بذواتهم والمقصود ذم صفاتهم لا ذواتهم (يتنزهون) أي يتباعدون ويمتنعون (عن) معاطاة (الشيء الذي أصنعه) ولا يقبلون على سنتي ويرغبون في إتباعي (فوالله إني لأعلمهم) أي أكثر علما منهم (بالله) سبحانه وتعالى لكماله في مقام النبوة والرسالة وفقد النبوة منهم أصلا (وأشدهم) أي أكثرهم (له) تعالى (خشية) إذا العلم بالله سبب الخشية له فكلما كثر العلم به كثرت الخشية له كما قال تعالى (**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** * فاطر: ٢٨) وقال النووي في شرح مسلم عند قوله صلّى الله عليه وسلّم فغضب حتى بان الغضب في وجهه ثم قال (**ما بال أقوام يرغبون عما رخص**

لي فيه فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية) فيه الحث على الإقتداء به صلّى الله عليه وسلّم والنهي عن التعمق في العبادة وذم التنزه عن المباح شكا في إباحته وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الشرع وإن كان المنتهك متأولا تأويلا باطلا وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزير والإنكار في الجمع ولا يعين فاعله فيقال ما بال أقوام ونحوه وفيه أن القرب إلى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته وأما قوله صلّى الله عليه وسلّم (**فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**) فمعناه أنهم يتوهمون أن رغبتهم عما فعلت أقرب لهم عندي وأن فعلي خلاف ذلك وليس كما توهموا بل أنا أعلمهم بالله وأشدهم خشية وإنما يكون القرب إليه سبحانه وتعالى والخشية على حسب ما أمر لا بخيالات النفوس وتكلف أعمال لم يؤمر بها

الحديث الثالث (خ د) يعني روى البخاري وأبو داود في صحيحيهما بإسنادهما (عن أبي جحيفة أنه) أي النبي (صلّى الله عليه وسلّم آخى) فعل ماض من الإخاء قال في القاموس ولقد آخوت إخوة وآخيت وتآخيت وآخاه مواخاة وأخاء وأخاوة ووخاء اتخذته أودعته أخا (بين سلمان) الفارسي (و) بين (أبي الدرداء رضي الله عنهما فزار سلمان أبا الدرداء فرأى) سلمان (أم الدرداء) زوجة أبي الدرداء (مبتذلة) أي لابسة الثياب الخلقة قال في القاموس مبذلة كمكنسة ما لا يصان من الثياب كالبذلة بالكسر والثوب الخلق والمبتذل لابسه ومن يعمل عمل نفسه كالمتبذل (فقال لها ما شأنك) أي لماذا أنت لابسة الثياب العتيقة الخلقة ولم تلبسي الثياب الحسنة وتتزيني لأبي الدرداء (فقالت) له (أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا) يعني فلا يرغب في شيء من الشهوات والزينة الظاهرة (فجاء أبو الدرداء) فوجد أخاه سلمان في داره (فصنع له طعاما) ليضيفه به وقدمه إليه (فقال) أبو الدرداء (له) أي لسلمان (كل) يعني من هذا الطعام وحدك (فإني صائم قال) سلمان (ما أنا بآكل) يعني وحدي (حتى تأكل) معي (فأكل) أبو الدرداء معه مواساة لضيفه ومراعاة لحقوق الإكرام (فلما كان الليل) وقد بات سلمان في دار أبي الدرداء رضي الله عنهما (ذهب أبو الدرداء يقوم) يصلي بالليل

متهجدا (فقال) له سلمان (نم فنام) وامتثل قوله ولم يخالفه محافظة على حقوق الأخوة معه (ثم ذهب) أبو الدرداء (يقوم) من الليل أيضا (فقال) له سلمان (نم فلما كان من آخر الليل) عند ثلث الليل الأخير (قال سلمان) لأبي الدرداء (قم الآن) للصلاة (فقاما) يعني سلمان وأبا الدرداء رضي الله عنهما (فصليا) ما أقدرهما الله تعالى عليه من الصلاة ولعل اختيار هذا الوقت للقيام لما قال القرطبي في شرح مسلم الساعة التي في الليل وهي الساعة التي ينادي فيها المنادي (مَنْ يَسْأَلُني فَأَعْطِيَهُ) الحديث وهي في الثلث الأخير من الليل إلى أن يطلع الفجر وفيها ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كذا صحت الرواية هنا وهي ظاهرة في النزول المعنوي وتمامه هناك يعني نزول العطف والإحسان والإنعام والإكرام (فقال له) أي لأبي الدرداء (سلمان إن لربك) الذي خلقك (عليك حقا) لازم الأداء وهو أن تعبده لا تشرك به شيئا على حسب ما أمرك به وتكف عما نهاك عنه وقدم حق الله للاهتمام به (وأن لنفسك) التي قيامك بسببها وهي مطيتك الحاملة لك إلى الآخرة (عليك حقا) يلزمك أداؤه إذ من حق الراكب أن يحتفظ على مطيته التي تبلغه أمانيه وحوايجه في الدنيا والآخرة وقدمها على ما بعدها لأنها أهم منه إذ هي الأصل بالنسبة إليه وما قبلها أصلها (وإن لأهلك) أي زوجاتك وأولادك وأقربائك اللواتي حسن معيشتك في الدنيا بهن وانتظام حالك دائر عليهن وتسهيل سيرك إلى آخرتك منوط بهن قال في القاموس أهل الرجل عشيرته وذوو أقربائه وللبيت سكانه وللرجل زوجته كأَهْلَتِهِ (عليك حقا) بالمبيت معهن وحسن القيام عليهن بالإنفاق والحماية والرعاية وصلة الرحم والشفقة والرأفة (فأعط) وجوبا عليك شرعيا وعرفيا (كل ذي حق) من هذه الثلاثة (حقه) الذي تعين في ذمتك ولا تظلمه بمنعه حقه فيعاقبك الله تعالى يوم القيامة (فأتى) أبو الدرداء (النبي صلّى الله عليه وسلّم فذكر ذلك) أي الذي صنع سلمان وقوله الصادر منه (له) أي للنبي عليه السلام (فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم صدق سلمان) يعني في جميع ما صدر منه في حقك وفي هذا الحديث حث الإخوان في الدين على نصح بعضهم بعضا ووجوب إطاعة بعضهم بعضا في الخير والهدى والانقياد إلى الحق حيث

كان وإن الرجل الكبير إذا عرض عليه كلام من هو دونه وكان حقا في نفسه يصدقه فيه ويصوبه ولا يأبى قبوله ممن هو دونه وفيه الحث على مواخاة الإخوان الصالحين ومخالطتهم وجواز الدخول إلى بيوتهم من غير إذنهم مع المحافظة على حرماتهم وأموالهم وزوجاتهم واستحقاقهم الضيافة منهم إذا حضروا واجتمعوا بهم

الحديث الرابع (خس) يعني روى البخاري والنسائي في صحيحهما بإسنادهما (عن أنس رضيه الله عنه) أنه قال (دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المسجد) يعني مسجد المدينة (فإذا حبل ممدود بين الساريتين) أي الأسطوانتين المعهودتين هناك فكأنهما معروفتان للمخاطب (فقال) النبي صلّى الله عليه وسلّم لمن حضر (ما هذا الحبل قالوا) أي الحاضرون (حبل لزينب) بنت جحش زوجة النبي صلّى الله عليه وسلّم يعني ربطته بين الساريتين في المسجد لتستعين به على دفع النعاس عنها (فإذا فترت) أي ضعفت عن قيام الليل وتراخت أعضاؤها من هجوم النوم عليها (تعلقت به) ساعة ليذهب عنها النعاس فتنشط للصلاة (فقال) النبي (صلّى الله عليه وسلّم لا) أي لا تفعل زينب هكذا (حلوه) أي ذلك الحبل بمعنى فكوا ربطه واطرحوه (ليصل أحدكم) يعني في الليل (نشاطه) أي مقدار نشاطه ولا يكلف نفسه العبادة بالمشقة في التهجد وغيره (فإذا فتر) أي ضعف ووجد من نفسه ضد النشاط من العي والكسل (فليقعد) عن العبادة أي يتركها ومنه ذو القعدة ويكسر شهر كانوا يقعدون فيه عن الأسفار أي يتركون وفي رياض الصالحين للنووي رحمه الله تعالى وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه**) متفق عليه وعن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال كنت أصلي مع النبي صلّى الله عليه وسلّم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم قوله قصدا أي بين الطول والقصر انتهى ويناسب الأول ما قاله فقهاء الحنفية من أنه إذا غلب عليه النوم تكره له التراويح كذا في جامع الفتاوى والمجتبى والخانية بل ينصرف

حتى يستيقظ لأن في الصلاة مع النوم تهاونا وغفلة وترك التدبر ذكره والدي رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر

الحديث الخامس (د) يعني روى أبو داود بإسناده (عن أنس) بن مالك (رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لا تشددوا) أي تضيقوا الأمر يا معشر المكلفين (على أنفسكم) بارتكابكم العبادات المشقة المتعبة لكم بحيث توصلكم إلى الملالة والكسل (فيشدد) أي يضيق الأمر الذي ارتكبتموه والتزمتموه بشروعكم فيه (الله) تعالى (عليكم) لأن الشروع في النوافل ملزم بها وموجب لإتمامها كما قال تعالى (**وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ** * محمد: ٣٣) والتشديد على النفوس موصل للملالة والكسل وفي ذلك تشبه بالمنافقين كما قال تعالى فيهم (**وَإِذَا قَامُوا إِلَىَ الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَىَ** * النساء: ١٤٢) (فإن قوما) من أمة عيسى عليه السلام كانوا قبلكم (شددوا) أي ضيقوا أمر العبادة (على أنفسهم) بتكليفها المشقات والمتاعب (فشدد) بالبناء للمفعول أي شدد الله تعالى (عليهم) فألزمهم بما تكلفوه من ذلك بحيث صار النقصان منه بينهم تهاونا بطاعة الله وتكاسلا عنها (فتلك) يعني الطائفة الموجودة الآن من النصارى (بقاياهم) أي بقايا الأولين (في الصوامع) جمع صومعة قال في القاموس صومعة كجوهرة بيت للنصارى (والديار) دار وهي المحل يجمع البناء والعرصة كذا في القاموس (رهبانية) وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كأنها منسوبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان قاله البيضاوي (ابتدعوها) أي اخترعوها قال الخازن والمعنى أنهم جاؤا بها من قبل أنفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فارين من الفتنة وحملوا أنفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس بالتقلل من ذلك (ما كتبناها) أي ما فرضناها (عليهم) روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (**يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة**

نجا منهما ثلاث وهلك سائرهن فرقة وزأت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازأة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانهم يدعوهم إلى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد ورهبوا وهم الذين قال الله عز وجل وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ * الحديد: ٢٧) فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون**) وعن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على حمار فقال لي (**يا ابن أم عبد هل تدري من أين أخذت بنوا إسرائيل الرهبانية**) فقلت الله ورسوله أعلم قال (**ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق أحد للذي ندعو إليه فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى**) يعني محمدا صلّى الله عليه وسلّم (**فتفرقوا في غيران الجبال، وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر**) ثم تلا هذه الآية (**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ**) يعني من ثبتوا عليها (**أَجْرَهُم** * الحديد: ٢٧) ثم قال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي**) قلت الله ورسوله أعلم قال (**الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على القلاع**) وروى أنس عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله**) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل لملوكهم لو سمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون إلى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسهم فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونسرب كما تسرب الوحش فإن

قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا في الغيافي ونحتفر الآبار ونحتذب البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فيتعبد كما تعبد ويسيح كما ساح فلان ويتحدون كما أتحد فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم كذا نقله أبو محمد الخازن وذكر الواحدي في تفسير هذه الآية بسنده عن الزهري عن عروة قال دخلت امرأة عثمان بن مظعون على عائشة وهي باذة الهيئة فسألتها ما شأنك قالت زوجي يقوم الليل ويصوم النهار فدخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فذكرت عائشة ذلك له فلقي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عثمان فقال (**يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا فما لك فيَّ أسوة فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا**)

الحديث السادس (خ م) يعني روى البخاري ومسلم في صحيحهما بإسنادهما (عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (إن هذا الدين يسر) ضد العسر وهو السهولة يعني سهلا لا صعوبة فيه ولهذا ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما ذكره أبو بكر بن إسحاق الكلاباذيُّ في كتابه بحر الفوائد وشرح الآثار عن أبي التياح قال سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يحدث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال (**يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا وَلا تُنَفِّرُوا**) فمعنى يسروا أي اصرفوا بوجوه الناس إلى الله عز وجل في الرغبة إليه وردوهم في طلب الحوايج إلى الله ودلوهم في جميع أحوالهم على الله فإنّ اليسر كله عند الله قال تعالى (**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** * البقرة: ١٨٥) وقال (**مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ** * المائدة: ٦) ولا تعسروا أي لا تردوهم إلى المخلوقين في طلب الحوايج منهم وقضائها من عندهم فإنهم محتاجون إلى مثل ما يحتاج إليهم فيه فكأنهم يتجاذبون شيئا بينهم كل يريده لنفسه فيعسر عليكم الوصول إلى ما تتجاذبونه بينكم وقوله سكنوا تصديق لما قلنا لأن السكون هو الطمأنية وقد قال تعالى (**أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** * الرعد: ٢٨) فلا يزال قلب المؤمن في اضطراب في نيل ما يرجوه

ودرك ما يريده حتى يرده إلى الله فهناك يسكن اضطرابه ضرورة واختيارا وكذلك قوله ولا تنفروا أي لا تفرقوهم في دلالتهم على غير الله وردهم إلى سواه فتتفرق بهم المذاهب وتختلف عليهم المسالك والطرق في طلب ما يريدونه فالتنافر فرقة والسكون جمع فكان معنى قوله يسروا أي ردوهم إلى اليسر ولا تعسروا أي لا تردوهم إلى العسر وسكنوا أي اجمعوهم ولا تنفروهم أي لا تفرقوهم قال النبي صلّى الله عليه وسلّم **(من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له شمله)** هذا فيمن أراد الدنيا والآخرة فما ظنك فيمن أراد ربهما يدل على صحة هذا التأويل ما روي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أمرين إلا اختار الذي هو أيسر ويجوز أن يكون معناه اختار الذي هو لله فإنه إذا اختار ما أراد الله فقد اختار اليسر لأن الله عز وجل يريد اليسر (ولن يشاد) من المشادة وهي التشدد أي المبالغة والمخاصمة (الدين) المعهود ذكرا (أحد) من الأمة (إلا غلبه) أي قهره فمن شدد على نفسه فيه ليأخذ منه بحظ وافر طال عليه المدى فرجع إلى السهولة فغلبه الدين ولم يقدر هو أن يغلب الدين أصلا (فسددوا) سدده تسديدا قومه وسد الثلمة أصلحها ووثقها واستد استقام كذا في القاموس فالمعنى قوموا أموركم وأصلحوها ووثقوها (وقاربوا) من قارب الخطو داناه يعني أجعلوا سيركم في طريق الله تعالى وسبيل عبادته مقاربة ومداناة فلا تبالغوا في ذلك ولا تغلوا فيه (وأبشروا) يعني بالقبول من الله تعالى وبالمنازل العالية عنده ولا تظنوا إن ذلك يحصل لكم بالمبالغة والغلو دون التوسط في الأمور (واستعينوا) على أعمال دينكم ودنياكم (بالغدوة) بالضم البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداوة والغدية والجمع غدوات وغديات وغدايا وغدوا ولا يقال غدايا إلا مع عشايا وغدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتد أبكر وغاداه باكره كذا في القاموس (والروحة) من الرواح وهو العشي أو من الزوال إلى الليل ورحنا رواحا سرنا فيه أو عملنا كذا في القاموس وفي شرح المناوي على الجامع الصغير الغدوة بالفتح المرة من الغدو وهو الخروج أول النهار إلى انتصافه والروحة المرة من الرواح وهو من الزوال إلى الغروب (و) استعينوا أيضا (بشيء من الدلجة)

بالضم والفتح السير من أول الليل وقد أدلجوا فإن ساروا من آخره فادلجوا بالتشديد كذا في القاموس والمعنى في الاستعانة بذلك المبادرة إلى الأعمال والمسارعة إليها والمسابقة عليه من غير تأخر عنها في أعمال النهار ودون ذلك في أعمال الليل ولهذا قال بشيء من الدلجة ولم يقل بالدلجة (وزاد) الراوي لهذا الحديث (في رواية) أخرى (والقصد القصد) وهو ضد الإفراط كالاقتصاد كما في القاموس ومعناه التوسط في الأمور بين الإفراط والتفريط (تبلغوا) أي تصلوا إلى مقصودكم أو مقصود الله تعالى منكم من قبوله ورضوانه والحلول في فراديس جنانه وذكر الكلاباذي في بحر الفوائد قال حدثنا محمد بن أحمد القاضي عن عيسى عن جابر بن عبد الله قال مر النبي صلّى الله عليه وسلّم على رجل يصلي على صخرة بمكة فأتى ناحية مكة فمكث مليا ثم انصرف فوجد الرجل يصلي على حاله فجمع يديه ثم قال **(يَا أَيَّهَا النَّاسُ! عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ)** ثلاث مرات **(فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا)** الملال تكره يعرض للإنسان من عمل يعمله وأذى يلحقه منه وتعب يصيبه فيصير عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل استثقالا ويرفضه تضجرا منه وسآمة له وهو شيء يعرض للطبع بعد إيثاره للشيء ورغبته فيه وهذه صفة الإنسان المطبوع على طبايع مختلفة وأوصاف متباينة وأخلاق متغايرة والله جل وعز يجل عن هذه الأوصاف ويتعالى عنها علوا كبيرا فالملال ليس بصفة له ولا يجوز معناه المفهوم عندنا من أوصاف من يلحقه الملال من المحدثين عليه وهو صفة للإنسان المطبوع الذي يضعف عن تحمل ما يعرض له ويثقل عليه ويؤده الشيء ويؤذيه فمعنى قول النبي صلّى الله عليه وسلّم **(إِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا)** ليس على الغاية والتوقيت فيوصف تعالى بهذه الصفة في وقت أو عند أمر بل هو على النفي عنه والتبرئة له منه فيجوز أن يكون معنى قوله حتى تملوا وتملوا بل تملوا أي لا يمل فتمل ولا يمل بل تملون كأنه يقول الملال لكم صفة وهذه صفة لاحقة بكم إذا تكلفتم الأعمال فأكرهتم عليها نفوسكم وتحملتم ما يلحقكم من التعب فيه وصبرتم عليه فيوشك أن تضعف عنها قواكم فتستثقلوها وتضجروا منها فترفضوها استثقالا لها واستعراضا منها وزهدا فيها ورغبة عنها وبغضا لها فلا تعودوا إليها والله تعالى جده لا تصيبه هذا الآفات ولا

تعرض له العوارض فلا يصرفكم عما تكلفون ولا ينهاكم عما تعملون ولا يحول بينكم وبينها كراهة لها واستثقالا منه إياها وبغضا لها بل يصيبكم ذلك فتتركون عبادة ربكم وتستثقلون خدمة مولاكم وتبغضون طاعة ربكم، كما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى**) أي المركب المنبت بمعنى المنقطع من كثرة العدو عليه لا قطع الأرض المقصود قطعها لبعد مسافتها ولا أبقى ظهره مستريحا قابلا للسير عليه بعد ذلك وهو مثل مضروب للمبالغة في العبادة لا يصل بكثرة عبادته إلى غاية مقصوده ولا يقدر أن يدوم على السير كذلك بل مآله أن يعجز ويترك من التعب والملل وقول النبي صلّى الله عليه وسلّم (**عليكم بالقصد**) كره التعمق والغلو في الدين لما علم من جبلة الخلق على الضعف وما في طباعهم من الملالة والسامة خوفا عليهم أن يبغضوا عبادة الله ويستثقلوا طاعته ويملوا خدمته فأمرهم بالاستجمام والاستراحة لاسترجاع القوى وزوال الضجر ويكون ذلك أدعى لهم إلى حسن الطاعة لله ومحبة الخدمة له وألف عبادته، كما قال (**لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وآتي النساء إلا فمن رغب عن سنتي فليس مني ألا وكل قليل في سنة خير من كثير في بدعة**) وقال عليه السلام لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما (**إن لله عليك حقا ولبدنك عليك حقا ولأهلك عليك حقا**) وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما أني أنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي فعد وأحتسب نومه طاعة لله وخدمة له كما أحتسب قيامه وصلاته لأن النوم حق البدن وقد أوجب الله تعالى هذا الحق فإيفاؤه إياه طاعة لله ولأن في نومته استجلاب القوة لقومته وتشحيذا لطباعه وحثا منه لنفسه على طاعة ربه وتحبيب عبادة الله إلى نفسه لأن الله جل وعز أحب من عباده أن يحبوه ويؤثروه ويقبلوا عليه ولذلك كلفهم الأعمال ليشتغلوا بها عما دونه ويقبلوا بها عليه ويتوجهوا بأدائها إليه فإذا تحملوا منها فوق طاقتهم ملوا فتركوها وفي تركها ترك الإقبال عليه والتوجه إليه جل وعز وهو غني عن أفعال عباده لا تزيده طاعتهم ولا تنقصه معصيتهم وإنما أراد منهم إظهار فقرهم إليه ورؤية اضطرارهم وعجزهم ليعينهم ويقويهم ويجعلهم ملوكا خالدين

وأغنياء لا يفتقرون وأقوياء لا يضعفون سبحانه اللطيف بعباده الرؤوف بهم ويجوز أن يكون معنى قوله أن الله لا تملوا أي لا يترك ثوابكم والإقبال عليكم وقبولا لأعمالكم المدخولين فيها ما لم تملوا طاعته وتستثقلوا خدمته وتبغضوا عبادته كأنه يقول الله عز وجل يقبل عليكم وإن قصرتم في عبادته ويقبل يسير أعمالكم ويثيبكم عليها الجزيل مادمتم فيها راغبين ولها مريدين وبنياتكم إليها قاصدين وإن لم تبلغوا إرادتكم فيها ومقاصدكم منها وإنما يترك ثوابكم والإقبال عليكم والقبول لكم إذا أعرضتم عنها ومللتموها

الحديث السابع (زطب حب) يعني روى البزار والطبراني وابن حبان بإسنادهم (عن ابن عباس رضي الله عنهما) أي عنه وعن أبيه العباس عم النبي عليه السلام (أنه) أي ابن عباس (قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إن الله) سبحانه وتعالى (يحب أن تؤتى رخصه) جمع رخصة بضمة وبضمتين ما رخص الله للعباد فيما يخففه عليه كذا في القاموس، وفي التلويح الرخصة اسم لما بني على أعذار العباد وهو ما يستباح مع قيام المحرم، وذكر أبو اليسر أن الرخصة ترك المؤاخذة بالفعل مع قيام المحرم وحرمة الفعل وترك المؤاخذة بترك الفعل مع وجود الموجب والوجوب، وفي الميزان أن الرخصة اسم لما يغير عن الأمر الأصلي إلى تخفيف وتيسير ترفيها وتوسعة على أصحاب الأعذار، وفي مرآة الأصول شرح مرقاة الوصول قال في الرخصة وهي أنواع أربعة نوعان من الحقيقة أي رخصة حقيقة لكن أحدهما أحق بكونه رخصة من الآخر ونوعان من المجاز أي يطلق عليهما اسم الرخصة مجازا لكن أحدهما أتم في المجازية من الآخر أي أبعد من حقيقة الرخصة قال في المنار وشرحه لابن ملك أما أحق نوعي الحقيقة فما أستبيح مع قيام السبب المحرم وقيام الحرمة والمراد من الاستباحة أن يعامل معاملة المباح في سقوط المؤاخذة لا أنه يصير مباحا فلا يلزم من سقوط المؤاخذة ثبوت الإباحة فإن الكبير إذا عفيت عن مرتكبها لا تصير مباحة مع عدم المؤاخذة عليها وذلك كترخص من أكره بما يخاف على نفسه أو على عضو منه على أجراء كلمة الكفر فإنه رخص له الإجراء على اللسان وقلبه مطمئن بالإيمان لأن حقه في نفسه يفوت عند الامتناع صورة ومعنى

أما صورة فبتخريب البنية وأما معنى فبزهوق الروح والإقدام عليها لا يفوت حق الله تعالى معنى لأن الركن الأصلي هو التصديق وكذلك إذا أكره الصائم على الإفطار يباح له الإفطار لأنه إذا امتنع وقتل يفوت حقه صورة ومعنى إذا أقدم على الفطر يفوت حق الله تعالى صورة لأنه يفوت إلى بدل وهو القضاء فكان له رخصة في الفطر رجحان حقه وكذلك إذا أكره على إتلاف مال الغير رخص له ذلك لرجحان حق نفسه وحق الغير لا يفوت لإنجباره بالضمان وكذلك إذا خاف على نفسه رخص له ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه لو أقدم يفوت حقه صورة ومعنى ولو ترك يفوت حق الله تعالى صورة لا معنى لأن اعتقاد حرمة الترك باق وكذلك جناية المكره المحرم على إحرامه وتناول المضطر طعام الغير بأن أصابته مخمصة حيث يرخص له ذلك بالضمان وحكم هذا النوع من الرخصة أن الأخذ بالعزيمة أولى لبقاء المحرم والحرمة حتى لو صبر واحتمل ما أكره به وامتنع عما هو الرخصة وقتل كان شهيدا لكونه باذلا نفسه لإقامة حق الله تعالى والنوع الثاني من الرخصة ما استبيح مع قيام السبب المحرم لكن الحكم وهو الحرمة متراخ عنه أي عن السبب إلى زمان زوال العذر فمن حيث أن السبب قائم كانت الرخصة حقيقة ومن حيث أن الحكم متراخ غير ثابت في الحال كان هذا القسم دون الأول وذلك كإفطار المسافر مع قيام السبب وهو قوله تعالى (**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** * البقرة: ١٨٥) وحكم هذا النوع أن الأخذ بالعزيمة أولى لكمال سببه وهو شهود الشهر حتى كان الصوم في السفر أفضل من الإفطار إلا أن يضعفه الصوم يعني إذا أضعفه الصوم كان الفطر أولى ولو صبر حتى مات كان آثما لأنه لو بذل نفسه لإقامة الصوم كان قاتلا نفسه من غير تحصيل المقصود بالصوم وهو الارتياض بخدمة المولى وأما أتم نوعي المجاز فهو ما سقط عنا ولم يشرع في حقنا من الإصر وهو الأعمال الشاقة كقتل النفس في التوبة وقطع الأعضاء الخاطئة وعدم جواز صلاتهم في غير مساجدهم وعدم التطهير بغير الماء وحرمة أكل الصائم بعد النوم ومنع الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب أحدهم على الباب بالصبح والأغلال وهي

المواثيق اللازمة لزوم الغل، كما روي أن بني إسرائيل كانوا إذا قاموا يصلون لبسوا المسوح غلوا أيدهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة فهذه الأمور رفعت عن هذه الأمة تكريما للنبي صلّى الله عليه وسلّم فسمي ما حط عنا من الإصر والأغلال التي وجبت على من قبلنا رخصة مجازا لأن الأصل وهو العزيمة وهي الإصر والأغلال لم يبق مشروعا أي لم يجب علينا وسقط عنا تخفيفا بالنظر إلى غيرنا **والنوع الرابع** من أنواع الرخص ما سقط عن العباد بإخراج سببه من أن يكون موجبا للحكم في محل الرخصة مع كون ذلك الساقط مشروعا في بعض الأوقات فمن حيث أنه سقط في محل الرخصة كان نظير القسم الثالث وكان مجازا إذ ليس في مقابلته عزيمة ومن حيث أنه بقي السبب والحكم مشروعا في بعض الأوقات أخذ شبها بالحقيقة ولكن جهة المجاز غالبة لأن جهة المجاز بالنظر إلى محل الرخصة وشبه الحقيقة بالنظر إلى غير محلها فكانت جهة المجاز أقوى قال في شرح مرقاة الوصول كالخمر والميتة للمضطر والمكره فإن حرمة تناولهما ساقطة في حقهما بخوف الهلاك على النفس حتى لم تبق مشروعة عندنا وتبدلت بالإباحة حتى إذا صبر ومات أثم إن علم بالإباحة في هذه الحالة لأن في انكشاف الحرمة خفاء فيعذر بالجهل كذا ذكره الإمام الأسبيجابي وقال في التلويح في أكل الميتة وشرب الخمر حال الاضطرار فإن المختار عند الجمهور أنه مباح والحرمة ساقطة لا أنه حرام رخص فيه بمعنى ترك المؤاخذة إبقاء للمهجة كما في إجراء كلمة الكفر وأكل مال الغير عل ما ذهب إليه البعض أما في أكل الميتة فلأن النص المحرم لم يتناولها حالة الاضطرار لكونها مستثناة فبقيت مباحة بحكم الأصل وبمثل قوله تعالى (**خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً** * البقرة: ٢٩) بل عند القائلين بأن الاستثناء من الإثبات نفي يكون النص دالا على عدم حرمتها حالة الاضطرار ثم بسط الكلام في ذلك وقال في شرح مرقاة الوصول وكقصر المسافر فإنه رخصة إسقاط عندنا فإتمام المسافر بنية الظهر لا يجوز كإتمام الفجر وبنية الظهر والنفل إساءة وترك القعدة الأولى مفسد وكذلك مسح المتخفف فإن غسل

الرجل الذي هو عزيمة سقط في مدة المسح رخصة لأن استتار القدم بالخف يمنع سراية الحدث إلى القدم فثبت أن الغسل ساقط وأن المسح شرع لليسر ابتداء لا على معنى أن الواجب من غسل الرجل يتأدى بالمسح إذ لو كان كذلك لما اشترط كون الرجل طاهرة وقت اللبس ولا كون أول الحدث بعد اللبس طاريا على طهارة كاملة كما في المسح على الجبيرة لأن المسح يصلح رافعا للحدث الساري إلى القدم وأن الشرع أخرج السبب الموجب للحدث من أن يكون عاملا في الرجل ما دامت مستترة بالخف وجعله مانعا من سراية الحدث إلى القدم وحكم هذا القسم من الرخصة أن العزيمة لا تبقى مشروعة فيه مادام متخففا فإن رأى المسح ولم يمسح أخذا بالعزيمة يثاب باعتبار النزع والغسل (كما تؤتى عزائمه) جمع عزيمة من عزم على الأمر أراد فعله وقطع عليه أو جد فيه وعزمه من عزمات الله حق من حقوقه أي واجب مما أوجبه وعزائم الله فرائض التي أوجبها كذا في القاموس وفي شرح مرقاة الوصول والعزيمة ما شرع ابتداء غير مبني على أعذار العباد وهي فرض وواجب وسنة ونفل وحرام ومكروه ومباح وتمامه مفصل في كتب الأصول بما ذكره يطول والحاصل أن الرخص أحكام الله تعالى كما أن العزائم أحكامه أيضا وهو تعالى يحب طاعته بالعمل بأحكامه على كل حال ويلزم من هذا أن يبغض مخالفته سبحانه بالعمل بأحكام النفس والهوى والشيطان وليست الرخص من أحكام النفس ولا الهوى ولا الشيطان حتى يبغضها سبحانه وإن كان فيها تسهيل على النفوس وتوسيع عليها فإنه تسهيل وتوسيع من قبل الحق تعالى لا هو من قبل النفوس حتى يكون مذموما كما قال تعالى (**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** * البقرة: ١٨٥) لكن نقل الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرح الجامع الصغير أنه لا يجوز تتبع الرخصة بأن يأخذ من كل مذهب الأهون بحيث تنحل ربقة التكليف من عنقه، خلافا لابن عبد السلام حيث أطلق جواز تتبعها وقد يحمل كلامه على ما إذا تتبعها على وجه لا يصل إلى الانحلال المذكور ونقل عن السبكي في المنتقل من مذهب إلى آخر، إن قصد الرخصة فيما يحتاجه لحاجة لحقته أو ضرورة أرهقته يجوز وإن قصد مجرد

الترخص فيمتنع لأنه لهواه لا الدين وإن أكثر ذلك وجعل إتباع الرخص ديدنه يمتنع لما ذكر ولزيادة فحشه انتهى ولنا رسالة مستقلة في مسألة التقليد سميناها خلاصة التحقيق بينا فيها حكم مذهبنا في جواز التقليد وما يمتنع منه وليس من الرخص التي يجوز فعلها الحيلة إذا وردت على تحليل حرم أو تحريم حلال كما ذكر ذلك العلامة بن العز الحنفي في رسالة له صنفها في بيان الإقتداء بالإمام المخالف للمذهب قال فيها ومما يجب الاحتراز منه لقصور الفهم عن الأئمة وعدم فهم الأدلة الشرعية فيتساهلون في الحيل في التحليل وغيره إما القصور في فهم الأدلة فظاهر وأما القصور في الفهم عن الأئمة فإنهم يسمعون عمن يقول بجواز الحيل فيسترسلون في الإكثار منها ومجاوزة الحد فيها وقد قال أبو حنيفة رضي الله عنه أنه يحجر على المفتي الذي يعلم الناس الحيل لكن قد يشكل على من يسمع هذا عن أبي حنيفة رضي الله عنه ويقول كيف يقال بالحجر على من يعلم الناس الحيل مع القول بجوازها ولا إشكال بحمد الله وإن كان قد وقع في الحيل كثير ممن ينسب إلى أبي حنيفة لظنهم أنه يقول بجواز تعاطي أسبابها وليس الأمر كذلك فإن أبا حنيفة إنما يقول لو فعل مثل هذا الفعل المحرم لترتب عليه حكمه لا إنه يقول بجواز فعله ابتداء كما يقول في البيع الفاسد لو فعل لترتب عليه حكمه بخلاف البيع الباطل لا أنه يقول بجواز الإقدام على البيع الفاسد وكما قالوا في البيع عند أذان الجمعة أنه لا يجوز فعله ولو فعل لترتب عليه حكمه ونفذ وأصل أبي حنيفة في ذلك معروف وهو أنه يفرق بين النهي عن الشيء لمعنى في عينه والنهي عنه لمعنى في غيره ومن ذلك العينة وأمثالها فإن العينة مذمومة قال الشيخ حسام الدين السغناقي في النهاية شرح الهداية في كتاب الكفالة وهذا النوع من البيع ذميم اخترعه أكلة الربا وقد ذمهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بذلك فقال (**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ واتبعتم أَذْنَابَ الْبَقَرِ ذللتم وظهر عليكم عدوكم**) وقيل (**إِيَّاكَ وَالعِينَةَ، فإِنَّهَا لَعِينَةٌ**) ومصداق هذا الحديث ما دهانا من البلاء ودهمنا من اللاواء وإذا الناس في زماننا اشتغلوا بالعين فابتلوا بهذا اللعن وبعضهم اقبلوا على الجد على الزراعة فقرعوا بقارعة ذات بأس وفظاعة

وعلماؤهم أخذوا في اقتراب أبواب السلطان فأخذوا بأنواع الافتتان (**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لم تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** * الأعراف: ٢٣) (**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ** * الدخان: ١٢) كذا ذكره الإمام المرغيناني في الفوائد خصوصا في هذا الوقت الذي نحن فيه حيث نزل بيع العينة منزلة البياعات الصحيحة بالنسبة إلى بياعات هذا الزمان فلا جرم ابتلوا ببلايا أشد مما كان البلاء فيمن قبلهم هذه عبارة السغناقي رحمه الله تعالى فالحيلة إذا كانت على تحريم حلال أو تحليل حرام أو إبطال حق أو تحقيق باطل فهي حرام بلا خلاف وإنما الخلاف في الحيلة إذا فعلت مع كونها حراما هل يترتب عليها الحكم أم لا فعند أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما يترتب عليها الحكم خلافا لمالك وأحمد رضي الله عنهما وأما قول من قال من الأصحاب أن الحيلة على إسقاط الزكاة لا تكره لأنه امتناع من الوجوب لا إسقاط بعد الوجوب يعني إذا ملّك المال قبل حولان الحول لمن يثق به ثم استرده بعد الحول فالظاهر أن هذا لم يقله أبو حنيفة فإن قولهم أنه امتناع من الوجوب إنما يكون الامتناع من الوجوب إذا ترك الاكتساب أما إذا ملك النصاب ثم ملكه قبل حولان الحول لمن يثق به فقد سعى في إسقاط الوجوب بعد انعقاد سببه فإن السبب ملك النصاب النامي ولهذا جاز تعجيل الزكاة قبل الحول والمصلحة التي شرعت لأجلها الزكاة تفوت بفتح باب الحيل على إسقاطها وكذلك المفسدة التي حرم لأجلها الربا لم ترتفع بالحيل على تحصيله وكذلك المصلحة التي شرع لأجلها الاستبراء وهي خوف اختلاط المياه واشتباه الأنساب تفوت بالحيلة على إسقاطه وكذا قال أبو حنيفة أن القضاء بشهادة الزور في العقود والفسوخ ينفذ ظاهرا وباطنا حتى لو أقام رجل شاهدي زور أنه تزوج امرأة حل له وطؤها مع حرمة تعاطي ذلك السبب الباطل فالإثم في تعاطي السبب الباطل لكن إذا وجد السبب وجد المسبب وأما ما يفعله بعض قضاة زماننا من الحكم بصحة المعاملة وإن قصد بها المداينة مع علمه بالخلاف فشيء محدث لا أصل له ولا ينبغي أن يرفع الخلاف بل من أراد إبطال تلك المعاملة أبطلها فإن قوله وإن قصد بها المداينة

معناه وإن قصد بها الربا ولا اعتبار للألفاظ بل العبرة بالمعاني وأي حكم أقبح من الإعانة على فعل المحرم فإنه إذا قال حكمت بصحة هذا الفعل إن قصد به تحليل ما حرم الله وتحقيق ما أبطله الله يكون حكمه على خلاف حكم الله في هذه القضية (**وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** * البقرة: ٢٧٥) فالحاصل إن الحيلة إذا تضمنت تحليل حرام أو تحريم حلال أو إبطال حق أو تحقيق باطل لا يفتي بها المفتي وإن كان يترتب عليها حكمها لو فعلت فإنه لا يسوغ له الإعانة على فعل المحرم قال تعالى (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** * المائدة: ٢) ويحجر على من يفتي بها من المفتين كما قال أبو حنيفة فإذا رفعت إليه قضية وهو لا يعلم أنها حيلة على إبطال حق أو تحقيق باطل حكم بها لأنه معذور حكم بالظاهر والله يتولى السرائر فمن أفتى أو حكم وهو يعلم بالحال فليعلم أنه موقوف بين يدي الله تعالى ومسؤول فليعد للسؤال جوابا والجواب صوابا انتهى كلام ابن العز رحمه الله تعالى وهو كلام حسن عند من تأمله بالإنصاف موافق للمذهب بل لأصل الدين من غير خلاف فإن الحيلة على استباحة المحرم وانتهاك حرمة الله تعالى فيه أمر قبيح جدا عند من لم يسكر بحب الدنيا والإكثار من الأموال قال خاتمة المحدثين الشيخ نجم الدين الغزي الدمشقي في كتابه حسن التنبه في التشبه ومن أعمال بني إسرائيل (**حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** * الأعراف: ١٦٣) روى الحاكم بإسناد صحيح عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وهو يقرأ في المصحف قبل أن يذهب بصره وهو يبكي فقلت ما يبكيك جعلني الله فداك قال فقال هل تعرف ايلة؟ قلت وما ايلة؟ قال قرية بها ناس من اليهود فحرم الله عليهم الحيتان يوم السبت زاد في رواية لغير الحاكم ذلك أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرتم فيه يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا فيه وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه إن أطاعوا لم يؤجروا وإن عصوا عذبوا قال الحاكم في روايته فكانت حيتانهم تأتيهم يوم سبتهم شرعا بيض سمان

كأمثال المخاض فإذا كان في غير يوم السبت لم يجدوها ولم يدركوها إلا في مشقة ومؤنة شديدة فقال بعضهم لبعض أو من قال ذلك منهم لعلها لو أخذناها يوم السبت وأكلناها في غير يوم السبت ففعل ذلك أهل بيت منهم فأخذوا وشووا فوجد جيرانهم ريح الشواء فقالوا ما نرى أصحاب بني فلان بشيء فأخذها آخرون حتى فشى ذلك فيهم وكثر فافترقوا ثلاثا، فرقة أكلت وفرقة نهت وفرقة قالت (**لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً** * الأعراف: ١٦٤) فقالت الفرقة التي نهت إنا نحذركم غضب الله وعقابه أن يصيبكم بخسف أو قذف أو ببعض ما عنده من العذاب والله لأن يأتيكم في مكان وأنتم فيه فخرجوا من السور فغدوا عليه من الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم أحد فأتوا بسبب فأسندوه إلى السور ثم رقي راق منهم إلى السور، فقال يا عباد الله قردة والله لها أذناب تعاوي ثلاث مرات ثم نزل من السور ففتح السور فدخل الناس عليهم فعرف القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة قال فيأتي الفرد إلى نسيبه وقريبه من الإنس فيحك به ويلصق به ويقول الإنسان أنت فلان فيشير برأسه أي نعم ويبكي، وتأتي القردة إلى نسيبتها فتقول لها أنت فلانة فتشير برأسها أي نعم وتبكي، فتقول لهم الإنس أما إنا حذرناكم غضب الله وعقابه أن يصيبكم بخسف أو مسخ أو ببعض ما عنده من العذاب قال ابن عباس فاسمع الله تعالى يقول (**فَأَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** * الأعراف: ١٦٥) فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة قال ابن عباس وكم قد رأينا من منكر فلم تنه عنه، قال عكرمة فقلت ما ترى جعلني الله فداك إذ كرهوا حين قالوا (**لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً** * الأعراف: ١٦٤) فأعجبه قولي ذلك وأمر لي ببردين غليظين فكسانيهما

الحديث الثامن (حد زطط خز) يعنى روى الإمام أحمد والبزار والطبراني في المعجم الأوسط وابن خزيمة بإسنادهم (عن ابن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (إن الله تبارك) أي تقدس وتنزه ضفة خاصة بالله كذا في

القاموس (وتعالى) أي ارتفع عن إدراك العقول (يحب) من أحب والمحبة في حق الله تعالى لبعض الأعمال أو الأشخاص كناية عن كمال الرضاء بذلك والإقبال عليه (أن تؤتى) بالبناء للمفعول (رخصه) جمع رخصة وتقدم معناها والمراد أنه تعالى يرضى من عبده المكلف أن يفعل ما رخصه له من الأحكام الشرعية أي سهله عليه (كما) أي مثل ما (يكره) سبحانه وتعالى أي لا يحب ولا يرضى (أن تؤتى) أي تفعل يعني يفعلها عبده المكلف (معصيته) التي نهى عنها تحريم أو كراهة وفيه إشارة إلى أنه تعالى يحب عبده إذا فعل الأفعال التي يحبها سبحانه ويكره عبده إذا فعل الأفعال التي يكرهها سبحانه وأنه تعالى يحب ما رخص في فعله كما يحب ما أمر بفعله ويكره ما نهى عن فعله فأوجب ترك معصيته من الصغائر والكبائر (زاد) الراوي على قوله إن الله يحب أن يؤتى رخصه (في رواية ابن خزيمة) أي روى ابن خزيمة في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما (كما يحب أن تترك) بالبناء للمفعول (معصيته) بدل كما يكره أن تؤتى معصيته والحاصل أن الرخص التي سهل الله تعالى على المكلفين في فعلها لا يجد الحرج في نفسه بفعلها إلا الذي ترك الدين الحق وتبع العقل والهوى قال النجم الغزي في كتابه حسن التنبه في التشبه ومن أخلاق الشيطان اللعين كراهية الرخصة والمنع منها وهو خلاف ما يحبه الله من العبد ثم أورد نحو ما هنا من الأحاديث ثم قال وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي قال مسح أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم على الخفين فمن ترك ذلك رغبة عنه فإنما هو من الشيطان، ومن هنا قال العلماء من وجد في نفسه كراهة الترخص فأخذه بالرخصة أفضل من أخذه بالعزيمة ومهما أخذ بالرخصة فلا بد أن لا يفضي به الأخذ بها إلى تتبع الرخص بأن يأخذ بالأهون من كل مذهب فإن هذا حرام وهو من خطوات الشيطان انتهى وقدمنا ما فيه من الكلام

الحديث التاسع (ططك) يعني روى مالك في الموطأ والطبراني في المعجم الكبير بإسنادهما (عن أبي الدرداء و) عن (واثلة بن الأسقع و) عن (أبي أمامة) الباهلي (و) عن (أنس) بن مالك (رضي الله عنهم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (إن الله

يحب) أي يرضى كمال الرضاء (أن تقبل) بالبناء للمفعول (رخصه) أي يقبلها عبده فيعمل بها ولا ينفر منها قلب العبد فيتساهل بها ولا يعمل إلا بما يشق عليه (كما يحب العبد) المذنب (مغفرة ربه) لذنبه حتى لا يؤاخذ ربه يوم القيامة

الحديث العاشر (خم) يعني روى البخاري ومسلم في صحيحيهما بإسنادهما (عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال أخبر) بالبناء للمفعول (رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) أي أخبره مخبر من الناس (إني أقول والله َلأَصُومَنّ النّهَارَ) حسبة لوجه الله تعالى (ولأَقُومَنّ اللّيْلَ) كله ابتغاء القرب إليه سبحانه والنجاة منه في الآخرة (مَا عِشْتُ) أي مدة عيشي أي بقائي في الحياة الدنيا، وذكر القرطبي في شرح مسلم قال حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما اشتهر وكثر ورواته فكثر اختلافه حتى ظن من لا بصيرة عنده أنه مضطرب وليس كذلك فإنه إذا تتبع اختلافه وضم بعضه إلى بعض انتظمت صورته وتناسب مساقه إذ ليس في اختلاف تناقض ولا تهاتر بل يرجع اختلافه إلى أن ذكر بعضهم ما سكت عنه غيره وفصل بعض ما أجمله غيره ثم ذكر رواية مسلم (ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر وتصلى) ثم قال هذا مما فعله عبد الله رضي الله عنه بعد أن التزمه بقوله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، كما جاء في الرواية الأخرى فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم فحكى بعض الرواة الفعل وحكى بعضهم القول (فقال رسول الله عليه وسلم) لعبد الله بن عمرو والمذكور (أَنْتَ الّذِي تَقُولُ ذَلِكَ) يعني ما تقدم من قوله لأصومن النهار ولأقومن الليل (فَقُلْتُ لَهُ بأبي وأمي) أي أفديك بهما (قَدْ قُلْتُهُ) أي ذلك الذي أخبرت به (يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ) صلّى الله عليه وسلّم (فَإِنّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ) أي لا تقدر على فعله لأن النفوس تمل بسبب نقصانها خلقة عن كمال الطاعة فلا بد من تعهدها بنوع من حظوظها لتستروح إليه ثم ترجع إلى الطاعة بنشاط فيها ولهذا شرعت صلاة التراويح وسميت بذلك للاستراحة فيها بين كل أربع وأربع بقدرها حتى أنه يكره إن لم يفعل ذلك لعدم القيام في ذلك بالنشاط غالبا وفي رواية مسلم (لا تفعل) قال القرطبي نهي عن الاستمرار في

فعل ما التزمه لأجل ما يؤدي إليه من المفسدة التي نبه عليها بقوله (فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ عَيْنَاكَ) قال المفسرون أي غارتا وتحقيقه هجمت على الضرر دفعة واحدة فإن الهجم هو أخذ الشيء بسرعة بغتة، ويحتمل أن يكون معناه هجمت العين عليه بغلبة النوم لكثرة السهر السابق فينقطع عما التزمه فيدخل في ذم من ابتدع رهبانية ولم يدمها وكما قال له (**يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَكُنْ مِثْلِ فُلاَنٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**) وفي رواية (**وَنَفِهَتْ نفسك**) أي أعيت وضعفت عن القيام بذلك كما قال في لفظ آخر (**نهكت نفسك**) (فَصُمْ) أي ما عسى أن تصوم من غير تقدير عدد في نفسك عند شروعك في الصوم حتى لا تكون داخلا تحت طاعة نفسك بل صم على حسب ما يقدره الله تعالى لك لتكون داخلا في طاعة ربك على كل حال (وَأَفْطِرْ) كذلك على حسب ما يتيسر لك من غير تقدير عدد بنفسك لتكون ربانيا لا نفسانيا وليسهل عليك أمر الطاعة لربك فيكثر الخشوع فيها وتوافق السنة كما ذكر القرطبي في شرح مسلم قال في سؤال شقيق لعائشة رضي الله عنها عن زمن صوم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعن مقداره فأجابت بهما فقالت كان يصوم حتى نقول قد صام قد صام ويفطر حتى نقول قد أفطر قد أفطر ومعنى هذا أنه كان يصوم متطوعا فيكثر ويوالي حتى يتحدث نساؤه وخاصته بصومه ويفطر كذلك ومثل هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما كان يصوم حتى يقول القائل لا يفطر حتى يقول القائل لا يصوم وبمثل هذا أخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم به عنه نفسه فقال (بل أصوم وأفطر وأقوم وأنام فمن رغب عن سنتي فليس مني) (وَنَمْ) ما عسى أن تنام ولو في الليل كله (وَقُمْ) كذلك ما عسى أن تقوم ولو في الليل كله ولا تواظب على كثرة النوم في جميع الليل ولا كثرة القيام في جميع الليالي بل كن مع تيسير ربك لك ما يريد ولا تدخل تحت اختيار نفسك لك ما تريد ولا تثقل على نفسك بالكلية ولا تخفف عنها بالكلية واسلك الحالة الوسطى يستقيم أمرك وتدوم لك الطاعة وقال النووي في شرح مسلم قال أصحابي يعني الشافعية تكره صلاة كله دائما لكل أحد وفرقوا بينه وبين صوم

الدهر في حق من لا يتضرر به ولا يفوت حقا بأن صلاة الليل كله الضرر فيها متعين انتهى وذلك لأن هذا الدين يسر لا عسر فيه كما قال الكرماني في شرح البخاري عند ذكر الحديث السابق (**لَنْ يُشادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلاَّ غَلَبَهُ**) معناه لا يتعمق أحد في الدين ويترك الرفق إلا غلب الدين عليه وعجز ذلك المتعمق وانقطع عن عمله كله أو بعضه ومعنى هذا الحديث إن الدين اسم يقع على الأعمال إذ التي توصف باليسر والعسر هي العمل والدين والإيمان والإسلام بمعنى واحد المراد منه التحضيض على ملازمة الرفق والاقتصاد على ما يطيقه العامل ويمكنه الدوام عليه وأن من شاد الدين وتعمق انقطع وغلبه الدين وقهره ويصير الدين غالبا وهو مغلوب (وَصُمْ مِنَ الشّهْرِ) أي من كل شهر أردت أن تصوم فيه (ثَلاَثَةَ أيّامٍ) وفي رواية لمسلم (من سرة الشهر) قال النووي في شرحه سرة الشيء وسطه واستحبوا أن تكون الأيام الثلاثة هي أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وقيل ابتداؤهما الثاني عشر ولعله صلّى الله عليه وسلّم لم يواظب على ثلاثة بعينها لئلا يظن تعينها ونبه بسرة الشهر وبحديث الترمذي في أيام البيض على فضيلتها وقال القرطبي لم يكن صلّى الله عليه وسلّم يعين لصوم الثلاثة زمانا مخصوصا من الشهر يدوم عليه وإنما كان يصومها مرة في أوله ومرة في آخره ومرة في وسطه ثم بسط الكلام في ذلك (فَإنّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا) يعني كل يوم صمته من الأيام الثلاثة بعشرة أيام فهذه تمام الشهر (وَذَلِكَ) أي صوم ثلاثة أيام من كل شهر (مِثْلُ صِيَامِ الدّهْرِ) حيث كانت المواظبة على ذلك باعتبار التضعيف المذكور وفي رواية المسلم (**صُمْ مِنْ كُلّ عَشْرَةِ أيّامٍ يَوْماً**) قال القرطبي وهذا موافق للرواية التي قال فيها (**صُمْ مِنْ كُلّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أيّامٍ**) وكذلك قوله في الرواية الأخرى (**صُمْ يَوْماً وَلَكَ أجْرُ مَا بَقِيَ**) وهذا الاختلاف وشبهه من باب النقل بالمعنى وقال بعضهم (**أجْرُ مَا بَقِيَ من العشر**) وهو تسعة وكذلك قال في وقوله (**صُمْ يَوْمَيْنِ وَلَكَ أجْرُ مَا بَقِيَ من العشرين**) وكذلك (**صم ثلاثة أيام ولك أجر ما بقي**) أي من الشهر وهذا الاعتبار حسن جار على قياس تضعيف الحسنة بعشر أمثالها (قُلْتُ) يعنى قال عبد الله بن عمرو والمذكور (إنّي أُطِيقُ) من الإطاقة

وهي القدرة على الشيء (أَفْضَلَ) أي أكثر (مِنْ ذَلِكَ) الذي ذكره له النبي صلّى الله عليه وسلّم (قَالَ) له النبي صلّى الله عليه وسلّم (فصُمْ يَوْماً) واحدا (وَأَفْطِرْ) بعد (يَوْمَيْنِ) وفي رواية لمسلم (**صُمْ يَوْمَيْنِ وَأفْطِرْ يَوْمَيْنِ**) قال القرطبي إنه نقله من صيام ثلاثة أيام في الشهر إلى أربعة فيه ومنها إلى صوم يومين وإفطار يومين ثم منها إلى صوم يوم وإفطار يوم وهذا محمول على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم درجه في هذه المراتب هكذا لكن بعض الرواة سكت عن ذكر بعض المراتب إما نسيانا أو اقتصارا على قدر ما يحتاج إليه في ذلك الوقت ثم في وقت آخر ذكر الحديث بكماله (قُلْتُ) أي قال عبد الله (إِنِّ أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) أي أقدر على صوم أكثر من هذا (قَالَ) صلّى الله عليه وسلّم (فَصُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْماً) وذلك لتأخذ قوتك الفائتة منك يوم صومك بيوم فطرك فتنشط بالفطر للصوم (فَذَلِكَ) أي صوم يوم وإفطار يوم (صِيَامُ دَاوُدَ) النبي (عليه الصلاة والسلام) وفي رواية المسلم (**فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ**) قال القرطبي إنما أحاله على صوم داود ووصفه بأنه كان أعبد الناس لقوله تعالى فيه (**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ** * ص: ١٧) قال ابن عباس الأيد هنا القوة على العبادة والأواب الرجاع إلى الله تعالى وإلى عبادته وتسبيحه وفي الشرعة وشرحها والمتطوع في الصوم يختار أفضل الصيام وهو صوم داود عليه السلام (كان يصوم يوما ويفطر يوما) وإنما كان ذلك أفضل لكونه أبلغ في تأثير النفس لعدم الإعياد لأن الإعتياد على الدواء يبطل أثره فإذا مرض لم ينتفع به ولأن العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت**) وفي الإحياء ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وذلك بأن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الأوسط وثلاثة من الأخير فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاصلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث (وَهُوَ) أي صوم يوم وإفطار يوم الذي هو صوم داود عليه السلام (أَعْدَلُ الصِّيَامِ) من العدل خلاف الجور أي

أكثر عدلا في معاملة النفوس من غيره لعدم الجور عليها فيه وقال القرطبي هو أعدل الصيام من حيث حفظ القوة ووجدان مشقة العبادة وإذا كان أعدل في نفسه فعند الله أفضل وأحب ولا صوم فوقه في الفضل كما جاءت هذه الألفاظ وهي كلها متقاربة في مدلولها وهو بلا شك نقل بالمعنى ومضمون هذه الألفاظ أن هذا الصوم أعدل في نفسه وأكثر في ثوابه (وفي رواية) أخرى (أفضل الصيام) يعنى أكثر فضيلة من المراتب المتقدمة (قُلْتُ) أي قال عبد الله (فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) لثقته بنفسه في الرغبة في الطاعات والإكثار منها (فقَالَ) له (رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) قال النووي في شرح مسلم اختلف العلماء فيه فقال المتولي من أصحابنا يعني الشافعية وغيره هو أفضل من السرد لظاهر الحديث وغيرهم فضل السرد وحملوا الحديث على أن ذلك في حق عبد الله بن عمرو ومن في معناه قالوا لم ينه حمزة عن السرد ولا أرشده إلى يوم ويوم ولو كان أفضل في حق الكافة لأرشده إليه فإن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز (وزاد في رواية) أخرى من روايات هذا الحديث (فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا) يعني في تقويته وتنميته لتقوم به في أعمال الدنيا والآخرة فإنه يضعف من كثرة الصوم (وَإِنَّ لِزَوْجِكَ) أي امرأتك قال في الصحاح زوج المرأة بعلها وزوج الرجل امرأته قال تعالى (**اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** * البقرة: ٣٥) (عَلَيْكَ حَقًّا) في جماعك لها إعفافا لنفسك ونفسها ورجاء حصول ولد صالح بينكما يعينك ويعينها في المهمات (وإنّ لِزَوْرِكَ) أي زائرك وهو الضيف الذي يزورك (عَلَيْكَ حَقًّا) وذلك بخدمته وإكرامه وتأنيسه وفي رواية لمسلم (**فَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ولنفسك عَلَيْكَ حَقًّا**) وفي رواية (حظا) قال القرطبي أي من الرفق بهما ومراعات حقهما وقد سمي في الرواية الأخرى الحظ حقا إذ هو بمعناه وزاد (**فإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا و لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**) وفي لفظ آخر ولأهلك مكان ولزوجك أما حق الزوجة فهو في الوطئ وذلك أنه إذا سرد الصوم ووالى القيام بالليل منعها بذلك حقها منه وأما حق الزور وهو الزائر والضيف فهو القيام بإكرامه وخدمته وتأنيسه بالأكل معه وأما الأهل فيعني به هنا الأولاد والقرابة وحقهم هو في الرفق بهم

والإنفاق عليهم ومواكلتهم وتأنيسهم وملازمة ما التزم من سرد الصوم وقيام الليل يؤدي إلى امتناع تلك الحقوق كلها ويفيد أن الحقوق إذا تعارضت قدم الأولى (وفي) رواية (أخرى) قال له النبي صلّى الله عليه وسلّم (أَلَمْ أُخْبَرْ) بالبناء للمفعول أي يخبرني مخبر (إنكَ تَصُومُ الدّهْرَ) يعني كله فلا تفطر إلا أيام الكراهة والمعنى إنك عازم على ذلك من قوله في الرواية السابقة والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت (وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ) يعني كله في (كُلَّ لَيْلَةٍ) من جميع الليالي بأن تختمه في الصلاة وغيرها (فَقُلْتُ) أي قال عبد الله (بَلَىَ يَا نَبِيَّ اللهِ) والمعنى قلت ذلك وعزمت على فعله (وإني لَمْ أُرِدْ) أي أقصد (بِذَلِكَ) المذكور من صيام الدهر وقراءة القرآن كل ليلة (إلاَّ خَيْرًا) وهو التقرب إلى الله تعالى ورجاء الثواب في الآخرة لا الرياء ولا السمعة ولا الإعجاب وحب المحمدة (وفيها) أي في هذه الرواية (قال) له صلّى الله عليه وسلّم (وَاقْرَأوا الْقُرْآنَ) من أوله إلى آخره (فِي كُلِّ شَهْرٍ) مرة وقال في شرح الشرعة وفي القنية فيه أقوال والأحسن الختم في كل شهر مرة، وفي زين العرب عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص (**اقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**) انتهى ولعل هذا وجه ما في القنية وهو المذكور هنا (قال) يعني عبد الله (قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ أنا أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) أي أقدر على أكثر من ذلك فضيلة (قال) صلّى الله عليه وسلّم له (فَاقْرَأْهُ) أي القرآن كله (فِي سَبْعٍ) أي سبع ليال والمراد أيام مع لياليهن قال القرطبي قوله (**وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**) ثم قال بعد ذلك (**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ**) ثم قال (**اقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ**) هكذا في أكثر روايات مسلم ووقع في كتاب ابن أبي جعفر وابن عيسى زيادة قال (**فَاقْرَأْهُ فِي عَشْرٍ**) وبعد ذلك قال له (**اقْرَأْهُ فِي عَشْرٍ**) ومقصود هذه الرواية بيان تجزية القرآن على ليالي الشهر بالنسبة إلى التخفيف والتثقيل فالمخفف يقرأه في كل شهر لا أقل من ذلك والمثقل لا يزيد على سبع كما قد نهاه عنه (لاَ تَزِدْ عَلَىَ ذَلِكَ) أي على السبع قال القرطبي ذهب إلى منع الزيادة على سبع كثير من العلماء واختار بعضهم قراءته في ثمان وكان بعضهم يختم في خمس وآخر في ست وبعضهم يختم في كل ليلة وكان من لم يمنع الزيادة على السبع حمل قوله

(لا تزد على) أنه من باب الرفق وخوف الانقطاع فإن أمن ذلك جاز بناء على أن ما كثر من العبادة والخير فهو أحب إلى الله تعالى والأولى، ترك الزيادة أخذا بظاهر المنع واقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يرو عنه أنه ختم القرآن كله في ليلة ولا في أقل من السبع وهو أعلم بالمصالح والأجر فضل الله يؤتيه من يشاء فقد يعطي على القليل ما لا يعطي على الكثير لا سيما وقد بنيت مصلحة القلة والمداومة وآفة الكثرة والانقطاع وقال الأسيوطي في الإتقان وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات فأكثر ما ورد في كثرة القراءة من كان يختم في اليوم والليلة ثماني ختمات أربعا في الليل وأربعا في النهار ويليه من كان يختم في اليوم والليلة أربعا ويليه ثلاثا ويليه ختمتين ويليه ختمة وقد روت عائشة ذلك وأخرج ابن أبي داود عن مسلم بن مخراق قال قلت لعائشة إن رجالا يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثا فقالت قرأ ولم يقرأ كنت أقوم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين ويليه من كان يختم في كل ثلاث وهو حسن وكره جماعات الختم في أقل من ذلك لما روى أبو داود والترمذي وصححه في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا (**لاَ يَفْقَهُ مَنْ قَرَأ الْقُرآنَ فِي أقَلّ مِنْ ثَلاثٍ**) وأخرج ابن أبي داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفا قال (**لا تقرأ القرآن في أقل من ثلاث**) وأخرج أبو عبيد عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ويليه من ختم في أربع ثم في خمس ثم في ست ثم سبع وهذا أوسط الأمور وأحسنها وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم أخرج أبو عبيد وغيره من طريق واسع بن حبان عن قيس بن أبي صعصعة وليس له غيره أنه قال يا رسول الله في كم أقرأ القرآن (**قال في خمس عشرة**) قلت إني أجدني أقوى من ذلك قال (**اقرأه في جمعة**) ويلي ذلك من ختم في ثمان ثم في عشر ثم في شهر ثم في شهرين وأخرج ابن أبي داود عن مكحول قال كان أقوياء أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرؤون القرآن في سبع وبعضهم في شهر وبعضهم في شهرين وبعضهم

في أكثر من ذلك وقال أبو الليث في البستان ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين وقال غيره تأخير ختمة أكثر من أربعين ويوما بلا عذر نص عليه أحمد لأن عبد الله بن عمر سأل النبي صلّى الله عليه وسلّم في كم يختم القرآن قال (**في أربعين يوم**) رواه أبو داود وقال النووي في الأذكار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ وكذلك من كان مشغولا بنشر العلم أو فصل الحكومات أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوات كمال وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل أو الهدرمة به في القراءة وقال في شرح الشرعة وفي قاضيخان قالوا ينبغي لحامل القرآن أن يختم القرآن في كل أربعين يوما مرة وأما سبب الاستحباب في خصوصية الأربعين فقد قيل لأن فيه من خاصية الاستكمال ما ليس في غيره من الأعداد ألا ترى أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال حكاية عن الله تعالى (**خمرت طينة آدم أربعين صباحا**) وقال عليه السلام (**إنّ خَلْق أحَدِكُم يُجْمِعُ في بَطْن أمِّه أربَعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك**) الحديث وقال تعالى (**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** * الأعراف ١٤٢) وقال عليه السلام (**مَنْ أَخْلَصَ لله أَرْبَعِينَ يَوْماً تَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِه**) ولما كان القرآن منبع جميع الحكم ينبغي للقارئ أن يخلص في كل أربعين بترتيل بعض منه في كل يوم من تلك الأربعين لينبع من ينابيع الحكمة إلى قلبه وإلى لسانه وأما الاحسنية في كل شهر فلسهولة القراءة وحساب كل يوم بجزء كل شهر يختم فعلى هذا لا يستحب الختم في أقل من شهر وإن جاز وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يختم القرآن في كل عام مرة وختم في العام الذي قبض فيه مرتين وعن المرغيناني من ختم

القرآن في السنة مرة لا يكون هاجرا فالختم سنة مؤكدة فاكتفاؤه عليه السلام بمرة ومرتين في السنة مع كمال رسوخه في القرآن وكمال تدبره لا ينافي استحباب الأكثر لغيره على أن قوله عليه السلام (**تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ**) وقوله (**اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ**) وغيرهما يدل على استحباب التكثير (قال) يعني عبد الله بن عمرو بن العاص (فشددت) أي ضيقت على نفسي في كثرة الأعمال (فشدد) بالبناء للمفعول أي شدد الله تعالى (علي) بخلقه تعالى الضعف والعجز لي عن دوام ما قصدت من تلك الأعمال الكثيرة وفي رواية لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحب إلي من أهلي ومالي (و) قد كان (قال لي النبي صلّى الله عليه وسلّم إنك لا تدري لعله يطول بك عمرك) يعني فتعجز عن القيام بهذه الأعمال الكثيرة فربما نقص رجاؤك لنقصان عملك فينقص قدرك عند الله تعالى وتسفل منزلتك لديه أو تصير الأعمال الكثيرة لسهولتها عندك عادة فلا تثاب عليها ثواب الطاعات لألفتك لها وقلة حضورك فيها (قال) يعني عبد الله (فصرت) أي وصلت (إلى) الحال (الذي قال لي النبي صلّى الله عليه وسلّم بأن طال به عمره (فلما كبرت) يقال كبر كفرح طعن في السن وكبر ككرم نقيض صغر كذا في القاموس (وددت) أي أحببت (إني كنت قبلت رخصة النبي صلّى الله عليه وسلّم) التي رخص لي في ابتداء عمري لأعتاد عليه فلا يتغير على حالي في انتهاء العمر قال القرطبي وهذا يدل من عبد الله رضي الله عنه على أنه قد التزم الأفضل مما نقله إليه النبي صلّى الله عليه وسلّم والأكثر إما بحكم التزامه الأول إذ قال لأصومن الدهر ولأقومن الليل ما عشت وإما بحكم أنه هو الحال الذي فارق النبي صلّى الله عليه وسلّم فكره ينقص أن من عمل فارق النبي صلّى الله عليه وسلّم عليه فلم ير أن يرجع عنه وإن كان قد ضعف عنه (وزاد في رواية لا صام) لا يسمى صائما من جهة أنه لا ثواب له لفعله المنهي عنه أو دعاء بعدم تسير الصوم (من صام الأبد) أي طول عمره ولم يفطر أصلا أو سوى يوم العيدين وأيام التشريق وفي المرأة سوى أيام حيضها ونفاسها (ثلاثا) أي ثلاث مرات ليتأكد حكم النهي عند المخاطب ويتبين على أتم الوجوه وقال

القرطبي في حديث (أصوم الأبد) وقد سئل صلّى الله عليه وسلّم عن صيام الأبد فقال (**لا صام ولا أفطر**) يحتمل أن يكون دعاء عليه لا أنه أخبر عنه ويحتمل أن يكون خبرا عن أنه لم يأت بشيء ووجه ذلك أن من سرد الصوم صار له عادة ولم يجد له مشقة فيعود النهار في حقه كالليل في حق غيره فكأنه ما صام إذ لم يجد ما يجده الصائم ولا أفطر لصورة الصوم وتكون لا بمعنى ما كما قال الله تعالى (**فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى** * القيامة: ٣١) وحمل كثير من العلماء هذا على ما إذا صام إلا المحرمة فأما لو أفطرها فكرهه قوم وأجازه آخرون وقال أبو الطاهر بن بشير هو مستحب وهذا أبعدها وقال النووي في شرح مسلم في أحاديث النهي عن صوم الدهر وقد اختلف العلماء فيه فذهب الظاهرية إلى منع صيامه وذهب الجمهور إلى جوازه إذا لم يصم الأيام المنهي عنها وهي العيدان وأيام التشريق وذهب الشافعي وأصحابه أن صومه إذا أفطر أيام النهي مستحب إذا لم يلحقه ضرر ولا يفوت حقا فإن وجدا فمكروه، واستدلوا بحديث حمزة ابن عمرو في الصحيحين أنه قال يا رسول الله إني أسرد الصوم فأصوم في السفر فقال (**إن شئت فصم**) ولو كان مكروها لم يقره لا سيما في السفر وكان عمر يسرد الصوم وكذلك أبو طلحة وعائشة وخلائق من المسلمين وأجابوا عن حديث (**لا صام من صام الأبد**) بأجوبة منها أنه محمول على حقيقته بأن يصوم معه العيد والتشريق وبه أجابت عائشة رضي الله عنها ومنها أنه في حق من تضرر به أو فوت حقا ومنها أنه لم يجد مشقة فهو خير لا دعاء وفي شرح الشرعة ولا يصوم أحد الدهر كله فإنه مكروه لما روى أن عمر الفاروق رضي الله عنه قال يا رسول الله كيف من يصوم الدهر كله قال (**لا صام ولا أفطر**) يعني كأنه لم يصم لأنه لم يكن بإذن الشارع فلا يثاب ولم يفطر أيضا وهو ظاهر وأما من يفطر الأيام المنهية فلا بأس عليه لأن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يصومه ولم ينكر عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر قال ويكره صوم الدهر لأنه يضعفه أو يصير طبعا له، ومبنى العبادة على مخالفة العادة كذا في فتح القدير (وزاد في رواية) أخرى (وكان) يعني عبد

الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (يقرأ على بعض أهله) أي زوجته (السبع من القرآن) وهو جزء من سبعة أجزاء منه (بالنهار) يكرره عليها ليحفظه (والذي يقرأه) عليها من السبع المذكور (يعرضه) أي يأتي به (من الليل) يعنى في صلاة الليل (ليكون) ذلك الذي يقرأه على أهله بالنهار (أخف عليه بالليل) في الصلاة فتسهل قراءته ولا يثقل عليه شيء من ذلك وفي رياض الصالحين للنووي وفي رواية قال يعني عبد الله المذكور أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته أي امرأة ولده فيسألها عن بعلها فتقول نعم الرجل من رجل لم يطألنا فراشا ولم يفتش لنا كنفا منذ آتيناه فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**الْقَنِي بِهِ**) فَلَقِيتُهُ بَعْدُ فقال (**كيف تصوم**) قلت كل يوم قال (**وكيف تختم**) قلت كل ليلة وذكر نحو ما سبق وكان يقرأ على بعض أهل السبع الذي يقرأه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل (وإذا أراد) يعني عبد الله المذكور (أن يتقوى) لضعفه بكثرة الصيام والقيام (أفطر أياما) تزيد على يومين (وأحصى) أي ضبط مقدار ما أفطر من الأيام (وصام مثلهن) في باقي ما يصوم حتى لا يكون أفطر فيما مضى له من الأيام شيئا لصيامه بدل ذلك فتكون أيام صيامه القضاء مشغولة بصيام عما مضى وإن لم يكن له فيها صوم حاضر (كراهة) أي إنما كان يفعل ذلك لأنه كره (أن يترك شيئا) من العبادة التي (فارق عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني عهد نفسه تفعله ولا تفتر عنه في زمان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه كان يقوي عليه (وفي) رواية (أخرى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) لعبد الله المذكور (إن أحب الصيام) يعني إلى الله تعالى على إرادة كثرة الثواب منه تعالى عليه ورفع درجة من يأتي به لديه (صيام داود عليه السلام) وهو صوم يوم وفطر يوم كما قدمناه (وأحب الصلاة) إلى الله تعالى أيضا (صلاة داود عليه السلام) وذلك أن داود عليه السلام (كان ينام نصف الليل الأول أو الثاني (ويقوم ثلثه) من بعد النصف الأول أو قبله (وينام سدسه) بقية النصف الآخر من آخر الليل أو من أوله فيكون جملة نومه الثلثين من الليل وقيامه الثلث ويحتمل تقديم القيام أو تأخيره أو تارة وتارة (وكان

يصوم يوما ويفطر يوما) وهو بيان لصيام داود عليه والسلام المذكور في هذه الرواية ويضارع حديث عبد الله هذا المذكور هنا ما نقله الإمام النووي في رياض الصالحين قال وعن أبي ربعي حنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب أحد كتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال كيف أنت يا حَنْظَلَةُ قلت نَافَقَ حَنْظَلَةُ قال سبحان الله ما تقول قلت نَكُونَ عِنْدَ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، يُذَكِّرُنَا بالنّارِ وَالجَنّةِ كأَنّا رَأْىَ عَيْنٍ، فَإِذَا خرجنا من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عافَسْنَا ٱلأَزْوَاجَ والأولاد والضّيْعَاتَ نَسِينَا كَثِيرا قال أبو بكر رضي الله عنه فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله عليه وسلم (وما ذاك) قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىَ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَىَ فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ، يَا حَنْظَلَةُ سَاعةً وَسَاعةً)** ثلاث مرات رواه مسلم وأما (أقوال الفقهاء) جمع فقيه وهو العالم بمذهب المجتهد في الفروع العملية والمراد فقهاء الحنفية فيما يشيرون إليه من الاقتصاد في العمل فهو كثير (قال في) كتاب (الاختيار) شرح المختار (لا يجوز الرياضة) أي تعليم النفس مكارم الأخلاق (بتقليل الأكل) الشرب (حتى) يصل إلى حالة (يضعف) معها جسده فتقل قواه الظاهرة والباطنة (عن أداء الفرائض) بحيث لا يقدر أن يؤديها قائما مع السهولة وربما لا يقدر على ضبط ركعاتها وسجداتها وتسبيحاتها لفساد خياله وفي بعض الكتب ولا تجوز الرياضة بتقليل الأكل حتى يضعف عن أداء العبادة وهي أعم من الفرائض فتشمل النوافل (قال) رسول الله صلى الله عليه سلم (لمعاذ بن جبل رضي الله عنه) يا معاذ إن نفسك (التي أنت) قائم بسببها في الحياة الدنيا وهي التي تعبر عنها بقولك أنا وهي المكلفة المخاطبة بالأمر والنهي الحالة في الجسد حلول ماء الورد في الورد وبالموت تفارق الجسد فتشرق عليه

وعلى أجزائه إذا تفرقت كإشراق الشمس على الأرض وهي في عالمها في نعيم أو عذاب أليم (مطيتك) والمطية الدابة تمطو في سيرها أي تسرع وإنما كانت نفسه مطيته لقيامه بسببها وبقاء وجوده في الدنيا مادام جسده محمولا بها وكونها مطيته مع أنه ليس غيرها باعتبار انقسامها إلى عالم ومعلوم فهي من حيث هي معلومة مطية لها من حيث هي عالمة (فأرفق بها) أي تعاهدها بما يحفظ عليها بقاءها من الشهوات المباحة مقدار الحاجة (وليس من الرفق) بها (أن تجيعها وتذيبها) حتى تضعف بقلة الإمداد فإنها مخلوقة على تركيب يقتضي المادة الطبيعية وما هي ملك يقتات بالغذاء المعنوي من التسبيح والخشوع والحضور غاية الأمر أنك لا تكثر عليها المادة الطبيعية حتى يرجع بهيمته وتوسط في رعايتها لأنك محتاج إليها مدة بقائك في عالم التكليف وقد أوصاك الله تعالى بحفظها والحذر عليها حيث قال تعالى (**وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىَ التَّهْلُكَةِ** * البقرة: ١٩٥) وقال تعالى (**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً** * التحريم: ٦) الآية ومتى تركت رعايتها وحفظها ضعفت فانقطعت عن عبادة الله تعالى بسبب ضعفها ولا يمكنك العبادة إلا بها فيلزمك مراعاة حقوقها كما تقدم في حديث سلمان رضي الله عنه وإن لنفسك عليك حقا (ولأن ترك العبادة) المفروضة والواجبة (لا يجوز) مع القدرة عليها (فكذا) لا يجوز فعل (ما يفضي) بالفاء أي يوصل (إليه) أي إلى ترك العبادة مع عدم مراعاة الحقوق النفسانية قال في الشرعة وشرحهما فرض الأكل من أعظم الفرائض لأنه قوام الخير كله لأن تحصيل الخير إنما يكون بسلامة البدن وذلك لا يتيسر إلا بالأكل وعلم الأكل والشرب مقدم على علم العبادة لأن العبادة بهما تقوم كقيام الصلاة بالطهارة في امتناعها بدونها ولكن فيه تنبيه على أن قيام العبادة بهما بحسب جرى عادة الله تعالى لا أنها تمتنع بدونهما عقلا وعدم تقديم فصل الأكل والشرب على فصول العبادة مع تقدم علمهما عليها لما أنها مقصودة بالذات وهما من الوسائط وحكي أن رجلا قال لابن سيرين علمني العبادة وآدابها قال كيف تأكل الطعام قال آكل حتى أشبع قال لا تأكل أكل البهائم بعد اذهب فتعلم الأكل والشرب أولا ثم تعلم العبادة وآدابها كذا في الخالصة وذكر الشيخ

الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر معزيا إلى الاختيار قال بعد ذكر نحو ما تقدم فأما تجويع النفس على وجه لا يفضي عن أداء العبادات فهو مباح وفيه رياضة النفس وبه يصير الطعام مشتهى بخلاف الأول فإنه إهلاك للنفس وكذا الشاب الذي يخاف الشبق لا بأس بأن يمتنع عن الأكل ليكثر شهوته على وجه لا يعجز عن أداء العبادات على ما قال صلّى الله عليه وسلّم (**فَإِنّهُ لَهُ وِجَاءٌ**) (وقال فيه أيضا) أي في الاختيار شرح المختار (الكسب) أي تحصيل أمور المعيشة على الوجه المشروع (أنواع) أربعة الأول (فرض) بحيث يثاب على فعله بالنية الصالح ويعاقب على تركه متى أمكنه وتركه (وهو الكسب) أي تحصيل (بقدر الكفاية) أي مقدار ما يكفيه ويسد حاجته (لنفسه وعياله) كزوجته وأولاده وآبائه ومن تجب عليه نفقته من حيث الأكل والشرب والكسوة والسكنى (وقضاء ديونه) فإنه فرض عليه لأصحابها إذا كان قادرا على أدائها ومن عجز فمات وكان من نيته لو قدر لأداها لا يأثم كما ذكر في البزازية أوائل كتاب الزكاة قال مات وعليه ديون إن كان من قصده الأداء لا يؤاخذ به يوم القيامة لأنه لم يتحقق المطل (ثم قال) يعني في الاختيار (فإن ترك الاكتساب) مع قدرته عليه (بعد ذلك) أي بعد تحصيل مقدار كفايته منه (وسعه) ذلك أي جاز له الترك قال الشيخ الوالد رحمه الله في شرحه على شرح الدرر قال محمد بن سماعة سمعت محمد بن الحسن يقول طلب الكسب فريضة كما أن طلب العلم فريضة وهذا صحيح لما روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال (**طلب الكسب فريضة على كل مسلم**) وقال عليه الصلاة والسلام (**طلب الكسب بعد صلاة المفروضة**) أي الفريضة بعد الفريضة ولأنه لا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به فكان فرضا لأنه لا يمكن من أداء العبادات إلا بقوة بدنه وقوة بدنه بالقوت عادة وخلقة قال الله تعالى (**وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ** * الأنبياء: ٨) وتحصيل القوت بالكسب ولأنه يحتاج في الطهارة إلى آلة الاستقاء والآنية ويحتاج في الصلاة إلى ما يستر عورته وكل ذلك إنما يحصل بالكسب والرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتسبون فآدم زرع الحنطة

وسقاها وحصدها وداسها وطحنها وعجنها وخبزها، ونوح كان نجارا وإبراهيم كان بزازا وداود كان يصنع الدروع وسليمان يصنع المكاتل من الخوص ونبينا صلّى الله عليه وسلّم رعى الغنم وكانوا يأكلون من كسبهم وكان الصديق رضي الله بزازا وعمر رضي الله عنه يعمل في الأديم وعثمان رضي الله عنه كان تاجرا يجلب الطعام فيبيعه وعلي رضي الله عنه كان يكتسب فقد صح أنه كان يؤاجر نفسه ولا يلتفت إلى جماعة أنكروا ذلك وقعدوا في المساجد أعينهم طامحة وأيديهم مادة إلى ما في أيدي الناس يسمون أنفسهم المتوكلة وليسوا كذلك متمسكون بقوله تعالى (**وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** * الذاريات: ٢٢) وهم بمعناه وتأويله جاهلون فإن المراد به المطر الذي هو سبب إنبات الزرق ولو كان الرزق ينزل من السماء لما أمرنا بالاكتساب والسعي في الأسباب قال تعالى (**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ** * الملك: ١٥) وقال تعالى (**أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ** * البقرة: ٢٦٧) وفي الحديث إن الله تعالى يقول (**يا عبدي حرك يدك أنزل عليك الرزق**) وقال تعالى (**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً** * مريم: ٢٥) وكان تعالى قادرا أن يرزقها من غير هز منها لكن أمرها ليعلم العباد أن لا يتركوا الأسباب فإن الله تعالى هو الرزاق ونظير هذا خلق الإنسان ضعيفا فإن الله تعالى قادر على خلقه لا من سبب ولا في سبب كآدم عليه السلام ويخلق من سبب لا في سبب كحواء وقد يخلق في سبب لا من سبب كعيسى عليه السلام وقد يخلق من سبب في سبب كسائر بني آدم فطلب العبد الولد بالنكاح لا ينفي كون الله تعالى هو الخالق فكذلك طلبه الزرق بأسبابه لا ينفي كون الرزاق هو الله تعالى والدلائل على ذلك كثيرة والأحاديث الواردة فيه متواترة وكتابنا هذا يضيق عن استيعابها وفي هذا بلاغ النفع كذا في الاختيار ونحوه في جامع الفتاوى انتهى قلت وهذا كلام في غاية الحسن وهو متوجه على البطالين الفارغين من الاشتغال بالخالق المشتغلين ببواطنهم بالناس وبمراقبة شهواتهم وأما من اشتغلت قلوبهم بالله تعالى وتفرغت بواطنهم لمراقبته في جميع أحوالهم العادية بحيث استسلمت قلوبهم له وان طرحت أسرارهم بين يديه فلم يطلبوا منه نعيما في

الآخرة ولم تخافوا عذابا وإنما يرجونه هو ويخافونه لا ما سواه فضلا عن الرغبة في الشهوات العاجلة فليس هذا الكلام في شأنهم وهم موجودون في الناس إن شاء الله تعالى إلى يوم القيامة ولا يجوز لأحد أن يظن في أحد يراه متوكلا بلا اشتغال بكسب في مسجد أو غيره أنه هو بعينه من القسم الذي أراده الفقهاء في أنه آثم تارك لفرض الاكتساب خصوصا إذا كان له عائلة فقراء محتاجون وهو مشتغل بالعبادة عن الاكتساب فإن مثل هذا يحتمل أن يكون من القسم الثاني الذي ذكرناه شغله الله تعالى به عما سواه وسوء الظن حرام والتجسس حرام أيضا بل كلام الفقهاء باق على حاله في حق من كان موصوفا بما ذكروه فيما يعلمه الله تعالى وكلامنا أيضا باق في حق من كان موصوفا بما ذكرناه فيما يعلمه الله تعالى وَاللّٰهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ

النوع الثاني من أنواع الاكتساب المباح بلا إثم فيه ولا ثواب عليه قد أشار إليه بقوله (وقال فيه) أي في كتاب الاختيار شرح المختار (وإن اكتسب ما يدخره) أي يبقيه إلى وقت الحاجة إليه من المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك (لنفسه وعياله) ولو الى سنين مستقبلة (وهو) يومئذ (في ساعة) أي وسعة من العيش (فقد صح) في الحديث (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أدخر قوة عياله سنة) أي حولا فلو كان ذلك مكروها لما فعله النبي صلّى الله عليه وسلّم وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير أن من مذهب أبي ذر الغفاري رضي الله عنه انه يحرم على الانسان ادخار ما زاد على حاجته من المال انتهى ويرد على مذهبه فعله عليه السلام وعن سفيان بن عيينة أنه قال ليس شيء في الحيوان يخبأ قوته إلا الإنسان والنملة والفأرة والعقعق ومن الكسب المباح اكتساب الزيادة على حاجته لأجل التجمل قال في المبتغى بالغين المعجمة من الكسب ما هو مباح للتجمل والتنعم حتى يبنى البنيان وينقش الحيطان ويشترى السراري والغلمان لقوله عليه السلام (**نعم المال الصالح للرجل الصالح**) انتهى ومحل ذلك كله إذا لم يكن للتكبر والتفاخر والتكاثر وإلا فهو من قسم الحرام والأعمال بالنيات والناس في ذلك محمولون على المحامل الحسنة ما أمكن بلا ظن سوء بهم ولا تجسس عليهم.

(و) **النوع الثالث** من الكسب (مستحب) يعني يثاب بفعله ولا يأثم بتركه (وهو) كسب (الزيادة على ذلك) أي على قدر الكفاية (ليواسي به) بالزائد مما أكتسبه يقال واساه بماله مواساة أناله منه وجعله فيه أسوة ولا يكون ذلك إلا من كفاف فإن كان من فضلة فليس بمواساة كذا في القاموس والكفاف ما كف عن الناس وأغنى وهو قدر الكفاية والمراد هنا إعلاما يكفي حتى يواسي بالزائد على الأدنى (فقيرا) أي محتاجا إلى ذلك من ذكر أو أنثى أو خنثى قريب منه أو بعيد (أو ليجازي) على قرابته أي يقابل (به قريبا) من أقاربه الأدنى أو الأباعد وهي صلة الرحم فإنها تكون بالهدية ونحوها وفي عبارة ملتقى الأبحر أو يصل به قريبا (فإنه) أي كسب الزيادة بقصد ما ذكر (أفضل من التخلي) أي التفرغ (لنفل العبادة) من صلاة تطوع أو قراءة قرآن أو نحو ذلك مما لم يفترض عليه (لأن منفعة النفل) من العبادة (تخصه) فلا يثاب بهما غير الفاعل لها (ومنفعة الكسب) على الوجه المذكور عامة (له) أي للكاسب (ولغيره) ولا شك أن النفع المتعدي أفضل من القاصر (قال صلّى الله عليه وسلّم (خير الناس من ينفع الناس) بصدقة بمال أو بكلمة حق أو بمعونة على فعل خير أو ترك شر أو بتعليم علم نافع أو بدعاء واستغفار (انتهى) كلام صاحب الاختيار

والنوع الرابع من الكسب مكروه وهو الجمع للتفاخر والبطر وإن كان من حل فقد قال صلّى الله عليه وسلّم **(من طلب الدنيا متفاخرا متكاثرا لقي الله وهو عليه غضبان)** كذا في الاختيار وسماه في ملتقى الأبحر حراما لأنه مكروه كراهة تحريم والمكروه تحريما يسمى حراما عند محمد وقال في شرح الشرعة ومما يجب أن يعتقد، أن الكسب غير مؤثر في الزرق كما أن الشبع لا يحصل بالطعام بل بخلق الله تعالى ورُبَّ أكلة لا تشبع الآكل إذا لم يقدر الله تعالى الشبع فيها ويقال الناس في الكسب على خمس مراتب منهم من يرى الزرق من الكسب فهو كافر ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ولا يعصي الله تعالى لأجل الكسب فهو مؤمن مخلص ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصي الله تعالى من أجل الكسب ولا يؤدي حقه فهو فاسق ومنهم من

يرى الرزق من الله ومن الكسب فهو مشرك ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ولا يدري أيعطيه أم لا فهو منافق شاك ذكره في مشكاة الأنوار وتنبيه الغافلين وفي الخلاصة المذهب عند جمهور العلماء والفقهاء أن جميع أنواع الكسب في الإباحة على السواء واختلف المشايخ في أن الزراعة أفضل أو التجارة فقال بعضهم التجارة أفضل وأكثر مشايخنا على أن الزراعة أفضل (وقال في) كتاب الفتاوى (التاتارخانية) في فقه الحنفية (يكره) كراهة تحريم إذ هي المحمل عند الإطلاق (أن يجتمع قوم) من الناس (فيعتزلون في موضع) كمسجد ونحوه ويمتنعون عن استعمال (الطيبات) أي الملذوذات في المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والمراكب من الخيل ونحوها (يعبدون الله) تعالى بأنواع العبادات (فيه) أي في ذلك الموضع (ويفرغون أنفسهم لذلك) أي للعبادة فقط ليلا ونهارا دون الاشتغال بشيء من المباحات في بعض الأوقات فيتركون الاكتساب من الحلال والجمعة والجماعات مع إخوانهم المسلمين فإن فهذا أمر منهي عنه كما سبق في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره (وكسب) المال (الحلال) لينفق منه على نفسه وعياله ويتصدق من فضله (و) كذلك (لزوم) صلاة (الجمعة و) الصلوات الخمس مع (الجماعات) الراتبة في المساجد التي (في الأمصار) جمع مصر وهي البلاد (أحب) من ترك ذلك (وألزم) أي أشد لزوما لافتراضه عليه في الجملة (انتهى) أي فرغ كلام التاتارخانية وفي شرح الشرعة قال عمر الفاروق رضي الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع قال أعبد فقال ومن يقوتك قال أخي، قال أخوك أعبد منك ذكره في الإحياء (فإن قلت) هذا سؤال نشأ من جملة ما تقدم (يعارض ما ذكرت) هنا من الأحاديث ونقلته عن الفقهاء من منعهم من الرياضة وكثرة المجاهدات وترك الاكتساب (ما) أي الذي (نقل) بالبناء للمفعول أي نقله العلماء في كتبهم في علم الطريقة (عن السلف) الصالحين (من شدة الرياضات) بتقليل الأكل والشرب قال في شرح الشرعة ومن المريدين من رد الرياضة إلى طي الأيام حتى انتهى

بعضهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى إليه جماعة من العلماء أيضا وقالوا من طوى أربعين يوما عن الطعام ظهر له قدرة من الملكوت أي كوشف له بعض الأسرار الإلهية وقد وقف بعض من هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في إسلامه فكلمه بكلام كثير إلى أن قال له الراهب أن المسيح كان يطوي أربعين يوما وأنه معجزة لا تكون إلا لنبي صادق فقال الصوفي فإن طويت أنا خمسين يوما تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام قال نعم، فقعد لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال أزيدك أيضا فطوى ستين فتعجب منه الراهب وقال ما كنت أظن أحدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب إسلامه وذكر القشيري في الرسالة أن سهل بن عبد الله كان لا يأكل الطعام إلا أكلة في خمسة عشر يوما فإذا دخل رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح ودخل أبو تراب الخشبي من بادية البصرة مكة فسأله أحمد بن يحي بن الجلا عن أكله فقال خرجت من البصرة فأكلت بتباح ثم بذات عرق ومن ذات عرق إليكم فقطع البادية بأكلتين وكان أبو عثمان المغربي يقول الرباني يأكل مرة في أربعين يوما، والصمداني في ثمانين يوما وذكر النجم الغزي في كتابه حسن التنبه فيما ورد في التشبه قال ومن هذا القبيل ما ذكره أبو طالب المكي في القوت وأبو حامد الغزالي في الإحياء عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يطوي ستة أيام وعن عبد الله بن الزبير أنه كان يطوي سبعة أيام وعن الثوري وابن أدهم أنهما كانا يطويان ثلاثة أيام وعن محمد بن عمر العربي وعبد الرحمن بن إبراهيم وحيم وإبراهيم التيمي وحجاج بن قرافصة وحفص العابد المصيصي والمستلم بن سعيد وزهير الباني وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وإبراهيم بن أحمد الخواص أن طيهم وصل إلى ثلاثين يوما ومن أعجب ما في هذا الباب ما روي عن سهل بن عبد الله أنه اقتات بثلث درهم في ثلاث سنوات وعن الشيخ محي الدين بن العربي أنه اقتات من أول المحرم إلى عيد الفطر بلوزة واحدة رضي الله عنه (و) من (كثرة المجاهدات) في منع نفوسهم من الشهوات في المآكل وغيره قال القشيري في رسالته حكى عن إبراهيم بن سنان أنه قال ما بت تحت سقف ولا في

موضع علو أربعين سنة وكنت أشتهي في أوقات أن أتناول شبعة عدس فلم يتفق وعن السري السقطي أنه كان يقول إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها وقيل إن عصام بن يوسف البخلي وجه شيئا إلى حاتم الأصم فقبله فقيل له لم قبلته فقال وجدت في أخذه ذلي وعزه وفي رده عزي وذله فاخترت عزه على عزي وذلي على ذله وقيل لبعضهم إني أريد أن أحج على التجريد فقال فجرد أولا قلبك عن السهو ونفسك عن الهوى ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت وقال جعفر بن نصير دفع إلى الجنيد درهما وقال اشتريه التين الوزيني فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي هاتف أما تستحي تركتها من أجله ثم تعود إليها (و) من (الاجتهاد في) أنواع (العبادات) كما روي أن أويس القرني رضي الله عنه قال والله لأعبدن الله عبادة الملائكة فكان ليلة يقطعها قائما وليلة يقطعها ساجدا وليلة راكعا وفي ذلك إشارة إلى أن أولياء الله تعالى من بني آدم تربؤ هممهم إلى التشبه بالملائكة والاقتداء بهم والتساوي معهم في الطاعات كذا ذكره النجم الغزي في كتابه حسن التنبه في التشبه وذكر القشيري أنه قيل للجنيد رضي الله عنه ممن استفدت هذا العلم فقال من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأومأ إلى درجة في داره ومعلوم أن ذلك كان بكثرة عباداته لله تعالى وقد كان رضي الله عنه يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته ونقل عن أبي الحسين النوري رضي الله عنه أنه كان يخرج كل يوم من داره ويحمل الخبز معه ثم يتصدق به في الطريق ويدخل مسجدا يصلى إلى قريب من الظهر ثم يفتح باب حانوته ويصوم فكان أهله يتوهمون أنه يأكل في السوق وأهل السوق يتوهمون أنه يأكل في بيته وبقي على هذا في ابتدائه عشرين سنة وقال يوسف بن الحسين إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجئ منه شيء وكان أبو حمزة الخراساني يقول كنت قد بقيت محرما في عباء أسافر في كل سنة ألف فرسخ تطلع علي الشمس وتغرب كلما أحللت أحرمت وعن أبي علي الثقفي إمام الوقت

أنه كان يقول لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات وعن أبي عبد الله بن خفيف أنه كان يقول ربما كنت أقرأ في ابتداء أمري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله أحد، وربما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة (كصيام الدهر) أي العمر كله (و) صيام (الوصال) أي المتابعة وإيصال اليوم باليوم من غير فطر بينهما (والقيام) بالصلاة (في كل الليالي) كما نقل عن سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه أنه كان يقول حفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي خبز الشعير إثنى عشر سنة ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة ومكثت عليه عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ذكره القشيري في رسالته وذكر أيضا عن أبي يزيد قال كنت اثنتي عشر سنة حداد نفسي وكنت خمس سنين مرآة قلبي وسنة أنظر فيما بينهما فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه اثنتي عشرة سنة ثم نظرت فإذا في باطني زنار فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطع فكشف لي فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات وكان بعض المشايخ يصلى في مسجده في الصف الأول سنين كثيرة فعاقه يوما عن الابتكار إلى المسجد عائق فصلى في الصف الأخير فلم ير بعد ذلك مدة، فسئل عن السبب فقال كنت أقضي صلاة كذا وكذا سنة صليتها وعندي أني مخلص فيها لله فداخلني يوم تأخري عن المسجد من شهود الناس إياي في الصف الأخير نوع خجل فعلمت أن نشاطي طول عمري إنما كان على رؤيتهم فقضيت صلواتي (والاجتناب) أي التباعد (عن) أنواع (المشتهيات) أي ما تشتهيه النفوس (والطيبات) أي اللذائذ في المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح والمساكن ونحو ذلك على حسب ما قدمناه عن بعض السادة رضي الله تعالى عنهم (و) كذلك

(الختم) للقرآن العظيم من أوله إلى آخره (في كل يوم مرة أو مرتين) كما قدمناه (بل مرات) كثيرة كما نقل المناوي في شرح الجامع الصغير قال القسطلاني وأخبرني شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف أنه كان يقرأ خمسة عشر ختمة في اليوم الليلة وفي الإرشاد أن النجم الأصبهاني رأى رجلا من اليمن ختم في شوط أو أسبوع وهذا لا يتسهل إلا بفيض رباني ومدد رحماني وأخبرني بعض الثقات أن شيخنا العارف عبد الوهاب الشعراوي ختم بين المغرب والعشاء ختمتين وأخبرنا الشيخ علي المرصفي أنه قرأ في أيام سلوكه في يوم وليلة ثلاثمائة ألف ختم وستين ألف ختم كل درجة ألف ختم انتهى ولا يستبعد هذا على أولياء الله تعالى الذين غلبت روحانياتهم على جسمانياتهم والروح من أمر الله وأمر الله كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ كما أخبر تعالى وعرض كلمات القرآن كلها مع معانيها في لسان الولي كلمح بالبصر ما هو ببعيد والله على كل شيء قدير (قلنا) يعني في الجواب عن هذا السؤال المذكور من جهة المصنف رحمه الله تعالى ثلاثة أجوبة (أولا) أي جوابا أولا (لا معارضة بين الوحي) القرآني والنبوي المتقدم بيانه في الآيات والأحاديث المقتضية لطلب الاقتصاد والتوسط من المكلف في الأعمال (وغيره) مما نقل عن السلف الصالحين مما ذكرناه من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات إذا الوحي من كل وجه ولا مناسبة بين الأقوى والأضعف وبين قول المعصوم وغير المعصوم فلا معارضة إذ المعارضة تقتضي التسوية بينهما (حتى نحتاج إلى الجواب) عن صنيع السلف فإن ما ورد عنه لا بإتباع غيره (فعليك) يا أيها المكلف أي ألزم (الأخذ) أي التمسك (بما ثبت) عندك من الدين المحمدي (بالكتاب والسنة) يعني بالوحي القرآني والنبوي فابحث عن ذلك وأحفظه واعمل به على حسب ما كلفك الله تعالى لتخرج بذلك من عهدة الخطاب واترك عنك النظر والتفحص عما ورد عن السلف الماضين من الرياضات والمجاهدات فإنهم اعلم منك بأعمالهم وأنت جاهل بما هم مطلعون عليه من احوالهم فلا تقتدي لما لا تعلم ارجحيته من الأعمال واسكت عن البحث عنه طاويا عنهم بساط المقال كما قال تعالى (**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ**

تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * البقرة: ١٣٤) واحذر من الطعن على أحد منهم واعتقاد مخالفته لما علمت من الكتاب والسنة فإنهم اعلم منك بهما وأكثر فهما منك ومن أمثالك لمعانيهما لقرب عهدهم بزمن النبوة وتنوير عقولهم بمعرفة الله تعالى وزيادة الإتباع للسنة والإخلاص واليقين والتوحيد والزهد ما لا يخطر لك ولا لأمثالك ببال ولله در ابن الوردي حيث قال في وصيته لابنه رحمهما الله تعالى.

لا تخض في حق سادات مضوا * إنهم ليسوا بأهل للزلل

وإنما أنت يا أيها الفقيه المسكين تعرف حصة من كيفية الأعمال الشرعية استخلصت معرفتها من بين يدي إشغالك بشهوات بطنك وفرجك ليلا ونهارا فأنت فرحان بها تظن أنك بسببها صرت من العلماء الكبار وساويت المتقدمين أهل العلوم الإلهامية الوهبية والأعمال الصالحة المرضية المكتسبة بالأرواح الأمرية والنفوس الطيبة الزكية والأجسام المتغذية بالحلال المطهرة عن الشبهات وعن الحرام المحمية فاعمل بما ظهر لك إن أردت النصيحة ولا تدخل في أعمال من هو أعلى منك من أولي الهمم الصحيحة ومن أين للعصفور أن يأكل من مأكل النسور فإن حوصلته المعتادة على الحبات الصغار لا تشابه حوصلة النسر التي لا يقيتها غير اللقم الكبار قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ يعنى عذوبة وأجاجا وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً (وثانيا) أي جوابا ثانيا (إنا نمنع صحة الرواية عنهم) أي عن السلف الماضين فيما ذكر من التشديدات في الرياضات والمجاهدات حيث كان تخالف عندنا ظواهر الكتاب والسنة على حسب ما تقدم (إذ لم يقع عنها) أي عن تلك الأمور الواردة عنهم بين العلماء الناقلين لها في كتبهم (بحث وتفتيش بل أكثرها) أي أكثر تلك الأمور (خال عن سند) إلى من نقلت عنه وإن اشتمل بعضها على السند الصحيح (بخلاف الكتاب العزيز) فإنه ثابت الآن بالتواتر (والأخبار النبوية) فإنه وقع فيها من أهل الحديث البحث والتفتيش الكثير حتى صححوا إسنادهم فيها (فلا مساواة في النقل) بين ما لم يبحث عنه مما لم يتصل سند أكثره وبين ما بحث عنه حتى اتصل سنده وعدلت رواته (فكيف يتصور التعارض) بين ما هذا شأنه حتى يحتج به

أحد ويترك الاحتجاج بما هو ظاهر الكتاب والسنة وليس هذان الجوابان بأقوى من الثالث لأن جميع ما ورد عن السلف الماضين رضي الله عنهم من التشديدات المذكورة والرياضات والمجاهدات لا تخالف شيئا من الدين المحمدي أصلا بل هي واردة فيه أيضا في الكتاب والسنة في حق من يقدر عليها ويتفرغ لها من غير أن تكون واجبة عليه لأنها نقل زائد على ما كلف به مثاب عليها كما ورد الاقتصاد والتوسط في الأعمال أيضا في الكتاب والسنة في حق من لا قدرة له ممن يخاف عليه الملل وفي الدين تسهيل وتصعيب قال الله تعالى و(**اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** * آل عمران: ١٠٢) وقال (**اتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** * التغابن ١٦) وأنزل تعالى في حق وحشي قاتل حمزة قوله (**إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهَ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً** * الفرقان: ٧٠) فلما قرئت على وحشي قال إن في هذه الآية شروطا وأخشى أن لا أفي بها ولا أطيق أن أعمل عملا صالحا فهل عندك شيء ألين من هذا يا محمد فأنزل الله تعالى (**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** * النساء: ٤٨) فقال وحشي وأنا لا أدري لعلي أن لا أكون في مشيئته ولو كانت الآية ويغفر ما دون ذلك ولم يقل لمن يشاء كان ذلك فهل عندك شيء أوسع من ذلك يا محمد فنزل قوله تعالى (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** * الزمر: ٥٣) فقال وحشي أما هذه فنعم وأسلم رضي الله عنه ولا شك أن الآية الأولى والثانية اصعب من الثالثة لوجود الشروط فيهما دون الثالثة والآيات الثلاثة مما السبب فيها خاص والحكم عام في حق وحشي وغيره من الأمة إلى يوم القيامة وقال تعالى في آية التيمم (**فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ** * المائدة: ٦) فصعب سبحانه باشتراط أخذ جزء من الصعيد ووضعه على الوجه واليدين وقال تعالى (**فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ** * النساء: ٤٣) ولم يقل منه فسهل سبحانه حيث لم يشترط أخذ جزء من الصعيد كما قرره الفقهاء في التيمم حيث لم يحملوا فيه المطلق على المقيد كما هو من أصول مذهب الحنفية وصنف

الشعراوي رحمه الله تعالى كتاب الميزان فيما شدد فيه الشارع وما سهل بحسب الأحكام في اختلاف المذاهب وقد ورد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه عرضت عليه بطحاء مكة ذهبا فأباها فشدد على نفسه ولم يأخذ من ذلك ليستعين به في نصرة الحق ودفع شر الكافرين مع أنه كان ذلك الغرض في ابتداء الإسلام وقد خطب صلّى الله عليه وسلّم في يوم عزمه لغزوة تبوك فقال (**من جهز جيش العسرة أضمن له الجنة**) حتى جهزه عثمان رضي الله عنه بماله فسهل على نفسه صلّى الله عليه وسلّم طلب الدنيا لترتفع بذلك درجة أصحابه وورد عنه صلّى الله عليه وسلّم صوم الوصال وكثرة الجوع حتى كان يربط الحجر على بطنه عليه السلام وورد أيضا أنه عليه السلام قام الليل حتى تورمت قدماه فقيل له في ذلك (**أفلا أكون عبدا شكورا**) كما ورد في صحيح مسلم وشرحه للنووي في باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم صلى حتى انتفخت قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال (**أفلا أكون عبدا شكورا**) وفي رواية حتى تفطرت رجلاه ومعنى تفطرت تشققت انتهى وكذلك ورد كثرة الصيام والقيام عن أزواجه أمهات المؤمنين كما تقدم في الحبل المربوط بين الساريتين وأنه لزينب رضي الله عنها إذا فترت من قيام الليل تعلقت به ولو كان ذلك معصية لما فعلته وأمر النبي صلّى الله عليه وسلّم بحله للشفقة عليها رضي الله عنها لأنه كان بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ولهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي سبق ذكره لما نهاه النبي صلّى الله عليه وسلّم عن كثرة العبادة لم يفهم انقلاب ذلك معصية بل قال لما كبر وددت أني كنت قبلت رخصة النبي صلّى الله عليه وسلّم فسمى ما أمره به النبي صلّى الله عليه وسلّم رخصة وما فعله هو عزيمة ولم يسم ما أمره به عليه السلام هو الدين فقط ومن تأمل ما سبق من الآيات والأحاديث كلها علم أن ذلك كله رحمة من الله تعالى بالأمة ومن النبي صلّى الله عليه وسلّم وترخيص للمؤمنين لا يكون عليهم حرج في بالدين فإن قوله تعالى (**لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ** * المائدة: ٨٧) أي لا تعتقدوا حرمتها بإنكار الرخصة لكم فيها فلو لم يحرموها وتركوا

تناولها زهدا في الشيء الفاني لا معصية في فعلهم وكذلك قوله (**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ** * الأعراف: ٣٢) وقوله عليه السلام في آخر الحديث السابق (**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنّي**) أي من لم يعتقد جواز ما فعلته ورخصت فيه وفعل أشد منه في مقابلة قولهم فأين نحن من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يريدون بذلك يبطلون الترخيص الشرعي فقال لهم عليه السلام ما قال وقوله عليه السلام في الحديث الذي سبق ذكره (إن الله يحب أن يؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه) صريح فيما قلناه فالحاصل أن السلف الماضين رضي الله عنهم اختاروا أن يفعلوا العزائم في أنفسهم لأنهم أهل الهمم والعزائم وكانوا معترفين بصحة الرخص الشرعية يفتون بها للعامة ويحرضونهم على فعلها كما كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يفعل أحيانا يأمر بالرخص ويعمل هو العزائم لنفسه كما أخبر في قضية صوم الوصال لما واصلوا مثله فنهاهم شفقة عليهم ورحمة بهم ثم قال (**ليست كأحدكم أني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**) وكان في عادة السلف الماضين والعلماء العاملين رضي الله عنهم أنهم يشددون على أنفسهم ويسهلون على غيرهم من عباد الله تعالى شفقة على الناس وخوفا على أنفسهم من التقصير حتى نقل القشيري في رسالته عن رويم بن أحمد رضي الله عنه إنه كان يقول من حكمة الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها فإن التوسعة عليهم إتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع وذكر أيضا عن النصرآباذي رضي الله عنه أنه كان يقول أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات وقد ورد عن السلف رضي الله عنهم أنهم كانوا يتركون من ورعهم سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع في بابا من الحرام وليس ذلك معصية في حقهم بل أخذا بالعزيمة وذكر القشيري في باب الورع أنه قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام وقال صلّى الله عليه وسلّم لأبي هريرة (كن ورعا تكن أعبد الناس) وللصالحين رضي الله عنهم في الورع أمور

كثيرة سلفا وخلفا لا تكاد تحصى وليس شيء منها معصية وما هي اقتصاد ولا توسط في العمل فليس الدين محصورا في ذلك حتى يكون التعارض بل قال تعالى (**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** * فاطر: ٣٢) الآية فجعل تعالى الاقتصاد نوعا من الدين وأهله بعضا ممن أصطفى سبحانه وكلام فقهاء الحنفية وغيرهم في كراهة الرياضة بتقليل الأكل فيمن يوصله ذلك إلى الهلاك والسلف رضي الله عنهم عالمون بحرمة إلقاء النفس إلى التهلكة وقوتهم الروحانية التي كانوا يخرقون بها العادات تقدر على أكثر من ذلك وكذلك من كان مثلهم والله يخلق ما يشاء وأيضا مذهب الحنفية لا يقضي على مذاهب السلف وبالله التوفيق (**وثالثا**) أي جوابا ثالثا (أن المنع) الوارد في ظواهر الآيات والأحاديث المتقدم ذكرها وفي قول الفقهاء أيضا (عن التشديد في العبادة) على حسب ما قدمناه (معلل) في الشرع المحمدي (بعلتين) موجبتين لذلك المنع عند العلماء العلة الأولى علة (لمية) أي نازلة حاصلة للمكلف فيخاف منها على المكلف أن تقتضي منع ما هو مطلوب منه ولو في حق البعض دون البعض (هي) أي تلك العلة اللمية (الإفضاء) بالفاء والضاد المعجمة أي الإيصال (إلى أهلاك النفس) وقد نهى الله تعالى عنه بقوله (**وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلىَ التَّهْلُكَةِ** * البقرة: ١٩٥) وذلك في حق من لم يحتمل مقاساة تلك التشديدات لعدم المتابعة لشيخ مرشد عالم بمزاج المريد وحاله كمن علم بنفسه الرياضة المفرطة حتى وصل إلى حالة لم يمكنه معها الدوام على تلك الرياضة ولا العود إلى حالته الأولى لفساد معدته واحتراق أمعائه بثوران الحرارة وكثرة الجفاف وربما جفت رطوبة دماغه ففسد خياله وقلت قواه العاقلة وهذه تهلكة ألقى بيده إليها فهي منهي عنها بحكم الآية المذكورة والشيخ المرشد الكامل لا يوصل المريد إلى شيء من هذه المضار لأنه عارف بالعلاج الشرعي والطبيعي فهو طبيب الأديان والأبدان وهو الوارث المحمدي وليس يخلو عنه زمان من الأزمان فإذا سلم المريد نفسه إليه وتأدب معه في الظاهر والباطن أوقفه على ضرورة نفسه وسلك به في طريق الرياضة الشرعية منزلة منزلة حتى يتحقق بنفسه ويتخلص من وساوس ظنه

وحدسه فلا تفضي به تلك التشديدات حينئذ إلى إهلاك النفس لأنه لم يدخل فيها بنفسه بل بالمرشد الكامل فيكون كصنيع السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين حيث سلكوا فيها على أيدي المرشدين ولهذا لم ينقل عن أحد منهم التضرر بشيء من ذلك بل انتفعوا بها في معالم الدين ولم يزل الأمر كذلك عند السالكين على أيدي الكاملين ولكن مراد الفقهاء التحذير في العموم كما هو دأبهم في جميع القضايا نفعا لكافة المكلفين (أو) الإفضاء أي الإيصال إلى (إضاعة) أي تفويت (الحق الواجب) على ذلك العبد (للغير) أي لنفسه فيما يرجع إلى بقائها وبقاء حواسها الظاهرة والباطنة ولعياله وأولاده وأهله في القيام عليهم وتربيتهم وخدمتهم وحفظهم والنظر في مصالحهم فإذا كان له من يقوم بمؤنة ذلك أو استغنى عنه لعدم العيال والأهل ساغ له ذلك على يد المرشد الكامل كما ذكرنا وإلا امتنع في حقه وأثم به (أو) الإفضاء إلى (ترك العبادة) لضعفه عنها وفساد بنيته التي هو قائم بها فيها وما أدى إلى ترك الفرض فهو حرام (أو) الإفضاء إلى (ترك مداومتها) أي العبادة لضعفه في المستقبل وفساد بنيته فيه إن لم يكن في الحال وهذا كله يبعد في السلوك على يد المرشد الكامل وإنما مع السلامة في البدن والدين إن من الله تعالى على العبد بمعرفته والوصول إليه وتمييزه من بين أمثاله في الخلقة الآدمية والطبيعية الإنسانية (و) العلة الثانية علة (أنية) بالتشديد أي حقيقية محققة منسوبة إلى أن المشددة النون المفيدة للتحقيق والتوكيد (هي) أي تلك العلة الأنية (أن نبينا محمدا صلّى الله عليه وسلّم أرسل) أي أرسله الله تعالى (رحمة للعالمين) كما قال تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** * الأنبياء: ١٠٧) وقال تعالى (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** * التوبة: ١٢٨) ومن رحمته صلّى الله عليه وسلّم بالعالمين الشفقة عليهم والملاطفة بهم والتخفيف في كل ما أمرهم به ونهاهم عنه ولهذا سأل ربه التخفيف عنهم في ليلة المعراج وراجع ربه حتى كانت خمسين صلاة فرجعت إلى خمس صلوات وكان يغضب من سؤال الصحابة له عن الأحكام التي لم تشرع مخافة أن ينزل الله تعالى فيها حكما يشق عليهم وكان يقول

(اتركوني ما تركتكم) حتى أنزل الله تعالى في ذلك الآية (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** * المائدة: ١٠١) وقال (**لَوْلاَ أَنْ أَشُقّ عَلَى أُمّتِي لأَمَرْتُهمْ بِالسّوَاكِ عنْد كلّ صَلاَةٍ**) إلى غير ذلك فكان نهيه عليه السلام عن التشديدات في الدين لكمال شفقته على الأمة حتى لا يكون عليهم حرج في شيء من ذلك (و) هو (مؤيد) أي مشدد مقوى (من عند الله) تعالى بالعناية والحفظ من التقصير في الحقوق ومن لحوق الملل والسآمة في العبادة (فيقوى على ما) أي أمر من العبادة والطاعة (لا يقوى عليه) أي على ذلك الأمر (آحاد الأمة) حتى أنه صلّى الله عليه وسلّم في قضية صوم الوصال بين أنه أقوى منهم عليه حين نهاهم عنه فقال (**لست كأحدكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**) كما ورد في الحديث وله خصوصيات أفردت بالتصنيف تدل على قوته عليه السلام الحسية والروحانية ما لا توجد في غيره (وأنه) عليه السلام (أخشى) أي أكثر خشية من (الناس) كلهم (من الله) تعالى (وأتقاهم) أي أكثرهم تقوى لربه (وأعلمهم بالله) كما ورد ذلك في الأحاديث عنه صلّى الله عليه وسلّم وقد مر بيانه (فلا يتصور) عند المؤمنين به صلّى الله عليه وسلّم وبأنه ناصح الأمة (منه) عليه السلام (البخل) بعدم بيان ما هو الأكمل من العبادات والطاعات وكتمان شيء مما أمره الله تعالى ببيانه للأمة مما هو الكمال في حقهم (وترك النصح) لهم في تقرير ما ينفعهم عند الله تعالى (ولا التواني) أي التضاعف والتقاعس في بيان الأنفع (ولا التكاسل) في ذلك (ولا الجهل) بالأنفع لهم (في أمر الدين) من حيث العلم والعمل (فلو كان) أي وجد (في) أمر (العبادة والقرب من الله) تعالى (طريق) يوصل إلى شيء من ذلك (أفضل) لهم (وأنفع) عند الله تعالى (غير ما) أي طريق (هو) صلّى الله عليه وسلّم (فيه) أي في ذلك الطريق (لفعله) صلّى الله عليه وسلّم (أو بينه) وأوضحه للأمة (وحث) أي حرض وحض (عليه) عباد الله الذي أرسله الله تعالى إليهم ليهديهم إليه صراطا مستقيما لأنه إنما أرسل لذلك ولهذا قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** * المائدة: ٦٧) (فتجزم) حينئذ (قطعا) من غير

شك ولا شبهة (أن) جميع (ما) أي الذي (هو عليه) النبي (صلّى الله عليه وسلّم) أقولا وأفعالا وأحوالا (أفضل) عند الله تعالى (وأنفع) للناس (وأقرب إلى) تحصيل (معرفة الله) تعالى (و) تحصيل (رضاه) سبحانه (من كل ما عداه) مما عليه جميع الناس في جميع الأزمان من عصره صلّى الله عليه وسلّم إلى يوم القيامة والذي عليه صلّى الله عليه وسلّم هو ما تقدم بيانه من أمره عليه السلام للأمة بالاقتصاد في الأعمال والتوسط في الأحوال بين الإفراط والتفريط كما هو سيرته في الملإ صلّى الله عليه وسلّم لتقتدي به الأمة وتنقل عنه أخبار دينها كما قال صلّى الله عليه وسلّم لما طاف راكبا على ناقته (**خذوا عني منسككم**) وقال (**صلوا كما رأيتموني أصلي**) وهذا مقدار ما اطلع عليه علماء الظاهر أهل النقل والرواية من سيرته صلّى الله عليه وسلّم العامة وأما سيرته الخاصة وباطنية شريعته صلّى الله عليه وسلّم مما لم تكن عليه المنافقون في زمنه عليه السلام وبعده مما لم يعرفوه ليشاركوا فيه المؤمنين في الظاهر فهي أمور أسرها صلّى الله عليه وسلّم لخواص أصحابه وهم أسروها لخواصهم لأنها إنما تأخذ وتتلقى بالأحوال الصادقة والأعمال المصحوبة بالإخلاص والتقوى والخشوع والحضور كما قال تعالى (**وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهَ** * البقرة: ٢٨٢) وهي العلوم المخزونة والمعارف الإلهية اللدنية المكنونة التي أشار إليها صلّى الله عليه وسلّم بقوله (**إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله فإذا قالوه لا ينكره إلا أهل الغرة بالله**) والمراد بأهل الغرة الذين ينكرونه علماء العلم الظاهر من شريعته صلّى الله عليه وسلّم مما كان يعرفه المؤمنون المنافقون في زمنه صلّى الله عليه وسلّم وبعد فيتساوى الفريقان في العمل به ظاهرا ولنا رسالة صنفناها في إثبات أن العلم الباطن كالعلم الظاهر وعلم الأذواق كعلم الكراريس والأوراق مأخوذ جميع ذلك من الكتاب والسنة سميناها التنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم وقد قال صلّى الله عليه وسلّم في حديث المعراج كما ذكره القسطلاني في مواهبه وغير ه (**وسألني ربي فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفي – بلا تكييف ولا تحديد – فوجدت بردها فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه إذ علم أنه لا**

يقدر على حمله أحد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القرآن فكان جبريل يذكرني به وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي) انتهى فانظر فإنه لم يحصر صلّى الله عليه وسلّم العلم الحق في العلم أمره الله تعالى بتبليغه إلى العام والخاص الذي هو علم الشرايع والأحكام على وجه الاقتصاد والتوسط في العلم الذي يعلمه علماء الظاهر كما فعل أهل الظاهر القاصرون وإنما أخبر الصادق صلّى الله عليه وسلّم أن هناك علمين آخرين هما حق أيضا بل علوم شتى كما قال عليه السلام وأما العلم الذي أخذ عليه كتمانه صلّى الله عليه وسلّم فهو علم النبوة مما لا يعلمه إلا نبي ولهذا قال فيه عليه السلام إذ **(علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيري)** فبين بذلك وجه أخذه عليه كتمانه فإنه لا فائدة في بيانه حيث لا يقدر أحد على حمله أي العلم به فإنه لا يقدر إلا نبي ولا نبي بعده صلّى الله عليه وسلّم، وأما العلم الذي خيره فيه فهو علم الولاية وهو علم باطن الشريعة وحقيقتها وأسرارها مما لا يؤخذ إلا بالتقوى وصفاء المعاملة مع الله تعالى المشار إليه بقوله تعالى في الخصر **(وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْماً** * الكهف: ٦٥) وقوله تعالى **(وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهَ** * البقرة: ٢٨٢) وقول النبي صلّى الله عليه وسلّم **(مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدّينِ وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ)** وهو العلم الموروث للعلماء بالله من باطنية محمد صلّى الله عليه وسلّم بأسانيد الإلهام ونقلة الكشف التام إلى قلبه صلّى الله عليه وسلّم وباطن حاله كما أن العلم الذي أمره الله تعالى بتبليغه موروث عنه أيضا صلّى الله عليه وسلّم بأسانيد الرواة ونقلة المشايخ الموثقين إلى فمه صلّى الله عليه وسلّم وظاهر فعله وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول أحفظت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعائين من العلم فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ أي الحلقوم ومراده لقتلوني لحكمهم بكفري حيث لم يفهموا ما أشير إليه في كلامي من حقائق المعاني وأسرار الشريعة المطهرة فالوعاء من العلم الذي بثه هو علم الظاهر الذي تعرفه الفقهاء من أحكام الشريعة المحمدية والوعاء من العلم الذي لم يبثه هو علم الباطن من حقائق الشريعة وما لا يعلمه إلا المقربون من الأولياء والصديقين والحاصل أن علم التقوى وهو العلم المأخوذ

بالرياضات والمجاهدات وحبس النفوس عن شهواتها بملازمة المراقبة والحضور علم صحيح مأخوذ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو مدلول عليه عند أهله العلماء به بالأدلة من الكتاب والسنة وأعمال النبي صلّى الله عليه وسلّم وإشارات أقواله وأحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين كما أن العلم الظاهر المأخوذ بالقراءة على المشايخ والرواية عنهم والحفظ من الكتب علم صحيح أيضا مدلول عليه عند العلماء به بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال النبي صلّى الله عليه وسلّم وأعماله وأقوال الصحابة والتابعين والسلف الماضين وأعمالهم والله تعالى لم يقطع من الأرض ولا يقطع إن شاء الله تعالى علماء كلا العلمين القائمين بهما نيابة عن محمد صلّى الله عليه وسلّم حجة على المكلفين غير أن كل طائفة من أهل العلمين فيهم القائمون بعلمهم على الوجه المرضي لله تعالى ولعباده وفيهم الفاسدون المفسدون الضالون المضلون المتشبهون بالقسم الصالح وليسوا منهم اللابسون ثوب الزور فكما أن في الصوفية فاسقون ملحدون جاهلون، في الفقهاء أيضا كذلك فاسقون كافرون خبيثون ولكن لا يفسد بفسادهم ذلك النوع كله وتفسد تلك الطريقة التي يزعمون أنهم قائمون بها، وإذا علمنا هذا فلا يجوز لنا التجسس على أهل السوء من كلا الفريقين وإلا الظن السيئ بأحد معين منهم ولكن نحذر على العموم من غير تقبيح معين في أحد ظاهرا ولا باطنا (**وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ** * البقرة: ٢٢٠) (فتحمل ما) أي الذي (روي عنهم) أي عن السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين ومن التشديدات والمجاهدات (على أنهم إنما فعلوا ذلك التشديد) والتضييق على نفوسهم وغيرهم أهل طريقهم مما يخالف ظاهر الحال الذي كان عليه صلّى الله عليه وسلّم وأمر به وبلغه للخاص والعام من الاقتصاد والتوسط في الأعمال كما ذكرنا (إما مداواة) أي تطبيبا (لأمراض القلوب) السقيمة بالغفلات والغرور ليردوها بذلك إلا الصحة والعافية فإن القلوب تمرض كما تمر الأجسام قال تعالى (**فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ** * البقرة: ١٠) وهؤلاء المرضى قلوبهم المحتاجون إلى مداواة تلك الأمراض هم طائفة من أهل العلم الظاهر غرتهم الحياة الدنيا وتلاعبت بهم الأغراض النفسانية فأعمتهم عن سواء

السبيل فلا بدلهم من حمية تلك التشديدات حتى تصح أرواحهم وتنتعش نفوسهم بروايح نسمات القبول في رياض الرضا بين أشجار الوصول كما ذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرح الجامع الصغير عن أبي طالب المكي صاحب قوت القلوب قال علم الباطن وعلم الظاهر أصلان لا يستغني أحدهما عن صاحبه، بمنزلة الإسلام والإيمان مرتبط كل منهما بالآخر، كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما عن صاحبه وقيل علم الباطن يخرج من القلب وعلم الظاهر يخرج من اللسان فلا يجاوز الآذان وهذا لا ينصرف إليه اسم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء إذ هم العلماء العاملون الأبرار المتقون الذين آل إليهم العلم الموروث بالصفة التي كان عليها عند المورث لا من علمه حجة عليه وقد منعه سوء ما لديه من خبث نيته وسوء طويته وإتباع شهوته أن يلج نور العلم قلبه ويخالط لبه فأورده النار وبئس الورد المورود قال بعضهم وهذه صفة علماء زماننا يجدهم يجتهدون في تحسين الهيئة والثياب الفاخرة والمراكب السنية فإذا نظر إلى باطن أحدهم وجد خوف الرزق على قلبه كالجبال يكاد يموت من همه وخوف الخلق وخوف سقوط المنزلة من قلوبهم والفرح بمدحهم والثناء عليه وحب الرياسة وطلب العلو والتبصبص للظلمة والأغنياء واحتقار الفقراء والأنفة من الفقر والاستكبار في موضع الحق والحقد على أخيه المسلم والعداوة والبغضاء وترك الحق مخافة الذل والقول بالهوى والحسية والرغبة في الدنيا والحرص عليها والشح والبخل وطول الأمل والأشر والبطر والغل والغش والمباهاة والرياء والسمعة والاشتغال بعيوب الخلق والمداهنة والإعجاب بالنفس والتزين للمخلوق والصلف والتجبر وغرة النفس والقسوة والفظاظة والغلظة وسوء الخلق وضيق الصدر والفرح بالدنيا والحزن على فوتها وترك القنع والمراء والجفاء والطيش والعجلة والحدة وقلة الرحمة والاتكال على الطاعة وأمن سلب ما أعطي وفضول الكلام والشهوة الخفية وطلب العز والجاه واتخاذ الإخوان في العلانية على عداوة في السر والغضب إذا رد عليه قوله والتماس المبالغة لغير الله والانتصار للنفس والأنس بالخلق والوحشة من الحق والغيبة والحسد والنميمة والجور والعدوان فهذا كلها مزابل قد انضمت عليها طوية صدورهم

وظاهرهم صوم وصلاة وزهد وأنواع أعمال البر فإذا أنكشف الغطاء بين يدي الله تعالى عن هذه الأمور كان كمزبلة فيها أنواع الأقذار غشيت بالذبيح فأنتنت فهذا عالم مرائي مداهن يتصنع عند شهواته فلم يقدر أن يخلص عمله ونفسه مقيدة بنار الشهوة وقلبه مشحون بهوى نفسه وهذه كلها عيوب، والعبد إذا كثرت عيوبه انحطت قيمته (أو لكون العبادة) من كثرة تمرين نفوسهم بها صارت (عادة لهم) اعتادوها (وطبعا) انطبعوا عليه فصاروا لا يتكلفون لها (كالغذاء للصحيح) البدن من الناس فإنه ينتفع به في بدنه لبقاء صحته ويأخذ منه حظه بنفس مقبلة مشتهية (فيتلذذون بها) أي بالعبادة كما يتلذذ الصحيح البدن بغذائه كما ذكر الأسيوطي في كتابه بشرى الكئيب بلقاء الحبيب عن ثابت البناني رضي الله عنه أنه كان يقول اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها، وإنما قال ذلك من كمال لذته بعبادة الله تعالى حتى أخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير قال أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابت البناني لحده ومعه حميد الطويل فلما ساوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره (بلا إضاعة حق) واجب عليهم لأحد من خلق الله تعالى (ولا ترك مداومة) بل كانوا يبقون على ذلك إلى الموت (ولا اعتقاد) من أحد منهم (إنه) أي ما يفعله من التشديدات على نفسه والمجاهدات فيها (أفضل مما) أي من الذي (كان عليه أفضل البشر) صلّى الله عليه وسلّم فعمل به من الاقتصاد والتوسط (أو أفضل من الذي قاله) من ذلك وبينه للناس ولا شك أن من اعتقد رجحان عمله على عمل النبي صلّى الله عليه وسلّم فهو كافر وحاشا السادة الأئمة العارفين من شيء من ذلك بل دائما لا يرون أعمالهم إلا مدخولة قاصرة وإن بالغوا فيها ما عسى أن يبالغوا ولا يرون أنفسهم مع ذلك كله إلا مذنبة عاصية كما نقل الشيخ بن علان الصديقي رحمه الله تعالى في شرحه على حكم أبي مدين رضي الله عنه أن الخواجه بهاء الدين نقشبند قدس الله سره لما سئل عن الكرامات قال أي كرامة أعظم من أني مع هذه الذنوب الكثيرة أمشي على وجه الأرض (وأما نبينا) محمد (صلّى الله عليه وسلّم فقد بلغ الدرجة العليا من

الكمال) يعني فلا يحتاج مع ذلك إلى أمثال هذا التشديدات والمجاهدات في النفوس مع أنه فعلها صلّى الله عليه وسلّم قبل نبوته وبعدها وكان يتحنث في غار حراء ويتبتل إلى الله تبتيلا ويواصل في صيامه ويتابع في قيامه ولم يسبقه أحد من الأمة بكثرة عبادة أصلا فإنه صلّى الله عليه وسلّم هو السابق في كل خصلة حميدة وإنما السابقون مقتدون به على كال حال (وهي) أي تلك الدرجة العليا من الكمال (أن لا يمنع عن توجه القلب) إلى جانب الرب (شيء) مطلقا (لا التكلم مع الخلق ولا الأكل ولا الشرب ولا النوم ولا ملامسة النساء) أي جماعهن (وتكون الخلطة) مع الناس (والعزلة) عنهم (سواء) في عدم اشتغال القلب بسوى حضرة القرب كما ورد عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه كان يدبر الجيش وهو في الصلاة من غير أن يشتغل عنها وورد في حديث الجامع الصغير عن عقبة بن الحارث قال قال صلّى الله عليه وسلّم ذكرت وأنا في الصلاة تبرا عندنا فكرهت أن يبيت عندنا فأمرت بقسمته ومعلوم أنه مع ذلك لم يضيع الخشوع والحضور في صلاته (فاقتصاره عليه الصلاة السلام على بعض العبادات الظاهرة) في بعض الأحيان بحسب ظاهر الحال (لكونها أفضل له صلّى الله عليه وسلّم ولأمته) باعتبار كمال إتقانها بالتوجه بالكلية إلى حضرة ذي الجلال باعتبار أن العبادة الباطنية إذا كثر قلت العبادة بالظاهر وإذا كثرت بالظاهر قلت بالباطن ولا شك أن العبادة بالباطن أفضل من العبادة بالظاهر لأن الظاهر تابع والباطن متبوع والأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فالسالكون تكثر عباداتهم أولا بالظاهر حتى يصلوا إلى معرفة الله تعالى فتقل عباداتهم بالظاهر ويصيرون يقتصرون على الفرائض والسنن وتكثر عباداتهم بالباطن فيواجهون حضرة ذي الجلال والإكرام والنبي صلّى الله عليه وسلّم من أعظم الواصلين إلى معرفة الله تعالى فالغالب في أعماله الاقتصاد بقوله ويعمل به (وتلذذه صلّى الله عليه وسلّم دائم) مستمر (لا يختص بالعبادات الظاهرة) كتلذذ أهل الباديات من السالكين بأعمالهم البدنية ومجاهداتهم والنفسانية بل كان له تلذذ بشهود المتجلي الحق سبحانه في جميع الأمور العادية وسائر الأحوال الكونية وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**إِنَّهُ**

لَيُغانُ على قَلْبِي، وإني لأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةٍ) وفي رواية **(مائة مرة)** باعتبار ترقيه صلّى الله عليه وسلّم في مراتب الشهود فالمرتبة العليا إذا كان فيها صلّى الله عليه وسلّم يجد ما دونها غينا أي حجابا وهكذا (وقد بلغ) أي وصل (بعض المشايخ) من الكاملين (إلى حيث كان له حظ) أي نصيب (من هذه الدرجة التي هي للنبي صلّى الله عليه وسلّم بطريق الإرث عنه) فإن العلماء ورثة الأنبياء (حتى قال) ذلك الشيخ المذكور (من رآني الآن) يعني وأنا واصل إلى معرفة الله تعالى ومشغول بلذيذ شهوده في كل شيء (صار زنديقا) أي اقتدى بي في حالتي يفهما مني وأنا غير مقبل على العمل الظاهر ولا منهمك فيه لاشتغال الباطن بما هو أكمل من ذلك وهو شهود الله تعالى ولذيذ مناجاته والإطلاع على لطائف حقائقه وأسراره في صفحات مصنوعاته فيظن إني كذلك بباطني أيضا غير معتن بالعمل الظاهر فلا يعتني هو أيضا بالظاهر بظاهره وباطنه فيستخف بدين الله تعالى وشرايعه فيصل إلى رتبة الزندقة وهو عدم التديين بدين أصلا وذلك من أكفر الكفر (ومن راني قبل) أي قبل الآن وأنا منهمك في العمل الظاهر مشتغل به مكثر منه لاحتجاب الله تعالى عني بالأغيار وخلو باطني من لمعات البوارق الإلهية والأنوار (صار صديقا) لأنه يقتدي بي في هذه الحالة فيجاهد في نفسه ويكثر من العبادات والطاعات حتى يصل إلى مقام الصديقية وهي خلاصة الولاية (حيث كان) ذلك الشيخ المذكور (في) حال وصوله إلى مقام (نهايته) بقطعه مسافة نفسه وحصوله في حضرة ربه (يقتصر من العبادات الظاهرة على الفرائض) من كل نوع من أنواع العبادات (والواجبات والسنن) ويترك ما عدا ذلك من النوافل المستحبات من كل نوع (ويأكل) المشتهيات وغيرها (ويشرب) كذلك (وينام كالعوام) من حيث ظاهره قال النجم الغزي في كتابه حسن التنبه في التشبه كاد أن يكون مجمعا عليه عند المحققين من الصوفية رضي الله عنهم أن العارف لا يضره قلة عمل إذ يكون سيره قلبيا وإلا لم يكن متحققا بالمعرفة وقد ظفرت لذلك بدليل من الحديث وهو ما رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال دخلت على النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال يا ابن مسعود **(أي عُرَى**

الإِيْمَانِ أَوْثَق) قلت الله ورسوله أعلم قال (**أَوْثَق عُرَى الإِيْمَانِ الولاية في الله والحب في الله والبغض في الله)** ثم قال (يا ابن مسعود) قلت لبيك يا رسول الله قال (**أتدري أي الناس أفضل)** قلت الله ورسوله أعلم قال (**فإن أفضل الناس أفضلهم عملا إذا فقهوا في دينهم)** ثم قال (يا ابن مسعود) قلت لبيك يا رسول الله قال (**أتدري أي الناس أعلم)** قلت الله ورسوله أعلم قال (**إن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقتصرا في عمله وإن كان يزحف على أسته زحفا)** الحديث (و) كان (في) حال (بدايته يجتهد) في العبادات والطاعات (ويرتاض) بأنواع الرياضات (فمن رأى اجتهاده) في العبادات ليلا ونهارا (يجتهد كإجتهاده حتى يصير) بسبب ذلك (صديقا ومن رآه في) حال (نهايته) كما تقدم (ينكر الاجتهاد و) أحوال (الطريقة أصلا) أي من الأصل (فيخاف) بالبناء للمجهول (عليه الكفر) بل يكفر إن لم ير الأعمال الظاهرة حقا أو استخف بها أو بأهلها بسببها كما ذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر نقلا عن التتمة قال من أهان الشريعة أو المسائل التي لابد منها كفر وفي المحيط من قال لفقيه يذكر شيئا من العلم أو يروي حديثا صحيحا هذا ليس بشيء ردا أو قال لأي أمر يصلح، هذا الكلام ينبغي أن يكون الدرهم لأن العز والحرمة اليوم للدرهم لا للعلم كفر، أي لأنه معارضة لقوله تعالى (**وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** * المنافقون: ٨) وقوله سبحانه (**وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا** * التوبة: ٤٠) انتهى وسيأتي نحو هذا إن شاء الله تعالى (ولو تأملت) يا أيها المذعن للحق إذا ظهر (فيما كتبنا) لك (سابقا) في أوائل فصل الاقتصاد في العمل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الفقهاء الحنفية (و) تأملت أيضا (ما) أي الذي (نقل عنهم) أي عن السلف الماضين من التشديدات في العبادات وأنواع المجاهدات (حق التأمل) بإنصاف وإذعان (وجدت في أكثرهما) أي أكثر كل مما في هذا الكتاب وما ورد عن السلف وإن لم يكن في جميع ذلك (إشارة إلى هذا) المعنى المذكور هنا في هذا الجواب الثالث والمعلل بالعلتين المذكورتين فإن تأملت ما سبق في أول هذا الفصل وجدت الإشارة إلى العلة الأولى وإذا

تأملت ما نقل عن السلف وجدت الإشارة إلى العلة الثانية وإذا علمت هذا وتحققته (فلا يخلو) أي لا ينفك جميع (ما) أي الذي (نقل عن السلف) الماضين رضي الله عنهم أجمعين (من التشديد) في العبادات والتضييق على النفوس في المجاهدات (عن العلتين المذكورتين) أصلا بل لا بد أن يكون سببه أحدهما أو كلاهما معا (وهذا) التحقيق في هذه المسألة (هو المحمل) لما نقل عن السلف (الصحيح) لذوي الإفهام السالمين من سقم الأوهام (والحق الصريح) الواضح الذي هو لكل شبهة فاضح والذي أجاب به النجم الغزي رحمه الله تعالى في كتابه حسن التنبه في التشبه عن مثل هذا الإشكال الذي أشار إليه المصنف رحمه الله تعالى هنا وإلى جوابه غير ما أجيب به هنا فقال في بحث التخلق بأخلاق الملائكة في الاقتيات بالذكر وهو أبلغ من الصيام وهو حال الصمدانيين الذين كانوا يطوون الأربعينيات فأكثر منها ودونها بحيث يكون خارقا للعادة فيكتفون بالذكر والفكر عن الطعام والشراب وذلك كله من باب خرق العادة والالتحاق بالملائكة عليهم السلام في هذا الخلق الشريف وعن بعض العلماء العاملين أنه قال إني لأقتات بوردي من الذكر كما أقتات بالطعام والشراب وقال الشيخ العارف بالله شهاب الدين السهر وردي في عوارف المعارف قيل لسهل بن عبد الله رضي الله عنه هذا الذي يأكل في كل أربعين وأكثر أكلة أين يذهب لهب الجوع عنه قال يطفئه النور قال وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لي كلاما بعبارة دلت على أنه يجد فرحا بربه ينطفئ معه لهب الجوع، قال وهذا واقع في الخلق إن الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعا فيذهب عنه الجوع، وهكذا في طرق الخوف يقع ذلك، فإن قيل قد صح عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه نهى عن الوصال في الصوم فقيل له فإنك تواصل فقال (**لست كأحدكم إن الله يطعمني ويسقيني**) فهذا يخالفه ما تقدم فالجواب إن هذا النهي إنما هو في مقام الدعوة العامة والتشريع لكافة الناس ولئلا يتخذ الوصال سنة جارية يتعاطاه القادر والضعيف عنه فيحتاج إلى التكليف فإما من كان يقتات بالذكر بحيث يستغني عن الطعام والشراب فقد يقال في حقه بإباحة الوصال له خاصة وعلى ذلك يخرج أحوال من

أسلفنا ذكرهم من السلف رضوان الله عليهم أجمعين وقد حكى القاضي عياض رحمه الله تعالى عن ابن وهب وإسحق بن راهوية وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى أنهم أجازوا الوصال وحكى ابن حزم أن ابن وضاح من المالكية كان يواصل أربعة أيام وأطلق أكثر الشافعية العبارة بكراهية الوصال واختلفوا هل هو كراهة تنزيه أو تحريم على وجهين أصحهما الثاني وهو ظاهر كلام الشافعي رضي الله عنه فإنه قال بعد أن ذكر حديث النهي عن الوصال وفرق الله بين رسوله وبين خلقه في أمور أباحها له وحظرها عليهم وكذلك مذهب أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما وقال الحافظ العراقي في شرح الترمذي وأصح ما يستدل به على عدم تحريم الوصال وما رواه أبو داود بإسناده الصحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال حدثني رجل من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّ رَسُولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نَهَى عن الحجَامَةِ وَالموَاصَلَةِ وَلم يُحَرّمْهُمَا إبْقَاءَ عَلَى أصْحَابِهِ، فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ الله إنّكَ تُوَاصِلُ إلَى السّحَرِ، فقال (**إني أوَاصِلُ إلى السّحَرِ وَرَبي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي**) قلت وهنا أصل أصيل وهو أن إدخال الطعام والشراب إلى الجوف إنما هو في الأصل مباح وإنما يندب تعاطيه أو يلزم إذا احتاج إليه الإنسان من حيث أن يتقوت به ويتحفظ على حياته فإذا أخذ الإنسان منه حاجته وكفايته لم يحسن في حقه أن يتناول زيادة عليها بل إذا شبع منه حرم الزيادة عليه حذرا من الهلاك الذي من حذره ألجئ إلى استعمال الطعام والشراب إذا احتاج إليه فإذا كان في عباد الله من رزقه الله تعالى حالة شريفة كحالة الشبع بحيث لا يحصل له معها وهن في بدنه ولا ضعف في قواه ولا توقان إلى الطعام يشغله عن الذكر والطاعة فظاهر هذا القياس إنه مادام غنيا عن الطعام والشراب بهذه الحالة لا نكلفه تناول شيء من المطعومات ولا من المشروبات حتى يحتاج إليه كما أنا لا نطالب الشبعان ولا الريان بشيء من ذلك حتى يحتاج إليه بل الدنيا وإن كان الأصل في مطعوماتها ومشروباتها الإباحة فإن اشتغال المقبل على الله تعالى بها اشتغال بما لا يعنيه فمقتضى طريقه أن لا يتناول منها شيئا الا أن يحتاج إليه ويضطر إلى الأخذ منه فمهما اغناه الله عنه فلا

يتناوله أصلا فمن رزقه الله تعالى حالة تغنيه عن الطعام والشراب وتدفع عنه المحذور المدفوع بهما كما يدفعانه وزيادة ينبغي أن لا نكلفه بهما ولو واصل الصيام عمره ثم كان بعد الطاوين من أهل الله تعالى إذا طوى يتناول عند الغروب مفطرا ما ولو قطرة ماء عملا بالسنة وخروجا من الخلاف وعلى ذلك فينبغي أن يتناول عند السحر شيئا ما بنية السحور عملا بالسنة أيضا واغتناما لصلاة الله وملائكة، كما في الحديث (**إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين**) وروى الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**طعام المؤمنين في زمن الدجال طعام الملائكة التسبيح والتقديس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس أذهب الله عنه الجوع**) وفي بهذا الحديث دليل لما ذكرناه من أن الله تعالى قد يهب حالة شريفة لبعض عباده تغنيه عن الطعام والشراب وأن هذه الحالة تكون في فتنة الدجال لكافة المؤمنين وإنما كانت حينئذ لعموم أهل الإيمان لأن من فتنة الدجال أن يمر على البلدة فيقول لأهلها أعبدوني أو اتبعوني فإن اتبعوه أمر السماء فأمطرت والأرض فأنبتت فكانوا في أرغد عيش وإلا أمر السماء أن لا تمطر والأرض أن لا تنبت وكانوا في أضيق عيش فأخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم إن هذه الفتنه لا تضر المؤمنين إذا نطقوا بالتسبيح والتقديس لأنهم يستغنون عما تمطره السماء وتنبته الأرض انتهى والحاصل أن عمل الرياضة على وجه التشديد والتضييق لأهل التقوى والورع والزهد والصبر والمراقبة لا يعترض عليهم فيها ولا يقال أنها مخالفة للشرع فإن غرض الشرع ترك المؤذيات والمضرات وليس فيما يفعلونه مؤذ ولا مضر في حقهم وإن كان ذلك مؤذيا ومضرا في حق غيرهم ممن ليس على قدمهم في الأخلاق الفاضلة والأحوال الصادقة (فلا تفرط) يا أيها العبد المكلف من أفرط إذا زاد (في حقهم) أي في حق أهل الرياضات والمجاهدات يعني في مدحهم والثناء عليهم حتى توصلهم إلى الرافعة على الأنبياء في كثرة عباداتهم وسمو مقاماتهم فإنه لا يصل ولي إلى درجة نبي أصلا كما سيأتي تحقيقه في محله من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى (ولا تفرط) بالتشديد من التفريط وهو التقصير في حقهم باحتقارهم

واستنقاص أحد منهم كان حيا أو ميتا علمت حاله أو لم تعلم واتهم نفسك في القصور عن معرفة أولياء الله تعالى ولا تسيء الظنون في أحد منهم وقال الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه شرح الوصية اليوسفية واحذر أن يخطر لك خاطر رديء في أحد من خلق الله تعالى كان ذلك الخلق من كان ممن أحسن أو أساء فإن النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول (**طوبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عنْ عيوب النّاس**) والعاقل لا يتفرغ إلى غيره حتى يتفرغ عن نفسه ولا يتفرغ عن نفسه أبدا فإنه مراقب لنفسه ما يحدث الله فيها في كل نفس مستقبل مشتغل بما ألقى الله إليه في وقته فيها من الخير هذا حظ المؤمن فكيف حظ المختص في الإيمان بالإتباع كان الشيخ إبراهيم بن طريف رحمه الله تعالى يقول لي يا ولدي ما أرى في العالم إلا وليا لله تعالى بالنظر إلي فإنه لا يخلو من يعرفني أن يكون حامدا لما أنا عليه أو ذامّا فإن حمدني فأقول هذا ولي ما رآني إلا بصورته مما هو عليه والحمد الله الذي أراني وليا من أوليائه وإن ذمني أقول هذا رجل قد كشف الله له عن عيبي ولا يكاشف إلا ولي وهذا رجل يسميني بما ينسب إلي ومذكر لي حتى لنتحفظ من هذه الصفة فما ينصح عباد الله إلى ولي الله هذا كان اعتقاده في الخلق كلهم رحمه الله تعالى فهكذا فليكن المريد مع الناس فكيف مع شيخه ونقل صاحب كتاب تحفة الأكياس في تحسين الظن بالناس ومن كلام سهل بن عبد الله التستري رضي عنه أسوء المعاصي سوء الظن وغالب الناس لا يعده ذنبا ولا يستغفر منه وقال سيدي أفضل الدين لو أن أنسانا أحسن الظن بجميع أولياء الله تعالى إلا واحدا منهم بغير عذر مقبول في الشرع لم ينفعه حسن الظن عند الله تعالى ولذلك لا تجد وليا حق له قدم الولاية إلا وهو مصدق بجميع أقرانه من الأولياء لم يختلف في ذلك اثنان كما أنه لم يختلف في الله تعالى نبيان فمن آذى الأولياء بسوء ظنه فقد خرج من دائرة الشريعة ومن كلام الشيخ أبي المواهب الشاذلي رضي الله عنه من حرم احترام أصحاب الوقت فقد استوجب الطرد والمقت وذكر الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه إن معاداة الأولياء والعلماء العاملين كفر عند الجمهور وقال من عادى أحدا من الأولياء

والعلماء العاملين أو الشرفاء فقد عادى إيمانه وقال سيدي علي الخواص رضي الله عنه من عادى أحدا من الأولياء أو العلماء خالفه ضرورة وفي مخالفة الولي والعالم الضلال والهلاك انتهى وقد أطلنا الكلام في هذا المقام في كتابنا المطالب الوفية بما يفي بالمرام والحاصل أن الإنكار بالقلب أو باللسان على أحد من أولياء الله تعالى الذين هم العلماء العاملون وسواء كانوا أحياء أو كانوا موتى وكلهم أحياء عند من يعرفهم بحياة الله تعالى لا بأنفسهم وكلهم موتى من حياتهم بأنفسهم سواء عرفهم من ينكر عليهم أو لم يعرفهم وأنكر ما لم يعرف من أحوالهم الصحيحة وأفعالهم المستقيمة عند الله تعالى فهو كفر صريح والمنكر كافر بإجماع المسلمين على مقتضى جميع المذاهب أهل الإسلام لأنه أنكر دين الإسلام والشريعة المحمدية وهو لا يعرف أنه أنكر ذلك لجهله وغباوته بل يظن أنه إنما أنكر أمرا باطلا وفعلا قبيحا تصوره في نفسه وحكم بأنه فعل ذلك الولي أو قوله فحكم بسببه على ذلك الولي بأني ليس بولي وأنه فاسق أو كافر أو ملحد أو زنديق، والولي في حقيقة أمره من حيث ما يعلمه الله تعالى منه بريئ من جميع ما اعتقده فيه ذلك المنكر وعمله ذلك الذي أنكره عليه وقوله الذي أنكره عليه ايضا ليس شيء منهما باطلا في الشريعة ولا كفرا ولا إلحادا ولا زندقة بل ذلك الفعل طاعة وقربة إلى الله تعالى وذلك القول قول حق وصواب وهو محض إيمان وحقيقة معرفة وإيقان ولكن سماه ذلك المنكر كفرا أو إلحادا وزندقة لمحض جهله وعناده وعدم اعترافه بالقصور عن علوم الأولياء ومعارف الصديقين وعدم إحساسه بطمس بصيرته وعمي قلبه عن إدراك مداركهم والكشف عن حقايق أسرارهم ولمحات أنوارهم فالمنكر يتقلب في أودية الكفر والضلال والإلحاد والزندقة وهو معتقد أنه يتقلب في أودية الإيمان والطاعة وإرشاد الناس إلى الاحتراز عن الخطأ والضلال والنصيحة والهدى وهو لا يشعر فكفره عند الله تعالى سيظهر له ولأمثاله ممن يوافقه على الإنكار المذكور يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين فإنه الحاكم العدل الذي يعلم المظلوم من الظالم ويعلم المحق من المبطل ولكن الآن في الدنيا لا يحكم المنكر هو بنفسه على نفسه بالكفر ولا أمثاله يحكمون

عليه بذلك لإصرار المنكرين كلهم على عقيدة وحدة هي الإنكار فالحكم عليهم بالإسلام مبني على مجرد زعمهم ذلك كما أن الحكم عليهم بالكفر مبني على اعتقاد أهل الإسلام العارفين بكلام الأولياء المطلعين على أحوالهم الصحيحة المستقيمة ولا يعذرون المنكرين بالجهل لأن لهم مندوحة عن الإنكار بإيكال الأمر إلى الله تعالى والتسليم فيما لا يعرفه ولا اعتراف بأن الله تعالى يعلم من أحوال الناس ما لا يعلم هو والجهل في الشريعة ليس بعذر في مثل هذا إذ هو مثل جهل اليهود والنصارى والمجوس وعباد الأصنام بما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم من الحق والدين الصحيح فإنه ليس بعذر عند أهل التصديق بذلك كما أنه ليس بعذر عند الله تعالى أيضا وأن ما كان عذرا عند أهل هذه الملل الباطلة بل في زعمهم أن ما أنكروه هو الباطل وما أنكروا به هو الحق، وحيث كان حكم المنكر على أولياء الله هو الكفر فيترتب على ذلك ما يترتب على الكفر من أحكام الشريعة كفسخ النكاح والاستتابة وإهراق الدم إن أصر وكذلك بقية أحكام المرتد وهذا كله إن تحققنا منه ذلك وقدرنا عليه فإن لم نتحقق وغاب عنا نحكم برجوعه عنه نظير ما قال العلماء في المرتد وقالوا بأن إنكار الردة توبة ولا نحكم بالظن في أحد ولا بالتجسس عليه أنه منكر على ولي من أولياء الله تعالى أصلا، كما أنا لا نسيء الظن أحد أنه ينكر فرضا من الفروض ولا نتجسس عليه في ذلك ولكنا نحكم بما نتحققه فيه فإن الظن السوء والتجسس حرمهما الله تعالى وحرمهما رسوله صلّى الله عليه وسلّم فلا يترتب عليهما إذا فعلا حكم من أحكام الله تعالى، كما أن النمام إذا نقل القذف فهو فاسق بنقله ذلك لفعله الحرام فلا يترتب على قوله حكم إقامة الحد على المنقول عنه لعدم عدالة الناقل بفسقه بنفس النقل أو عدم وجود نصاب الشهادة فكذا في التجسس وسوء الظن يفسق فاعلهما فلا يقبل قوله في الشريعة ولو قبله من لم يعلم حاله فإن العدالة شرط في الديانات (وابتغ) أي أطلب (بين ذلك) أي بين الإفراط في مدح الأولياء والتفريط في ذمهم (سبيلا) أي طريقا تسلكه في ظاهرك وباطنك يكون وسطا بحيث لا تذمهم أصلا ولا تخرجهم عن كونهم عباد الله

تعالى مخلوقين لا تأثير لهم في خرق عادة ولا في عادة مطلقا بل هم كغيرهم من خلق الله تعالى في عدم التأثير في شيء من الأشياء ولكن الله تعالى فضلهم على غيرهم من خلقه بما يخلقه سبحانه وينسبه إليهم من خوارق العادات ومن العادات وهم أدنى من الأنبياء لأن ولايتهم أدنى من النبوة كما أن الإيمان أدنى من الولاية فالأنبياء ثم الأولياء ثم المؤمنون (وقل) يا أيها المكلف (الحمد لله) بقلبك ولسانك (الذي هدانا) أي دلنا وأرشدنا (لهذا) الحق المبين والكلام المتين الذي تقرر في هذا الفصل كله بل في هذا الكتاب جميعه (وما كنا لنهتدي) بأنفسنا إلى ذلك (لولا أن هدانا الله) سبحانه بمحض فضله وإحسانه بل كنا نضل كما ضل غيرنا ممن يساويا في الإدراك والتكليف من كل خسيس في الناس وشريف والحمد لله الخبير اللطيف انتهى

الباب الثاني

من الأبواب الثلاثة التي اشتمل عليها هذا الكتاب (في الأمور) جمع أمر وهو الشأن والحال الذي يخص أو يعم (المهمة) التي توقع في الهم والحزن على فواتها أو التي تفعل بالهمة والعزيمة (في الشريعة) الإسلامية وهي ما شرع الله لعباده والظاهر المستقيم من المذاهب كالشرعة بالكسر فيهما كذا في القاموس (المحمدية) أي المنسوبة إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم (وهي) أي تلك الأمور المهمة (ثلاثة) أمور (نبين) أي نشرح ونوضح (كلا) أي كل واحد (منها) أي من تلك الأمور الثلاثة (بتوفيق) أي بسبب ذلك والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد (الله) تعالى لنا يعني لا بحولنا ولا بقوتنا (في فصل) مستقل (على حدة) غير تابع في بيانه لما قبله ولا لما بعده فتكون الفصول ثلاثة (**الفصل الأول**) من تلك الفصول الثلاثة (في تصحيح الاعتقاد) أي ذكر الاعتقاد الصحيح ولا يكون إلا بالقلب وأما ما يقال باللسان فهو حكاية الاعتقاد لا هو الاعتقاد بنفسه فمن حفظه بلسانه وذكره ولم يكن صحيحا في القلب فليس هو بصاحب اعتقاد صحيح بل حكى الاعتقاد الصحيح فنافق فيه فهو من المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم سواء عرف أنه كذلك أو لم يعرف ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم (**إن الإيمان**

ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما ذكره الأسيوطي في الجامع الصغير وقد نقل السنوسي في شرح الجزائرية عن ابن دهاق شارح الإرشاد لإمام الحرمين إن النفاق على قسمين نفاق يعلمه صاحبه ونفاق لا يعلمه صاحبه كنفاق من جهل العقائد الصحيحة، وبين ذلك بيانا شافيا (وتطبيقه) أي الاعتقاد بمعنى موافقته ومساواته (لمذهب) أي لما ذهب إليه (أهل السنة) أي الطريقة والسيرة المحمدية وهي عامة شاملة للأقوال والأفعال والأحوال (و) أهل (الجامعة) من الاجتماع والجماعة جماعة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من المتبعين للنبي صلّى الله عليه وسلّم قال النجم الغزي في حسن التنبه في التشبه والمراد بطريق أهل السنة والجماعة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام وهو ما عليه السواد الأعظم من المسلمين في كل زمان وهم الجماعة والطائفة الظاهرون على الحق والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة روى أصحاب السنن وصححه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**) وروي هذا الحديث من طرق أخرى كثيرة منها رواية عبد الله بن عمرو وقال (**فيها كلهم في النار إلا ملة واحدة**) قالوا من هي يا رسول الله قال (**ما أنا عليه وأصحابي**) حسنه الترمذي ومنها رواية معاوية رضي الله عنه وقال (**فيها اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة**) رواه أبو داود وغيره ومنها رواية ابن عباس رضي الله عنهما وقال فيها (**كلها في النار إلا واحدة**) فقيل وما هذه الواحدة فقبض على يده وقال (**الجماعة فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) رواه ابن ماجه وغيره وقوله في الآية والحديث ولا تفرقوا أي في أصول الديانات والاعتقاد كما روي عن ابن مسعود وغيره وقيل المعنى ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة النفسانية وعليهما فليس في الآية نهي عن الاختلاف في الفروع والأحكام إذ المنهي عنه إنما هو

اختلاف يؤدي إلى إفساد وتقاطع وليس ذلك إلا في الاختلاف في العقائد والأصول وأما الاختلاف في مسائل الإجتهاد فإنه سبب لاستخراج الحقوق والفرائض وظهور دقائق الشريعة ولم تزل الصحابة مختلفين في أحكام الحوادث وهم مع ذلك متواصلون وفي الحديث (**اختلاف أمتي رحمة**) كما نقله خلائق من العلماء منهم الشيخ نصر المقدسي والحليمي والبيهقي وإمام الحرمين ومن هذا القبيل اختلاف الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وكلهم على هدى من ربهم ورحمة وهم مثابون مأجورون لهم أجورهم ومثل أجور أتباعهم رضي الله تعالى عنهم ومن هذا القبيل أيضا اختلاف العلماء العلوم الشرعية وما يحتاج إليه فيها حيث منهم من مال إلى الحديث ومن من مال إلى التفسير ومنه من مال إلى الفقه ومنهم من مال إلى العربية وكذلك اختلاف الصوفية رضي الله عنهم في رياضات النفوس وتربية المريدين كل واحد منهم سلك هو ومريدوه طريقة فمنهم من سلك طريقة المجاهدات ومنهم من سلك طريقة المعاملات وقد قال الشيخ نجم الدين الكبرى رحمه الله تعالى الطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق أي من حيث السلوك لا من حيث الاعتقاد فإن عقائد أولياء الله تعالى متواردة على عقيدة واحدة وهي عقيدة أهل السنة والجماعة وكذلك اختلاف أهل الصنايع والحرف في صنايعهم وحرفهم كل ذلك داخل في قوله صلّى الله عليه وسلّم (**اختلاف أمتي رحمة**) وأما اختلافهم في الاصول فإنه عذاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**) وذكر الشيخ الإمام العارف بالله تعالى أحمد بن محمد المدني المعروف بالقشاشي رحمه الله تعالى في الجواب الشافي عن السؤال الموافي في معنى المراد من أهل السنة والجماعة أن المخصوص بالهداية الجماعة المجتمعون على الكتاب والسنة المنتهون عن الاختلاف والفرقة الآخذون بالوارد لا بالعقل المثير للمراء والخصومات في دين الله فالقائم على ذلك بشهادة من الكتاب والسنة وهو متابعة ما عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه وتابعوهم قولا وفعلا بصريح الوارد محكما له ومسلما له تسليما عازلا لهواه وعقله عند ذلك هو من أهل السنة والجماعة ومسمى بذلك بالنص المذكور وإن فرط منه شيء من

القصور والمخالفة تداركه بالرجوع إلى الله تعالى والحكم للغالب من حاله فإذا كان الغالب المحافظة على ذلك فالحكم للغالب ثم بسط الكلام في بيان أن المراد من أهل السنة والجماعة من تابعوا الوارد في الكتاب والسنة واعتقدوه إيمانا وإذعانا ولم يعتقدوا أمرا مستفادا من تحكمات العقول والآراء وأن المراد بالفرق الضالة والطوائف المبتدعة من تابعوا عقولهم وآراءهم في معاني الوارد في الكتاب والسنة ولم يبقوا ذلك على مراد الله تعالى ورسوله ويعتقدوه كذلك وذكر أمثلة لذلك من كلام الفريقين على مقتضى المذهبين (وجملته) أي جملة مذهب أهل السنة والجماعة في العقائد يعني محصله وملخصه إذ لا يمكن استقصاء ذلك مبسوطا في هذا الكتاب للخروج عن مقتضى الاختصار (إن الله تعالى واحد) أي موصوف بالوحدانية وهي تقال على خمسة أنواع النوع الأول الوحدانية في الذات والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام وفي الإرشاد لإمام الحرمين الرب تعالى واحد والواحد في اصطلاح الموحدين الشيء الذي لا ينقسم ولو قيل الواحد هو الشيء لوقع الاكتفاء بذلك والرب تعالى موجود فرد متقدس عن قبول التبعيض والانقسام وفي بحر الكلام للإمام النسفي ومعنى الواحد الموجود الذي لا بعض له ولا انقسام لذاته فإن الله تعالى واحد لا من جهة العدد يدل عليه أنه تعالى لو كان واحدا من جهة العدد لكان أبعاضا فأمتنع أن يكون إلها واحدا

والنوع الثاني الوحدانية في الصفات والمراد بها انتفاء النظير له تعالى والشبيه والمثيل في كل صفة من صفاته فيمتنع أن يكون له تعالى علوم وقدرات وإرادات متعددة متكثرة بحسب المعلومات والمقدورات والمرادات بل علمه تعالى واحد، ومعلوماته كثيرة وقدرته واحدة ومقدوراته كثيرة وإرادته واحدة ومراداته كثيرة وعلى هذا جميع صفاته وكذلك يمتنع أن يكون لغيره تعالى صفة من صفاته تعالى أو مثل صفة من صفاته تعالى أو يتصف تعالى بصفة من صفات خلقه سبحانه أو مثل صفة مصفاته خلقه سبحانه

والنوع الثالث الوحدانية في الأسماء والمراد بذلك امتناع المشابه والمماثل له تعالى في كل اسم تسمى به سبحانه من حيث هو مسمى به إن جاز إطلاق بعض أسمائه

تعالى على غيره من خلقه والفرق بين الاسم والصفة إن الصفة تتقدم على الاسم فالصفة اسم غير ظاهر فإذا ظهر أطلق عليه الاسم فإن الرحمة كانت سابقة على الاسم الرحمن فلما رحم تمسى رحمانا

والنوع الرابع الوحدانية في الأفعال وذلك وجوب انفراده تعالى باختراع جميع الكائنات عموما وامتناع استناد التأثير لغيره تعالى في شيء من الممكنات أصلا فكل ذات من ذوات المخلوقات وكل صفة وكل اسم وكل فعل وكل حكم حادث، جميع ذلك مخلوق لله تعالى وحده لا يشاركه في شيء من ذلك مشارك أصلا لا طبيعة ولا كوكب ولا قوة ولا سبب مطلقا

والنوع الخامس، الوحدانية في الأحكام كما قال تعالى (**وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ** * الرعد: ٤١) والحكم هو الأمر والنهي وهو واحد ولكنه كثير بالمتعلقات من أحوال المكلفين وحكمه قديم ولكنه تبين في الخلق لا حدث وهو الذي أنزل الكتب وشرع الشرايع وبعث النبيين يبلغون عنه قوله ويحكمون بحكمه فالأحكام كلها راجعة إلى قوله الحق ومستندة إلى خبره الصدق وهو الذي ينفذها على يدي من شاء من خلقه في الدنيا وينفذها في الآخرة من غير واسطة وهو الذي حكم بسعادة من يسره لطاعته وحكم بشقاوة من يسره لعداوته ومخالفته وهو الذي حكم بترتيب الأسباب وتوجيهها إلى المسببات وبترتيب العادة وهو الذي حكم بالكفر على الكفار وبالإيمان على المؤمنين وبالفسق على الفاسقين وبالنفاق على المنافقين وبالطاعة على المطيعين وبالإخلاص والتقوى على المخلصين والمتقين (**لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** * القصص: ٨٨) (**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ** *) (**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ** * الأنعام: ٥٧) (**أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ** * التين: ٨) (**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً** * المائدة: ٥٠) (**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ** * يونس: ٩٣) بحكمه ومن هنا قلنا بوحدانية الحكم لوروده كذلك في هذا الآيات وإن جاز إطلاق تعدده لكثرة أنواعه بكثرة متعلقاته وتمام هذا الأبحاث في كتابنا المطالب الوفية (لا يشبهه) سبحانه وتعالى (شيء)

أصلا وهو توكيد لصفة الوحدانية كما ذكرنا ثم أكد ذلك أيضا بقوله (ليس) سبحانه وتعالى (بجسم) وهو المركب من الجزء الذي لا يتجزى، وأدنى التركيب من جزئين فصاعدا وعند البعض لا بد من ثلاثة أجزاء لتحقيق الأبعاد الثلاثة أعني الطول والعرض والعمق وفي شرح الصحايف قال أهل السنة الجسم هو متحيز قابل للقسمة فعلى هذا يكون المركب من جوهرين فردين جسما عندهم انتهى ومعلوم أن كل مركب حادث والله يستحيل في حقه الحدوث فليس بجسم سبحانه (ولا عرض) أيضا بالعين المهملة والراء محركة وهو ما لا قيام له بذاته والمراد ليس هو تعالى عرضا ولا صفة من صفاته تعالى أيضا عرضا ولا اسم من أسمائه ولا فعل من أفعاله ولا حكم من أحكامه لأن العرض لا يقوم بذاته بل يفتقر إلى محل وهو الجسم يقومه أي يجعله قائما فوجود العرض في نفسه هو وجوده في الجسم فلو كان الله تعالى عرضا لاحتاج إلى محل يقومه فكان ممكنا لا واجبا وهو محال ولأن العرض يمتنع بقاؤه وإلا لكان البقاء معنى قائما به فيلزم قيام المعنى بالمعنى وهو محال لأن قيام العرض بالشيء معناه إن تحيزه تابع لتحيزه والعرض لا تحيز له بذاته حتى يتحيز غيره بتبعيته وذلك محال على الله تعالى الذي يجب بقاؤه سبحانه (ولا جوهر) وهو الجزء الذي لا يتجزى عند أهل السنة والجماعة وعند الحكماء الجوهر إما جرماني مادي أو روحاني مجرد عن المادة فالجرماني هو الجسم وأجزاؤه الهيولي والصورة والروحاني العقول والنفوس المجردة والله تعالى يستحيل عليه شيء من ذلك كله أما عندنا فلأن الجوهر جزء من الجسم والله تعالى متعال أن يكون جزءا وأما عندهم فلأن الجوهر من أقسام الممكن وهو الماهية الممكنة التي إذا وجدت كانت لا في موضوع وليس الله تعالى بممكن بل هو واجب وأيضا لم يرد في الشرع إطلاق الجوهر على الله تعالى مع تبادر الفهم إلى إطلاقه عند النصارى بالمعنى الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه (ولا مصور) أي ذو صورة لأن ذلك من خواص الأجسام يحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات وإحاطة الحدود والنهايات والصورة المنفية عنه تعالى سواء كانت في الظاهر أو في الذهن وكان الشيخ أبو إسحق الإسفرائني رحمه الله تعالى يقول جميع ما قاله

المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحق في كلمتين الأولى اعتقاد أن كل ما تصور في الأوهام فالله تعالى بخلافه والثانية اعتقاد أن ذاته سبحانه ليست كالذوات ولا معطلة عن الصفات (ولا متناه) أي له نهاة في زمان أو مكان لأن ذلك من صفات المقادير والأعداد المستحيلة عليه تعالى (ولا متجز) أي له أجزاء يسمى باعتبار تأليفه منها متركبا واعتبار انحلاله إليها متبعضا ومتجزيا لما في كل ذلك من الاحتياج المنافي للوجوب (ولا يطعم) أي يأكل من طعمه كسمعه طعما وطعاما (ولا يشرب) لما في ذلك من الاستمداد بغيره وهو من مقتضيات الأجسام قال تعالى (**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ** * الأنعام: ١٤) وقالوا في قوله تعالى (**اللَّهُ الصَّمَدُ** * الإخلاص: ٢) أنه الذي لا يحتاج إلى الطعام والشراب وقال البيضاوي أنه السيد المصمود إليه في الحوائج من صمد إذا قصد وهو الموصوف به على الإطلاق فإنه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته لَمْ يَلِدْ لانه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله أو ليطابق قوله وَلَمْ يُولَدْ وذلك لأنه لم يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ أي ولم يكن له أحد يكافيه أو يماثله من صاحبة وغيرها قاله البيضاوي وفي حقائق السلمي قال ابن عطا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ظهر لك منه التوحيد اللَّهُ الصَّمَدُ ظهر لك منه المعرفة لَمْ يَلِدْ ظهر لك منه الإيمان وَلَمْ يُولَدْ ظهر لك منه الإسلام وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ظهر لك منه اليقين وقال بعضهم الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ الذي لا نظير له في ذات ولا فعل وقال أبو بكر الرازي سمعت أبا علي الروذبادي يقول وجدنا الشرك على ثمانية أنواع على التنقص والتقلب والكثرة والعدد والعلة والمعلول والأشكال والأضداد فنفى عز وجل عن صفته وذاته نوع الكثرة والعدد بقوله قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ونفى التنقص والتقلب بقوله اللَّهُ الصَّمَدُ ونفى العلة والمعلول بقوله لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ونفى الأشكال والأضداد بقوله وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ وقال ابن عطا لَمْ يَلِدْ دليل الفردانية وَلَمْ يُولَدْ دليل الربوبية وقال جعفر جل ربنا أن تدركه الأوهام

والعقول بل هو كما وصف نفسه والكيفية عن وصفه غير معقول فسبحانه أن تصل الفهوم والعقول إلى كيفيته كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ والبقاء والأبدية والسرمدية والوحدانية والمشيئة والقدرة له تبارك وتعالى قال الواسطي نفى الحقايق والإحاطة ثم أكده بقوله لَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ فلا يشار إلى ما لا كفو له بوجه كيف يطلق اللسان بما لا كفو له ولا مثل إلا إثبات دون المباينة وكيفية الصفات (ولا يتمكن) سبحانه وتعالى أي لا يحل ولا يسكن (بمكان) أي في مكان وهو ما استقر عليه الجسم والحيز هو ما ملأه الجسم فالمكان والحيز أمران نسبيان من لواحق الأجسام وتوابعها حتى لو فرض أن الأجسام لم تخلق لم يخلق المكان ولا الحيز فالمكان تستقر عليه الأجسام لا فيه فإن كانت فيه فتلك الأحياز والله تعالى يستحيل عليه أن يكون في مكان أي مكان كان في السماء أو الأرض لأن المكان لا يفتقر إليه الاّ جسم والله تعالى لو افتقر إلى مكان لكان جسما ويستحيل عليه تعالى أن يكون جسما فالاستواء في قوله تعالى (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** * طه: ٥) ليس معناه أن استواء الله تعالى كاستواء الأجسام لأنه تعالى ليس بجسم كما تقدم بل استواء يليق به تعالى وبكمال تنزيهه عن مشابهة كل شيء قال النسفي في بحر الكلام لأن الله تعالى كان قبل أن يخلق العرش فلا يجوز أن يقال بأنه انتقل إلى العرش لأن الانتقال من صفات المخلوقين وإمارات المحدثين والله تعالى منزه عن ذلك ولأن من قال بالاستقرار على العرش فلا يخلو إما أن يقول إنه مثل العرش أو العرش مثله أو العرش أكبر منه أو هو أكبر من العرش وأي كان فقائله كافر لأنه جعل الله تعالى محدودا وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل أين كان ربنا قبل أن يخلق العرش فقال أين السؤال عن المكان وكان الله تعالى ولا مكان ولا زمان وهو الآن كما كان وقالت الجهمية أن الله تعالى في كل مكان وفي شرح العمدة وقول المعتزلة وجمهور النجارية أنه تعالى في كل مكان بالعلم والقدرة والتدبير دون الذات باطل لأن من يعلم مكانا لا يبال أنه في ذلك المكان بالعلم (ولا يجر) أي يمر (عليه) سبحانه وتعالى (زمان) ومعنى الزمان عندنا اقتران متجدد بمتجدد آخر

فالزمان نسبة بين الشيئين المتجددين متأخرة عنهما والله تعالى ليس بمتجدد بل هو قديم أزلي فليس للموجود الأول المتجدد الحادث اقتران به فلا زمان بينه وبينه وكذلك للموجود الثاني وما بعده إلى ما لا نهاية له من الحوادث المتجددة بل هو تعالى سابق على كل شيء من الأشياء الماضية والحالة والمستقبلة سبقا واحدا لا تفاوت فيه (وليس له) تعالى (جهة من الجهات الست) التي هي فوق وتحت ويمين ويسار وقدام وخلف لأنه تعالى ليس بجسم حتى تكون له جهة كما للأجسام والجهة عند المكلمين هي نفس المكان باعتبار إضافة جسم آخر إليه ومعنى كون الجسم في جهة كونه مضافا إلى جسم آخر حتى لو انعدمت الأجسام كلها لزم من ذلك انعدام الجهات كلها لأن الجهات من توابع الاجسام واضافاتها وحيث انتفى عن الله تعالى المكان والزمان انتفت الجهات كلها عنه تعالى أيضا لأنه جميع ذلك من لوازم الجسمية وهي مستحيلة في حقه تعالى وإلا كان تعالى مشابها للحوادث (ولا هو) أي الله تعالى (في جهة منها) أي من تلك الجهات الست لأنه تعالى ليس بجسم ولا يحتاج للجهات إلا الجسم وذكر بعضهم أن جملة العالم ليس في مكان ولا جهة وإلا تسلسل وإذا كان هذا في جملة العالم الذي هو حادث مخلوق فكيف في الرب الخالق سبحانه وتعالى يكون له مكان أو جهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي شرح العقائد للسعد واعلم أن ما ذكره في التنزيهات بعضها يغني عن بعض إلا أنه حاول التفصيل والتوضيح في ذلك قضاء لحق الواجب في باب التنزيه وردا على المشبهة والمجسمة وسائر فرق الضلال والطغيان بأبلغ وجه وأوكده فلم يبال بتكرير الألفاظ المترادفة والتصريح بما علم بطريق الالتزام (ولا يجب) أي لا يلزم (عليه) تعالى (شيء) لغيره سبحانه من ثواب أو عقاب أو فعل صلاح أو أصلح أو فساد أو أفسد بل هو الفاعل العدل المختار ويخلق الله ما يشاء ويختار وفي شرح الطوالع للأصفهاني وأما أصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى والعقاب على المعصية عدل منه تعالى وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب ولا يكون الثواب على الطاعة واجبا على الله تعالى والعقاب

على المعصية لأنه لا يجب على الله شيء وكل ميسر لما خلق له فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة والعاصي ميسر لما خلق له وهو المعصية وليس للعبد في ذلك تأثير وقال السعد في شرح المقاصد طاقة العبد وإن كثرت لا تفي بشكر بعض ما أنعم الله تعالى به عليه فكيف يتصور استحقاق عوض عليها ولو استحق العبد بشكره الواجب عوضا لاستحق الرب على ما يوليه من الثواب عوضا وكذا العبد على خدمته لسيده الذي يقوم بمؤنته وإزاحة علله والولد على خدمته لأبيه الذي يربيه وعلى مراعاته وتوخي مرضاته وأيضا لو وجب الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق لزم أن يثاب من واظب طول عمر على الطاعات وارتد والعياذ بالله في آخر الحياة وأن يعاقب من أصر دهرا على كفره وأخلص الإيمان في آخر عمره ضرورة تحقق الوجوب والاستحقاق واللازم باطل بالاتفاق وقال الأصفهاني ولا يجب عليه تعالى شيء لأن الوجوب حكم والحكم لا يثبت إلا بالشرع ولا حاكم على الشارع فلا يجب عليه شيء ولأنه لو وجب عليه شيء فإن لم يستوجب الذم بتركه لم يتحقق الوجوب لأن الوجوب هو كون الفعل بحيث يستحق تاركه للذم وإن استوعب بتركه الذم كان الباري تعالى ناقصا لذاته مستكملا بفعله فإنه حينئذ يخلص بفعله من المذمة وهو محال والمعتزلة أوجبوا على الله تعالى أمورا منها اللطف ومنها الثواب على الطاعات ومنها العقاب على الكبائر قبل التوبة ومنها أن يفعل الأصلح لعباده في الدنيا ومنها أن لا يفعل القبيح عقلا وقد عرفت فساد ذلك فإنه لا قبيح بالنسبة إلى الله تعالى وفي شرح العقائد للسعد ثم ليت شعري ما معنى وجوب الشيء على الله تعالى إذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب وهو ظاهر ولا لزوم صدوره عنه بحيث لا يتمكن من الترك بناء على استلزامه محالا من سفه أو جهل أو عبث أو بخل أو نحو ذلك لأنه رفض لقادة الاختيار وميل إلى الفلسفة الظاهرة العوار وقال السنوسي رحمه الله تعالى في شرح الجزائرية أن الذي أوقع المعتزلة في الضلالات كإيجاب الثواب وفعل الصلاح والأصلح على الله تعالى اعتمادهم في عقائدهم على التحسين والتقبيح العقليين وقياسهم أفعال الله تعالى

وأحكامه على أفعال المخلوقين وأحكامهم من غير أن يكون في ذلك جامع يقتضي التسوية في الأحكام والذي أجمع عليه أهل الحق أن الأفعال كلها مستوية بالنسبة إلى تعلق قدرة الله تعالى، وإرادته بها وكذا هي أيضا مستوية بالنسبة إلى تعلق أحكامه تعالى الشرعية بها فلا يتصف شيء منها بالحسن لذاته أو صفته كما لا يتصف شيء منها بالقبح لذاته أو صفته فلا يجب إذن شيء منها عقلا على الله تعالى ولا يستحيل وكذا لا مجال للعقول في إدراك حكم شرعي لها فليس الحسن شرعا عند أهل الحق إلا ما قيل فيه من جهة مولانا عز وجل افعلوه ولا القبيح شرعا إلا المقول فيه من جهته لا تفعلوه وتخصيص كل واحد من الأفعال بما أختص به من الأحكام لا علة له ولا عرض يبعث عليه وللشرع حكم أن يقله نتبعه في ذلك وإن سكت فلا مجال لعقولنا في ذلك أصلا (ولا يحل) أي يسكن (فيه) سبحانه وتعالى أي في حضرة ذاته العلية أو في صفة من صفاته أو في اسم من أسمائه أو في فعل من أفعاله أو في حكم من أحكامه (حادث) من الحوادث أصلا لأن جميع الحوادث كائنة به تعالى لا بنفسها ولا بغيره سبحانه وإذا كانت به كان هو فاعلا لها فلا يتصور أن يكون الفاعل محلا للمفعول وإلا لما كان فاعلا وهو محال والحاصل أنه يستحيل أن يكون الله تعالى محلا للحوادث أو الحوادث محلا له أو متحدة معه أو متحدا معها وإذا بطل الحلول فالإتحاد يبطل بالطريق الأولى لأنه إذا استحال قيامه تعالى بشيء وحلوله فيه استحال اتحاده بذلك الشيء بحيث يصيران شيئا واحدا والاتحاد محال مطلقا في القديم والحادث كما ذكره المقري رحمه الله تعالى في حاشيته على شرح السنوسية والحلول على ثلاثة أنواع حلول النصارى وحلول اليهود وحلول الباطنية ومن الباطنية الدروز والتيامنة والنصيرية وأمثالهم خذلهم الله تعالى فحلول النصارى اعتقادهم بأن الإله سبحانه حال في عيسى عليه السلام حلول الصفة في الموصوف على تفصيل ذكرنا مع رده في كتابنا المطالب الوفية وحلول اليهود اعتقادهم أن الإله تعالى مستقر على العرش وقد تعب وأعيا من خلق السموات والأرض وقريب منه اعتقاد المجسمة والمشبهة الذين يعتقدون أن الله تعالى جسم ويقولون

أنه في السماء وأما حلول الباطنية فهو كما قال المقري رحمه الله تعالى بأن الباطنية هم القائلون بأن الحق سبحانه يحل في الإنسان فتنكشف له الحقائق ولا يحل في الذات إلا المعاني وهم كفار انتسبوا لأهل التصوف وأخذوا ذلك من شطحات لهم (حكيم) هو الذي يعلم المناسبة بين الأشياء فيضع كل شيء في موضعه ذكره النجم الغزي في حسن التنبه في التشبه وفي شرح الأسماء لليافعي رحمه الله تعالى الحكيم وصف مبالغة من الحكمة التي هو العلم فمعناه العليم أو بمعنى المحكم فهو مشتق من الإحكام وهو الإتقان أو بمعنى الحاكم فهو مشتق من الحكم الذي هو المنع (لا يفعل شيئا) في الحس أو في العقل في الدنيا أو في الآخرة (إلا بحكمة) وهي كما قال اليافعي ترجع إلى العلم بالأسرار والأحكام وإلى الإتقان للصنع والإحكام وإلى الحكم الحق لنافذ على الأنام وفي القاموس الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والقرآن وأحكمه أتقنه ومنعه عن الفساد (وفائدة) أي عاقبة حميدة ترجع إلى عباده لأنه الغني عن العالمين (فعال) صيغة مبالغة أي كثير الفعل (لما يشاء) سبحانه بعباده من خير أو شر أو نفع وقال البيضاوي في قوله تعالى (**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**) ما يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره (بلا إيجاب) لشيء من الأفعال عليه تعالى بل كل ذلك جائز في حقه إذ لا معنى للإيجاب كما قدمناه (منزه) سبحانه وتعالى أزلا وأبدا من التنزه وهو التباعد والاسم النزهة بالضم ونزه الرجل ككرم وضرب تباعد عن كل مكروه فهو نزيه واستعمال التنزه في الخروج إلى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح كذا في القاموس ويمكن أن يكون له وجه بأنهم كنوا به عن ذلك ومرادهم التباعد عن الهموم والأحزان بسبب رؤية ذلك وتفريج الضيق عنهم أو باعتبار قصدهم المكان البعيد فإنه أنزه عند النفوس من القريب فسمي تنزها لأنه تبعد عن الوطن (عن صفات النقصان) التي توجب انحطاطا في مراتب الإلوهية كالجهل والعجز والصمم والعمي ونحو ذلك (كلها) ما علم منها وما لم يعلم (متصف) جل وعلا أزلا وأبدا (بصفات الكمال) الواجبة له تعالى كالعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوها (كلها) على حسب ما ورد في الكتاب والسنة (وليس له) سبحانه وتعالى (كما

متوقع) بصيغة اسم المفعول أي منتظر وقوعه وحصوله يعني كمالا حادثا لأنه تعالى قديم ولا يوصف القديم بحادث وإلا كان تعالى حادثا ليماثل ما اتصف به وهو محال (قديم) واختلفوا في معنى القدم فقيل هو صفة سلبية معناه سلب العدم السابق على الوجود يعني لم يسبق وجوده تعالى عدم أصلا وهذا هو القدم المخصوص بالألوهية وأما القدم الزماني فهو مرور الأزمنة على الشيء مع بقائه فيها كالعرجون القديم وقيل هو من الصفات النفسية ورد بأنه لو كان كذلك لما عري عنه موجود إذا الصفة النفسية ما لا تعقل الذات بدونها فيلزم أن لا تعقل ذات شيء أصلا بدونها واللازم باطل فكذا الملزوم لأن ذوات الحوادث معقولة وليست بقديمة وقيل هو صفة بمعنى ثبوتي موجود زائد على الذات كالقدرة والإرادة ورد بأنه يلزم عليه التسلسل باتصاف القدم بقدم وهلم جرا وقيام المعنى بالمعنى والراجح الأول (أزلي) منسوب إلى الأزل وهو بالتحريك القدم وهو أزلي أو أصله يزلي منسوب إلى لم يزل ثم أبدلت الياء ألفا للخفة كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزن أزني كذا في القاموس ومعنى الأزل عند المحققين حضرة الله تعالى التي هو موجود فيها حيث لا ماضي ولا مستقبل ولا حال بالنسبة إليها ولا مكان ولا جهة فكما أن شيئا من الحوادث لا يمكن أن يوجد فيها لا يمكن أن يوجد هو سبحانه وتعالى في الزمان أو المكان أو الجهة فالزمان والمكان والجهة حضرة المخلوق وحده والأزل حضرة الله تعالى وحده فليس الله تعالى موجودا في حضرتنا بل في حضرته الخاصة به وهي الأزل وليس شيء منا موجودا في حضرته تعالى التي هي الأزل بل جميع الحوادث موجودة في حضرتها الخاصة بها التي هي الزمان والمكان والجهة وفي زبدة الحقائق لعين قضاة الهمداني قدس الله سره من ظن أن الأزلية شيء ماض فقد أخطأ خطأ فاحشا فحيث الأزلية فلا ماضي ولا مستقبل وهي محيطة بالزمن المستقبل كإحاطتها بالزمن الماضي من غير فرق فليس زمن آدم عليه السلام أقرب بالأزلية من زماننا هذا بل نسبة الأزمنة كلها إلى الأزلية واحدة ولعل نسبة الأزلية إلى الأزمنة كنسبة العلوم مثلا إلى الأمكنة إذ لا توصف العلوم بكونها قريبة من مكان أو بعيدة من مكان بل نسبتها واحدة إلى كل مكان فهي مع

كل مكان ومع ذلك فقد خلا عنها كل مكان وكذلك ينبغي أن يعتقد نسبة الأزلية إلى كل زمان فإنها مع كل زمان وفي كل زمن ومع ذلك فإنها محيطة بكل زمن وسابقة الوجود على كل زمان ولا يسعها زمن كما لا يسع العلم مكان فإذا فهمت هذه المعاني فاعلم أنه لا مغايرة بين الأزلية والأبدية في المعنى أصلا بل إذا اعتبر وجود ذلك المعنى مع نسبته إلى الماضي من الأزمنة استعير له لفظة الأزلية وإن اعتبر وجوده مع نسبته إلى المستقبل من الأزمنة استعير له لفظة الأبدية انتهى وهذا الكلام في أعلى طبقات التحقيق ولا يشعر به إلا أهل العناية والتوفيق (أبدي) أي منسوب إلى الأبد محركة وهو الدهر وجمعه أباد وأبود والدائم والقديم الأزلي كذا في القاموس ويرادف ذلك الباقي من البقاء واختلف فيه كالقدم أيضا، فقيل صفة سلبية ومعناه امتناع لحوق العدم لوجوده تعالى وقيل صفة نفسية وقيل صفة معنى ثبوتية وهما مردودان بما مر في القدم (له) سبحانه وتعالى (صفات) جمع صفة أصلها وصف فحذفت الواو وعوض عنها التاء ثم جمعت هذا الجمع والوصف يجمع على أوصاف وصفاته تعالى على أقسام صفات ذات وصفات أفعال وصفات نفسية وصفات سلبية وصفات معاني وصفات معنوية وكلها (قديمة) أزلية يستحيل حدوث شيء منها مع قيامه بذات الله تعالى ولا انفكاك لها عن ذاته تعالى اصلا فيستحيل حدوثها وزعمت الكرامية أن له تعالى صفات حادثة وهو محال (قائمة) أي موجودة ثابتة (بذاته) سبحانه ضرورة أنه لا معنى لصفة الشيء إلا ما يقوم به لا كما زعمت المعتزلة أنه تعالى متكلم بكلام قائم بغيره تعالى وله إرادات حادثة لا في محل (لا) تلك الصفات (هو) سبحانه وتعالى يعني عين ذاته (ولا غيره) أي غير ذاته تعالى فلا يلزم قدم الغير ولا تكثر القدماء ورفع النقيضين في الحقيقة جمع بينهما فهي عين الذات وغير الذات ومعناه كما قال عين القضاة الهمداني في زبدة الحقايق الصفات عين الذات إذا نظر إليها من الوجه الذي يلي الذات وعلى هذا لا يكون فيها تغاير البتة أصلا وهي غير الذات إذا نظر إليها من الوجه الذي يلي انقسام الوجود إلى الأقسام المتعددة وعلى هذا الوجه تكون الصفات متغايرة ومتعددة ولهذا

مثال واضح فإن العشرة لها في ذاتها معنى مفهوم وذلك المعنى واحد لا ينقسم ويدل عليه لفظ العشرة، فأما إذا اعتبر منها نسبة إلى الخمسة دل عليها بلفظ النصف وإذا اعتبر نسبتها إلى العشرين دل عليها بلفظ النصف وإذا اعتبر نسبتها إلى الثلاثين دل عليها بلفظ الثلث وهكذا يمكن أن يدل عليها بألفاظ أخر عند اختلاف نسبتها إلى أعداد أخر وهذه الصفات التي وصفت بها العشرة عند اختلاف تلك النسبة واحدة من وجه وكثيرة من وجه فإذا اعتبر منها الوجه الذي يلي ذات العشرة لم يوجد فيها تعدد إذا اعتبر منها الوجه الذي يلي أقسام الأعداد التي نسبت العشرة إليها تعددت باعتبار تلك النسب لتعدد أعداد نسبت إليها فكذلك ذات واجب والوجود الحق يلزمها الوحدة وكيف لا يلزمها الوحدة والأحدية التي هي أخص من الوحدة لازمة لها إذ لا يمكن أن يوجد لغيرها من الذوات خاصيتها الموجودة لها فإذا نظرت عين الذات الواجبة إلى نفسها صادفتها متحدة غير متكثرة بوجه من والوجوه ولكن لكثرة نسب تلك الذات إلى الموجودات الأخر التي استحقت الوجود من تلك الذات احتيج إلى تغيير العبارات عنها حتى تتأدى حقائق تلك النسب بواسطتها إلى الأفهام واعلم بأن الصفات التي هي لا عين الذات ولا غيرها إنما هي الصفات الذاتية الثبوتية والصفات المعنوية، وصفات الأفعال عندنا وأما الصفات السلبية كليس بمركب فإنها غير الذات قطعا وأما الصفات النفسية كالوجود فهي عين الذات قطعا كما أوضحنا في المطالب الوفية (هي) الصفات يعني صفات المعاني المذكورة أنها لا هو ولا غيره ثمانية الأولى (الحياة) وهي صفة لله تعالى أزلية توجب صحة العلم قاله السعد، وهو معنى قول السنوسي الحياة صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بالإدراك والحياة لا تتعلق بشيء أي لا تقتضي أمرا زائدا على قيامها بذات الحق تعالى (و) الثانية (العلم) وهي صفة تنكشف بها المعلومات عند تعلقها بها سواء كانت المعلومات موجودة أو معدومة محالة كانت أو ممكنة قديمة كانت أو حادثة متناهية كانت أو غير متناهية جزئية كان أو كلية وبالجملة جميع ما يمكن أن يتعلق به العلم فهو معلوم لله تعالى لا يقال يلزم على هذا التعريف

الدور لأن المعلومات مشتقة من العلم وقد أخذت في تعريفه فيتوقف كل منهما على الآخر لأنا نقول يمكن دفعه بأن المراد بالعلوم ما يمكن أن يتعلق به العلم الأزلي القديم أو بأن المراد بالمعلومات المدركات وهي إنما تتوقف على العلم بمعنى الإدراك لا بمعنى الصفة الأزلية القائمة بالذات العلية كما هنا أو هو تعريف لفظي فإن قلت ذكر الانكشاف مشعر بسبق الخفاء وهو محال عليه تعالى قلت غايته أنه تسامح مع ظهور المراد فهو كناية عن إحاطة الذات القائمة بها تلك الصفة بسائر المدركات كما تسامح في توقيت التعلق بقوله عند إلى آخره ذكره اللاقاني في شرح جوهرته وليس علم الله تعالى مستفادا بالاكتساب ولا بالضرورة قال المقري في حاشيته على شرح السنوسية ويمتنع كون علم الله تعالى بالاعتقاد أو النظر أو كونه كسبيا أو ضروريا أو بديهيا أو يقينيا لأن اليقيني كما قال البيضاوي افتقار العلم لما ينفي عنه الشبهة نظرا واستدلالا ولذا لا يوصف به العلم القديم انتهى وكذلك يمتنع في علمه تعالى أن يكون تصورا أو تصديقا لأنه قديم والتصور والتصديق عرضان حادثان ينقسم إليهما علمنا الحادث فيستحيل أن ينقسم أيضا إليهما أو إلى أحدهما علمه القديم وهو يتعلق بجميع الموجودات والمعدومات والواجبة والممكنة والمستحيلة ومع ذلك لا تعدد فيه ولا تكثر وتمام هذا مبسوط في كتابنا المطالب الوفية (و) الثالثة (القدرة) وهي صفة تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها يعنى إن الذات الأزلية القائمة بها صفة القدرة القديمة تؤثر في الممكنات ايجادا واعداما على وفق ما تعلقت به ارادتها واعلم ان تعلق الارادة على وفق تعلق العلم وتعلق القدرة على وفق تعلق الإرادة ذكره اللاقاني ونقل المقري عن القرافي في شرح الأربعين أن معنى إيجاد القدرة أنها بمنزلة القلم للكاتب والموجد في الحقيقة هو الذات وهذا سبيل التمثيل والتقريب (**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى** * النحل: ٦٠) انتهى والقدرة إنما تتعلق بالممكن الذي يقبل الوجود والعدم قبولا على السواء بحيث لا يلزم من وجوده نقصان صانعه ولا كماله ولا يلزم من عدمه أيضا نقصان صانعه ولا كماله وهذا معنى الممكن ويسمى الجائز ولا تتعلق القدرة بالواجب وهو ما يلزم من وجوده كمال الحق تعالى ولا

بالمستحيل وهو ما يلزم من وجوده نقصان الحق سبحانه وفصلنا هذا المبحث وغالب مباحث هذا الفصل في المطالب الوفية (و) الرابعة (السمع) وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالمسموعات أو بالموجودات فتدرك إدراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تأثر حاسة ووصول هواء ذكره اللاقاني (و) الخامسة (البصر) وعرفه اللاقاني أيضا بأنه صفة أزلية تتعلق بالمبصرات أو بالموجودات فتدرك إدراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تأثير حاسة ووصول شعاع وقال السنوسي في شرح الجزائرية والجمهور من أهل الحق يقولون بأن السمع والبصر صفتان زائدتان على العلم مباينتان له بالحقيقة وإن كانا متشاركين في أنهما صفتان كاشفتان يتعلقان بالشيء على ما هو به وهذا أحد قولي الشيخ أبي الحسن الأشعري والقول الثاني على ما نقله عنه ابن التلمساني في شرح المعالم أنهما من جنس العلم إلا أنها لا يتعلقان إلا بالموجود والعلم يتعلق بالموجود والمعدوم والمطلق والمقيد وقال اللاقاني ليس سمعه تعالى خاصا بالأصوات بل يعم سائر الموجودات ذوات كانت أو صفات فيسمع ذاته العلية وجميع صفاته الأزلية كما يسمع ذواتنا وما قام بنا من صفاتنا كعلومنا وألواننا وهكذا بصره سبحانه لا يختص بالألوان ولا بالأشكال والأكوان فحكمه حكم السمع سوا بسواء فمتعلقهما واحد انتهى يعني متعلقهما الموجودات فقط سواء كانت قديمة أو حادثة ولا يتعلقان بالمعدومات وكل موجود من الممكنات مقدر بزمان يوجد فيه سواء كان الزمان ماضيا أو مستقبلا أو حالا ذلك الممكن موجود في زمانه المقدر وجوده فيه بالنسبة إلى الله تعالى المنزه عن التقيد بالزمان وإن كان ذلك الممكن معدوما بالنظر إلينا إما لمضيه أو لاستقباله بسبب تقيدنا نحن بالزمان الذي وجدنا فيه فيكون المراد بتعلق السمع والبصر بجميع الموجودات تعلقهما بالموجودات التي هي موجودات بالنظر إلى صاحب السمع والبصر لا بالموجودات بالنظر إلينا ولا يشترط في سمعه وبصره سبحانه أن تكون الأشياء موجودة بالنظر إلينا وأما المعدومات التي ما أرادها الله تعالى ولا تعلقت القدرة بإيجادها في أزمنتها المقدرة لها ولا كشف عنها العلم موجودة في تلك الأزمنة فلا يتعلق

بها السمع والبصر وكذلك المستحيلات بخلاف العلم فإنه يتعلق بالموجود والمعدوم وقد حققنا هذا المبحث في المطالب الوفية بما يفي بالأمنية (و) السادسة (الإرادة) وهي صفة قديمة تقتضي تخصيص المكونات بوجه دون وجه في وقت دون وقت وقال السنوسي هي صفة تؤثر في اختصاص أحد طرفي الممكن من وجود وعدم وطول وقصر ونحوهما بالوقوع بدلا عن مقابله فصار تأثير القدرة فرع تأثير الإرادة إذ لا يوجد مولانا عز وجل من الممكنات أو يعدم بقدرته إلا ما أراد تعالى وجوده أو عدمه وتأثير الإرادة عند أهل الحق على وفق العلم فكل ما علم تعالى أنه يكون من الممكنات أو لا يكون فذلك مراده عز وجل انتهى والإرادة تتعلق بما تتعلق به القدرة من الممكنات فقط دون الواجبات والمستحيلات كما مر (و) السابعة (التكوين) وهو المعنى الذي يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والإيجاد والإحداث والاختراع ونحو ذلك ويفسر بإخراج المعدوم من المعدم إلى الوجود قاله السعد في شرح العقائد وفي شرحه للمقاصد أسند القول بالتكوين إلى الشيخ أبي منصور الماتريدي وأتباعه وهم ينسبونه إلى قدمائهم الذين كانوا قبل الشيخ أبي الحسن الأشعري حتى قالوا أن قول أبي حنيفة والطحاوي له الربوبية ولا مربوب والخالقية ولا مخلوق إشارة إلى هذا ثم أطبقوا على إثبات أزلية التكوين ومغايرته للقدرة وكونه غير المكون وإن أزليته لا تستلزم أزلية المكونات انتهى وقد حققناه في المطالب الوفية (و) الثامنة (الكلام) وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت الذي هو ترك التكلم مع القدرة عليه والآفة التي هي عدم مطاوعة الآلة إما بحسب الفطرة كما في الخرس أو بحسب ضعفها وعدم بلوغها حد القوة كما في الطفولية ولا خلاف لأرباب الملل والمذاهب في كون الباري تعالى متكلما وإنما الخلاف في معنى كلامه وقدمه وحدوثه فعندنا كلامه ما مر وخالفنا في ذلك جميع الفرق وزعموا أنه لا معنى للكلام إلا المنتظم من الحروف المسموعة الدالة على المعنى المقصود وإن الكلام النفسي غير معقول لهم ذكره اللاقاني وقال السعد في شرح العقائد كلام الله صفة واحدة متكثرة إلى الأمر والنهي والخبر باختلاف التعلقات كالعلم والقدرة وسائر

الصفات فإن كلا منها واحدة قديمة والتكثر والحدوث إنما هو في التعلقات والإضافات لما أن ذلك أليق بكمال التوحيد ولأنه لا دليل على تكثر كل منها في نفسها (الذي ليس) هو (من جنس الحروف) اللفظية والرقمية (والأصوات) لأنها أعراض حادثة وكلامه تعالى قديم فهو منزه عنها ونقل المقري عن ابن مرزوق أنه قال في بعض أجوبته القرآن يطلق ويراد به القراءة وهي الحروف والأصوات ويطلق ويراد به المقروء وهو كلام الله الذي هو معنى قائم بذاته تعالى وهذا قديم والأول حادث وقال إمام الحرمين في الإرشاد القراءة عند أهل الحق أصوات القراء ونغماتهم وهي إكسابهم التي يؤمرون بها في حال القراءة إيجابا في بعض العبادات وندبا في كثير من الأوقات ويزجرون عنها إذا أجنبوا ويثابون عليها ويعاقبون على تركها وهذا مما أجمع عليه المسلمون ونطقت به الآثار ودل عليه المستفيض من الأخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب وإلا بما هو من إكساب العباد ويستحيل ارتباط التكليف والترغيب والتعنيف بصفة أزلية خارجة عن الممكنات وقبيل المقدورات والقراءة هي التي تستطاب من قارئ وتستبشع من آخر وهي الملحونة والقويمة المستقيمة وتتنزه على كل ما ذكرناه الصفة القديمة ولا يخطر لمن لازم الإنصاف أن الأصوات التي يبح لها حلقه وتنتفخ على مستقر العادة منها أوداجه وتقع على حسب الإيثار والاختيار محرفا وقويما وجهوريا وزخيما ليس كلام الله تعالى فهذا القول في القراءة وأما المقروء بالقراءة فهو المفهوم منها المعلوم وهو الكلام القديم الذي تدل عليه العبارات وليس منها ثم المقروء لا يحل القاري ولا يقوم به وسبيل القراءة والمقروء كسبيل الذاكر والمذكور فالذكر يرجع إلى أقوال الذاكر والرب المذكور والمسبّح الممجد غير الذكر والتسبيح والتمجيد والعرب صنفت أنواع الدلالات على المدلولات بالعبارات فسمت أنباء الشعر إنشادا والأنباء عن الغائبات التي ليس من قبيل الكلام ذكرا وسمت الدلالة على كلام الله تعالى بالأصوات قراءة وكلام الله تعالى مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور وليس حالا بمصحف ولا قائما بقلب والكتابة قد يعبر بها عن حركات الكتاب وقد يعبر بها عن الأحرف المرسومة والأسطر المرقومة وكلها

حوادث ومدلول الخطوط والمفهوم منها كلام الله تعالى وهذا بمثابة إطلاق القول بأن الله تعالى مكتوب في المصاحف وليس المعنى بذلك اتصاله بالأجسام وقيامه بالأجرام (والقرآن) العظيم (كلام الله) تعالى (غير مخلوق) ولم يقل القرآن غير مخلوق بلا قوله كلام الله لئلا يسبق إلى الفهم أن المؤلف من الحروف والأصوات قديم كما ذهب إليه الحنابلة وقرأت بخط بعض المتأخرين نقلا من كتاب السنة للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه قال عبد الله سمعت أبي يقول من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من صفة الله وفيه أسماء الله وحدثني أبي حدثنا شريح بن النعمان أخبرني عبد الله بن نافع قال كان مالك بن أنس يقول من قال القرآن مخلوق يوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وأخرج عن عبد الله بن المبارك من قال القرآن مخلوق فهو زنديق وأخرج عن سفيان بن عيينة القرآن كلام الله من مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر انتهى وحدثني محمد بن إبراهيم الدرقي حدثني يحي بن يوسف قال حضرة عبد الله بن إدريس فقال له رجل يا أبا محمد إن قبلنا أناس يقولون القرآن مخلوق فقال من اليهود قال لا قال فمن النصارى قال لا قال فمن المجوس قال لا قال فمن قال من الموحدين قال كذبوا ليس هؤلاء بموحدين هؤلاء زنادقة، من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق ومن زعم أن الله مخلوق فقد كفر هؤلاء زنادقة وأخرج عن وكيع بن الجراح من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث فيستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وعنه من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن يزيد بن هارون أنه حلف والله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم عالم الغيب والشهادة من قال القرآن مخلوق فهو زنديق وأخرج عن معاذ بن معاذ من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن شبابة بن سوار وعبد العزيز بن أبان القرشي قال القرآن كلام الله ومن زعم أنه مخلوق فهو كافر وعن ابن أبي مريم من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر وعن يحي بن معين من قال القرآن مخلوق فهو كافر انتهى وذكر ابن الكمال في بعض رسائله أن أبا حنيفة وأبا يوسف رضي الله عنهما تناظرا ستة أشهر ثم استقر رأيهما على أن من

قال بخلق القرآن فهو كافر وقد ذكر في الأصول أن قول أبي حنيفة إن القائل بخلق القرآن كافر محمول على الشتم لا على الحقيقة فهو دليل على أن القائل به مبتدع ضال لا كافر (ورؤية الله تعالى) في اليقظة (بالأبصار) جمع بصر وهو حس العين ومن القلب نظره وخاطره كذا في القاموس والمراد الأول لأنه موضع الخلاف بين أهل السنة وغيرهم (جائزة في العقل) على معنى إن العقل إذا خلا ونفسه لم يحكم بامتناع أن تتعلق به تعالى رؤية الرائي إذ لم يرده برهان عن ذلك وهذا لا ينافي وجوب الرؤية سمعا لورود الكتاب والسنة بها وانعقاد الإجماع قبل ظهور المخالفين عليها قاله اللاقاني وفي شرح المقاصد للسعد ذهب أهل السنة إلى أن الله تعالى يجوز أن يرى وأن المؤمنين في الجنة يرونه منزها عن المقابلة والجهة والمكان وخالفهم في ذلك جميع الفرق فإن المشبهة والكرامية إنما يقولون برؤيته في الجهة والمكان لكونه عندهم جسما تعالى عن ذلك ولا نزاع للمخالف في جواز الانكشاف التام العلمي ولا لنا في امتناع ارتسام صورة من المرئي في العين واتصال الشعاع الخارجي من العين بالمرئي أو حالة إدراكية تستلزم لذلك، وإنما محل النزاع إنا إذا عرفنا الشمس مثلا بحد أو رسم كان نوعا من المعرفة ثم إذا أبصرناها وغمضنا العين كان نوعا آخر فوق الأول ثم إذا فتحنا العين حصل نوع آخر من الإدراك فوق الأولين نسميه الرؤية ولا يتعلق في الدنيا إلا بما هو في جهة ومكان فمثل هذه الحالة الإدراكية هل تصح أن تقع بدون المقابلة والجهة وان تتعلق بذات الله تعالى منزها عن الجهة والمكان ولم يقتصر الأصحاب على أدلة الوقوع من أنها تفيد الإمكان أيضا لأنها سمعيات ربما يدفعها الخصم بمنع إمكان المطلوب فاحتاجوا إلى بيان الإمكان أولا والوقوع ثانيا ولم يكتفوا بما يقال الأصل في الشيء سيما فيما ورد به الشرع هو الإمكان ما لم تدفع عنه الضرورة أو البرهان فمن ادعى الامتناع فعليه البيان لأن هذا إنما يحسن في مقام النظر والاستدلال دون المناظرة والاحتجاج وفي شرح الصحائف اتفق أهل السنة على جواز رؤية الله تعالى منزها عن المسامتة والمحاذات والجهة والمكان خلافا لجميع الفرق والمشبهة والكرامية وإنما جوزوا رؤية الله تعالى لكنهم إنما

جوزوا لاعتقاد كونه تعالى جسما حاصلا في الجهة وأما بتقدير كونه تعالى منزها عن الجسمية والجهة فيحيلون رؤيته فالرؤية المجردة عن الجسمية والمكان إنما ذهب إليها أهل السنة فقط والمسامتة هي أن يكون المرئي مقابلا للعين بحيث لو أخرج خط مستقيم من الحدقة قائما على سطحها لمر على المرئي والمحاذاة أعم من ذلك وهذا البحث مما ليس للعقل استقلال في إثباته والغاية فيه بيان الجواز وتقرير قول الصادق وبيان الجواز يبطل قول المنكرين لأنهم يحيلونها وبيان جواز الرؤية على الوجه المعقول إن المشاهدة هي إدراك عين الحاضر وإن الله تعالى كامل العلم لا يعزب عنه شيء ويدرك عين الأشياء لأن عدم هذا النوع من الإدراك نقص محال فحينئذ يدرك عين ذاته الموجودة في الخارج فتكون عين ذاته الموجودة مشاهدة له فجاز على ذاته الموجودة المعينة أن تكون مشاهدة فعلم أن ذاته الموجودة المتنزهة عن الجسمية والجهة قابلة للمشاهدة والقابلية لا تختلف بالقياس إلى الأشياء لأنها ذاتية ونسبة الذات في اقتضاء القابلية إلى جميع الأبصار واحدة فتكون قابلة بالنسبة إلى أبصارنا والتفاوت لو كان فإنما يكون من جهة الرائي بأن لا يكون قويا على مشاهدته وأعيننا رائية للأشياء الممكنة للرؤية فتكون قوية على ذلك أو بعد خلق تلك القوة في أعيننا والمؤمنون في الخلد روحانيون كالملائكة فعلم إنما جاز أن نرى الله تعالى إذا تجلى من غير أين وجهة ومسامتة وهذا هو الوجه المعقول في بيان جواز رؤية الله تعالى وههنا وجه آخر منقول عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأولاده عليهم الرضوان أن لأرواحنا إدراكا آخر ندرك به الأشياء بأعيانها بدون توسط الحاسة إذا تجردت الروح بالارتياض والأعراض عن الأغراض البدنية والحيوانية واللذات الشهوانية وكذا هذا تواتر من مرتاضي الملل المختلفة في الأوقات المتغايرة إنا قد ندرك بعد التصفية والتجريد الأشياء البعيدة مع حيلولة الجبال الشاهقة والتلال العائقة ونسمع كلامهم وقد امتحن ما أخبروا فقد أصابوا ومثل هذا التواتر يفيد اليقين وإنما الارتياب في التواتر الذي صدر من أمة واحدة أو وقت واحد وهذا مما اتفق عليه العقلاء وأيده قوله عليه السلام حكاية عن المعراج (رأيت ربي بقلبي مرتين) نص على

الرؤية وخص بمرتين فخرج الكشف والعرفان فلعل هذا هو الوجه في هذا المطلوب وفي طريق سماع الكلام بالوحي والإلهام وهذا الإدراك لا يمنع أن تكون العين مع ذلك طامحة وإن لم يكن لها مدخل في هذا الرؤية فيصدق إنا نراه بأعيننا على أن الباء بمعنى مع وحينئذ سقطت شبهة المعتزلة واستعجابهم من رؤية ما لا يكون في جهة لأن هذا إنما يستبعد في الرؤية التي بسبب العين إذ لابد حينئذ من المقابلة وغيرها من الشرائط وأما إذا سقطت العين عن درجة الاعتبار في السببية وكان السبب شيئا آخر غير محتاج إليها والعين مصاحبة له فمعلوم أن أمثال هذه الشرائط في حيز الإسقاط وهذا سر هذا الموضع وأما رؤية الله تعالى في المنام فقد حكي القول بها عن كثير من السلف وفي شرح الشيبانية لابن قاضي عجلون وقد وقع الخلاف في رؤية الله تعالى في المنام فمنهم من منعه لكن معظم المثبتين للرؤية على جوازه من غير كيفية وجهة وحكى كثير من السلف أنهم رأوه عز وجل كذلك (واجبة بالنقل) وهو الكتاب والسنة وإجماع الأمة من السلف الصالحين والخلف المتقين إلى يوم الدين (في الدار الآخرة) وهي غير الدار الدنيا فيشمل ذلك ما بعد الموت إلى ما لا نهاية له ومواطن الآخرة ثلاثة، عالم القبر، وعالم الحشر، وعالم القرار في جنة أو نار والثلاثة بعد الموت، وقد ورد في بالحديث قال صلّى الله عليه وسلّم (**انكم لن تروا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**) فالموت غاية لنفي الرؤية في الدنيا فإذا وجد الموت انتهى نفي الرؤية الممنوعة في الدنيا ومضى حكم الدنيا وأتى حكم الآخرة فمن الموتى من ينعم الله عليه بالرؤية عند موته ومنهم في عالم البرزخ ومنهم من لا يرى ربه إلى يوم القيامة في الموقف ومنهم من يراه بعد دخول الجنة ومنهم من لا يراه أبدا كأهل الكفر على ما سنذكره (فيرى) بالبناء للمفعول أي يراه المؤمنون (لا في مكان) لأنه تعالى ليس له مكان (ولا) على اعتبار (جهة) من الجهات الست لعدم وجود الجهة في حقه تعالى كما قدمناه (من مقابلة) بينه تعالى وبين الرائي وهو بيان لاعتبار الجهة (واتصال شعاع) يخرج من بصر الرائي فيقع عليه تعالى (وثبوت مسافة) بينه وبين الرائي لأن هذا كله في رؤية الأجسام والله تعالى ليس بجسم فليست رؤيته كرؤية

الأجسام فإن الرؤية تابعة للشيء على ما هو عليه، فمن كان في مكان وجهة لا يرى الا في مكان وجهة كما هو كذلك ويرى بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة ومن لم يكن في مكان ولا جهة وليس بجسم فرؤيته كذلك ليس في مكان ولا جهة ولا مقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة وإلا لم تكن رؤية له بل لغيره وقال اللاقاني في شرح جوهرته والمراد أنه ينكشف سبحانه انكشافا تاما بحاسة البصر لكل فرد فرد من المؤمنين وهذا مجمع عليه في الجملة وإن اختلف العلماء في بعض جزئياته وأفراده وزمانه ومكانه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام إن الملائكة لا ترى ربها في الآخرة متمسكا بعموم قوله تعالى (**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** * الأنعام: ١٠٣) فإنه عام خص منه مؤمنوا البشر بالنص فيبقى على عمومه فيمن عداهم والحق أنهم يرونه سبحانه كما نص عليه الأشعري ووافقه البيهقي والبلقيني وجزم الجلال السيوطي بأن الجن تحصل لهم الرؤية في الموقف مع سائر الخلق قطعا وتحصل لهم في الجنة في وقت ما من غير قطع بذلك وأما أنهم يساوون الأنس في الرؤية في كل جمعة فالظاهر خلافه وقد اختلف العلماء في رؤية النساء لله تعالى في الآخرة على ثلاث مذاهب أحدها، لا يرينه لقصرهن في القيام ولعدم تصريح الأحاديث برؤيتهن والثاني يرينه أخذا من عموم النصوص والواردة في الرؤية والثالث يرينه في الأعياد فإنه تعالى يتجلى فيها تجليا عاما فيرينه في مثل هذه الحالة دون غيرها وبه جزم السيوطي وفي المؤمنين من الامم السابقة احتمالا لابن ابي جمرة اظهرهما عنده مساواتهم في الرؤية لمؤمني هذه الأمة واحترز بالمؤمنين عن الكفار والمنافقين فإنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لقوله تعالى (**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** * المطففين: ١٥) وقيل إنهم يرونه ثم يحجبون فيكون عليهم حسرة والدليل على حصول الرؤية لأهل الجنة من القرآن قوله تعالى (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** * القيامة ٢٢-٢٣) قال في شرح الصحائف النظر إما الرؤية أو تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته فإن كان الأول فقد حصل المطلوب وإن كان الثاني تعذر ههنا حمله على ظاهره لأن تقليب الحدقة إنما يكون نحو المرئي الذي يكون

في الجهة فلا بد من حمله على الرؤية لأن النظر بسبب الرؤية وإطلاق لفظ السبب وإرادة المسبب من أقوى وجوه المجاز فحينئذ يكون المراد بالنظر الرؤية ولزم المطلوب وقوله تعالى (**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** * يونس ٢٦) فسر جمهور أئمة التفسير الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية وقوله تعالى (**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**) فأخبر تعالى أنه حقر شأن الكفار وخصهم بكونهم محجوبين فكان المؤمنون غير محجوبين وهو معنى الرؤية قاله اللاقاني وفي شرح المقاصد والنص من السنة قوله صلّى الله عليه وسلّم (**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ وَلاَ تَضَامُونَ في رؤيته**) وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**إِنّ أَدْنىَ أَهْلِ الْجَنّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلىَ جِنَانِه وَأزواجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى الله مَنْ يَنْظُرُ إِلىَ وَجْهِهِ غُدْوَةً وَعَشِيّةً**) وفي حديث مسلم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلىَ رَبّهِمْ إِلاّ رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنّةِ عَدْنٍ**) وقال القرطبي في شرح هذا الحديث ومذهب أهل السنة بأجمعهم إن الله تعالى ينظر إليه المؤمنون في الآخرة بأبصارهم كما نطق بذلك الكتاب وأجمع عليه سلف الأمة ورواه بضعة عشر من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ومنع ذلك فرق من المبتدعة منهم المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة (والعالم) بفتح اللام قال السعد هو ما سوى الله تعالى من الموجودات مما يعلم به الصانع يقال عالم الأجسام وعالم الأعراض وعالم النبات وعالم الحيوان إلى غير ذلك فتخرج صفات الله تعالى لأنها ليست غير الذات كما أنها ليست عينها (بجميع أجزائه) التي هي الجواهر الفردة والأعراض خلافا للفلاسفة فإنهم أثبتوا العقول والنفوس المجردة عن المادة والهيولى (و) جميع (صفاته) من التركيب والبساطة وغير ذلك (ولو أفعال العباد) المكلفين وغيرهم من الإنسان وغيره فإنها من اجزاء العالم أيضا (خيرها) أي الخير منها وهو ما وافق الشريعة المحمدية (وشرها) أي الشر منها وهو ما لم يوافق الشريعة المحمدية وكذلك الاختياري منها والاضطراري (حادث) جميع ذلك على المعنى الذي يقصده أهل السنة وهو أنه خارج من العدم إلى الوجود بمعنى أنه كان معدوما

فوجد فإن الفلاسفة وإن أطلقوا القول بالحدوث لما سوى الله تعالى لكن بمعنى الاحتياج إلى الغير لا بمعنى سبق العدم عليه كما ذكره السعد (بخلق) أي إيجاد وتقدير (الله) تعالى قال في القاموس الخلق التقدير والخالق في صفاته تعالى المبدع للشيء المخترع على غير مثال سبق (لا خالق) لجميع ما ذكر (غيره) سبحانه وتعالى ولا طبيعية ولا سبب يؤثر في العالم أصلا (وتقديرة) معطوف على بخلق الله تعالى أي وحادث بتقدير الله تعالى أيضا ويقال له القدر بالتحريك والقدر بالسكون أيضا وهو ما يقدره الله تعالى من القضاء كذا في الصحاح وقال السعد هو تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر وما يحويه من زمان ومكان وما يترتب عليه من ثواب وعقاب (وعلمه) أي وبعلمه سبحانه أيضا (وإرادته) تعالى لجميع ذلك من الأزل وسبق بيان العلم والإرادة (وقضائه) جل وعلا لجميع ما ذكر وهو حكمه الأزلي بكل ما قدره في الأزل فالتقدير يعين المحكوم به والقضاء هو الحكم بذلك المعين فهما رتبتان للوصف الواحد الإلهي القديم الذي يستحيل عليه التغير والتبدل فمن جهة أنه حكم على الماهيات بأوصافها الخاصة بها من مقدار مخصوص وزمان ومكان ونحو ذلك مما هو مفصل في حضرة العلم القديم الأزلي يسمى قضاء ومن جهة أنه تحديد وتقييد للماهيات المذكورة ببعض ما يجوز عليها مما هو ثابت لها في حضرة العلم القديم يسمى تقديرا وقدرا (وللعباد) المكلفين بالأمر والنهي (اختيارات) جمع اختيار من اختار الشيء إذا انتقاه لأنهم ينتقون بنظر عقولهم ما يترجح عندهم فعله لغرض دنيوي أو أخروي ولا جبر لأحد في فعله الاختياري أصلا وإن كان الاختيار ليس موجودا فيه بالاختيار لئلا يلزم التسلسل (لأفعالهم) التي كلفهم الله تعالى بها وطلب منهم الإتيان بها في الخير والانكفاف عنها في الشر (بها) أي بسبب تلك الاختيارات المخلوقة لله تعالى فيهم (يثابون) أي يثيبهم الله تعالى يوم القيامة على ما صدر منهم من الخير مما خلقه الله تعالى منسوبا إليهم بسبب خلق الله تعالى إرادتهم له (وعليها) أي لأجل تلك الاختيارات (يعاقبون) أي يعاقبهم الله تعالى يوم القيامة حيث صدر منهم بها أفعالا من الشر خلقها تعالى لهم

منسوبة إليهم بسبب خلقه إرادتهم لها وحيث ثبت أن للإنسان اختيارا خلقه الله تعالى فيه فقد انتفى مذهب الجبرية القائلين بأن الإنسان مجبور على فعل الخير والشر ثم إن ذلك الاختيار الذي خلقه الله تعالى في الإنسان بخلق الله تعالى عنده لا به ولا فيه ولا منه أفعال الخير والشر فينسبها للإنسان فيكون اختيار الإنسان المخلوق فيه بمنزلة يده المخلوقة له بحيث لا تأثير لذلك في شيء مطلقا غير مجرد قبول صحة النسبة بخلق الله تعالى فيه صحة ذلك القبول فانتفى مذهب القدرية القائلين بتأثير قدرة العبد في الخير والشر قال إمام الحرمين في الإرشاد اتفق سلف الأمة قبل ظهور البدع والأهواء واضطراب الآراء على أن الخالق المبدع رب العالمين ولا خالق سواه ولا مخترع إلا هو وهذا مذهب أهل الحق فالحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى ولا فرق بين ما تعلقت قدر العباد به وبين ما تفرد الرب تعالى بالاقتدار عليه ويخرج من مضمون هذا الأصل أن كل مقدور لقادر فالله تعالى قادر عليه وهو مخترعه ومنشئه (والحسن منها) أي من أفعال العباد وهو الموافق لما أذن الله تعالى به في الشرع (برضاء الله تعالى) أي يرضى تعالى بفعله من العبد أو يرضى عن العبد فيخلق ذلك له والرضاء ترك الاعتراض وفسره بعضهم بالإرادة من غير اعتراض ويرادفه المحبة وهذا في المحبة القديمة وأما المحبة الحادثة فهي ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقرب إليه ذكره اللاقاني وعلى هذا فيكون قوله بعده (ومحبته) تأكيدا للرضاء بمرادفه أي بمحبته تعالى لذلك النوع من الأفعال أو للعبد فيخلق له ذلك النوع من الأفعال قال ابن أقبرس في فتح الصفا شرح الشفا محبة الله تعالى للخلق مؤولة قطعا وقال لأنه لا يكون عن ميل القلب ولا النفس ولا من رؤية الطاعة له ولا من سبب من جنس الأسباب الموجبة لمحاب الخلق بل كل صفة من أوصاف الله تعالى من العلم والقدرة والإرادة وغيرها وإن اتفقت في أسماء صفات خلقه فلا يشبه حقيقتها حقيقة أوصاف الخالق حتى الوجود الذي يعم الخالق والمخلوق جميعا وذلك لأن وجود الخلق عن عدم ووجود الخالق واجب لذاته ووجود كل ما سواه مستفاد منه ومن دقق النظر علم أنه ليس في الكون إلا الله تعالى

وأفعاله منه وإنه ليس في الوجود شيء ثابت إلا هو وحده لا شريك له وقرأ بعضهم على الشيخ سعيد بن أبي الخير قوله تعالى (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** * المائدة: ٥٤) فقال الحق يحبهم لأنه لا يحب إلا نفسه على معنى أنه ليس في الكون إلا هو وما سواه فهو من صنعه والصانع إذا مدح صنعته فقد مدح نفسه فإذا لا يتجاوز نفسه لأن نفسه قائمة بنفسه وما سواه قائم به فهو لا يحب إلا نفسه انتهى فمحبة الله تعالى لبعض الأعمال والأشخاص محبة منه تعالى لمصنوعاته المتقنة المحكمة وجميع مصنوعاته متقنة محكمة فلا باعث حينئذ لمحبته ولا غرض له فيها أصلا بل ذلك مجرد فضل منه تعالى على ذلك المصنوع وكذلك بغضه تعالى لبعض الأعمال والأشخاص عدل منه تعالى من غير علة ولا غرض (والقبيح منها) أي من أفعال العباد وهو غير الموافق لما أذن الله به (ليس صادرا) من المكلفين (بهما) أي بسبب رضاء الله تعالى ومحبته بل ببغضبه سبحانه وكراهته قال ابن أقبرس في شرح الشفا اعلم أن ههنا قاعدة شريفة ينبغي أن تعلم وهي أن الأعراض النفسانية كالفرح والرحمة والسرور والحياء والمكر والخداع والاستهزاء لها أوائل وغايات فإذا وصف الله بشيء منها كان محمولا على الغايات لا على البدايات مثلا الغضب كيفية تعرض للنفس بسببها يغلي الدم وتتحرك الروح إلى خارج دفعا للمكروه وطلبا للانتقام فابتداؤه الدم وحركة الروح وغايته الانتقام من المغضوب عليه فهو في حق الله تعالى محمول على إرادة الانتقام إذ إطلاقه عليه بحسب الابتداء محال والحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس وله غرض وهو ترك الفعل فإذا أطلق على الله تعالى حمل على ترك الفعل لا على الابتداء لأنه محال عليه تعالى وعلى هذا فقس فهي قاعدة كلية وضابط لطيف فاعلمه (والثواب) يوم القيامة للمؤمنين المطيعين (فضل) أي إحسان وإنعام (من الله تعالى) على عباده (والعقاب) للكافرين ومن يشاء من العاصين (عدل) منه تعالى في عباده أي إنصاف وعدم ظلم وجور (من غير إيجاب) من أحد عليه تعالى شيئا من ذلك (ولا وجوب عليه) تعالى بمقتضى ربوبيته ومربوبية غيره له (سبحانه ولا استحقاق من العبد) لشيء من ذلك أصلا وذكرنا فيما تقدم أنه

قال الأصبهاني في شرح الطوالع وأما أصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى والعقاب على المعصية عدل منه وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب ولا يكون الثواب على الطاعة واجبا على الله تعالى ولا العقاب على المعصية لأنه لا يجب على الله تعالى شيء وكل ميسر لما خلق له فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة، والعاصي ميسر لما خلق له وهو المعصية وليس للعبد في ذلك تأثير، والله مخلد المؤمن الموفق للطاعات في جنانه وفاء بوعده قال عز من قائل (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً، خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً** * الكهف: ١٠٧-١٠٨) ويعذب الكافر المعاند المعرض عن الحق في نيرانه أبدا بمقتضى وعيده في قوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا** * البينة: ٦) أبدا وقال السعد في شرح المقاصد طاعة العبد وإن كثرت لا تفي بشكر بعض ما أنعم الله تعالى عليه فكيف يتصور استحقاق عوض عليها ولو استحق العبد بشكره الواجب عوضا لاستحق الرب على ما يوليه من الثواب عوضا وكذا العبد على خدمته لسيده الذي يقوم بمؤنته وإزاحة علله والولد على خدمته لأبيه الذي يربيه وعلى مراعاته وتوخي مرضاته وأيضا لو وجب الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق لزم أن يثاب من واظب طول عمره على الطاعات وارتد والعياذ بالله في آخر الحياة وأن يعاقب من أصر دهرا على كفره وأخلص الإيمان في آخر عمره ضرورة تحقق الوجوب والاستحقاق واللازم باطل بالاتفاق كما مر (والاستطاعة) التي يوجد بها الفعل في الخارج (مع الفعل) المأمور به أو المنهي عنه أو المباح أي مقارنة له لا متقدمة عليه ولا متأخرة عنه وهي حقيقة القدرة التي بها يكون الفعل لأنها عرض يخلقه الله تعالى في الحيوان يفعل بها الأفعال الاختيارية والجمهور على أنها شرط لأداء الفعل شرعا (وتطلق) أي الاستطاعة المذكورة (على سلامة الأسباب) التي بها حصول الأمر المكلف به كأسباب العادات وأسباب العبادات من حيث ما هو خارج عن ذات المكلف (و) سلامة (الآلات) التي تتأتى بها تلك الأسباب كالحواس والجوارح والأعضاء من

حيث ذات المكلف والحاصل أن الاستطاعة تطلق بإزاء معنيين المعنى الأول القدرة التي يوجد بسببها الفعل ويحصل في الخارج وهي لا تتصور إلا مقارنة له لأنها عرض يستحيل بقاؤه فلو كانت قبله انعدمت عنده لامتناع بقاء الأعراض فيلزم أي يحصل بدونها فيلزم الجبر وهو ممتنع وإن كانت بعده فكذلك أيضا فلم يبق إلا المقارنة ولا يتصور أن تكون شرطا للتكليف الشرعي لأنه قبل الفعل وهي مقارنة للفعل فيلزم تكليف غير المستطيع والمعنى الثاني سلامة الأسباب والآلات وهي قبل الفعل وقبل الاستطاعة بالمعنى الأول (وصحة التكليف) بالأحكام الشرعية (تعتمد) من جهة الشارع (عليها) أي على الاستطاعة بهذا المعنى الثاني لا الاستطاعة بالمعنى الأول فلا يكلف الله تعالى أحدا إلا إذا كانت أسباب عاداته وعباداته مهيأة قابلة لاستعمالها والآلة سالمة قابلة للاستعانة بها سواء وجدت فيه القدرة التي يتيسر بها وجود الفعل أو لم توجد (ولا يكلف) بالبناء للمفعول أي لا يكلف الله تعالى (العبد) العاقل البالغ (بما ليس في وسعه) أي طاقته وقدرته واستطاعته والوسع هنا معناه الاستطاعة بالمعنى الثاني وهي سلامة الأسباب والآلات دونها بالمعنى الأول والمراد أنه تعالى لا يكلف بالأحكام إلا من تهيأت عنده أسبابها وسلمت آلاتها فهو المكلف بها وهذا معنى إقداره عليها وانتفاء الجبر عنه والعجز والقهر كما قال تعالى (**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** * البقرة: ٢٨٦) قال السعد في عدم تكليف العبد بما ليس في وسعه سواء كان ممتنعا في نفسه كجمع الضدين أو ممكنا كخلق الجسم وأما ما يمتنع بناء على أن الله تعالى علم خلافه وأراد خلافه كإيمان الكافر وطاعة العاصي فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر إلى نفسه ثم عدم التكليف بما ليس في الوسع متفق عليه لقوله تعالى (**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**) وإنما النزاع في الجواز فمنعه المعتزلة بناء على القبح العقلي وجوازه الأشعري لأنه لا يقبح من الله تعالى شيء (والمقتول ميت بأجله) الذي قدره الله تعالى له لأن الله تعالى حكم بآجال العباد على ما علم من غير تردد قال تعالى (**فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** * الأعراف: ٣٤) والأجل

قد يكون قتلا أو غيره بمرض أو غيره وكل ذلك بتقدير الله تعالى، ووجوب القصاص والضمان على القاتل حكم شرعي لا مدخل للعقل فيه وذلك بسبب ارتكابه المنهي عنه وكسبه الفعل الذي يخلق الله تعالى عقيبه الموت بطريق جري العادة (والأجل واحد) لا كما زعم الكعبي من المعتزلة إن للمقتول أجلين القتل والموت وإنه لو لم يقتل لعاش إلى أجله الذي هو الموت ولا كما زعمت الفلاسفة أن للحيوان أجلا طبيعا وهو وقت موته بتحلل رطوبته وانتفاء حرارته الغريزيتين وآجالا اخترامية بحسب الآفات والأمراض وفي شرح الجزائرية للسنوسي الأجل عرفا هو منتهى زمن الحياة وسمي أجلا لأنه الوقت المقدر للموت كالأوقات المقدرة لقبض الديون ونحوها فمن قتل فأجله عند أهل الحق هو ما علم الله موته فيه على ما هي عليه فيلزم أن يكون الأجل المقدر لموت كل حي واحدا لا يمكن فيه التبدل إذ تقديره إنما هو على وفق علم الله تعالى وعلمه يستحيل عليه التخلف (والحرام) وهو ما نص الله تعالى عليه أو رسوله عليه السلام أو أجمع المسلمون على امتناع تناوله بعينه أو جنسه أو اقتضى القياس الجلي ذلك أو ورد فيه حد أو تعزير أو وعيد شديد غير مؤول سواء كان تحريمه لمفسدة أو مضرة خفية كالزنا ومذكى المجوس أو لمفسدة مضرة واضحة كالسم والخمر فإن المنتفع به إما معدن أو نبات أو حيوان وتوابعه فالمعادن بأسرها حلال إلا الضار منها على أنه لا يختص بها بل لو ضر العسل بعض أرباب الأمزجة الحارة حرم عليه أكله والنبات كذلك إلا ما أزال الحياة كالسم أو العقل كالخمر وسائر المسكرات قال بعضهم والمخدرات كالحشيشة والأفيون والبنج وكذا جوزة الطبب وأما الحيوان فكل ما ورد النص على أكله فهو حلال كالبقر والغنم والإبل، وكل ما ورد النص على عدم أكله فهو حرام، وما لا نص فيه يرجع فيه إلى ذوي الطباع السليمة من العرب فما استخبثوه فهو حرام وما لا فحلال كذا ذكره اللاقاني في شرح جوهرته (رزق) بالكسر في الأصل مصدر سمي به الشيء المرزوق وأما بالفتح فهو مصدر (وكل) أي كل واحد من الناس والحيوان وغير هما (يستوفي) أي يتناول ويستعمل (رزق نفسه) الذي قدره الله تعالى له من الأزل (لا) يتصور أن أحدا

(يأكل رزق غيره) اصلا (ولا) متصور أن يأكل (غيره رزقه) وإلا لتغير مقدور الله تعالى ولم يجر على طبق مراده سبحانه وهو محال والحاصل أن الرزق عند أهل السنة والجماعة كل ما انتفع به الحيوان سواء كان حلالا أو حراما أو شبهة قال إمام الحرمين في الإرشاد الرزق يتعلق بمرزوق تعلق النعمة بمنعم عليه والذي صح عندنا في معنى الرزق أن كل ما انتفع به منتفع فهو رزقه ولا فرق بين أن يكون متعديا بانتفاعه وبين أن لا يكون متعديا به ثم الرزق ينقسم إلى المحظور والمباح وإلا فإن من اغتذى بالحرام طول عمره وانصرفت انتفاعاته إلى الجهات المحظورة من كل وجه يلزم أن يقال لم يدر عليه من الله رزق وما رزقه الله قط وتلك عظيمة لا ينتحلها متدين (وعذاب) مبتدأ وما بعده معطوفات عليه والخبر قوله فيما سيأتي كله حق (القبر) قيد القبر جرى على الغالب أو قبر كل إنسان بحسبه وقال العلماء عذاب القبر هو عذاب البرزخ أضيف إلى القبر لأنه الغالب وإلا فكل ميت أراد الله تعالى تعذيبه ناله ما أراد الله به قبر أو لم يقبر ولو صلب أو غرق في بحر أو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رمادا وذري في الريح ومحله الروح والبدن باتفاق أهل السنة وكذا القول في النعيم قاله اللاقاني (للكافرين) أي الكائن لهم كلهم (ولبعض عصاة المؤمنين) ممن مات قبل التوبة ولم يشأ الله تعالى أن يغفر له وأما من شاء له المغفرة فلا يعذبه كما قال تعالى (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** * النساء: ٤٨) وقال اللاقاني ولا يختص عذاب القبر بكافر ولا منافق بل قد يكون لعصاة المؤمنين كما لا يختص بهذه الأمة أيضا وقال القزويني في حاشية شرح العضد للجلال الدواني في الاستدلال على ذلك لقوله تعالى (**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا** * المؤمن: ٤٦) الآية حيث عطف عذاب القيامة على عرض النار غُدُوّاً وَعَشِيّاً إذ منه يعلم أنه غيره ولما كان نزول الآية في شأن الموتى علم أن لهم عذابا غير عذاب يوم القيامة وهو ليس إلا عذاب القبر هذا وأنت تعلم أنه يدل على عذاب القبر للكافرين دون المؤمنين لأن الكلام فيهم لا في المؤمنين فتأمل وقوله تعالى (**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** * غافر: ١٢) على تقدير تمامه دليلا

يثبت عذاب القبر في حق المؤمنين دون الكافرين انتهى فمجموع الآيتين يثبت بهما عذاب القبر للكافرين والمؤمنين وهو المطلوب والمراد بالإماتتين إماتة في الدنيا قبل القبر وإماتة في القبر بعد السؤال وبالإحيائين إحياء في الدنيا قبل الموت وإحياء في القبر للسؤال وقال تعالى في قوم نوح عليه السلام (**أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً** * نوح: ٢٥) والفاء للتعقيب فإدخال النار عقيب الإغراق قبل البعث فإن الإدخال في النار بعد البعث لا يكون عقيب الإغراق وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**اسْتَنزهُوا مِن الْبَوْلِ، فإنّ عامّةَ عذابِ القَبْرِ مِنْهُ**) (وتنعيم أهل الطاعة) من المؤمنين (فيه) أي القبر يعني كائن ذلك فيه (بما) أي بالوصف الذي (يعلمه الله تعالى ويريده) للعبد المؤمن كما قال صلّى الله عليه وسلّم (**القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النيران**) وكما تقدم في عذاب القبر يقال في نعيمه سواء قبر العبد أو لم يقبر حتى لو صلب أو غرق في بحر أو أكلته الدواب أو حرق وكان مؤمنا مطيعا كان له نعيم القبر لروحه وجسده جميعا وقيل إن التنعيم والتعذيب إنما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون معه جزء من البدن (وسؤال منكر ونكير) بفتح كاف الأول وهما ضد المعروف سميا به لأنهما لا يشبه خلقهما خلق آدمي ولا ملك ولا غيرهما وهما أسودان أزرقان جعلهما الله تعالى نكرة للمؤمنين ليبصره ويثبته وعذابا على غيره ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير وتفصيل الكلام في سؤال القبر ذكرناه في المطالب الوفية (والبعث) وهو مشتق من بعثت الشيء من مكانه إذا أثرته وهو إعادة الموتى من قبورهم كما كانوا في الدنيا أرواحا وأجسادا (والوزن) وهو مساواة شيء بآخر بآلة مخصوصة قال اللاقاني توزن حقائق الأعمال وذواتها بأن يجعل الله سبحانه تلك الأعمال اجساما نورانية في الحسنات وظلمانية في السيئات ثم تطرح تلك الاجسام في الميزان الأولى في اليمين والثانية في الشمال وفي شرح الشيبانية للشيخ علوان الحموي ومذهب اهل السنة أن أقوال بني آدم وافعالهم توزن بإعتبار أن الله تعالى يخلق من أعراضها أجراما وأجساما أو باعتبار الصحف المكتوبة المشتملة على الحسنات والسيئات وقيل توزن الأشخاص وفي بحر الكلام قال بعضهم يوزن العبد مع

عمله (والكتاب) الذي كتبته الملائكة الحفظة على المكلف في الدنيا بجميع ما فعله وقيل الذي كتب في القبر بناء على حديث رومان الضعيف ولا ينافي هذا أن الملائكة ترفع لكل عبد في كل يوم وليلة صحيفة إما لوصلها كلها فتصير صحيفة واحدة يعني كتابا واحدا وأما بنسخ ما في جميعا في واحدة كما صرح به الغزالي وقال اللاقاني فإن قلت دلت الآيات على أن المؤمن الطايع يأخذ كتابه بيمينه والكافر يأخذه بشماله فما حكم المؤمن الفاسق الذي مات على فسقه دون توبة قلت جزم الماوردي بأن المشهور أنه يأخذ كتابه بيمينه ثم حكى قولا بالوقف قال ولا قائل بأنه يأخذه بشماله وقال يوسف بن عمر اختلف في عصاة المؤمنين فقيل يأخذون كتبهم بيمينهم وقيل بشمالهم واختلف الأولون فقيل يأخذونها قبل الدخول في النار ويكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها ومن أهل العلم من توقف فيهم لتعارض النصوص (والسؤال) أي سؤال الله تعالى عباده المكلفين يوم القيامة وهو حسابهم وقد اختلف العلماء في معنى كونه تعالى محاسبا عباده على ثلاثة أقوال أحدها أنه تعالى يعلمهم ما لهم وما عليهم قال الفخر الرازي بأن يخلق الله سبحانه في قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب وثانيها ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله يوقف عباده بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم وثالثها أن يكلم الله تعالى عباده في شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب قال الفخر إما بأن يسمعوا كلامه القديم أو يسمعوا صوتا يدل عليه يتولي تعالى حساب خلقه في أذن كل واحد من المكلفين أو في محل يقرب من أذنه بحيث لا تبلغ قوة ذلك الصوت منع الغير من سماع ما كلف به ولا شك في صحة شهادة الآثار الصحيحة له واعلم أن كيفيات الحساب مختلفة وأحواله متباينة فمنه اليسير ومنه العسير ومنه السر ومنه الجهر ومنه التكريم ومنه التوبيخ ومنه الفضل ومنه العدل (والحوض) واحد الأحواض والحياض وهو معروف من حاضت المرأة سال دمها لأن الماء يسيل إليه أو من حاض الماء جمعه

أشار إليه في القاموس والمراد به هنا جسم مخصوص طوله وعرضه سواء يشعب فيه ميزابان من الجنة ذكره اللاقاني وهو حوض رسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذي يكون يوم القيامة وفي شرح الجامع الصغير للمناوي قال القرطبي لكل نبي حوض إلا صالحا عليه السلام فإن حوضه ضرع ناقته قال ولم أقف على ما يدل عليه أو يشهد له لكن هذا الحديث أعني قوله عليه السلام (**أن لكل نبي حوضا وأنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة**) صريح في أن الحوض ليس من الخصائص المحمدية لكن أشتهر الاختصاص فالمختص بنبينا صلّى الله عليه وسلّم الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فإنه لم ينقل نظيره لغيره وقال السنوسي في شرح الجزائرية إن الحوض ثابت بإجماع أهل السنة والأحاديث الصحيحة المستفيضة شاهدة بذلك وهو حوض كما وصفه صلّى الله عليه وسلّم (**وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يصب فيه ميزابان من الكوثر عليه من الآواني عدد نجوم السماء حافاته ورائحته المسك وحصباؤه اللؤلؤ لا يظمأ من شرب منه أبدا**) ويزاد عنه من بدل وغير (والصراط) وهو لغة الطريق الواضح ولغاته الصاد والسين المهملتان والزاي، وشرعا كما قال السنوسي في شرح الجزائرية الصراط جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون لا طريق للجنة إلا عليه وهو أدق من الشعر وأحد من السيف على ما ورد به الحديث الصحيح وأجمع عليه أهل السنة، وفي شرح الشيبانية لابن قاضي عجلون وأما الصراط فهو جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق والنبي صلّى الله عليه وسلّم قائم يقول يا رب سلم سلم وهو أدق من الشعر وأحد من السيف على ما ورد في الحديث الصحيح والناس في جوازه متفاوتون على حسب إيمانهم وأعمالهم والله تعالى يسهل الطريق على من أراد كما جاء في الخبر أن منهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالجواد ومنهم من يجر رجليه ومنهم من يجر على وجهه وروي أيضا أنه يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع (وشفاعة) وهي لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير من الشفع ضد الوتر

كأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين فيما قاله اللاقاني (الرسل) أي رسل الله عليهم الصلاة والسلام من الأنبياء والملائكة أيضا فإنهم رسل الله (والأخيار) جمع خير بالتشديد وهو ذو الخير وهم العلماء والأولياء والصالحون كما ورد في الأخبار والأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك وأجمع عليه أهل السنة وعلماء النقل فعن ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه يشفع يوم القيامة ثلاث الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وفي رواية لأبي الزعرا عن عبد الله ثم يأذن الله في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم إبراهيم ثم يقوم عيسى أو موسى الشك من أبي الزعرا الراوي عن عبد الله ثم يقوم نبيكم رابعا فيشفع لا يشفع أحد من بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى (**عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً** * الإسراء: ٧٩) وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**إِنّ مِنْ أُمّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلفِئَامِ مِنَ النّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلعُصْبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِرجُل حَتّى يَدْخُلُوا الجَنّةَ**) قال حديث حسن وفي مسند البزار عن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**إن الرجل يشفع للرجلين والثلاثة**) وفي الشفاء عن كعب الأحبار أن لكل رجل من الصحابة شفاعة والحق إن الشفاعة العظمى أول المقام المحمود وربما يحسب من الشفعاء رب العالمين ففي الصحيح (**ثُمَّ أَرْجِعُ إِلىَ رَبِّي في الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَه، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لي فِيمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله قَالَ فيقول لَيْسَ ذَلكَ لَكَ أَوْ قَالَ لَيْس ذَاكَ إِلَيْكَ وَلَكِنْ، وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي، وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي، لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله**) والمعنى لاتفضلن عليهم بإخراجهم بغير شفاعة أحد كما في حديث (**شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين**) ذكره اللاقاني (لأهل الكبائر) من الذنوب (وغيرهم) قال صلّى الله عليه وسلّم (**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمّتِي**) وفي الأربعين في أصول الدين للفخر الرازي قال

في الاحتجاج على ثبوت الشفافة إنه تعالى أمر محمدا صلّى الله عليه وسلّم بالاستغفار للمذنبين فقال (**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** * محمد: ١٩) والفاسق مؤمن بدليل قوله تعالى (**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ** * الحجرات: ٩) سماه مؤمنا حال كونه باغيا وقال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى** * المائدة: ٤٥) سماه مؤمنا حال ما قتل النفس بغير الحق فثبت بهذا إن الله تعالى أمر محمدا صلّى الله عليه وسلّم بأن يستغفر للفاسق ويلزم من ذلك أن الله تعالى يقبل شفاعته عليه السلام في الفاسق وقال تعالى في حق الملائكة (**وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى** * الأنبياء: ٢٨) وصاحب الكبيرة مرتضى عند الله لأنه مرتضى بحسب إيمانه ومن صدق عليه أنه مرتضى في الصفة الفلانية صدق عليه بأنه مرتضى في الصفة الفلانية صدق عليه بأنه مرتضى وقال تعالى (**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** * المدثر: ٤٨) ذكر ذلك في معرض التهديد للكفار فلو كان حال المسلم كذلك لم يبق في هذا التهديد فرق بين الكافر والمؤمن وكان تخصيص الكافر به عبثا وقال اللاقاني في شرح الجوهرة وله صلّى الله عليه وسلّم شفاعات خمس، أحديها وهي أعظمها وأعمها شفاعة فصل القضاء وهي مختصة به صلّى الله عليه وسلّم وثانيتها في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضا خاصة به عليه السلام كما قاله القاضي عياض والنووي وتردد ابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه ابن حجر قائلا لا دليل عليه وثالثتها في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلّى الله عليه وسلّم فلا يدخلونها، وهذه جزم القاضي عياض والسبكي بعدم اختصاصها به عليه السلام وتردد النووي في ذلك ورابعتها فيمن دخل النار من المؤمنين المذنبين وهذه وقع إطباق القوم على عدم اختصاصها به عليه السلام حيث كان لهم عمل خير زائد على الإيمان إذ الشفاعة في إخراج في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ليخرج من النار خاصة به صلّى الله عليه وسلّم وخامستها الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة وزاد الأسيوطي في شرح النقاية شفاعة

سادسة وهي الشفاعة في تخفيف العذاب عمن استحق الخلود في النار كما في حق أبي طالب وفي الصحيح (**أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**) وأنه ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ (**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ**) (والجنة) وهي الحديقة ذات النخل والشجر كذا في القاموس وقال اللاقاني وهي لغة البستان قاله الجوهري وقال غيره هي ما تكاثف من الشجر وظلت أغصانه والتف بعضها على بعض وتطلق على دار الثواب في الآخرة وهي المرادة هنا بجميع أنواعها وهل هي سبع جنات متجاورة أوسطها أفضلها الفردوس وهو أعلاها فوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر أنهار الجنة كما جاء به الحديث، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة النعيم، وجنة عدن، ودار السلام، ودار الخلد، أو أربع ورجحه جماعة أخذا من قوله تعالى (**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** * الرحمن: ٤٦) ثم بعد وصفهما قال (**وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ** * الرحمن: ٦٢) أو واحدة والأسماء والصفات كلها جارية عليها لتحقيق معانيها كلها فيها خلاف في ذلك كله (والنار) وهي جسم لطيف محرق يطلب العلو مركزا وهي مشتقة من نار ينور إذا نفر وثار لأن لها حركة واضطرابا وقد تطلق مجازا على النار المعنوية كنار الخوف ونار المحبة كما أن إطلاقها على دار العقاب الأخروي كذلك إطلاقا لاسم الحال على المحل باعتبار اللغة وقد اشتهر بين حملة الشرع إطلاقها عليها وعلى جميع طباقها السبع التي أعلاها جهنم وتحتها لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم وفيها أبو لهب ثم الهاوية وباب كل من داخل أخرى على استواء كما نبه عليه ابن عطية وغيره ذكره اللاقاني (الموجودتان الآن) أي في هذا الوقت قال إمام الحرمين في الإرشاد الجنة والنار مخلوقتان إذ لا يحيل العقل خلقهما وقد شهد لذلك أي من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى (**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** * آل عمران: ١٣٣) والإعداد يصرح بثبوت الشيء وتحققه وقال تعالى (**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى** * النجم: ١٥) وتواترت الأخبار في قصة آدم عليه السلام عن الجنة وإدخال آدم إياها وإخراجه عنها ووعده الرد إليها وكل ذلك ثابت قطعا متلقى من

فحوى الآيات والمستفيض من نقل الإثبات والثقات وقال اللاقاني وملخصه إن الجنة والنار موجودتان الآن في عالم يعلمه تعالى الذي أحاط بكل شيء علما وفي الحديث أن هرقل كتب إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم أتدعونني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار فقال عليه السلام (**سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار**) وهو حديث صحيح يشهد له ما أخرجه الحاكم وصحح عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال يا محمد أرأيت جنة عرضا السموات والأرض فأين النار قال (**أرأيت الليل إذا ألبس كل شيء فأين جعل النهار**) فقال السائل الله اعلم فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**كذلك الله يفعل ما يشاء**) (الباقيتان) إلى ما لا نهاية له بحيث (لا تفنيان) ولا تزولان أبد الآبدين (ولا) تفنى (أهلهما) أي أهل الجنة والنار بل هم مخلدون فيهما من غير فناء ولا زوال وقال جدنا ابن جماعة المقدسي النابلسي في شرح بدء الأمالي مذهب أهل السنة أن الجنة والنار وكذا أهلهما لا يعرض لهما الفناء خلافا للجهمية وفي شرح العقائد للسعد أي دائمتان لا يطرأ عليهما عدم مستمر لقوله تعالى في حق الفريقين (**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** * الجن: ٢٣) وأما ما قيل من أنهما يهلكان ولو لحظة تحقيقا لقوله تعالى (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** * القصص: ٨٨) فلا ينافي البقاء بهذا المعنى وذهبت الجهمية إلى أنهما يفنيان ويفنى أهلهما وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع ليس عليه شبهة فضلا عن حجة ونقل اللاقاني قال القرطبي ذكر بعض من ينتمي إلى العلم أنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة وأنه جائز في العقل أن ينقطع الغضب فيعكس عليه بلزوم جواز انقطاع الرحمة عمن دخل الجنة فيخرجون منها ويدخلون النار وهو خلاف نصوص الشرع قال تعالى (**وَمَا هُم مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ** * الحجر: ٤٨) (**عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ** * هود: ١٠٨) وهذا في حق أهل الجنة وقال في أهل النار (**وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** * الأعراف: ٤٠) وبالجملة هذا قول مخالف للقرآن والسنة والإجماع من الأمة (والمعراج) هو السلم والمصعد وعرج عروجا ارتقى كذا في القاموس والمراد به مطلق

الانتقال صعودا حتى يشمل الإسراء فإن بيت المقدس أعلى من مكة كما قالوا (لرسول الله) محمد (صلّى الله عليه وسلّم في) حال (اليقظة) محركة وهي نقيض النوم وقد يقظ ككرم وفرح يقظة ويقظا محركة وقد استيقظ كذا في القاموس (بشخصه) صلّى الله عليه وسلّم أي بصورته الجسمانية (من المسجد الحرام) الذي بمكة (إلى المسجد الأقصى) بيت المقدس قال ابن جميل التونسي في تنوير مختصر التفسير الكبير والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد وهو قول الأكثر وقيل من المسجد بعينه وهو الظاهر والمسجد الأقصى هو بيت المقدس وصف بالأقصى لبعده عن مكة (ثم) من المسجد الأقصى (إلى السماء) أي جنسها ليشمل السموات السبع (ثم إلى ما شاء الله) سبحانه (من العلي) قال شهاب المكي في شرح همزية الابوصيري عن بعض الأئمة إن المعاريج ليلة الإسراء عشرة، سبعة في السموات والثامن إلى سدرة المنتهى والتاسع إلى المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار والعاشر إلى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي وفي مواهب القسطلاني وقد اختلف العلماء في الإسراء هل هو إسراء واحد في ليلة واحدة يقظة أو مناما أو إسراآن كل واحد في ليلة ومرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما أو يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم مناما من المسجد الأقصى إلى العرش أو هي أربع إسراآت، ثم قال والحق أنه إسراء واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله (و) جميع (ما) أي الذي (أخبر به) النبي صلّى الله عليه وسلّم (من أشراط) جمع شرط بالتحريك وهو العلامة كذا في القاموس (الساعة) وهي الوقت الذي تقوم فيه القيامة وهي ساعة حقيقة يحدث فيها أمر عظيم ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير (من خروج الدجال) من دجل كذب أومن دجل البعير طلاه بالدجيل كزبير القطران وعم جسمه لأن الدجال المسيح يعم الأرض أو من دجل قطع نواحي الأرض سيرا أو من دجل تدجيلا غطى وطلي

بالذهب لتمويهه بالباطل أو من الدجال للذهب لأن الكنوز تتبعه أو من الدجال لغرند السيف أو من الدجالة للرفقة العظيمة أو من الدجال كسحاب للسرجين لأنه ينجس وجه الأرض ذكره في القاموس وفي شرح الجامع الصغير للمناوي قال البسطامي، الدجال مهدي اليهود ينتظرونه كما ينتظر المؤمنون المهدي ونقل عن كعب الأحبار أنه رجل طول عريض الصدر مطموس يدعي الربوبية مع جبل من خبز وجبل من أجناس الفواكه وأرباب الملاهي جميعا يضربون بين يديه بالطبول والعيدان والمعازف والنايات فلا يسمع أحد إلا تبعه إلا من عصمه الله قال ومن أمارات خروجه تهب ريح كريح قوم عاد ويسمعون صيحة عظيمة وذلك عند ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكثرة الزنا وسفك الدماء وركون العلماء إلى الظلمة والتردد إلى أبواب الملوك ويخرج من ناحية المشرق من قرية تسمى سرابادين ومدينة الأهواز ومدينة أصبهان ويخرج على حمار وهو يتناول السحاب بيده ويخوض البحر إلى كعبيه ويستظل في أذن حماره خلق كثير ويمكث في الأرض أربعين يوما ثم تطلع الشمس يوما حمراء ويوما صفراء ويوما سوداء، ثم يصل المهدي وعسكره إلى الدجال فيلقاه ويقتل من أصحابه ثلاثين ألفا وينهزم الدجال، ثم يهبط عيسى عليه السلام إلى الأرض وهو متعمم بعمامة خضراء متقلد بسيف راكب على فرس وبيده حربة فيأتي إليه فيطعنه بها فيقتله (و) خروج (دابة الأرض) وتسمى الجساسة قال النووي في شرح مسلم قيل سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال وفي تحفة الحبيب للشيخ محمد بن الشيخ علوان الحموي ومما كتب الله ظهوره من أشراط الساعة وأخبرنا نبينا صلّى الله عليه وسلّم بوقوعه وخبره صدق لا مرية فيه دابة الأرض وهي دابة رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيَّل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوايما قوائم بعير بين كل مفصلين إثنى عشرة ذراعا وقيل أن وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلقة الطير ويقال بأن رأسها يمس السحاب ورجلاها في الأرض يكون لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصى اليمن ثم يفشو ذكرها في البادية ولا

يدخل ذكرها مكة ثم تخرج قريبا من مكة ثم بين الناس في المسجد الحرام وإذا بها قد خرجت ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم ثم تذهب سائحة في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب ومعها خاتم سليمان وعصى موسى عليهما السلام تَسِمُ الرجل في وجهه فيعرف الكافر من المؤمن وقيل بأنها تخرج من الصفا وتضطرب الأرض لخروجها فأول ما يبدأ منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش ويقال بأنها تخرج من شعب جياد فإذا خرجت تكلمت بكلام عربي فصيح، قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول قوله تعالى (**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ** * النمل: ٨٢) (و) خروج (يأجوج ومأجوج) وهما أمتان مضرتان مفسدتان كافرتان من نسل يافث بن نوح وخروجهما بعد عيسى عليه السلام والقول بأنهم خلقوا من مني آدم عليه السلام المختلط بالتراب وليسوا من حواء غريب جدا لا دليل عليه وإنما يحكيه بعض أهل الكتاب وفي كتاب التيجان أن أمة منهم آمنوا فتركهم ذو القرنين لما بنى السد بأرمنية فسموا لذلك الترك والديلم ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير وفي تحفة الحبيب ويقال أنهم تسعة أعشار بني آدم وأصلهما من أجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل أن طائفة منهم خرجت تغير، فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لأنهم تركوا خارجين وفي التواريخ أن أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فأبو العرب والعجم والروم سام، وأبو الحبشة الزنج والنوبة حام، ويافث أبو الترك والخزرج الصقالبة ويأجوج ومأجوج وقيل يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة منهم أربعة آلاف أمة لا يموت منهم رجل إلا وينظر ألف ذكر من صلبه، قد حملوا السلاح وهم ثلاثة أصناف منهم مثل الأرز وهو شجر معروف في الشام طوله مائة وعشرون ذراعا، ومنهم من طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعا، ومنهم من يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا شيء من أنواع الوحوش إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ويقال أن منهم من هو مفرط في الطول ومنهم من طوله شبر واحد (ونزول

عيسى) بن مريم (عليه السلام من السماء) التي هو فيها الآن، وهي السماء الثانية على المنار البيضاء شرقي دمشق من غير تعيين أنها منارة الجامع الأموي، إذ ليس في الحديث ما يدل على ذلك، فيقتل الدجال ويبطل الجزية وحواريه يومئذ أصحاب الكهف والرقيم، وسيحجون معه فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا، ثم يقرر عيسى عليه السلام أمور الشريعة المطهرة ويجدد لهذه الأمة أمر دينها، ويصفو حال الناس فلا يموت أحد ولا يمرض أربعين سنة، ويقول الرجل لغنمه ولدوابه اذهبوا فارعوا وتمر الماشية بين الزرعين من غير أن تؤذيه، ويرتفع في زمنه أذى المؤذيات من الحشرات والأفاعي والسباع، ويبذر الزراع مدا من القمح فيجيء منه سبعمائة مد من غير حرث، ويتزوج ويولد له ويمكث في الأرض خمسة وأربعين سنة، ويدفن في روضة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم (وطلوع الشمس من مغربها) فيمتنع قبول التوبة حينئذ قال العلماء لأن الناس حينئذ يخلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد به كل شهوة وتفتر به كل قوة لتيقنهم بالقيامة كحال من حضرته الوفاة وأخذ في النزع وانتهت روحه إلى حلقومه ومن هذا حاله لا تقبل له توبة لأنه عاين الحق ورأى مقعده من الجنة أو النار فالمشاهدة لطلوع الشمس مثله وقيل أن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم عليه السلام قال للنمرود (**فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ** * البقرة: ٢٥٨) وانقطع وأنكر الملاحدة والمنجمون عن آخرهم ذلك وقالوا أنه لا يمكن ولا يكون وأنه لم تقم لإبراهيم عليه السلام بذلك حجة على النمرد، فيطلع الله سبحانه الشمس يوما من المغرب ليرى المنكرون قدرته سبحانه على ذلك وإن الشمس في قبضة قهره إن شاء أطلعها من المشرق وإن شاء أطلعها من المغرب ذكره اللاقاني (ونحو) أي مثل (ذلك) المذكور من باقي علامات الساعة الكبرى كرفع القرآن من الصدور والمصاحف وهدم الكعبة والدخان والخسف إلى غير ذلك مما هو مسطر في الكتب المصنفة في هذا الشأن (كله) أي كل ما تقدم من قوله وعذاب القبر إلى هنا (حق) أي ضد الباطل أو أمر مقضي أو حقيقة الأمر كذا في القاموس (والكبيرة) من الذنوب إذا فعلها المكلف والمراد الجنس

وكذلك الكبائر الكثيرة إذا فعلها قال القرطبي في شرح مسلم وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في الكبائر ما هي، وفي الفرق بينها وبين الصغائر فروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الكبائر جميع ما نهى الله تعالى عنه من أول سورة النساء إلى قوله (**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** * النساء: ٣١) وعن الحسن أنها كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وقيل هي كل ما أوعد الله عليه بنار أو بحد في الدنيا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها كل ما نهى الله عنه وما أظنه صحيحا لأنه مخالف لما في كتاب من التفرقة بين المنهيات فإنه قد فرق بينها في قوله تعالى (**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**) وقوله (**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ** * النجم: ٣٢) فجعل من المنهيات كبائر وصغائر وفرق بينهما في الحكم لما جعل تكفير السيئات في الآية مشروطا باجتناب الكبائر واستثنى اللمم من الكبائر والفواحش فكيف يخفى هذا الفرق على مثل ابن عباس رضي الله عنهما وهو حبر القرآن فتلك الرواية عن ابن عباس ضعيفة أو لا تصح وكذلك أكثر ما روي عنه لقد كذب الناس عليه كثيرا انتهى كلام القرطبي ويمكن الجواب عنه بأن القول بأن الكبائر كل ما نهى الله عنه نظرا إلى عظمة الناهي وهو الله تعالى حيث عصى عن عمد وقصد مخالفة فإن كانت المعصية زلة سقط بها فاعلها لجهل أو غلبة شهوة ونحو ذلك فهي اللمم المغفور مشتق من ألم بالمكان إذا نزل فيه ساعة بقصد الاستراحة ثم الانتقال عنه وكذلك فعل ما نهى الله عنه إذا ألم به المكلف ساعة بقصد الإقلاع والانتقال عنه بالتوبة من غير إصرار عليه فهو اللمم وهو السيئات التي قال الله تعالى (**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ**) يعني الذنوب كلها مع الإصرار وقصد المداومة عليها والانهماك فيها، نكفر عنكم سيئاتكم يعني إلمامكم بها على وجه الزلة بقصد الإقلاع عنها في الحال واستقباحها فيكون الانقسام اعتباريا كما قلنا فتصح الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما بذلك ويؤيده قول إمام الحرمين في الإرشاد، المرضي عندنا أن كل ذنب كبيرة إذ لا تراعى أقدار الذنوب حتى تضاف إلى المعصي بها قرب شيء

صغيرة بالإضافة إلى الأقران ولو صور في حق ملك لكان كبيرة تضرب بها الرقاب والرب تعالى أعظم من عصى وأحق من عبد بالعبادة وكل ذنب بالإضافة إلى مخالفته عظيم ولكن الذنوب وإن عظمت لما ذكرناه فهي متفاوتة في رتبها فبعضها أعظم من بعض فهذا كحكمنا للأنبياء عليهم السلام بالفضيلة وعلو المرتبة وبعضهم أعلى من بعض فهذا ما نرتضيه وقال اللاقاني في شرح جوهرته اختلف السلف والخلف في حد الكبيرة وتمييزها من الصغير فعن ابن عباس رضي الله عنهما كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا أخذ الأستاذ أبو إسحق الأسفرائني وحكاه القاضي عياض عن المحققين احتجاجا بأن كل مخالفة فهي بالنسبة إلى جلال الله تعالى كبيرة وقال الغزالي في بسيطه والضابط الشامل في حد الكبيرة أنها كل معصية يقدم عليها المؤمن من غير استشعار خوف وحذار ندم كالمتهاون بارتكابها والمستجرئ عليها اعتيادا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل عليه فلتات النفس وفترات مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس هو بكبيرة وسيأتي بيان إفراد الكبائر والصغائر في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى (لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان) ولو كان مصرا على فعلها لبقاء التصديق الذي هو حقيقة الإيمان وقال الكرماني في شرح البخاري وأما عند الخوارج فالكبيرة موجبة للكفر وعند المعتزلة موجبة للمنزلة بين المنزلتين صاحبها لا مؤمن ولا كافر وهذا في ارتكابها احتراز عن اعتقادها لأنه لو اعتقد حل بعض المحرمات المعلومة من الدين ضرورة كالخمر كفر بلا خلاف (ولا تدخله) تلك الكبيرة إذا فعلها وكذلك الكبائر المتعددة (في الكفر) كما قال تعالى (**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا** * الحجرات: ٩) الآية فسماهم مؤمنين فعلم أن صاحب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان (ولا تخلده) أي الكبيرة (في النار) إذا أدخلها للتطهير (ولا تحبط) أي تبطل (طاعته) وقالت الرافضة والإباضية وبعض الخوارج أن المذنبين من المؤمنين يخلدون في النار بذنوبهم وقد نطق القرآن بتكذيبهم في مواضع منها قوله عز وجل (**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ**

ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ * النساء: ٤٨) ومذهب أهل الحق على أن من مات موحدا لا يخلد في النار وإن ارتكب من الكبائر غير الشرك ما ارتكب وقد جاءت به الأحاديث الصحيحة منها قوله عليه السلام **(وإنا زن وإن سرق)** كذا في شرح البخاري للعيني (والله تعالى) بمحض عدله (لا يغفر) أي لا يعفو ولا يسامح (أن يشرك به) ولو كان نبيا بدليل (**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** * الزمر: ٦٥) والشرك اعتقاد المشاركة بينه تعالى وبين شيء في وصف أو حكم وإذا ذكر مع الكفر افترق معناهما بأنه اعتقاد المشاركة والكفر ستر الحق بالجحود والتكذيب وما في معنى ذلك كالتهاون بالمحترم شرعا أو الاستهزاء به وأما إذا ذكر كل واحد منهما على حدة شمل الآخر في المعنى فمعنى الشرك هنا ما هو أعم منه ومن الكفر والزيغ والتكذيب فإن الله تعالى لا يغفر شيئا من ذلك بلا توبة منه قبل الغرغرة بالإيمان والتبري مما عدا دين الحق من سائر الأديان ولا تقع الشفاعة في شيء من ذلك يوم القيامة قال اللاقاني في شرح جوهرته أما الكفر فلا يقع منه تعالى العفو عنه للزوم الكذب في أخباره تعالى بقوله (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ** * النساء: ٤٨) الآية ولا فرق فيه بين الأصلي والارتداد شركا كان أو غيره وعرف الشيخ ابن عرفة المالكي الكفر بأنه عدم التصديق الممكن بما علم ضرورة مجيء الرسول به أو فعل يدل عليه غالبا كقتل النبي وإلقاء المصحف في القاذورات وقال العيني في شرح البخاري والمراد بالشرك في هذه الآية الكفر لأن من جحد نبوة محمد صلّى الله عليه وسلّم كان كافرا ولو لم يجعل مع الله إلها آخر والمغفرة منتفية عنه بلا خلاف (ويغفر) أي يعفو ويسامح (ما دون ذلك) أي دون الشرك من جميع الذنوب الكبائر والصغائر (لمن يشاء) المغفرة له قال العيني في شرح البخاري والمراد من هذه الآية من مات على الذنوب من غير توبة ولو كان المراد من تاب قبل الموت لم يكن للتفرقة بين الشرك وغيره معنى إذ التائب من الشرك قبل الموت مغفور له وقال اللاقاني اختلف في جواز العفو عن الكبائر بدون التوبة فجوزه أهل السنة والجماعة بل أثبتوا وقوعه خلافا للمعتزلة تمسك أهل السنة على جواز العفو بأن العقاب حقه سبحانه

فيحسن إسقاطه مع أن فيه نفعا للعبد من غير ضرر لأحد وبالآيات والأحاديث الناطقة بالعفو والغفران كقوله تعالى (**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ** * التوبة: ١٠٤) (**أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ** * الشورى: ٣٤) (**إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً** * الزمر: ٥٣) (**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** * النساء: ٤٨) (**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ** * الرعد: ٦) وفي الحديث (**يا عبدي لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ ذنوبا لأتيتُكَ بِقُرابِهَا مَغفِرةً**) إلى ما لا ينحصر منها ومعنى العفو والغفران واحد وهو ترك عقوبة المجرم والستر عليه بعدم المؤاخذة قال والفرق بين المعاصي يجوز أن تغفر وبين الكفر فلا يجوز أن يغفر إن العاصي قلما ينفك عن خوف عقاب ورجاء رحمة وغير ذلك من خيرات تقابل ما ارتكب من المعصية إتباعا للهوى بخلاف الكافر، وأيضا الكفر مذهب والمذهب يعتقد للأبد وحرمته لا تحتمل الارتفاع أصلا فكذالك عقوبته بخلاف المعصية فإنها لوقت الهوى والشهوة وقال الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه اعلم أن الشرك عدم لا وجود له هذا ما يتيقنه المؤمن بإيمانه وإذا كان عدما لا يغفره الله تعالى إذ الغفر الستر ولا يستر إلا ماله وجود وأما المعصية فلها وجود فيمكن أن تتعلق المغفرة بها (ويجوز بالعقاب) من الله تعالى لعبده المكلف (على) فعل (الصغيرة) من صغائر الذنوب (ولو) كان فعل تلك الصغيرة (مع اجتناب) جميع الكبائر لأن الله تعالى لا يجب عليه شيء ولا يمتنع منه شيء فمجازاته لعباده دائرة بين فضله وعدله والظلم عليه محال لدخول الصغيرة تحت قوله تعالى (**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**) فعلقت المغفرة بالمشيئة فمن لم يشأ أن يغفر له يجوز أن يعاقبه على الصغير أو على الكبيرة وقال تعالى (**لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا** * الكهف: ٤٩) والإحصاء إنما يكون للسؤال والمجازات وقال اللاقاني هذا الحكم مما اختلف فيه فذهب بعض المعتزلة وجماعة من الفقهاء والمحدثين إلى أن المكلف إذا اجتنب الكبائر كفرت صغائره قطعا ولم يجز تعذيبه عليها لا بمعنى الامتناع العقلي بل لورود الأدلة السمعية به وذهب أئمة الكلام إلى أن ذلك

الحكم ظني يقوى به الرجاء تمسكا بأنا لو قطعنا لمجتنب الكبائر بتكفير صغائره بالاجتناب لكانت له في حكم المباح الذي يقطع بأنه لا تباعة فيه وذلك نقض لعرى الشريعة وأجابوا عن متمسك الأولين بأن الكبيرة في الآية محمولة على الكفر لإطلاقها والفرد عند إطلاقه يحمل على الكامل من نوعه وقد جمع الكبائر باعتبار تعدد أنواع الكفر من تهود وتنصر وتمجس ولو قلنا بأنه ملة واحدة من حيث الحكم ولتعدد أفراده القائمة بأفراد المكلفين وما ذهب إليه المتكلمون هو الذي لا غبار عليه واعلم إن النزاع إنما هو في قطعية التكفير وظنيته لا في جواز تكفير الصغائر باجتناب الكبائر فإنه ليس محل خلاف لأحد ومبنى النزاع هل يجوز العقاب على الصغيرة أو لا والحق جوازه والمراد من الاجتناب ما يعم التوبة بعد الملابسة وقيد ابن عطية المسألة بمن أتى بالفرائض ولفظ القرطبي فدل القرآن على أن في الذنوب صغائر وكبائر خلافا لمن قال كلها كبائر وإن الصغائر كاللمس والنظر تكفر باجتناب الكبائر قطعا لوعده الصدق وقوله الحق إلا أنه لا يجب عليه ذلك لكن بضميمة أخرى إلى الاجتناب وهي إقامة الفرائض لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له ثمانية أبواب الجنة يوم القيامة حتى أنها لتصفق**) ثم تلا (**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ** * النساء: ٣١) الآية وفي مسلم عن أبي هريرة عنه صلّى الله عليه وسلّم (**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**) وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح في الباب وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة منها والإقلاع عنها والوضوء يكفر الصغائر وكذا الحج المبرور (و) يجوز أيضا (العفو) أي المسامحة (عن) فعل (الكبيرة) أي جنسها ليشمل الواحدة والكثيرة (ولو) كان ذلك العفو (بلا توبة) من العبد قال اللاقاني اختلف في جواز العفو عن الكبائر بدون التوبة فجوزه أهل السنة والجماعة بل أثبتوا وقوعه خلافا للمعتزلة تمسك أهل السنة على جواز العفو بأن العقاب حقه سبحانه فيسحن إسقاطه أن فيه نفعا للعبد من غير ضرر لأحد وبالآيات

والأحاديث الناطقة بالعفو والغفران كقوله تعالى (**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ** * التوبة: ١٠٤) (**يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ** * الشورى: ٣٤) (**إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً** * الزمر: ٥٣) انتهى وقد سبق الكلام على هذا ومحله إذا لم يكن عن استحلال فالاستحلال كفر لما فيه من التكذيب المنافي للتصديق ولهذا تؤوّل النصوص الدالة على تخليد العصاة في النار أو على سلب اسم الإيمان عنهم ذكره السعد في شرح العقائد (والله تعالى يجيب الدعوات) لعباده (ويقضي الحاجات) لهم (تفضلا) منه تعالى على عباده قال الله تعالى (**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** * غافر: ٦٠) وقال عليه السلام (**يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**) وفي رواية (**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلا أو فلم يستجب لي**) وفي رواية (**فلا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل**) قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال (**يَقُولُ قد دعوت وقد دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ**) قال أهل اللغة حسر واستحسر إذا أعيي وانقطع عن الشيء والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء ومنه قوله تعالى (**لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ** * الأنبياء: ١٩) أي لا ينقطعون عنها ففيه أنه ينبغي إدامة الدعاء ولا يستبطئ الإجابة ذكره النووي في شرح مسلم وقال السعد في شرح العقائد واعلم أن العمدة في ذلك صدق النية وخلوص الطوية وحضور القلب لقوله عليه السلام (**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بالإجابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعالى لا يَسْتَجِيبُ دُعاءَ مِنْ قَلْبٍ غافِلٍ لاهٍ**) واختلف المشايخ في أنه هل يجوز أن يقال يستجاب دعاء الكافر فمنعه الجمهور لقول تعالى (**وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ** * الرعد: ١٤) ولأنه لا يدعو الله تعالى لأنه لا يقره فإنه وإن أقر به فلما وصفه بما لا يليق به فقد نقض إقراره وما روي في الحديث (**من أن دعوة المظلوم وإن كان كافرا تستجاب**) فمحمولة على كفران النعمة وجوزه بعضهم لقوله تعالى حكاية عن إبليس (**رَبِّ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** * الأعراف: ١٤) فقَالَ له الله تعالى (**إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ** * الأعراف: ١٥) هذه إجابة وإليه ذهب أبو

القاسم الحكيم وأبو نصر الدبوسي قال الصدر الشهيد وبه يفتى انتهى والجواب عن الآية أن معنى كون دعائهم في ضلال أنه يستجاب لهم فيظنون أنهم على شيء فيزدادون من ضلالهم فتكون إجابة دعائهم إضلالا لهم والله يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وقال النووي في شرح مسلم بعد ذكره الأحاديث المشتملة على الأدعية وفي هذه دليل لاستحباب الدعاء، وهذا هو الصحيح الذي أجمع عليه العلماء وأهل الفتاوى في الأمصار في كل الأعصار وذهبت طائفة من الزهاد وأهل المعارف إلى أن ترك الدعاء أفضل استسلاما للقضاء وقال آخرون منهم إن دعا للمسلمين فحسن وإن دعا لنفسه فالأولى تركه وقال آخرون منهم إن وجد في نفسه باعثا للدعاء استحب وإلا فلا ودليل الفقهاء ظواهر القرآن والسنة في الأمر بالدعاء وفعله والأخبار عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بفعله (والإيمان) بالله تعالى وبأنبيائه عليهم السلام وجميع ما أخبروا عنه من الحق يعنى التصديق بكل ذلك هو (والإسلام) أي التسليم والانقياد والإذعان لجميع ما ذكر (واحد) باعتبار المعنى الشرعي دون المعنى اللغوي قال في القاموس آمن به إيمانا صدقه والإيمان الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة والإسلام الاسم من التسليم والتسليم الرضاء وأسلم انقاد وصار مسلما لاستسلم، وقال القرطبي في شرح مسلم الإسلام في اللغة هو الاستسلام والانقياد ومنه قوله تعالى (**قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا** * الحجرات: ١٤) أي انقدنا وهو في الشرع الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية ولذلك قال صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه عنه أنس رضي الله عنه (**الإسلام علانية والإيمان في القلب**) ذكره ابن أبي شيبة في مسنده والإيمان لغة هو التصديق مطلقا وفي الشرع التصديق بالقواعد الشرعية كما نبه عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم في حديث أنس هذا وقد ناقش علماء الأصول في هذه الأسماء الشرعية تناقشا لا طائل له إذا حقق الأمر فيه وذلك أنهم متفقون على أنها يستفاد منها في الشرع زيادة على أصل الوضع وهل ذلك المعنى يصير تلك الأسماء موضوعة كالوضع الابتدائي من قبل الشرع أو هي مبقاة على الوضع اللغوي والشرع إنما تصرف في شروطها

وأحكامها هذا تناقشهم والأمر قريب والحاصل إن الشرع تصرف في حال هذه الاسماء لا في أصل وضعها فخصص عاما كالحال في الاسلام والإيمان فإنهما بحكم الوضع يعمان كل انقياد وكل تصديق لكن قصرهما الشرع على تصديق مخصوص وانقياد مخصوص وكذلك فعلت العرب في لغتها في الأسماء العرفية كالدابة فإنها في الأصل اسم لكل ما يدب ثم عرفهم خصصها ببعض ما يدب فالأسماء الشرعية كالأسماء العرفية في هذا التصرف وقد استفدنا من هذا البحث إن الإيمان والإسلام حقيقتان متباينتان لغة وشرعا كما دل عليه حديث جبريل وغيره وهذا هو الأصل في الأسماء المختلفة أعني أن يدل كل واحد منها على خلاف ما يدل عليه الآخر غير أنه قد توسع الشرع فيهما فأطلق اسم الإيمان على حقيقة الإسلام كما في حديث وفد عبد القيس الوارد في صحيح مسلم فإنه أطلق فيه اسم الإيمان على ما جعله في حديث جبريل إسلاما وكقوله عليه السلام (**الإيمان بضع وسبعون بابا فأدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله**) وقد أطلق الإسلام مريدا به مسمى الإسلام والإيمان بمعنى التداخل كقوله تعالى (**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ** * آل عمران: ١٩) وقد أطلق الإيمان كذلك أيضا كما روي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا (**الإيمان اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان**) وهذه الإطلاقات الثلاث من باب التجوز والتوسع على عادة العرب في ذلك وهذا إذ تحقق يريح من كثير من الأشكال الناشئ من ذلك الاستعمال (وهو) أي ذلك الواحد الذي هو الإيمان والإسلام في الاستعمال الشرعي (تصديق النبي) محمد (صلّى الله عليه وسلّم في جميع ما علم) بالبناء للمفعول أي علم المكلف (بالضرورة) أي من غير فكر ونظر وفسره السعد في شرح العقائد بما يحدثه الله تعالى في نفس العالم من غير كسبه واختياره كالعلم بوجوده وتغير أحواله وذكر أيضا إن العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات والبديهيات والمتواترات انتهى فالمراد بما علم بالضرورة أي بطريق التيقن والتثبت من غير شك ولا تردد إما بسماعه من فم الرسول صلّى الله عليه وسلّم كالحاضرين في زمانه عليه السلام أو بطريق تواتر الخبر عنه صلّى الله عليه وسلّم

بمضمونه (مجيئه) أي مجيء النبي صلّى الله عليه وسلّم (به) من عند الله تعالى إلى الخلق (والإقرار) أي النطق باللسان في القادر على ذلك متى أراد (به) أي بجميع ما علم بالضرورة مجيء النبي عليه السلام به وبيان ذلك ما قاله القرطبي رحمه الله تعالى في شرح مسلم أن الإيمان بالله هو التصديق بوجوده تعالى وأنه لا يجوز عليه العدم وأنه تعالى موصوف بصفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر والحياة وأنه تعالى منزه عن صفات النقص التي هي أضداد تلك الصفات وعن صفات الأجسام والمتحيزات وأنه واحد حق فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيما يشاء من التصرفات يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه ما يشاء والإيمان بالملائكة هو التصديق بأنهم عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ وأنهم سفراء الله تعالى بينه وبين رسله والمتصرفون كما أذن لهم في خلقه والإيمان بكتب الله هو التصديق بأنها كلام الله ومن عنده وأن ما تضمنته حق وأن الله تعالى أمر خلقه بأحكامها وفهم معانيها والإيمان برسل الله هو أنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى وأن الله تعالى أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم وأنهم بلغوا عن الله رسالاته وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله بتبيانه وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بين أحد منهم والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وأنهما دارا ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح نصه وثبت نقله والإيمان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله هو ما دل عليه قوله تعالى (**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** * الصفات: ٩٦) وقوله (**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** * القمر: ٤٩) وقوله (**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ الله** * الإنسان: ٣٠) وإجماع السلف والخلف على صدق قول القائل مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لَمْ يَشَا لَمْ يَكُنْ وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**) ومذهب السلف وأئمة الفتوى من الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقا جزما لا ريب فيه

ولا تردد ولا توقف كان مؤمنا حقيقة وسواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو عن اعتقادات جازمة على هذا انقرضت الأعصار الكريمة وبه صرحت فتاوى أئمة الهدى المستقيمة حتى حدثت مذاهب المعتزلة المبتدعة فقالوا أنه لا يصح الإيمان الشرعي إلا بعد الإحاطة بالبراهين العقلية والسمعية وحصول العلم بنتايجها ومطالبها ومن لم يحصل إيمانه كذلك فليس بمؤمن ولا يجزئ إيمانه بغير ذلك وتبعهم على ذلك جماعة من متكلمي أصحابنا كالقاضي أبي بكر وأبي إسحاق الإسفرائني وأبي المعالي في أول قوليه والأول هو الصحيح إذ المطلوب من المكلفين ما يقال عليه إيمان لقوله تعالى (**آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ** * النساء: ١٣٦) (**ومن لم يؤمن بالله ورسوله** *)، والإيمان هو التصديق لغة وشرعا فمن صدق بذلك كله ولم يجوز نقيض شيء من ذلك فقد علم بمقتضى ما أمر الله به على نحو ما أمره الله تعالى ومن كان كذلك فقد تَفَصَّى على عهدة الخطاب إذ قد عمل بمقتضى السنة والكتاب ولأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه بعده حكموا بصحة إيمان كل من آمن وصدق بما ذكرناه ولم يفرقوا بين من آمن عن برهان أو عن غيره ولأنهم لم يأمروا أجلاف العرب بتزييد النظر ولا سألوهم عن أدلة تصديقهم ولا أرجؤا إيمانهم حتى ينظروا وتحاشوا عن إطلاق الكفر على أحد منهم بل سموهم المؤمنين والمسلمين وأخذوا عليهم أحكام الإيمان والإسلام ولأن البراهين التي حررها المتكلمون ورتبها الجدليون إنما أحدثها المتأخرون ولم يخض في شيء من تلك الأساليب السلف الماضون فمن المحال والهذيان أن يشترط في صحة الإيمان ما لم يكن معروفا ولا معمولا به لأهل ذلك الزمان وهم من هم فهما عن الله وأخذا عن رسول الله وتبليغا لشريعته وبيانا لسنته وطريقته انتهى كلام القرطبي رحمه الله تعالى وهو يقتضي عدم اشتراط النطق أيضا باللسان في صحة الإيمان وهو قول المحققين قال الشيخ العيني في شرح البخاري أن الإيمان عند المحققين وإليه ذهب الأشعري وأكثر الأئمة كالقاضي عبد الجبار والأستاذ أبي إسحاق والإسفرائني والحسين ابن الفضل وغيرهم هو مجرد التصديق بالقلب أي تصديق الرسول عليه السلام في كل ما علم مجيئه به بالضرورة

تصديقا جازما مطلقا أي سواء كان بدليل أو لا، فقولهم مجرد التصديق إشارة إلى أنه لا يعتبر فيه كونه مقرونا بعمل الجوارح والتقييد بالضرورة لإخراج ما لم يعلم بالضرورة أن الرسول جاء به كالاجتهاديات كالتصديق بأن الله تعالى عالم بالعلم أو عالم بذاته والتصديق بكونه مرئيا أو غير مرئي فإن هذين التصديقين وأمثالهما غير داخلة في مسمى الإيمان ولهذا لا يكفر منكر الاجتهاديات بالإجماع والتقييد بالجازم لإخراج التصديق الظني فإنه غير كاف في حصول الإيمان والتقييد بالإطلاق لدفع وهم خروج اعتقاد القلب فإن إيمانه صحيح عند الأكثرين وهو الصحيح وقال السعد في شرح العقائد هذا الذي ذكره من أن الإيمان هو التصديق والإقرار مذهب بعض العلماء وهو اختيار الإمام شمس الأئمة وفخر الإسلام وذهب جمهور المحققين إلى أنه التصديق بالقلب وإنما الإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا لما أن تصديق القلب أمر باطن لا بد له من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله وإن لم يكن مؤمنا في أحكام الدنيا ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس وهذا هو اختيار الشيخ أبي منصور والنصوص معاضدة لذلك قال الله تعالى (**كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ** * المجادلة: ٢٢) وقال تعالى (**وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** * النحل: ١٠٦) وقال تعالى (**وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** * الحجرات: ١٤) وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**اللّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**) وقال لأسامة حين قتل من قال لا إله إلا الله (**هلا شققت عن قلبه**) (والأعمال) بالجوارح (خارجة عن حقيقته) أي حقيقة الإيمان قال في شرح الصحائف الإيمان في اللغة التصديق وفي الشرع مختلف فيه فقال المحققون هو تصديق الرسول بكل ما علم بالضرورة مجيئه به ويقرب من هذا ما ذهب إليه أبو حنيفة رضي الله عنه أن الإيمان هو المعرفة والإقرار أي العلم بما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم والإقرار به وقالت المعتزلة الإيمان هو مجموع الطاعات ونقل عن السلف أن الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان ونقل عن علي رضي الله عنه مثل ذلك وبه قال الشافعي رحمه الله تعالى هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان

وقال الكرماني في شرح البخاري وذكر في الكتب الكلامية له تفاسير فقال المتأخرون هو تصديق الرسول بما علم مجيئه به ضرورة والحنفية التصديق والإقرار والكرامية الإقرار وبعض المعتزلة الأعمال والسلف التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان فهذه الأقوال خمسة الثلاثة منها بسيط وواحد منها مركب ثنائي والخامس مركب ثلاثي ووجه الحصر أنه أما بسيط أو لا والبسيط أما اعتقادي أو قولي أو عملي وغير البسيط أما ثنائي وإما ثلاثي وهذا كله بالنظر إلى ما عند الله تعالى أما عندنا فالإيمان هو الكلمة فإذا قالها حكمنا بإيمانه اتفاقا بلا خلاف ثم لا تغفل أن النزاع في نفس الإيمان وأما الكمال فإنه لا بد فيه من الثلاث إجماعا وإذا تحققت هذه الدقائق انفتح عليك المغالق إن شاء الله تعالى وحيث كانت الأعمال خارجة عن حقيقته (فلا يزيد) بالطاعات (ولا ينقص) بالمعاصي والمخالفات قال الكرماني في شرح البخاري مذهب السلف إن الإيمان قول وعمل ونية ويزيد وينقص ومعناه أنه يطلق على التصديق بالقلب وعلى النطق باللسان وعلى الأعمال بالجوارح ويزيد بزيادة هذه ونقص بنقصها وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصه قالوا متى قبل الزيادة والنقص كان شكا وكفرا وقال المحققون منهم نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته ونقصانها وهي الأعمال قال النووي والمختار خلافه وهو أن نفس التصديق أيضا يزيد وينقص بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ولهذا يكون إيمان الصديق أقوى بحيث لا يتزلزل بعارض ولا يتشك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس انتهى ولا شك أن عدم المساواة في القوة والضعف ليست زيادة في حقيقة الإيمان وجوهره وإنما هي زيادة في وصفه كالإنسان المريض والإنسان القوي فإن الإنسانية فيهما على السواء من غير زيادة في القوي دون الضعيف والمراد بالزيادة المنفية عند القائلين بذلك الزيادة في حقيقته وجوهره دون وصفه فالخلاف لفظي والآيات الدالة على زيادة الإيمان محمولة على ما ذكره أبو حنيفة رضي الله عنه أنهم كانوا آمنوا بالجملة ثم يأتي فرض بعد فرض وكانوا يؤمنون بكل فرض خاص وحاصله أنه كان يزيد

بزيادة ما يجب الإيمان به وهذا لا يتصور في غير عصر النبي صلّى الله عليه وسلّم قال السعد في شرح العقائد وفيه نظر لأن الاطلاع على تفاصيل الفرائض ممكن في غير عصر النبي صلّى الله عليه وسلّم والإيمان واجب إجمالا فيما علم إجمالا وتفصيلا فيما علم تفصيلا ولا خفأ في أن التفصيلي أزيد بل أكمل من الإجمالي وما ذكر من أن الإجمالي لا ينحط عن درجته فإنما هو في الاتصاف بأصل الإيمان انتهى ولا يخفى أن قول أبي حنيفة رضي الله عنه وهذا لا يتصور في غير عصر النبي صلّى الله عليه وسلّم معناه زيادة الإيمان في حق من آمن من الصاحبة رضي الله عنهم إجمالا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبجميع ما جاء به من عند الله تعالى فكان كل ما جاء بعد ذلك بفرض آمنوا به تفصيلا فيزيد إيمانهم بالنسبة إلى إيمانهم الأول الإجمالي وبعد انقطاع الوحي بموت النبي صلّى الله عليه وسلّم ما بقي يتصور ذلك وأما تصوره في كل زمان بمن لم يطلع أولا على تفاصيل الفرائض وآمن بجميع ما ورد عن الله تعالى بطريق الإجمال وكان كلما وصل إليه الخبر بفرض آمن به فيزداد إيمانه بالنظر إلى إيمانه الأول الإجمالي فهو أمر نادر إنما يتصور فيمن نشأ منفردا من غير مخالطة أهل الإسلام فإن الفرائض مما علم من الدين بالضرورة وبحيث يشترك في علمها الخاص والعام على أن من كان كذلك جاهلا بتفاصيل الفرائض ثم اطلع على تفاصيل فازداد إيمانه بها مفصلة على إيمانه بها مجملة ليس هو موضع الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه بل الخلاف في كل إيمان هل يقبل الزيادة أم لا وإذا كانت الآيات دالة على زيادة الإيمان في حق الصحابة رضي الله عنهم فقط دون غيرهم لأنهم المخاطبون بذلك حيث هم الموجودون وقت نزول الوحي فلا مانع من تصور ذلك في النادر فيمن جهل ما علم من الدين بالضرورة من فرائض الإسلام فآمن إجمالا ثم علم بذلك فآمن تفصيلا على أن قول أبي حنيفة رضي الله عنه بعدم تصوره في غير عصر النبي صلّى الله عليه وسلّم مخصوص بمن نزل ذلك في حقهم وهم الصحابة رضي الله عنهم فإنه لا يتصور وجودهم جاهلين بالفرائض في غير ذلك العصر ثم يعلمون ذلك بنزوله بالوحي وإن تصور في غيرهم

فيمن ذكر فإن هذا القول من أبي حنيفة رضي الله عنه صرف للآيات الواردة عليه ببيان سبب نزولها من دون تعرض لإمكان تصور تلك الحالة فيما بعد فلا نظر في قوله ولا إيراد عليه والحاصل أن زيادة الإيمان ونقصانه محمولة إما على الزيادة والنقصان في وصفه دون ذاته وجوهره وإما على أن مراد القائل بذلك الإيمان المفسر عند بالاعتقاد والقول والعمل فيزداد بزيادة العمل وينقص بنقصانه وإليه يشير كلام الماتن هنا حيث فرع بالفاء على كون الأعمال خارجة عنه قوله بعدم الزيادة والنقصان فالخلاف في ذلك لفظي على كل حال والآيات والأحاديث الوارد فيها ذكر ذلك يخرجها كل قوم بحسب ما ذهبوا إليه وهو محتمل وللاجتهاد في ذلك مجال وليست المسألة مما يضر الخلاف فيها (ويصح) في الشرع (أن يقول من وجدا) أي التصديق بقلبه والإقرار بلسانه (فيه أنا مؤمن حقا) كما قال تعالى (**فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً** * الأنفال: ٤) وذلك لأن الإيمان إما أن يكون موجودا أو غير موجود فإن لم يكن موجودا فهو كافر وإن كان موجودا فهو مؤمن وإن شك في وجوده في وقت من الأوقات فهو كافر فيتعين على المؤمن قوله أنا مؤمن حقا لتحقق الإيمان منه (ولا ينبغي) أي لا يحسن ولا يليق بالمؤمن (أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله) تعالى بإحالة كونه مؤمنا على مشيئة الله تعالى دون القطع بما هو موجود فيه من الإيمان لأن هذا القول منه إن كان للشك فهو كفر لا محالة وإن كان للتأدب وإحالة الأمور إلى مشيئة الله تعالى أو للشك في العاقبة والمآل لا في الآن والحال أو للتبرك بذكر الله تعالى أو التبري عن تزكية نفسه والإعجاب بحاله فالأولى تركه لأنه يوهم الشك ولهذا قال ولا ينبغي دون أن يقول ولا يجوز لأنه إذا لم يكن للشك فلا معنى لنفي الجواز كيف وقد ذهب إليه كثير من السلف حتى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين ذكره السعد في شرح العقائد والحاصل إن الخلاف لفظي أيضا فإن من منع من قوله أنا مؤمن إن شاء الله تعالى محله إذا قصد الشك أو كان قوله موهما للشك عند من لم يعرف مراده بذلك ومن أجاز قوله أنا مؤمن إن شاء الله تعالى استند في ذلك إلى ما ورد عن السلف مما لم يثبت عند المانع

منه كما وقفت في ذلك على رسالة من تصنيف الإمام البخاري صاحب الصحيح ذكر فيها من ورد عنه القول بذلك من الصحابة والتابعين من أئمة الدين والوارد عن السلف مستفيض من صاحب الشرع إن لم يكن بصريح الحديث فهو بمفهومه عند الصدر الأول مع تعليل جواز ذلك أيضا بما ذكر من التأدب مع الله تعالى وإحالة الأمور إلى مشيئته والشك في العاقبة والتبرك بذكره الله تعالى والتبري من تزكية النفس والإعجاب بحالها إلى غير ذلك مما علل به المجيزون والمسألة اجتهادية أيضا للرأي فيها مجال (والإيمان) المذكور (بهذا المعنى) الذي سبق بيانه وهو التصديق بالقلب والإقرار باللسان (مخلوق) الله تعالى في العبد المؤمن (كسبي) حاصل باكتسابه (وأما) الإيمان (بمعنى هداية الرب تعالى لعبده إلى معرفته) بلا كيف ولا كيفية (فغير مخلوق) لأنه حينئذ من صفات الله تعالى كما ورد أسمائه تعالى المؤمن بمعنى أنه الهداية من الله تعالى والإهتداء من العبد فيقال آمن الرب عبده أي هداه للتصديق به وبكل ما ورد عنه فاهتدى لذلك فإن الإيمان بهذا المعنى قديم لأنه من صفات الله تعالى المفهومة من اسمه سبحانه المؤمن وصفاته تعالى وأسماؤه كلها قديمة قال اليافعي في شرح أسماء الله الحسنى وأما المؤمن فقيل معناه المصدق لأن الإيمان في اللغة التصديق يقال آمن يؤمن إيمانا إذا صدق والرب سبحانه مصدق نفسه ورسله بقوله الصدق الاسم راجع إلى الكلام الذي هو من الصفات القديمة وقيل المؤمن معناه أنه تعالى سيؤمن عباده الأبرار من الفزع الأكبر عند رؤية النار وعظيم الأهوال وعلى هذا يجوز صرفه إلى القول فإنه تعالى سيؤمن عباده يوم العرض الأكبر ويسمعهم قوله (**أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا** * فصلت: ٣٠) ويجوز صرفه إلى القدرة على خلق الأمن والطمأنينة فيكون من أسماء الصفات ويجوز صرفه إلى نفس خلق الأمن فيكون من أسماء الأفعال يقال آمنه يؤمنه إذا أفاده الأمن فالفاعل مؤمن بكسر الميم الثانية والمفعول مؤمن بفتحها وذكر النجم الغزي في حسن التنبه قال المؤمن هو المصدق لنفسه ولأنبيائه بالمعجزات أو الذي لا يتصور الأمن والأمان الاّ من قبله ثم قال والمسلم والمؤمن إسمان مشتقان من اسم الله السلام

واسمه المؤمن وهما من خصائص هذه الأمة لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**تسمى الله باسمين سمى بهما أمتي هو السلام وسمى بها أمتي المسلمين وهو المؤمن وسمى بها أمتي المؤمنين**) رواه ابن أبي شيبة وذكر الكرماني في شرح البخاري إن اشتقاق الإيمان من الأمن وأمنه إذا صدقه وحقيقته أمنه التكذيب وقال التيمي الإيمان مشتق من الأمن لأن العبد إذا صدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمن من القتل والعذاب انتهى والحاصل أن الإيمان إما معناه التصديق أو إعطاء الأمان من التكذيب أو تحصيل الأمن من القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة فيقال أمن العبد بالرسول إذا صدق بجميع ما جاء به أو أمنه من التكذيب أو أمن من القتل والعذاب فما حصل للعبد من هذه المعاني الثلاثة مما سمي بسببه مؤمنا فهو مخلوق فيه وأما إذا جعل أحد هذه المعاني الثلاثة اشتقاقا لاسم الله تعالى المؤمن على تقدير أنه تعالى أمن أي صدق بنفسه وبرسله وبما جاؤا به من عنده أو أمن عباده المحسنين من مقابلتهم بالإساءة أو أمن من تكذيبهم له فيما شرع لهم وذلك هو الهداية لهم إلى صراط المستقيم فالإيمان حينئذ قديم وليس بمخلوق لأنه من صفات الله تعالى (وإيمان المقلد) من التقليد بمعنى المتابعة وأصله وضع القلادة في العنق فكأن من قلد غيره في قول أو فعل وضع التبعة في عنق ذلك الغير فيبقى خطاؤه منسوبا إلى ذلك الغير وكذا إصابته أو من تقليد الولاة الأعمال فكأن التابع قلد المتبوع ولاية الحكم عليه حيث تابعه في وقوله أو فعله أو من قلد بالتخفيف الماء في الحوض واللبن في السقاء والشراب في البطن يقلده بسكون القاف جمعه فيه ثم شدد الفعل قصدا للمبالغة لأن المقلد غيره يجمع عنده قول الغير أو فعله أو من قلد الشيء على الشيء لواه ثم شدد كذلك لأن المقلد يلوي قول غيره أو فعله والتقليد للغير هو أخذ قول ذلك الغير أو فعله مع الجزم به والمطابقة له من غير استدلال عليه فلا تقليد مع الشك والتردد ولا مع عدم المطابقة كمن يزعم أنه مقلد لأئمة المسلمين وهو يعتقد أن لله تعالى مكانا أو جهة أو جسمية أو أن معه مؤثرا في الوجود في أمر ما فإنه ليس بمقلد لأئمة المسلمين لأنهم لا يعتقدون شيئا من ذلك حتى

يقلدهم فيه (صحيح) عند المحققين من أهل السنة وإن لم يكن عنده استدلال على ما قلد غيره فيه وحكاه الزركشي عن الأئمة الأربعة وعزاه ابن ناجي وأبو الحسن الشاذلي من المالكية وغيرهم من الشافعية للجمهور في إجراء الاحكام الدنيوية عليه إتفاقا والأخروية عند المحققين يدل عليه قوله تعالى (**وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً** * النساء: ٩٤) الآية وقوله صلّى الله عليه وسلّم (**مَنْ صلى صلاتنا، ودخل مسجدنا، واستقبل قبلتنا، فهو مسلم**) (ولكنه) يعني المقلد (آثم) أي عاص (بترك الاستدلال) على مسائل اعتقاده وقال بعضهم ليس بآثم إلا إن كان فيه أهلية لفهم النظر الصحيح وقال بعضهم ليس بآثم أصلا وإن كان فيه تكل الأهلية واعلم أن بعضهم نقل عن الأشعري والقاضي الباقلاني والأستاذ الإسفرائني وإمام الحرمين والجمهور عدم صحة إيمان المقلد وأنه لا يكفي التقليد في العقائد الدينية وبالغ بعضهم فيه فحكى عليه الإجماع وعزاه ابن القصار لمالك وقال السنوسي في شرح مقدمته ثم اختلف الجمهور القائلون بوجوب المعرفة فقال بعضهم المقلد مؤمن إلا أنه عاص بترك المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح وقال بعضهم أنه مؤمن ولا يعصي إلا إذا كان فيه أهلية لفهم النظر الصحيح وقال بعضهم المقلد ليس مؤمن أصلا وقد أنكر بعضهم وذهب غير الجمهور إلى أن النظر ليس بشرط في صحة الإيمان بل وليس بواجب أصلا وإنما هو من شروط الكمال فقط وقد اختار هذا القول الشيخ العارف بن أبي جمرة والقشيري وابن رشد وأبو حامد الغزالي وجماعة انتهى وقدمنا عن القرطبي ما يؤيد هذا وفي حاشية المقري على شرح السنوسية قال ابن عطية في تفسيره في سورة البقرة عند قوله تعالى (**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ** * البقرة: ١٧٠) وقوة هذه الآية تعطي إبطال التقليد واجتمعت الأمة على إبطاله في العقائد وقال الزمخشري لا ضال أضل من المقلد وقال الفهري ناقلا عن القاضي الباقلاني إن التقليد في أصول الدين ممتنع حيث قال المعرفة بالله تعالى على وجه الإحاطة لا سبيل إليها فالمعتبر إذن الإقرار بالله عز وجل وبرسله من مسند جملي قال أصحابنا والذي يصير به مؤمنا وهو

التكليف العام أن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شرك له ولا نظير له في صفاته ولا قسيم له في أفعاله وأن محمدا صلّى الله عليه وسلّم رسوله أرسله بالهدى ودين الحق وإن كل ما أخبر به صدق وهل يكتفي بذلك في التقليد أو لابد من معرفة الله تعالى على بصيرة اختلف فيه واختار القاضي أن التقليد غير متصور في التوحيد ثم قال الفهري في موضع آخر ويكتفي في إثبات الإيمان بالعلم بالله عز وجل لا من كل وجه بل على الجملة فيعلم أنه موجود أزلي غني واحد في ذاته وصفاته والهيته وتدبيره ليس كمثله شيء وأنه عادل في أفعاله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وأنه صادق في جميع ما جاء به صلّى الله عليه وسلّم ويكفي معرفة جميع ذلك بطريق ما وفي الدلائل كثرة وكل ما سوى الله دليل عليه وأما التفصيل فمن فروض الكفاية وذكر القرطبي في شرح مسلم قال وقد اختلف المتكلمون في أول الواجبات على أقوال كثيرة منها ما يشنع ذكره ومنها ما ظهر ضعفه والذي عليه أئمة الفتوى وبهم يقتدى كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة السلف رضي الله عنهم أن أول الواجبات على كل مكلف الإيمان التصديقي الجزمي الذي لا ريب معه بالله تعالى ورسله وكتبه وما جاءت به الرسل على ما تقرر في حديث جبريل عليه السلام كيف ما حصل ذلك الإيمان وبأي طريق إليه توصل وأما النطق باللسان فمظهر لما استقر في القلب وسبب ظاهر تترتب عليه أحكام الإسلام (وفي إرسال) الله تعالى إلى عباده المكلفين (الأنبياء) جمع نبي (والرسل) بضم السين المهملة وبسكونها أيضا جمع رسول والخلاف فيهما على أربعة أقوال التباين والتوافق والعموم والخصوص المطلق ومن وجه وقد فصلنا ذلك في كتابنا المطالب الوفية والمشهور نسبة العموم والخصوص المطلق فكل رسول نبي ولا كل نبي رسول (بالمعجزات) جمع معجزة وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة (والكتب) بضم التاء المثناة الفوقية وبسكونها أيضا جمع كتاب بمعنى مكتوب من الكتب وهو الجمع لجمعه الحكم والأخبار والأحكام والمواعظ (المنزلة) الوحي الإلهي مع جبريل عليه السلام (عليهم) أي على الأنبياء والرسل وفي

الكلام إشارة إلى اختيار عدم الفرق بينهما ولهذا نسب الإرسال إليهما وهو مذهب المحققين (من البشر) الذين هم أنبياء ومرسلون وهو بيان للأنبياء والرسل (إلى البشر) الذين هم سائر الأمم وهو إرسال الجنس إلى الجنس (حكمة) بالكسر وهي العدل والعلم وأحكمه أتقنه ومنعه عن الفساد كذا في القاموس (بالغة) أي عظيمة قال تعالى **(لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً** * الإسراء: ٩٥) قال البيضاوي لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس (وهم) أي الأنبياء والرسل عليهم السلام كلهم (مبرؤون عن الكفر) بالله تعالى (و) عن (الكذب مطلقا) أي قبل النبوة وبعدها العمد من ذلك والسهو والكذب على الله تعالى وعلى غيره في الأمور الشرعية والعادية (و) مبرؤون (عن الكبائر) من الذنوب (و) عن (الصغائر) منها أيضا (المنفرة) نعت للصغائر أي التي تنفر غيرهم من أتباعهم (كسرقة لقمة) من المأكولات (وتطفيف) أي تنقيص (حبة) من الحبوب التي يبيعونها فإن ذلك مما يدل على الخسة والدناءة (و) مبرؤون أيضا من (تعمد الصغائر غيرها) أي غير المنفرة (بعد البعثة) أي إرسالهم إلى دعوة الخلق قال التفتازاني في شرح المقاصد المعجزة تقتضي الصدق في دعوى النبوة وما يتعلق بها من التبليغ وشرعية الأحكام فما يتوهم صدوره عن الأنبياء عليهم السلام من القبايح إما أن يكون منافيا لما تقتضيه المعجزة كالكذب فيما يتعلق بالتبليغ أولا والثاني إما أن يكون كفرا أو معصية وهي إما أن تكون كبيرة كالقتل والزنا أو صغيرة منفرة كسرقة لقمة التطفيف بحبة أو غير منفر ككذبة وشتمة وهم بمعصية وكل ذلك إما عمدا أو سهوا وبعد البعثة أو قبلها والجمهور على وجوب عصمتهم عليهم السلام عما ينافي مقتضى المعجزة وقد جوزه القاضي زعما منه أنه لا يخل بالتصديق المقصود بالمعجزة وعن الكفر وكذا عن تعمد الكبائر بعد البعثة فعندنا سمعا وعند المعتزلة عقلا والمذهب عندنا منع الكبائر مطلقا والصغائر عمدا لا سهوا لكن لا يصرون ولا يقرون بل ينبهون وينتهون وذهب

إمام الحرمين منا وأبو هاشم من المعتزلة إلى تجويز الصغائر عمدا لنا أن نقول أنه لو صدر منهم الذنب لزم أمور كلها منتفية الأول حرمة إتباعهم لكنه واجب بالإجماع وبقوله تعالى (**إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ** * آل عمران: ٣١) الثاني رد شهادتهم لقوله تعالى (**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ** * الحجرات: ٦) الآية والإجماع على ذلك لكنه منتف للقطع بأن من ترد شهادته في القليل من متاع الدنيا لا يستحق القبول في أمر الدين القائم إلى يوم القيامة الثالث وجوب منعهم وزجرهم لعموم أدلة الأمر المعروف والنهي عن المنكر لكنه منتف لاستلزام إيذائهم المحرم بالإجماع وبقوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ** * الأحزاب: ٥٧) الآية الرابع استحقاقهم العذاب والطعن واللعن واللوم والذم لدخولهم تحت قوله تعالى (**وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** * الجن: ٢٣) وقوله تعالى (**أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** * هود ١٨) وقوله تعالى (**لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ** * الصف: ٢) وقوله تعالى (**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ** * البقرة ٤٤) لكن ذلك منتف بالإجماع ولكونه من أعظم المنفرات الخامس عدم نيلهم عهد النبوة لقوله تعالى (**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** * البقرة: ١٢٤) لأن كل من صدر عنه ذنب فهو فاسق وكل فاسق ظالم السادس كونهم غير مخلصين لأن المذنب قد أغواه الشيطان والمخلص ليس كذلك لقوله تعالى حكاية عن الشيطان (**لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** * ص: ٨٢) لكن اللازم منتف بالإجماع وبقوله تعالى في إبراهيم ويعقوب (**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ** * ص: ٤٦) وفي يوسف (**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** * يوسف: ٢٤) السابع كونهم من حزب الشيطان ومتبعيه واللازم قطعي بالبطلان الثامن عدم كونهم مسارعين في الخيرات معدودين عند الله تعالى من المصطفين الأخيار إذ لا خير في الذنب لكن الذنب منتف لقوله تعالى في حق بعضهم (**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ** * الأنبياء: ٩٠) (**وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ** * ص: ٤٧) وقال اللاقاني في شرح جوهرته واعلم أنهم عليهم السلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها بالإجماع ثم ذكر

عصمتهم من الكبائر والصغائر وقد بسطنا الكلام على ذلك مفصلا في كتابنا المطالب الوفية وذكرنا الجواب عن جميع ما وقع من الأنبياء عليهم السلام مما يشبه المعاصي والمخالفات بما يطول شرحه والحق أنّا مؤمن بما ورد من ذلك الكتاب والسنة مع تنزيه ساحتهم مما نفهمه من العصيان فعصيانهم طاعتنا وأما طاعتهم فلا يعلم بكيفية وقوعها منهم على الوجه الذي هم فيه من مراتب الإخلاص بهم إلا الله تعالى وكذلك بقية مقاماتهم في القرب (وأولهم) أي أول الأنبياء والرسل عليهم السلام (آدم) أبو البشر (وآخرهم) وأفضلهم بالإجماع (محمد) نبينا (عليهما) أي عليه وعلى آدم (الصلاة) من الله تعالى (والسلام) قال في شرح المقاصد وأجمع المسلمون على أن أفضل الأنبياء عليهم السلام محمد صلّى الله عليه وسلّم لأن أمته خير الأمم بقوله تعالى (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** * البقرة: ١٤٣) وتفضيل الأمة من حيث أنها أمة تفضيل للرسول الذي هم أمته ولأنه مبعوث إلى الثقلين وخاتم الأنبياء والرسل ومعجزاته الظاهرة باقية على وجه الزمان وشريعته ناسخة لجميع الأديان وشهادته قائمة في القيامة على كافة البشر إلى غير ذلك من خصائص لا تعد ولا تحصى وقال صلّى الله عليه وسلّم (**أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر**) (ولا يعرف) بالبناء للمجهول أي لا يعرف أحد (يقينا) أي على وجه القطع (عددهم) أي الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والحديث الوارد في ذلك آحاد لا يفيد القطع بل الظن وهو أنه صلّى الله عليه وسلّم سئل عن عدد الأنبياء فقال (**مائة ألف**) وفي رواية (**مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر**) وفي رواية (**وأربعة عشر**) على أن الحديث متكلم فيه أيضا (ولا تبطل رسالتهم) أي الأنبياء عليهم السلام وكذلك نبوتهم (بموتهم) فهم الآن رسل وأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن نسخت شرايعهم إذ لا يلزم من النسخ بطلان الرسالة والنبوة فإن قلت إلى منهم الآن مرسلون وفي حق أحكام من هم أنبياء قلت هم مرسلون الآن على أممهم الماضين وأنبياء في حق أحكامهم وقد انتقلوا هم وأممهم من دار الدنيا إلى البرزخ وانقطعت

تكاليف أممهم بما جاؤا به لانتهاء أحكام شرايعهم في حقهم وحججهم قائمة على أممهم بالحق فإذا كان يوم القيامة ظهر ما هم الآن فيه من الرسالة والنبوة كما قال تعالى (**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ** * الأعراف: ٦) ولولا أنهم مرسلون حتى في يوم القيامة ما سماهم كذلك وفي عمدة العقائد للنسفي قال وكل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما في حال نومه وكذا الرسل والأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم رسل وأنبياء حقيقة لأن المتصف بالنبوة والإيمان الروح وهو لا يتغير بالموت انتهى كلامه ومثل ذلك الولاية أيضا فالأولياء بعد موتهم أولياء كما أنهم في حال نومهم كذلك والنوم لا يبطل الولاية والموت كذلك فكرامات الأولياء باقية بعد موتهم أيضا كما أنها باقية في حال نومهم ومن زعم خلاف ذلك في الكرامات فهو جاهل متعصب ولنا رسالة في خصوص إثبات الكرامة بعد موت الولي (وهم) أي الرسل والأنبياء عليهم السلام (أفضل من الملائكة) عليهم السلام قال في شرح المقاصد ذهب جمهور أصحابنا والشيعة إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة خلافا للمعتزلة والقاضي أبي بكر الباقلاني وأبي عبد الله الحليمي منا وصرح بعض أصحابنا بأن عوام البشر من المؤمنين أفضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة أفضل من عوام البشر أي غير الأنبياء عليهم السلام وفي شرح الطوالع الأصفهاني ذهب إلى تفضيل الأنبياء على الملائكة أكثر أصحابنا والشيعة خلافا للحكماء والمعتزلة والقاضي أبي بكر الباقلاني والحليمي من أصحابنا في الملائكة العلوية فإنهم ذهبوا إلى أن الملائكة العلوية أفضل من الأنبياء دون الملائكة السفلية (الذين) نعت للملائكة (هم عباد) لله تعالى من حيث أنهم مخلوقون وليسوا بأولاد لله تعالى والآية نزلت في خزاعة قالوا الملائكة بنات الله فقال تعالى (**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ** * البقرة: ١١٦) تنزيه له عن ذلك بل عباد (مكرمون) مقربون (لا يسبقونه) تعالى (بالقول) أي لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق إليه وإليهم وجعل القول محله وأداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله (وهم بأمره)

سبحانه (يعلمون) لا يعلمون قط ما لم يأمرهم به قاله البيضاوي (لا يوصفون) أي الملائكة عليهم السلام (بمعصية) صغيرة ولا كبيرة لأنهم كالأنبياء معصومون وأما كفر إبليس فإنه ليس من الملائكة وإن استثناه الله تعالى منهم لأنه كان من الجن ففسق عن أمر ربه ولكنه لما كان في صفة الملائكة في باب العبادة ورفعة الدرجة وكان جنيا واحدا مغمورا فيما بينهم صح استثناؤه منهم تغليبا وأما هاروت وماروت فالأصح إنهما ملكان لم يصدر منهما كفر ولا كبيرة وتعذيبهما إنما هو على وجه المعاتبة كما تعاتب الأنبياء على السهو والزلة وكانا يعظان الناس ويقولان (**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ** * البقرة: ١٠٢) ولا كفر في تعليم السحر بل في اعتقاده والعمل به كذا ذكره السعد في شرح العقائد وقال البيضاوي وما روي أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما فيحكى عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر (ولا) يوصفون أيضا (بذكورة ولا أنوثة) إذ لم يرد بذلك نقل ولا دل عليه عقل وما زعم عبدة الأصنام أنهم بنات الله محال باطل وإفراط في شأنهم فقال تعالى في الرد عليهم (**وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** * الزخرف: ١٩) قال البيضاوي أحضروا خلق الله إياهم فشاهدوهم إناثا فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم (ولا) يوصفون أيضا (بأكل ولا بشرب ولوازمهما) من التغوط والبول والعرق والمخاط والريح كما قال تعالى (**فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ** * هود: ٧٠) قال البيضاوي إنا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب وإنما لم نمد إليه أيدينا لأنا لا نأكل وقال اللاقاني في شرح جوهرته مذهب جمهور المسلمين إن الملائكة أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل بأشكال شريفة مختلفة مستدلين بأن الرسل عليهم السلام كانوا يرونهم كذلك انتهى وإنما قوت الملائكة الذكر والتسبيح لا غير فيكتفون بالذكر والتسبيح عن الطعام والشراب كما قال تعالى (**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ** *

الأنبياء: ٢٠) وروى الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**طعام المؤمنين في زمن الدجال طعام الملائكة التسبيح والتقديس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس أذهب الله عنه الجوع**) (ورسل الملائكة) عليهم السلام أي المرسلون منهم وهم الخاصة (أفضل من عامة البشر) وهم غير الأنبياء عليهم السلام (الذين) نعت لعامة البشر (هم أفضل من عامة الملائكة) كالحفظة والموكلين بالأرزاق والآجال قال في شرح الصحائف إن الإنسان مركب من النفس الناطقة والبدن والنفس الناطقة من عالم الملكوت وهي من الأنوار الإلهية كالملائكة وأفعالها أفعال الروحانيات من العلوم والمعارف والتأثير في العالم السفلي إذا صفت عن الكدورات الحيوانية كما سمعت من الأنبياء والأولياء والبدن آلة لها في اكتساب الكمالات من الإدراكات والعبادات وممارسة الخيرات فذات الإنسان الذي حصلت لنفسه كمالات غير ممكنة المجردات بتقدير كون الملائكة مجردات أشرف والأفعال الشريفة الصادرة عنه مع عوق القوى البدنية ومنع الأضداد العنصرية أفضل من أفعال الملائكة الخالية عن هذه الشوائب والأنبياء موصوفون بالكمالات الروحانية من العلوم والمعارف وخوارق العادات من التأثيرات في الأجسام العنصرية والإنباء عن العيوب فكانوا أفضل من الملائكة وذهب أكثر أهل السنة إلى أن الرسل من بني آدم أفضل من الملائكة الرسل وغير الرسل من الملائكة أفضل من عامة بني آدم والمتقون من بني آدم أفضل من عامة الملائكة (وكرامات) جمع كرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدي يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي من الأنبياء عليهم السلام مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح فامتازت بعدم الاقتران بالتحدي عن المعجزة وبكونها على يد ظاهر الصلاح عما يسمى معونة وهي الخارق الظاهر على أيدي عوام المسلمين تخليصا لهم من المحن والمكاره وبمقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح عن الاستدراك وبمتابعة نبي قبله عن الخوارق والمؤكدة لكذب الكاذبين كبصق مسلمة في بئر عذبة الماء ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحا أجاجا ذكره اللاقاني

(الأولياء) الأحياء والأموات إذ الولي لا ينعزل عن ولايته بالموت كالنبي لا ينعزل عن نبوته بالموت كما قدمناه وهو جمع ولي وهو العارف بالله تعالى وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات ذكره السعد في شرح العقائد فبالانهماك خرج تناول اللذات والشهوات من غير انهماك بها وبتحصيلها بأن كان لا يمنع نفسه من تناولها إذا تيسرت بلا تكلف منه وكانت حلالا له (حق) ثابت النص القرآني من قصة مريم عند ولادة عيسى عليه السلام وأنه (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ** * آل عمران: ٣٧) فقد كانت في كفالة زكريا عليه السلام وكان لا يدخل عليها أحد غيره وكان إذا خرج من عندها أغلق عليها سبعة أبواب وإذ دخل عليها وجد عندها فاكهة الشتاء وفي الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فتعجب من ذلك وسألها فأجابته بأنه مِنْ عِندِ اللهِ وإنه يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ومن قصة أصحاب الكهف ولبثهم في الكهف سنين بلا طعام ولا شراب ومن قصة آصف بن برخيا وإتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام إليه وقد تواتر في المعنى وإن كانت التفاصيل آحادا كرامات الصحابة التابعين ومن بعدهم إلى وقتنا هذا من الصالحين قاله اللاقاني وفي شرح مقاصد المقاصد للدلجي قال وليس إنكار الكرامة من أهل البدع بعجيب إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم في العبادات واجتناب السيئات فوقعوا في أولياء الله تعالى أهل الكرامات يأكلون لحومهم ويمزقون أديمهم جاهلين كون هذا الأمر مبنيا على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة بل العجب من قول بعض فقهاء أهل السنة فيما روى عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه رؤي بالبصرة وبمكة يوم التروية أن من اعتقد جوازه كفر والإنصاف ما قاله النسفي وقد سئل عما قيل إن الكعبة كانت تزور أحد الأولياء هل يجوز القول به فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة (من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة) من الزمان وقد رتب

على ذلك الفقهاء الحنفية والشافعية كثيرا من المسائل الشرعية قال في فتح القدير لابن الهمام من باب ثبوت النسب قال بعض المشايخ قيام الفراش كاف ولا يعتبر إمكان الدخول بل النكاح قائم مقامه كما في تزوج المشرقي مغربية والحق أن التصور شرط ولذا لو جاءت امرأة الصبي بولد لا يثبت نسبه والتصور ثابت في المغربية لثبوت كرامات الأولياء والاستخدامات فيكون صاحب خطوة أو جني، وذكر ابن حجر الهيثمي الشافعي في فتاواه إنه إذا غربت عليه الشمس في بلدة وكان صاحب خطوة فحضر مطلعا آخر لم تغرب فيه بعد ما صلى المغرب في البلد الأول لا يلزمه إعادتها (وظهور الطعام والشراب واللباس) من الغيب (عند الحاجة) إلى شيء من ذلك كما وقع لكثير من الأولياء (والطيران في الهواء) كما نقل عن جعفر بن أبي طالب ولقمان السرخسي وغيرهما (والمشي على الماء وكلام الجماد والعجماء) كالبهيمة والطير (وغير ذلك) من أنواع الخوارق للعادة الواقعة للأولياء تكريما لهم من الله تعالى (ويكون ذلك) أي ما كرم الله تعالى به الولي (لرسوله) أي رسول ذلك الولي (معجزة) وإن كان بعد موت الرسول فالمعجزة على هذا لا يشترط لها حياة الرسول بل تكون بعد موته أيضا وكذلك الكرامة تكون بعد الموت الولي أيضا كرامة له كما قدمناه (ولا يبلغ) أي لا يصل الولي (درجة النبي) أصلا فنبي واحد أفضل من جميع الأولياء (ولا) يصل الولي أيضا في مقام القرب من الله تعالى (إلى حيث يسقط عنه) أي عن ذلك الولي (الأمر والنهي) من الله تعالى (وأفضلهم) أي الأولياء (أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر) بن الخطاب (الفاروق) لقب به لأنه كان يعبد سرا قبل إسلامه فلما أسلم قال لن يعبد الله سرا بعد هذا اليوم، فهو أول من أظهر شعائر الإسلام وفرق بعزمه في الظاهر بين النور والظلام (ثم عثمان) بن عفان (ذو النورين) لجمعه بين بنتي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رقية ثم أم كلثوم تزوج أولا برقية قبل الهجرة فماتت بعد أن ولدت له غلاما سماه عبد الله ثم تزوج أم كلثوم فماتت ولم تلد له فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم **(لو كانت عندنا ثالثة لزوجتها عثمان)** (ثم علي المرتضى) بصيغة اسم المفعول لأن الله تعالى

ارتضاه للخلافة عن رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعد الخلفاء الثلاثة دون باقي الأمة أو لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتضاه خليفة عنه في المدينة على أهله في غزوة تبوك وقال **(له أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)** (وخلافتهم) أي هؤلاء الأربعة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانت (على هذا الترتيب أيضا) أي كما هي فضيلتهم كذلك (ثم) بعدهم في الفضيلة (سائر) أي بقية (الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ونكف) ألسنتنا وقلوبنا (عن ذكرهم) أي الصحابة وذكر ما جرى بينهم من الحروب (إلا بخير) فإن جميع ما كان بينهم من الحروب كان اجتهادا منهم رضي الله عنهم وهم مثابون عليه في كل حال فمن أخطأ أثيب مرة ومن أصاب أثيب مرتين (ونشهد بالجنة) على وجه القطع (للعشرة المبشرة) بذلك من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهم الخلفاء الأربعة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف (و) لنبت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (فاطمة) الزهراء أيضا (و) لابنيها من علي رضي الله عنه (الحسن والحسين وغيرهم) أي غير من ذكر (ممن بشرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) كخديجة بنت خويلد أما فاطمة بنت النبي صلّى الله عليه وسلّم كما روى النسائي عن حذيفة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال **(هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم علي وبشرني أن حسنا وحسينا سيدا شباب أهل الجنة وأمهما سيدة نساء أهل الجنة)** وفي خير النسائي قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد)** وأخرج الأسيوطي في الجامع الصغير عن الديلمي في مسند الفردوس بإسناده عن أنس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(شباب أهل الجنة خمسة حسن وحسين وابن عمر وسعد بن معاذ وأبي بن كعب)** (لا) نشهد بالجنة (لغيرهم) أي غير ما ذكر (بعينه) أي عين ذلك الغير كإنسان معين من الأمة فإن فيه تحكما على الله تعالى وإخبارا بما لا يعلم قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في كتابه الأحكام شرح درر الحكام من قطع لأحد من أئمة الهدى بالجنة كأبي حنيفة ومالك

والشافعي فقد أخطأ وكذا الجنيد وأبو يزيد والشبلي ونحوهم من الصالحين انتهى كلامه وإذا لم نقطع لهم بالجنة يكون في غالب ظننا لهم ذلك وأكبر رجائنا لأنهم أهل صلاح وخير وقد عاشوا على هدى وماتوا كذلك لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان ولا يثبت خلاف الأصل إلا بيقين ولكن لما احتمل تغير أحوالهم عند الموت تركنا القطع إلى غلبة الظن والله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وقوله بعينه احتراز عن القطع لكل مسلم لا بعينه فإن ذلك جائز من غير شبهة (ثم) بعد الصحابة في الفضيلة (التابعون) ثم تابعوا التابعين رضوان الله عليهم أجمعين (والمسلمون لا بد لهم من إمام) أي سلطان يقع هوى أنفسهم بإلزامهم الحق قهرا عنهم (قادر على تنفيذ الأحكام) الشرعية فيهم لعلمه بذلك وقوته عليه بالشجاعة والجنود (مسلم) إذ لا ولاية لكافر على المسلم (حر) لأن العبد لا ولاية له (مكلف) أي عاقل بالغ (ظاهر) غير مختف ليمكن كل أحد من الرعية الوصول إليه عند الاحتياج (قرشي) أي من قريش وهو اسم لأولاد النضر ابن كنانة (ولا تشترط أن يكون هاشميا) أي منسوبا إلى هاشم وهو أبو عبد المطلب جد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللاقاني في شرح جوهرته في شروط الامام إنها خمسة الإسلام والبلوغ والعقل والحرية وعدم الفسق بجارحة أو اعتقاد لأن غير المكلف من الصبي والمعتوه قاصر عن القيام بالأمور على ما ينبغي والعبد مشغول بخدمة السيد لا يتفرغ للأمور مستحقر في أعين الناس لا يهاب ولا يمتثل أمره وتشترط الذكورة أيضا فلا يكون الإمام امرأة ولا خنثى مشكلا لأنه بالنساء أشبه والنساء ناقصات عقل ودين ممنوعات من الخروج إلى مشاهد الحكم ومعارك الحرب والفاسق لا يصلح لأمر الدين ولا يوثق بأوامره ونواهيه والظالم يختل به أمر الدين والدنيا فكيف يصلح للولاية ومن الوالي لدفع شره أليس بعجب استرعاء الغنم الذئب وأما الكافر فأمره ظاهر وزاد الجمهور اشتراط أن يكون شجاعا لئلا يجبن عن إقامة الحدود ومقاومة الخصوم مجتهدا في الأصول والفروع إن وجد وإلا فأمثل المقلدين ليتمكن من القيام بأمر الدين ذا رأي في تدبير الحروب لئلا يخبط في سياسة الجمهور ولم يشترط

هذه الثلاثة بعضهم في الإمام وجوز الاكتفاء فيها بالاستعانة من الغير بأن يفوض أمر الحروب ومباشرة الخطوب إلى الشجعان ويستفتي المجتهدين في الدين ويستشير أصحاب الآراء الصائبة في أمور الملك محتجا بندرة وجودها في شخص واحد وحينئذ فأما أن يجب نصب واجدها فيؤدي إلى تكليف ما لا يطاق أو يجب نصب فاقدها وذلك إلغاء لها أو لا يجب لا هذا ولا ذاك فيكون اشتراطها مستلزما للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها فلا تكون هذه الأوصاف معتبرة فيها ورد ما تمسك به بأنا نختار عدم الوجوب مطلقا لكن للأمة أن ينصبوا فاقدها دفعا للمفاسد التي تندفع بنصبه وقال السعد في شرح العقائد ويكون الإمام من قريش ولا يجوز من غيرهم ولا يختص ببني هاشم وأولاد علي رضي الله عنهم (ولا) يشترط أن يكون (معصوما) لثبوت إمامة أبي بكر رضي الله عنه مع القطع بعدم عصمته (ولا أفضل زمانه) لأن المساوي في الفضيلة بل بل المفضول الأقل علما وعملا ربما كان أعرف بمصالح الأمة ومفاسدها وأقدر على القيام بمواجبها خصوصا ونصب المفضول أدفع للشر وأبعد من إثارة الفتنة (ولا ينعزل) عن الأمامة (بفسق وجور) أي ظلم لرعيته فلا يجوز الخروج عن طاعتهم بسبب ذلك فإنه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والأعياد بإذنهم ولا يرون الخروج عليهم وأخرج الأسيوطي في الجامع الصغير عن الطبراني عن أبي أمامة وإسناده حسن عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال (**لا تسبوا الأئمة وأدعو الله لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح**) (وتجوز الصلاة) من الفرض والنفل (خلف كل بر) بالفتح أي صالح (وفاجر) إذ الإسلام كاف في إمامة الصلاة فإن الصحابة والتابعين كانوا يقتدون بالحجاج في الجمعة وغيرها وكفى به فاجرا (ويصلى) بالبناء للمفعول أي يصلي المسلمون (عليه) أي على كل بر وفاجر إذا مات مسلما (ويجوز المسح) وهو إصابة اليد المبتلة ونحوها العضو (على الخفين) الملبوسين على طهارة تامة (في الحضر) يوما وليلة (و) في (السفر) ثلاثة أيام ولياليها (ولا يحرم) شرب (نبيذ) أي منبوذ (الجر) جمع

جرة وهي إناء من فخار ونبيذها هو نقوع التمر أو الزبيب ونحوهما بأن ينبذ أي يلقى في الماء فتظهر حلاوته فيه (إن لم يكن مسكرا) أي مغيبا للعقل أو مخدرا للحواس فإنه حينئذ لا يجوز شربه (وفي دعاء الإحياء للأموات) الأقارب والأجانب (وصدقتهم عنهم نفع لهم) يصل إليهم بفضل الله تعالى قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما أو صدقة أو قراءة قرآن أو ذكرا أو طوافا أو حجا أو عمرة أو غير ذلك عند أصحابنا كذا في البحر وقال في خزانة الفتاوى وغيرها ولو صام أو صلى أو أعتق أو قرب شيئا من القربات ليصل ثوابه إلى الميت يجوز ويصل إليه وفي أذكار النووي أجمع العلماء على أن الدعاء للأموات ينفعهم ويصلهم ثوابه واحتجوا بقوله تعالى (**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ** * الحشر: ١٠) وغير ذلك من الآيات بمعناها والأحاديث المشهورة كقوله عليه السلام (**اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**) وقوله (**اغفر لحينا وميتنا**) (وفضل الأماكن) كمكة والمدينة والبيت المقدس (حق) ثابت في الأخبار النبوية وكذلك المساجد الثلاث التي تشد إليها الرحال كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**) (والعلم أفضل من العقل) لأن العقلاء إنما يتميزون بالعلم مع تساويهم في العقل كما قال تعالى (**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** * المجادلة: ١١) وقال تعالى (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** * الزمر: ٩) وقال العيني في شرح البخاري اختلفوا في العقل فقيل هو العلم لأن العقل والعلم في اللغة واحد ولا يفرقون بين قولهم عقلت وعلمت وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هو قوة يميز بها بين حقائق المعلومات انتهى وتقدم هذا في صدر الكتاب فعلى الأول لا يتصور التفاضل بينهما وعلى الثاني لا شك في أفضلية العلم لأنه أعم من العقل وكذلك على القول الثالث (وأطفال المشركين) الذين ماتوا قبل البلوغ ذكورا كانوا أو إناثا (لا يدرى) بالبناء للمفعول أي لا يدري أحد (أنهم) بعد الموت (في الجنة) يخدمون أهلها (أم في

النار) يعذب بهم آباؤهم ولا يعذبون فقيل أنهم خدم أهل الجنة وقيل بأنهم في النار من غير عذاب كما ورد في الحديث (**إن الذباب كله في النار ليعذب به أهل النار زيادة على عذابهم ولا يعذب هو**) وقيل إن أطفال المشركين في الأعراف بين الجنة والنار وقيل بالوقف فيهم وهو منقول عن أبي حنيفة رضي الله عنه (وللكفرة حفظة) من الملائكة يحفظونهم حتى تنفذ فيهم أقدار الله تعالى لأنهم مكلفون بالإيمان قال الشيخ الوالد في شرحه على شرح الدرر والأصح أن الكافر تكتب أعماله إلا أن كاتب اليمين كالمشاهد على كاتب اليسار (والمعدوم ليس بشيء) أي لا يطلق عليه لفظ الشيء إلا مجازا كقوله تعالى (**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** * النحل: ٤٠) فسماه شيئا باعتبار ما يؤول إليه من الوجود وإلا فالمحققون على أن الشيئية ترادف الوجود والثبوت والعدم يرادف النفي (والسحر) وهو إتيان نفس شريرة بخارق عن مزاولة محرم ثم إن اقترن بكفر فكفر وإلا فكبيرة عند الشافعي وكفر عند غيره ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير (واقع) أي أمر محقق قال النووي في شرح مسلم مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وإن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقيقة لها وقد ذكره الله تعالى في كتاب وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه وأشار إلى أنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له وحديث سحر النبي صلّى الله عليه وسلّم مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت وهذا كله يبطل ما قالوه فإحالة كونه من الحقائق محال ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة ومنها مضرة كالأودية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوي قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة (وإصابة العين جائزة) حتى رتب فقهاء الشافعية وجوب الضمان على من أتلف بها وفي شرح مسلم قال النووي في

قوله صلّى الله عليه وسلّم (**العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا**) قال الإمام أبو عبد الله المازري أخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق، وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم إن كل معنى ليس مخالف في نفسه ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا فساد دليل فإنه من مجوزات العقول فإذا أخبر الشرع بوجوده وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وهل من فرق بين تكذيبه بهذا وتكذيبه بما يخبر به من أمور الآخرة وقد زعم بعض الطبيعيين المثبتين للعين أن العاين تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يبعد انبعاث قوة سمية من الأفعى والعقرب تتصل بالمعين فيهلك وإن كان غير محسوس لنا فكذا العين ومذهب أهل السنة أن العين إنما تفسد وتهلك عند نظر العاين بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بأن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر وقد ورد الشرع بالوضوء لهذا الأمر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله فأمر النبي صلّى الله عليه وسلّم عاينه أن يتوضأ رواه مالك في الموطأ وصفة وضوء العاين عند العلماء أن يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح في الأرض فيأخذ منه أي الحاسد غرفة فيتمضمض بها ثم يمجها في القدح ثم يأخذ منه ماء فيغسل به وجهه ثم يأخذ بشماله ماء يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به كفه اليسرى ثم بشماله ماء يغسل به مرفقه الأيمن ثم يأخذ بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر ولا يغسل ما بين المرفقين والكفين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى ثم ركبته اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وذلك في القدح ثم داخلة إزاره وهو الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن وقد ظن بعض الناس إن داخلة الإزاره كناية عن الفرج وجمهور العلماء على ما قدمنا فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه وليس في قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات فلا يدفع هذا بأن لا يدفع معناه وقد اختلف العلماء في العاين هل يجبر على الوضوء للمعين أم لا واحتج من أوجبه بقوله صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم هذه (**واذا استغسلتم**

فاغسلوا) وبرواية الموطإ التي ذكرناها أنه صلى الله عليه وسلم أمره بالوضوء والأمر للوجوب قال المازري والصحيح عندي الوجوب (وكل مجتهد) من الإجتهاد وهو في اللغة تحمل الجهد أي المشقة وفي الاصطلاح استفراغ المجهود في استنباط الحكم الشرعي الفرعي عن دليله وهو على قسمين اجتهاد مقيد ويكفي فيه الاطلاع على أصول مقلده لأن استنباطه على حسبها واجتهاد مطلق وشرطه أن يحوي علم الكتاب المتعلق بمعرفة الأحكام بمعانيه أفرادا وتركيبا فيفتقر إلى ما يعلم في اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان بسليقة أو تعليم وبمعانيه شرعا وأقسامه من الخاص والعام والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ وغيرها وضابطه أن يتمكن من العلم بالقدر الواجب منها عند الرجوع وأن يحوي علم السنة المتعلقة بمعرفة الأحكام بلفظها الدال على المعنى لغة وشرعا وأقسامها من الخاص والعام وغير ذلك وسندها وهو طريق وصولها إلينا من تواتر وغيره وهذا يتضمن معرفة حال الرواة والجرح والتعديل والصحيح والضعيف وغيرها وطريقه في زماننا الاكتفاء بتعديل الأئمة الموثوق بهم لتعذر الاطلاع على حقيقة حال الرواة باليوم وأن يحوي علم موارد الإجماع لئلا يخالفه في اجتهاده (مصيب) في اجتهاده (ابتداء) أي في أول اجتهاد قبل ظهور الحكم له (بالنظر إلى الدليل) لبذل تمام الوسع فيه حيث ترتبت الحسنة على الاجتهاد والخطأ كما قال عليه السلام لعمرو بن العاص رضي الله عنه (**أحكم على أنك إن أصبت فلك عشر حسنات وإن أخطأت فلك حسنة**) والحسنة لا تترتب على الحسنة من كل وجه لا يقال يجوز أن يكون ترتب الحسنة للمشقة الاجتهادية لا للإصابة في الدليل لأنا نقول الدليل إذا لم يكن شرعيا فالأخذ به إن لم يؤد إلا العقاب فلا أقل من أن لا يؤدي إلى الثواب (وقد يخطئ) المجتهد (في الانتهاء بالنظر إلى الحكم) الذي ظهر له من الدليل (لأن الحق واحد معين) عند الله تعالى لأنه لو تعدد لزم الفساد إذا تغير الاجتهاد لأن الاجتهاد الاول إن بقي حقا لزم اجتماع المتنافيين بالنسبة اليه والا لزم النسخ بالاجتهاد وكل منهما فاسد فالمجتهد يخطئ ويصيب خلافا للمعتزلة فإنهم يقولون أن كل مجتهد مصيب والحق

عندهم متعدد وتمامه في مرآة الأصول شرح مرقاة الوصول (والنصوص) الواردة في الكتاب والسنة (تحمل على ظواهرها) المفهومة من غير كلفة (إن أمكن) ذلك ما لم يصرفها عن الظاهر دليل قطعي كما في الآيات التي تشعر ظواهرها بالجسمية والجهة ونحو ذلك (والعدول) أي الإعراض (عنها) أي عن الظواهر مع إمكانها (إلى معان) أخرى (يدعيها أهل الباطن) وهم الملاحدة ويأتي الأخبار عن ذلك أنه كفر قال السعد في شرح العقائد وأما ما ذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان (ورد النصوص) القطعية من الكتاب والسنة بإنكار الأحكام التي دلت عليها كحشر الأجساد مثلا وقذف عائشة رضي الله عنها بالزنا (واستحلال المعصية) صغيرة أو كبيرة اذا ثبت كونها معصية بدليل قطعي وكان حراما لعينه كشرب الخمر وأما الحرام لغيره كوطإ الحائض فلا يكفر مستحله (والاستخفاف بالشريعة) أي عدم المبالات بأحكامها وإهانتها واحتقارها حتى ذكر في البحر شرح الكنز أن من ترك الصلاة متعمدا غيرنا وللقضاء وغير خائف من العقوبات أنه يكفر (واليأس من رحمة الله) تعالى لأنه لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (والأمن) وهو عدم الخوف (من عذابه) تعالى (وسخطه) أي غضبه لأنه لا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (وتصديق الكاهن فيما يخبره من الغيب كله كفر) أي ردة عن دين الإسلام لقوله عليه السلام (**من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**) والكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ولنا رسالة في حكم المتكلم بالأخبار الزمانية سميناها اللؤلؤ المكنون في حكم الأخبار عما سيكون وفي شرح مسلم للنووي كانت الكهانة في العرب ثلاثة اضرب أحدها أن يكون للإنسان ولي يخبره بما يسترق من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث نبينا صلّى الله عليه وسلّم الثاني أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد ولا يبعد وجوده ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوهما

ولا استحالة في ذلك ولا بعد في وجوده لكنهم يصدقون ويكذبون والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام الضرب الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم (قال في) كتاب الفتاوى (التاتارخانية) في فقه الحنفية (من قال بحدوث صفة من صفات الله تعالى) كالعدم القدرة ونحو ذلك (فهو كافر) بالله تعالى ولهذا يكفر من قال بحدوث كلام الله تعالى الذي هو القرآن لأنه صفته تعالى (وفيها) أي في التاتارخانية (سئل) مصنفها رحمه الله تعالى باللغة الفارسية (عن قوم) من الناس (ذات باري) أي ذات الله تعالى (جلت قدرته محل حوادث ميكويند) أي قالوا بأن ذات الباري محل للحوادث (ما حكمهم قال) أي في الجواب (كافر شدند) أي صاروا كافرين (بي) أي بلا (شك) ولا ريب (وفيها) أي في التاتارخانية (سئل عمن قال بأن الله) تعالى (عالم بذاته) أي ذاته علمه (ولا نقول له) صفة (العلم قادر بذاته) أي ذاته قدرته (ولا نقول له القدرة وهم المعتزلة) والفلاسفة نفات الصفات (هل يحكم بكفرهم أم لا قال يحكم) بكفرهم (لأنهم ينفون الصفات) بقولهم ذلك (ومن نفى الصفات فهو كافر) والحاصل إن القائلين بأن الصفات عين ذاته تعالى طائفتان محقة ومبطلة فالمبطلة المعتزلة والفلاسفة لا يؤمنون أن له تعالى صفات زائدة على ذاته سبحانه عقلا بل هي عين ذاته عندهم عقلا والمحقة أهل الكمال من العارفين فإنهم يقولون أن له تعالى صفات هي عين الذات بالنظر إلى الأمر على ما هو عليه مما لا يعلمه إلا الله تعالى وهي غير الذات بحسب النظر العقلي وهو محض الإيمان كما بسطناه وحققناه في كتابنا المطالب الوفية (وفيها) أي التاتارخانية (إن اعتقد أن لله) سبحانه (رجلا وهي الجارحة) أي هي جسم مركب حيث سمع قدم الجبار الوارد في الحديث (فإنه يكفر) لاعتقاده في الله تعالى

الجسمية اللازمة للحدوث وكذلك من اعتقد أن لله تعالى يدا هي جارحة أو عينا حيث ورد النص بذلك فإنها صفات له تعالى لا يعلم بها إلا هو وهي من جملة المتشابهات والكلام فيها معروف في محله (وفيها) أي في التاتارخانية (ومن قال بأن الله) تعالى (جسم لا كالأجسام) يعني لا يشابه جسما من الأجسام أصلا (فهو مبتدع) حيث أثبت أنه جسم وهو خلاف الشرع إذ لم يرد فيه ذلك (وليس بكافر) لأنه قال لا كالأجسام فقال بالتنزيه في الجملة (وفيها) أي في التاتارخانية (ومن قال الله عالم في السماء إن أراد به) أي بذلك القول (المكان) له تعالى (كفر) لأنه قول بأنه تعالى جسم كالأجسام وهو كفر (وإن أراد به) مجرد (الحكاية عما جاء في ظاهر الأخبار) كقول تعالى (**أَأَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاء** * الملك: ١٥) وقوله عليه السلام (**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا**) وغير ذلك (لا يكفر) لأنه حكى الوارد من ذلك (وإن لم يكن له نية) في قلبه حين قال ذلك لا نوى المكان لله تعالى ولا نوى الحكاية (يكفر عند أكثرهم) أي العلماء (وفي) كتاب (التحيير وهو) أي الكفر (الأصح وعليه الفتوى) لأنه ظاهر في التجسيم كما في البزازية والمفهوم من قوله عند أكثرهم أن عند أقلهم عدم الكفر وكذلك المفهوم من قوله الأصح أن الصحيح عدم الكفر ولا يحكم بالكفر متى كان فيه خلاف ولو راوية ضعيفة أو كان الكلام يحتمل معنى صحيحا وههنا يمكن حمله على نية سماء العقول وهي الغيب المطلق أو نحو ذلك من التأويلات الحسنة في حق الغير ولا يحكم فيه بالكفر قال في تنوير الإبصار ولا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره خلاف ولو رواية ضعيفة وفي جامع الفصولين روى الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابنا رحمهم الله تعالى أنه لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله في ثم ما يتقن بأنه ردة يحكم بها إذ الإسلام ثابت لا يزول بالشك مع أن الإسلام يعلو وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الإسلام مع أنه يقضي بصحة إسلام المكره وقال النووي في أدب العالم والمتعلم من مقدمة شرح المذهب يجب على الطالب أن يحمل إخوانه على المحامل الحسنة في

كل كلام يفهم منه نقص إلى سبعين محملا ثم قال يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق، وفي طبقات الشعراني نقل القزويني في كتابه سراج العقول عن إمام الحرمين أنه كان يقول حين يسئل عن كلام غلاة الصوفية لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير من كلامهم مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمع في غير مطمع فإن كلامهم بعيد المدرك وغير المسلك يغترف من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهاية الحقايق لم يحصل من دلائل التكفير على وثائق كما أنشد بعضهم في معنى ذلك:

تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن أين يدري الناس أين توجهنا

وسئل الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى عن حكم تكفير غلاة المبتدعة وأهل الأهواء والمتفوهين بالكلام على الذات المقدس فقال رحمه الله تعالى اعلم أيها السائل أن كل من خاف من الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله إذ التكفير أمر هائل عظيم الخطر لأن من كفر شخصا فإنه أخبر أن عاقبته في الآخرة الخلود في النار أبدا الآبدين وأنه في الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجري عليه أحكام المسلمين لا في حياته ولا بعد مماته والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم امرئ مسلم وفي الحديث (**لأن يخطئ الإمام في العفو أحب إلى الله من أي يخطئ في العقوبة**) ثم إن تلك المسائل التي يفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم في غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها واختلاف قراءتها وتفاوت دواعيها والاستقصاء في معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه والاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه في الأماكن ومعرفة الألفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعي معرفة طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق التوحيد وغوامضه إلى غير ذلك مما هو متعذر جدا على أكابر علماء عصرنا فضلا عن غيرهم وإذا كان يعجز عن تحرير معتقده في عبارة فكيف يحرر اعتقاد غيره من عبارته فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن صرح بالكفر واختاره دينا وجحد الشهادتين وخرج عن دين الإسلام جملة وهذا نادر وقوعه فالأدب الوقوف عن

تكفير أهل الأهواء والبدع والتسليم للقوم في كل شيء قالوه مما يخالف صريح النصوص وقال ابن نجيم الحنفي في البحر شرح الكنز والذي تحرر أنه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة فعلى هذا أكثر ألفاظ التكفير المذكورة لا يفتى بالتكفير بها وقد ألزمت نفسي أن لا أفتي بشيء منها انتهى وفي شرح الدرر ثم إذا كان في المسألة وجوه توجب الإكفار ووجه واحد يمنعه يميل العالم الى ما يمنعه ولا يرجح الوجوه على الواحد لأن الترجيح لا يقع بكثرة الأدلة ولا احتمال أنه أراد الوجه الذي لا يوجب الإكفار (وفيها) أي التاتارخانية (لو قال) هكذا بالفارسية (نه مكانى) أي لا مكان (از تو) أي منك والخطاب لله تعالى (خالى) يعني ما في الوجود مكان خال منك أصلا (نه تو) أي ما أنت (در هيج مكانى) أي في مكان واحد (فهذا كفر) لأن فيه نسبة المكان إلى الله تعالى وهو يقتضي الجسمية في حقه تعالى والجسمية تقتضي الحدوث وهو محال (وفيها) أي التاتارخانية (رجل قال علم خدا) أي علم الله تعالى (در همه مكانى هست) أي موجود في كل مكان (هذا خطأ) لأن فيه إيهام حلول العلم الإلهي في المكان ولكن لما كان ذلك للعلم لا للذات والعلم صفة للذات لا تفارقها أصلا رجع معنى ذلك القول إلى إحاطة علمه تعالى بكل مكان فكان خطأ في العبارة وليس بكفر (وفي) كتاب (النصاب) أي نصاب الاحتساب (والصواب) في العبارة (أن يقول) قائل ذلك القول (كل شيء معلوم لله تعالى) فإن هذه العبارة لا إيهام فيها لشيء مما ذكر (وفيها) أي في التاتارخانية (رجل وصف الله تعالى بالفوق أو بالتحت) بأن قال له تعالى فوق بالنسبة إليه أو تحت (فهذا تشبيه) له تعالى بالأجسام التي لها فوق وتحت فهو تجسيم لله تعالى (و) التجسيم (كفر) كما ذكرنا (وفيها) أي في التاتارخانية (رجل قال يجوز أن يفعل الله تعالى فعلا لا حكمة فيه يكفر لأنه وصف الله تعالى بالسفه) وهو العبث واللهو (وهو كفر) لأنه يؤدي إلى مشابهة الحوادث بانتفاء صفة الحكمة في كل أفعاله تعالى وذلك محال (وفيها) أي في التاتارخانية (ولو قال خداى بود) أي كان الله تعالى (وهيج

نبود) أي وما كان (وباشد) أي ويكون الله تعالى أيضا (وهيج نباشد) أي ولا يكون شيء أصلا (فقد قيل الشطر الثاني) وهو قوله ويكون الله ولا يكون شيء أصلا (من كلام الملاحدة) الكافرين بالتمسك فقط بالعلم الباطن والاستهانة بعلوم الشريعة والدين (فإن ظنهم أن الجنة وما فيها من الحور العين للفناء) والاضمحلال (وهو كفر عند بعض المشايخ) لأن فيه الرد على النصوص المقتضية بقاء الجنة وما فيها وخلود أهلها من غير زوال (خطأ عظيم عند البعض) من العلماء لاحتمال إرادة الحكاية لمعنى قوله تعالى (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** * الرحمن: ٢٦-٢٧) فإن كل قابل للفناء والزوال فإنه في حد ذاته زائل مضمحل وأما الشرط الأول وهو قوله كان الله تعالى وما كان شيء فهو حق ثابت لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان**) أي لا شيء معه أيضا في وجوده إذ ما عداه تعالى من الأكوان ليس له مع الله تعالى رتبة الاثنينية لأن وجود الأكوان به تعالى لا معه وما كان به فهو له (وفيها) أي في التاتارخانية (من أنكر القيامة أو الجنة أو النار أو الميزان أو الحساب أو الصراط أو الصحائف المكتوب فيها أعمال العباد) فإنه (يكفر) لإنكاره ما هو الثابت بالنصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية وأجمعت عليه الأمة المرضية (وفيها) أي في التاتارخانية (من قال أن الميزان) أي الذي يكون يوم القيامة (عبارة عن العدل فقط) أي عدل الله تعالى في خلقه ولا يكون يوم القيامة ميزان حقيقي توزن به الأعمال (فهو مبتدع) أي أحدث في الاعتقاد ما لم يرد في سنة النبي صلّى الله عليه وسلّم ولم يعهده من دين أئمة الهدى (وليس بكافر) لإيمانه بالميزان في الجملة حيث لم يكن منه صريح التكذيب للآيات والأحاديث (وفيها) أي في التاتارخانية (من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع) أي صاحب بدعة في اعتقاده ولم يصادم إنكاره خبرا متواترا حتى يكفر فإن عذاب القبر ثابت بالحديث الآحاد لا بالقرآن إلا على احتمال في بعض الآيات كما قدمناه ولا يكفر بإنكار المحتمل (ومن أنكر شفاعة الشافعين يوم القيامة فهو كافر) لثبوتها بالقرآن في عدة مواضع وينبغي أن

لا يكفر بإنكار تفاصيل الشفاعات لثبوتها بالآحاد (وفيها) أي في التاتارخانية (ومن قال بتخليد أصحاب الكبائر) كالزنا وشربة الخمر ونحوهم (في النار) بحيث لا يخرجون منها أبدا (فهو مبتدع) لاعتقاده ما يخالف السنة مما أجمعت عليه الأمة الناجية من أن عصاة المؤمنين إذا ماتوا قبل التوبة كانوا في مشيئة الله تعالى بدليل قوله تعالى (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** * النساء: ٤٨) ولا يكفر معتقد ذلك لتمسكه بظاهر بعض الآيات والأحاديث كقوله تعالى (**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا** * النساء: ٩٣) الآية وقوله عليه السلام (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**) وإن كان تمسكهم هذا غير صحيح الدلالة على زعمهم لإرادة المستحيل في الأول أو الخلود بمعنى طول المدة لا التأبيد وإرادة الإيمان الكامل في والثاني أو الزاني المستحل كما تقرر في موضعه (وفيها)أي في التاتارخانية (لو أنكر رؤية الله تعالى بعد الدخول) أي دخول الجنة (في الجنة يكفر) لإنكاره ما هو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أما الكتاب فقوله تعالى (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** * **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** * القيامة: ٢٢-٢٣) وأما السنة فقوله عليه السلام (**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**) وهو مشهور رواه أحمد وعشرون من أكابر الصحابة رضي الله عنهم وأما الإجماع فهو أن الأمة كانوا مجمعين على وقوع الرؤية في الآخرة وأن الآيات الواردة في ذلك محمولة على ظواهرها ثم ظهرت مقالة المخالفين وشاعت شبهاتهم وتأويلاتهم كذا ذكره السعد في شرح العقائد ثم ذكر في موضع آخر منه قال والجمع بين قولهم لا نكفر أحدا من أهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرآن أو استحال الرؤية أو سب الشيخين رضي الله عنهما ولعنهما وأمثال ذلك فمشكل انتهى كلامه ويمكن أن يدفع الإشكال بأن قولهم بالكفر بناء على إنكار الثابت بالنص القطعي وإنكاره كفر بالإجماع وقولهم بعدم الكفر في أحد من أهل القبلة بناء على أن لهم فيما قالوه تأويلا يحتمل صرف قولهم إليه فمتى قطع نظر القائل بذلك عن التأويل كان إنكاره كفرا ومتى اعتبر التأويل لم يكن كفرا بل بدعة اعتقادية أرأيت أن جميع ما وقع في كتب الفتاوى

من كلمات الكفر التي صرح المصنفون فيها بالجزم بالكفر لا يجوز الفتوى بشيء منها إذا كان له تأويل يحتمل عدم الكفر أو كان فيه خلاف ولو رواية ضعيفة كما قدمناه فيكون الكفر فيها محمولا على إرادة قائلها المعنى الذي عللوا به الكفر فيها وإذا لم تكن إرادة قائلها ذلك فلا كفر بها (وكذلك) يعني كما ذكر (لو قال لا أعرف عذاب القبر فهو كافر) لأن إنكاره لعذاب القبر اقترن بنوع استهزاء على من ورد عنه ذلك وهو الشارع صلّى الله عليه وسلّم في صريح الأحاديث وإن كانت آحادا لا يكفر منكرها لكن إذا تضمن إنكارها الاستهزاء والاستهانة بمن وردت عنه لا تعتبر هي من جهة عدم القطعية فيها ويبقى معنى الاستهزاء والاستهانة بالشارع وذلك كفر لا محالة (وفيها) أي في التاتارخانية (يجب إكفار القدرية) وهم فرقة من الفرق الضالة وقد افترقوا إلى أحد عشرة فرقة (في نفيهم كون الشر بتقدير الله تعالى) وهم فرقة يقال لهم الثنوية قائلون بأن الله تعالى لم يقدر الشر والمعاصي بل قالوا الخير مخلوق لله تعالى والشر مخلوق للشيطان وقد روى اللالكائي عن رافع بن خديج رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**سيكون في أمتي قوم يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون**) قال قلت يقولون ماذا يا رسول الله قال (**يقولون الخير من الله والشر من إبليس**) وذكر الحديث كذا في حسن التنبه في التشبه للنجم الغزي (وفي دعواهم) يعني القدرية (أن كل فاعل) من حيوان أو غيره (خالق فعل نفسه) دون الله تعالى وهي فرقة منهم يقال لها المعمرية أصحاب معمر بن عباد السلمي سموا أنفسهم أصحاب المعاني وهم أعظم القدرية فرية في نفي الصفات والقدر وقالوا إن الله تعالى لم يخلق شيئا غير الأجسام والعرض من اختراعات الأجسام أما طبعا كحرق النار أو اختيارا كالحيوان يحدث الحركة ذكره في حسن التنبه (وفيها) أي في التاتارخانية (يجب إكفار الكَيْسَانِيَّة) وهم فرقة من فرق الشيعة أصحاب كيسان (في إجازتهم البدا على الله تعالى) يقال بدا له في الأمر بدوا وبدأ وبدأة نشأ له ورأى فيه كذا في القاموس وقد قالوا ما لم تقل به اليهود فإن اليهود منعوا النسخ لزعمهم أنه بدء وهو ممتنع على الله تعالى عندهم وهذه الفرقة

إجازته على الله تعالى فكفرت (ويجب إكفار الروافض في قولهم برجع الأموات) بعد موتهم (إلى الدنيا) أيضا (و) قولهم (بتناسخ الأرواح) أي انتقالها من جسد إلى جسد على الأبد (وانتقال روح الإله إلى الأئمة) الاثنى عشر من أولاد علي كرم الله وجهه وهم علي المرتضى وحسن المجتبى وحسن الشهيد وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي المرتضى ومحمد التقي وعلي بن محمد التقي والحسن العسكري ومحمد المنتظر (وإن الأئمة) المذكورين عندهم (آلهة) لحلول الإله فيهم وهذا كله كفر لاقتضائه إنكار القيامة واعتقاد الحلول في حق الله تعالى (وبقولهم) يعني الرافضة (بخروج إمام باطن) الآن وهو الإمام المنتظر عندهم وهو المهدي (وتعطيلهم الأمر والنهي) بحيث لا يجب على أحد مراعاتهما (إلى أن يخرج الإمام الباطن) المذكور ولا شك في أن ذلك كفر (وبقولهم) أي الرافضة (أن جبريل) عليه السلام (غلط في الوحي إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم دون علي ابن أبي طالب رضي الله عنه) حتى أنهم يفضلون عليا على النبي صلّى الله عليه وسلّم (وهؤلاء القوم) الذكورون (خارجون عن ملة الإسلام) قطعا لإنكارهم نبوة محمد صلّى الله عليه وسلّم (وأحكامهم أحكام المرتدين) حيث يدعون الإسلام ويقولون بذلك (ويجب إكفار الخوارج) وهم فرق كثيرة منهم الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق ومنهم الإباضية أصحاب عبد الله بن إباض (في إكفار هم جميع الأمة) حيث قالوا بكفر جميع المسلمين (وفي إكفارهم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم) قال في حسن التنبه الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق الذين خرجوا معه بالبصرة إلى الأهواز وما ورائها في أيام عبد الله بن الزبير كفروا عليا رضي الله عنه وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة وابن عباس وسائر المسلمين وكفروا من قعد عن القتال معهم وأباحوا قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم وقالوا أطفال المشركين معهم في النار والإباضية قالوا إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين (ويجب إكفار اليزيدية) وهم فرقة من جملة الفرق الخوارج الإباضية (وانتظار نبي من العجم) خلاف العرب (ينسخ ملة محمد صلّى الله عليه

وسلّم) وينزل عليه كتاب قد كتب في السماء ينزل جملة واحدة وتترك الشريعة المحمدية ولا شك في كفرهم ولا شبهة (ويجب إكفار النجارية) أصحاب الحسين بن محمد النجار (في نفيهم صفات الله تعالى) كالمعتزلة (وفي قولهم إنّ القرآن جسم اذا كتب) فهو عين الحبر والقرطاس عندهم (وعرض) بالتحريك (اذا قرئ) فهو عين الحروف والأصوات لأن ذلك يقتضي أن يكون مخلوقا ومن قال إنّ القرآن مخلوق فهو كافر على ما هو مقرر قي موضعه (وفيها) أي في التاتارخانية (واختلف الناس) أي العلماء (في إكفار المجبرة) وهم الجبرية الذين يقولون أن العبد مجبور وهم والقدرية في طرفي نقيض فالقدرية يقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه والجبرية يقولون إن كل ما يجري من أفعال العبد فهو فعل الله تعالى ولا يثبتون للعبد كسبا وأهل السنة وسط بين الطريقين لا تفريط ولا إفراط ويعتقدون أن الله خالق العبد وما يعمل ويثبتون قدرة ويسمون ما يصدر عنها كسبا ومنهم من يسميه اختيارا وقد أخطأ القدرية في تسميتهم أهل السنة جبرية (فمنهم) أي من العلماء (من أكفرهم) أي مجبرة لإنكارهم تكليف الله تعالى لعباده وتسفيههم ذلك (ومنهم من أبى) أي ترك (إكفار هم) لتأويلهم نحو قوله تعالى (**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** * الرعد: ١٦) وقوله (**لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ** * إبراهيم: ١٨) وإن كان زعمهم فاسدا وتأويلهم باطلا لكنه درأ عنهم الكفر وألزمهم البدعة في الاعتقاد والزيغ عن مذهب أهل السنة والجماعة (والصواب إكفار من لم ير) أي من لم يعتقد (للعبد) المكلف (فعلا أصلا) وإنما أفعاله كلها أفعال الله تعالى للزوم إنكار التكليف الشرعي إذ لا معنى لتكليف الجماد وإنما تكليفه سفه وعبث وذلك محال على الله تعالى (ويجب إكفار معمر) بن عباد السلمي ومن تابعه (في قوله إن الإنسان غير الجسد) الظاهر (وأنه) أي الإنسان (حي) بحياة له مستقلة غير حياة الجسد (قادر) على فعل كل شيء (مختار) في ذلك (وأنه ليس بمتحرك ولا ساكن) لكونه ليس بجسم (ولا يجوز عليه شيء من الأوصاف الجائزة على الأجسام) من الكبر والصغر والطول والقصر والاتصال والانفصال والتحيز والمكان والجهة فإن قوله هذا

تترتب عليه قبايح كثيرة وضلالات وافرة منها إنكار كون هذا الجسد المتحرك الساكن هو الإنسان الذي كلفه الله تعالى بالشرايع والأحكام فيقتضي ذلك إنكار التكليف وهو كفر ومنها نسبة الإنسانية إلى الله تعالى الموصوف بما ذكر من الأوصاف فإنه تعالى حي قادر مختار ليس بمتحرك ولا ساكن ولا يجوز عليه شيء من صفات الأجسام ومع ذلك فهو المستولي على هذا الجسد المستجمع للإنسانية التي هي صفة النفس الناطقة وهي روح وعقل ونفس حيوانية ونفس نباتية ونفس جمادية ولا يقال إنه أراد بالإنسانية الروحانية اللطيفة الحاملة للجسد التي وصفها الإمام الغزالي وغيره بقوله الروح مجرد غير حال في البدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق ويدبر أمره على وجه لا يعلمه إلا الله تعالى لأنا نقول أنه لو أراد ذلك لما قال حي قادر مختار فإن الروح لا توصف بالحياة والقدرة والاختيار إلا باعتبار الجسد فالجسد يصير حيا بالروح ويصير قادرا مختارا بها ولا وجود للأرواح المجردة عند أهل السنة أصلا بل لا بد من الأجساد أما الأجساد الدنيوية العنصرية أو البرزخية النورانية أو الظلمانية ومنها أنه يلزم من هذا القول أن الجسد المتحرك الساكن إذا فعل من المعاصي والكفر ما عسى أن يفعل لا يكون مؤاخذا بذلك إذ ليس هو الإنسان والمكلف بالاجتناب إنما هو الإنسان ومنها أنه يلزم من ذلك عدم إمكان الامتثال لأمر الله تعالى والاجتناب عن نهيه إذا الإنسان المكلف بذلك غير الجسد فكيف يمتثل ويجتنب ومنها أنه يلزم من ذلك أن يكون امتثال التكاليف واجبا على الإنسان بمجرد التفكر بدون فعل الجسد فإذا امتثل تفكرا سقط عنه الأمر واكتفى عن النهي وهذه كلها أمور ملغية لأحكام الله تعالى فهي موجبة للكفر (ويجب إكفار قوم من المعتزلة بقولهم إن الله تعالى لا يرى شيئا) ولا يرى بالبناء للمفعول أي لا يراه أحد فإن الأول إنكار لقوله تعالى (**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى** * العلق: ١٤) والثاني إنكار لرؤية الله تعالى في الآخرة وذلك كفر لا محالة (ويجب إكفار شيطان الطاق) وهو لقب محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول رأس الفرقة النعمانية من فرق غلاة الرافضة (في قوله أن الله تعالى لا يعلم شيئا إلا إذا أراده وقدره) فيلزم على هذا

الزعم الباطل أنه تعالى لا يعلم إلا خلقه ولا يعلم ذاته سبحانه ولا صفاته ولا أسماءه ولا أحكامه لأنه لم يقدر ذاته ولا أرادها ولا قدر صفاته ولا أسماءه ولا أحكامه ولا تعلقت إرادته بذلك لأن ذاته تعالى قديمة وكذلك صفاته وأسماؤه أحكامه قديمات أزليات والقديم لا يتعلق به الإرادة ولا التقدير وهذا نفي لعلم الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فكان كفرا (وفيها) أي في التاتارخانية (من يقول بقول جهم) بن صفوان وهو أول من قال بخلق القرآن كان كوفي الأصل فصيح اللسان ولم يكن له علم ولا جالس أهل العلم بل كان يكلم المتكلمين ويجالس الدهرية حتى شك في الإسلام ومكث أربعين يوما لا يصلي وقيل له صف لنا ربك الذي تعبده فدخل البيت ومكث اياما ثم خرج اليهم فقال هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء فقتل على بدعته بأصبهان فلما ضربت عنقه إسود وجهه ذكره النجم الغزي في حسن التنبه (فهو خارج عندنا) معشر أهل السنة والجماعة (من الدين) المحمدي (فلا نصلي عليه) إذا مات (ولا نتبع جنازته) لكفره بالله تعالى العظيم قال الإمام أبو زرعة الرازي حدثت عن العلا بن سويد قال ذكر جهم عند عبد الله بن المبارك فقال شعرا:

عجبت لشيطان الناس داعيا * إلى النار واشتق اسمه من جهنم

وروى أبو نعيم في الحلية عن علي بن الحسن بن شقيق قال قال عبد الله بن المبارك

أيها الطالب علما * أنت حماد بن زيد

فاطلب العلم بحلم * ثم قيده بقيد

لا كثور وكجهم * وكعمرو بن عبيد

يعني بثور ثور بن يزيد وكان هو وعمرو بن عبيد قدريين وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن أحمد صاحب أبي إسحاق الفزاري قال إنما خرج جهم سنة الثلاثين ومائة فقال القرآن مخلوق فأكفره العلماء كذا في حسن التنبه (وأما صنف القدرية الذين يردون العلم) أي علم الله تعالى (فكذلك عندنا) يعني خارجين من الدين لا نصلي

عليهم ولا نتبع جنائزهم إذا ماتوا لكفرهم بذلك (وتفسير) أي بيان (رد العلم) الذي يقولون به (إنهم يقولون أن الله تعالى يعلم كل شيء عند كونه) أي وجود ذلك الشيء (وكذلك كل شيء يكون) أي يوجد (عند كونه) أي وجوده وعلم الله تعالى به مقارن لوجوده فكما أن وجوده لا يتقدم عليه علمه تعالى به لا يتقدم أيضا عندهم (وأما الشيء الذي لم يكن) أي لم يوجد (فإنه لا يعلم) أي لا يعلمه الله تعالى (حتى يكون) أي يوجد (فهؤلاء) القائلون بهذه المقالة الباطلة (كفار) حيث نفوا علم الله تعالى بالأشياء قبل وجودها وحكموا بحدوث علمه سبحانه حيث كان مقارنا للأشياء الحادثة في الوجود (لا نتزوج من نسائهم ولا نزوجهم) من نسائنا لردتهم بدعواهم الإسلام مع هذه المقالة ولا يجوز تزوج المرتدة ولا تزويج المرتد (ولا نتبع جنائزهم) إذا ماتوا لكفرهم بذلك (وأما المرجئة) من الفرق الضالة (فإن ضربا) أي نوعا (منهم يقولون نرجي) أي نكل (أمر المؤمنين والكافرين إلى الله تعالى) من غير أن يقطعوا لأحد بثواب أو عقاب (فيقولون الأمر) عندنا (فيهم) أي في المؤمنين والكافرين موكول (إلى الله) تعالى (يغفر لمن يشاء من المؤمنين والكافرين ويعذب من يشاء) من المؤمنين والكافرين أيضا (ويقولون له) أي الله تعالى (الآخرة والأولى) كما قال الله تعالى (**وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالْأُولى** * الليل: ١٣) فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (فكما نرى أنه) سبحانه وتعالى (يعذب من يشاء من المؤمنين في الدنيا وينعم من يشاء من الكافرين) فيها (وذلك منه) سبحانه وتعالى (عدل) في الحكم (فكذلك في الآخرة) ينعم من يشاء من المؤمنين والكافرين ويعذب من يشاء من المؤمنين والكافرين (فيسوون حكم الآخرة والأولى) أي الدنيا (فهؤلاء ضرب من المرجئة وهم كفار) حيث أنكروا وعد المؤمنين ووعيد الكافرين وساووا بين من لم يساو الله تعالى بينهم حيث قال سبحانه تعالى (**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** * ص: ٢٨) إلى أمثال ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على القطع للمؤمنين بالجنة وللكافرين بالنار من غير شك ولا تردد وأجمعت جماعة المسلمين على ذلك من غير

شبهة (وكذلك الضرب الآخر) من المرجئة (الذين يقولون حسناتنا) التي نعملها كلها (متقبلة) أي مقبولة عند الله تعالى قطعا (وسيئاتنا) التي نأتي بها جميعها (مغفورة) لا يؤاخذنا الله تعالى على شيء منا لأنا مؤمنون والإيمان كاف عن جميع الطاعات (والأعمال) كلها التي كلف الله تعالى بها عباده (ليست بفرائض) بل كلها نوافل يتخير العبد بين فعلها وتركها (ولا يقرون بفرائض الصلاة والزكاة والصيام وسائر) أبي بقية (الفرائض) كالحج الجهاد وبر الوالدين (ويقولون هذه) كلها (فضائل) زائدة (من عمل بها فحسن) يعني له الثواب على عمله (ومن لم يعمل) بشيء من ذلك (فلا شيء عليه) من العقاب (فهؤلاء أيضا) أي كالضرب الأول (كفار) لإنكارهم العقاب على السيئات بوجه القطع وجحودهم الفرائض القطعية (وأما المرجئة الذين يقولون لا نتولى) أي لا نتخذ أولياء يعني لا نساوي في الإيمان (المؤمنين المذنبين ولا نتبرأ منهم) أيضا (فهؤلاء المبتدعة) لحكمهم بأن الذنوب تنقص من حقيقة الإيمان بحيث يصير المذنب لا مؤمن خالص ولا كافر خالص وهذا بدعة في الاعتقاد (ولا تخرجهم بدعتهم) هذه (من الإيمان إلى الكفر) لعدم استلزامها جحود شيء من القطعيات (وأما المرجئة الذين يقولون نرجي) أي نفوض ونكل (أمر المؤمنين إلى الله) تعالى يعني المذنبين وغيرهم (فلا ننزلهم) أي لا نجعل لهم على وجه القطع (جنة ولا نارا ولا نتبرأ منهم ونتولاهم) أي نتخذهم أولياء أي مساوين لنا (في الدين فهم على السنة) النبوية والطريقة المرضية (فألزم قولهم وخذ به) فإنه حق وهم الذين أخذوا بقوله تعالى (**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** * النساء: ٤٨) وتسموا بقوله تعالى (**وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ** * التوبة: ١٠٦) الآية (وأما الخوارج) من الفرق الضالة (فمن لم يرد قولهم شيئا من كتاب الله) تعالى وسنة نبيه القطعية (وكان خطأهم) في قولهم (على وجه التأويل) وهو تفسير الكلام بأحد محتملاته (يتأولون أن الأعمال) من الفرائض وغيرها (إيمان) فهم (يقولون أن الصلاة إيمان وكذا الصوم والزكاة) كل واحدة إيمان أيضا (وكذلك جميع الفرائض) من الحج والجهاد وغيرهما (والطاعات) من

الواجبات والنوافل (فمن أتى بالإيمان بالله) تعالى (وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و) أتى بفعل (جميع الطاعات) المفروضة وغيرها (فهو مؤمن ومن ترك شيئا من الطاعات) المفروضة (كفر ويقولون الزاني يكفر حين يزني) أي في وقت زناه (وشارب الخمر يكفر حين يشرب) أي في تلك الحالة أخذا من ظاهر قوله عليه السلام (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**) (وكذا يقولون في جميع ما نهى الله عنه) من فعله فإنه يكفر حين فعله قياسا على ما في الحديث (يكفرون الناس) أي المسلمين (بترك العمل) من فعل المنهي عنه وترك المأمور به (فهؤلاء تأولوا) الأخبار الشرعية (وأخطأوا) في تأولهم ذلك (فهم مبتدعة) مخالفون باعتقادهم لعقائد أهل السنة والجماعة وليسوا بكافرين (فإياك) يا أيها المؤمن المتابع لسنة النبي صلّى الله عليه وسلّم في الاعتقاد والقول والعمل (وقولهم) ذلك فتباعد عنه (ولا تقل بقولهم) أصلا (واجتنبهم) أي لا تخالطهم (واحذرهم) أن يفتنوك بشيء من زخارف مذهبهم (وفارقهم وخالفهم) تسلم منهم (وأما من لم ير المسح على الخفين) من الروافض والشيعة ويرون المسح على أرجلهم من غير خفين (فقد رغب) أي أعرض (عن سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) حيث كان المسح على الخفين سنته عليه السلام كما وردت به الأحاديث المشهورة القريبة من التواتر (فهو عندنا) معشر أهل السنة والجماعة (مبتدع) لمخالفة السنة النبوية ولهذا لما سئل أبو حنيفة رضي الله عنه عن مذهب أهل السنة والجماعة قال هو أن تفضل الشيخين وتحب الختنين وترى المسح على الخفين فالشيخان أبو بكر وعمر والختان عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين فالختن زوج البنت (لا تتخذه) أي من لم ير المسح على الخفين (إماما في صلاتك) لاحتمال أنه مسح على رجليه حيث يتعين عليه ذلك في مذهبه فيبطل وضوءه فلا تصح صلاته فتكون اقتديت بمحدث (ولا توقره) أي تعظمه (ولا تختلف) أي تتردد (إليه) فتخالطه وتجالسه (فإنه صاحب بدعة) وقد ورد النهي عن مجالسة المبتدع في الدين ففي الحديث (**من انتهر صاحب بدعة ملأ الله تعالى قلبه أمنا وإيمانا**

ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الأكبر) ذكره في الشرعة (انتهى) أي كلام صاحب التاتارخانية (فعليك أيها السالك) في طريق الله تعالى (بالجد) أي الاجتهاد (والتشمير) أي المبادرة والمسارعة (في تحصيل) مقام (اليقين) وهو السكون واطمئنان القلب (بمذهب أهل السنة والجماعة والإذعان) أي الانقياد والتسليم (له) أي للمذهب المذكور (وغاية التيقظ) من غباوة الذهول (والتنبه) من نوم الغفلة (والتضرع) أي التوسل (والاستعانة بالله تعالى) في أحوالك كلها وأمورك جميعها (حتى لا تزل) من الزلل وهو الخطأ (قدمك ولا يزول اعتقادك) الحق الذي في قلبك (بإضلال مضل) من شياطين الإنس والجن (وتشكيك مشكك) يدخل عليك شبهة فيفسد عليك دينك ويكدر صفاء مشربك (فإني قد سمعت) بأخبار أحد لي (عن بعض متصوفة) أي مدعين التصوف وليسوا بصوفية على الجد (زماننا) وهو عصر التسعمائة الذي كان فيه المصنف رحمه الله تعالى (حكى عن شيخه أن واحدا من أقربائه) أي أقرباء الشيخ أو الحاكي (يرى الله) سبحانه وتعالى (في كل يوم مرة أو مرتين وأن موسى عليه السلام مع كونه كليم الله لم يتيسر له ذلك) يعني رؤية الله تعالى (وقيل له) أي قال تعالى له (لن تراني) حين طلب الرؤية بقوله (**رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ** * الأعراف: ١٤٣) اعلم أن رؤية الله تعالى في الدنيا بالبصر جائزة من وجهين الأول قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (**رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ** * الأعراف: ١٤٣) فإنه دال على جواز الرؤية وإلا يلزم الجهل أو العبث على موسى عليه السلام لأنه إن لم يعلم امتناعها لزم الجهل وإن علم وسأل لزم العبث ومثل موسى عليه السلام لا يجوز أن يكون جاهلا بوصف من أوصاف الله تعالى أو يكون عابثا بالله تعالى والوجه الثاني وقوله تعالى (**فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** * الأعراف: ١٤٣) علق رؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل ممكن والمعلق على الممكن ممكن فتكون الرؤية ممكنة كذا في شرح الصحائف وقال السعد في شرح المقاصد والاستدلال في الآية من وجهين أحدهما أنه لو لم تجز الرؤية لم يطلبها موسى عليه السلام واللازم باطل بالنص والإجماع

والتواتر وتسليم الخصم وجه الملازمة أنه إن كان عالما بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز كان طلبه الرؤية عبثا واجتراء لا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإن كان جاهلا لم يصلح أن يكون نبيا وكلاهما باطل وثانيهما أنه علق الرؤية على استقرار الجبل وهو ممكن في نفسه ضرورة والمعلق على الممكن ممكن لأن معنى التعليق أن المعلق يقع على تقدير المعلق عليه والمحال لا يقع على شيء من التقادير انتهى وحيث ثبت أنها جائزة في الدنيا بالبصر فهل هي واقعة لأحد أم لا قال الشيخ علوان بن عطية الحموي في شرح الشيبانية اعلم أن فصل الخطاب هنا أن رؤية الله تعالى جائزة عقلا ولكنها مع جوازها عقلا هل هي واقعة حسا جائزة شرعا أو لا هذا محل النظر والذي نراه والله اعلم بغيبه إنها غير واقعة بالبصر لغير سيدنا محمد سيد البشر صلّى الله عليه وسلّم ولو وقعت لأعطيها الكليم ومن المعلوم أن آخر مقامات الولاية أول مقامات الصديقية وآخر مقامات الصديقية أول درجات النبوة وآخرها أول درجات الرسالة وآخرها أول درجات أولي العزم الذين من جملتهم موسى عليه السلام ولم يظفر بالرؤية على المشهور عند الجماهير من السلف والخلف مع اختلافهم في وقوعها وثبوتها للنبي الفاتح الخاتم صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الإسراء فبين منكر من الصحابة كعائشة ومن وافقها رضي الله عنهم فقد صرحت بتكذيب من نسب ذلك إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم كما رواه مسلم وبين معترف بها مسلم لها كابن عباس وأتباعه رضي الله عنهم وكل منهم أخبر عما وصله واعتقده فكيف يظفر بها عن دونهم في الرتبة وأسفل منهم بكثير في الدرجة والمشهور عند علماء الظاهر والباطن كالقشيري والغزالي وغيرهما أن الشهود والرؤية إنما هما بالقلب دون المقلة في هذه الدار الفانية لأن البصر فان والحق باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان يوم القيامة ركبوا تركيبا باقيا فكانت أبصارهم باقية فصح أن يرى الباقي بالباقي ونحو هذا منقول عن الإمام مالك مستحسن منه وقال الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه في كتابه إنشاء الجداول والدوائر لكل شيء في الوجود أربع مراتب إلا الله تعالى فإن له في الوجود المضاف إلينا ثلاث مراتب الأولى

وجود الشيء في عينه وهي المرتبة الثانية بالنظر إلى علم الحق تعالى بالمحدث المرتبة الثانية وجوده في العلم وهي المرتبة الأولى بالنظر إلى علم الله تعالى بنا والمرتبة الثالثة وجوده في الألفاظ والمرتبة الرابعة وجوده في الرقم ووجود الله سبحانه وتعالى بالنظر إلى علمنا على هذه المراتب ماعدا مرتبة العلم الثانية يعني وجوده في عينه هذا هو الإدراك الذي حصل بأيدينا اليوم ولا أدري إذا وقعت المعاينة البصرية المقررة في الشرع هل يحصل في نفوسنا إثبات أو مزيد وضوح في جنس العلم الذي بأيدينا اليوم منه في علمنا به سبحانه وتعالى فإن كان كذلك فليس له إلا ثلاث مراتب وإن كان يوجب النظر إثباتا في الدار الآخرة وحيث وقعت المعاينة لمن وقعت فصفه بالمرتبة الرابعة وقال في عقيدة أهل الاختصاص من أول كتاب الفتوحات المكية متعلق رؤيتنا الحق تعالى ذاته سبحانه ومتعلق علمنا به إثباته إلها بالإضافات والسلوب فاختلف فلا يقال في الرؤية إنها مزيد وضوح في العلم لاختلاق المتعلق وإن كان وجوده غير ماهيته فلا ننكر أن معقولية الذات غير معقولية كونها موجودة انتهى كلامه فانظر كيف فرق بين العلم بالله تعالى وبين رؤيته وقد صرح أن الذي بأيدي العارفين اليوم إنما هو العلم بالله سبحانه لا رؤيته تعالى والرؤية انكشاف آخر غير انكشاف العلم ومن اشتبه عليه الفرق سمى العلم الرؤية وادعى الرؤية في الدنيا وهو باطل وقال اللاقاني في شرح جوهرته لم تقع رؤية الله تعالى في الدنيا لغيره صلّى الله عليه وسلّم على خلاف فيها وفي موسى عليه السلام خلاف أيضا والأصح أنه لم ير واقتضى جواب القاضي أبي بكر وحكاه أبو فورك عن الأشعري أنه رأى هو والجبل بخلق حياة ورؤية فيه فمن ادعاها غيرهما في الدنيا يقظة فهو ضال بإطباق المشايخ وفي كفره قولان والذي جزم به الكواشي والمهدوي كفره ونقل جماعة الإجماع على أنها لا تحصل للأولياء في الدنيا والصواب مع ناقل الخلاف نعم المنع أرجح قولي الأشعري وقد صرح أبو عمرو بن الصلاح وأبو شامة والكلاباذي بتكذيب مدعيها يقظة في الدنيا وإن مدعي ذلك لم يعرف الله تعالى قال العلامة القونوي فإن صح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك أمكن تأويله أن غلبات الأحوال

تجعل الغائب كالشاهد حتى إذا كثر اشتغال السر بشيء واستحضاره له صار كأنه بين يديه كما هو معلوم بالوجدان لكل أحد وعليه يحمل ما نقل عن ابن عمر وغيره رضي الله عنهم أنه كان يطوف حول البيت فسلم عليه إنسان فلم يرد عليه فشكاه إلى عمر رضي الله عنه فقال كنا نتراءى الله تعالى في ذلك المكان ومنه أخذ أن هذا الحال قد يتفق في زمان دون زمان ومكان دون مكان وقال الشيخ علوان رحمه الله تعالى في شرح الشيبانية فكذب مدعي الرؤية هنا مما كان يطبق عليه الخاص والعام لا سيما ممن يكون متمسكا بالأوهام غير متخلق ولا متحقق بقواعد الإسلام ففسقه لكذبه في دعاويه وافتراؤه فيما يحكيه واضح لا شك فيه وأما التجلي والاستتار في اصطلاح القوم فأمرهما مشهور وأما كفره وزندقته فنكله إلى الله العليم بحقائق الأمور على أن صاحب الأنوار صرح بكفره حيث قال في باب الردة ولو قال إني أرى الله ويكلمني شفاها كفر انتهى والحاصل إن الاحتياط في عدم الكفر لمدعي ذلك خصوصا والمسألة إذا كان فيها خلاف لا يفتى بالتكفير فيها كما قدمناه ولكن الكذب والفسق والضلال ثابت له إن لم يتب من دعوى ذلك وسبب دعوى الرؤية عدم المعرفة بالفرق بين العلم بالله تعالى وبين رؤيته سبحانه فيظن الجاهل أنه إذا علمه تعالى فقد رآه وربما ادعى أن رؤية كل موجود بحسبه فرؤية الموجود الحق تعالى هي العلم به فإن اعترف قائل بالرؤية الواردة في الشرع وأنها تكون في الآخرة على وجه لا يعلمه الآن في الدنيا كان ادعاء ذلك في الدنيا بتسمية العلم رؤية مجرد اصطلاح كما هو عادة بعض الصوفية وإن لم يعترف قائل ذلك بالرؤية الشرعية في الآخرة وحكم بأنها مثل رؤيته في الدنيا التي هي العلم به تعالى فهو منكر لرؤية الآخرة ومنكر رؤية الآخرة كافر وجميع ما وقع في كلام الكاملين من أئمة الصوفية من إثباتهم رؤية الله تعالى في الدنيا مرادهم به الرؤية القلبية وهي الشهود للتجلي الإلهي من قبيل قوله عليه السلام في مقام الإحسان (**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**) ومنه قول الصديق رضي الله عنه ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله وقول السيد عمر رضي الله عنه ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله

بعده وقول عثمان رضي الله عنه ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله معه فالأول رأى الأشياء بالله، والثاني رأى الله بالأشياء، والثالث رأى الله في الأشياء وقد ورد عن ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال (**كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان**) فرأى الله وحده بلا شيء وورد عن باب مدينة العلم الإمام علي رضي الله عنه أنه كان يقول إنا لا نعبد ربا لم نره فكل من قال من الصوفية رأيت الله تعالى وإني أرى الله تعالى مراده شهود الله تعالى بعين البصيرة لا رؤيته سبحانه بالبصر حتى لو لم يكن أراد ذلك، يجب على السامع أن يحمل كلامه على إرادة ذلك، لئلا يسيء الظن بالمسلم متى أمكن حمل كلامه على محمل حسن ما لم يصرح فيقول رأيت الله بعيني التي في وجهي فيحكم حينئذ عليه بالجهل وعدم معرفة الله تعالى خصوصا إذا فضل نفسه على موسى عليه والسلام بأن موسى عليه السلام ما رأى الله تعالى وقيل له لن تراني وهو رأى الله تعالى فإن هذا كفر صريح فإن الولي لا يصل إلى مرتبة النبي أصلا ولا يدانيه كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في كتابه شرح الوصية اليوسفية ولقد روينا عن أبي موسى الدبيلي عن أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه أنه سأل الله تعالى رؤية مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقيل له إنك لا تطيق أي نورك الذي ترى به يضعف عن إدراك ما تطلبه من ذلك مع كون الحق في هذه الحال بصره فكيف به لو لم يكن بصره فألح في السؤال قال أبو يزيد ففتح لي من ذلك قدر خرم إبرة فلم أطق الثبوت عند ذلك واحترقت هذا قوله عن نفسه وذكر الشيخ الأكبر رضي الله عنه أيضا في كتابه المذكور حكاية أبي يزيد في حق المريد الذي قال له بعض أصحابه لم لا تمشي إلى بيت أبي يزيد فتراه فقال المريد رأيت الله وأغناني عن أبي يزيد فقال له الرجل لأن ترى أبا يزيد مرة خير لك من أن ترى الله ألف مرة يشير إلى أن الحق تعالى في معرفة أبي يزيد أتم منه في معرفة هذا المريد به فأراد المريد وكان صادقا أن يرى صدق هذا القائل فاتفق أن أبا يزيد مر فقال له الرجل هذا أبو يزيد فنظر إليه ذلك المريد فمات من ساعته فقيل لأبي يزيد عنه فقال كان الحق تعالى عنده على قدره وقدرنا أعظم من قدره فمعرفتنا بالله تعالى

من معرفته فلما رآني كشف الله عن بصيرته فرأى الحق على قدرنا لا على قدره فلم يطق فمات انتهى كلامه فأبو يزيد مع مقامه هذا لم يقدر أن يثبت لقدر خرم إبرة من مقام نبي الله محمد صلّى الله عليه وسلّم فكيف من دونه من الصوفية إذا تقرر هذا وثبت عندك فاعلم أن مقام بينا محمد صلّى الله عليه وسلّم الخاتم المقامات النبيين والمرسلين عليهم السلام من أعلى المقامات كلها وهو الجامع لجميعها وقد ورثه في مقامه هذا أولياء كثيرون من أمته يقال للواحد منهم خاتم الولاية المحمدية وكل ولي دونه على مشرب نبي من الأنبياء عليهم السلام وفي كل زمان ختم ولاية وأولياء دونه إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى ومن المعلوم أن جميع الأنبياء عليهم السلام لم يدركوا عصر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يعرفوا ما هو متحقق به من علوم ختم النبوة وإنما لهم عمل النبوة الخاصة بهم وقد ورثه عليه السلام كثير من أكابر أولياء أمته في علوم ختم نبوته ولم يفتهم غير النبوة فقط فيعلم الولي الوارث الكامل المحمدي بسبب إرثه لخاتم النبوة ما لم يعلمه الأنبياء الأولون وإن كان النبي الواحد منهم أفضل من جميع أولياء الأمة المحمدية إذ الفضيلة اختصاص إلهي لا باعتبار كثرة العلم أرأيت بأن الرجل أفضل من المرأة والحر أفضل من العبد ولو كانت المرأة حاوية لعلوم شتى وكان الرجل جاهلا فإنه من جهة صفة الرجولية أفضل من المرأة وإن كانت المرأة أكثر علما منه وكذلك الحر الجاهل أفضل من العبد العالم وإن كان العبد أكثر علما من الحر فإن الهدهد وهو طير قال لسليمان عليه السلام (**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** * النمل: ٢٢) وكذلك قصة الخضر مع موسى عليهما السلام والخضر مختلف في نبوته وموسى من أولي العزم إجماعا وقد وجد عند الخضر علوم لم توجد عند موسى عليه السلام حتى أمر موسى عليه السلام بالتعلم منه فقال له (**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً** * الكهف: ٦٩) الآية فلم يبعد أن يوجد عند الولي من العلم ما لم يعلمه نبي من الأنبياء خصوصا على

القول بولاية الخضر رضي الله عنه وأنه ليس بنبي إذا تقرر لك هذا وثبت عندك فاعلم أن من هذا القبيل قول الشيخ الأكبر رضي الله عنه خضنا بحرا وفقت الأنبياء بساحله فإن البحر هو علم ختم الولاية الموروث من خاتم النبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والأنبياء وقفوا بساحل بحر خاتم النبوة بلا شبهة لأنهم لم يدركوه ولا تأخروا عنه ليخوضوا بحر علومه مثل إتباعه الوارثين له ومثله قول الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه في قصيدته التائية حيث قال:

لقد خضت بحرا دونه وقف الأولي * بساحله صونا لموضع حرمتي

ومثل هذا كثير في كلام الورثة المحمديين فرؤية الله تعالى في الدنيا هي بالبصيرة القلبية كما قدمناه قد تكون في الولي الجامع أتم منها في النبي بسبب اقتباس ذلك من مشكاة محمد صلّى الله عليه وسلّم فربما قال الولي رأيت ما لم يره موسى عليه السلام ويريد بقلبه لا بعينه فإن الكلام السابق ليس فيه ذكر العين والبصر أصلا لا في نفسه ولا في موسى عليه السلام ولا في الآية ذكر ذلك فربما كان مراد القائل لمثل ما تقدم من الكلام الرؤية القلبية المسماة شهودا وعرفانا ومراده أن موسى عليه السلام طلب زيادة في رؤيته القلبية وفي عرفانه فلم يتيسر له لأن ذلك مخصوص بخاتم النبيين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبورثته الكاملين من أمته من مشكاته عليه السلام ولهذا ورد أن موسى عليه السلام قال يا رب اجعلني من أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم لما رأى وصفهم عنده في التوراة المنزلة عليه فيكون قائل ذلك القول مريدا لما ذكرنا ومتى احتمل الكلام صوابا لا يحكم فيه بالخطأ والله أعلم بحقائق الأحوال والحاصل أن مقتضى شريعتنا هذه المبنية على الكتاب والسنة أن أمر الإنسان إذا احتمل الخير والشر يحمل على الخير ما أمكن حتى لا يبقى له تأويل أصلا ما دام ذلك الإنسان مدعيا للإسلام يسلم له كلامه فهو اعلم به ولا يقال له لست مسلما كما قال الله تعالى (**وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً** * النساء: ٩٤) الآية فإذا اعترف بالتحول عن الإسلام إلى غيره يحكم عليه حينئذ بالردة كما قدمناه فيما سبق ولا يجوز حمل

كلامه على الوجه الفاسد ما دام يمكن حمله على الوجه الحق (وهذا الكلام) يعني المذكور عن بعض المتصوفة (ربما يسمعه الغافل) عن معرفة الله الجاهل بمقام شهوده تعالى على حسب ما قدمناه (بغتة) أي من غير أن يسبق له تأمل فيه (فيظن أنه صحيح) على حسب ما يفهمه منه في أول وهلة (أو يشك) في صحته وعدم صحته (و) الحال أن (هذا) يعني الكلام المذكور بحسب ما يفهمه الغافل أول ما يطرق سمعه (تفضيل لغير النبي) وهو الولي (على موسى) ابن عمران (عليه السلام) الذي هو نبي ورسول ومن أولي العزم (بل) تفضيل لغير النبي (على جميع الأنبياء) لأن التفضيل على نبي تفضيل على كل نبي (فإن رؤية الله تعالى أعلى المراتب) الكمالية إذ لا يراه إلا من هو عنده في أعلى رتبة (و) أعلى (اللذات) الروحانية فإنه لا لذة أعلى من لذة رؤية الله تعالى والتمتع بشهوده سبحانه فإذا حصلت لأحد كان أفضل عند الله تعالى ممن لم يحصل له ذلك (ولم تتيسر) رؤية الله تعالى أيضا (لأحد في الدنيا) والله اعلم بذلك (سوى نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم في ليلة الإسراء) والمعراج حين رقي إلى السموات (وقد اختلف فيه) أي في ثبوت ذلك له عليه السلام كما مر بيانه (وقد عرفت فيما سبق) لك في هذا الكتاب أوائل هذا الفصل (إن اعتقاد أهل السنة والجماعة) نصر الله تعالى كلمتهم إلى قيام الساعة (أن الولي) مطلقا ولو كان في أعلى درجات القرب إلى الله سبحانه وتعالى (لا يبلغ درجة النبي) أصلا فالنبوة طور فوق طور الولاية كما أن الولاية طور فوق طور العقل (فضلا عن أن يتجاوزها) أي الولي درجة النبي وروي عن أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه أن شبه النبوة بظرف مملوء عسلا رشحت منه إلى خارج رشحات فهي ذوق الأولياء في مقاماتهم (وقد ذكر) العلامة ابن أبي شريف (في شرح المواقف) في علم الكلام (و) ذكر العلامة سعد الدين التفتازاني (في شرح المقاصد أن الإجماع منعقد) بين المسلمين (على أن الأنبياء) عليهم السلام (أفضل) أي أكثر فضيلة عند الله تعالى وجاها ورفعة (من الأولياء) رضي الله عنهم ولا يلزم من فضيلة الأنبياء على الأولياء زيادة علم الأنبياء على الأولياء فإن

الفضيلة في النبوة لذاتها وهي طور مخصوص فوق طور الولاية لأفضليتها لأمر عرضي لها وهو العلم وليست هي العلم نفسه وإلا لكانت تحصل بالكسب وتعظم به وهو باطل لأنه مذهب المخالفين ومذهب أهل السنة والجماعة أن النبوة موهبة من الله تعالى وكذلك عظمها لأنها متفاوتة فإن نبوة نبينا ليس كنبوة غيره والخضر ولي في قول وهو على علم علمه الله تعالى له يعلمه موسى عليه السلام كما ورد في حديث البخاري وغيره وقد قال تعالى عنه كما قدمناه يخاطب موسى عليه السلام (**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً** * الكهف: ٦٨) وقال موسى عليه السلام عن نفسه للخضر (**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً** * الكهف: ٦٦) وسبق هذا قريبا (ذكر) السعد التفتازاني (في شرح العقائد أن تفضيل الولي) أي اعتقاد أنه أكثر فضيلة عند الله وجاها ورفعة (على النبي) مرسلا كان أو لا (كفر وضلال كيف وهو) أي التفضيل (تحقير للنبي) بالنسبة إلى الولي (وخرق للإجماع) حيث أجمع المسلمون على فضيلة النبي على الولي (وسمعت عن بعض) الصوفية من أهل الطريقة (الخلوتية) ولعله سمع ذلك من بعض الجهلة المنتسبين إليهم فإن كل طائف من الناس وكل طبقة منهم فيها كاملون وقاصرون وصالحون وفاسقون وأبرار وفجار وليس هذا أمرا مخصوصا بالصوفية فقط والذم لا يقع إلا على النوع الفاسد منهم لا غير (إن ما عدا محمدا صلّى الله عليه وسلّم من الأنبياء) عليهم السلام (لم يبلغوا) في حضرات الكشف والشهود (مرتبة الاسم السابع) من أسماء الله تعالى (بل وقفوا في) الاسم (السادس ولم يتجاوزوه) يعني الأنبياء عليهم السلام (وإنا) معشر الأولياء المحمديين (قد جاوزناه) يعني الاسم السادس ولعل مراده ذوق مخصوص حصل لهم في ذلك الاسم لم يحصل للأنبياء عليهم السلام فإن أذواق الأنبياء عليهم السلام في أسماء الله تعالى من أطوار نبواتهم لا يعلم بها غيرهم وأما أذواقهم عليهم السلام في أسماء الله تعالى من أطوار ولايتهم لأنهم أولياء أيضا كما أنهم أنبياء أنهم أنبياء فإن الأولياء يعلمونها لأنهم ورثوا الأنبياء في مقامات ولاياتهم وهي العلم بالله لا في مقامات نبواتهم لانقطاع النبوة دون الولاية إلى يوم

القيامة فمن ورث محمدا صلّى الله عليه وسلّم في مقام ولايته كان عنده من العلم ما لم يكن عند أنبياء كلهم عليهم السلام في مقام ولاياتهم وأما مقامات نبواتهم ففيها من العلوم ما لا تعلمه جميع الأولياء إذ لا ذوق للأولياء في النبوة وإنما ذوقهم في الولاية فقط (وهذا) الكلام المذكور عن بعض الخلوتية (مثل) الكلام (الأول) ربما يسمعه الغافل بغتة فيفتتن به ولا يعرف معناه ومعلوم أن الكلام إذا أمكن أن يكون له معنى صحيح لا يحكم بتخطئة قائله لأن قائله مسلم يدعي الإسلام ويتبرأ من الكفر فلا يحكم عليه بما هو متبرئ منه مع الحكم بصحة إيمان المكره والمسلم لا يكره أحدا على الكفر وإنما إذا حملته الغيرة يكره على الإسلام والحاصل إن غاية ما يكون في هذا الكلام أنه كلام غلة الصوفية وهم القاصرون منهم أصحاب الشطح الذين فيه رعونة نفسانية وعندهم من تعنتاتهم بقية وأي بقية وربما قالوا ذلك في مقام السكر والغيبة فيعذروا وسبق الكلام من أمام الحرمين في شأنهم (وقال) يعني القائل الأول من الخلوتية (أن أبا بكر رضي الله عنه لم يبلغ مرتبة الإرشاد) إلى الله تعالى والدلالة عليه (وإنا نتجاوز مرتبة الأصحاب) أي أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم وهذا الكلام تأويله أيضا كما ذكرنا فإن الفضيلة أيضا التي في أبي بكر رضي الله عنه على سائر أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم ليست بالعلم وإنما بشيء وقر في صدره شهد له النبي صلّى الله عليه وسلّم به وهو نفسه الزكية المخصوصة بنوع من القرب الإلهي لا يكون في الصديقين كلهم إلى يوم القيامة والصديقية فيه رضي الله عنه من جملة أحواله فلا مانع أن يكون عند من هو دونه في الفضيلة من الأولياء معرفة بكيفية الدلالة على الله تعالى وزيادة صناعة في الإرشاد إليه سبحانه لم يكن ذلك عنده رضي الله عنه كما أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه باب مدينة العلم النبوي دون أبي بكر رضي الله عنه في الفضيلة كما قال عليه السلام (**أنا مدينة العلم وعلي بابها**) وليست هذه المزية في أبي بكر رضي الله عنه مع أنه أفضل من علي كرم الله وجهه وكذلك مزية عمر رضي الله عنه وكون الشيطان يفر من ظله وكون رأيه وافق نص الكتاب العزيز مع أن ذلك لم

يكن لأبي بكر رضي الله عنه وهو أفضل من عمر رضي الله عنه وأما قوله بمجاوزة مرتبة الأصحاب فهو من قبيل قول ابن عبد البر بأنه قد يوجد في غير الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة واستدل على ذلك بما ورد من الأحاديث في المسألة كما ذكره في المواهب اللدنية وغيرها وإن كان الأوفق فيه أن يقال أن فضيلة الصحبة أمر ذاتي أيضا لا يعادله فضيلة أصلا وأما من غير الصحبة فقد يوجد في غير الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة وعلى كل حال فالمتعين التأويل في كلام أهل الإسلام خصوصا أهل التصوف من فقراء طريق الله تعالى والأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى (وهذا) القول المذكور في أبي بكر رضي الله عه على حسب ما يظهر من معناه للغافل الجهال في أول وهلة (قدح في أفضل الأولياء) وهو أبو بكر رضي الله عنه (وطعن) أي تنقيص (في أفاضل هذه الأمة) المحمدية وهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فإنهم من حيث الصحبة أفضل من جميع الأمة وأن أمكن أن يفضلهم غيره من حيث العلم وأطلق ابن عبد البر في إمكان أن فضلهم غيرهم مطلقا كما ذكرنا (بل) طعن (في سيدنا وسيد الأولين والآخرين رسول الله) محمد (وحبيب رب العالمين) صلّى الله عليه وسلّم حيث كان ذلك في الأنبياء وفي الصحابة وقد بين عليه السلام فضيلة الأنبياء وفضيلة الصحابة على من سواهم فيلزم تكذيبه والطعن فيه وهذا كله على حسب فهم الغافل والجاهل الذي لا يعرف ذلك فربما يعتقد صحة القدح والطعن المذكورين فيقع في مهواة من التلف في الدين والتحذير من ذلك بالتنبيه على مواضع الخطأ ليحترز منه لا في أحد بعينه من شأن العلماء العاملين وأما الحكم بذلك في أحد معين فهو شأن الجاهلين المتعصبين بل الفاسقين الفاجرين (وقد خرج) أي أسند (خ م) يعني البخاري وسلم في صحيحهما بإسنادهما (عن عمران بن حصين) عن (ابن مسعود رضي الله عنهما أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (خير الناس قرني) القرن أربعون سنة أو عشر أو عشرون أو ثلاثون أو خمسون أو ستون أو سبعون أو ثمانون أو مائة أو مائة وعشرون والأول أصح لقوله عليه السلام لغلام (**عش قرنا**) فعاش مائة

سنة كذا في القاموس (ثم) القرن (الذين يلونهم) أي يتبعونهم بعدهم (ثم) القرن (الذين يلونهم) أي يتبعونهم (ثم يفشو) أي يظهر ويكثر (الكذب) في الأقوال والأحوال والأعمال وهو خلاف الصدق في ذلك وكان هذا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع كما أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (فلا تعتمدوا أقوالهم) أي لا تعتنوا بها ولا تصدقوها (و) لا تعتمدوا (أفعالهم) أيضا ولا تغتروا بها لأن غالبها بدع وضلالات وهذا أخبار منه صلّى الله عليه وسلّم عن الفرق المبتدعة والدعاة إلى الضلال والمخالفين لجماعة السلف الصالحين في الاعتقاد والأعمال لا عن مطلق الاختلاف مع الاجتماع في التمسك بالكتاب والسنة والإجماع كاختلاف المجتهدين بالعقول المنورة في مسائل الشريعة المطهرة واختلاف الصوفية المحققين بالبصائر والقلوب في المعارف والحقائق المتلقاة عن علام الغيوب مع اجتماع الكل في الإسلام للأمر على ما هو عليه والاعتراف بأنه على حسب استعدادهم في جميع ما ذهبوا إليه وكلامنا هذا عن المجتهدين والصوفية من حيث هم موجودون فيما يعلمهم الله تعالى إلى يوم القيامة من غير تعيين أحد بعينه إلا من أجمع المسلمون على عدالتهم والشهادة لهم بالصدق في العلم والتصوف كالأئمة الأربعة وبقية المجتهدين الماضين ممن انقطعت الآن مذاهبهم لقلة النقلة لها وأئمة التصوف الكاملين كالجنيد البغدادي والسري السقطي ومعروف الكرخي وغيرهم من أهل الولاية ومن لم يقع الإجماع من المسلمين على تصديقهم في مقاماتهم ومشاربهم ولم يظهر لنا نحن وحدنا كمالهم فيما هم بصدده لا نخوض فيهم بشيء من التنقيص والإعابة وإن خاض في ذلك غيرنا ممن قبلنا ومن هو أكبر منا وأما لو ظهر لنا وحدنا كمالهم وصدقهم في درجات القرب كانوا عندنا مساوين للقسم الأول الذين أجمعت عليهم الأمة وكنا في ذلك كمن رأى هلال رمضان وحده ورد قوله فإنه يجب عليه الصوم ولا يباح له الإفطار هذا اعتقادنا وعلمنا ما عشنا ولا نخوض مع الخائضين (وخرج م) يعني الإمام مسلم في صحيحه بإسناده (عن عائشة رضي الله عنها أنه سأل رجل النبي صلّى الله عليه وسلّم أي الناس خير قال) صلّى الله عليه

وسلّم (القرن الذي أنا فيهم) وهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين (ثم) القرن (الثاني) الذي فيه التابعون رضي الله عنهم (ثم) القرن (الثالث) الذي فيه التابعون للتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين (خرجا خ م) يعني البخاري ومسلما بإسنادهما (عن) أبي سعيد (الخدري رضي عنه أنه قال) يغني الخدري (قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا تسبوا أصحابي) يا معشر الأمة المتأخرين (فإن أحدكم) أي الواحد منكم (لو أنفق مثل) جبل (أحد ذهبا) يعني في سبيل الله تعالى (ما بلغ) ذلك (مد أحدهم) أي مد أصحابي (ولا نصيفه) أي نصيف ذلك المد قال في القاموس النصف مثلثة أحد شقي الشيء كالنصيف (وخرج ج ت) يعني الترمذي بإسناده (عن عبد الله بن مغفل) أنه قال (سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (الله الله) منصوب على التحذير أي أحذوا أي أحذروا الله أحذروا الله وكرر للتأكيد (في أصحابي) أي في حقهم وحق ما وقع بينهم من المخالفات الاجتهادية والحروب المتبعة عن الحمية الدينية في نصرة الأحكام الشرعة (لا تتخذوهم غرضا) محركة وهو هدف يرمي فيه والجمع أغراض كذا في القاموس أي لا تجعلوهم موضعا الرمي سهام الطعن فيهم منكم والإعابة عليهم (من بعدي) إلى يوم القيامة (فمن أحبهم) أي الصحابة رضي الله عنهم (فبحبي) أي بسبب حبه لي (أحبهم) فإن من أحب أحدا أحب جميع من يحبه ذلك الأحد وإلا لم يكن يحبه (ومن أبغضهم) أي واحدا منهم (فببغضي) أي بسبب بغضه لي (أبغضهم ومن آذاهم) في حياتهم أو بعد مماتهم في أنفسهم أو أهلهم أو مالهم أو عرضهم أو دينهم أو عقلهم أو مقامهم أو نحو ذلك (فقد آذاني) لأنهم أصحابه صلّى الله عليه وسلّم وقرناؤه في الدنيا والقرين على حالة قرينه والمرء على دين خليله (ومن آذاني فقد آذى الله) سبحانه وتعالى لأنه عليه السلام رسول الله تعالى وقدر الرسول من قدر المرسل فتعظيمه من تعظيمه وإهانته من إهانته (ومن آذى الله) سبحانه (يوشك) وشك الأمر ككرم سرع كوشك وأوشك أسرع السير كواشك ويوشك الأمر أن يكون وأن يكون الأمر ولا تفتح شينه أو لغة ردية كذا في القاموس (أن يأخذه) بالإهلاك والدمار

(وخرج م) يعني مسلما في صحيحه بإسناده (عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما) يعني أخبر عنهما أو قال لهما مشيرا إليهما (هذان سيدا كهول) جمع كهل وهو من وخطه الشيب أو من جاوز الثلاثين أو أربعا وثلاثين إلى إحدى وخمسين كذا في القاموس (أهل الجنة) مع أن أهل الجنة كلهم جرد مرد ابناء ثلاث وثلاثين فكلهم كهول وللشيخين سيادة عليهم بمقتضى هذا الحديث وحديث الحسنين (**إنهما سيدا شباب أهل الجنة**) فأهل الجنة كلهم شباب لوجود رونق أيام الشباب في صفة كهوليتهم فهم كهول في السن وشباب في رونق الخلقة واستقامتها فأخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم عن أهل الجنة أنهم كهول مرة وأنهم شباب مرة أخرى وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير عن السمهودي أن طول آدم وكونه أمرد وهو أجمل الناس ثابت لكل من دخل الجنة فيشمل من مات صغيرا بل جاء ما يقتضي ثبوت جميع ذلك للسقط فروى البيهقي بسند حسن عن المقداد ما من أحد يموت سقطا ولا هرما وإنحاء الناس فيما بين ذلك إلا بعث ابن ثلاث وثلاثين فإن كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف وقلب أيوب ومن كان من أهل النار عظم كالجبال (من الأولين) بيان لكهول أهل الجنة (والآخرين إلا النبيين والمرسلين) فإن سيادتهم لا يعادلها سيادة (وخرج ت) يعني الترمذي بإسناده (عن) أبي سعيد (الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال ما من نبي إلا وله وزيران) الوزير الذي يحمل الثقل ويعين بالرأي (من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل) عليهما السلام (وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر) رضي الله عنهما (وخرج خ) يعني البخاري بإسناده (عن محمد بن الحنفية) وهو ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجه من غير فاطمة من جارية أخذها الإمام علي رضي الله عنه من سبي بني حنيفة جماعة مسيلمة الكذاب (قلت لأبي) يعني لعلي رضي الله عنه (أي الناس خير بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت أن

أقول ثم من فيقول عثمان قلت ثم أنت قال ما أنا إلا رجل من المسلمين) قال العراقي في شرح ألفية الحديث واختلف أهل السنة في الأفضل بعد عمر رضي الله عنه فذهب الأكثرون كما حكاه الخطابي وغيره إلى تفضيل عثمان على علي رضي الله عنهما وأن ترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة وإليه ذهب الشافعي وأحمد بن حنبل كما رواه البيهقي في كتاب الاعتقاد عنهما وهو المشهور عند مالك وسفيان الثوري وكافة أئمة الحديث والفقهاء وكثير من المتكلمين كما قال القاضي عياض وإليه ذهب أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر الباقلاني وذهب أهل الكوفة كما قال الخطابي إلى تفضيل علي على عثمان رضي الله عنهما وروى بإسناده إلى سفيان الثوري أنه حكاه عن أهل السنة من أهل الكوفة وحكي عن أهل السنة من أهل البصرة أفضلية عثمان فقيل فما تقول فقال أنا رجل كوفي ثم قال وقد ثبت عن سفيان في آخر قوليه تقديم عثمان وممن ذهب إلى تقديم علي على عثمان أبو بكر بن خزيمة وقد جاء عن مالك التوقف بين عثمان وعلي كما حكاه المأزري عن المدونة أن مالكا سئل أي الناس أفضل بعد نبيهم فقال أبو بكر ثم قال أو في ذلك شك قيل له فعلي وعثمان قال ما أدركت أحدا ممن اقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه ونرى الكف عن ذلك وفي رواية في المدونة حكاها القاضي عياض أفضلهم أبو بكر ثم عمر وحكى القاضي عياض قولا أن مالكا رجع عن التوقف إلى القول الأول قال القرطبي وهو الأصح إن شاء الله تعالى (وخرج ت) يعني الترمذي بإسناده (عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**) يصلي به إماما في جميع الصلوات والمعنى لا يتقدم عليه غيره من بقية الصحابة رضي الله عنهم وفي ذلك إشارة إلى أنه أحق بالخلافة بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم وهكذا كان فإنه لم يتقدم عليه أحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأجمعت الصحابة على خلافته من غير اختلاف بينهم في ذلك (وخرج ت) يعني الترمذي بإسناده (عنها أيضا) أي عن عائشة رضي الله عنها (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أبو بكر

سيدنا) أي له السيادة علينا بالسبق إلى الإسلام واستحقاق الخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالإجماع (وخيرنا) أي الأكثر خيرا منا (وأحبنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) الذي يحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر منا (وخرج ت) يعني الترمذي بإسناده (عن جابر) بن عبد الله (رضي الله عنه أنه قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أكثر الناس خيرا (وقال) في كتاب الفتاوي (في التاتارخانية) في فقه الحنفية (لو قال) رجل (عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لم يكونوا أصحابا) للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يكفر) لعدم ثبوت صحبتهم بطريق التواتر بل بالأحاديث الآحاد ولا يكفر منكر الآحاد (و) إنما (يكون مبتدعا) لمخالفته لأهل السنة والجماعة (ويستحق اللعنة) التي تلحق المخالفين ممن سلك غير سبيل المؤمنين (ولو قال أبو بكر الصديق) رضي الله عنه (لم يكن من الصحابة كفر لأن الله تعالى سماه) يعني أبا بكر رضي الله عنه في القرآن (صاحبا بقوله (إِذْ يَقُولُ) يعني النبي صلّى الله عليه وسلّم (لِصَاحِبِهِ) وهو أبو بكر رضي الله تعالى عنه (لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا) بالعصمة والمغفرة وروي أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال عليه السلام (**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**) فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه ذكره البيضاوي فقد ثبت بالنص المتواتر أنه صحابي فمن أنكر صحبته فقد أنكر النص فيكفر (وفي) الفتاوى (الظهيرية) لظهير الدين المرغيناني قال (ومن أنكر إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه) أي خلافته بعد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم على الأمة (فهو كافر في) القول (الصحيح) لإجماع الأمة على ذلك من غير خلاف أحد يعتد به (وكذلك من أنكر خلافة عمر رضي الله عنه في أصح الأقوال) لإنكار الإجماع القطعي أيضا (انتهى) أي كلام الفتاوي الظهيرية

(**الفصل الثاني**) من الفصول الثلاثة المشتمل عليها الباب الثاني من أبواب الكتاب الثلاثة (في) بيان أقسام (العلوم المقصودة) في الشرع (لغيرها) من الطاعات

فليس المراد منها تعلمها وإنما المراد العمل بمقتضاها ولا يمكن ذلك إلا بتعلمها كالطهارة مثلا للصلاة لا يمكن عمل الصلاة بدونها (وهي) أي تلك العلوم المذكورة (ثلاثة أنواع) علوم (مأمور بها) المكلف فيعصي بتركها (و) علوم (منهي عنها) فيحرم عليه تعلمها (و) علوم (مندوب إليها) فيثاب على تعلمها ولا يعاقب على الجهل بها (النوع الأول) من الثلاثة أنواع (في) العلوم (المأمور بها وهو) أي هذا النوع (صنفان الأول) في العلوم التي هي (فروض العين) بحيث إذا علمها البعض لا تسقط عن الباقين بل هي فروض على كل أحد من المكلفين بعينه (وهو) أي هذا الصنف من العلوم يشمله اسم واحد وهو (علم الحال) أي الأمر والشأن الذي يتقلب فيه المكلف ليلا ونهارا بتقليب الله تعالى له على حسب ما هو مقدر عليه في علم الله تعالى من الأقوال والأعمال والاعتقادات تقليبا منسوبا إلى المكلف نسبة حسية شرعية لا حقيقية إيمانية (قال الله تعالى فَاسْأَلُواْ) يعني يا أيها المكلفون بالأحكام الشرعية الظاهرية والباطنية (أَهْلَ الذِّكْرِ) أي العلم قال ابن جميل في مختصر تفسير الرازي والمراد بالذكر العلم أي اسألوا من له علم وتحقيق (إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) قال البيضاوي وفي الآية دليل على وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم (وخرج مج) يعني ابن ماجه بإسناده (عن أنس) بن مالك (رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وللعلم انطلاقات متباينة ويترتب على ذلك اختلاف الحد والحكم كلفظ العالم والعلماء ومن هنا اختلفوا في فهم هذا الحديث وتجاذبوا معناه فمن متكلم يحمل العلم على علم الكلام ويحتج لذلك بأنه العلم المتقدم رتبة لأنه علم التوحيد الذي هو المبنى ومن فقيه يحمله على علم الفقه إذ هو علم الحلال والحرام ويقول أن ذلك هو المتبادر من إطلاق العلم في عرف الشرع ومن مفسر ومن محدث وإمكان التوجيه لهما ظاهر ومن نحوي يحمله على علم العربية إذ الشريعة إنما تتلقى من الكتاب والسنة وقد قال تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** * إبراهيم: ٤) فلا بد من إتقان علم البيان والتحقيق حمله على ما يعم ذلك من علوم الشرع كذا

ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير وهذا المعنى الأخير الجامع للكل هو المناسب هنا (وقال في) كتاب (تعليم المتعلم ويفترض على) الإنسان (المسلم) رجلا كان أو امرأة (طلب) علم (ما يقع له في حاله) أي أمره وشأنه (في أي حال كان) حال إقامة أو حال سفر أو حال سفر أو حال صحة أو حال مرض وغير ذلك مما يتوالى عليه من مدة عمره (فإنه لا بد له) أي لذلك المسلم (من الصلاة) خمس مرات في اليوم والليلة (فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته بقدر ما يؤدي به فرض الصلاة) من مسائل الطهارة ومعرفة أقسام المياه ومعرفة شرائط الصلاة وأركانها (ويجب) وجوبا دون الفرض (عليه) أي على ذلك المسلم علم ما يقع له في صلاته (بقدر ما يؤدي به الواجب) من واجبات الصلاة (لأن) علم (ما يتوسل به) من الشرائط والأركان (إلى إقامة الفرض يكون فرضا و) علم (ما يتوسل به إلى إقامة الواجب) الذي هو دون الفرض (يكون واجبا) وعلى هذا أيضا علم ما يتوسل به إلى إقامة السنة والمستحب يكون سنة ومستحبا (وكذلك) الحكم (في الصوم والزكاة إن كان له مال) بأن ملك النصاب من العين أو الماشية (والحج إن وجب) أي افترض (عليه) بأن قدر على السفر بالزاد والراحلة (وكذلك) الحكم (في) مسائل (البيوع إن كان يتجر) أي يستعمل التجارة لا بد أن يتعلم أحكامها المشروعة (انتهى) أي ما نقله من تعليم المتعلم (ثم قال) يعني صاحب تعليم المتعلم (وكل من اشتغل بشيء من المعاملات) بين الناس كالإجارة والمزارعة والمساقاة والوديعة والعارية والنكاح والطلاق والبيع والقرض ونحو ذلك (و) بشيء من (الحرف) جمع حرفة وهي الصناعة لأنه يخالط الناس في حرفته بالضرورة (يفترض عليه التحرز عن) تناول (الحرام فيه) أي في ذلك الشيء الذي اشتغل به (وكذلك يفترض عليه) أي على المسلم (علم أحوال القلب) وما يعتريه من الأخلاق الجميلة ليتحرز عن ضدها بتعلمها (من التوكل) على الله تعالى (والإنابة) أي الرجوع إليه سبحانه (والخشية) منه سبحانه (والرضاء) عنه تعالى في كل أفعاله وأحكامه (فإنه) أي ذلك المسلم (واقع) مدة عمره (في جميع الأحوال) القلبية المذكورة وغيرها وكذلك

الأحوال البدنية في المعاملات ولا محيص له عنها كيف ما كان (انتهى) ما نقله عن تعليم المتعلم (ثم قال) يعني في تعليم المتعلم أيضا ولم ينسب ذلك كله إليه مرة واحدة لنقله عنه في مواضع متفرقة (وكذلك) الحكم (في سائر) أي بقية (الأخلاق) الإنسانية (نحو الجود و) ضده (البخل والجبن) بالضم (و) ضده (الجراءة) أي الشجاعة (والتكبر و) ضده (التواضع والعفة) ويضاددها الشح (والإسراف و) ضده (التقتير) أي التقليل (وغيرهم) من أنواع الأخلاق الحسنة والسيئة كالمسامحة والحرص المحبة والبغض (فإن الكبر والبخل والجبن والإسراف حرام) بلا خلاف (ولا يمكن التحرز عنها) بطريق الاكتساب (إلا بعلمها وعلم ما يضاددها) مما ذكر حتى يكون المكلف تاركها بقصده واختياره فيكون ذلك مجاهدة منه في نفسه فإن المجاهدة في النفس عبادة ولا تحصل لأحد إلا بالعلم وهي فرض على كل مكلف (فيفترض على كل إنسان علمها) ليؤدي به فرضها قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من مات ولم يتوغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر قال الشيخ ابن علان الصديقي رضي الله عنه في شرح حكم أبي مدين قدس الله سره ولقد صدق فيما قال فأي شخص يا أخي يصوم ولا يعجب بصومه وأي شخص يصلي ولا يعجب بصلاته وهكذا سائر الطاعات (انتهى) ما نقله من تعليم المتعلم (حاصله) أي حاصل ما ذكر كله (أن العلم) لكل حال من الأحوال (تابع للمعلوم) أي لحكم ذلك الحال المعلوم (فإن) كان ذلك الحال المعلوم (فرضا أو حراما ففرض) أي فالعلم به فرض للامتثال في الأول والاجتناب في الثاني (وإن) كان ذلك الحال المعلوم (واجبا) دون الفرض (أو مكروها فواجب) أي فتعلمه واجب للعمل به في الأول والكف عنه في الثاني (وإن) كان ذلك الحال المعلوم (سنة فسنة) أي فتعلمه سنة (وإن) كان (نفلا فنفل) كذلك فكل حال من الأحوال حكم تعلمه مثل حكمه (وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في الفرض فرض وكذلك في الحرام وفي الواجب واجب وفي المكروه وفي السنة سنة وفي النفل نفل (غير أنهما) أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (على سبيل الكفاية) أي فرض كفاية بحيث إذا قام

به البعض يسقط عن الباقين (وعلم الحال) بالتفصيل المذكور (على سبيل العين) أي فرض عين كما قدمناه (ومنه) أي من علم الحال (اعتقاد أهل السنة والجماعة الذي سبق ذكره) في الفصل الذي قبل هذا (و) كذلك منه (تنويره) أي إنارته بمعنى إضاءته وإذهاب ظلمة القصور فيه (بالاستدلال) على كل مسألة من مسائله (للخروج عن) ربقة (التقليد) فيه إلى إفضاء النظر وكون علم الحال جميعه بأنواعه لا يمكن القيام به والتحرز عن المنهيات منه إلا بتعلمه ومعرفة أبحاثه ومسائله أمر محقق في قضية اكتسابه وتحصيله بطريق المجاهدة المفروضة كما ذكرنا وإلا فإن التوفيق الذي أجمع الأمة على ثبوته وكونه أمرا واقعا في الخلق لمن شاءه الله تعالى لا يحتاج صاحبه معه إلى العلم بشيء من ذلك كله أصلا وهو خلق القدرة على الطاعة في العبد بحيث يصير العبد مطيعا لربه ظاهرا وباطنا ومنتهيا عما لا يرضى به ربه في ظاهره وباطنه بإلهما من الله تعالى له أن يكون كذلك وإن لم يكن له معرفة بكمال هذه الحالة عند الله تعالى فضلا عن تحصيلها بتعلمها من غيره وهي المقصود الشرعي من المكلف سواء حصلت بالتحصيل أو بالإلهام وضد هذه الحالة الخذلان والعياذ بالله تعالى فإنه ضد التوفيق وهو موجود في الخلق أيضا كالتوفيق لمن شاءه الله تعالى وهو خلق القدرة على المعصية في العبد فيصير العبد عاصيا لربه في ظاهره أو باطنه منهمكا في المعاصي بإلهام من الله تعالى له أيضا كما قال تعالى (**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** * الشمس: ٨) وإن لم يكن له معرفة بنقصان هذه الحالة عند الله تعالى وهذان الحالتان حالة التوفيق وحالة الخذلان لا يخلو عنهما العبد أصلا فإن كل إنسان إما موفق أو مخذول وقد يوفق في وقت ويخذل في وقت وقد يوفق لعمل ويخذل عن عمل وفي كتاب مواقع النجوم للشيخ الأكبر محي الذين بن العربي رضي الله عنه التوفيق مفتاح السعادة الأبدية والهادي بالعبد إلى سلوك الآثار النبوية والقائد له إلى التخلق بالأخلاق الإلهية من قام به غنم ومن فقده حرم وهو نور يضعه الله في قلب من اصطنعه لنفسه واختصه لحضرته وإنما هو به تحصيل النجاة وبه تنال الدرجات ومع أنه سر موهوب ونور في قلب المؤمن موضوع فإن إرادة

العبد من جهة العلم بخصائصه وحقائقه متعلقة بجود الله سبحانه وتعالى في تحصيله منه والاتصاف به فقد يحصل للعبد بتلك الإرادة فيتخيل أنه كسبي وأن دعاءه الله فيه وإرادته إياه سبب في حصوله وما علم أن تلك الإرادة التي حركته لطلب التوفيق من التوفيق فإنها من آثاره ولولاه لم يكن ذلك فإن إرادة التوفيق من التوفيق ولكن لا يشعر لذلك أكثر الناس فإذا تقرر هذا فيكون الإنسان إنما يطلب على الحقيقة كمال التوفيق من الموفق الواهب الحكيم ومعنى كمال التوفيق استصحابه للعبد في جميع أحواله من اعتقاداته وخواطره وأسراره ومطالع أنواره ومكاشفاته ومشاهداته ومسامراته وأفعاله كلها لا أنه يتجزى ويتبعض فإنه معنى من المعاني القائمة بالنفس فنقصه الذي يطلق عليه إنما هو أن يقوم بالعبد في فعل من الأفعال ويحرمه في فعل آخر وكذلك زيادته استصحابه لجميع أفعال العبد وقد بان علة سؤاله في التوفيق من الله تعالى وتبين أن التوفيق لم يكن عنده معدوما عند سؤاله لله سبحانه وتعالى فيه وهو تفعيل من الموافقة وهو معنى يقوم بالنفس عند طرو فعل من أفعاله الصادرة عنه على اختلافها يمنعه من المخالفة للحد المشروع له في ذلك الفعل لا غير فكل معنى كان حكمه هذا يسمى التوفيق فلو وافق حال العاصي حقه المشروع له لم يكن عاصيا وإذا انتفت الموافقة في حال ما مشروع كانت المخالفة لأن المحل لا يعرى عن الشيء أو ضده وقد يقوم بالعبد المؤمن التوفيق في فعل ما والمخالفة في فعل آخر في زمن واحد كالمصلي في الدار المغصوبة أو كمن يتصدق وهو يغتاب أو يضرب أحدا في حال واحد وأشباهه فلهذا ما سأل العبد إلا كمال التوفيق يريد استصحابه له في جميع أحواله كلها حتى لا يكون منه مخالفة أصلا ثم بسط الكلام ثم قال وأول مقامات التوفيق الاختصاصي اشتغالك بالعلم المشروع الذي ندبك الشارع إلى الاشتغال بتحصيله وآخرها حيث يقف بك فإن تممت لك المقامات حصلت في التوحيد الموحد نفسه بنفسه الذي لا يصح معه معقول وإن نقصت لك فبعض الحضرات والوجودية واللطائف الجودية فلا حياة مع الجهل ولا مقام ثم قال فالتوفيق إذا صح وتصحيحه بتحصيل العلم فإذا حصل له وصح توفيقه أنتج

الإنابة والإنابة منتجة التوبة والتوبة تنتج الحزن والحزن ينتج الخوف والخوف ينتج الاستيحاش من الخلق والاستيحاش من الخلق ينتج الخلوة والخلوة تنتج الفكرة والفكرة تنتج الحضور والحضور ينتج المراقبة والمراقبة تنتج الحياء والحياء ينتج الأدب والأدب ينتج مراعات الحدود ومراعات الحدود تنتج القرب والقرب ينتج الوصال والوصال ينتج الأنس والأنس ينتج الإدلال والإدلال ينتج السؤال والسؤال ينتج الإجابة وتسمى جميع هذه المقامات المعرفة في اصطلاح بعض أصحابنا والعلم في اصطلاح بعضهم ولا يصح شيء من هذه المقامات إلا بعد تحصيل العلم الرسمي والذوقي فالرسمي كعلوم النظر وهو ما يتعلق باصطلاح العقائد وكعلوم الخبر وهو ما يتعلق بك من الأحكام الشرعية ولا يؤخذ منها إلا قدر الحاجة والذوقي علم نتايد المعاملات والأسرار وهو نور يقذفه الله تعالى في قلبك تقف به على حقائق المعاني الوجودية وأسرار الحق في عباده والحكم المودعة في الأشياء وهذا هو علم الحال انتهى كلامه فإذا تأملت قوله وأول مقامات التوفيق الاختصاصي اشتغالك بالعلم المشروع وقوله أيضا فالتوفيق إذا صح وتصحيحه بتحصيل العلم وقوله ولا يصح شيء من هذه المقامات إلا بعد تحصيل العلم الرسمي والذوقي علمت بالبديهة أن الأمر الذي يخرج العبد من الكفر إلى الإسلام ومن الفسق إلى الصلاح توفيق من الله تعالى للعبد أيضا غير التوفيق الاختصاصي الذي أول مقامات الاشتغال بالعلم المشروع وغير التوفيق الصحيح من جميع وجوهه الذي ينتج المقامات المذكورة وليس من شرط حصول هذا النوع من التوفيق للعبد الاشتغال بالعلم المشروع بل يحصل منة من الله تعالى على العبد فينقي باطن العبد من الأخلاق المحرمة وظاهره من الأفعال المنهي عنها سواء كان للعبد شعور بذلك أو لم يكن وأما التوفيق الاختصاصي الذي ينتج المقامات المذكورة فلابد فيه أولا من الاشتغال بالعلم القدر المهم من العلم الرسمي والذوقي ويا ليت شعري لو انهمك الإنسان طول عمره في الاشتغال بالعلم الرسمي الذي هو الآن عند علماء الظاهر كما نشاهد انهماكهم فيها ليلا ونهارا فهل يمكن ذلك الإنسان أن يعلم بمقتضى ما علمه من ذلك إلا بتوفيق الله

تعالى له بأن يلهمه سبحانه العمل بما علم ويقدره على ذلك وإذا خذله فلم يلهمه العمل المفروض عليه فعلا وكفا وهو قد علمه وكذلك الواجب والمسنون فماذا ينفعه علمه بذلك وقد رأينا من يغتر بعلم الأحكام الشرعية فيعلمها ويعلمها للناس ولا يعلم بها هو في نفسه حتى أوقع في قلب الجاهلين أن المقصود العلم والعمل كيف ما كان يكون فتراهم يأخذون كلاما ويعطون كلاما وأفعالهم أقبح من أفعال الجاهلين وهم من أعلم العالمين فكأنهم غير مطالبين إلا بالعلم فقط وكان العلم هو دخول الجنة والنجاة من النار لا غير ولا تراهم يطالبون الناس إلا بالعلم وحده فالإمام يحفظ شروط الإمامة وشروط الصلاة وأركانها وما لا بد له من ذلك لاحتمال أن يمتحنه أحد فيجد عنده العلم بذلك ومن لم يحفظ ذلك عندهم فصلاته باطلة سواء عمل بذلك أو لم يعمل وكأنه متى علم ذلك فقد ثبت عندهم عمله بها قطعا ومتى لم يعلم ذلك فقد ثبت عندهم عدم علمه بها قطعا ولا يحتمل عندهم أنه إذا لم يعلمها أن يوفقه الله تعالى للعمل من دون علمها فينكرون التوفيق في الناس قطعا وأحقر الناس عندهم فقراء الصوفية المشغولون بذكر الله تعالى على حسب ما أقامهم الله تعالى فيه من جهر أو مخافتة ونحو ذلك مما قصدهم به وجه الله تعالى والأعمال بالنيات فتراهم يذمونهم أقبح الذم لكونهم لم يتركوا ذكر الله تعالى ويشتغلوا بتعلم مسائل الفقه وينهمكوا فيها ويصيروا مثلهم يحفظون كلاما ما يقولونه كلما أرادوا الافتخار به فيما بينهم على بعضهم بعضا من غير عمل بذلك فترى الرجل منهم يسهل على نفسه ويشدد على غيره بضد ما كان عليه السلف الصالحون وإذا رأوا مسألة فيها وجه للتشديد وثبوا عليها وأخذوها يشددون بها على أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم وإذا رأوا مسألة فيها سهولة كتموها عن الناس وأخفوها وقالوا لا يقال هذا بين العوام فيريدون بالناس ما لا يريد الله تعالى بهم حيث قال تعالى (**يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** * البقرة: ١٨٥) (**وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** * البقرة: ٢٨٢) والحاصل أن يفترض تعلم العلم الظاهر مقدار ما يحتاج إليه المكلف في اعتقاده ومعاملاته بينه وبين الله تعالى وبينه وبين الناس

لأجل أن يعمل بذلك كله وليس العمل بمقتضى ذلك مشروطا بالتعلم وأنه لا يمكن إلا بالتعلم بل بتوفيق الله تعالى للعمل الصالح لأن إرادته تعالى أمر كائن لا محالة إلى يوم القيامة ولا فرق بين من علم جميع ذلك ومن لم يعلم شيئا منه في أنه محتاج للمقصود وهو التوفيق للعمل بمقتضى العلم ومن لم يوفقه الله تعالى فهو مخذول فكما أن من علم جميع ما يحتاج إليه من مسائل دينه ربما لا يوفقه الله تعالى للعمل بمقتضى ذلك فيكون مخذولا كذلك من لم يعلم شيئا من مسائل الدين وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ربما يوفقه تعالى للعمل الصالح فيعمل بمقتضى جميع ما تعلمه العلماء وهو لا يشعر بذلك ويكون موفقا فيكون عند الله تعالى أعظم من الأول لأنه موفق والأول مخذول وقد حرم الله تعالى التجسس وسوء الظن وكشف عورات المسلمين فكل مسلم على هدى وتقى وإن كان جاهلا بالعلم الظاهر لأن المقصود التوفيق للعمل الصالح وهو لا يقدر العالم أن يستجلبه بعلمه ولا يمتنع عن الجاهل بسبب جهله والعلم غير مقصود لذاته أصلا خصوصا علم العمل فلم يبق في العلم إلا أنه حجة الله تعالى على العبد ولهذا ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال (**أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه**) أخرجه الأسيوطي في الجامع الصغير وقال المناوي في شرحه لأن عصيان العالم عن علم ولذا كان المنافقون في الدرك الأسفل لكونهم جحدوا بعد العلم وكان اليهود شرا من النصارى لكونهم أنكروا بعد المعرفة وقال الغزالي فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد فمن لم ينفعه علمه لا ينجو منه رأسا برأس هيهات فخطره عظيم وطالبه طالب النعيم المؤبد أو العذاب السرمد لا ينفك عن الملك أو الهلك فهو طالب الملك في الدنيا فإن لم تتفق له الإصابة لم يطمع في السلامة (الصنف الثاني) من الصنفين (في) العلوم التي هي (فروض الكفاية) بحيث إن علمها البعض سقط عن الباقين وإذ تركها الكل أثموا والمتبادر أن فرض العين أفضل من فرض الكفاية لأنه مفروض حقا للنفس فقط فهو أهم عندها وأكثر مشقة فهو أكثر فضيلة وفرض الكفاية مفروض حقا للكافة والفاعل من جملتهم والأمر إذا عم

خف وإذا خص ثقل ونقل العيني في عمدة القاري شرح البخاري عن إمام الحرمين أنه قال في كتابه المعاني أن فرض الكفاية عندي أفضل من فرض العين من حيث أن فعله مسقط للحرج عن الأمة بأسرها وبتركه يعصي المتمكنون منه كلهم ولا شك في عظم وقع ما هذه صفته (وهو) أي هذا الصنف من العلوم (ما يتعلق بحال غير) أي غير العالم به (أعني) أي أقصد بذلك علم (الفقه كله) يعني المقدار الذي لا يحتاج إليه المكلف مما زاد على الضرورة فإن مقدار الحاجة هو علم الحال الذي سبق أنه فرض عين وهذا علم الزائد على ذلك لاحتياج غيره إليه بحسب حال الغير (و) كذلك علم (التفسير) أي تفسير القرآن حتى لا تخلو البلاد ممن يعرف معاني كلام الله تعالى لاحتمال ترتب الأحوال على ذلك بعروض شبهة لأحد في معنى آية من الآيات (و) كذلك علم (الحديث) أي حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم من جهة اصطلاح المحدثين وضبط متن الحديث فإن فيه ما يشتبه فلا بد أن يكون في البلاد من يعرف معاني ذلك وإن كان علم الفقه على اختلاف مذاهب المجتهدين فيه غنية اليوم للمقلدين يتعلمون منه أحكام أحوالهم فيستغنون عن البحث في معاني الآيات والأحاديث (و) كذلك تعلم (الأصوليين) أصول الاعتقاد وهو علم الكلام وأصول الفقه فإنه لا بد من وجود من يعرف ذلك المذكور لاحتمال ظهور مبتدع في الاعتقاد أو من يشكك في مسألة من الفقه فيرد عليه بأدلة علم الكلام وبالقواعد الأصولية التي فرع الفقه عليها (و) كذلك علم (القراءة) بمعرفة اختلاف وجوهها وإن كانت الحاجة داعية إلى إتقان وجه واحد منها في إقامة الصلاة لاحتمال تصويب اللحن في جاهل بشيء من ذلك (وأما) علم (الحساب فيحتاج إليه) أيضا (في كثير من مسائل) الفقهية كأموال الزكاة والديات (خصوصا) مسائل (الفرائض) والوصايا (فلذا قالوا) أي العلماء (هو) أي علم الحساب (ربع العلم لأنه نصف الفرائض) والفرائض نصف العلم كما ورد في الحديث لأن للإنسان حالة حياة وحالة موت والفرائض علم حالة الموت فهي نصف العلم (فلا يبعد أن يكون) علم الحساب (فرض كفاية) لأن قسمة التركة وإن

أمكنت بدون معرفة علم الحساب في غالب المسائل فبعض الوقايع من المناسخات وغيرها لا بد فيها من استعمال الصناعة الحسابية فالأمر محتاج إليه في الجملة في حق الكافة (وصرح) الإمام أبو حامد محمد (الغزالي رحمه الله تعالى به) أي بكونه فرض كفاية (في) كتاب (الإحياء وأما علوم العربية) وهي اثنى عشر علما علم النحو وعلم المعاني وعلم البيان وعلم اللغة وعلم الاشتقاق وعلم العروض وعلم القافية وهذه الثمانية أصول والأربعة الباقية فروع وهو علم الخط وعلم قرض الشعر وعلم الإنشاء وعلم المحاضرات والتواريخ (ففي) كتاب (بستان العارفين) لأبي الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (اعلم أن العربية لها فضل على سائر) أي بقية (الألسنة) المختلفة وهي لسان أهل الجنة قال في المبتغى المعجمة لسان أهل الجنة العربية والفارسية وقيل الناس يتكلمون قبل دخول الجنة بالسريانية وبعده فيها بالعربية (فمن تعلمها) أي اللغة العربية (أو علمها غيره) من الناس (فهو مأجور) أي مثاب على ذلك (لأنه الله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب) كما قال تعالى (**قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ** * الزمر: ٢٨) (فمن تعلمها فإنه يفهم بها ظاهر القرآن) العظيم حيث هو مترجم بها وأما باطنه وأسراره ففهمهما موقوف على البصيرة المنورة بأنوار الشهود والعيان في مقام الإحسان (و) ظاهر (معاني الأخبار) أي الأحاديث النبوية والآثار المصطفوية (انتهى) أي ما نقله عن كتاب بستان العارفين (والذي يقتضيه الأصل) المقرر عند العلماء (أعني) أي أقصد بالأصل (أن ما) أي الذي (يتوسل به إلى) تحصيل (الفرض) من أي نوع كان من أنواع العبادات فهو (فرض وكذلك في الواجب) ما يتوسل به إليه فهو واجب (وغيره) أي الأمر المسنون والمستحب فما يتوسل به إليهما فحكمه كحكمهما (كونها) أي علوم العربية (فرض كفاية لأن العلوم الشرعية) المترجمة من قبل الشارع الذي هو النبي العربي صلّى الله عليه وسلّم (متوقفة عليها) فلا تفهم إلا بها قال الحليمي لا ينبغي لأحد إطلاق لسانه بتفضيل العجم على العرب بعد ما بعث الله تعالى أفضل رسله من العرب وأنزل آخر كتابه بلسان العرب فصار فرضا على الناس أن يتعلموا لغة العرب

ليعقلوا عن الله أمره ونهيه ومن أبغض العرب أو فضل العجم عليهم فقد آذى بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأنه أسمعه في قومه خلاف الجميل ومن آذاه فقد آذى الله تعالى ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير للسيوطي (النوع الثاني) من الأنواع الثلاثة (في) العلوم (المنهي عنها) في الشرع (وهو) أي هذا النوع (ما) أي الذي (زاد على قدر الحاجة من علم الكلام (لتحسين الاعتقاد على طبق مذهب أهل السنة والجماعة وإقامة الأدلة على ذلك عقلا ونقلا والزائد المنهي عنه هو الخوض في مذاهب الفرق الضالة لا بنية الرد عليهم ولا بقصد دفع شبه المخالفين التي يوردونها في أمور الأدلة العقلية (و) ما زاد على قدر الحاجة من (علم النجوم) كالمقدار المتعلق بالمغيبات المستقبلة والمتكلم على الكوائن الزمانية (أما الأول) وهو ما زاد على قدر الحاجة من علم الكلام (فقد قال في الخلاصة) من كتب الفتاوى (تعلم علم الكلام) وهو معرفة العقائد الصحيحة عن أدلتها العقلية والنقلية وسمي علم الكلام لان عنوان مباحثه كان قولهم الكلام في كذا وكذا ولأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه وأكثرا نزاعا وجدالا حتى أن بعض المتغلبة قتل كثيرا من أهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن ولأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم كالنطق للفلسفة ولأنه أول ما يجب من العلوم التي إنما تعلم وتتعلم بالكلام فأطلق عليه هذا الاسم لذلك ثم خص به ولم يطلق على غيره تميزا ولأنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام من الجانبين وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب ولأنه أكثر العلوم خلافا نزاعا فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين والرد عليهم ولأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم كما يقال لأقوى الكلامين هذا هو الكلام ولأنه لابتنائه على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية أشد العلوم تأثيرا في القلب وتغلغلا فيه فسمي بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح كذا في شرح العقائد للسعد (والنظر) أي التأمل (فيه) أي في علم الكلام (والمناظرة) أي المباحثة والمجادلة (وراء قدر الحاجة) في تحقيق المذهب الحق ورد الشبه عنه وإبطال زيغ الزائغين بأن زاد على ذلك قصد استحلاء مباحث الفرق الضالة

ومحبة الاطلاع على مناقشاتهم لأهل السنة والجماعة (منهي عنه) لأنه يورث الشك في الدين ونقصان مرتبة اليقين كمن يتعب في مداواة نفسه وقد ضربها بالسكين (وقال في) الفتاوى (البزازية ودفع الخصم) من المعتزلة وغيرهم (واثبات المذهب) الحق بالأدلة النقلية والبراهين العقلية أمر مهم (يحتاج) بالبناء للمفعول (إليه) في نصرة الدين فليس هو من القدر المنهي عنه (وفي) الفتاوى (التاتارخانية) في فقه الحنفية وعبارتها (وفي النوازل) اسم كتاب من كتب الفتاوى (قال أبو نصر) من أئمة الحنفية (بلغني أن حماد بن أبي حنيفة) النعمان صاحب المذهب رضي الله عنهما (كان يتكلم) أي يخاصم ويجادل (في علم الكلام) مع الناس (فنهاه عن ذلك) أبوه الإمام (أبو حنيفة) رضي الله عنه (فقال له ابنه قد رأيتك تتكلم في علم الكلام فما بالك تنهاني عنه قال) له أبوه رضي الله عنه (يا بني كنا نتكلم) في ذلك (وكل واحد منا) في حالة التكلم (كان الطير على رأسنا) كناية عن عدم حركة الرأس فإن من كان الطير على رأسه لا يحرك رأسه لئلا يطير الطير عنه وهو مثل يضرب لكمال التأني في الأمور والتؤدة فيها والسكون والوقار وعدم الاستعجال (مخافة أن نزل) أي نخطئ فإن الزلل في هذا العلم كفر وغاية الزلل في غيره من العلوم أنه فسق (وأنتم تتكلمون اليوم وكل واحد) منكم (يريد أن يزل) أي يخطئ (صاحبه) ليظفر عليه بالحجة سواء كان صاحبه في مذهبه أو مذهب غيره فإنه لا يجوز إرادة الزلل والخطأ لأحد مطلقا (وإذا أراد أحدكم أن يزل) أي يخطئ (صاحبه فقد أراد له أن يكفر) بالله تعالى (ومن أراد أن يكفر صاحبه) الذي يباحثه وهو من غير دينه (فقد كفر) هو (قبل أن يكفر صاحبه) لأن الرضاء بالكفر كفر (وعن أبي الليث الحافظ) رحمه الله تعالى (وهو) فقيه (كان بسمرقند متقدما في الزمان على الفقيه أبي الليث) المشهور (قال من اشتغل بالكلام) أي بعلم الكلام وأراد كثرة المباحثة فيه بحيث يستغرق بذلك غالب أوقاته لا من تكلم فيه أحيانا (محي) بالبناء للمفعول أي محى الناس (اسمه عن العلماء) فلا يقال له عالم (وعن أبي حنيفة رضي الله عنه قال يكره الخوض في) علم (الكلام) بكثرة المباحثة فيه واستحلاء المناقشة بمسائله

(ما لم تقع شبهة) له أو لغيره فيحتاج الأمر إليه حينئذ فيجوز الخوض مقدار الضرورة (فإذا وقعت شبهة وجب) عليه (إزالتها) لئلا ترفع اليقين من القلب (كمن يكون على شاطئ البحر ينبغي) أي يجب عليه (أن لا يوقع نفسه في البحر) لأنه هلاك له قال تعالى (**وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** * البقرة: ١٩٥) (فإن وقع) في البحر بإلقاء نفسه فيه أو بدون ذلك (وجب علينا إخراجه) من البحر فكذلك صاحب الشبهة إذا عرضت له أو اطلع أنها في غيره يجب عليه رفعها وإزالتها (انتهى) ما نقله عن التاتارخانية (أقول) يعني مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (أفاد هذا) الكلام المذكور (أنه) أي علم الكلام (فرض كفاية) لأجل نصرة الدين ورد شبه المخالفين وإزالة ما يقع في القلوب من ينقص اليقين (لكن لا ينبغي أن يعلمه) الإنسان (أو يتعلمه) من غيره (إلا كل) عبد (ذكي) أي صاحب ذكاء وهو الفطانة والحذق (متدين) أي صاحب ديانة وهي مراقبة الله تعالى في الاهتمام بأحكامه (مجد) أي ساع في تحصيل الكمال الديني أكثر من الكمال الدنيوي (وإلا) أي وإن لم يكن كذلك (يخاف) بالبناء للمفعول (عليه الميل إلى المذاهب الباطلة) قهرا عنه من عدم رسوخه في إتقان الدين ومحبة أحوال المتقين قال في شرح الدرر روي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أن قال لأن يلقى الله عبد بأكبر الكبائر خير من أن يلقاه بعلم الكلام فإذا كان هذا حال علم الكلام المتداول في زمانهم هكذا فما ظنك بالكلام الخلوط بهذيانات الفلاسفة المغمور بأباطيلهم المزخرفة انتهى قرأت بخط الشيخ أبي الطيب الغزي رحمه الله تعالى ناقلا عن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهنكاري قال أنبأنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي إجازة سمعت أبا نصر أحمد بن حاتم السجزي يقول قيل لأبي العباس بن شريح صاحب الشافعي ما التوحيد قال توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام وإنما بعث النبي صلّى الله عليه وسلّم بإبطال ذلك حدثنا أبو بكر الحميدي المعدل حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم سمعت الشافعي يقول لو علم الناس

ما في الكلام لفروا منه كما يفرون من الأسد وبإسناده عن الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول لأن يلقى الله الرجل بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام انتهى وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر قال روي عن الشيخ الإمام أبي الإمام أبي اليسر أنه قال نظرت في الكتب التي صنفها المتقدمون فيعلم التوحيد فوجدت بعضها للفلاسفة مثل إسحاق الكندي والاسفرادي وأمثالهما وذلك كله خارج عن الدين المستقيم زائغ عن الطريق لا يجوز النظر في تلك الكتب ولا يجوز إمساكها فإنها مشحونة من الشرك والضلال قال ووجدت أيضا تصانيف كثيرة في هذا الفن للمعتزلة مثل عبد الجبار الرازي والجبائي والكعبي والنظام وغيرهم لا يجوز إمساك تلك الكتب والنظر فيها لئلا تحدث الشكوك ويتمكن الوهم في العقائد وكذلك المجسمة صنفوا كتبا في هذا الفن مثل محمد بن هيضم وأمثاله لا يحل النظر في تلك الكتب ولا إمساكها فإنه شر أهل البدع وقد صنف الأشعري كتبا كثيرة لتصحيح مذهب المعتزلة ثم إن الله لما تفضل عليه بالهدى صنف كتابا ناقضا لما صنفه أولا، إلا أن أصحابنا من أهل السنة والجماعة نصرهم الله تعالى خالفوه في بعض المسائل فمن وقف عليها فلا بأس له بالنظر في كتابه وإمساكه وعامة أصحاب الشافعي أخذوا بما استقر عليه الأشعري وكذلك لا بأس بإمساك تصانيف محمد بن عبد الله بن سعيد القطان وهو أقدم من الأشعري وأقاويله توافق أقاويلنا إلا في مسائل قلائل لا تبلغ عشرا لكن إنما يحل النظر بشرط الوقوف على ما خولف فيه ودفع المتعنت المتعمق في الدين فلا بأس به وإن كان للتخجيل وطرح صاحبه ففيه أبؤس كما قرر في الظهيرية والحاصل أنه كره الاشتغال بعلم الكلام وتأويله عندنا كثرة المناظرة والمجادلة فيه لأنه يؤدي إلى إثارة البدع والفتن وتشويش العقائد أو يكون المناظر قليل الفهم او طالبا للغلبة لا للحق فأما معرفة الله تعالى وتوحيده ومعرفة النبوة والذي ينطوي عليه عقائدنا فلا يمنع منه كذا جزم به في الملتقط وذكر في موضع آخر وعن أبي حنيفة يكره الخوض في الكلام ما لم تقع شبهة فيجب إزالتها فالمناظرة لدفع مثله بأن

لا يكون مبتدئا أو لنصرة الحق من أجل الطاعات كما في الحاوي وقول من قال أن تعلمه والمناظرة فيه مكروه مردود قال الله تعالى (**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ** * الأنعام: ٨٣) الآية دل قوله تلك على إشارة إلى مناظرة في إثبات التوحيد وجعله من حجج الله مضافا إلى نفسه على شرفه وشرف العلم بقدر شرف المعلوم والمروي عن أبي يوسف أن إمامة المتكلم وإن كان بحق لا تجوز محمول على الزائد على قدر الحاجة والمتوغل فيه كما قيل من طلب الدين بالكلام تزندق ولا يريد المتكلم على قانون الفلاسفة لأنه لا يطلق على مباحثهم على الكلام لخروجه عن قانون الإسلام وهو من أجزاء الحد كذا في البزازية (وأما الثاني) وهو ما زاد على قدر الحاجة من علم النجوم (ففي سنن أبي داود عن ابن عباس) رضي الله عنهما (مرفوعا) أي قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (مَنِ اقْتَبَسَ) هو في الأصل أخذ القبس وهو الشعلة من النار ويراد به هنا الاستفادة أي من استفاد (عِلْماً مِنَ النّجُومِ) أي نوعا من أنواع علم النجوم وهو علم واسع فيه كتب عديدة يتكلمون فيها على كيفيات الاستخبار عن الكوائن الزمانية بأسباب معتادة عندهم ويتعاطون بنوع من ذلك معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ومواضع الكنوز ومقادير الأعمار ونحو ذلك مما يزعمونه وهو من الكهانة وقد أكذبهم كلهم الشرع (اقْتَبَسَ) أي استفاد (شُعْبَةً) أي قطعة (مِنَ السّحْرِ) وقدمنا بيانه (زاد من ذلك (مَا) أي الذي (زَادَ) فإن استفاد كثيرا فقد استفاد من السحر كثيرا وإن استفاد قليلا فقد استفاد منه قليلا فلا فرق بينه وبين السحر في الحكم (وقال في) كتاب (الخلاصة وتعلم علم النجوم) إن كان (قدر) أي مقدار (ما يعلم) به (مواقيت) جمع وقت (الصلاة) الخمسة (و) يعلم جهة القبلة لا بأس به) يعني هو جائز (و) تعلم (الزيادة) على ذلك (حرام) لأنه من السحر (انتهى) كلام الخلاصة وفي شرح الشيخ الوالد رحمه الله تعالى على شرح الدرر وقيل في تأويل قوله تعالى (**وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ** * الملك: ٥) أي جعلنا النجوم سببا لكذب المنجمين أطلق اسم الشيطان على المنجم وسمي هذيانه رجما من رجم بالغيب كذا في البزازية (وفي

بستان العارفين) لأبي الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (ولو تعلم من علم النجوم مقدار ما يعرف به) جهة (القبلة) يعرف به (أمر الحساب) أي حساب الأوقات والشهور والسنين (فلا بأس به) وهو أمر مباح (ولا يزيد عليه) أي على ما ذكر (إذا تعلم مقدار ما يعرف به القبلة وأمر الحساب) كما ذكرنا (انتهى) ما نقله من بستان العارفين (وفي) كتاب (تعليم المتعلم وعلم النجوم بمنزلة المرض) لمن تعلمه لأنه يمرض القلب في الإيمان بالغيب فيبقى العبد إذا تعلمه يزعم في نفسه علم ما كان قبل ذلك يكل علمه إلى الله تعالى من الأمور المغيبات (فتعلمه حرام لأنه يضر) بعالمه في دينه لأنه ينقله من الإيمان بالحق المغيب إلى الإيمان بالكذب الموهوم (ولا ينفع) أصلا (والهرب عن قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن) لمن اطلع بعلم النجوم أنه يقع له في المستقبل كذا وكذا وغايته أنه يبقى في الهم والغم وما قدر الله تعالى عليه وقضى به واقع لا محالة (انتهى) كلامه (أقول) يعني في مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (فما) أي الذي (هو) المقدار (الحرام من علم النجوم) هو (ما يتعلق بالأحكام) في الوقايع والنوازل المستقبلة (كقولهم) أي المنجمين (إذا وقع كسوف) للشمس (أو خسوف) للقمر (أو زلزلة) للأرض (أو نحوها) كانتشار الكواكب ذوات الأذناب (في زمان كذا) لوقت معين عندهم (سيقع) في الأرض (كذا) من غلاء أو رخص أو موت أو حرب ولذلك قال الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي قدس الله سره في باب الوصايا آخر كتابه الفتوحات المكية وإياك وتصديق الكهان وإن صدقوا واجتنب ما استطعت علم التعاليم وهو القضاء بالنجوم فإنه يردي وإن كان من جملة الأسباب ولكن الوقوف عند قول الشارع هو طريق النجاة وتحصيل السعادة وما ندندن إلا على ذلك انتهى كلامه ولنا رسالة في تحقيق هذا المحل سميناها اللؤلؤ المكنون في حكم الأخبار عما سيكون كما ذكرنا فيما تقدم (وأما معرفة) جهة (القبلة) وحضور (المواقيت) الزمانية (فيحصل بالعلم المسمى بالهيئة) أي علم الهيئة الذي يبحث فيه عن معرفة هيئة الأفلاك وكرة العالم (فلما كانا) أي استقبال القبلة ووقت الصلاة المفهومان مما ذكر (شرطي أداء

الصلاة) كما تقرر في موضعه (لزم معرفتهما) أي القبلة والوقت (بالتحري) وهو بذل المجهود لنيل المقصود وأصله طلب الأحرى الأولى من الأمور (والإمارات) أي العلامات جمع أمارة (وهذا العلم) الذي هو علم الهيئة (من جملة أسباب التحري والمعرفة) لذلك المذكور (فجاز الاشتغال به) والقراءة فيه وتعلمه (وأما أن يجب) ذلك على المكلف (فلا) يجب (إذ لا انحصار للأسباب) التي يعلم منها القبلة والوقت (فيه) أي في علم الهيئة (ولا يلزم) أحدا من المكلفين (اليقين) أي القطع (فيهما) أي في القبلة والوقت (بل يكفي) في بنيان الأمور عليهما (الظن) أي غالبه وفي الأشباه والنظائر ولو شك في دخول وقت العبادة فأتى بها فبان أنه فعلها في الوقت لم يجزه أخذا من قولهم كما في فتح القدير لو صلى الفرض وعنده أن الوقت لم يدخل فظهر أنه قد دخل لا يجزيه انتهى كلامه فإذا غلب على ظنه دخول الوقت لم يكن ذلك شكا فيجزيه وذكر في موضع آخر قال الشك تساوي الطرفين والظن الطرف الراجح وهو ترجيح جهة الصواب والوهم رجحان جهة الخطأ وأما أكبر الرأي وغالب الظن فهو الطرف الراجح إذا أخذ به القلب وهو المعتبر عند الفقهاء كما ذكره اللامشي في أصوله وحاصله أن الظن عند الفقهاء من قبيل الشك لأنهم يريدون به التردد بين وجود الشيء وعدمه سواء استويا أو ترجح أحدهما ولذا قالوا في كتاب الإقرار لو قال له علي ألف في ظني لا يلزمه شيء لأنه للشك وغالب الظن عندهم ملحق باليقين وهو الذي تبتنى عليه الأحكام يعرف ذلك من تصفح كلامهم في الأبواب صرحوا في نواقض الوضوء بأن الغالب كالمتحقق وصرحوا في الطلاق بأنه إذا ظن الوقوع لم يقع وإذا غلب على ظنه وقع (وأنه) أي علم الهيئة (يحتاج) في معرفته (إلى ذكاء) أي فطنة (وقوة حدس) أي فكر (وخيال وجد) أي سعي واجتهاد (كثير) وفيه الحرج (لا يقع التكليف به) في الشرع (لكل أحد إذ لا يكلف الله) سبحانه (نفسا) من عباده (إلا وسعها) أي مقدار ما تسع أي تستطيع بلا حرج عليها ولا صعوبة (وأيضا تحتاج معرفة القبلة) من علم الهيئة (إلى معرفة عرض كل بلد) مما هو فيها (وطوله) ليتحرر عنده أمر قبلتها (ولا

يمكن) تلك المعرفة (إلا بتقليد من تعرف عدالته) من واضع ذلك العلم الذي هو علم الهيئة فإن للإسلاميين فيه أوضاعا ولغيرهم كذلك ولهم ضوابط وقوانين يعرف بها ذلك وإذا كان الأمر مشتبها كذلك (فلا يوجب) علم الهيئة (العمل به) على من تعلمه لاحتمال متابعة غير الثقة في استعمال القواعد التي وضعوها (وأما سائر) أي بقية (علوم الفلاسفة) الأولين الذين كانوا في أيام الفترة وقبلها (فالمنطق) الذي هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في المفر وهو مقدمة للعلوم الفلسفية يفيد التحقيق فيها (داخل في) حكم (علم الكلام) الذي معظم أبحاثه مبنية على قواعد الفلاسفة للتمكن من الرد عليهم وعلى المعتزلة (و) في حكم (علم الهندسة) على حسب ما سبق بيانه (مباح) حيث لم يكن تحقيق الشرعيات متوقفا عليه ولا هو مضر فيها لأن المؤمن بالشرع لا يعلل بالعقل أحكام الشرع حتى يحتاج لعلم الميزان الذي هو المنطق ولا مانع من استعمال قواعده في فهم بعض المسائل فلا ينفعه ولا يضره (والإلهيات) أي المسائل المتعلقة بالاله من العلوم الفلسفية (ما يخالف منها الشرع) المحمدي كإثبات علة العلل وإنكار المعاد الجسماني وكون الأحد لا يصدر عنه إلا واحد ونحو ذلك (جهل مركب) فصاحبه جاهل ويجهل أنه جاهل (لا يجوز تحصيله) أي تعلمه وفهمه (و) لا (النظر) أي تأمل (فيه إلا على وجه الرد) عليه من عالم متمكن قادر على الرد والقاصر لا يجوز له التعرض مطلقا (وقد استقصي) بالبناء للمفعول أي تتبع الرد من علماء الكلام (في) علم (الكلام) فلا حاجة الآن إلى ذلك (وما) أي الذي (يوافقه) أي الشرع من الإلهيات الفلسفية (فداخل في) علم (الكلام أيضا) ففي علم الكلام غنية عن ذلك (والطبيعيات) أي المسائل الفلسفية المتعلقة بالطبيعية وما تولد منها من العناصر وما تركب من الأجسام (ما خالف منها الشرع) النبوي (فمبني على) المسائل (الإلهيات) المذكورة فالتفصيل فيه كالتفصيل فيها (وقد عرفت حالها) أي الإلهيات بأن ما خالف الشرع منها مردود (وما لم يخالف) الشرع (لم يمنع منه) لأنه اطلاع على أحكام عقلية لا تصادم حكما شرعيا وذكر ابن نجيم في

الأشباه والنظائر أن العلم قد يكون حراما وهو علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلم الطبايعيين والسحر ودخل في الفلسفة المنطق ومن هذا القسم علم الحرف والموسيقي انتهى وللشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي رحمه الله تعالى كتاب في الرد على العلوم الفلسفية سماه كشف الفضايح اليونانية ورشف النصايح الإيمانية وذكر الشهاب ابن حجر المكي في فتاواه قال وأما الاشتغال بالفلسفة والمنطق فقد أفتى بتحريمه ابن الصلاح وشنع على المشتغل بهما وأطال في ذلك ويجب على الإمام إخراج أهلهما من مدارس الإسلام وسجنهم وكف شرهم قال وإن زعم أحدهم أنه غير معتقد لعقائدهم فإن حاله يكذبه وأما استعمالا لاصطلاحات المنطقية في الأحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشعة وليس بها افتقار إلى المنطق أصلا وما يزعمه المنطقي للمنطق من الحد والبرهان فقعاقع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن لا سيما من خدم نظريات العلوم الشرعية هذا حاصل شيء من كلامه وما ذكره في الفلسفة صحيح، ومن ثم قال الأزرعي وما ذكرته من تحريمها هو الصحيح والصواب ونصوص الشافعي رضي الله عنه ناصة على تقبيح تعاطيه ونقل عنه التعذير على ذلك وما ما ذكره في المنطق فمعارض بقول الغزالي في مقدمة المنطق في أول كتابه المصفى هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بمعلومه أصلا وقوله في المنقذ من الضلال وأما المنطقيات فلا يتعلق شيء منها بالدين نفيا ولا إثباتا بل هو نظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمة البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وإن العلم إما تصور وسبيل معرفته الحد وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر فإنه من قبيل ما يتمسك به المتكلمون وأهل النظر في الأدلة وإنما يفارقونهم في العبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه إذا ثبت كل إنسان حيوان لزم منه أن بعض الحيوان إنسان وإن كل من ثبت أنه إنسان ثبت أنه حيوان ويعبرون عن هذا بأن الموجبة الكلية تلزم موجبة جزئية وهذا حق لا شك فيه فكيف ينبغي أن يجحد وينكر على أنه لا

تعلق له بمهمات الدين ثم متى أنكر مثل هذا لزم منه عند أهل المنطق سوء الاعتقاد في المنكر بل في دينه الذي يزعم أن فيه إبطال مثل هذا فتأمله تأملا خاليا عن التعصب تجده رحمه الله تعالى قد أوضح المحجة وأقام الحجة على أنه ليس فيه شيء مما ينكر ولا مما يجر إلى ما ينكر وعلى أنه ينفع في العلوم الشرعية كأصول الدين والفقه وقد أطلق الفقهاء أن ما ينفع في العلوم الشرعية محترم ثم قال بعضهم كالأسنوي إن المنطق غير محترم فعلمناه أن مراده المنطق الذي لا ينفع في العلوم الشرعة أو الذي يعود منه ضرر على الدين وهذا نوع من منطق الفلاسفة يبحثون فيه عن نحو ما ذكره الغزالي ثم يدرجون فيه البحث عن حال الموجودات وكيفية تراكيبها ومفاهيمها وأعراضها وغير ذلك مما يخالفون فيه علماء الإسلام حتى انتصبوا لهم وردوا جميع مقالاتهم الفظيعة الشنيعة فمثل هذا الفن من المنطق هو الذي يحرم الاشتغال به وعليه يحمل كلام ابن الصلاح ويدل لذلك قوله فيما مر عنه وكف شرهم وقوله وإن زعم أحدهم أنه غير معتقد لعقائدهم فإن حاله يكذبه فعلمنا أن كلامه في منطق له شر وله أهل يعتقدون خلاف عقائد المسلمين وهو النوع الذي ذكرته لا غير وأما المنطق المتعارف الآن بين أيدي أكابر علماء أهل السنة فليس فيه شيء مما ينكر ولا شيء من عقائد المتفلسفين بل هو علم نظري يحتاج لمزيد رياضة وتأمل يستعان به على التحرز عن الخطأ في الفكر ما أمكن فمعاذ الله أن ينكر ذلك ابن الصلاح ولا أدون منه وإنما وقع التشتيع عليه من جماعة من المتأخرين لأنهم جهلوه فعادوه كما قيل من جهل شيئا عاداه وكفى به نافعا في الدين أنه لا يمكن أن ترد شبهة من شبه الفلاسفة وغيرهم من الفرق إلا بمراعاته ومراعات قواعده وكفى الجاهل به أن لا يقدر على التفوه مع الفلسفي وغيره العارف به بنت شفة بل يصير نحو الفلسفي يلحن بحجته وذلك الجاهل به وإن كان من أكابر العلماء ساكت ولقد أحسن القرافي من أئمة المالكية وأجاد حيث جعله شرطا من شرائط الاجتهاد وإن المجتهد متى جهله سلب عنه اسم الإجتهاد فيكون المنطق شرطا في منصب الاجتهاد فلا يمكن حينئذ أن يقال الاشتغال به منهي عنه أو أن العلماء

المتقدمين كالشافعي ومالك لم يكونوا عالمين به فإن ذلك يقدح في حصول منصب الاجتهاد لهم نعم هذه العبارات الخاصة والاصطلاحات المعينة في زماننا لا يشترط معرفتها بل معرفة معانيها فقط وقال السبكي ينبغي أن يقدم على الاشتغال به الاشتغال بالكتاب والسنة والفقه حتى يتروى منها ويترسخ في ذهنه الاعتقادات الصحيحة ويعلم من نفسه صحة الذهن بحيث لا تتروج عنده الشبهة على الدليل فإذا وجد شيخا ناصحا دينا حسن العقيدة جاز له الاشتغال بالمنطق وينتفع به ويعينه على العلوم الإسلامية وهو من أحسن العلوم وأنفعها في كل بحث ومن قال أنه كفر أو حرام فهو جاهل فإنه علم عقلي محض كالحساب غير أن الحساب لا يجر إلى فساد وليس مقدمة لعلم آخر فيه مفسدة والمنطق من اقتصر عليه ولم يكن له سليقة صحيحة حشي عليه التزندق والتغلغل باعتقاد فلسفي من حيث يشعر أو لا يشعر قال وفصل القول فيه أنه كالسيف يجاهد به شخص في سبيل الله ويقطع به آخر الطريق وهذا نص فيما قدمناه إن المنطق قسمان قسم منه لا يخشى على المشتغل به شيء مما ذكره والقسم الآخر وهو المدرج فيه كثير من العقائد الفلسفية ولا يجوز الحوض فيه إلا لمن أتقن ما ذكره ووجد شيخا بالصفة التي ذكرها فهذا يجوز له الاشتغال حتى بهذا القسم لأنه يؤمن عليه ولقد اشتغل بهذا القسم كثير من الفحول حتى أحكموه وتمكنوا به من تمام الرد على الفلاسفة وتزييف مقالاتهم الباطلة انتهى كلامه ببعض اختصار وسبحان الله الذي لا إله إلا هو، المراد بالمنطق ما عرفه علماؤه بقولهم هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر وهو قسم واحد لا قسمان سواء خلطوه بالفلسفيات أو تجرد عن ذلك وخلطه بالفلسفة لا يخلو اما أن تكون مسائل الفلسفة بعده وهو مقدمة لها في تصنيف واحد المنطق هو المقدمة لا مع ما بعدها كما قال السعد في أول شرح العقائد أن علم الكلام يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم كالمنطق للفلسفة ومراده أن المنطق مقدمة لعلم الفلسفة وإما أن تكون مسائله وقواعده أمثالها التي تذكر فيها وشواهدها من مسائل علم الفلسفة

فهو المنطق الذي هو آلة قانونية بعينه وأمثاله وشواهده إذا ذكرت فيه لم تذكر إلا لإيضاح قواعده وضوابطه كالنحاة لما مثلوا بقام زيد وإن كان زيد لم يقم فإن هذا الكذب لا يضر لأن مرادهم إيضاح القاعدة لا غير ونحوه كثير فلا معنى لجعله قسما آخر غير المنطق الخالي من ذلك ولئن سلمنا أنه قسمان كما ذكر وأن المنهي عنه القسم الممزوج بالفلسفيات لأنه يؤول بصاحبه إلى الزندقة كما قال السبكي قد شرط لجواز الاشتغال به تقدم الاشتغال بعلوم الدين حتى يترسخ فيها فلا نسلم أن غير الممزوج بذلك لا يؤول بصاحبه إلى الزندقة أيضا ما لم يتقدمه الاشتغال بعلوم الدين حتى يترسخ فيها لأن جميع الفرق الضالة إنما خالفوا أهل السنة واختلفوهم فيما بينهم بسبب تعلمهم هذا القسم من المنطق الخالي من الفلسفيات واستعمال قواعده في مسائل عقائدهم فكيف يكون ضرره مأمونا وقد أنتج في الإسلام هذا الاختلاف العظيم والفساد الكبير فإنه كان أولا بغير اللسان العربي لأنه من استخراج الحكماء اليونانيين فنقله بعض ملوك العباسيين إلى اللغة العربية وخاض فيه الإسلاميون فكثرت الفرق الضالة وجادلوا به في الدين كما أشار إليه ابن الشحنة في شرح السلم والعجب ممن جعله شرطا في الاجتهاد فلعله يزعم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعلمونه من النبي صلّى الله عليه وسلّم أو يتدارسونه بينهم لأنهم كلهم مجتهدون وقد جعله هذا القائل من شروط الاجتهاد فعند فقد العلم به يفقد الاجتهاد وهو باطل لأن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يشغلوا أنفسهم بهذا الفشار الذي اخترعه الحكماء الفلاسفة بل من اعتقد في النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه كان يعلم الصحابة هذه الشقاشق والهذيانات المنطقية فهو كافر لتحقيره علم النبي صلّى الله عليه وسلّم معلم الخير والحق والإيمان لا المعقولات التي تهدم دين الإسلام من أصله لأنه ليس مبنيا عليها بل على التسليم والإذعان فإذا تحكم بها العبد فيه تحولت أحكامه معللة بالعلل العقلية وذهبت أنوار سننه بظلمات البدع الشيطانية وأعجب من هذا قوله أيضا نعم هذه العبارات الخاصة والاصطلاحات المعينة في زماننا لا يشترط معرفتها بل معرفة معانيها فقط فإنه

إن أراد بالعبارات والإصطلاحات الألفاظ فإنها ليست علم المنطق وإن أراد المعاني فالمعاني ليس لها معاني وعلم المنطق ليس إلا هذه الاصطلاحات والقواعد والضوابط المفهومة من الألفاظ التي هي تقسيمات الإدراكات العقلية ومتى لم تعتبر هذه الاصطلاحات والقواعد والضوابط من حيث هي قواعد وضوابط فهي الإدراك العقلي وليست بعلم المنطق فإن أراد بكون الإمام الشافعي ومالك رضي الله عنهما كانا يعلمان علم المنطق أنهما كانا يعلمان هذه القواعد والضوابط الاصطلاحية لا من حيث هي قواعد وضوابط اصطلاحية بل من حيث هي إدراكات عقلية فكأنه قال بأن الإمام الشافعي ومالك كان لهما إدراك عقلي وهذا أمر لا ينازعه فيه أحد ولا ينبغي أن يذكر لأن أحدا لا يتوهم عدمه وكذلك إن أريد هذا المعنى في قول من جعل المنطق شرطا في الاجتهاد فكأنه جعل الإدراك العقلي شرطا في الإجتهاد وهو أمر معلوم بالبداهة إذ من لم يكن له كمال إدراك عقلي كيف يمكنه الاجتهاد في الدين والحاصل أن كل مكلف مكلف مأمور بتقوية الجزء الإيماني فيه وهو الإسلام والإذعان لجميع ما ورد عن الله ورسوله على حسب ما يعلمه الله ورسوله وتقويته إنما تكون بالامتثال للأمر والاجتناب للنهي والمبالغة في ذلك كما قال تعالى (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** * العنكبوت: ٦٩) فقد وعد الله تعالى بالهداية للمجاهد فيه بامتثال أمره واجتناب نهيه وهي المجاهدة الشرعية في النفس والهوى والشيطان والدنيا فإن هذه الأربعة قواطع عن القرب إليه تعالى فمتى جاهدها المكلف بالطاعة لله تعالى والمخالفة لها هداه الله تعالى فعرفه به وأدناه منه زلفى وكشف له عن معاني الكتاب والسنة بطريق الفيض والإلهام ما تعجز عنه العقول والإفهام وليس المكلف مأمورا بتقوية الجزء العقلي منه لأن تقوية ذلك يضره في دينه لأن الدين المحمدي ليس مما يدرك بالعقول خصوصا في مذهب الشيخ الأشعري رضي الله عنه بأن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان والعقل لا يدرك حسن شيء أصلا ولا قبحه كما هو مقرر في الأصول وهذا القسم من المنطق ولو قلنا أنه خال من الفلسفيات فإنه يقوي العقل على جانب الإيمان والتسليم للشرع

فيضعف الجزء الإيمان التسليمي بسبب قوة الجزء العقلي إن لم يذهب الجزء الإيمان بالكلية أو ينقلب عقليا كما هو مشاهد في كثير من الناس تراه لا يقبل حكما من أحكام الشرع ما لم يكن أمرا معقولا وللعقل مدخل في إدراكه ولهذا تكلم أهل التأويل في المتشابهات وخاضوا فيها بالمعاني العقلية ولم يقدروا أن يؤمنوا بها على ما هي عليه ولا استطاعوا أن يطمئنوا قلوبهم بما يعلمه الله تعالى منها ويعلمه رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لقوة الجزء العقلي فيهم بحيث غلب على نور إيمانهم فأضعفه بالكلية فتراهم لا تقوى قلوبهم ولا تطمئن نفوسهم إلا إذا وافق حكم الشرع المحمدي عقولهم وإذا لم يوافقها تعب في الموافقة بين العقل والشرع والجزء الايماني ضعيف فيهم جدا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور الحق والصواب تحريم علم المنطق كله بقسميه المذكورين على فرض انقسامه إليهما لإيصاله إلى ما ذكرنا من اعتياد المكلف استعمال ضوابطه وقواعده وغلبة ذلك عليه في كل ما يريد إدراكه من الدين مع أن الدين ليس مبنيا على الفهوم العقلية وإن احترز متعلمه من استعماله في إدراك الدين به فلا نتيجة له حينئذ وإن زعم أن له نتيجة أخرى في غير الإدراك فهو ممتنع منه فتلخص من هذا إن المنطق ضرر محض على أهل الإسلام إنما بعث متعلموه على تعلمه حب الإنفراد بعلم لا يعلمه أهل الإسلام وطلب الرياسة به على الأقران ولهذا صرح القائل فيما تقدم بأنه يكفي الجاهل به أنه لا يقدر على التفوه مع الفلسفي وغيره العارف به بنيت شفة إلى آخر ما مر فإنه جعل هذا العلم الذي تعلمه موصلا إلى هدم القواعد الإسلامية من أصلها كمالا في الفلسفي وغيره العارف به مع أن المؤمن إذا جهل مبنى أساس الكفر والضلال فذلك في حقه عين الكمال ومن المعلوم أن من قدر على إبطال المذاهب الفلسفية وغيرها مما أسس على القواعد المنطقية بهذه القواعد المنطقية فإنه لا يبطلها بأمر هو مبنى الدين المحمدي بل بما هو مبنى تلك المذاهب الباطلة وهو العقل فلا يستطيع إبطالها بما بنيت عليه ولئن أمكنه ذلك فإن أهلها يجيبون عن ذلك والعقل معهم لأن مبنى دينهم عليه والقواعد المنطقية تساعدهم فيجيبون عن جميع ما يرد

عليهم ويعاندون بالحماية للدين الباطل فلا يفيد ذلك الإبطال شيئا فإن المذاهب الباطلة لا يبطلها إلا الدين الحق والقواعد الإسلامية المحمدية وليست هي العقل بل لا دخول له فيها أصلا وإنما له تلقيها من الكتاب والسنة بدون استعمال قواعده بل بالإيمان والتسليم والإذعان ولهذا قال العارف بالله الشيخ رسلان الدمشقي رضي الله عنه في رسالته الناس تايهون عن الحق بالعقل فانظر كيف جعل العقل مضلا عن الحق لا هاديا إليه فإذا كان مضلا فكيف يمده المكلف بتفصيل قواعد إدراكاته وضوابط مفاهيمه حتى يقويه فيغلب عليه فلا يقدر بعد ذلك على رده والمطلوب منه أضعاف عقله بكثرة نور إيمانه حتى يبقى عقله تبعا لما جاء به نبيه كما ورد في الحديث لا أن يبقى ما جاء به نبيه عليه السلام تبعا لعقله وقد ورد في الكتاب والسنة طلب الإيمان من المكلف لا التعقل كما قال تعالى (**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** * الأعراف: ١٥٨) ولم يقل فاعقلوا ونحو ذلك (**وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** * البقرة: ٢١٣) (وأما السحر) وتقدم بيانه (والنيرنجات) وهي نوع من السحر يسمى الدك والشعبذة (ونحوهما) أي نحو السحر والنيرنجات (من) أنواع (الشرور) القبيحة (والمعاصي) الموجبة للفضيحة (فيجوز تعلمها للاحتراز عنها) لا للرغبة في عملها (كما قيل) أي قال الشاعر في مثل هذا المعنى (عرفت الشر) ضد الخير (لا للشر) أي لا لأجل الرغبة فيه والاهتمام به (لكن) عرفته (لتوقيه) أي للاحتراز عنه ولدفعه إذا قابلني به أحد (ومن لم يعرف الشر) ويتعلم طرقه المختلفة (فإنه يقع فيه) أي في الشر لالتباسه عليه وعدم معرفته به (وأما المناظرة) وهي المقابلة بالنظر العقلي والفكر في الأبحاث العلمية من الطرفين مفاعلة لأن كل واحد ينظر بعقله في كلام الآخر (والحيلة فيها) أي في المناظرة لأجل دفعها (ففي) كتاب (الخلاصة التمويه) أي إظهار ما ليس بحق في صورة الحق ومنه الاستطراد في البحث إلى شيء آخر بحيث ينتقل الكلام من مسألة إلى مسألة أخرى ولم تكن تحققت عندهما (والحيلة في المناظرة) لطرح الخصم عنها وقطع كلامه ومنها أن يحمل أحدهما الآخر على أن يقول ما ليس بمذهبه لأجل إلزام الحجة عليه وكذلك التنزل إلى

مذهب الخصم لإلزامه (إن تكلم معك) من تناظره حال كونه (متعلما) أي طالبا منك التعليم والاستفادة (مسترشدا) أي طالبا الرشد وهو الهداية إلى الصواب وهذا معلوم بقرائن الأحوال عندك (أو تكلم على الإنصاف) لك بلا جور منه عليك في ظهوره الحق على يديك (بلا تعنت) أي معاندة ومكابرة في الحق (يكره) لك حينئذ التمويه والحيلة لتصرفه عن المبحث الذي أنت تناظره فيه قبل أن يتحقق بينكما لأن في ذلك كتمانا للدين وشحا ببيان الحق (وكذا إذا تكلم) معك خصمك المناظر لك حال كونه (غير مسترشد) أي طالب للرشد منك (لكن على الإنصاف) أي منصفا لك في البحث معك (بلا تعنت) منه عليك ولا معاندة فإنه يكره التمويه منك والحيلة عليه في صرفه عن المسألة (فإن تكلم) الإنسان (مع من) أي الذي (يريد التعنت) أي المعاندة والمكابرة وعدم التسليم للحق وإن ظهر له (ويريد) الإنسان (أن يطرحه) أي يقطع عليه كلامه بالنقل إلى كلام آخر أو بتغطية وجه الصواب عليه في الكلام وإبهام الأمر ومنه قوله تعالى (**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** * سبأ: ٢٤) وقول حسان رضي الله عنه في حق النبي صلّى الله عليه وسلّم يخاطب بعض الكافرين:

هجوت محمدا وأذب عنه * وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

(لا يكره) طرحه عن المناظرة حينئذ (و) ينبغي أن (يحتال) عليه (كل حيلة) تمكنه (ليدفع عن نفسه) إرادة تعنت خصمه عليه وعناده له ومكابرته معه في الحق ومجادلته بالباطل كما قال تعالى (**وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** * غافر: ٥) (لأن الحيلة) على الخصم (لدفع التعنت) منه (مشروعة) سائغة في الشرع (قال صاحب الخلاصة) الإمام رشيد الدين البخاري رحمه الله تعالى (سمعت القاضي الإمام) ولعله قاضيخان صاحب الفتاوى رحمه الله تعالى (يقول إن أراد) المنظر (تخجيل الخصم) أي إلقاءه في الخجل وهو زيادة الحياء بظهور جهله وإفحامه بالأدلة (يكفر) لأنه استهان بالدين حيث

جعل مسائله آلة لإنفاذ حظوظ نفسه في خصمه وأظهر بذلك التقرب والطاعة لله تعالى ولأنه أحب أن يزل خصمه ويخطئ ليظهر ارتفاع قدره عليه ومن أحب زلة غيره فقد أحب كفره فيكفر (قال) يعني صاحب الخلاصة (رأيت في موضع آخر) يقول القاضي الإمام المذكور أو غيره (وعندي لا يكفر) إن أراد تخجيل خصمه (و) لكنه (يخشى) بالبناء للمفعول أي يخاف (عليه الكفر) لاحتمال أنه لم يرد شيئا مما ذكر فربما يؤول به ذلك إلى إرادة ما ذكر (انتهى) أي ما نقله عن الخلاصة قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (والأولى) أي الأحرى والأحق (في زماننا) هذا الكثير الشر القليل الخير وهو عصر التسعمائة (أن لا يناظر) الإنسان (أحدا) مطلقا (إذ) أي لأنه (قل ما يوجد) في طلبة العلم اليوم وفي العلماء (من يريد) بمناظرته (إظهار الصواب) من غير حظ نفساني قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر قال مشايخنا لو ناظر مع غيره إن كلمه غيره متعلما مسترشدا غير متعنت لا يحل له الحيلة لطرحه في المناظرة معه لأن ذلك يؤدي إلى إخفاء العلم وكتمانه وأنه حرام وإن كان متعنتا يحل له أن يحتال كل حيلة لدفعه عن نفسه لأنه من أراد زلة صاحبه فكأنما أراد تكفيره فيكفر قبل أن يكفر صاحبه ولا يجب على الفقيه كذا في المبتغى والإجابة عن كل ما يسأل عنه غير واجبة إلا إذا علم أنه لا يجيب غيره فيلزمه جوابه لأن الفتوى والتعليم فرض كفاية من المبتغى أيضا انتهى وذكر الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه في باب الوصايا آخر كتابه الفتوحات المكية قال وإياك والمراء في القرآن فإنه كفر بنص الحديث وهو الخوض بأنه محدث أو قديم وهل هو هذا المكتوب في المصاحف والمتلو المتلفظ به عين كلام الله تعالى أو ما هو عين كلام الله تعالى فالكلام في مثل هذا والخوض فيه هو الخوض في آيات الله تعالى وهذا هو المراء والجدال المنهي عنه (**النوع الثالث**) من أنواع العلوم الثلاثة (في) بيان العلوم (المندوب إليها) أي المستحبة (وهي معرفة فضائل) أيما فيه فضيلة من (الأعمال) البدنية والقلبية كالصدقة بما زاد على الكفاية والإكثار من ذكر الله تعالى بالقلب واللسان والنظر في المصحف

ونحو ذلك (ونوافلها) أي الأعمال كصلاة الضحى وركعتي الوضوء وركعتي المسجد (وسننها) المؤكدة وغير المؤكدة (ومكروهاتها) التحريمية والتنزيهية (و) معرفة (فروض الكفاية) بأنواعها (فيما) أي فروض كفاية (وجد القائم بها) من الناس فإنها لا تبقى فروضا بعد ذلك ولا يثاب فاعلها ثواب الفرض إذا أتى بها بعد إتيان من سقط الفرض بإتيانه وإنما يتنفل بها بعد ذلك في غير صلاة الجنازة قال في الهداية وإن صلى الولي لم يجز لأحد أن يصلي بعده لأن الفرض يتأدى بالأول والتنفل بها غير مشروع ولهذا رأينا الناس تركوا عن آخرهم الصلاة على قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو اليوم كما وضع انتهى وقد بينا هذه المسألة في رسالة سميناها غاية الوجازة في تكرار الصلاة على الجنازة (و) كذلك (التعمق) يقال عمق النظر في الأمور بالغ وتعمق كذا في القاموس (والتوغل) وغل في الشيء يغل وغولا دخل وتوارى أو بعد وذهب وأوغل في البلاد والعلم ذهب وبالغ وأبعد كتوغل كذا في القاموس والمراد هنا الإكثار (في أدلة) جمع دليل (فروض العين) وأدلة فروض (الكفاية و) في (وجوههما) أي وجوه أدلة الشيئين وهو إقامة الدليل على الدليل فالأول يسمى تحقيقا والثاني تدقيقا (ومنها) أي من العلوم المندوب إليها علم (الطب) وهو العلم الذي يبحث فيه عن أمزجة الحيوان وما يعدلها (قال في بستان العارفين) لأبي الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (يستحب للرجل أن يعرف من) علم (الطب مقدار ما يمتنع) أي يتباعد بسببه (عما) أي عن الأمر الذي (يضر) تناوله أو إهماله (ببدنه) من أنواع المآكل والمشارب والأدوية والعلاجات (انتهى) كلام بستان العارفين قال مؤلف متن هذا الكتاب رحمه الله تعالى (ولا يجب) معرفة هذا المقدار من الطب (لأن التداوي) أي استعمال الدواء في المريض (لا يجب) لأن حصول الشفاء به أمر مظنون فكم من مريض تداوى ولم يشفه الدواء وكم من مريض شفاه الله تعالى من غير دواء والاستشفاء بالدواء نادر ولا يترتب على النادر الوجوب (قال في) كتاب (الخلاصة رجل استطلق بطنه) أي لم يقدر على إمساك غائطه (أو رمدت عيناه) أو نحو ذلك من أنواع الأمراض (فلم يعالج) نفسه

بشيء من الدواء (حتى أضعفه) ذلك الداء (ومات) منه (لا إثم عليه) ولا عقاب في الآخرة (وفرق بين هذا الحكم) المذكور (وبين ما إذا صام ولم يأكل) الطعام أياما كثيرة (حتى مات) من شدة الجوع (وهو قادر) على الأكل فإنه (يأثم) حينئذ (والفرق) بين الأمرين (أن الأكل مقدار قوته فرض) عين عليه (لأن فيه شبعا) من الجوع (بيقين) من غير شك كما هو العادة المعروفة (فإذا ترك) الاستشفاء بالأكل (كان متلفا لنفسه) مع القدرة عليه عمدا (ولا كذلك المعالجة) بالدواء في المريض (لأن الصحة) من المرض (بالمعالجة بالدواء (غير معلومة) بل هي أمر مظنون نادر الوقوع فلا يبتني عليه حكم شرعي إيجابي فغاية ما في الباب أنه يبتني عليه الاستحباب كما ذكر وفي المواهب اللدنية روى مسلم عن جابر مرفوعا (**لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى**) فالشفاء متوقف على إصابة الدواء الداء بإذن الله تعالى وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية والكمية فلا ينجح بل ربما أحدث داء آخر وفي رواية عن الحميدي في كتابه المسمى بطب أهل البيت ما من داء إلا وله دواء فإذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعل بين الداء والدواء فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فإذا أراد الله برءه أمر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وفي حديث ابن مسعود رفعه (**إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله**) رواه أبو نعيم وغيره وفيه إشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل احد وأما قوله (**لكل داء دواء**) فيجوز أن يكون على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة والأدواء التي لا يمكن طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل لها أدوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم إليها سبيلا لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله تعالى ولهذا علق صلّى الله عليه وسلّم الشفاء على مصادفة الدواء وقد يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من دائه بدواء فيبرأ ثم يعتريه بعد ذلك الداء بعينه فلا ينجح والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين تشابها ويكون أحدهما مركبا فلا ينجح فيه ما ينجح في الذي ليس مركبا فيقع

الخطأ من هنا وقد يكون متحدا لكن يريد الله أن لا ينجح ومن هنا تخضع رقاب الأطباء (وقال في) كتاب (فصول) جمع فصل (العمادي) وهو كتاب من كتب الفتاوى في فقه الحنفية يشتمل على أربعين فصلا (اعلم أن الأسباب) جمع سبب وهو ما يتوصل به إلى غيره (المزيلة للضرر) في البدن (تنقسم) ثلاثة أقسام (إلى) قسم (مقطوع به) أي بكونه سببا موصلا إلى إزالة الضرر بحسب التكرار في العادة ومشاهدة ذلك على الحس من دون شك ولا شبهة لأحد في ذلك أصلا (كالماء المزيل لضرر العطش) من العطشان (والخبز المزيل لضرر الجوع) من الجيعان وذلك بأن يخلق الله تعالى الري ويرفع العطش في باطن المستعمل لذلك عند وصول الماء إلى الجوف من غير تأثير للماء في ذلك أصلا ولا استعانة منه تعالى بالماء على ذلك وكذلك الخبز يخلق الله تعالى الشبع عند وصوله إلى الجوف بلا تأثير من الخبز ولا استعانة به أصلا وهكذا جميع الأسباب العادية (وإلى) قسم (مظنون) زوال الضرر به (كالفصد والحجامة) في حق المريض المحتاج إلى ذلك في عرف الأطباء (وشرب) الدواء (المسهل) والقابض (وسائر أبواب الطب) المذكورة في كتب الطب (أعني معالجة البرودة) الغالبة على مزاج الحيوان (بالحرارة) الغالبة في الدواء من مركب وبسيط كالمعاجين والعقاقير (و) معالجة (الحرارة) الغالبة في مزاج الحيوان أيضا (بالبرودة) الغالبة في دواء مركب أو بسيط (وهي الأسباب الظاهرة) أي المعلومة (في) علم (الطب وإلى) قسم (موهوم) أي يحتمل الشفاء وعدمه (كالكي) بالنار ولهذا قالوا آخر الطب الكي فللكي الآخرية لأنه أضعف احتمالا للشفاء وأما غيره من المعالجات فهو أقرب منه إلى الشفاء فهو أول الطب (والرقية) بالضم العوذة وجمعها رقى ورقاه رقيا فهو رقاء نفث في عوذته كذا في القاموس (أما) القسم (المقطوع به) من الأسباب المزيلة للضرر عن البدن (فليس تركه من التوكل) على الله تعالى (بل تركه حرام) على العبد (عند خوف الموت) من العطش أو الجوع ونحو ذلك فإن ترك هذا القسم معصية على المتعين عليه والتوكل على الله تعالى طاعة فليس هو من التوكل ولا التوكل منه (وأما) القسم (الموهوم) من الأسباب المذكورة (فشرط)

حصول (التوكل) على الله تعالى (تركه) أي ترك هذا القسم لأنه موهوم والتوكل مقام يقيني فينافيه الامر الوهمي (اذ) أي لأنه (به) أي بترك هذا القسم الموهوم (وصف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المتوكلين) على الله تعالى (وذلك في حديث) صحيح (بلغنا) أي وصل إلينا (عن رسول الله صلى الله عليه فيما رواه ابن مسعود) رضي الله عنه (أنه عليه السلام قال أريت) بالبناء للمفعول أي أراني الله تعالى (الأمم) كلهم (بالموسم) متعلق بأريت أي وأنا في موسم منى (فرأيت أمتي) من أولهم إلى آخرهم (قد ملأوا السهل والجبل فأعجبني كثرتهم) العظيمة (وهيأتهم) المستقيمة (فقيل) أي قال قائل (لي) ولعله الله تعالى (أرضيت قلت نعم) يعني رضيت (قال ومع هؤلاء) أي وفي جملتهم (سَبْعُونَ أَلْفاً) والعموم يقتضي أن فيهم الرجال والنساء والأحرار والعبيد والكبار والصغار (يَدْخُلُونَ الْجَنَّة بِغَيْرِ حِسَابٍ) عليهم فيما عملوا لأن عملهم لم يكن بقوة نفوسهم بل بقوة ربهم شهودا ذوقيا فهم ربانيون لا نفسانيون كما قال الله تعالى (**وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ** * آل عمران: ٧٩) الآية (قيل) أي قال بعض الصحابة (من هم) أي السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون) أي لا يتداوون بالكي إذا مرضوا (ولا يرقون) أي يتداوون بالرقية (ولا يتطيرون) أي يتشاءمون من شيء مطلقا (وعلى ربهم يتوكلون) قدم الجار والمجرور لإفادة الحصر أي لا على غيره (فقام عكاشة) بن محصن الأسدي وكان من فضلاء الصحابة توفى في خلافة الصديق رضي الله عنه في زمن الردة وعمره خمس وأربعون سنة (فقال يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم) أي من هؤلاء السبعين ألفا المذكورين (فقال) النبي صلّى الله عليه وسلّم (اللهم اجعله منهم فقام) رجل (آخر) من الصحابة (فقال) يا رسول الله (ادع الله أن يجعلني منهم فقال عليه الصلاة والسلام سبقك بها) أي بهذه الفعلة أو الحالة (عكاشة) المذكور وذلك لأن قيامه كان ابتداء لله تعالى لا إقتداء ومتابعة لأحد بلا حظ نفساني وأما قيام الثاني فلعله كان لحظ نفسه حين رأى عكاشة سبقه إلى هذا المقام فقصد مساواته بسعيه وهو مجرد سؤال النبي صلّى الله عليه

وسلّم تلك الحالة فاقتدى بعكاشة في ظاهره دون باطنه فأخبره النبي صلّى الله عليه وسلّم إن عكاشة سبقه وسبقه له كان في الظاهر والباطن أما في الظاهر فظاهر وأما في الباطن فلتباعده عن حظ نفسه في طلبه ذلك وسلامة صدره من الاعتماد على الأغيار والمنافسة في جميع الأطوار ولهذا جميع الأحوال لا تحصل لعبد ينافس فيها غيره ولا لمن يحسد أو يحقد أو يقصد بها التشهي أو المباهات أو الامتحان بل طريقها سلامة الصدور والنية الحسنة مع الدوام على ذلك كما قال شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه ما وصلت إلى الله بقيام ليل ولا صيام نهار ولا دراسة علم ولكن وصلت إلى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر (وصف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المتوكلين بترك الكي والرقية والتطير وأقواها الكي) في أهمية تركه (ثم الرقية والطيرة آخر درجاتها) على حسب ما ذكر في لفظ الحديث (والاعتماد عليها) أي على هذه الثلاثة أو على أحدها (والاتكال إليها) في قصد القلب (غاية التعمق في ملاحظة الأسباب) العادية (وأما الدرجة المتوسطة وهي) الاسباب (المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة) أي المعلومة (عند الأطباء) أي علماء الطب (فعله ليس مناقضا للتوكل) على الله تعالى (بخلاف) القسم (الموهوم) من الأسباب فإن فعله يناقض التوكل بنص الحديث السابق (وتركه) أي ترك القسم المظنون (ليس محذورا) أي ممنوعا منه حراما (بخلاف) القسم (المقطوع به) فإن تركه حرام عند خوف الموت كما مر (بل قد يكون) هذا القسم المظنون (أفضل من فعله في بعض الأحوال) بالنسبة إلى من يخاف عليه الاعتماد على الأسباب بقلبه (وفي حق بعض الأشخاص) المعتمدين على غير الله تعالى غفلة منهم عن الله تعالى فتركه حينئذ أفضل لتقوية القلوب الضعيفة في مقام اليقين (فهو) أي هذا القسم المظنون (على درجة بين الدرجتين) درجة الفعل ودرجة الترك يدور مع المقتضى لأحدهما (انتهى) ما نقله من فصول العمادي باختصار ثم هذا التطيب المذكور حيث لا ينافي مقام التوكل على الله تعالى لا فرق فيه بين التطبب بطبيب مسلم أو كافر إذا غلب على ظن المريض أنه صادق فيما يصف له من الدواء إذ رب مسلم يكذب

وكافر يصدق والمعتبر غلبة ظن المريض خصوصا بعد تجربة الحذق منه وهذا من قبيل المعاملات وقول الكافر فيها مقبول عندنا قال في شرح الدرر وقبل قول كافر ولو كان مجوسيا قال شريت اللحم من مسلم أو كتابي فحل أو من مجوسي فحرم قال في الكنز ويقبل قول الكافر في الحل والحرمة وقال الزيلعي هذا سهو لأن الحل والحرمة من الديانات ولا يقبل قول الكافر في الديانات وإنما يقبل في المعاملات خاصة للضرورة أقول ليس الساهي صاحب الكنز لأن مراده بالحل والحرمة ما يحصل في ضمن المعاملات لا مطلق الحل والحرمة كما توهم بدليل أنه قال في الكافي ويقبل قول الكافر في الحل والحرمة حتى لو كان له أجير مجوسي فأرسله ليشتري لحما فاشترى فقال إشتريته من يهودي أو نصراني أو مسلم وسعه أكله وإن كان غير ذلك لم يسعه أكله، ثم قال وأصله إن خبر الكافر في المعاملات مقبول بالإجماع لصدوره عن عقل ودين مانع من الكذب ومساس الحاجة إلى قبوله لكثرة المعاملات وكونه من أهل الشهادة في الجملة انتهى وتمامه هناك ولا شك أن التطبب بالكفار من هذا القبيل فيجوز وعلى مقتضى جوازه لا ينافي التوكل على الله تعالى ويؤيده ما ذكره الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري رحمه الله تعالى في كتابه لطائف المنن قال ولقد بلغني عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه استدعى يهوديا كحالا ليداوي بعض من عنده فقال له اليهودي لا أستطيع أن أعالج فإنه جاء مرسوم من القاهرة أن لا يداوى أحد من الأطباء إلا بإذن من مشارف الطب بالقاهرة فلما خرج ذلك اليهودي قال الشيخ لخدمه هيئوا آلة السفر وسافر لوقته إلى القاهرة وأخذ لهذا الطبيب إذنا وعاد ولم يبت بالقاهرة ليلة واحدة ثم جاء إلى الإسكندرية فأرسل إلى ذلك الطبيب فاعتذر له بما اعتذر له به أولا فأخرج له الشيخ مكتوبا بالإذن فأكثر اليهودي التعجب من هذا الخلق الكريم انتهى وما يخالف هذا مما ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوي رحمه الله تعالى في كتابه العهود المحمدية من التنفير عن التطبب بالكفار فمحمول على من ابتلى بضعف اليقين من عوام المسلمين فيخاف عليه أن يميل إلى الطبيب اليهودي أو

النصراني وربما يقع عنده الشك في عقيدته بسب حصول الشفاء على يده ويظن أن شفى بسبب صحة دينه الباطل وأما من لم يخطر له ذلك وعرف أن الأسباب كلها بيد الله تعالى وحده وأنه تعالى الشافي لا غيره ولا تأثير لكل ما سواه مطلقا أن جميع ما سواه تعالى أسباب إن شاء الله تعالى خلق عندها لا بها وإن شاء لم يخلق وكان لا فرق عنده بين الأسباب الحسنة القبيحة في عدم التأثير فلا شبهة في جواز التطبب بالأطباء المسلمين والكافرين والصالحين والفاسقين ومطاوعتهم إذا غلب على الظن صدقهم فيما لا يوجب ترك واجب ولا فعل حرام أو مكروه فإن قول الكافر والفاسق غير مقبول في الديانات كما صرح به الفقهاء في كتبهم وإن كان مقبولا في المعاملات كما ذكرنا (أقول) أي يقول صاحب متن هذا الكتاب رحمه الله تعالى (مراده) يعني مراد صاحب فصول العمادي (بالتوكل) هنا حيث لا يكون التطبب بالأسباب الظاهرة عند الأطباء مناقضا له (كماله) أي التوكل الكامل (إذا) أي لأن (أصله) أي أصل التوكل على الله تعالى في جميع الأمور ظاهرا وباطنا (فرض) عين على كل مكلف (وهو) أي أصل التوكل الذي هو فرض (أن يعتقد) المكلف قطعا من غير شك (أن لا خالق) أي مقدر وموجد (ولا مؤثر في شيء) مطلقا (الا الله) تعالى وحده (فالشفاء) الحاصل (ليس إلا منه تعالى) لذلك المرض (وأنه) سبحانه وتعالى (جرت عادته) في خلقه (على ربط المسببات بالأسباب) ربطا عاديا بحيث يصح تارة ويتخلف أخرى من غير لزوم عقلي (فالتشبث) أي التمسك والتعلق (بالأسباب) الظاهرة (على هذا الاعتقاد لا يناقض هذا التوكل) المذكور (مظنونة) كانت الأسباب (أو موهومة) لأنها في اعتقاده لا تأثير لها (ولو لم يعتقد هذا) الاعتقاد المذكور (بل أعتقد أن الشفاء) حاصل (من الدواء) أي من تأثيره (فالمظنون) أي من الأسباب حينئذ (بل المتيقن) منها أي المقطوع به كما تقدم (مناقض لهذا التوكل) الذي هو أصل (أيضا) كما هو مناقض لكمال التوكل (وأما كمال التوكل) أي التوكل الكامل (فالاعتماد) بالظاهر والباطن (والاتكال على الله تعالى بلا استقصاء) أي مبالغة (ولا تعمق في ملاحظة الأسباب) أي مراعاتها

وتعاطيها (فهذا) توكل (مستحب) لا فرض وهو الذي (يناقضه التشبث) أي التمسك (بالسبب الموهوم) فقط دون المظنون والمقطوع به (فترك الكي والرقي) مصدر رقاه عوذه (وأمثالهما) من الطب الموهوم (مستحب لا واجب) لأنه ينافي كمال التوكل لا أصل التوكل قال في المواهب اللدنية بعد ذكر طرف من الأحاديث الدالة على معاطاة الدواء قال وفي مجموع ما ذكرناه من الأحاديث الإشارة إلى إثبات الأسباب وأن لا تنافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك وقد سئل الحارث بن أسد المحاسبي في كتاب المقصد من تأليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من أين ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذي لا يلحقه لاحق ولا يسبقه في التوكل سابق محمد خير البرية صلّى الله عليه وسلّم قيل له ما تقول في خبر النبي صلّى الله عليه وسلّم **(من استرقى واكتوى برئ من التوكل)** قال برئ من توكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث آخر فقال **(يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب)** وأما ما سواهم من المتوكلين فيباح لهم الدواء والاسترقاء فجعل المحاسبي التوكل بعضه أفضل من بعض وقال في التمهيد إنما أراد بقوله برئ من التوكل إذا استرقى الرقيا المكروهة في الشريعة أو اكتوى وهو تعلق رغبته في الشفاء بوجود الكي وكذلك قوله لا يسترقون الرقيا لمخالفة الشريعة ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكي ومعرضة عن فعل الله تعالى وأن الشفاء من عنده وأما إذا فعل ذلك على ما جاء في الشريعة وكان ناظرا إلى رب الدواء وتوقع الشفاء من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه إذا صح لله تعالى وإتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص منه الدواء شيئا استدلالا بفعل سيد المتوكلين إذا عمل بذلك في نفسه وفي غيره فقد تبين أن التداوي لا ينافي التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة وورد في خبر إسرائيل أن الخليل عليه السلام قال يا رب ممن الداء قال مني قال فممن الدواء

قال مني قال فما بال الطبيب قال رجل أرسل الدواء على يديه وفي قوله صلّى الله عليه وسلّم (**لكل داء دواء**) تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوى التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته (قال) أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (في) كتابه (بستان العارفين وأما الاخبار التي وردت) عن النبي صلّى الله عليه وسلّم (في النهي) عن الرقية ونحوها (فإنها منسوخة) كلها (ألا يرى) بالبناء للمفعول أي يرى الرائي (إلى ما روى جابر) بن عبد الله رضي الله عنه (أن النبي صلّى الله عليه وسلّم نهى عن الرقي) جمع رقية (وكان عند آل) أي أهل (عمرو بن حزم رقية يرقون بها عن) لسع (العقرب) لإذهاب الألم من سمه (فأتوا النبي صلّى الله عليه وسلّم فعرضوا عليه) ذلك (وقالوا) له (إنك نهيت عن الرقى فقال) لهم عليه السلام (ما أرى به) الآن (بأسا من استطاع منكم أن ينفع أخاه) بشيء (فليفعل) ولا يتأخر عن ذلك فإن له فيه الأجر عند الله تعالى (فيحتمل أن النهي) الوارد في ذلك (عن الذي يرى العافية في الدواء) حاصلة له (من نفسه) أي من نفس الدواء (وأما اذا عرف أن العافية) حاصلة (من الله) تعالى (والدواء سبب) عادي يخلق الله تعالى العافية عنده لا به ولا فيه ولا منه (لا بأس به) أي بالدواء حينئذ وقال النووي في شرح مسلم أن جبريل عليه السلام رقى النبي صلّى الله عليه وسلّم والأحاديث مذكورة في الرقى وفي الحديث الآخر في الذين يدخلون الجنة بغير حساب (**لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون**) فقد يظن مخالفة الأحاديث ولا مخالفة بل المدح في ترك الرقى المراد بها الرقى التي هي من كلام الكفار والرقى المجهولة والتي بغير العربية وما لا يعرف معناها فهذه مذمومة لاحتمال أن معناها كفر أو قريب منه أو مكروه وأما الرقى بآيات القرآن وبالآيات المعروفة فلا نهي فيه بل هو سنة ومنهم من قال في الجمع بين الحديثين أن

المدح في ترك الرقى للأفضلية وبيان التوكل والذي فعل الرقى أو أذن فيها لبيان الجواز مع أن تركها أفضل وبهذا قال ابن عبد البر وحكاه عمن حكاه والمختار الأول ونقلوا الإجماع على جواز الرقى بالقرآن وأذكار الله تعالى قال المازري جميع الرقى جائزة إذا كانت بآيات الله تعالى أو بذكره وينهى عنها إذا كانت باللغة العجمية أو بما لا يدرى معناه لجواز أن يكون فيه كفر واختلفوا في رقية أهل الكتاب فجوزها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكرهها مالك خوفا من أن تكون مما بدلوه ومن جوزها قال الظاهر أنهم لم يبدلوا الرقى فإنهم لا غرض لهم في ذلك بخلاف غيرها مما بدلوه وأما نهي النبي صلّى الله عليه وسلّم عن الرقى فأجاب العلماء عنه بأجوبة أحدها أنه كان نهى أولا ثم نسخ ذلك وأذن فيها وفعلها واستقر الشرع على الإذن والثاني أن النهي عن الرقى المجهولة كما سبق والثالث أن النهي كان لقوم يعتقدون منفعتها وتأثيرها بطبعها كما كانت الجاهلية تزعمه في أشياء كثيرة قال القاضي وجاء في حديث في غير مسلم سئل عليه السلام عن النشرة فأضافها إلى الشيطان قال والنشرة معروفة مشهورة عند أهل التعزيم وسميت بذلك لأنها تنشر عن صاحبها أي تخلى عنه وقال الحسن هي من السحر قال القاضي وهذا محمول على أنها أشياء خارجة عن كتاب الله تعالى وأذكاره وعن المداواة المعروفة التي هي من جنس المباح وقد اختار بعض المتقدمين هذا فكره حل المعقود عن امرأته وقد حكى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن رجل به طب أي ضرب من الجنون أو يؤخذ عن امرأته أيخلى عنه أو ينشر قال لا بأس به إنما يريدون به الصلاح فلم ينه عما ينفع وممن أجاز النشرة الطبري وهو الصحيح قال كثيرون أو الأكثرون يجوز الاسترقاء للصحيح لما يخاف أن يغشاه من المكروهات والهوام ودليله أحاديث منها حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري كان النبي صلّى الله عليه وسلّم إذا آوى إلى فراشه تفل في كفيه ويقرأ (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**) والمعوذتين ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يده (وقد جاءت الآثار) والأحاديث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم (في الإباحة) من غير كراهة (ألا يرى أن النبي) صلّى الله عليه وسلّم (لما

جرح) بالبناء للمفعول أي جرحه المشركون (يوم أحد) بضمتين اسم جبل بالمدينة (داوى جرحه بعظم قد بلي) أي انحت وتفتت فدره على جرحه كالرماد يدر على الجراحة لينقطع دمها (وروي أن رجلا من الأنصار رمي) بالبناء للمفعول (في أكحله) وهو عرق في اليد أو هو عرق الحياة ولا تقل عرق الأكحل كذا في القاموس (بمشقص) كمنبر نصل عريض أو سهم فيه ذلك والنصل الطويل أو سهم فيه ذلك يرمي به الوحش كما في القاموس (فأمر به) أي بذلك الرجل (النبي صلّى الله عليه وسلّم فكوي) بالنار على موضع الجراحة (وروي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى) نفسه أو غيره (بالمعوذتين) وهما قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس كما مر في حديث عائشة رضي الله عنها وفي حديثها أيضا عند مسلم وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا اشتكى منا إنسان مسح بيمينه ثم قال (**أَذْهِبِ البَأسَ رَبّ النّاسِ، لاَ شَافِي إلاَّ أَنْتَ اِشْفِ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً**) وقال النووي في شرح مسلم فيه استحباب مسح المريض باليمين والدعاء له وقد جاء دعوات كثيرة صحيحة جمعتها في كتاب الأذكار وهذا المذكور هنا هو أحسنها ومعنى لا يغادر سقما أي يترك والسقم بضم السين واسكان القاف وبفتحتها لغتان وفي حديث عائشة رضي الله عنها أيضا قال النبي صلّى الله عليه وسلّم بأصبعه هكذا ووضع سبابته في الأرض ثم رفعها (**باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي به سقيمنا بإذن ربنا**) قال جمهور العلماء المراد بأرضنا هنا جملة الأرض وقيل أرض المدينة خاصة لبركتها والريقة أقل من الريق ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب يتعلق بها منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ويقول هذا الكلام في حال المسح واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم وبالجواز قال الشافعي (والآثار فيه) أي في تداوي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورقيته (أكثر من أن تحصى) وهي مفصلة في كتب متون الحديث وشروحها (انتهى) ما نقله عن كتاب بستان العارفين (ثم أن عد الكي من) القسم (الموهوم) كما مر (ليس بكلي) أي بأمر مطلق (بل قد يكون) الكي

(من) القسم (المظنون بل من) القسم (المتيقن) به بحسب غلبة نفعه أو تحققه (فلذا أمر) في الشرع كما هو مذكور في كتب الفقه (بالحسم) مصدر حسمه يحسمه فانحسم قطعه بالدواء كذا في القاموس (في قطع) يد (السارق) وذلك أن توضع يده بعد قطعها في زيت مغلي على النار حتى يمتنع سيلان الدم منه (لئلا يفضي) أي يوصل القطع (إلى الهلاك) بسيلان الدم (وعد التطير من) القسم (الموهوم) أيضا (يوهم الجواز) أي جواز التطير (كقرينيه) وهما الكي والرقية كما مر (بل هو) أي التطير (حرام و) قد (اختلف) بالبناء للمفعول أي اختلف العلماء (في كونه كفرا) حيث كان فيه نسبة التأثير إلى غير الله تعالى (ذكره) الإمام (قاضيخان) في فتاواه (وغيره) أيضا قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر صاحت الطير فقال رجل يموت المريض أو خرج إلى السفر فرجع إلى صياح العقعق كفر عند بعضهم وقيل لا كذا في البزازية والأصح أنه لا يكفر كما في عمدة المفتي وفي الخانية وجه القول بعدم الكفر أنه إنما قال ذلك على وجه التفأل قال ابن الشحنة وعلى هذا ينبغي أن يجري سائر أحكام الفصل بمقتضى الطيرة ويكون الخلاف واقعا في كفره وكذا في كل ما يقوله الإنسان عند وقوع أمر من الأمور التي تقول الجهلة عندها يكون كذا من الأمر كما ذكره في مسألة صياح الهامة وقال النووي في شرح التطير التشأم وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء والطيور فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوايجهم فيبشرون وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشأموا بها فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير ينفع ولا يضر فهذا معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم (**لا طيرة**) وفي حديث آخر (**الطيرة شرك**) أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك لأنهم جعلوا لها أثرا في الفعل والإيجاد (فظهر) من جملة ما تقدم من الكلام (إن علم الطب ليس بفرض بل هو مستحب عندنا) كما قال صلّى الله عليه وسلّم (**لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن**

الله تعالى) كما مر والحديث في مسلم وقال النووي في شرحه وفي هذا الحديث إشارة إلى استحباب الدواء وهو مذهب أصحابنا وجمهور السلف وعامة الخلف قال القاضي في هذه الأحاديث جمل من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب في الجملة واستحبابه بالأمور المذكورة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم قال وفيها رد على من أنكر التداوي من غلاة الصوفية وقال كل شيء بقضاء وقدر فلا حاجة إلى التداوي وحجة العلماء هذه الأحاديث ويعتقدون أن الله تعالى هو الفاعل وأن التداوي هو أيضا من قدر الله تعالى وهذا كالأمر بالدعاء وكالأمر بقتال الكفار وبالتحصن ومجانبة الإلقاء باليد إلى التهلكة مع أن الأجل لا يتغير، والمقادير لا تتأخر ولا تتقدم عن أوقاتها ولا بد من وقوع المقدورات (وقال) الإمام أبو حامد (الغزالي) رحمه الله تعالى (في) كتابه (الإحياء) أي إحياء علوم الدين (أنه) أي علم الطب (فرض كفاية) حتى لا تخلو البلدة ممن يعلم ذلك فربما يحتاج إليه في معرفة الأمزجة لتوقي المضار وجلب المنافع مما لا تفي به التجربة خصوصا في بعض العقاقير التي لا يعلم الناس نفعها ولا ضررها (فإذا فرغ السالك) بالعبادة في طريق الله تعالى (عن) تعلم (فرض العين) الذي هو علم الحال كما سق بيانه (ووجد) هناك (من يقوم) عنه (بفرض الكفاية) مما يتعلق بحال غيره على حسب ما مر تفصيله (أو لم يوجد) هناك من يقوم بذلك (فحصله) هو (أيضا) كما حصل فرض العين (فله الخيار) بعد ذلك من غير حرج عليه لأن الحرج مرفوع بالنص كما قال تعالى (**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** * الحج: ٧٨) (إن شاء) أي ذلك السالك المذكور (أقبل على العبادة) فاشتغل بها انقطع إليها معرضا عما عدا ذلك ومنهمكا في نفع نفسه بطاعة ربه (وإن شاء أقبل على) الاشتغال بتحصيل (العلم المندوب إليه) المتقدم بيانه ليكمل في رتبة العلم ويتضلع من أنواع الكمال (فهذا) أي المقبل على العلم المندوب إليه زيادة على ما عنده من العلم المفروض عليه عينا وكفاية (أفضل) عند الله تعالى (من الأول) أي المقبل على العبادة بعد تعلمه ما فرض عليه عينا وكفاية لأن عبادة الله تعالى بنوافل العلم أفضل من عبادته بنوافل العمل

كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**العلم خير من العبادة وملاك الدين الورع**) أخرجه الأسيوطي في الجامع الصغير عن أبي هريرة وفي رواية (**العلم من العمل**) وفي رواية (**العلم أفضل من العمل**) وقال المناوي في شرحه لأن العلم مصحح لغيره مع كونه متعديا فالعبادة مفتقرة له ولا عكس ولأن العلماء ورثة الأنبياء ولا يوصف المتعبد بذلك ولأن العلم تبقى ثمرته بعد صاحبه والعبادة تنقطع بموته ومن ثم اتفقوا كما في المجموع على أن الاشتغال بالعلم أفضل منه بنحو صلاة وصوم وقال أيضا لأن في بقاء العلم إحياء الشريعة وحفظ معالم الملة ولأن العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له واجب عليه طاعته وفي العتابي إذا خلا الزمان من سلطان ذي كفاية فالأمور موكلة إلى العلماء ويلزم الأمة الرجوع إليهم ويصيرون ولاة فإذا عسر جمعهم على واحد استقل كل قطر بإتباع علمائه فإن كثروا فالمتبع أعلمهم فإن استووا أقرع بينهم وقال السمهودي وهذا من حيث انعقاد الولاية الخاصة فلا ينافي وجوب طاعة العلماء مطلقا فاندفع ما للسبكي هنا وكان الإمام مالك يمتنع من الولايات فيحبس ويعذر ومع ذلك يمتثل أمره انتهى كلامه وهذا الذي ذكر من أن العالم أفضل من العابد والعلم أفضل من العبادة محله فيما إذا علم العبد العلم المفروض عليه فرضا عينيا والمفروض فرض كفاية كما تقدم وفيما إذا عمل بالعلم المفروض عليه وأما اذا ترك العمل ولو ببعض ما فرض عليه فليس مجرد علمه أفضل من العمل المفروض وإنما هذه الفضيلة بين النقلين من العلم والعمل والفرضين منهما لمن أتى بهما ولهذا قال عليه السلام فيما أخرجه الأسيوطي عن (**عبادة العلم خير من العمل وملاك الدين الورع والعالم من يعمل**) وفي حديث جابر قال عليه السلام (**العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم**) (الآيات) أي هذه الآيات التي تدل على شرف العلم وعلى فضيلة وذلك أحد عشر آية من سور مختلفة

الآية الأولى من سورة البقرة وهي قوله (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) إما بخلق علم ضروري بها فيه أو إلقاء في روعه ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل

يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمه فلم يتعلم وآدم اسم أعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أومن أديم الأرض لما روي عنه عليه السلام (**أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك تأتي بنوه أخيافا**) ومن الأدم والأدمة بمعنى الألفة تعسف والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعد الإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمة معرفة ذوات الأشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها قاله البيضاوي وقال الواحدي تعليمه آدم أن خلق في قلبه علما بالأسماء على سبيل الابتداء وألهمه العلم بها قال ابن عباس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة وقيل أن الله علم آدم جميع اللغات ثم أن أولاده تكلم كل واحد منهم بلغة أخرى فلما تفرقوا في البلاد اختص كل فرقة منهم بلغة فاللغات كلها إنما سمعت من آدم وأخذت عنه وقال البغوي سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض وقيل لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر فلما خلقه الله عز وجل علمه أسماء الأشياء وذلك أن الملائكة قالوا لما قال الله (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** * البقرة: ٣٠) ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وإن كان فنحن أعلم منه لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلا كما ذهب إليه أهل السنة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل صنعة كل شيء وقال الخازن وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم أسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها (ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا إذ لتقدير أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى (**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً** * مريم: ٤) لأن الغرض السؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون

المعروض نفس الأسماء ولا سيما إن أريد به الألفاظ والمراد به ذوات الأشياء أو مدلولات الألفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء قاله البيضاوي وقال البغوي وإنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الأشخاص على الملائكة فالكناية راجعة إلى الشخوص فلذلك قال عرضهم وقال الواحدي معنى العرض في اللغة الإظهار ومنه عرض الجارية وعرض الجند ويقال عرضت المتاع على البيع إذا أظهرته للمشتري قال الله تعالى (**وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً** * الكهف: ١٠٠) أي أبرزناها حتى رأوها وقيل أن الله تعالى خلق كل شيء الحيوان والجماد ثم علم آدم أسماءهم ثم عرض تلك الشخوص الموجودات على الملائكة ولذلك قال ثم عرضهم لأنه كنى عن المسلمين والمسلمات وكان فيهم من يعقل من الجن والإنس والملائكة (فَقَالَ أَنبِئُونِي) أي أخبروني (بِأَسْمَاء هَؤُلاء) الأشخاص وهذا أمر تعجيز أراد الله تعالى أن يبين عجزهم عن علم ما يرون ويشاهدون فلا يظنون أنهم أعلم من الخليفة الذي يجعله الله في الأرض قاله الواحدي وقال البيضاوي تبكيت له وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فإن التصرف التدبير وإقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعداد وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) إني لا أخلق خلقا إلا كنتم أعلم وأفضل منه قاله الواحدي وقال البيضاوي في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم أو أن خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق إليه بعرض ما يلزم مدلوله من الأخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات (قَالُواْ) يعني الملائكة إقرارا بالعجز واعتذارا (سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا) أي تنزيها لك وتعظيما عن أن يعلم الغيب أحد سواك وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك قاله الواحدي وقال البيضاوي اعتراف بالعجز والقصور

وإشعار بأن سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وأنه قد بان له ما خفي عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه وإظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للأديب بتفويض العلم كله إليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل إلا مضافا منصوبا بإضمار فعل كمعاذ الله وقد أجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله *سبحان من علقمة الفاجر* وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وقال يونس عليه السلام سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ وقال الواحدي لا علم لنا قال المفسرون هذا اعتراف من الملائكة بالعجز عن علم ما لم يعلموه وكأنهم قال لا علم لنا إلا ما علمتنا وليس هذا مما علمتنا فجاء الكلام مختصرا (إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ) أي العالم (الْحَكِيمُ) أي الحاكم تحكم بالعدل وتقضي به والحكم القضاء بالعدل ويجوز أن يكون بمعنى المحكم للأشياء كالأليم بمعنى المؤلم والسميع بمعنى المسمع وقال البغوي أنت العليم بخلقك الحكيم في أمرك وقال البيضاوي العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة (قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم) أي أعلمهم (بِأَسْمَآئِهِمْ) لما ظهر عجز الملائكة عن علم أسماء الموجودات قال الله تعالى (**يَا آدَمُ أَنبِئْهُم** * البقرة: ٣٣) فسم كل شيء باسمه وألحق كل شيء بجنسه (فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ) أي أخبرهم بتسمياتهم (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَكُمْ) ألم حرف نفي وصل بالاستفهام فصار بمعنى الإيجاب والتقرير كقول جرير ألستم خير من ركب المطايا أنتم كذلك (إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) أي ما غاب فيهما عنكم وهذا كقوله (**وَلِلهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** * هود: ١٢٣) أي ما غاب فيهما ملكا وخلقا (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) أي من قولكم أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا (وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) من إضمار إبليس الكفر وقيل ما كنتم تكتمون من قولهم لن يخلق الله خلقا أفضل ولا أعلم منا قاله الواحدي وقال البغوي قال ابن عباس هو أن إبليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فقال لأمر ما خلق هذا

ثم دخل في فيه وخرج من دبره وقال أنه خلق لا يتماسك لأنه أجوف ثم قال للملائكة الذين معه أرأيتم إن فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع أمر ربنا فقال إبليس في نفسه والله لئن سلطت عليه لأهلكنه ولئن سلط علي لأعصينه قال الله تعالى وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ يعني الملائكة من الطاعة وما كنتم تكتمون وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ يعني إبليس من المعصية وقال البيضاوي واستحضار لقوله أعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه فإنه تعالى لما علم ما خفي عليهم من أمور السموات والأرض وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهر والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى وهو أن يتوقفوا مترصدين لأن يبين لهم واعلم أن هذه الآيات تدل على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأنه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وأن التعليم يصح إسناده إلى الله تعالى وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وأن اللغات توقيفية فإن الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في إلقائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والأصل ينفي أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وأن مفهوم الحكمة زائد عل مفهوم العلم وإلا لتكرر قوله إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وأن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها

الآية الثانية من سورة البقرة أيضا وهي قوله تعالى (يُؤْتِي) أي الله تعالى (الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ) من عباده وهو تحقيق العلم وإتقان العمل قاله البيضاوي وقال الواحدي قال ابن عباس والمفسرون يعني القرآن والفهم فيه وقيل الورع وقال البغوي قال السدي هي النبوة وقال ابن عباس وقتادة علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمن تركهن حتى يعلمهن وقال مجاهد هي القرآن والعلم والفقه وروى ابن نجيح عنه الاصابة في القول والفعل وقال إبراهيم النخعي معرفة معاني الأشياء وفهمها وقال الخازن حاصل هذه الأقوال يرجع إلى

شيئين العلم والإصابة فيه ومعرفة الأشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها (وَمَن يُؤْتَ) أي يؤتيه الله بمحض فضله (الْحِكْمَةَ) المذكورة (فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) تنكيره للتعظيم وفي حقائق القرآن لأبي عبد الرحمن السلمي قال بعضهم الحكمة العلم اللدني، وقيل الحكمة إشارة لا علة فيها وقيل الحكمة إشهاد الحق على جميع الأحوال وقيل الحكمة تجديد السر لورود الإلهام وقال أبو عثمان الحكمة هي النور المفرق بين الإلهام والوسواس سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الكناني يقول إن الله بعث الرسل بالنصح لأنفس خلقه وأنزل الكتاب لتثبتة قلوبهم وأنزل الحكمة لسكون أرواحهم فالرسول داع إلى أمره والكتاب داع إلى أحكامه مشيرة إلى فضله وقال القاسم الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك وقيل يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ الفهم في كتاب الله ومن أوتي فهم كتابه أعطي حظا عظيما من قربه قال ابن عطاء، وقيل الحكمة الخشية

الآية الثالثة من سورة آل عمران وهي قوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ) أي الذي يجب أن يحمل عليه (إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على إلا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الأعداد كعدد الزبانية بما دل القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) استئناف موضح لحال الراسخين أو حال منه (كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) أي كل من المتشابه والمحكم من عنده، قاله البيضاوي وقال الواحدي وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ يريد ما يعلم انقضاء ملك أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم إلا الله لأن انقضاء ملك هذه الأمة مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ثم ابتدأ فقال وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعلوم أي الثابتون فيه والرسوخ الثبوت في الشيء وعند أكثر المفسرين المراد بالراسخين علماء مؤمني أهل الكتاب مثل عبد الله من سلام قال عباس بقولهم آمنا به سماهم الله راسخين في العلم فرسوخهم في العلم قولهم آمنا به أي بالمتشابه كل من عند ربنا المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمناه وما لم نعلمه

قال ابن عباس نزل القرآن على أربعة أوجه حلال وحرام لا يسع أحدا جهالتهما ووجه عربي يعرفه العرب ووجه تأويل يعلمه العلماء ووجه تأويل لا يعلمه إلا الله فمن انتحل فيه علما فقد كذب معنى انتحل أي ادعى باطلا وقال البغوي اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم الواو في قوله والراسخون واو العطف يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالا ومعناه والراسخون في العلم قائلين آمنا به وروي عن ابن عباس أنه كال يقول في هذه الآية أنا من الراسخين في العلم وعن مجاهد أنا ممن يعلم تأويله وذهب الأكثرون إلى أن والواو في قوله والراسخون واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله وما يعلم تأويله إلا الله وهو قول أبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير ورواية طاووس عن ابن عباس وبه قال الحسن وأكثر التابعين واختاره الكسائي والفراء والأخفش وقالوا لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه أحدا من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو هذا والخلق متعبدون في المتشابه بالإيمان به وفي المحكم بالإيمان به والعمل ومما يصدق ذلك قراءة عبد الله أن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وفي قراءة أبي ويقول الراسخون في العلم آمنا به قال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا آمنا كل من عند ربنا وهذا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية والراسخون في العلم الداخلون فيه وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك وأصله من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته يقال رسخ الإيمان في قلب فلان يرسخ رسخا ورسوخا وسئل مالك بن أنس عن الراسخين في العلم قال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه (وَمَا يَذَّكَّرُ) يتعظ بما في القرآن (إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) ذووا العقول قال الخازن وهذا ثناء من الله عز

وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا وقال البيضاوي مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وإشارة إلى ما استعدوا به للاهتداء إلى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس

الآية الرابعة من سورة آل عمران أيضا وهي قوله تعالى (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وإنزال الآيات الناطقة بها قاله البيضاوي وقال البغوي قيل نزلت هذه الآية في نصارى نجران فقال الكلبي قدم حبران من أحبار الشام على النبي صلّى الله عليه وسلّم فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال أنا محمد وأحمد قالا فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال سلا قال أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله تعالى فأنزل الله هذه الآية فأسلم الرجلان شهد الله أي بين الله لأن الشاهدة تبيين وقال مجاهد حكم الله وقيل أعلم الله أن لا إله إلا هو قال ابن عباس خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل أن خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر (وَالْمَلاَئِكَةُ) أي وشهدت الملائكة قيل معنى شهادة الله الإخبار والإعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار (وَأُوْلُوا الْعِلْمِ) يعني الأنبياء عليهم السلام وقال ابن كيسان يعني المهاجرين والأنصار وقال مقاتل علماء مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقال السدي والكلبي يعني علماء المؤمنين (قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ) مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله ذكره البيضاوي وقال البغوي أي قائم بتدبير الخلق كما يقال فلان قائم بأمر فلان أي مدبر له ومتعهد لأسبابه قائم بحق فلان أي مجاز له فالله جل ذكره مدبر رزاق مجاز بالأعمال

الآية الخامسة من سورة آل عمران أيضا وهي قوله تعالى (وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) جمع رباني وهو المنسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل

في العلم والعمل قاله البيضاوي وقال الواحدي أي معلمين، وقيل فقهاء علماء حكماء فالرباني المنسوب إلى الرب على معنى التخصيص يعلم الرب أي يعلم الشريعة وصفات الرب وقال المبرد الربانيون أرباب العلم وقيل الرباني الذي يربي العلم ويربي الناس أي يعلمهم ويصلحهم وعلى هذا القول الرباني من الرب الذي هو بمعنى التربية وقال البغوي واختلفوا في الرباني قال علي وابن عباس والحسن كونوا فقهاء علماء وقال قتادة حكماء علماء وقال سعيد بن جبير العالم الذي يعمل بعلمه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقهاء معلمين وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقال عطاء علماء حكماء نصحاء لله في خلقه قال أبو عبيدة سمعت رجلا عالما يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي العارف بأنباء الأمة ما كان وما يكون وقيل الربانيون فوق الأحبار والأحبار فوق العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس قال المؤرج كونوا ربانيين تدينون لربكم من الربوبية كان في الأصل ربي فأدخلت الألف للتفخيم ثم أدخلت النون لسكون الألف كما قيل صنعاني وبهراني وقال المبرد هم أرباب العلم سموا به لأنهم يربون العلم ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه فقد ربه يربه واحدها ربان كما قالوا ريان وعطشان وشبعان وغرثان ثم ضمت إليه ياء النسبة وحكي عن علي أنه قال هو الذي يربي عمله بعلمه قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الأمة وقال أبو عبد الرحمن السلمي قال الواسطي كونوا ربانيين تملكون الأشياء ولا يملككم شيء وقال جعفر كونوا مستمعين بسمع القلوب وناظرين بأعين الغيوب وقال ابن عطاء أخرجهم بهذا الخطاب عما خاطبهم به من العبودية وقيل في قوله كونوا ربانيين جذبهم بهذا من الافتخار بالطين إلى الافتخار بالحق وقال الجنيد أخرجهم من الكون جملة وجذبهم إلى الحق إشارة وقال الشبلي الرباني الذي لا يأخذ العلوم إلا من الرب ولا يرجع في بيانه إلا إلى الرب عز وجل وقال الجريري كونوا ربانيين أي سامعين من الله تعالى ناطقين بالله تعالى (بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ) بسبب كونكم

معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل قاله البيضاوي وقال البغوي بما كنتم أي بما أنتم كقوله تعالى (**مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً** * مريم: ٢٩) أي من هو في المهد وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تعلمون بالتشديد من التعليم وقرأ الآخرون بالتخفيف من العلم وبما كنتم تدرسون أي تقرؤون وقال الواحدي أي بكونكم عالمين بالكتاب وبكونكم دارسين له وقيل كونوا معلمين الناس بعلمكم ودرسكم علموا الناس وبينوا لهم ومن قرأ تعلمون بالتشديد من التعليم فالمعنى بكونكم معلمين أي علموا الناس الكتاب وبينوا لهم صفة محمد صلّى الله عليه وسلّم وما فيه الحق والصواب حتى تستحقوا هذه الصفة وتكونوا معلمين وقال الخازن أي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة يوجب كون الإنسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا بهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه

الآية السادسة من سورة طه وهي قوله تعالى (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) أي سل الله زيادة العلم يدل الاستعجال أي استعجاله صلّى الله عليه وسلّم في تلقي الوحي من جبريل فإن ما أوحي إليه تناله لا محالة قاله البيضاوي وقال الخازن علما فيه التواضع لله والشكر له والمعنى زدني علما إلى ما علمت فإن لك في كل شيء علما وحكمة وقيل ما أمر الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدني إيمانا ويقينا وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام زدني علما وحفظا وقيل قرآنا وقيل أدبا لأن علم الشرع لا يحتاج إلى الالتماس أو بقصص الأنبياء ومنازل الأولياء أو بحال أمتي بعدي أو صبرا على الطاعة والجهاد لأنه يسهل بزيادة العلم وحقيقته العلم بالله لأنه لا يتناهى وقال صلّى الله عليه وسلّم (**كل يوم لا أزداد فيه علما بالله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم**) وقال أبو عبد الرحمن السلمي وقل رب زدني علما قال بعضهم اجعلني عالما بك جاهلا بما سواك وهو زيادة العلم وقال محمد بن الفضل زدني علما بنفسي وما تضمره من الشر

والمكروه والغدر ولأقوم بمعونتك في مداواة كل شيء منها بدوائها

الآية السابعة من سورة العنكبوت وهي قوله تعالى (وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ) أي الأشباه يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة قاله الخازن (نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ) تقريبا بما بعد من إفهامهم (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ) الذين يتدبرون الأشياء على ما ينبغي وعنه عليه السلام أنه تلى هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ذكره البيضاوي وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام العالمون والموحدون وقال أبو عبد الرحمن السلمي قال سهل أي ولا يثبتها إلا العالمون به وبأسمائه وصفاته لأنهم علماء النسية والباقون علماء المنهج والعالم على الحقيقة من يحجزه علمه عن كل ما لا ينتجه العلم الظاهر

الآية الثامنة من سورة الروم وهي قوله سبحانه وتعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أي في اختلاف أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ كما ذكر في الآية قبله (لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) لا يكاد يخفى على عاقل من ملك أو إنس أو جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها إلا العالمون قاله البيضاوي

الآية التاسعة من سورة فاطر وهي قوله تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به فهو أخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (**إني أخشاكم لله وأتقاكم له**) وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو أخر لانعكس الأمر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فإن المعظم يكون مهيبا قاله البيضاوي وقال الخازن قال ابن عباس يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني، وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية وعن عائشة رضي الله عنها قالت صنع رسول الله صلى الله عليه سلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم فخطب فحمد الله ثم قال (**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**) قولها (فرخص

فيه) أي لم يشدد فيه قولها (فتنزه) أي تباعد عنه وكرهه قوم وعن أنس رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال (**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا**) فغطا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجوههم ولهم خنين والخنين وبالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال الشعبي إنما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس لله خشية أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم وفي حاشية شيخي زاده على تفسير البيضاوي في سورة البقرة قال وظاهر قوله تعالى إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء يدل على أنه ليس الجنة أهل إلا العلماء لأن كلمة إنما للحصر فهذه الآية تدل على أن خشية الله تعالى لا تحصل إلا للعلماء والآية الثانية وهي قوله تعالى ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ دالة على أن الجنة لأهل الخشية وكونها لأهل الخشية ينافي كونها لغيرهم فدل مجموع الآيتين على أنه ليس للجنة أهل إلا العلماء واعلم أن هذه الآية فيها تخويف شديد وذلك لأنه ثبت أن الخشية من الله تعالى من لوازم العلم بالله فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله وهذه الدقيقة تنبهك على أن العلم الذي هو سبب القرب من الله تعالى هو الذي يورث الخشية وأن أنواع المجادلات وإن دقت وعظمت إذا خلت عن إفادة الخشية كانت من العلم المذموم وفي حاشية الشيخ جمال الدين خليفة على البيضاوي إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء أي العلماء بالله دون غيرهم وهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته وكمال صفاته وقوة أفعاله وعلموه أنه كم أهلك من عباده ولم يبال وسينتقم من كثير من العباد يوم القيامة ولا يبالي وما يقال من أن الآية تدل على أن الخشية في العلماء ولا تدل على أن كل عالم فيه خشية فمدفوع بأن مأخذ الاشتقاق يفيد العلية وفي الكشاف في سورة النازعات لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة قال الله تعالى إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء أي العلماء به وذكر الخشية لأنها ملاك الأمور من حشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر

ومنه قوله عليه السلام (**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل**) الإدلاج السير أول الليل وفي حاشية خليفة أيضا عند قوله تعالى (**وَهُم مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** * الأنبياء: ٢٨) خص بذلك العلماء قال تعالى إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء يعني لكون الخشية مشتملة على معنى التعظيم خص بها العلماء وقصرها فيهم بإنما لأن التعظيم يصدر بعد معرفة قدر الشيء وعظمه فالعلماء هم العالمون بجلاله وجماله وعظمته وكماله فمن ذلك علم أن العلماء من هم ومن يقال له عالم وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في تفسيره العالم بالله يسلم له حاله فمن اقتفاه في حاله زل والعالم بأمر الله يقلد في قاله فمن احتذاه في فعاله زل والجامع لهما عز مثاله فمن انتشاه في كماله جل

الآية العاشرة من سورة الزمر وهي قوله تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) نفى الاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه أبلغ لمزيد فضل قاله البيضاوي وقال الخازن يعلمون أي ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل الذين يعلمون عمار وأصحابه والذين لا يعلمون عمار وأصحابه والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذين يعلمون أنهم ملاقوا ربهم أو يعلمون فيعلمون يعني غيرهم أو يعلمون ما لهم في الطاعة وعليهم في المعصية وعكسها مفهوم نزلت في عمار وأبي حذيفة بن المغيرة

الآية الحادية عشرة من سورة المجادلة وهي قوله تعالى (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ) بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة ذكره البيضاوي وقال الشيخ عز الدين يرفع الله الذين آمنوا بعلمهم وإيمانهم أي أقدارهم في الآخرة أو في الدنيا أي تفاوت المنازل على مقدار تفاوت الدرجات (وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث (**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**) ذكره البيضاوي وقال الخازن أي يرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم

وتسابقهم درجات على من سواهم في الجنة وقيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم إذا انتهى إلى باب الجنة أدخل ويقال للعالم قف وأشفع للناس قال الحسن قرأ ابن مسعود وقال يا أيها الناس أقيموا هذه الآية لترغبنكم في العلم فإن الله يقول يرفع المؤمن العالم فوق الذي ليس بعالم درجات وقيل إن العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لأنه يقتدى بالعالم في أقواله وأفعاله كلها وعن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**من يرد الله خيرا يفقهه في الدين**) وعن ابن عباس مثله أخرجه الترمذي وروي البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده مجلس يدعون الله ويرغبون إليه والآخرة يتعلمون الفقه ويعلمونه ويرغبون إليه فقال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون ويرغبون إليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل إنما يبعث معلما ثم جلس فيهم (الأخبار) أي هذه الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في فضيلة العلم وهي ثلاثة عشرة حديثا

الحديث الأول (دت) يعني روى أبو داود والترمذي بإسنادهما (عن كثير بن قيس) رضي الله عنه (أنه قدم رجل من المدينة) المنورة (على أبي الدرداء) رضي الله عنه (وهو) يومئذ (بدمشق) الشام (فقال) له أبو الدرداء (ما أقدمك) يعني أي شيء كان سبب قدومك (يا أخي قال) أقدمني (حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) له ابو الدرداء (أما جئت لحاجة) غير هذا (قال لا قال أما قدمت) من بلدك (لتجارة قال لا قال) يعني الرجل (ما جئت إلا في طلب هذا الحديث) أي في سماعه منك (قال) أبو الدرداء (فإني قد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من سلك طريقا) سواء كان مسافرا أو دون مدة السفر ولو في مصر أو قرية ولو خطوة أو خطوتين (يبتغي) أي يطلب ويقصد (فيه) أي في سلوكه ذلك (علما) نافعا كعلم معرفة الله تعالى على مذهب أهل الحق من العارفين والعلماء أهل الورع والدين

وعلم الكتاب والسنة وعلم الشرايع والأحكام والعلوم الموصلة إلى فهم الكتاب والسنة بنية فهم ذلك بها لا العلم المضر كعلم الكلام للمجادلة وعلم الشرايع للماهيات ونحوها والعلوم الموصلة للمقصود لا بنية الوصول كعلوم العربية لذاتها فإن الاشتغال بها لذاتها قاطع عن الأهم وموجب للغرور ودعوى العلم مع الجهل بالمقصود (سلك الله) تعالى (به) أي بذلك العبد (طريقا) موصلا (إلى الجنة) وهو ذلك الطريق الذي سلكه فإنه يصل بسبب سلوكه فيه إلى دخول الجنة في يوم القيامة لكثرة ما يحصل له من الثواب الجزيل والأجر الجليل (وإن الملائكة) يعنى الحفظة المؤكلين بالعبد أو أعم منهم (لتضع) أي ترسل عن الطيران (أجنحتها) كما قال تعالى (**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** * فاطر: ٢) وذلك كناية عن عدم فرارها منه أو تواضعها له أو سيره بإلهامها أو بسط أجنحتها ليسمها بإقدامه تبركا به وفيه إشارة إلى فرار الشياطين عنه إذ لا يجتمع الشيطان والملك في الاستيلاء والحضور وقال النجم الغزي في حسن التنبه في التشبه أن معنى بسط أجنحة الملائكة التلطف وإرادة الخير ودفع السوء وفي حديث زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما ونحن عنده (**طوبى للشام إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه**) رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه هو وابن حبان والحاكم (رضاء) أي لأجل رضائها (لطلب العلم) النافع كما ذكرنا (وأن العالم) بالعلم النافع (ليستغفر) أي يطلب من الله تعالى المغفرة (له) جميع (من في السموات والأرض) من الملائكة وغيرهم من الحيوان والنبات والجماد (حتى الحيتان) جمع حوت وهو السمك (في الماء) وفي رواية (يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر) قال الحليمي يحتمل أن معنى استغفارهم له أن يكتب الله له بعدد كل من أنواع الحيوانات الأرضية استغفارة مستجابة وحكمته أن صلاح العالم منوط بالعالم إذ بالعلم يدرى أن الطير لا يؤذى ولا يقتل إلا لأكله ولا يذبح ما لا يؤكل لحمه ولا يعذب طير ولا غيره بجوع ولا بظمأ ولا يجلس في حر ولا برد ولا يطيقه وأن قرار نينان البحر في الماء إذا لم تكن إليها حاجة واجب وأنه لا يجوز التلهي بإخراجها من الماء والنظر إلى اضطرابها من غير قصد

أكلها وإذا صيدت للأكل يجب الصبر عليها لتموت ولا يجوز فتحها بعصا أو حجر إلى غير ذلك ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير (وفضل العالم) بالعلم النافع مع العمل به (على العابد) أي العامل من غير علم بمجرد توفيق الله تعالى له إلى صحيح العمل بلا علم كما قدمناه إذ لو بطل عمله لم يكن عابدا فلا فضيلة له أصلا (كفضل القمر) المشرق نوره في ظلمة الليل (على سائر) أي بقية (الكواكب) أي النجوم التي في السماء فإنها لها نور ولكنه لا يظهر مع ظهور نور القمر فكذلك للعابد الموفق للعبادة نور عمل صالح ولكنه لا يظهر مع ظهور نور العالم العامل بعلمه فإنه عابد وزيادة (أن العلماء) بالعلم النافع العاملين بعلمهم لأنهم الموفقون للأعمال الصالحة دون المخذولين الذين علمهم حجة عليهم (ورثة) جمع وارث فحظهم من العلم على قدر قربهم بالمتابعة (الأنبياء) فإنهم عليهم السلام كانوا عالمين للعلوم النافعة الشرعية عاملين بها في الفرائض والنوافل فكذلك أتباعهم قال المناوي في شرح الجامع الصغير في حديث (**العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتي وورثة الأنبياء**) وما سماهم ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله كذا في الكشاف ومعجزات الأنبياء عليهم السلام ضربان أحدهما الوحي بواسطة الملك والثاني خرق العوائد كانقلاب العصا حية وفلق البحر وإحياء الموتى ونبع الماء من بين الأصابع وأفضل الناس من ورث منهم الأمرين جميعا فورثوا في مقابلة الوحي الإلهام والعلوم وتبيين ما أتت به الأنبياء عليهم السلام من الكتب بما جعل في قلوبهم من النور وورثوا في مقابلة الخوارق والآيات الكرامات وبذلك سموا أبدال النبيين لأنهم بدل منهم قال بعضهم ومن ولي هذا المنصب فارتقى من مقام الولاية إلى مقام الوراثة عظمت عداوة الجهال له لعلمهم بقبيح أفعالهم وقصورهم عن معارج رتب الكمال وإنكارهم لما وافق الهوى من أعمالهم انتهى ومن هنا خوض السفلة ورعاع المتفقهة في حق الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي والشيخ شرف الدين بن الفارض والعفيف التلمساني وابن سبعين ونحوهم بما لا يعرفه الفقيه المحجوب بحجب عالم الخلق عن أسرار عالم الأمر الذي هو كلمح البصر وخاضوا في فهم

كلماتهم بما هم بريئون منه وافتروا عليم في نسبة المعاني الفاسدة التي تخالف الشريعة إليهم وسووا بينهم وبين الباطنية والزنادقة والملحدين ولم يقدروا من كثرة جهلهم وشدة غباوتهم مع دعواهم العلم أن يفرقوا بين كلامهم وكلام الكفار فوسوسوا في صدور عامة المؤمنين الذين هم خير منهم وأفسدوا عليهم اعتقادهم في أولياء الله تعالى وحرموهم إلتماس بركاتهم وأوقعوهم في الانكار عليهم وعرضوهم لغضب الله تعالى وحرمانه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (إن الأنبياء) عليهم السلام (لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم) النافع وحده (فمن أخذ به) أي تعلمه (فقد أخذ بحظ) أي نصيب (وافر) أي زائد من الكمال والمدد الإلهي قال المناوي في شرح الجامع الصغير يعني أن جميع الأنبياء عليهم السلام لم يورثوا شيئا من الدنيا لعدم صرفهم هممهم إلى اكتسابها وأعراضهم عن الجمع والادخار واشتغالهم بما يوصل إلى دار القرار لكن لا ينتقل الشيء إلى الوارث إلا بالصفة التي كان عليها عند المورث قال الغزالي لا يكون العالم وارثا لنبيه إلا إذا أطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبينه إلا درجة النبوة وهي الفارقة بين الوارث والمورث إذ المورث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصله لكن انتقل إليه وتلقاه عنه

الحديث الثاني (طب) يعني روى الطبراني بإسناده (عن ابن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل العبادة) التي يعبد الله تعالى بها (الفقه) أي الفهم في دين الله تعالى وهو معرفة النفس ما لها وما عليها اعتقادا وعملا وغلب في عرف المتأخرين على معرفة الأحكام العملية عن أدلتها التفصيلية (وأفضل الدين) أي الشرع المحمدي (الورع) وهو ترك المشتبهات ما يحتمل أن يكون حراما أو مكروها مما ينفر منه قلب المؤمن زيادة على ترك المحرمات والمكروهات

الحديث الثالث (طط) يعني روى الطبراني في الأوسط بإسناده (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال قليل العلم) النافع مع العمل به والإخلاص فيه (خير من كثير العبادة) الموفق صاحبها لها على وجه

الصحة من دون علم فإن العالم العامل صاحب فضيلتين والعامل الموفق صاحب فضيلة واحدة فهو دون الأول

الحديث الرابع (طط) يعني روى الطبراني أيضا في الأوسط بإسناده (عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من جاء) أي حضر (أجله) أي وقت موته (وهو يطلب العلم) النافع بقصد العمل به (لقي الله) تعالى في يوم القيامة كما ورد في خبر آخر (أن الله تعالى يقيض له في قبره من يعلمه) (ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة) فإن النبوة وهبية لا كسبية وقد انسد بابها وما بقي إلا الولاية وهي تحصيل العلم النافع والعمل به ثم حصول علوم الإلهام ببركة الإخلاص في العمل كما قال الله تعالى (**وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ** * البقرة: ٢٨٢) فإذا مات طالب ذلك قبل تحصيل مقصوده لا يحشره الله تعالى يوم القيامة إلا من أعلم العلماء

الحديث الخامس (طك) يعني روى الطبراني في الكبير بإسناده (عن ثعلبة أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول الله) تعالى للعلماء العاملين المخلصين (يوم القيامة إذا قعد) سبحانه وتعالى أي أنكشف للخلق متجليا (على كرسيه) الذي وسع السموات والأرض من غير كيفية ولا استقرار لأنه تعالى ليس بجسم ولا عرض (لفصل عباده) أي قطع الخصومات بين بعضهم بعضا لظهور فضله تعالى عليهم وعدله فيهم (إني لم أجعل علمي) أي علمكم بي وبأحكامي وحكمي (وحلمي) أي تخلقكم بأخلاقي كما ورد (**تخلقوا بأخلاق الله**) وفي حديث الجامع الصغير (**إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا من أتاه بخلق منها دخل الجنة**) (فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم جميع ذنوبكم) فلا أؤاخذكم بذنب منها (ولا أبالي) بذلك أي لا أهتم به لسهولته علي

الحديث السادس (صف) يعني روى الأصفهاني بإسناده (عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم يجاء) بالبناء للمفعول والمراد يوم القيامة (بالعالم) العامل المخلص في عمله (والعابد) الموفق للعمل الصالح مع الإخلاص بلا علم (فيقال للعابد) المذكور (أدخل الجنة) لأن نفعه قاصر عليه فأدخله الجنة

(ويقال للعالم) المذكور (قف حتى تشفع للناس) لأن نفعه متعد إلى غيره فهو ينفع نفسه وغيره في الدنيا فينفع نفسه وغيره كذلك في الآخرة

الحديث السابع (صف) يعني روى الأصفهاني أيضا بإسناده (عن عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما أنه قال قال النبي صلّى الله عليه وسلّم فضل العالم) المذكور (على العابد) المذكور (سبعون درجة ما بين كل درجتين حُضْرُ) بضم الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة (الفرس) وهو ارتفاعها في العدو كالإحضار والفرس محضير لا محضار أو لغة كذا في القاموس (سبعين عاما) ولعل السبعين في الموضعين للتكثير لا للعدد كما في قوله تعالى (**إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ** * التوبة: ٨٠) (وذلك) أي بسبب فضيلة العالم على العابد (لأن الشيطان يبتدع البدعة للناس) إضلالا لهم بها بأن يوقعها في قلب أحد من الغافلين ويزين له عملها ويغطي عليه قبحها (فيبصرها العالم) بنور علمه النافع وعمله الصالح (فينهي عنها) فينفع بذلك نفسه وغيره (والعابد) الموفق بلا علم (مقبل على عبادة ربه) مشتغل بها (لا يتوجه إليها) أي إلى تلك البدعة فلا يعرفها لينهي عنها وإن عرفها بنور عمله الصالح فانتهى عنها هو في نفسه فإنه لا يتفرغ لينهي عنها غيره فنفعه قاصر عليه لا يتعدى إلى غيره

الحديث الثامن (قطن هق) يعني روى الدار قطني والبيهقي بإسنادهما (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ما عبد) بالبناء للمفعول أي ما عبد (الله) تعالى أحد (بشيء) من أنواع العبادات في ظاهره وباطنه (أفضل من فقه) أي فهم (في دين الله) تعالى مع العمل بذلك والإخلاص فيه (ولفقيه) أي والله لفقيه والفقيه هو العالم بأحكام الله تعالى عليه وعلى غيره في الظاهر والباطن العامل بعلمه المخلص فيه (واحد) فكيف باثنين فأكثر (أشد) أي أكثر امتناعا وتباعدا (على الشيطان) الذي يريد إغواءه وإضلاله (من) امتناع وتباعد (ألف عابد) موفق للعمل الصالح بلا فقه ولا فهم لأن مع الفقيه نور العلم زيادة على نور العمل الصالح فله نوران فهو أكثر امتناعا واحتماء من ظلمة الشيطان ممن لهم نور واحد وهم العابدون المنورون

بالعمل الصالح (ولكل شيء عماد) أي عمود يرتفع بنيانه به ويعتمد عليه (وعماد الدين) أي الشرع المحمدي (الفقه) أي الفهم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله اعتقادا وعملا (وقال أبو هريرة رضي الله عنه والله لإن أجلس ساعة) وهي جزء من أجزاء الجديدين والوقت والحاضر والجمع ساعات وسواع كذا في القاموس (فافقه) أي أصير فقيها فاهما في دين الله تعالى (أحب إلي من أن أحيي ليلة القدر) أي أقطعها بالتهجد والعبادة مع أن ليلة القدر خير من ألف شهر (وفي رواية) أخرى أحيي (ليلة) من الليالي (إلى) وقت طلوع (الصباح) لأن فقه الساعة نور ينتفع به صاحبه بالعمل والإخلاص وغير صاحبه أيضا بالإرشاد والدلالة وإحياء الليلة نور ينتفع به صاحبه فقط والأمر المتعدي أفضل من القاصر

الحديث التاسع (ت) يعني روى الترمذي بإسناده (عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه ذكر) بالبناء للمفعول والذاكر بعض الناس (لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلان) من أصحابه (أحدهما عابد) أي موفق للعمل الصالح بلا علم (و) الرجل (الآخر عالم) أي موفق للعمل الصالح مع العلم النافع (فقال)عليه الصلاة والسلام (فضل) أي فضيلة (العالم) العامل بالإخلاص (على العابد) الموفق بلا علم إلى العمل بالإخلاص (كفضلي) أي فضيلة النبي صلّى الله عليه وسلّم (على أدناكم) إذ العمل الصالح يجمعهما ويمتاز النبي صلّى الله عليه وسلّم بزيادة العلم (ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إن الله) سبحانه وتعالى (وملائكته) عليهم السلام (وأهل السموات) من الملائكة المجردين للعبادة (و) أهل (الأرض) من جميع أنواع الحيوانات والنباتات والمعادن والإنس والجن (حتى النملة) الكائنة (في حجرها) بضم الجيم وبالحاء المهملة قال في القاموس الحجر بالضم كل حفرة تحتفره الهوام والسباع لأنفسها (والحيتان) جمع حوت وهو السمك (في البحر يصلون) أي يدعون له ويستغفرون ويثنون (على معلم الناس) من المؤمنين والكافرين (الخير) أي الطاعة بامتثال الأوامر واجتناب المناهي قطعا أو ظنا بالخطاب أو بالكتاب إذا كان قصده بذلك التقرب إلى الله تعالى لا إلى المال والجاه

الحديث العاشر (مج) يعني روى ابن ماجه بإسناده (عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال يشفع يوم القيامة) في المذنبين من المسلمين (الأنبياء) عليهم السلام لأنهم الأصل في إرشاد الناس وتعليمهم الخير فهم أول شافع في المبتلين بالمعاصي دون الكفر (ثم) يشفع بعدهم (العلماء) بالعلم النافع مع العمل الصالح والإخلاص فيه وإلا كانوا فاسقين عاصين فيحتاجون إلى شفاعة غيرهم فيهم (ثم) يشفع بعدهم (الشهداء) جمع شهيد والشهادة مقام من مقامات القرب إلى الله تعالى وتحصل بأسباب ظاهرة كالقتل ظلما ويسمى شهيد الدنيا كما هو مفصل في كتب الفقه وأسباب باطنة كالعشق مع العفة والصبر والموت ببعض الأمراض كوجع البطن ونحوه ويسمى شهيد الآخرة على حسب ما هو مقرر في موضعه وإنما تأخر الشهداء عن العلماء لأنهم إنما امتازوا في مقامهم بالعلماء فهم أتباع العلماء المذكورين

الحديث الحادي عشر (طك) يعني روى الطبراني في الكبير بإسناده (عن معاوية رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول يا أيها الناس إنما) يحصل (العلم) النافع للعمل به مع الإخلاص (بالتعلم) أي الدراسة على المشايخ أو السماع منهم بقصد العمل به مع الإخلاص فيه لا بقصد غير ذلك ولهذا كثير ممن لم يرد في وقت التعلم أو السماع العمل بالعلم مع الإخلاص لا يتعلم غير صورة المسألة ويفوته روحها وسرها وحكمتها ويحرم بركتها ولا يتحقق بشيء منها غير أنه يتخيل بعقله صورتها الظاهرة فقط فتكون عنده قشرة بلا لب فلا يكبر في نفسه العمل بها لأنه لم يرد ذلك حين التعلم فتبقى حجة عليه لا له وربما كان تخيله صورتها سببا لإنكاره بها واعتراضه على أهل العمل الصالح من الأبرار والمقربين وهو لا يشعر لاستيلاء الغرور على قلبه وتراكم ظلمات الجهل المركب في نفسه فيضل عن الصراط المستقيم كما نراه في كثير من متفقهة زماننا (و) إنما (الفقه) أي الفهم في الدين المحمدي اعتقادا وعملا (بالتفقه) أي التفهم بقوة نور الخشوع والإخلاص والتقوى لا التفكر والتأمل بالنفس المدعية الاشتغال باطنا لتراكم ظلمات الغفلة والغرور والدعاوي

الباطلة مع الإصرار على بغض الصالحين واحتقار مقامات المقربين فإن ذلك التفكر لا ينتج إلا الضلال والغي والطمس والعمى (ومن يرد الله) تعالى (به خيرا) من خيور الدنيا والآخرة (يفقهه) أي يفهمه سبحانه وتعالى بمحض فضله عليه (في) علوم (الدين) أي الشريعة المحمدية وأسند هنا التفقيه إلى الله تعالى وقبله التفقه إلى النفس لأن النفس إذا تفقهت بنور الخشوع والإخلاص متبراة من حولها وقوتها كما ذكرنا كان الله تعالى هو الذي يفقهها فيصح الإسنادان (وإنما يخشى) أي يخاف خوف هيبة وإجلال لا خوف عقاب فهو خوف الخواص والثاني خوف العوام ولهذا قال عليه السلام في صهيب الرومي رضي الله عنه (**نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه**) يعني لو لم يخفه خوف عقاب لم يعصه هيبة له وإجلالا فقد نفى عنه خوف العقاب وأثبت له خوف الإجلال والإرهاب (الله) وفي تقديم المفعول إشارة إلى الحصر أي لا غيره وفي ضمنه الاهتمام والتعظيم (من عباده) الإنس والجن والملائكة وغيرهم (العلماء) أي العارفون به سبحانه من حيث ذاته العلية وصفاته السنية وأسمائه القدسية وأفعاله البهية وأحكامه الفضلية والعدلية وتقدم الكلام على هذه الآية

الحديث الثاني عشر (بَرَّ) يعني روى ابن عبد البر بإسناده (عن معاذ رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (تعلموا) يا معشر المكلفين (العلم) النافع بنية العمل به مع الإخلاص (فإنه تعلمه) كذلك (لله) تعالى والجار والمجرور متعلق بقوله (خشية) أي خشية لله سبحانه لا لغيره كما قال تعالى (**وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَ** * الأحزاب: ٣٩) الآية (وطلبه) على الوصف الذي ذكرناه (عبادة ومذاكراته) كذلك بنية إفادته واستفادته للعمل والإخلاص فالفرق بين التعلم والمذاكرة أن التعلم لمن لا يعلم والمذاكرة البحث مع من يعلم لسماع من لا يعلم أو زيادة فائدة بتقوية في دليل أو تثبت من نسيان (تسبيح) أي تنزيه وتقديس لله تعالى لأنها إما في مسألة اعتقادية تتعلق بجناب الله تعالى أو عظيم شأنه سبحانه أو مسألة عملية تتعلق بجزيل ثوابه وجليل نعمه أو ما يسوق إلى شيء من ذلك وما عداه فليس من العلم النافع بل من

المضر الذي استعاذ منه النبي صلّى الله عليه وسلّم بقوله (**اللهم إن أعوذ بك من علم لا ينفع**) (والبحث) أي التكلم من الجانبين بنية إظهار الحق للعمل به مع الإخلاص (عنه) أي عن العلم النافع كما ذكرنا (جهاد) في النفس وفي الغير من جهة الموصوف بالنية الحسنة فأجره أجر المجاهد في سبيل الله تعالى وأما من جهة من لم يكن موصوفا بما ذكرنا فهو جهاد في سبيل الشيطان فهو من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون والمخلص لا يظن سوءا بغيره لأن الأصل الكمال في الأمة والموثقة بقوله تعالى (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) (وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ (وتعليمه) أي العلم النافع (لمن لا يعلمه) من الناس صدقة) عليه (وبذله) أي إيراده (لأهله) المستعدين لقبوله والمتصفين به (قربة) إليهم (لأنه) أي العلم المذكور (معالم) جمع معلم قال في القاموس معلم الشيء كمقعد مظنته وما يستدل به كالعلامة (الحلال) من الاعتقاد والقول والعمل (والحرام) كذلك فإن الحلال والحرام مما ذكر لا يعلم إلا بالعلم فالعلم علامة على ذلك أي دلالة عليه وبيان له (ومنار) وهو الجبل وما يوضع بين الشيئين من الحدود ومحجة الطريق وموضع النور (سبل) جمع سبيل وهو الطريق (أهل الجنة) أي حدود الطرق الموصلة إلى الجنة لأنها تعلم به (وهو) أي العلم المذكور (الأنيس) لصاحبه وسامعه (في) حالة (الوحشة والصاحب) الملازم للعبد (في) حال (الغربة) عن الأوطان أو عن الأقران والأمثال كما ورد في حديث الجامع الصغير (**طوبى للغرباء**) قال يا رسول الله من هم قال (**أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**) وفي رواية (**من يبغضهم أكثر ممن يحبهم**) (والمحدث) أي المنادم لصاحبه فيما بينه وبين نفسه (في الخلوة) أي في حالة الانفراد عن الناس (والدليل) أي الدال المرشد (على السراء) أي ما يسر العبد (والضراء) أي ما يسوء مما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة فيعلم به صاحبه ما ينفعه وما يضره من جميع الأمور (والسلاح) الذي يقاتل به (على الأعداء) في الدين بإلزام الحجج وإبطال المذاهب الباطلة وفي الدنيا بإخماد الحسدة المبغضين (والزين) الزينة الحلية والهيئة الحسنة (عند) لقاء

(الأخلاء) جمع خليل وهم الأصحاب والإخوان (يرفع الله) تعالى (به) أي بالعلم المذكور في الدنيا بالتقدم على غيرهم وفي الآخرة بالمراتب العالية (وأقواما) وضعه فيهم بمحض فضله عليهم وإحسانه إليهم (فيجعلهم) سبحانه (في) أنواع (الخير قادة) جمع قائد أي دعاة إليه يجذبون الناس بسلاسل الحجج والبينات إلى نعيم الجنان كما ورد في حديث الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (**عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل**) وفي رواية البخاري (**عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل**) (وأئمة) جمع إمام يعني يقتدي غيرهم بهم ويتابعهم ليصير مثلهم (تقتص) بالبناء للمفعول وبالصاد المهملة أي تتبع قال في القاموس قص أثره قصا وقصصا تبعه (آثارهم) في زمانهم بالأفواه أو الكتابة وكذلك بعد موتهم كما دونوا أخبار الصالحين الماضين وذكروا سيرتهم الحسنة (ويقتدى) بالبناء للمفعول (بفعالهم) قال في القاموس فعال كسحاب اسم الفعل الحسن والكرم ويكون في الخير والشر وهو مختص لفاعل واحد وإذا كان فاعلين فهو فعال بالكسر فهو أيضا جمع فعل انتهى والمعنى أنهم يبينون الدين المحمدي للناس بأقوالهم وأفعالهم كما كانت الأنبياء عليهم السلام يفعلون كذلك فلو لم يكونوا عاملين بعلومهم لا يقتدى بأفعالهم فيخرجون عن هذا الوصف المذكور (وينتهى) بالبناء للمفعول أي يتوصل الجاهلون (إلى) معرفة (آرائهم) فيقفون عندها ولا يتجاوزونها إن قصدوا الفلاح والآراء جمع رأي وهو الاعتقاد (ترغب الملائكة) عليهم السلام (في خلتهم) أي محبتهم وصحبتهم فلا يفارقونهم فيلهمونهم الخير ويحذرونهم من الشر وفي القاموس الخلة بالكسر هي الصداقة والإخاء والخلة أيضا الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع والخل بالكسر والضم الصديق المختص أو لا يضم مع ود يقال كان لي ودا وخلا والخليل والصادق أو من أصفاء المودة وأصحها (وبأجنحتها) أي الملائكة (تمسحهم) وهو كناية عن إلهامهم ما به ترقى كثائفهم فيطيرون إلى فضاء الملكوت الأعلى (يستغفر) أي يطلب المغفرة من الله تعالى (لهم) عن جميع ذنوبهم (كل) شيء (رطب) أي روحاني (ويابس) أي جسماني والمراد جميع

الأشياء (وحيتان أي أسماك (البحر وهوامه) أي البحر وهي بقية حيوانات البحر (وسباع) أي وحوش (البر) بالفتح ضد البحر (وإنعامه) جمع نعم بالتحريك وقد يسكن عينه وهي الإبل والشاة أو خاص بالإبل ويجمع على أناعيم كذا في القاموس (لأن العلم) مع العمل به والإخلاص فيه (حياة القلوب من) موت (الجهل ومصابيح) جمع مصباح والسراج (الإبصار) جمع بصر يعني ضياءها ونورها التي تبصر به (من الظلم) جمع ظلمة فكل شيء يخفى ينكشف بالعلم (يبلغ) أي يصل (العبد بالعلم إلى منازل الأخيار) جمع خير قال في القاموس الخير والكثيرُ الخَيْرِ، كالخَيِّرِ، ككَيِّسٍ وجمعه أخْيارٌ وخِيارٌ، أو المخَفَّفَةُ في الجَمالِ والمِيسَمِ، والمشَدَّدَةُ في الدِّينِ والصَّلاحِ (والدرجات العلى) أي الرفيعات (في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه) أي في العلم المذكور (يعدل) ثواب (الصيام) لأنه إمساك عن التفكر في غيره فهو حبس النفس على التفكر فيما يرضى الله تعالى كالصائم يحبس نفسه في طاعة الله تعالى عن الأكل والشرب والجماع (ومدارسته) أي قراءته على المشايخ للحفظ والإتقان ومطالعته للفهم والإيقان (تعدل) ثواب (القيام) بالتهجد خصوصا إذا كانت في الليل وقد صفا الذهن وراقت البصيرة (به) أي بالعلم (توصل الأرحام) بتعليمه لأقاربه وأهله نساء ورجالا فيكون في ذلك صلة رحم لهم (وبه يعرف) أي يتميز (الحلال والحرام) من كل اعتقاد وقول وعمل (وهو) أي العلم (إمام العمل) لأنه متقدم عليه تقدم الإمام على المقتدي (والعمل تابعه) أي تابع العلم متأخر عنه (يلهمه) بالبناء للمفعول أي يلهمه الله تعالى (السعداء) جمع سعيد وهو من سبقت له الحسنى من الله تعالى فكان من أهل اليمين (ويحرمه) أي يحرمه الله تعالى (الأشقياء) جمع شقي وهو من حقت عليه الكلمة الأزلية أنه من أهل النار فكان من أهل الشمال

الحديث الثالث عشر (مج) يعني روى ابن ماجه بإسناده (عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يا أبا ذر لأن) اللام للقسم المقدر تقدير والله لأن (تغدو) أي تذهب في وقت الغدوة وهي بالضم البكرة أو ما بين صلاة

الفجر وطلوع الشمس كالغداة وغدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدا بكر كذا في القاموس (فتعلم) بالتشديد وحذف إحدى التاءين تخفيفا والأصل تتعلم (آية) واحدة (من القرآن) بنية أن تقرأها في الصلاة أو في غيرها أو تعلمها لغيرك أو لتفهم معناها فتتعظ به أو تستنبط منه إن كنت من أهل الاستنباط (خير لك) عند الله تعالى (من أن تصلي مائة ركعة) من النافلة لأن نفل الركعات قاصر ونفع تعلم الآية متعد وقد تقع فرضا بخلاف النافلة من الصلاة (ولأن تغدو) أي تذهب بكرة النهار (فتعلم) أي فتتعلم (بابا) أي نوعا (من) أنواع (العلم) وفيه إشارة إلى أن تعلم طرف من المسألة لا يكون كذلك ما لم تتم بجميع أطرافها فلا يبقى منها طرف إلا تعلمته كمسألة صحة الصلاة فإنها متوقفة على تعلم جميع شروطها وأركانها بتفاصيل الأبحاث في ذلك (عمل) بالبناء للمفعول أي سواء عمل غيرك (به) أي بذلك الباب من العلم الذي تعلمته أنت للعمل به مع الإخلاص (أو لم يعمل) بالبناء للمفعول أيضا أي ترك العمل به غيرك وضعفت رغبة الناس في القيام به (خير لك من أن تصلي) الله تعالى (ألف ركعة) من النافلة من النافلة خصوصا إذا نويت بتعلم ذلك الباب إحياء سنة درستها الناس وتركوا العمل بها فعملت بها أنت لإرشادهم إلى ذلك وسبقهم إلى فعل الخير وحثهم عليه (أقوال) أي هذه أقوال (الفقهاء) أي علماء الأحكام الشرعية في بيان العلم قال (في) كتاب فتاوى (الخلاصة سئل أبو بكر) من فقهاء الحنفية رحمه الله تعالى (عن قراءة القرآن للمتفقه) أي الطالبين لمعرفة الفقه بقصد العمل به مع الإخلاص (هي أفضل) عند الله تعالى (أم درس) أي مدارسة بمعنى قراءة ومطالعة علم (الفقه قال) المسئول (حكي عن أبي مطيع) البلخي رحمه الله تعالى (أنه قال النظر) أي التأمل والتفهم (في كتاب أصحابنا) وهي كتب علم الفقه (من غير سماع) من مدارسة غيره (أفضل من قيام الليل) ولم يقل أفضل من قراءة القرآن احتراما للقرآن وإلا فإن قراءة القرآن في غير الصلاة مستحبة والنظر في كتب علم الفقه لاكتساب الفوائد قد يكون فرضا إذا احتاج للعمل المفروض (وعن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل البخاري) رحمه

الله تعالى (أنه سئل عن الفقيه) أي المشتغل ليلا ونهارا بمطالعة مسائل الفقه ومراجعة أحكام الشريعة للعمل بها في فرائضه والانتهاء عما نهى عنه ولتعليم غيره (هل) يترك ذلك و (يصلي صلاة التسبيح) المذكورة في كتب الفقه (قال) في الجواب (تلك) أي صلاة التسبيح (طاعة العامة) فإنهم لا يقدرون على طاعة الاشتغال بعلوم الشرايع والأحكام ونشرها وإفادتها للخاص والعام ولا شك أن ذلك أفضل من صلاة التسبيح لأنها نفع قاصر وهو متعد (فقيل) له (فلان الفقيه) وذكر له اسمه (يصلي صلاة التسبيح قال هو عندي) محسوب (من) جملة (العامة) حيث ترك النفع المتعدي إلى الغير واشتغل بالنفع القاصر على النفس وهو طريقة العوام (انتهى) ما نقله عن الخلاصة (وفي) كتاب (التجنيس) تأليف الإمام الفرغاني مؤلف الهداية رحمه الله تعالى (الرجل إذا تعلم بعض القرآن) وهو مقدار ما يحتاج إليه بأن تعلم قدر الفرض للقراءة في الصلاة وذلك آية طويلة أو قصيرة عند أبي حنيفة رضي الله عنه أو ثلاث آيات قصار أو آية طويلة عند صاحبيه رحمهما الله تعالى وتعلم قدر الواجب وهو فاتحة الكتاب ومعها سورة أو ثلاث آيات قصار أو آية طويلة وتعلم قدر السنة وهو نحو الأربعين آية من طوال المفصل من الحجرات إلى البروج ونحو العشرين آية من أوساط المفصل من الطارق إلى لم يكن وسورة من قصار المفصل من الزلزلة إلى آخر القرآن (ولم يتعلم الكل) أي كل القرآن فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا كلهم يعلمون كل القرآن وإنما غالبهم كان يعلم البعض دون البعض (فإذا وجد) ذلك الرجل (فراغا) بأن وجد وقتا خاليا من الاشتغال بالفرائض والواجبات والسنن المؤكدات (كان) حينئذ (تعلم) جميع (القرآن) له (أفضل من صلاة التطوع) بليل أو نهار وذلك (لأن حفظ القرآن) كله أي تعلم قراءته على ظهر القلب أو من المصحف صحيحا مجودا (على الأمة فرض كفاية) إذا قام به البعض سقط عن الباقين بالسابق بذلك هو الفرض والباقون متنفلون به لكنهم مترشحون إلى سقوط الفرض بالتالي منهم إذا مات السابق أو نيس فكان أفضل ولأن نفعه متعد بالتعليم بخلاف صلاة التطوع (وتعلم) أحكام (الفقه) مقدار ما

يهمه منه في عباداته ومعاملاته (أولى من ذلك) كله لافتراضه عليه وكذا الزائد على ما يهمه لتعليم غيره (انتهى) ما نقله عن التجنيس (وفيه) أي في التجنيس (أيضا طلب العلم) بالدين المحمدي اعتقادا وعملا (والفقه) أي الفهم والتأمل بالإخلاص في ذلك كله (والعمل به) أي بما فقهه من ذلك بالتيقن به في الاعتقاد وأشغال الجوارح بتعاطيه في الأعمال (إذا صحت) أي قويت وثبتت (النية) أي قصد القلب على التقرب بذلك كله إلى الله تعالى من غير التفات إلى ما سواه أصلا (أفضل) عند الله تعالى (من جميع أعمال البر) بالكسر أي الخير كنوافل الصلوات والصيام والصدقة والحج (لقوله) أي النبي (عليه الصلاة والسلام ما عبد) بالبناء للمفعول (الله) تعالى (بشيء) من العبادات (أفضل من فقه) فهم (في الدين) المحمدي اعتقادا وعملا بقصد العمل بذلك مع الإخلاص (ولأنه) أي طلب العلم النافع المذكور (أعم نفعا) أي من جهة النفع (لأن نفعه يرجع إليه) أي إلى المتعلم المذكور بالعمل به على وجه الإخلاص (وإلى غيره) أيضا بتعليم الغير (ونفع غيره) أي غير طلب العلم (من) سائر (الأعمال) الصالحة (يرجع إلى العالم) بذلك (خاصة) دون غيره وإن كان في الأعمال أيضا يرجع إلى الغير مثل ثواب العامل إذا أرشده ذلك لغير إليها ودله عليها فإن الدال على الخير له مثل ثواب فاعله لا ينقص من ثواب فاعله شيئا، على ما ورد في الحديث ولكن ذلك الثواب الذي يحصل للدال إذا عمل المدلول بذلك الخير ثواب غير حاصل له باختياره وربما كان له بعد موته أيضا زيادة على ثواب الدلالة الاختياري فليس مثل الثواب الذي يحصل للمتعلم على فعله الاختياري فإنه مضاعف له دون الأول وقد يكون فرضا فثوابه أكثر على كل حال (قال العبد الضعيف) يعني الإمام الفرغاني صاحب التجنيس (عصمه) أي حفظه (الله تعالى) من الزلل في القول والعمل ورحمه الله تعالى (وكذا الاشتغال بالزيادة) من العلم النافع مع الإخلاص فيه (بعد ما تعلم) العبد (قدر ما يحتاج إليه) في اعتقاده وعباداته ومعاملاته (أفضل) من الاشتغال بنوافل العبادات (إذا كان لا يدخل عليه) أي على ذلك المشتغل بالزيادة (النقصان في فرائضه) الفعلية

كالمفروضات من العبادات والتركية كالاجتناب عن المحرمات وكذلك في فعل واجباته وترك مكروهاته التحريمية وفعل سننه وترك مكروهاته التنزيهية (وهو الصحيح) من الأقوال (لما قلنا) من أن نفع ذلك أعم من غيره (وصحة النية) المتقدم ذكرها هي (أن يطلب) العبد (به) أي بطلب العلم معرفة ظهور (وجه) أي ذات (الله) تعالى الموجودة متوجهة على شيئيته الهالكة وكذا شيئية كل شيء وهذا مقام المقربين (و) يطلب حصول النجاة له من الله تعالى والنعيم المقيم في (الدار الآخرة) من غير عذاب يسبق وهو مقام الأبرار أدنى من الأول (ولا ينوي به) أي بطلب العلم المذكور (طلب) حصول (الدنيا) له وهي الأموال وما يتوصل إليه بها من الحظوظ العاجلة قبل يوم القيامة (وقيل إذا أراد أن يصحح نيته) في طلب العلم المذكور (ينوي الخروج) بالعلم المذكور (من الجهل) في نفسه (و) ينوي (منفعة الخلق) أي المخلوقات بتعليمهم ذلك والحكم عليهم به على وجه العدل في بني آدم وغيرهم (و) ينوي (إحياء) أي إبقاء ذكر (العلم) النافع في الأرض حتى لا يندرس فتجهله الناس (انتهى) ما نقله من التجنيس (وفي) كتاب (بستان العارفين فإذا لم يقدر) العبد (على تصحيح النية) في طلب العلم بأن كانت حظوظ نفسه غالبة عليه وشهواته متحكمة من قلبه وحب المال والجاه مقيدا له (فالعلم) النافع حينئذ (أفضل) له (من تركه) وإن طلبه من غير إخلاص ولا بنية العمل به لأنه في حالة تركه يجتمع فيه ظلمة حظوظه وشهواته وغفلاته وعدم إخلاصه مع جهله أيضا بما فيه نجاته من ذلك فتبقى حالته ظلمات بعضها فوق بعض وأما إذا اشتغل مع ذلك بتعلم العلم النافع قلت ظلماته وخفت غفلاته والشر بعضه أهون من بعض (ولأنه) أي من لم يقدر على ردع نفسه عن السوء في طلب العلم (إذا تعلم العلم) النافع (فإنه يرجى) له ولو بعد حين (أن يصحح العلم بنيته) فيجعلها خالصة لله تعالى (قال مجاهد) من التابعين رحمه الله تعالى (طلبنا العلم) النافع (وما لنا فيه كثير من النية) الصالحة في طلبه بل قليل منها لأنه غالبا يكون في رعونة الشباب وجهل الحداثة (ثم رزق الله) تعالى قلوبنا بعد ذلك (فيه تصحيح النية) وصدق الهمة

خصوصا إذا وصل العبد إلى سن الشيخوخة وانطفى توقد نيران آماله (انتهى) ما نقله من بستان العارفين (وفيه) أي في بستان العارفين أيضا (قال بعضهم) وهو سفيان الثوري رحمه الله تعالى (تعلمنا العلم) النافع في بداية الأمر (لغير) وجه (الله) تعالى (فأبى) أي امتنع (العلم) النافع علينا (أن يكون إلا لله) تعالى فكان في آخر الأمر لوجه الله تعالى غيره من الله تعالى على العلم النافع أن يكون على غير وجهه وفي غير إنائه وذلك بأن يصرف الله تعالى وجوه الناس عن اعتبار ذلك العلم فيبقى صاحبه بينهم مهانا فينقطع طمعه فيهم بسبب علمه ذلك فيخلص فيه ونحو ذلك من الصوارف الجارية على مقتضى الحكمة الإلهية (والظاهر) من قول هذا البعض (أن مراده) بالعلم الذي أبى أن يكون إلا لله تعالى (العلوم الزاجرة) عن اقتراف الذنوب الظاهرة والباطنة فيها قصد غير وجه الله تعالى كعلوم المواعظ والمناهي والترهيب فإن عالمها لا يزال يتعلمها بالنية الفاسدة حتى تصح نيته فيها في الغالب إذا طال به المدى (بدليل قوله) أي صاحب بستان العارفين (فيما سبق) قريبا حيث قال فإنه يرجى أن يصحح العلم نيته ومعلوم أن العلم الذي يصحح النية هو العلم الزاجر دون غيره (وإذا أخذ الإنسان حظا) أي نصيبا (وافرا) أي كثيرا (من) علم (الفقه ينبغي) أي يستحب له (أن لا يقتصر على) معرفة علم (الفقه) فقط (ولكن ينظر) أي يقرأ ويتأمل (في علم الزهد) وهو علم التصوف الذي يعرف منه أمراض القلب وأدويتها ليرفع عنه الأخلاق المذمومة ويتصف بالأخلاق المحمودة (و) ينظر (في كلام الحكماء) الإلهيين العارفين بالله تعالى الذين آتاهم الله تعالى الحكمة كما قال سبحانه (**يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً** * البقرة: ٢٦٩) الآية وهو علوم الإلهام والحقايق الإلهية لا علوم الفلسفة وحكمة العين فإنها علوم محرمة كما سبق بيانه ومن أجل الحكماء الإلهيين الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي والشرف بن الفارض والعفيف التلمساني وابن سبعين وغيرهم رضي الله عنهم من العارفين المحققين فإن كلامهم أنفع شيء للفقيه إذا سلك به في معرفة أسرار فقه ولكن بعد اعتقادهم ومحبتهم ونبذ كلام من

تكلم فيهم بسوء من أهل الجهل والغباوة الذين هم ليسوا على طريقهم ولا يعرفون اصطلاحهم فإن من جهل شيئا عاداه ولا عبرة بنقل المنكرين عليهم لكلامهم وزعمهم أنهم فهموه لأنهم لو فهموه لما ظهر من تقريرهم كفرا وضلالا بل كان يظهر إيمانا وتوحيدا ولكن كل إناء بالذي فيه ينضح وآنيتهم لما تنجست بكفر الإنكار على أولياء الله تعالى وبغضهم والتعصب عليهم كان كل كلمة من كلام أهل الله تعالى إذا دخلت ذلك الإناء النجس تنجست به وكانت إيمانا في الآنية الطاهرة فصارت كفرا في الآنية النجسة القذرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ولا قطع عندنا ببقاء المنكرين على إنكارهم لاحتمال توبتهم قبل الموت فلا طعن فيهم إلا بحسب كلامهم حال صدوره منهم إن صح عنهم انظر إلى هذا الإمام في علمي الظاهر والباطن سيد المتأخرين الشيخ شهاب الدين أحمد بن علان الصديقي البكري المكي النقشبندي رضي الله عنه فإنه نقل في كتابه شرح حكم العارف بالله تعالى الشيخ أبي مدين التلمساني قدس سره قال دعوى النفس ينشأ من عجبها وهو أشد المهلكات كما شهد بذلك سيد الكائنات حيث قال (**ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فإما المنجيات فتقوى الله في السر والعلانية والقول بالحق في الرضاء والسخط والقصد في الغناء والفقر وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه**) وهي أشدهن فمن كان عنده أشد المهلكات كيف يتوقع الشفاء من أدوية الطاعات فلذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من مات ولم يتوغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر ولقد صدق فيما قال فأي شخص يا أخي يصوم ولا يعجب بصومه وأي شخص يصلي ولا يعجب بصلاته وهكذا سائر الطاعات إلا أن تخل عليه عناية مولاه بمعرفة آداب الخدمة من مجالسة أطباء القلوب وحلول عناياتهم عليه حتى تمحق العجب الذي حل به من تلك الطاعات ولا يعجب بعد ذلك إلا بفضل مولاه كما قال في الحكم العطائية لا تفرحك الطاعة بأنها برزت منك وأفرح بها لأنها برزت من الله تعالى إليك قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ فلا تفرح يا أخي ولا

تعجب إلا بنواله ولا تصحب إلا من يعلمك العلوم التي تقربك إلى حضرة كماله (و) ينظر (في شمائل) أي أوصاف (الصالحين) المتقدمين رضي الله عنهم ويتأمل ما كانوا فيه من العلم والعمل والتقوى والورع ويقلدهم فيما يمكنه من ذلك فإن الغيث أوله قطر ثم ينسكب ولا تمانعه الوساوس واليأس من الشير على سيرهم ولا ينتقد عليهم ما لا يعرفه ولا يلتفت إلى غرور مغرور فيهم ولا طعن طاعن كما لا يلتفت إلى طعن الرافضة والخوارج في الصحابة والخلفاء الموثقين رضي الله عنهم أجمعين وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (فإن الإنسان إذا تعلم) علم (الفقه) وحده (ولم ينظر في علم الزهد و) علم (الحكمة) الإلهية وهي علوم مواجيد القوم من الصوفية المحققين كما ذكرنا فما فهمه من ذلك على طبق الكتاب والسنة حمدهم عليه وما خفي عنه ودق أسلمه لأهله واعترف هو بالقصور في نفسه عن فهمه ولو كان من أعلم علماء الظاهر فإن لكل مجال رجالا ولكل مقام مقالا ولا يعجب بنفسه ولا ينغرّ بعلمه فإنه يهلك من حيث لا يشعر (قسا) أي عتا وصلب (قلبه) فكان كالصخر لا تؤثر فيه المواعظ ولا الحكم وجمدت بصيرته فلا يقدر يفهم بها شيئا سوى ظاهر من الحياة الدنيا وتتسلط عليه بسبب ذلك الوساوس الشيطانية فيقع في أهل الله وأوليائه بما هم بريئون منه ويجحد الدين الخالص وطريق التقوى القلبية التي قال تعالى (**فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** * الحج: ٣٢) فيهلك في مهواة من التلف (والقلب القاسي) الذي لا يلين للحق (بعيد من الله) سبحانه مطرود عن أبواب فضله وإنعامه (انتهى) ما نقله من كتاب بستان العارفين وإنما كان هذا المقدار المذكور من النظر في علم الزهد والحكمة كما بينا مستحبا مما ينبغي تعلمه للفقيه ولم يكن فرضا عليه لأن القلوب البشرية قد تكون مطبوعة على الرقة واللين والخشوع وسلامة النية وحسن القصد والتواضع والاعتقاد في كلام الصالحين والتسليم لهم من غير فهم لكلامهم بلا شك فيهم ولا تردد فيستغني الفقيه بذلك عن النظر في علم الزهد والحكمة ولا يحتاج أن ينظر فيه كما على ذلك غالب العوام ممن لم يجتمع بأحد من المنكرين على أحد من الأولياء المحققين أو اجتمع

بهم ولم يقدروا أن يوسوسوا في صدره بحمله على الإنكار على أحد أصلا وسلمهم الله منهم ومن لم يكن مفطورا على ما ذكرنا من سلامة الصدر والاعتقاد والحسن ونحوه احتاج إلى النظر المذكور لعله يوجب له شيئا من ذلك فإن القلوب بيد الله تعالى لا تدخل تحت تكليف العبد حتى يصلحها فلا معنى لإيجاب ذلك عليه ولكن من أكثر من استعمال الدواء النافع فلا بد أن ينتج له ولو بعض شفاء فالاشتغال به أهم من تركه والله الموفق وفي الشرعة وشرحها قال ويقتبس يعنى للتعلم من كل فن حظا كافيا لحاجته ولا يقتصر على البعض وعلى القدر الغير الكافي منها فقد قيل من طلب الله تعالى بعلم الكلام وحده بلا استعانة بغيره من العلوم تزندق أي أنكر الوحدانية واليوم الآخر إذ يغلب على قلبه حينئذ أدلة المبطلين فلا يقدر أن يخلصه منها فيعتقد على مقتضاها ومن طلب الله تعالى بالزهد وحده بلا شيء من العلوم ابتدع لعدم علمه الطريق المسنون ومن طلب الله تعالى بالفقه وحده تفسق بأن صار خارجا عن الطريق الموصل إلى معرفة الله تعالى لا يتخلص من التقليد ولا يميز ما يصلح القلب مما يفسده من الصفات الباطنة قال أبو الليث رحمه الله تعالى من تعلم علم الفقه ولم ينظر في علم الزهد والحكمة يسود قلبه ومن تفنن بأن تعلم الفنون تخلص عن التزندق والابتداع والتفسق ويكون في طلبه على صراط مستقيم (فإذا كان الحال) أي الشأن (هذا) أي قسوة القلب (في) علم (الفقه) وحده مع شرف الفقه لأنه معرفة الأحكام الشرعية للعمل بها مع الإخلاص ولا يمكن العمل بها مع الإخلاص إلا لصاحب علم الزهد والحكمة (فما ظنك بسائر) أي بقية (العلوم) التي هي دون علم الفقه مما هي وسائل إليه (غير) العلوم (الزاجرة) للعبد عن المخالفات كعلوم العربية ونحوها فإنها توجب قسوة القلب والبعد عن الله تعالى بالطريق الأولى لكل من اقتصر عليها في الاشتغال ولم ينظر في علم الزهد والحكمة (وفي) كتاب (التجنيس) لصاحب الهداية (رجل تفقه) أي تعلم الفقه (ثم اشتغل) بعد ذلك (بالعبادة) لله تعالى مع الإخلاص والورع (وامتنع) بسبب ذلك (عن التعليم) للناس (فإن كان الناس استغنوا عنه بغيره) من العلماء المعلمين

لغيرهم (أجزأه) أي كفاه ذلك الغير عن تعليم الناس لأنه فرض كفاية وقد قام به البعض فسقط عن الباقين (كما فعل) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) نسبة إلى قبيلة طي (فإنه تعلم العلم عن أبي حنيفة) رضي الله عنه (ثم اشتغل) بعد ذلك (بالعبادة واعتزل) جميع (الناس ولم يشتغل بالتعليم) لأحد قال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى كان سبب زهد داود أنه كان يمر ببغداد يوما فنحاه المطرقون بين يدي حميد الطوسي فالتفت داود فرأى حميدا فقال داود أف لدنيا سبقك بها حميد فلزم البيت وأخذ في الجهد والعبادة وقال بعضهم أن سبب زهده أنه كان يجالس أبا حنيفة رضي الله عنه فقال له أبو حنيفة يوما يا أبا سليمان أما الأداة فقد أحكمناها فقال له داود فأي شيء بقي فقال العمل به قال داود فنازعتني نفسي إلى العزلة فقلت لنفسي حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسألة فجالستهم سنة لا أتكلم في مسألة وكانت المسألة تمر بي وأنا أرى الكلام فيها أشد نزاعا من العطشان إلى الماء ولا أتكلم به ثم صار أمره إلى ما صار ذكره القشيري في رسالته (و) كان (هذا) الأمر لداود رحمه الله تعالى (لأنه أخذ بالفاضل) من الأحوال (وإن كان التعليم) للغير (أفضل) عند الله تعالى (لأن نفعه أوفر) أي أزيد من نفع العابد (فلا يكون) حينئذ (به) أي بالاشتغال بالعبادة وترك التعليم (بأس) أي كراهة بل ترك الأفضل فإن التعليم مع العبادة من أخلاق النبيين عليهم السلام (انتهى) ما نقله عن التجنيس (والحاصل أن العبادة المتعدية إلى الغير) أي التي يتعلق بها صحة عبادة الغير وهي عبادة التعليم للغير العلم النافع (أفضل من) العبادة (القاصرة) على نفع العابد بها نفسه (لأن خير الناس) أي أكثر هم خيرا (من ينفع الناس) بالتعليم للخير (ثم) العبادة (المتعدية) إلى الغير (نوعان) نوع (أخروي) أي منسوب إلى الآخرة لتعلقه في النفع في الآخرة فقط (وهو أفضل من جميع أعمال البر) أي الخير والصلاح (إذ) أي لأنه (هو عمل الأنبياء) والمرسلين عليهم السلام فإنهم كانوا يعلمون الناس الشرايع والأديان بعد التوحيد والعقائد ويعلمونهم الأخلاق الحسنة ويحذرونهم عن الأخلاق السيئة (وبه) أي بهذا النوع من العبادة المتعدية (فضلوا) على

غيرهم من جهة العمل وهم أفضل من غيرهم بالنبوة قطعا (خرج) بالتشديد أي أسند (ديلم) يعني أبا منصور الديلمي (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال من تعلم بابا من العلم) النافع أي مسألة بتمامها (ليعلم الناس) ذلك الباب الذي تعلمه وفيه إشارة إلى أن النية الصالحة لا بد منها في ثواب العمل وأن المعلم للناس لا يلزم أن يكون عالما جميع أبواب العلم بل يجوز لمن يعلم بابا من الأبواب أن يعلمه لغيره وأن الذي علم بعض المسألة كمن علم شروط الصلاة فقط ولم يعلم أركانها لا ينبغي له أن يعلم غيره حتى يستوفي علم مسألة الصلاة كلها يعني ما يهم منها دون علم جميع فروعها فمسألة الصلاة مثلا باب من العلم (أعطي) أي أعطاه الله تعالى من الأجر (ثواب سبعين صديقا) بكسر الدال المهملة مشددة يعني ثواب السبعين غير مضاعف ولهم مضاعف ولعل السبعين للتكثير لا للعدد كما في نظائره (ولذا قال في) كتاب (التجنيس إذا تعلم رجلان علما) من العلوم النافعة (علم الصلاة أو غيره) كعلم الصوم أو الزكاة أو الحج وكان (أحدهما يعلم) ذلك العلم (ليعلم الناس) ما تعلمه أي بنية ذلك (والآخر) إنما تعلم (ليعمل به) أي بما علمه (فالذي يتعلم) العلم المذكور (ليعلم) غيره (أفضل) من الذي يتعلم ليعمل به هو لنفسه (لأن منفعته) أي الذي يعلم غيره (أكثر للناس) من منفعة الذي يتعلم ليعمل به في نفسه (وأبلغ) أي أعظم (في أمر الدين) المحمدي لنشره أحكام الله تعالى وإظهاره شرايع الإسلام وحماية الحق عن أهل الباطل ونصرة المؤمنين على أعدائهم من الوساوس النفسانية والعصبة الشيطانية (انتهى) ما نقله عن التجنيس (و) نوع آخر (دنيوي) أي منسوب إلى الدنيا لحصول الانتفاع به في الدنيا (كالصدقة) المفروضة وغيرها فإن الذي يأخذها ينتفع بها في الدنيا والمعطي ينتفع بها في الآخرة فهو نفع متعد دنيوي لا أخروي والنوع الأول أخروي لأنه ينتفع به الذي يتعلم في الآخرة كما ينتفع المعلم في الآخرة أيضا (والإعانة) على حوايج الدنيا والآخرة في غيرالمعصية (والدلالة) على كل نفع دنيوي أو أخروي (والشفاعة) في الخير والصلاح (وبناء القناطر) من ماله فوق

الأنهار العظام أو في الطرق الصعبة السلوك على المارة (ونحوها) من بنيان السبلانات والسقايات والمساجد والمكاتب (وتسوية الطرق) جمع طريق أي إزالة التلعة منها وتنقية الأحجار وقلع الصخور (وإماطة) أي رفع الأذى كالقمامات والشوك والنجاسات (عنها) أي عن الطرق بالنية الخالصة لوجه الله تعالى في جميع ذلك وإلا كان معصية بالرياء والسمعة والعجب والمباهات (فهذا) النوع الثاني من العبادات المتعدية (متوسط) في الثواب عند الله تعالى (بينهما) أي بين النوع الأول وبين العبادة القاصرة فيكون حينئذ (دون) النوع (الأول) الذي هو تعليم العلم النافع للغير فإنه أفضل من الكل (وفوق) العبادة (القاصرة) لتعدي نفعه إلى الغير دون العبادة القاصرة التي هي (كالصلاة والصوم) فرضا ونفلا (والذكر والدعاء) ونحو ذلك من سائر العبادات البدنية (فلذا) أي لكون العبادة المتعدية أفضل من القاصرة (كان الاشتغال بأمر النكاح) أي الوطئ الحلال بعقد أو ملك يمين لمن يقدر على ذلك بلا حرج عليه أو على المرأة (و) كان (الكسب للمال الحلال من الوجوه الشرعية فيمن تيقن ذلك) ويقدر عليه (لأجل التصدق) بما زاد على الكفاية (أفضل من التخلي) أي الانقطاع (للعبادة) والاشتغال بها لأن في النكاح حصول الذرية الصالحة ولو بالإسلام والإيمان وإعفاف نفسه وامرأته وقطع تشوقهما إلى السوء وفي التصدق سد خلة الفقراء وإغناء فاقتهم (فعليك) يا (أيها السالك) في طريق الله تعالى (بالجد) أي السعي والاجتهاد (والمواظبة) من غير فتور (في تحصيل العلم) النافع بنية العمل به مع الإخلاص وترك كل من يفندك عنه ويصرف همتك في الاشتغال بما لا يعنيك من فشارات الدنيا وضلالات الغرور وإذا علمت ذلك (فلا تصغ) أي تمل وتلتفت (إلى ترهات) أي أباطيل (جهلة) الطائفة (المتصوفة في زماننا) هذا وهو عصر التسعمائة فإن الصوفية في كل زمان فيهم جهلة وفيهم علماء عارفون كما أن الفقهاء كذلك فيهم فسقة مكبون على أكل الحرام وفيهم صالحون زاهدون وكذلك المفسرون والمحدثون وسائر أنواع العلماء حتى الجنود والعساكر والملوك والقضاة والأمراء وأهل الأسواق فيهم الصالحون وغيرهم في كل زمان والنوع

الفاسد منهم هو المذموم فقط دون النوع الصالح ولا يعمم في الذم أو المدح إلا الجاهل (يقولون) يعني جملة المتصوفة (العلم حجاب) ويعنون بذلك أن اشتغالهم بالعلم يوجب تركهم الاشتغال بما هم فيه من شهود الله تعالى على زعمهم ذلك وما عرفوا أن بالعلم يزداد شهودهم وتكمل معرفتهم به سبحانه ويرسخون في مقام اليقين ولكنهم نظروا إلى كيفية اشتغال أهل الغفلة بالعلم فإنهم يشتغلون به وهم مصرون على الرياء والعجب والكبر والحقد والمنافسة بل على المعاصي والمخالفات وأكل الحرام فحسبوا أن العلم أورثهم ذلك وإنما العلم نور ولكن أهل الغفلة هم المتدنسون بأوساخ الذنوب والقبايح ومقالة هؤلاء الجهلة من المتصوفة ليست في زمان المصنف رحمه الله تعالى فقط بل فيما قبل أيضا كما ذكر الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه مواقع النجوم بعد أن مدح العلم كثيرا ثم قال وإنما أكثرنا هنا في العلم لأن في زماننا قوما لا يحصى عددهم غلب عليهم الجهل بمقام العلم ولعبت بهم الأهواء حتى قالوا أن العلم حجاب ولقد صدقوا في ذلك لو اعتقدوه أي والله حجاب عظيم يحجب القلب عن الغفلة والجهل وأضداده يعني أضداد العلم من الظن والشك والوهم فما أشرفها من صفة خبأنا الله تعالى بالحظ الوافر منها وكيف لا يفرح بهذه الصفة ويهجر من أجلها الكونان ولها شرفان كبيران عظيمان الشرف الواحد أن الله سبحانه وصف بها نفسه والشرف الآخر أنه مدح بها أهل خاصته من أنبيائه وملائكته عليهم السلام ثم من علينا سبحانه ولم يزل مانا بأن جعلنا ورثة أنبيائه فيها فقال صلّى الله عليه وسلّم (**العلماء ورثة الأنبياء**) (وأنه) يعني العلم (يحصل) للعبد (بالكشف وهو بلوغ ما وراء المحسوس من عوالم الغيب) وطريقه صفاء السريرة من الاشتغال بالأغيار ودوام الذكر والخشوع قال العفيف التلمساني قدس الله سره في شرح منازل السائلين للهروي رحمه الله تعالى في المكاشفة أنها بلوغ ما وراء الحجاب من المشاهدة الإلهية بخلاف المكاشفة الصورية وهي كشف الصور مثل الإخبار بوقت قدوم الغائب والأخبار بما وراء الجدار مما لم يشاهد بالحس ونحو ذلك وهي ليست في طريق الله تعالى بل هي قاطعة عنه

ولذلك لم يختص بها ملة دون أخرى انتهى والعلم الذي يحصل بالمكاشفة حيث قلنا بحصوله بها علم المعارف الإلهية والحقائق الربانية لا علم كيفية الأعمال الظاهرة ومعرفة الأحكام الشرعية فإن هذا العلم لا يحصل إلاّ بالتعلم والاّ لاستغنت الخلق عن الأنبياء والكتب بالمكاشفة وهو باطل وإن كان بعض الأولياء يلهمه الله تعالى الحق والصواب بشيء منه فيوافق ما عند العلماء منه في أقواله وأعماله وأحواله واعتقاداته بطريق العناية له من الله تعالى فهو نادر فلا نطعن في أحد بعينه من المتصوفة الذين تركوا التعلم واشتغلوا بالذكر فعساه يكون وافق الحق من علم العلماء في جميع أموره هداية له من الله تعالى وإن كنا نقول لا بد من التعلم ولا يحصل هذا العلم إلا بالتعلم فإن قولنا هذا على وجه العموم من غير خصوص في أحد والكف منا عمن وجدناه ترك التعلم للاحتمال المذكور على وجه الخصوص في شخص معين وأشخاص معينين وعلى هذا يحمل كلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وفي نظائره من أبحاث هذا الكتاب (فلا حاجة) في تحصيل العلم مع نورانية الكشف (إلى الكسب) أي المطالعة والقراءة على المشايخ والمذاكرة (فإنه) أي هذا القول من جهلة المتصوفة في حق علم الشرايع والأحكام بطريق الاطراد في كل أحد إلا الندرة القليلة في بعض من يعتني بهم الحق تعالى كما ذكرنا (كذب) محض لأنه لم يقع للجميع بل إنما وقع لأهل التوفيق والعناية بالموافقة في الأعمال الصالحة كما وقع لأويس القرني رضي الله عنه مع وجوده في زمان النبي صلّى الله عليه وسلّم ولم يجتمع بالنبي عليه السلام استغناء بالإمداد الباطني المحمدي له عن الأخذ من حيث الظاهر ومن كان موفقا كذلك لا يعرف صور المسائل ولا مواضع استنباطها ولا يدريها إذا سئل عنها وإنما يوفق الله تعالى للعمل بها على وجه الصواب من غير شعور منه بذلك وليس هذا المقدار علما حتى يكون الكشف موصلا إليه بلا اكتساب ولا تعلم ولا دراسة (و) هو (ضلال) أيضا في حق من لم يكن على الوصف الذي ذكرناه من الموفقين فإنه يكون مخذولا حينئذ لا عنده تفيق من الله تعالى وإلهام المحق ولا له اشتغال واكتساب للعلم النافع الذي ربما وفقه الله تعالى للعمل به على وجه

الإخلاص فنجا وسعد وليس هذا الوصف مخصوصا بأحد بعينه نتجسس عليه ونحتقره بسبب عدم تعلمه العلم في الظاهر لاحتمال التوفيق في الباطن لعين الصواب وإنما هذا حكم منا ومن المصنف رحمه الله تعالى على وجه العموم ليحترز العبد من مواضع الهلكة ولا نسيء الظن ايضا باحد معين كما قال تعالى (**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** * البقرة: ٢١٦) (و) هو (إضلال) أيضا للغير ممن لم يكن على الوصف المذكور ممن يعلمه الله تعالى بلا تجسس منا ولا سوء ظن بأحد معين أصلا ونؤول كل خطأ وجفاء في كل مسلم من المسلمين كما قال الإمام النووي رضي الله عنه في أدب العلم والمتعلم من مقدمة شرح المهذب يجب على الطالب أن يحمل إخوانه على المحامل الحسنة في كل كلام يفهم منه نقص إلى سبعين محملا ثم قال ولا يعجز عن ذلك إلا كل قليل التوفيق انتهى كلامه وإذا وجدنا أحدا ممن ترك العلم الظاهر من المتصوفة وغيرهم من المسلمين فلا نسأله عن شيء من أحكام الله تعالى أصلا فإن من أراد تخجيل غيره في العلم فهو كافر بالله تعالى كما تقدم بيانه فإذا سألناه فوجدناه لم يعلم ما سألناه عنه يحتمل أن الله تعالى موفق له إلى العمل بمقتضاه بلا تعلم من العلماء فإن التوفيق لا بد منه لمن علم ولمن لم يعلم وليس العلم بالحكم الشرعي مقتضيا للعمل به وحاملا على العمل قطعا من دون توفيق الله تعالى فكم من عالم لم يوفقه الله تعالى للعمل بما علمه فهو مخذول وكم من جاهل وفقه الله تعالى للعمل الصالح بطريق الإلهام والعناية به فهو خير من ذلك العالم المخذول وإن لم يكن له علم بما علمه ذلك العالم ولا يعلم بتفاصيل أمور الناس على ما هم عليه إلا الله تعالى وإنما للعلماء النصح والتحذير بلا إساءة ظن ولا تجسس ولا امتحان لأحد معين أصلا وهذه أحوال العلماء العاملين وأما علماء القيل والقال من غير تقوى ولا خوف من الله تعالى فهم على غير ما ذكرنا (فإن العلم) النافع بنية العمل به مع الإخلاص فيه (فرض) على كل مكلف لتوقف صحة العمل المفروض عليه في العادة المطردة بحسب الظاهر فلو وفق الله تعالى العبد لذلك العمل المفروض على وجه الصحة بدون العلم لم يكن العلم فرضا عليه إذ ليس هو

فرضا لذاته بل لغيره كالطهارة شرط لصحة الصلاة فهي فرض لغيرها لا لذاتها فلو حصلت من غير تحصيل لها حصل المقصود منها كمن وقع في ماء فإنه يخرج طاهرا حيث عم الماء موضع الحدث منه فتصح صلاته بتلك الطهارة وإن لم تقع عبادة مثابا عليها كما قال فقهاؤنا (وأنه) أي العلم إنما يحصل (بالتعلم) وإن لم يكن مقصودا لذاته فلا يكون عالما إلا إذا تعلم وقد يكون عاملا بمجرد التوفيق من غير علم فيحصل المقصود فلا يبقى العلم فرضا حينئذ كمن وقع في ماء حيث قلنا بحصول الطهارة له فلا تبقى الطهارة عليه فرضا (لما قاله) النبي (عليه الصلاة والسلام) كما سبق في الحديث إنما العلم بالتعلم (وأن مأخذه) أي العلم (كتاب الله) تعالى وهو القرآن العظيم (وسنة حبيبه) أي حبيب الله محمد (صلّى الله عليه وسلّم لما بينا) في هذا الكتاب (سابقا) في فصل الاعتصام بالكتاب والسنة فليس مأخذ العلم الكشف يعنى العلم المذكور على حسب ما قررناه (وإن الصحابة) رضي الله عنهم (خير هذه الأمة) بشهادة النبي صلّى الله عليه وسلّم في قوله (**خير القرون قرني**) الحديث (وأفضلها) أي أفضل الأمة علما وعملا (وأنهم اجتهدوا) أي بذلوا وسعهم في استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية (واختلفوا) فيما بينهم في جزئيات القضايا (واستدلوا بالكتاب والسنة) على ما ذهبوا إليه من المذاهب (ولم يقل أحد منهم ألهم) بالبناء للمفعول أي ألقي (إليّ) من الإلهام وهو الإلقاء في القلب من غير تفكر (أنه) أي الفعل الفلاني ونحوه (حرام أو حلال أو غير ذلك) من فرض أو واجب أو مكروه فكيف يترك من دونهم التمسك بالكتاب والسنة والاستدلال بهما ويكتفي عن ذلك بالكشف والإلهام وإن كان ذلك ممكنا باعتبار حصول التوفيق له من الله تعالى والتوفيق هو أن يخلق الله تعالى فيه القدرة على الطاعة والكف عن المعصية من غير علم منه بذلك أو مع العلم وليس من شروط التوفيق حصول العلم كما أنه ليس من شروط حصول العلم التوفيق للعمل به كما قدمناه ولهذا قال الجنيد رضي الله عنه كما نقله عن القشيري في رسالته في باب الإرادة أن المريد الصادق غني عن علم العلماء وذكر في آخر الرسالة في باب الوصية قال هذا أحمد بن

حنبل رحمه الله تعالى كان عند الشافعي رضي الله عنه فجاء شيبان الراعي فقال أحمد أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلم فقال الشافعي رحمه الله تعالى لا تفعل فلم يقنع فقال لشيبان ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري أي صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شيبان فقال يا أحمد هذا قلب غفل عن الله فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعده فغشي على أحمد فلما أفاق قال له الشافعي ألم أقل لك لا تحرك هذا وشيبان الراعي كان أميا (فإن ادعوا) أي هؤلاء الجهلة المستغنون بالكشف عن تعلم الأحكام الشرعية حتى يصيروا بذلك عالمين بها على زعمهم (أنهم كوشفوا) أي كاشفهم الله تعالى بذلك (ووصلوا) منه (إلى ما لم يصل إليه الصحابة) رضي الله عنهم وإن أمكن ذلك بأن يكاشفوا بالأسرار ويصلوا إلى حقائق المعارف كما قدمناه في أن رتبة العلم والكشف قد يكون فيها بعد الصحابة من هو أفضل من الصحابة ما عدا فضيلة الصحبة بل قد يوجد في غير النبي من العلم ما لا يوجد في النبي خصوصا على القول بولاية الخضر مع أنه أعلم من موسى عليه السلام وقول الهدهد لسليمان عليه السلام أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ مع أنه طير وسليمان نبي عليه السلام وإن كانت هذه الإحاطة في أمر دنيوي لكنه علم في الجملة وليست النبوة هي العلم بل هي أمر اختصاصي وأما خصوص مسائل الحلال والحرام على الكيفية التي يعلمها أهل الاستنباط من الفقهاء وترتيب الأدلة على ذلك ومعرفة هذا الاصطلاح المخصوص المعلوم فيما بين العلماء فلا بد فيه من التعلم والأخذ عن المشايخ (فهم مبتدعون) حيث زعموا معرفة هذا العلم على هذا الاصطلاح المخصوص بمجرد الكشف والإلهام من غير تعلم (خارجون عن مذهب أهل السنة والجماعة) من حيث هذا الإصلاح المخصوص الذي تدونت فيه الآن مذاهب أهل إسلام ولم يعلم على اليقين صحة مرادهم (ولو سئل أحدهم عن) شيء من (الأخلاق المذمومة مثل الرياء والكبر والحسد والحقد أو عن معرفة علاجها) أي مداواتها (أو عن) شيء من (الأخلاق الحميدة مثل النية) أي قصد الخير في كل عمل

(والتوبة والتوكل والصبر والرضاء بالقضاء والشكر أو عن طريق تحصيلها أو تقوية ضعيفها بهت) في ذلك ولم يقدر على الجواب عنه (وخجل) منه (وخلط في كلامه) أي جاء بالهذيان (وتكلم بالشطح) أي بالكلام الذي فيه الغلو والخروج عن الحدود (والطامات) أي الزخارف الباطلة ولا يستطيع أن يجيب الجواب الذي اصطلحت عليه علماء هذا الشأن من التقرير والبيان إن كان هو في نفسه متصفا بجميع تلك الأخلاق الحسنة متباعدا عن جميع الأخلاق المذمومة بمجرد توفيق الله تعالى وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيكون كشيبان الراعي كما قدمنا ولعمري هذا الاصطلاح المخصوص الآن عند الفقهاء وغيرهم من العلماء لو سئل عنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما عرفه بخصوص هذا الاصطلاح وربما أعياه بيان ما هو متصف به من الطاعات والأخلاق الحسنة والتباعد عن الأخلاق المذمومة فضلا عن آحاد الأمة ويا ليت شعري من علم ذلك كله وبينه وقرره ولم يكن عنده توفيق من الله تعالى للعمل بمقتضاه والتخلق به ماذا يفيده من النتيجة غير علمنا نحن بأنه عالم ذلك فالمدار على التوفيق في كل حال فكما أن من لم يعلم شيئا من ذلك يحتمل أنه موفق للقيام به كله من حيث ما يعلم الله تعالى منه كذلك من علم ذلك كله وبينه لنا يحتمل أنه منافق فيه وأنه يحفظه مجرد كلام وهو غير عامل به ولا يجوز سوء الظن بأحد معين ولا التجسس عليه ولا كشف ستر الله عنه ولا فضيحته بل يحمل على أحسن المحامل ولكن الفقهاء يحذرون الناس على العموم وينصحونهم موعظة وتنبيها (بل لو سئل عن فرائض الصلاة والوضوء والاستنجاء تحير واضطرب) ولم يأت بجواب أصلا (بل بعضهم) من لا يمكن الاطلاع عليه بخصوصه لتأويلنا كل ما صدر عنه من الخطأ وجوبا علينا ذلك كما مر عن النووي رحمه الله تعالى (لم يصحح اعتقاده بعد) على طريقة أهل السنة والجماعة (ويظن من جهله) بالله (أن الله في السماء وأنه) سبحانه على صورة مخصوصة (وبعضهم يعتقد أن الله لا يريد القبايح والمعاصي) من غير شعور منه إن ذلك مذهب المخالفين (وبعضهم يعتقد أنه موجد لفعله) كذلك من غير شعور بالخطأ (وأكثرهم يصلون بلا تعديل أركان) فتنقص

صلاتهم وإن لم نعلمهم بأعيانهم إلا إذا توصلنا إلى ذلك بالتجسس والاستكشاف عن أستار الله تعالى عليهم وهو مذموم فهم عندنا أمور كلية لا نعلم جزئياتها يقينا والظن السوء مؤول فالنصح للعموم (ولا تجويد) أي تصحيح وتحسين (قرآن) مع احتمال العجز منه عن تعلم ذلك فلا إثم كما قال عليه السلام (**إذا قرأ القاري فأخطأ أو لحن أو كان أعجميا كتبه الملك كما أنزل**) أخرجه الأسيوطي في الجامع الصغير (ومع) وجود (هذه الفضايح) فيهم عند من يعلمها (يدعون أنهم واصلون) بما هم به جاهلون (مكاشفون) بذلك (فهيهات هيهات) أي يصلوا إلى معرفة جميع ذلك إلا بالتعلم من المشايخ (نعم أنهم واصلون إلى الشيطان) الذي غرهم فادعوا ما ليس عندهم (مغرورون بأمانيه) أي بما يلقى إليهم من تمني ما لا يحصل لهم إلا بالتعلم (عاملون بوساوسه) التي يلقيها في صدورهم (ولا يبعد أن يقع لبعضهم كشف حسي لبعض الأشياء) عن أمور محسوسة تتعلق بالأكوان من الأخبار عن شيء فيكون كذلك وهو الكشف الصوري كما مر (أو نحوه) أي نحو الكشف الحسي من بعض المنامات والتخيلات والواردات الغيبية والهواتف (من خوارق العادات بمقتضى الرياضات) التي يعملونها من تصفية الباطن والتجرد عن العلاقة البشرية (أو أراءة الشيطان) لهم طيرانا في الهواء برفع بعضهم أو نقله من مكان إلى مكان بأسرع زمان أو الإتيان بما يريدون (مكرا) بهم (واستدراجا من الله) تعالى ليزدادوا إثما (كما نقل) نظير ذلك (عن بعض الكفرة المرتاضين) أي المتخذين الرياضة كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في كتابه شجون المشجون عالم الصفاء حجاب لأنه يكون به الكشف وهذا يشاركنا فيه الرهبان وإنما نفضل عليهم بعالم الترقية (فيظنون أنه) أي ما يقع لهم من ذلك (كرامة) من الله تعالى (وولاية) لهم منه تعالى كما يقع للأولياء المقربين (فيغترون به) فيهلكون ولا يشعرون وكل هذا محتمل في أمورهم التي تظهر لهم ويحتمل أيضا أنها أمور صحيحة صادرة بمحض تكريم الله تعالى لهم وليس للشيطان سبيل عليهم حيث كانوا مستقيمين في باطن الأمر ما خفي على غيرهم والتوفيق محيط بهم وعناية الله تعالى تحفظهم والله ساترهم في كل حال فلا

قطع بالسوء في أحد منهم على التعيين كما قدمناه (وقد سمعت) يا أيها السالك (سابقا) في آخر فصل البدع (قول سلطان العارفين) بالله تعالى (أبي يزيد) طيفور (البسطامي) رضي الله عنه (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات) يعني خوارق العادات (حتى تربع في الهواء) بين السماء والأرض (فلا تغتروا به) وتنسبوا إليه الولاية (حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي) الوارد ذلك عليه من الله تعالى تكليفا له (وحفظ الحدود) التي حدها الله تعالى له (وأداء) أحكام (الشريعة) انتهى قول أبي يزيد رضي الله عنه والمراد نظر ذلك منه بلا تجسس عليه ولا ظن فيه بل على وجه التحقيق بالثبوت الشرعي كالشاهد في الزنا بحيث يرى ذلك مثل الميل في المكحلة وستر ذلك عليه لأن ستر الشهادة في الحدود أفضل كما قاله الفقهاء مع تحقق الأجنبية في المزني بها ومتى احتمل الأمر الخير وجب الحمل عليه فلم يكن الرائي رأى ما يخالف الشريعة قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في شرح الوصية اليوسفية وإن استتر الولي بأمر في الظاهر عند العامة أنه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط في نظرهم لا في نفس الأمر وبعيد أن يقع مثل هذا من كبير في الطريق متمكن ولا من صاحب حال لشغله فإن صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له حال في الستر ولا في الظهور فيتخيل الأجنبي أن ذلك الولي قصد الستر بما ظهر منه مما ظاهره منكر وباطنه معروف وليس كذلك فما أتى هذا الولي إلا لأمر صحيح محمود في الشرع لو أنصف هذا الناظر كرجل شرب كأس خمر في ناظر عين الحاضر لعلمه بخمرية ذلك الكأس وهو يشرب ما يجوز له شربه ولا يعلم ذلك الحاضر حتى يناوله إياه منه إن اعتنى به إذا لم يخطر له ستر حاله فيشربه الأجنبي شرابا حلالا فالأجنبي الذي لا يعلم ذلك محمود عنده أي عند نفسه في إنكاره موف لمقامه والولي محمود في فعله إذا لم يقصد الستر فإن قصد الستر بمثل هذا فهو مذموم في الطريق بل لا يقع مثل هذا من ولي في العموم وقد يقع من ولي في الخصوص من أصحابه اختيارا منهم لصدق دعواهم في التسليم له (فنعوذ بالله) تعالى (من شرورهم) أي شرور هؤلاء الجاهلين بالعلم الظاهر المحتمل أن يكونوا كما

وصفهم وأن يكونوا موفقين للهدى والرشاد مما لا يعلمه منهم إلا الله تعالى (و) شرور (أقوالهم وأفعالهم) التي لا تدخل في الموازين الشرعية التي تعلمها العامة من علماء الرسوم وغيرهم فقد يقعون في ذمهم وهم على حالة مرضية فيعادون أحباب الله تعالى وهم لا يشعرون ولا عذر بالجهل في الشريعة وقد يقعون في مدحهم وهم على حالة غير مرضية فيحبون أعداء الله تعالى ويوالونهم فلا يوافقون الأمر على ما هو عليه وإن ذلك غير موجب للإثم بخلاف الأول فإن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يوالي المنافقين الذين أسلموا بظواهرهم وكفروا ببواطنهم ويقسم لهم في الغنائم ويعاملهم معاملة المسلمين فلو كان في ذلك إثم ما فعله عليه السلام ولا جاءت به الشريعة وأما نسبة الشر والسوء إلى البريء من ذلك بمجرد احتمال صدور ذلك منه بعلامة ونحوها فلم يقع منه عليه السلام ولا من أصحابه بعده ولا إذن به لأحد كيف وقد قال عليه السلام (**ادْرَأُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ**) وقال (**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَإِذَا قالوها فقد عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**) وغير ذلك من الأحاديث فالمؤمن يسع ما وسعه النبي صلّى الله عليه وسلّم (فإنهم) على حسب الاحتمال المذكور (شياطين الإنس) لظهورهم بالوسوسة في صدور الناس (وقطاع طريق الله) تعالى لالتباس الطريق بسبب ذلك على ضعفة السالكين (وخصماء حبيبه) محمد (صلّى الله عليه وسلّم) لمخالفتهم لشريعته مع زعمهم موافقتها وهذا كلام الفقيه الخائف على الأمة أن تضل باحتمال الخطاء فيمن يحتمل ذلك فيهم وإن كان الله تعالى يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ والتسليم أسلم والله سبحانه أعلم

(**الفصل الثالث**) تمام الفصول الثلاثة التي اشتمل عليها الباب الثاني من أبواب الكتاب الثلاثة وهو أطول الفصول لأنه المقصود بالتصنيف (في) بيان (التقوى) أي الاحتراز بحسب الطاقة البشرية من غضب الله تعالى بمعونة الله تعالى لا بالنفس وإلا كانت شركا خفيا (وهو ثلاثة أنواع **النوع الأول**) من ذلك (في فضيلتها) أي التقوى (اعلم) يا أيها السالك في طريق الله تعالى بالعلم والعمل مع الإخلاص (أولا) أي قبل

الشروع في المقصود (إني أردت أن أورد) في هذا الفصل (جميع الآيات) القرآنية (الدالة على فضيلة التقوى فوجدتها) أي الآيات (تجاوزت) أي فاتت في الكثرة (مائة وخمسين) آية (ووجدت صريح الأمر) من الله تعالى للعباد (فيها أكثر من أربعين) آية (فاقتصرت من) الآيات (المكررات على) آية (واحدة ولم أراع ترتيب المصحف) في تقديم الآيات المتقدمات وتأخير المتأخرات (كما راعيت) ذلك (فيما سبق) في فصل الاعتصام، وفصل الاقتصاد، وفصل العلوم (تقديما للمناسبة المعنوية) أي من حيث المعنى بين الآيات فإنه الأولى بالاعتبار في التصانيف (الآيات) أي هذا بيان الآيات الواردة في فضيلة التقوى

الآية الأولى من سورة الحجرات وهو قوله تعالى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) فإن التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الأشخاص فمن أراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام (**من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله**) وقال (**يا أيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي مهين على الله**) قاله البيضاوي وقال الشيخ عز الدين أتقاكم أخوفكم له وأعملكم بطاعته روي أنه لما كان يوم الفتح أمر عليه الصلاة والسلام بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة فقال غياث ابن أسيد الحمد لله الذي أكرم أسيدا حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود، وقال سهل بن عمرو إن يكره الله شيئا يغيره، وقال ابو سفيان لو قلت شيئا لأخبره رب السماء فنزلت هذه الآية وقال الواحدي أخبرنا عبد الرحمن بن عيدان وذكر إسناده عن أبي هريرة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**إن الله يقول يوم القيامة أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه ورفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم أين المتقون إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) وروى بإسناده عن سعيد المقبري قال سأل رجل عيسى بن مريم أي الناس أفضل؟ فأخذ قبضتين من تراب فقال (أي هاتين أفضل؟ الناس خلقوا من تراب فأكرهم أتقاهم) وقال قتادة أكرم الكرم التقوى والأم اللؤم الفجور

الآية الثانية من سورة المائدة وهي قوله تعالى (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) للمعاصي والمخالفات فإن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن تقي قال الخازن يعني أن حصول التقوى شرط في قبول الأعمال فلذلك كان أحد القربانين مقبولا في قصة قابيل وهابيل دون الآخر ولأن التقوى من أعمال القلوب وكان قد أضمر قابيل في قلبه الحسد لأخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وإنما يتقبل الله من المتقين وقيل يحتمل أن يكون خطابا للنبي صلّى الله عليه وسلّم فكأنه تعالى بين للنبي صلّى الله عليه وسلّم أنه إنما لم يقبل قربان قابيل لأنه لم يكن متقيا وإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ وقال الواحدي قال ابن عباس قال له هابيل إنما يتقبل الله ممن كان زاكي القلب والمعنى من المتقي للمعاصي، وقال البيضاوي وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي له أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محفوظا لا في إزالة حظه فإن ذلك مما يضره ولا ينفعه وقال ابن جميل في التنوير مختصر التفسير الكبير للرازي وإنما تقبل قربان هابيل لتقواه قال تعالى (**وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ** * الحج: ٣٧) والتقوى في القلب ولها صفات منها أن يكون على خوف من تقصيره تلك الطاعة فيجتهد في تخليصها منه وأن يجتهد في إخلاص النية وأن لا يكون لغير الله فيه شركة وما أصعب مراعاة هذه الشرائط

الآية الثالثة من سورة الأنفال وهي قوله تعالى (إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ) من الشرك الذين لا يعبدون غيره قاله البيضاوي وقال الواحدي المتقون الكفر والشرك والفواحش انتهى وفي مرجع هذا الضمير قولان أحدهما أنه راجع إلى المسجد الحرام قال الخازن قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله تعالى عليهم بقوله (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءهُ) يعني ليسوا أولياء المسجد الحرام (**إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** * الأنفال: ٣٤) يعنى ولكن أكثر المشركين لا يعلمون ذلك وقال البيضاوي وما كانوا أولياءه مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ولكن أكثرهم لا يعلمون إذ

لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالأكثر أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم والثاني أنه راجع إلى الله حيث ذكر في الآية قبله وقد أشار إليه البيضاوي بقوله وقيل الضمير أن لله يعني ضمير وما كانوا أولياءه وضمير إن أولياؤه

الآية الرابعة من سورة الجاثية وهي قوله تعالى (وَاللهُ وَلِيُّ) أي متولي جميع أمور (الْمُتَّقِينَ) يعني المؤمنين الذين اتقوا الشرك قاله الواحدي وقال البيضاوي وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض إذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم بإتباع أهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى وإتباع الشريعة

الآية الخامسة من سورة براءة وهي قوله تعالى (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) من اتقى الله في أداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده قاله الواحدي وقال الخازن يعني إنه تعالى يحب الذين يوفون بالعهد إذا عاهدوا ويتقون نقضه

الآية السادسة من سورة النجم وهي قوله تعالى (فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ) فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير أو بالطهارة عن المعاصي والرذائل قاله البيضاوي وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام لا تمدحوها بالطهارة أو لا تدعوا طاعة بلا عمل، وقيل لا تخبروا بخير عملتموه وقال الواحدي قال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة فقال فلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ لا تبرؤها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها يدل على هذا ما روي أن زينب بنت أبي سلمة قالت سميت برة فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بالبر منكم**) وقال الخازن وقيل في معنى الآية هو اعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم من أول خلقكم إلى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك أو أنا أزكى منك أو أتقى منك فإن العلم عند لله وفيه إشارة إلى وجوب خوف العاقبة فإن الله تعالى يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) أي بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل في معنى الآية فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ أي لا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل ولا تنسبوها إلى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تثنوا

عليها وأهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت في ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله فيهم هذه الآية وقال أبو عبد الرحمن السلمي في حقائق القرآن قال أبو عثمان من علم من أين هو وإلى أين هو وما هو في الوقت علم أنه ليس بمحل التزكية ومع هذا هو مخاطب بقوله تعالى فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ بماذا يزكي نفسه بأخلاقه أم بأفعاله أم بأقواله أم بأحواله كلا لكن نفسه هي الأمارة بالسوء إلى أي جانب أبصر رأى نقص الرق وذل العبودية

الآية السابعة من سورة البقرة وهي قوله تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالعون والنصرة كما ذكره الواحدي وقال البيضاوي فيجزيهم ويصلح شأنهم

الآية الثامنة من سورة طه وهي قوله تعالى (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) أي العاقبة المحمودة لذوي التقوى قاله البيضاوي وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام أي وحسن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضافين وقال الخازن والعاقبة الجميلة المحمودة لأهل التقوى قال ابن عباس للذين صدقوك واتبعوك واتقوني

الآية التاسعة من سورة القصص وهي قوله تعالى (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) أي العاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله وقال الشيخ عز الدين أي حسن العاقبة وقيل الثواب وقيل الجنة وقال الخازن أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب معاصيه وقال الواحدي قال الكلبي وهم الذين اتقوا الكبائر والفواحش وقال قتادة أي الجنة للمتقين وهم الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه

الآية العاشرة من سورة الزخرف وهي قوله تعالى (وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا وإشعار بما لأجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع على الإيمان وهو أنه تمتع قليل بالإضافة إلى ما لهم في الآخرة مخل به في الأغلب لما فيه من آفات قل من يتخلص عنها قاله البيضاوي وقال الواحدي والآخرة يعني الجنة عند ربك للمتقين خاصة لهم وقال الخازن

والآخرة يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء**) أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن غريب

الآية الحادية عشر من سورة ص وهي قوله تعالى (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) مرجع كما قال البيضاوي، وقال الشيخ عز الدين منقلب وقال الخازن أي أحسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون إليه في الآخرة

الآية الثانية عشر من سورة آل عمران وهي قوله تعالى (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ) قال ابن عباس لا تصروا على الذنب اذا أحد فليسرع الرجوع ليغفر الله له، وقيل إلى التوبة من الزنا وشرب الخمر وفي الكلام محذوف على تقدير وسارعوا إلى موجب مغفرة من ربكم قاله الواحدي وقال البغوي أي بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي توجب المغفرة وقال ابن عباس إلى الإسلام وروي عنه إلى التوبة، قاله عكرمة وقال علي بن أبي طالب إلى أداء الفرائض وقال أبو العالية إلى الهجرة وقال الضحاك إلى الجهاد وقال مقاتل إلى الأعمال الصالحة وروي عن أنس بن مالك أنها التكبيرة الأولى، وقال ابن جميل في التنوير مختصر التفسير الكبير للرازي والمعنى سارعوا إلى ما يوجب المغفرة وتمسك بها من قال أن الأمر للفور قال ابن عباس هو الإسلام ووجهه أن التنكير في مغفرة للتعظيم فيكون موجبها عظيما وهو الإسلام وعن عثمان رضي الله عنه هو الإخلاص لأنه المقصود من العبادات وقيل الصلوات الخمس وقيل جميع الطاعات وقال البيضاوي وسارعوا بادروا وأقبلوا إلى مغفرة إلى ما يستحق به المغفرة كالإسلام والتوبة والإخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو (وَجَنَّةٍ) أي وسارعوا إلى جنة وإنما فصل بين المغفرة والجنة لأن المغفرة هي إزالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وفيه إشعار بأنه لا بد من المسارعة إلى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة إلى الأعمال الصالحة المؤدية إلى الجنة، قاله الخازن (عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) أي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لأنه

دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض، قاله البيضاوي وقال الواحدي قال ابن عباس يريد لرجل واحد من أوليائه وقال كريب أرسلني ابن عباس إلى رجل من أهل الكتاب أسأله عن هذه الآية فأخرج أسفار موسى فنظر فقال تلفق كما يلفق الثوب فأما طولها فلا يقدر أحد قدره وقال الجنان أربع جنة عدن وهي الدرجة العليا وجنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى كل جنة منها كعرض السموات والارض لو وصل بعضها الى بعض وقال ابن جميل في التنوير والمعنى كعرض السموات لأن عرض السموات لا يكون عرض الجنة أي لو جعلت السموات والأرض طبقا طبقا بحيث يكون كل واحدة سطحا ووصل البعض بالعض كان ذلك مثل عرض الجنة وقيل المراد المبالغة في وصف سعة الجنة كقوله تعالى (**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ** * هود: ١٠٧) وإنما خص العرض بالذكر لأن الظاهر أن الطول أعظم كقوله تعالى (**بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ** * الرحمن: ٥٤) تنبيها بها على الظاهر التي هي أعلى وقال البغوي أي عرضها كعرض السموات والأرض كما قال في سورة الحديد (**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** * الحديد: ٢١) أي سعتها وإنما ذكر العرض على المبالغة لأن طول كل شيء في الأغلب أكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها، قال الزهري إنما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه إلا الله تعالى وهذا على التمثيل لا أنها كالسموات والأرض لا غير معناه كعرض السموات السبع والأرضية السبع عند ظنكم كقوله تعالى (**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْاَرْضُ** * هود: ١٠٧) يعني عند ظنكم وإلا فهما زائلتان وروي عن طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده أصحابه وقالوا أرأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والأرض فأين النار فقال عمر إذا جاء الليل فأين يكون النهار وإذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا إنه لمثله في التوراة ومعناه أنه حيث يشاء الله فإن قيل قد قال الله تعالى (**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** * الذاريات: ٢٢) وأراد بالذي وعدنا الجنة فإذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السموات والأرض قيل أن باب الجنة في

السماء وعرضها السموات والأرض كما أخبر تعالى وسئل أنس بن مالك عن الجنة أفي السماء أم في الأرض؟ قال وأي أرض وسماء تسع الجنة قيل فأين هي؟ قال فوق السموات السبع تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون أن الجنة فوق السموات السبع وأن جهنم تحت الأرضين السبع وقال ابن جميل في التنوير فإن قيل أنتم تقولون إن الجنة في السماء فكيف تكون كعرض السماء فالجواب المراد أنها فوق السماء وتحت العرش ولما قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأين النار فقال (**سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار**) والمراد والله اعلم أن الفلك إذا دار حصل النهار في جانب من العالم والليل في جانب ضده فكذلك الجنة في العلو والنار في السفل وأما على قول من يقول أن الله تعالى يخلقها يوم القيامة فلا يبعد أن يخلق الجنة في مكان السموات والنار في مكان الأرض وقال الخازن روي أن هرقل أرسل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار**) (أعدت) أي هيئت (للمتقين) الشرك والفواحش وقال الخازن فيه دليل على الجنة والنار مخلوقتان الآن وقال البيضاوي وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم

الآية الثالثة عشر من سورة مريم وهي قوله تعالى (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً) أي نجعلها ثواب أعمالهم أي جزاءها وعاقبتها لأنه باق بعد فان ولأن الإرث طيب مال وأهناه وقيل يرثون ما أعد للكفار أن لو آمنوا لأن الكفر موت وقوله تقيا أي موحدا أو من الشرك والكبائر قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام وقال ابن جميل في التنوير وأشير بتلك إلى الجنة لأنها غائبة واستعير الميراث لأهلها لأنها باقية لهم كما يبقى على الوارث ما الموروث أو هي إرث عن الكفار لأنهم لو آمنوا لاستحقوها أو لأن تقواهم أورثهم إياها قال القاضي المرتكب للكبائر الفاسق ليس بمتق فلا يدخل الجنة بالآية والجواب أنها تدل على أن المتقي يدخلها أما أن غير المتقي لا يدخلها فلا تدل عليه أو من تقي الكفر يصدق عليه أنه متق فتتناوله الآية فينعكس الدليل عليهم

الآية الرابعة عشر من سورة الزمر وهي قوله تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ) إسراعا بهم إلى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين قاله البيضاوي (زُمَراً) جماعات في تفرقة ذكره الشيخ عز الدين وقال البيضاوي افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة وهي الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه أو من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة (حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) جواب إذا والواو مقحمة، وقيل للحال أي جاؤوها مفتحة لا يوقفون، وقيل واو الثمانية والجواب محذوف أي فازوا ونالوا المناء وفائدة الحذف تعظيم الأمر وقيل الجواب وقال لهم بإقحام الواو ذكره الشيخ عز الدين، وقال البيضاوي حذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ) آمنة من الله لكم أن ينالكم بعدها مكروه أو أذى قاله العز بن عبد السلام (طِبْتُمْ) طهرتم من دنس المعاصي ذكره البيضاوي، وقال الخازن أي أبشروا بالسلامة من كل الآفات طبتم، قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم وقال الشيخ عز الدين طبتم بطاعة الله أو عن الخبائث أو للجنة أو طابت أعمالكم فطاب مثواكم (فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) مقدرين الخلود والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفو الله تعالى لأنه يطهره، قاله البيضاوي وقال الخازن وقال علي رضي الله عنه إذا سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من أحدهما فيطهر ظاهره ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة فيقولون لهم سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (الآيتين) أي أقرأ الآيتين بعد هذا إلى آخر السورة وذلك قوله تعالى (**وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ**

نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وقيل الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * ٧٤-٧٥)

الآية الخامسة عشر من سورة يوسف عليه السلام وهي قوله تعالى (وَلَدَارُ الآخِرَةِ) يعني الجنة وإنما أضاف الدار إلى الآخرة وإن كانت هي هي لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه، قاله الخازن وقال البيضاوي ولدار الحالة أو الساعة أو الحياة الآخرة (خَيْرٌ) من الدنيا (لِلَّذِينَ اتَّقَوا) الشرك والمعاصيْ (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) هذا فيؤمنوا ويتقوا الشرك عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لشبر من الجنة خير من الأرض وما فيها**) ذكره الواحدي، وقال البيضاوي أفلا يعقلون فيستعملون عقولهم ليعرفوا أنها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي يعني قل له أفلا تعقلون

الآية السادسة عشر من سورة يوسف عليه السلام أيضا وهي قوله تعالى (وَلأَجْرُ الآخِرَةِ) يعنى لثواب الآخرة (خَيْرٌ) أي أفضل من أجر الدنيا قاله الخازن وقال والواحدي أي ما يعطي الله تعالى من ثواب الآخرة خير مما يعطي المؤمنين في الدنيا والمعنى أن ما يعطي الله تعالى يوسف عليه السلام في الآخرة خير مما أعطاه في الدنيا وكذلك غيره ممن يسلك طريقه في الصبر على المكاره (لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه قاله البيضاوي أي لعظم أجر الآخرة ودوامه كان خيرا وقال الخازن يعني يتقون ما نهى الله عنه

الآية السابعة عشر من سورة الشعراء وهي قوله تعالى (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) قال ابن عباس قربت الجنة لأوليائي، قال أبو إسحاق تأويله أنه قرب دخولهم إياها ونظرهم إليها ذكره الواحدي وقال الشيخ عز الدين وأزلفت أي تزلف يومئذ حتى يشموا من المحشر ريحها وقال ابن جميل في التنوير معنى أزلفت قربت وذلك زيادة لنعيم هؤلاء وقال البيضاوي في أزلفت بحيث يرونها من الموقف فيتحجون بأنهم المحشورون إليها

الآية الثامنة عشر من سورة محمد صلّى الله عليه وسلّم وهي قوله تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ) أي صفتها قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشابهة وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة مثل عجيب وشيء عظيم قاله الخازن (الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) قال الكلبي ومقاتل هم أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم يتقون الشرك ذكره الواحدي

الآية التاسعة عشر من سورة النحل وهي قوله تعالى (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) دار الآخرة فحذفت لتقديم ذكرها وقوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ) خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح قاله البيضاوي وقال الواحدي هذا كما تقول نعم الدار دار تنزلها وقال ابن جميل في التنوير والمخصوص بالمد محذوف أي ولنعم دار المتقين دار الآخرة ثم ابتدأ جنات عدن أي هي جنات عدن أو جنات هو المخصوص بالمدح ومعنى عدن الإقامة وقال الخازن دار المتقين الجنة وقال الحسن هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها إلى الآخرة والقول الأول أولى وهو قول جمهور المفسرين لأن الله تعالى فسر هذه الدار بقوله جنات عدن يعنى بساتين إقامة من قولهم عدن بالمكان أي أقام به (يَدْخُلُونَهَا) يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) يعني تجري الأنهار في هذه الجنان تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم وقال ابن جميل في التنوير والمعنى أن لهم أبنية وأن الأنهار تجري من تحتها (لَهُمْ فِيهَا) أي في تلك الجنات (مَا يَشَآؤُونَ) يعنى مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لأحد إلا في الجنة لأن الجنة لأن قوله لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ يفيد الحصر وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا قاله الخازن وقال البيضاوي وفي تقديم الظرف يعنى الجار المجرور تنبيه على أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة (كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ) أي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد إلى وصف المتقين فقال (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ) يعنى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل أن قوله (طَيِّبِينَ كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه

أنهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة عن الأخلاق المذمومة والخصال المكروهة وقيل معناه أن وفاتهم تكون طيبة سهلة لأنهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل له عند ذلك السرور والفرح والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب له الموت على هذه الحالة قاله الخازن وقال ابن جميل في التنوير وقوله طَيِّبِينَ يفيد معاني كثيرة فيندرج فيها إتيانهم بالمأمورات واجتنابهم المنهيات وأنهم طاهرون من المعصية طيبة نفوسهم بالموت قيل المراد وفات الموت، وقيل وفات الحشر لقوله ادْخُلُوا الْجَنَّةَ والأكثر على الأول وأنه لما بشروا بالجنة صاروا كأنهم دخلوها وقال البيضاوي طَيِّبِينَ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي وقيل فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طَيِّبِينَ بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس (يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ) لا يحيقكم بعد مكروه وقال الخازن تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم السلام من الله (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يعني في الدنيا من الأعمال الصالحة وقال البيضاوي ادخلوا الجنة حين تبعثون فإنها معدة لكم على أعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لأن الأمر بالدخول حينئذ وقال الخازن فإن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى (**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) وين قوله صلّى الله عليه وسلّم (**لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة**) قالوا ولا أنت يا رسول الله قال (**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة**) أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة قلت قال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم رحمه الله أعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا تثبت هذه الأشياء كلها ولا غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا أن الله تعالى لا يجب عليه شيء بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه وإذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ولكنه تعالى

أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلح في خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر الحديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعة وأما قوله تعالى (**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** * النحل: ٣٢) (**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** * الزخرف: ٧٢) ونحوها من الآيات التي تدل على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد من الحديث ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة والله سبحانه وتعالى اعلم

الآية العشرون من سورة الدخان وهي قوله تعالى (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ) أي موضع إقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم (أَمِينٍ) يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال قاله البيضاوي وقال الواحدي أمنوا فيه الغير من الموت والحوادث والمقام المجلس كقوله ومقام كريم وقال الشيخ عز الدين مقام أمين مكان مأمون من الموت أو من الشيطان والأحزاب أو من الغير والمحن والعذاب (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب قاله البيضاوي (يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) السندس ما رق من الحرير والإستبرق ما غلظ منه معرب أو مشتق من البراقة ذكره البيضاوي وقال الشيخ عز الدين السندس ما رق من الديباج مما يلبس والإستبرق ما غلظ منه مما يفترش وقال الخازن فإن قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي قلت إذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب (مُّتَقَابِلِينَ) أي يقابل بعضهم بعضا وقال الشيخ عز الدين متقابلين بالمحبة غير متدابرين بالبغض والحسد أو المجالس وقال البيضاوي متقابلين في مجالسهم يستأنس

بعضهم ببعض (كَذَلِكَ) أي الأمر كذلك أو آتيناهم مثل ذلك وقال الخازن أي كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم (وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) أي قرناهم بهن ليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم أزواجا لهن أي جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البياض وقيل اللاتي يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين وقال الشيخ عز الدين العين جمع عيناء وهي العظيمة العينين من النساء (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ) يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان وقال الشيخ عز الدين بكل فاكهة نوع مما اشتهوه منها (آمِنِينَ) من الضرر قال البيضاوي وقال الخازن أي من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والأوصاب والشيطان وقال الشيخ عز الدين آمنين من غائلتها وغب أذاها ونفادها (لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولىَ) أي لا يذوقون في الجنة الموت البتة سوى الموتة التي ذاقوها فيها وقيل إلا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وقيل إنما استثنى الموتة من موت في الجنة لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله إلى أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكأن موتهم في الدنيا أنهم في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم إياها قاله الخازن وقال الشيخ عز الدين إلا الموتة الأولى أي سوى ما ذاقوه كقوله إلا ما قد سلف وقيل بعدها والعرب تضع الكلمة مكان غيرها إذا تقارب معناهما وقيل بمعنى لكن الموتة الأولى فقد ذاقوها (وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ) أي أعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه قاله البيضاوي وقال الخازن يعني كل ما وصل إليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) لأنه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب قاله البيضاوي

الآية الحادية والعشرون من سورة الطور وهي قوله تعالى (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ) في أية جنات وأي نعيم أو في جنات ونعيم مخصوصة بهم (فَاكِهِينَ)

ناعمين متلذذين قاله البيضاوي وقال الخازن أي معجبين بذلك ناعمين بذلك ناعمين (بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) أي من الخير والكرامة (وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ) وصرف عنهم (عَذَابَ الْجَحِيمِ، كُلُوا وَاشْرَبُوا) أي يقال لهم ذلك (هَنِيئاً) أي مأمون العاقبة من التخمة والسقم قاله الخازن وقال البيضاوي أي أكلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) بسببه أو بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنا كم ما كنتم تعملون أي جزاؤه وقال الخازن بما كنتم تعملون أي في الدنيا من الإيمان والطاعة (مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ) أي موضوعة بعضها إلى بعض (وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) أي صيرناهم أزواجا بسببهن

الآية الثانية والعشرون من سورة المرسلات وهي قوله تعالى (إِنَّ الْمُتَّقِينَ) أي الذين اتقوا الشرك (فِي ظِلَالٍ) جم ظل وهو ظل الأشجار (وَعُيُونٍ) أي في ظلها عيون ماء قاله الخازن (وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) مستقرون في أنواع الترفه قاله البيضاوي (كُلُوا وَاشْرَبُوا) أي ويقال لهم ذلك وهذا القول يحتمل أن يكون من جهة الله تعالى لا بواسطة وما أعظمها من نعمة وأن يكون من جهة الملائكة على سبيل الإكرام (هَنِيئاً) أي خالص للذة لا يشوبه تنغيص (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أي في الدنيا من الطاعات قاله الخازن (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنينَ) في العقيدة ذكره البيضاوي وقال الخازن قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا أنهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم

الآية الثالثة والعشرون من سورة النبأ وهي قوله تعالى (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) الذين لم يجعلوا الله شريكا (مَفَازاً) فوزا بالجنة ونجاة من النار ثم فسر ذلك الفوز فقال (حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً) يعني أشجار والجنة وثمارها قاله الواحدي وقال البيضاوي مفازا فوزا أو موضع فوز والحدائق والاعناب بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل الاشتمال أو البعض وقال الخازن الحدائق جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه نخل (وَكَوَاعِبَ) جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن (أَتْرَاباً) أي مستويات في السن وقال الشيخ عز الدين

كواعب نواهد أو عذاري أترابا أقرانا مستويات على سن واحد متصافيات متواخيات وقيل لذيذات على سن ثماني عشرة سنة (وَكَأْساً دِهَاقاً) ملائي متتابعة صافية وقال الخازن قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية وقال الواحدي عن مسلم بن قسطاس قال دعا ابن عباس غلاما فقال أسقنا دهاقا فجاء الغلام بها ملائي فقال ابن عباس هذا الدهاق وقال سعيد بن جبير ومجاهد هي المتتابعة (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا) أي في الجنة وقيل في حالة شربهم لأن أهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شربهم (لَغْواً) أي باطلا من الكلام (وَلا كِذَّاباً) أي تكذيبا والمعنى أنه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به قاله الخازن وقال الواحدي قال ابن عباس وذلك أن أهل الدنيا إذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل وأهل الجنة إذا شربوا لم يتكلموا عليها بشيء يكرهه الله تعالى (جَزَاء مِن رَّبِّكَ) قال الزجاج المعنى جازاهم بذلك جزاء وكذلك (عَطَاء) أي وأعطاهم عطاء (حِسَاباً) قال أبو عبيدة كافيا وقال ابن قتيبة كثيرا يقال أحسبت فلانا أي أكثرت له وأعطيته ما يكفيه قال الزجاج أي في ذلك الجزاء كل ما يشتهون

الآية الرابعة والعشرون من سورة البقرة وهي قوله تعالى (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) وتزودوا لمعادكم التقوى فإنه خير زاد، وقيل نزلت في أهل اليمن كان يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فأمروا أن يتزودوا ويتقوا الإبرام في السؤال والتثقيل على الناس، قاله البيضاوي وقال البغوي نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون نحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فإذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضي بهم الحال إلى النهب والغصب فقال الله جل ذكره وتزودوا أي ما تبلغون به وتكفون به وجوهكم قال أهل التفسير الزاد الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى من السؤال والنهب وقال الواحدي فإن خير الزاد التقوى يعني ما تكفون به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم عن الظلم فهذا نوع تقوى وقال الخازن وقيل في معنى الآية وتزودوا من التقوى فإن الإنسان لا بدله من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد فيحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا إلى الآخرة

ولا بد فيه من زاد أيضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول فإن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة (وَاتَّقُونِ) أي وخافوا عقابي، وقيل معناه واشتغلوا بتقوى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله عز وجل (يَا أُولِي الأَلْبَابِ) أي يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الأمور وقال البيضاوي فإن قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بها هو الله فيتبرأ من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص أولي الباب بهذا الخطاب

الآية الخامسة والعشرون من سورة الأعراف وهي قوله تعالى (وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ) خشية الله، وقيل الإيمان، وقيل السمت الحسن، وقيل لباس الحرب، قاله البيضاوي وقال ابن جميل في التنوير وفي اللباس قولان أحدهما أنه الملبوس لأنه الحقيقة وفيه وجوه أحدها أن المراد اللباس المتقدم يعنى في الآية قبله (**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً**) وأعيد ذكره لإضافته إلى التقوى وللإخبار عنه بأنه خير ردا كانوا يعتقدون في الطواف عراة الثاني المراد ما يلبس في الحروب للوقاية الثالث المراد ما يعد من اللباس للصلاة القول الثاني إنه مجاز قيل هو الإيمان، وقيل العمل الصالح، وقيل العفاف والتوحيد لأن المؤمن مستور وأن عري عن الثياب والفاجر مكشوف العورة وإن كان كاسيا، وقيل هو الحياء، وقيل ما يظهر على الإنسان من السكينة والعمل الصالح وقال الخازن اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا أيضا في معناه فقال ابن الأنباري لباس التقوى هو اللباس الأول يعني المذكور في الآية قبله وإنما أعاده إخبارا أن ستر العورة من التقوى وذلك خير، وقيل إنما أعاده ليخبر عنه بأنه خير لأن العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فأخبر أن ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي لباس التقوى آلات الحرب التي يتقى بها في الحروب كالدرع والمغفر ونحو ذلك، وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها أهل الزهد والورع، وقيل هو ستر

العورة في الصلاة وأما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الإيمان لأن صاحبه يتقي به من النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحياء لأنه يحث على التقوى، وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه (لباس التقوى هو السمت الحسن، وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله، وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه الأقوال أن لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى (ذَلِكَ خَيْرٌ) يعني أن لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة، وقال الواحدي والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به وأقرب له إلى الله مما خلق له من اللباس والرياش للتجمل

الآية السادسة والعشرون من سورة الحجرات وهي قوله تعالى (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فإن الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف أو للفعل بإعتابر الاصل أو جرب قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى فإنها لا تظهر إلا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إبريزه من خبثه قاله البيضاوي وقال الواحدي قال الفراء أخلص الله قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديه ويسقط خبثه وعلى هذا تقدير الكلام امتحن الله قلوبهم فأخلصها للتقوى فحذف الإخلاص لدلالة الامتحان عليه ولهذا قال مقاتل ومجاهد وقتادة أخلص الله قلوبهم

الآية السابعة والعشرون من سورة الحج وهي قوله تعالى (وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) شعائر الله المعالم التي ندب الله تعالى إليها وأمر بالقيام بها واحدتها شعيرة فالصفا والمروة من شعائر الله والذي يعني به ههنا البدن، قاله الزجاج وقال البيضاوي شعائر الله دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها أن يختارها حسانا سمانا غالية الأثمان وروي أنه عليه السلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن

عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فإنها من تقوى القلوب فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما، وقال الواحدي يعني بتعظيم شعائر الله استعظام الهدايا والضحايا والشعائر جمع شعيرة وهي البدن يقال أشعر الرجل بدنته إذا جعل عليها علامة ليعلم أن أوجبها بدنة وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه في الإبل والبقر يجرح سنامها من الجانب بالأيمن وهي مستقبلة القبلة كما فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأما الغنم فإنها ضعيفة لا تحتمل الأشعار والشعيرة بمعنى المشعرة فإنها قال الفراء أريد فإن الفعلة كما قال إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ قال ابن عباس يريد من التقوى الذي اتقاه المتقون وأضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب كما يروى في الحديث أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**التقوى ههنا**) وأشار إلى صدره وقال ابن جميل في التنوير والشعائر ما ينصب أعلاما لشيء قيل هو عام وقيل هو أفعال الحج، وقيل الهدايا وتعظيمها بأن يعتقد الطاعة في التقرب بها وبأن يختارها عظيمة سمينة ولا يماكس في ثمنها وكذلك الأضحية والرقبة ومعنى فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات لأن المعنى يدل عليها وأضيفت إلى القلوب لأنها محل الإخلاص وبالغ سبحانه في تعظيم الهدايا أبعادا عن عادات الجاهلية وقال الشيخ عز الدين تقوى القلوب أخلاصها، وقيل قصد الثواب

الآية الثامنة والعشرون من سورة براءة وهي قوله تعالى (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ) بنيان دينه (عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ) على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة قاله البيضاوي وقال الواحدي البنيان مصدر يراد به المبنى ههنا والتأسيس أحكام أساس البناء وهو أصله وقرأ نافع أسس بضم الألف بنيانه رفعا هذا في المعنى كالاول لأنه اذا اسس بنيانه فتولى ذلك غيره بأمره كان كبنيانه والمعنى المؤسس بنيانه متقيا يخاف الله ويرجو ثوابه ورضوانه خير أم المؤسس بنيانه غير متق وهو قوله (**أَم**

مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ) الآية وقال الخازن أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله تعالى ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير أساس ثابت

الآية التاسعة والعشرون من سورة الأعراف وهي قوله تعالى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) في الدنيا المؤمن والكافر والمكلف وغيره (فَسَأَكْتُبُهَا) فسأثبتها في الآخرة (لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الكفر والمعاصي، قاله البيضاوي وقال الواحدي قال الحسن وقتادة أن رحمته وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي أن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه قال قام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الصلاة وقمنا معه فقال أعرابي وهو في الصلاة اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا فلما سلم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال للأعرابي (**لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعاً**) يُرِيدُ رَحْمَةَ الله عَزَّوَجَلّ رواه البخاري وقال قتادة وابن عيينة في قوله ورحمتي وسعت كل شيء قال إبليس أنا من ذلك الشيء فأنزل الله (**فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**) إلى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتوراة والإنجيل ونؤتي الزكاة فاختلسها الله من إبليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الأمة خاصة، فقال الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ وهو نبيكم كان أميا لا يكتب وقال الخازن فرحمة الله تعالى عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة، وقيل للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فإذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة وتقدم هذا في الاعتصام بالسنة

الآية الثلاثون من سورة البقرة وهي قوله تعالى (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) أي هو هدى يعنى القرآن أي رشد وبيان لأهل التقوى والهدى ما يهتدي به الإنسان قاله البغوي

وقال البيضاوي يهديهم إلى الحق والهدى في الأصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة الموصلة إلى البغية لأنه جعل مقابل الضلالة قال تعالى (**لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ** * سبأ: ٢٤) ولأنه لا يقال مهدي إلا لمن اهتدى إلى المطلوب واختصاصه بالمتقين لأنهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وإن كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم أو كافر وبهذا الاعتبار قال هدى الناس أو لأنه لا ينتفع بالتأمل فيه إلا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فإنه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فإنه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وإليه إشارة بقوله (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً** * الإسراء: ٨٢) ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى ما لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاء فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الأولى التوقي عن العذاب والمخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى (**وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى** * الفتح: ٢٦) والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى (**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا** * الأعراف: ٩٦) والثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** * آل عمران: ١٠٢) وقد فسر قوله تعالى (**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** * البقرة: ٢) على الأوجه الثلاثة وقال البغوي قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقى بترسه أي جعله حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده وفي الحديث كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أي إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهى حاجزا بينه وبين العذاب قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار حدثني عن التقوى، فقال هل أخذت أي سلكت طريقاً ذا شوك قال نعم، قال فما

عملت فيه، قال حذرت وتشمرت، قال كعب ذلك التقوى وقال ابن عمر التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير، وقيل هو الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسم وقال الواحدي والمراد بالمتقين في هذه الآية المؤمنون الذين تقوا الشرك وجعلوا إيمانهم حاجزا بينهم وبين المشرك كأنه قال القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك وهم المؤمنون وخص المؤمنون بأن الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا بهذا الكتاب لانتفاعهم به دونهم كقوله تعالى (**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** * النازعات: ٤٥) وكان صلّى الله عليه وسلّم منذر لمن يخشى ولمن لم يخش وقيل معناه هدى للمتقين والكافرين فاكتفى بأحد الفريقين عن الآخر كقوله تعالى (**سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ** * النحل: ٨١) وأراد الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما

الآية الحادية والثلاثون من سورة البقرة أيضا وهي قوله تعالى (وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) أي المؤمنين من أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم وقال البيضاوي للمتقين من قومهم يعني بني إسرائيل أو لكل متق سمعها وقال والواحدي نهيا وعبرة لأمة محمد صلّى الله عليه وسلّم أن يتجاوزوا ما حد لهم

الآية الثانية والثلاثون من سورة الأنبياء عليهم السلام وهي قوله تعالى (وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ) أي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرايع وقال ابن جميل في التنوير وخص الذكر بالمتقين لأنهم المنتفعون به وقال الخازن يعني يتذكرون بمواعظه ويعملون بما فيه

الآية الثالثة والثلاثون من سورة البقرة وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) يا أيها الناس عموم في كل مكلف من مؤمن وكافر وقال ابن عباس يا أيها الناس خطاب أهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة ومعنى اعبدوا ربكم أي وحدوا ربكم واخضعوا له بالطاعة ولا يجوز ذلك إلا لمالك الأعيان قاله الواحدي وقال البغوي

قال ابن عباس كل ما ورد في القرآن من العبادة فمناها التوحيد وقال البيضاوي فالناس يعم المؤمنين الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت إلى قيام الساعة إلى ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فمكي ويا أيها الذين آمنوا فمدني إن صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة فإن المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الإتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع فإن من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم إلا به وكما أن الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بما عقبه ومن المؤمنين ازديادهم وبقاؤهم عليها أي العبادة وإنما قال ربكم تنبيها على أن الموجب للعبادة هي الربوبية (الَّذِي خَلَقَكُمْ) الخلق إبداع شيء لم يسبق إليه وكل شيء خلقه الله فهو مبتديه أولا على غير مثال سبق إليه قاله الواحدي وقال البيضاوي الخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) متناول كل ما يتقدم الإنسان بالذات أو لزمان، وقال الواحدي ومعنى الآية أن الله تعالى احتج على العرب بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لأنهم كانوا مقرين بذلك لقوله تعالى (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ** * الزخرف: ٨٧) فقيل لهم إذ كنتم معترفين بأنه خالقكم فاعبدوه فإن عبادة الخالق أولى من عبادة المخلوقين من الأصنام (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى إلى الله وأن العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى (**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً** * السجدة: ١٦) (**وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** * الإسراء: ٥٧) وقيل تعليل للخلق أي خلقكم لكي تتقوا كما قال تعالى (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** *

الذاريات: ٥٦) وهو ضعيف إذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على أن الطريق إلى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بأفعاله وأن العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فإنها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الأجر قبل العمل، وقاله البيضاوي وقال الواحدي قيل أن لعل تكون ترجيا وتكن بمعنى كي، وقيل لعل كلمة ترجئه وتطميع أي كونوا على رجاء وطمع أن تتقوا بعبادتكم عقوبة الله أن تحل بكم كما قال في قصة فرعون (**لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** * طه: ٤٤) كأنه قال اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما والله تعالى من وراء ذلك عالم بما يؤول إليه أمره، وقال البغوي لعلكم تتقون لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال (**فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** * طه: ٤٤) أي ادعواه إلى الحق وكونا على رجاء التذكر وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء قال سيبويه لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب انتهى وهذه إشارة إلى أن فرعون تذكر وخشي قطعا تصديقا لرجاء الله تعالى منه ذلك وهو يقتضي قبول إيمانه كما جزم به الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي رضي الله عنه وتابعه عليه الجلال الدواني في رسالة له في ذلك وغيره أيضا

الآية الرابعة والثلاثون من سورة البقرة أيضا وهي قوله تعالى (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) ما في الكتاب ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) لكي تتقوا المعاصي أو رجاء منكم أن تكونوا متقين قاله البيضاوي وقال البغوي اذكروا ادرسوا، وقيل احفظوا لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فإن قبلتم والاّ رضختكم بهذا الجبل وغرقتكم بهذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منا قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون إلاّ على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا وقال الواحدي المعنى احفظوا ما في التوراة من الحلال والحرام واعملوا بما فيه، وقيل

واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب لكي تتقوا محارمي فتتركوها فتنجوا من العذاب والهلاك في الدنيا والآخرة

الآية الخامسة والثلاثون من سورة البقرة أيضا وهي قوله تعالى (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) أي بقاء وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قتل يقتل يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل في المثل القتل قلل القتل وقيل معنى الحياة سلامته من قصاص الآخرة فإنه إذا اقتص منه حي في الآخرة وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة قاله البغوي وقال الواحدي وقيل جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لأهل السفه والجهل من الناس فكم من رجل قد هم بداهية لو لا مخافة القصاص لوقع بها أي لفعلها ولكن الله حجز بالقصاص عباده بعضهم عن بعض وهذا قول أكثر أهل التفسير، والنصارى كانوا يقتلون بالواحد الاثنين والعشرة والمائة فلما قصروا على الواحد بالواحد كان في ذلك حياة وقال لا يقتل إلا القاتل بجنايته وقال البيضاوي هذا كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكرت الحياة ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وقرئ في القصص أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في القرآن حياة للقلوب (يَا أُولِي الأَلْبَابِ) ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) في المحافظة على القصاص والحكم والإذعان له أو عن القصاص فتكفوا عن القتل

الآية السادسة والثلاثون من سورة البقرة أيضا وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ) أي فرض (عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) مصدر صام كالقيام من قام وأصله في اللغة الإمساك عن الشيء والترك له ومنه قيل للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام قال الله تعالى (**فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً** * مريم: ٢٦) يقال صام النهار إذا قام قائم

الظهيرة وصامت الريح إذا ركدت وصام الفرس إذا قام على غير اعتلاف هذا أصله في اللغة وفي الشريعة هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع مع اقتران النية في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وإجماع المفسرين على أن هذا الصيام صيام شهر رمضان وكان الفرض في ابتداء الإسلام صوم يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر فنسخ ذلك بصيام شهر رمضان قبل قتال بدر بشهرين، قاله الواحدي (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) يعني الأنبياء والأمم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس ذكره البيضاوي وقال البغوي واختلفوا في هذا التشبيه قال سعيد بن جبير كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الإسلام وقال الجماعة من أهل العلم أراد أن صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم أن ملكا لهم اشتكي فيه فجعل الله عليه إن هو برئ من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعا فبرئ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما وقال مجاهد أصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد قال الشعبي لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه فيقال من شعبان ويقال من رمضان وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما ثم لم يزل القرن الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوما فذلك قوله كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) يعني الصوم لأن الصوم صلة إلى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات وقيل لعلكم تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع وقال الواحدي وقيل لتتقوا المعاصي فإنّ الصيام وصلة الى التقى لأنه يكف الانسان عن كثير مما تطلع اليه النفس من المعاصي وقال الخازن وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله

النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لأن الصوم من شعارهم

الآية السابعة والثلاثون من سورة البقرة أيضا وهي قوله تعالى (كَذَلِكَ) أي مثل هذا البيان الذي ذكر (يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ) أي معالم دينه وأحكام شريعته (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب، قاله الخازن وقال البيضاوي لعلهم يتقون مخالفة الأوامر والنواهي

الآية الثامنة والثلاثون من سورة الأنعام وهي قوله تعالى (وَأَنذِرْ بِهِ) الضمير لله تعالى، وقيل للقرآن وهو الظاهر لأن التخويف إنما يقع بالقول (الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) قيل هم الكفار لأنه صلّى الله عليه وسلّم كان يخوفهم بالآخرة وقد يقع في قلوبهم أن ذلك حق ولأن المؤمنين يتيقنون الحشر فلا يوصفون بأنهم يخافونه، وقيل هم المؤمنون لأنهم يوقنون بالبعث ويخافون من العذاب منه وقيل يتناول الجميع لأنه صلّى الله عليه وسلّم مبعوث للجميع ومأمور بالتبليغ وخص الذين يخافون لأن انتفاعهم به أشد فيحملهم على إعداد الزاد له قال ابن جميل في التنوير وقال الواحدي يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من الأهوال علما بأنه سيكون وقال الخازن وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وقال البيضاوي هم المؤمنون المفرطون في العمل أو المجوزون للحشر مؤمنا كان أو كافرا مقرا به أو مترددا فيه فإن الإنذار ينجع فيهم دون الفارغين عنه الجازمين باستحالته (لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ) أي من دون الله (وَلِيٌّ) أي قريب ينفعهم (وَلاَ شَفِيعٌ) يعني يشفع لهم، قاله الخازن وقال ابن جميل في التنوير فإن كانوا يعني الذين يخافون أن يحشروا هم الكفار فظاهر وإن كانوا هم المؤمنين لم يناف مذهبنا في إثبات الشفاعة لهم لأنها إنما تكون بإذنه فهي في الحقيقة منه وقال الواحدي لأن شفاعة الرسل والملائكة للمؤمنين إنما تكون بإذن الله (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) كي يخافون فينتهوا عما نهيتهم

الآية التاسعة والثلاثون من سورة الأنعام أيضا وهي قوله تعالى (ذَلِكُمْ) يعني عدم إتباعكم السبل المختلفة والأهواء المضلة والبدع المردية (وَصَّاكُمْ) الله تعالى (بِهِ) من

لطفه بكم ورأفته (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) الضلالة والتفرق عن الحق قاله البيضاوي وقال الخازن يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة وقال ابن جميل في التنوير أي المعاصي والضلالات

الآية الأربعون من سورة المائدة وهي قوله تعالى (اعْدِلُواْ) يعني في أوليائكم وأعدائكم، قاله البغوي وقال الواحدي اعدلوا في الولي والعدو (هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) أي العدل أقرب لاتقاء النار وقال الخازن أمر الله بالعدل في كل أحد القريب والبعيد والصديق والعدو وقال ابن جميل في التنوير هو أقرب للتقوى أي أقرب للاتقاء من المعاصي أو من عذاب الله وإذا كان هذا في العدل من الكفار فكيف به مع المؤمنين

الآية الحادية والأربعون من سورة البقرة وهي قوله تعالى (وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا ومعناه عفو بعضهم عن بعض أدعى إلى اتقاء معاصي الله تعالى لأن هذا العفو تدب فإذا انتدب إليه علم أنه لما كان فرضا أشد استعمالا قاله الواحدي

الآية الثانية والأربعون من سورة البقرة أيضا وهي قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ) يعني اليهود (آمَنُواْ) بمحمد صلّى الله عليه وسلّم والقرآن (واتَّقَوْا) يعني اليهودية والسحر وما يؤثمهم (لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِندِ الله خَيْرٌ) أي لكان ثواب الله إياهم خيرا وقال الواحدي المثوبة كالثواب ومعنى الآية أن ثواب الله لهم لو آمنوا خير من كسبهم بالكفر والسحر وقال البيضاوي ولو أنهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله وإتباع السحر لمثوبة من عند الله خير وتنكير المثوبة لأن المعنى لشيء من الثواب خير

الآية الثالثة والأربعون من سورة آل عمران وهي قوله تعالى (وَإِن تَصْبِرُواْ) على عداوتهم يعني المنافقين أو على مشاق التكاليف (وَتَتَّقُواْ) موالاتهم أو ما حرم الله تعالى عليكم (لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً) بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم قاله البيضاوي وقال الخازن وإن تصبروا على أذاهم وقيل على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة وتتقوا أي تخافوا ربكم، وقيل ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه لا يضركم أي لا

ينقصكم كيدهم أي عداوتهم ومكرهم شيئا لأنكم في عناية الله وحفظه وقال الواحدي وإن تصبروا على ما تسمعون من أذاهم وتتقوا مقاربتهم في دينهم والمحبة لهم لا يضركم كيدهم شيئا ضمن الله للمؤمنين النصر إن صبروا وأعلمهم أن عداوتهم وكيدهم غير ضار لهم

الآية الرابعة والأربعون من سورة آل عمران أيضا وهي قوله تعالى (بَلَى) تصديق لوعد الله أي بلى يمدكم، وقيل بلى إيجاب لما بعد أن يعني يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية وهو متعلق بالآيات قبله (إِن تَصْبِرُوا) أي على لقاء عدوكم (وَتَتَّقُواْ) يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلّى الله عليه وسلّم (ويَأْتُوكُم) يعني المشركين قاله الخازن (مِن فَوْرِهِمْ هَذَا) قال ابن عباس والحسن وقتادة وأكثر المفسرين من وجههم هذا وقال مجاهد والضحاك من غضبهم هذا قاله البغوي وقال الواحدي وأصل الفور غليان القدر يقال فارت القدر تفور فورا ثم يقال للغضبان فار فائره إذا اشتد غضبه (يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلآئِكَةِ) لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر في الآية قبله من ثلاثة آلاف بل أراد معهم (مُسَوِّمِينَ) أي معلمين قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم بكسر الواو وقرأ الآخرون بفتحها فمن كسر الواو وأراد به سوموا خيلهم ومن فتحها أراد به أنفسهم والتسويم الإعلام من السومة وهي العلامة واختلفوا في تلك العلامة، قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل أبلق عليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس كانت عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام والكلبي عمائم صفر مرخاة على أكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنابها وروي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر (**تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلانسهم ومغافرهم**) قاله البغوي وقال الخازن روى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن أبي طالب قال بينا أنا أمنح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم أر اشد منها إلا التي كانت قبلها فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة

وكان بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله أعداءه

الآية الخامسة والأربعون من سورة آل عمران أيضا وهي قوله تعالى وَإِن تَصْبِرُواْ) على الأذى الذي ينالكم (وَتَتَّقُواْ) بترك المعارضة والمعاصي قاله الواحدي وقال الخازن الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وللمسلمين يعني وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لأن الصبر عبارة عن احتمال الأذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي (فَإِنَّ ذَلِكَ) يعني الصبر والتقوى (مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه قاله البيضاوي وقال البغوي (من عزم الأمور أي من حق الأمور وحتمها قال عطاء من حقيقة الإيمان وقال الواحدي أي مما يعزم عليه من الأمر لظهور رشده وقال الخازن أي من صواب التدبير الذي لا شك إن الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أي ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فإن ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي ألزمكم الأخذ به انتهى

الآية السادسة والأربعون من سورة النساء وهي قوله تعالى (وَإِن تُصْلِحُواْ) ما كنتم تلحوا تفسدون (وَتَتَّقُوا) فيما يستقبل (فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) يغفر لكم ما مضى قاله البيضاوي

الآية السابعة والأربعون من سورة المائدة وهي قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ) صدقوا بمحمد صلّى الله عليه وسلّم (وَاتَّقَوْا) اليهودية والنصرانية) (لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) التي عملوها قبل أن تأتيهم والمعنى محونا ذنوبهم التي سلفت بالإيمان بك قاله الواحدي وقال البيضاوي آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا عليهم من معاصيهم

ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولا نؤاخذهم بها (وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) وجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وإن الإسلام يجب ما قبله وإن جل وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم وقال ابن جميل في تنوير هذا ترغيب في الإنابة وبيان لسعة رحمة الله وأنهم لو رجعوا لقبلوا ولسعدوا في الآخرة بإسقاط عقابهم المشار إليه بقوله لكفرنا عنهم سيئاتهم وبإيصال الثواب المشار إليه بقوله ولأدخلناهم جنات النعيم ومعنى واتقوا أتوا بالإيمان للتقوى لا لغرض آخر كفعل المنافقين

الآية الثامنة والأربعون من سورة الأعراف وهي بقوله تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى) يعني القرى المدلول عليها بقوله (**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِن نَبِيٍّ** * الأعراف: ٩٤) وقيل مكة وما حولها قاله البيضاوي وقال الواحدي في قوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ قال ابن عباس يريد في مدينة والقرى في كتاب الله المدائن (آمَنُوا وَاتَّقَوا) مكان كفرهم وعصيانهم قاله البيضاوي وقال الواحدي قال ابن عباس وحدوا واتقوا الشرك وقال الخازن آمنوا بالله ورسوله وأطاعوه فيما أمرهم به واتقوا ما نهى الله عنه وحرمه عليهم وقال ابن جميل المعنى أن المهلكين لو أتوا بالإيمان واتقوا المناهي (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) لنالتهم بركات السماء من الأمطار والرياح اللواقح وغير ذلك والأرض من النبات والحيوان وغير ذلك قاله ابن جميل وقال البيضاوي لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقال الواحدي قال ابن عباس يريد الأمطار والخصب وكثرة المواشي والأنعام وقال أبو محمد الخازن فبركات السماء المطر وبركات الأرض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى وإحسانه على عباده وأصل البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء وسمي المطر بركة بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض لأنه نشأ عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي أصل البركة المواظبة على الشيء أي تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الأرض ورفعنا عنهم القحط والجدب (وَلَكِن كَذَّبُوا) يعني فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما آمنوا ولكن كذبوا يعنى الرسل

(فَأَخَذْنَاهُم) يعني بأنواع العذاب (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) بسبب كسبهم الأعمال الخبيثة وقال الواحدي فأخذنا هم بالجدوبة والقحط بما كانوا يكسبون من الكفر والمعصية

الآية التاسعة والأربعون من سورة الأنفال وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللّهَ) يعني بطاعته وترك معاصيه قاله الخازن وقال الواحدي باجتناب الخيانة (يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَاناً) هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر أمركم ويثبت صيتكم من قوله بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي الصبح قاله البيضاوي وقال الواحدي فرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم ينصره إياكم عليهم وقيل فرقانا نجاة يعني يفرق بينكم وبين ما تخافون فتنجون والفرقان مصدر لفرق وقال الخازن يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشيئين لكنه أبلغ من أصله لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال محمد بن إسحاق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفئ بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بأن يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهيه (وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) أي يسترها (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر، وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفرهما الله لهم قاله البيضاوي وقال الواحدي يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم (وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) أي أنه يملك الفضل العظيم فاكتفوا بطلب ما عنده دون غيره وقال البيضاوي تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه وإحسان وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده إنعاما على عمل وقال الخازن لأنه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فإنه إذا وعد بشيء وفى به، وقيل أنه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل

معناه أن بيده الفضل العظيم فلا يطلب من غيره

الآية الخمسون من سورة النور وهي قوله تعالى (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيما يأمران به أو في الفرائض والسنن قاله البيضاوي وقال الواحدي قال ابن عباس فيما ساءه وسره وقال مقاتل في أمر الحكم (وَيَخْشَ اللَّهَ) في ذنوبه التي عملها (وَيَتَّقْهِ) فيما بعد فلم يعص الله والمعنى يتق عذاب الله بطاعته وقال البيضاوي ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقال ابن جميل ويخش الله فيما صدر عنه ماضيا ويتقه في المستقبل وهذه الآية جامعة لكل ما ينبغي للمؤمن أن يفعله (فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) بالنعيم المقيم قاله البيضاوي وقال الخازن أي الناجون

الآية الحادية والخمسون من سورة الطلاق وهي قوله تعالى (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ) في الحرام والمعصية (يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً) إلى الحلال والطاعة قاله العز بن عبد السلام وقال الواحدي قال أكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر العدو ابنا له فأتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فذكر له ذلك وشكى إليه الفاقة أيضا فقال له (**اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله**) ففعل الرجل ذلك فبينا هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب إبلا وجاء بها إلى أبيه فذلك قوله (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنهم فجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت هذه الآية، وقيل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع إلى أبيه فانطلق أبوه إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم وأخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم (نعم) وقال ابن مسعود وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً هو أنه يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا هو أنه يعلم أنه يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق عليه الناس من كل شدة وقيل مخرجا عن ما نهاه الله عنه قاله الخازن وقال الواحدي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة**) وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا**

ومن كل ضيق مخرجا) وقال البيضاوي وعنه عليه الصلاة والسلام (**إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله)** فما زال يقرؤها ويعيدها

الآية الثانية والخمسون من سورة الطلاق أيضا وهي قوله تعالى (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ) في أحكامه فيراعي حقوقها قاله البيضاوي وقال الواحدي في جميع ما أمره به بطاعته (يَجْعَل لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً) يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة وقال البيضاوي يسهل عليه أمره ويوفقه للخير

الآية الثالثة والخمسون من سورة الطلاق أيضا وهي قوله تعالى (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ) في أحكامه فيراعي حقوقها ذكره البيضاوي وقال الواحدي يتق الله بطاعته (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ) من الصلاة إلى الصلاة ومن الجمعة إلى الجمعة (وَيُعْظِمْ لَهُ) في الآخرة (أَجْراً) وقال البيضاوي يكفر عنه سيئاته فإن الحسنات تذهبن السيئات ويعظم له أجرا بالمضاعفة

الآية الرابعة والخمسون من سورة الأحزاب وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله (وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) قاصدا إلى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده قاله البيضاوي وقال الخازن قال ابن عباس صوابا، وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو لا إله إلا الله وقال عز الدين بن عبد السلام أو صوابا في شأن محمد صلّى الله عليه وسلّم، وقيل هو التوحيد، وقيل هو القول الذي يوافق ظاهره باطنه أو ما أريد به وجه الله (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يقبل طاعتكم أو يوفقكم لصالح الأعمال وقال الخازن قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال البيضاوي يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها

الآية الخامسة والخمسون من سورة آل عمران وهي قوله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فيما نهيتم عنه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) راجين الفلاح قاله البيضاوي وقال الخازن لكي تسعدوا بثوابه في الآخرة، وقيل أن الفلاح يتوقف على التقوى، وقال ابن جميل التقوى هنا واجب لأن الفلاح يتوقف عليه فلو لم يتق زال الفلاح

الآية السادسة والخمسون من سورة آل عمران أيضا وهي قوله تعالى (فَاتَّقُوا

اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي اتقوا عقاب الله بالعمل بطاعته قاله الواحدي وقال البيضاوي تشكرون ما أنعم الله عليكم بتقواكم من نصره أو لعلكم ينعم عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سببه

الآية السابعة والخمسون من سورة الحجرات وهي قوله تعالى (وَاتَّقُوا اللهَ) فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره قاله الخازن وقال البيضاوي اتقوا الله في مخالفة حكمه والإهمال فيه (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) على تقواكم

الآية الثامنة والخمسون من سورة المائدة وهي قوله تعالى (وَتَعَاوَنُوا) أي ليعن بعضكم بعضا (عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) قيل البر متابعة الأمر والتقوى مجانبة النهي، وقيل البر الإسلام والتقوى السنة قاله البغوي وقال الخازن يعني ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة وقال البيضاوي على العفو والإفضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى وقال أبو عبد الرحمن السلمي في حقائق القرآن قيل البر ما وافقك عليه العلم من غير خلاف والتقوى مخالفة الهوى وقيل البر ما اطمأن إليه قلبك من غير أن ينكره بجهة ولا سبب وقال بعضهم تعاونوا على البر والتقوى وهو طاعة الأكابر من السادات والمشايخ ولا تضيعوا حظوظكم منهم ومن معاونتهم وخدمتهم وقال سهل البر الإيمان والتقوى السنة

الآية التاسعة والخمسون من سورة العلق وهي قوله تعالى (أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى) أي تقوى الله، قال الواحدي يعني بالإخلاص والتوحيد ومخافة الله وقال الخازن يعني بالإخلاص والتوحيد

الآية الستون من سورة النساء وهي قوله تعالى (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ) يعني اليهود والنصارى وأصحاب الكتب القديمة قاله الخازن وقال البغوي يعني أهل التوراة والإنجيل وسائر الأمم المتقدمة في كتبهم وقال البيضاوي من متعلقة بوصينا أو بأوتوا ومساق الآية لتأكيد الأمر بالإخلاص (وَإِيَّاكُمْ) يعني ووصيناكم يا أهل القرآن في كتابكم قاله الخازن وقال البيضاوي وإياكم عطف على الذين (أَنِ اتَّقُوا اللهَ) بأن

اتقوا الله ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن التوصية بمعنى القول، وقال البغوي أي وحدوا الله وأطيعوه، وقال الخازن أي بأن تتقوا الله وهو أن توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا أمره والمعنى أن الأمر بتقوى الله شريعة قديمة أوصى الله بها جميع الأمم السالفة في كتبهم

الآية الحادية والستون من سورة المائدة وهي قوله تعالى (قَالَ اتَّقُوا اللهَ) يعني قال عيسى لهم أي للحواريين القائلين له (**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِنَ السَّمَاءِ** * المائدة: ١١٢) الآية اتقوا الله أي اتقوا أن تسألوا شيئا لم تسأله الأمم قبلكم قاله الواحدي وقال الخازن يعني قَالَ عيسى عليه السلام مجيبا للحواريين اتَّقُوا اللهَ (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) يعني اتقوا في هذا السؤال إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ لأنه سؤال تعنت، وقيل أمرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى، وقيل معناه اتقوا الله أن تسألوا شيئا لم يسأله أحد من الأمم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات وقال البيضاوي اتقوا الله من أمثال هذا السؤال إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ بكمال قدرته وصحة نبوتي أو صدقتم في ادعاء الإيمان، وقال ابن جميل في التنوير وقوله لهم اتقوا الله يحتمل لا تطلبوا هذا الطلب لأنه تعنت وقد تقدمت معجزات كثيرة ويحتمل استعينوا على هذا بالتقوى كقوله (**وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً** * الطلاق: ٢) فاجعلوا تقواكم وسيلة إلى ذلك

الآية الثانية والستون من سورة آل عمران وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) حق تقواه ما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب لا محالة والاجتناب عن المحارم كقوله فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وعن ابن مسعود أن يطاع فلا يعصي ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى، وقيل هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة عليها قاله البيضاوي وقال الواحدي لما نزلت هذه الآية شق على المسلمين مشقة شديدة ولم يطيقوا ذلك فأنزل الله تعالى على نبيه (**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** * التغابن: ١٦) يقول ما أطقتم فلم يكلف العباد من طاعته وعبادته إلا ما استطاعوا فنسخت هذه الآية ما كان قبلها وجاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم

فقال أوصني قال (**عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله وتلاوة كتابه فإنه نور لك في الأرض ونور لك في السماء وأخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان**) وقال الخازن قال مقاتل بن حيان كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هجر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة أصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الأوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمى الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز العرش له ووصى الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلّى الله عليه وسلّم فأصلح بينهم وأنزل الله عز وجل هذه الآية (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** * آل عمران: ١٠٢) واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أو لا على وجهين أحدهما أنه منسوخ وذلك أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله الناسخ هو قوله تعالى في سورة التغابن فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والوجه الثاني أنها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاووس وموجب هذا الاختلاف يرجع إلى معنى الآية الشريفة فمن قال أنها منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحق فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بأنها محكمة قال أن حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ مفسرا لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يحق أن يتقى وذلك بأن يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن مسعود هو أن يطاع فلا يعصى هذا

صحيح والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لأن التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وأن يشكر فلا يكفر وذلك واجب على العبد عند خطورة ما أنعم الله عليه بالبال فأما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وأن يذكر فلا ينسى فإن هذا إنما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان

الآية الثالثة والستون من سورة التغابن وهي قوله تعالى (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي ما أطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى (**اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** * آل عمران: ١٠٢) قاله الخازن وقال البيضاوي أي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم وقال العز بن عبد السلام ما استطعتم أي جهدكم وما أطقتم أو بلغه وسعكم، وقيل أن يطاع فلا يعصى، وقيل في التطوعات، وقيل نسخ هذا قوله حق تقاته لما أشتد عليهم بأن قاموا حتى ورمت أقدامهم وتقرحت جباههم أي مقدار طاقتكم (فما من خصلة من خصال الخير أكثر ذكر أو ثناء عليها) أي مدحا لها (في كتاب الله) تعالى (من) خصلة (التقوى) لأنها كلمة جامعة لكل خير (فتأمل) يا أيها السالك (فيما كتبنا) لك (من الآيات الكريمة) ثم أشار إلى ما تقدم ذكره من الآيات فقال (كيف كان المتقي عند الله) تعالى (أكرم) إشارة إلى الآية الأولى من قوله تعالى (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** * الحجرات: ١٣) (و) كان (مقبول الطاعة) إشارة إلى الآية الثانية من قوله سبحانه (**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** * المائدة: ٢٧) (و) كان (وليه) أي ولي الله تعالى إلى الآية الثالثة والرابعة من قوله تعالى (**إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ** * الأنفال: ٣٤) (**وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** * الجاثية: ١٩) (و) كان (حبيبه) أي حبيب الله تعالى إشارة إلى الآية الخامسة من قوله تعالى (**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** * براءة: ٤) (وكيف كان الله) تعالى (له وليا ومحبا ومزكيا) أي مطهرا من الأخلاق الذميمة بالأخلاق الحميدة (وناصرا) في الدنيا والآخرة إشارة إلى الآية السادسة والسابعة من قوله تعالى (**فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** * النجم: ٣٢) (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** * البقرة: ١٩٤) (وكيف كان له) أي للمتقي (العاقبة) الحسنة والمنقلب المرضي (والآخرة) الصالحة (وحسن

مآب) أي مرجع إلى الله تعالى إشارة إلى الآية الثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشر من قوله سبحانه وتعالى (**وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** * طه: ١٣٢) وقوله تعالى (**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** * القصص: ٨٣) وقوله تعالى (**وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ** الزخرف:٣٥) وقوله تعالى (**وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ** * ص: ٤٩) (وكيف أعدت له) أي للمتقي (الجنة وأورثت) له أيضا (وأزلفت) أي قربت (ووعدت له) أي وعده الله تعالى بها (وكانت له دارا) إشارة إلى الآية الثانية عشر وما بعدها إلى الآية الثالثة والعشرين (وكيف كانت التقوى للآخرة زادا ولباسا) إشارة إلى الآية الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين من قوله تعالى (**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** * البقرة: ١٩٧) (**وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ** * الأعراف: ٢٦) (وكيف أضيفت) يعني التقوى (إلى الرئيس) على جميع الأعضاء (الأشرف) من غيره وهو القلب (وامتحن) أي ذلك الرئيس (بها) إشارة إلى الآية السادسة والعشرين والسابعة والعشرين من قوله تعالى (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى** * الحجرات: ٣) (**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** * الحج: ٣٢) (وكيف جعلت) أي التقوى (سببا للخيرية) في كل عمل صالح (وكتابة) أي إلزام الله تعالى (الرحمة) لنفسه في حق عباده إشارة إلى الآية الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين من قوله تعالى (**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ** * التوبة: ١٠٩) (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** * الأعراف: ١٥٦) (وكيف خص لها) أي لأجل التقوى (كون كتاب الله) تعالى (هدى وموعظة وذكرى) فإنه لو لا التقوى في المتقين ما كان الله تعالى هدى وموعظة وذكرى لهم إشارة إلى الآية الثلاثين والحادية والثلاثين والثانية والثلاثين من قوله تعالى (**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** * البقرة: ٢) (**وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ** * البقرة: ٦٦) (**وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ** * الأنبياء: ٤٨) (وكيف جعلت) أي التقوى (غاية) أي منتهى مقام (للعبادة والذكر والقصاص والصيام) من العباد (والتبيين) من الله تعالى (والإنذار) من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والتوصية) منه تعالى (والعدل والعفو) من العباد إشارة إلى الآية الثالثة والثلاثين من قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا**

رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * البقرة: ٢١) إلى الآية الحادية والأربعين (وكيف كانت) أي التقوى شرطا (وسببا للمثوبة) من عند الله تعالى (ودفع الكيد) من الأعداء (والإمداد) بالملائكة (وإتيان) أي فعل ما يجب العزم عليه من الأمور (و) حصول (المغفرة) للعباد (والرحمة) لهم (بالوعد الصادق) من الله تعالى (وتكفير) أي تغطية (السيئات) من الذنوب (وإدخال الجنة وفتح البركات) من السماء والأرض (ولتفرقة بين الحق والباطل) في كل اعتقاد وقول وعمل (والفوز) بالسعادة الأبدية (والخروج من المضايق) الدنيوية والأخروية (و) حصول الرزق) للعبد (من حيث لا يحتسب و) جعل (اليسر) من كل أمر عسير (وإعظام الأجر) من الله تعالى (وإصلاح العمل) في الظاهر والباطن (و) حصول (الفلاح) في الدنيا والآخرة (و) حصول (الشكر لله تعالى) وهذا كله إشارة إلى الآية الثانية والأربعين من قوله تعالى (**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللهِ خَيْرٌ** * البقرة: ١٠٣) إلى الآية السادسة والخمسين (وكيف أمر) الله تعالى (بالتعاون عليها) أي على التقوى (ومدح الآمر بها) من الناس (ووصى) بالبناء للمفعول أي وصى الله تعالى (بها) أي بالتقوى (الأولون والآخرون) من سائر الأمم (وجعلت) أي التقوى (مقتضى الإيمان وهو مشروط بها وأمر) بالبناء للمفعول أي أمر الله تعالى عبده (بتحصيل حقيقتها) أي التقوى (و) تحصيل (كما لها بقدر الاستطاعة) وهذا إشارة إلى الآية السابعة والخمسين من قوله تعالى (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** * المائدة: ٢) إلى الآية الثالثة والستين (فيا أيها الطالب للآخرة) من أصحاب الهمم العلية (والسالك) في (طريقها) أي الآخرة دون المتمني لذلك المنهمك في شهواته وغفلاته (إن كنت صادقا في دعواك) الطلب والسلوك (أكبب عليها) أي على التقوى بمعنى لازمها ولا تنفك عنها (وصر عاشقا مستهترا) أي مستديما (لها) أي للتقوى (بحيث لا يعوقك) عنها عائق (من جميع أمورك (أصلا ولو اجتمعت الإنس والجن على ذلك) العائق وقصدوا أن يعيقوك به لا يقدروا من كثرة حرصك وشدة مواظبتك (ولكن الله) سبحانه لا يمنعه مانع عما يريد

ولو حرص العبد أبلغ حرص فإنه تعالى (يضل) بمحض عدله (من يشاء) من عباده ولو اجتهد في الهداية ما عسى أن يجتهد (ويهدي) بخالص فضله (من يشاء) من عباده ولو اجتهد في الضلالة ما عسى أن يجتهد (بيده) سبحانه وتعالى (الخير) المحض الخالص وأما الشر فهو بيد النفوس والشر والنفوس بيده جل وعلا فالخير منه بلا واسطة والشر منه أيضا لكن بواسطة وهو معنى قوله تعالى (**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَفْسِكَ** * النساء: ٧٩) ومعلوم أن نفسه من الله فالشر منه تعالى أيضا بواسطة النفس (وهو) سبحانه وتعالى (على كل شيء) محسوس أو معقول أو غير ذلك مما يعلمه تعالى (قدير) يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (الأخبار) أي هذا بيان الأخبار يعني الأحاديث والآثار النبوية الواردة في بيان فضيلة التقوى وهي سبعة أحاديث

الحديث الأول (حد) يعني روى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بإسناده (عن أبي ذر) الغفاري (رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال له) أي لأبي ذر (أنظر) يعني يا أبا ذر (فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود) من الناس كلهم لأن ألوان الوجوه خمسة الحمرة والبياض والصفرة والسواد والسمرة فالبياض والصفرة من الحمرة لأن البشرة البيضاء اذا غلب دمها فهي الحمرة واذا اعتدل فهي الصفرة والسمرة من السواد لأن البشرة السوداء إذا غلب دمها كانت سوداء وإن اعتدل فهي السمرة فالأحمر والأسود أصلان في ألوان الوجوه الإنسانية أو الأحمر الإنس لغلبة الدم في الأجسام الترابية والأسود الجن لغلبة النار في الأجسام الهوائية المحترقة أو الأحمر سكان المدن والقرى والأسود سكان البوادي أو الأحمر النساء لراحتهن والأسود الرجال لتعيهم في المعيشة وتقديره الشخص الأحمر والأسود (إلا أن تفضله) أي تصير فاضلا عليه أي على كل واحد من الأحمر والأسود (بالتقوى) أي امتثال الأوامر واجتناب النواهي مع الإخلاص كما قال تعالى (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ** * الحجرات: ١٣)

الحديث الثاني (هق) يعنى روى البيهقي بإسناده (عن جابر) بن عبد الله (رضي الله عنه أنه قال خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في وسط أيام التشريق)

وهي ثلاثة أيام اليوم الثاني من أيام النحر والثالث والرابع (فقال يا أيها الناس إن ربكم) يعني الذي هو مالك جميع أموركم في ظواهركم وبواطنكم (واحد) لا شريك له فأنتم كلكم من حيث أنكم مخلوقاته متساوون كما قال سبحانه (**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ** * ملك: ٣) (ألا) كلمة استفتاح للتنبيه وإفادة التحقيق (لا فضل لعربي) أي منسوب إلى العرب وهو المتقن للتكلم باللغة العربية بلا تكلف (على عجمي) منسوب إلى العجم خلاف العرب ولهذا كان إبراهيم الخليل عجميا وابنه إسماعيل عليهما السلام عربي كما قال العلماء ولا اعتبار في ذلك بالنسب بل باللغة من غير تكلف كما بسطناه في كتابنا المطالب والوفية وفي حسن التنبه للنجم الغزي قال اللسان هو الفارق بين العرب والعجم ومن ثمة ورد في الحديث (**من تكلم بالعربية فهو عربي**) (ولا) فضل أيضا (لعجمي على عربي) فإن اللسان هو الفارق بين العربي والعجمي وإنما يظهر منه الكلام والكلام غير مقصود لذاته بل لما يوصل إليه من رضوان الله تعالى بمعرفة أحكامه سبحانه والعمل بها (ولا) فضل أيضا لشخص (أحمر على) شخص (أسود ولا) لشخص (أسود على) شخص (أحمر) والمعنى لا فضل لأنسي على جني ولا لجني على إنسي أو لساكن المدن والقرى على ساكن البوادي وعكسه أو للنساء على الرجال وبالعكس كما مر (وإن أباكم) يا أيها الناس (واحد) وهو آدم عليه السلام ولم يذكر حواء لأنها من آدم أيضا كما أن ربكم واحد فكيف يفضل أحد على أحد (إلا بالتقوى) أي الاحتراز من عقاب الله تعالى بامتثال أوامره القطعية والظنية ونواهيه كذلك (إن أكرمكم) أي أكثركم كرما وشرفا ورفعة (عند الله) تعالى في الدنيا والآخرة (اتقاكم) أي أكثركم تقوى (إلا) بالتخفيف للاستفتاح (هل بلغت) بالتشديد أي أوصلت إليكم ما أمرني الله تعالى بإيصاله من بيان الأحكام وهو استفهام تقريري (قالوا) أي الصحابة الحاضرون رضي الله عنهم (بلى يا رسول الله) يعني بلغت ما أمرت بإبلاغه إلينا (قال) صلّى الله عليه وسلّم (فليبلغ) أي ليوصل الحق من غير كتمان (الشاهد) أي الحاضر عندنا الآن أو الفاهم للحكم الشرعي (الغائب) عنا أو عن فهم

الحكم وفيه حث على رواية الحديث وحفظه وضبطه ثم التحدث به لأهله وكذلك العلم الشرعي بعد إتقانه

الحديث الثالث (هق ططص) يعني روى البيهقي والطبراني في معجمه الأوسط والصغير بإسنادهما (عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (إذا كان يوم القيامة أمر الله) تعالى (مناديا) من الملائكة أو غيرهم (ينادي) في عالم المحشر بين الخلائق (ألا أني جعلت) بينكم (نسبا وجعلتم) أنتم فيما بينكم (نسبا) آخر غير نسبي الذي جعلته (فجعلت) أنا (أكرمكم) أي أشرفكم وأرفعكم (أتقاكم) أي أكثركم اتقاء واحترازا من المخالفات بامتثال الطاعات (فأبيتم) أي امتنعتم من ذلك الذي جعلته بكونكم لم تعتبروه في الدنيا (إلا أن تقولوا) في اعتبار نسبكم الذي جعلتموه بينكم في الدنيا (فلان) باعتبار كونه (ابن فلان) أي ابن عالم أو شريف أو ولي أو ملك عادل أو أمير كريم ونحو ذلك (خير من فلان) باعتبار كونه (ابن فلان) أي ابن من هو أدنى في الناس وإن كان الابنان متساويين في الجهل أو في العلم أو الثاني أتقى من الأول أو بالعكس من غير اعتبار جانب التقوى التي اعتبرها الله تعالى (فاليوم) أي يوم القيامة (أرفع نسبي) الذي جعلته فيكم وهو نسب التقوى الذي فيه برأ النبي صلّى الله عليه وسلّم سلمان الفارسي من نسب الفرس وألحقه بنسب العرب الذي هو نسبه عليه السلام حيث قال (**سلمان منا آل البيت**) وفي كتاب التجلي عن جعفر الخالدي رحمه الله تعالى أنه قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ألعن الحلاج فقال (لا الحلاج منا) فأنظر كيف نسب التقوى الحق الحلاج بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإن اختفى نسب تقواه عمن حكم بقتله فإن الله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون (واضع) أي اخفض فلا أعتبر (نسبكم) الذي اعتبرتموه أنتم في الدنيا (أين المتقون) أي الموصوفون بالتقوى المنتسبون بنسب الذي جعلته بينكم والتقدير لأجازيهم خير الجزاء أو أين هم منكم

الحديث الرابع (حد) يعنى روى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بإسناده

(عن أبي ذر) الغفاري (رضي الله عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال) له (ستة أيام) كل يوم يكرر عليه (أعقل) أمر من العقل وهو الفهم والتأمل (يا أبا ذر ما يقال لك بعد) من العلم والحكمة (فلما كان) في (اليوم السابع قال) له النبي صلّى الله عليه وسلّم (أوصيك بتقوى الله) تعالى أي الاحتراز منه بدوام امتثال أمره واجتناب نهيه مع الإخلاص (في سر) أي خفي (أمرك) أي شانك وحالك (وعلانيته) أي علانية أمرك يعنى جهره وهو استواء الباطن والظاهر في التقوى (وإذا أسأت) إلى أحد مطلقا (فأحسن) أي أعقب تلك الإساءة بالإحسان إليه ولا تتركه يسخط عليك فربما يدعو الله في شأن مضرتك فيجيبه (ولا تسألن أحدا) أي لا تطلب من أحد (شيئا) مطلقا اكتفاء منك بالله سبحانه فإنه تعالى يقول (**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** * الزمر: ٣٦) (وإن سقط) أي وقع من يدك إلى الأرض وأنت على الدابة (سوطك) وهو ما يضرب به الإنسان غيره من عصا ونحوها فلا يطلب من غيره مناولته له بل ينزل هو فيتناوله بيده اكتفاء بما يمده الله تعالى به من المعونة في ظاهره وباطنه (ولا تقبضن أمانة) أي وديعة لأحد فإنه يلزمك حينئذ حفظها وربما فرطت فتضمن وهذه كلها أمور ندب إليها الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم تعليما للطريق الأقوى فيما فيه تفريغ القلب لمراقبة الرب على كل حال

الحديث الخامس (قش) يعني روى القشيري بإسناده (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه) أي الشأن (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسم فقال له يا نبي الله أوصني فقال) له النبي صلّى الله عليه وسلّم (عليك) اسم فعل بمعنى ألزم (بتقوى الله) يقال عليك به أي ألزمه ولا تفارقه (فإنه) أي فعل التقوى (جماع) أي اجتماع (كل خير) من خيور الدنيا والآخرة

الحديث السادس (مج) يعني روى ابن ماجه بإسناده (عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه كان يقول (ما استفاد المرء) أي الإنسان رجلا كان أو امرأة (بعد تقوى الله) سبحانه في الظاهر والباطن (خيرا من زوجة) أي

منكوحة بعقد وقد يراد بها مطلق المقارنة له كقوله تعالى (**وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ** * الدخان: ٥٤) أي قرناهم بهن وقوله (**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ** * الصافات: ٢٢) أي وقرناءهم فتشمل الزوجة هنا المملوكة بملك اليمين (صالحة) أي ممتثلة لما أمرها الله تعالى به متجنبة لما نهاها عنه سبحانه (إن أمرها) الرجل (أطاعته) ولا تعصي أمره (وإن نظر إليها سرته) أي أوقعت السرور في قلبه من كمال حسنها وجمالها (وإن أقسم عليها) في شيء (أبرته) أي أمضت يمينه ولا تحنثه من كثرة محبتها له (وإن غاب عنها) في سفر ونحوه (نصحته) أي حفظته ولم تخنه (في نفسها) بأن صانت عرضها ومروءتها (و) في (ماله) فتحرسه ولا تبذر فيه

الحديث السابع (طب) يعني روى الطبراني بإسناده (عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أقبل نبي الله) محمد (صلّى الله عليه وسلّم من) سفر (غزاة أو) من سفر (سرية) وهي قطعة من الجيش يقال خير السرايا أربعمائة رجل كذا في الصحاح (فدعا) ابنته (فاطمة) الزهراء (رضي الله عنها) حتى جاءت (فقال) صلّى الله عليه وسلّم (يا فاطمة اشتري نفسك من الله) أي من عذابه وأليم عقابه (فإني لا أغني عنك) أي لا أنفعك (من الله) تعالى (شيئا) كما قال تعالى (**يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله** * الإنفطار: ١٩) (وقال) صلّى الله عليه وسلّم (لنسوته) أي نسائه وهن زوجاته عليه السلام (مثل ذلك) يعني (**اشترين أنفسكن من الله فإني لا أغني عنكن من الله شيئا**) (وقال مثل ذلك) أيضا (لعترته) بالتاء المثناة الفوقية أي ذريته وأقاربه وهم الحسن والحسين وحمزة والعباس وعلي وابن عباس رضي الله عنهم (ثم قال) عليه السلام (ما بنوا هاشم) وهم أولاد عبد المطلب أعمام النبي صلّى الله عليه وسلّم وعماته وكانت أعمامه إثنى عشر عما أولاد عبد المطلب وأبوه عبد الله ثالث عشرهم وهم الحارث وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى أبا الحارث وحمزة وأبو لهب واسمه عبد العزي والغيداق والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وجحل بتقديم الجيم وهو السقاء الضخم وقال الدارقطني بتقديم الحاء وهو المعتمد والخلخال ويسمى المغيرة،

وقيل كانوا أحد عشر فاسقط الغيداق وحجلا، وقيل تسعة فأسقط قثم وعبد الكعبة وعماته عليه السلام بنات عبد المطلب بن هاشم ست عاتكة وأميمة والبيضاء وهي أم حكيم وبرة وصفية وأروى ولم يسلم منهن إلا صفية أم الزبير بلا خلاف واختلف في أروى وعاتكة ذكره القسطلاني في مواهبه (بأولى) أي أحق (الناس) أي يدعوهم الناس (بأمتي) أي يسمونهم بأمة الإجابة لي حيث أني منهم ومن نسلهم وهم أهلي (إن أولى) أي أحق (الناس) كلهم أن يدعوا (بأمتي) المجيبين لي فيما جئتهم به (المتقون) أي المحترزون من غضب الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (ولا قريش) اسم للقبيلة كلها وهو قريش بن مخلد بن النضر بن كنانة جد النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصله من القرش وهو دابة عظيمة من دواب البحر تمنع السفن من السير في البحر وتدفع السفينة فتقلبها وتضربها فتكسرها وقال المطرزي هي سيدة للدواب البحرية وأشدها وكذلك قريش سادات الناس ذكره الدميري في حياة الحيوان (بأولى) أي أحق (الناس) أن يسموا (بأمتي) المطيعين لي إذ لا اعتبار لنسب القرابة من غير إتباع (إن أولى الناس) أي أحقهم أن يسموا (بأمتي) أمة الإجابة (المتقون ولا الأنصار) وهم أهل اليمن الذين آمنوا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وهم قبيلتان الأوس والخزرج رضي الله عنهم ومنهم أهل الصفة الذين عاتب الله تعالى فيهم نبيه عليه السلام بقوله (**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** * الأنعام: ٥٢) الآية (بأولى الناس) أي أحقهم أن يسموا (بأمتي) المنقادين لدعوتي (إن أولى الناس) أي أحقهم (بأمتي المتقون إنما أنتم) خطاب لجميع من ذكر في هذا الحديث متولدون (من رجل) وهو آدم عليه السلام (وامرأة) وهي حواء عليها السلام (وأنتم) يا معشر من ذكر (كجمام) بالضم وهو ما يملأ (الصاع) من المكيلات كالبر والشعير والعدس ونحوها والصاع ما يسع ألفا وأربعين درهما من ماش أو عدس والمعنى أنكم متساوون كلكم في المقدار مثل الحبات المساوية التي تدخل في الكيل فيعرف مقدارها به ولا تحتاج إلى الوزن لعدم التفاوت بينها في الثقل والاكتناز ثم بينه بقوله عليه والسلام بعده (ليس لأحد على

أحد فضل) أي فضيلة (إلا بالتقوى) الله تعالى فإن الفضائل والمزايا عند الله تعالى معبرة بها (والأحاديث) الواردة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم (في هذا الباب) أي باب فضيلة التقوى (كثيرة جدا) مذكورة في كتب الحديث (و) الاستدلال بنظر (العقل أيضا يدل على أفضلية التقوى من غيرها من) سائر (الطاعات) التي هي نوافل العبادات (لأن التحلية) بالحاء المهملة وهي التزين والتحسين (بعد التخلية) بالخاء المعجمة أي الإزالة للمانع (والتزيين بعد التطهير) فإن الثوب النجس غسله أولى من تبخيره (فالأول) أي التحلية بالمهملة (بدون الثاني) أي التخلية بالخاء المعجمة والتطهير (لا يفيد شيئا أصلا) ولا ينتج غير التعب والنصب كما أن من أبقى الفأرة مثلا الميتة في البئر ثم نزح جميع مائه فإنه لا يظهر ما لم يخرج الواقع أولا ثم ينزح منه عشرين دلوا فقط فإنه يطهر وكذلك من أبقى نجاسات المعاصي والمخلفات ولم يغسلها بالتوبة ويحافظ على التوقي منها بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ماذا تنفعه النوافل والطاعات الزوائد من المندوبات والمستحبات كمن عليه الديون الكثيرة وهو يكثر من الصدقات (وعكسه) وهو الثاني بدون الأول يعني التخلية بالمعجمة وهو التطهير بدون التحلية بالمهملة وهو التزيين فإنه (يفيد) لوجود الأصل في مراتب الكمال كمن غسل الثوب أولا فإنه أول درجة من درجات كماله فإذا بخره بعد ذلك بالبخور حصلت له درجة أخرى من الكمال وهكذا المتقي يكون أولا في درجة كمالية أولى فإذا تنفل بالعبادات وتطوع حصل على درجة أخرى (فهي) أي التقوى (الأساس لجميع خصال الخير) الاعتقادية والحالية والقولية والعملية كالخشوع والصبر والذكر والإيثار (فخذها) أي التقوى يا ايها السالك يعني واظب عليها (بقوة) اولا (وامر) ثانيا ليتعدى نفعك فترقى في مقام قربك كما قال تعالى (**وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** * آل عمران: ٧٩) والعالم الرباني المنسوب إلى الرب لقيامه به في كل حال بخلاف العالم النفساني وهو القائم بنفسه من جهله وغفلته (قومك) الذين أنت فيهم (يأخذوا بأحسنها) أي بما اشتملت عليه التقوى من أحسن الخصال التي كلفوا بالقيام

بها (فإن فيها) أي في التقوى (سعادة الدارين) أي الدنيا والآخرة (والفوز) أي الظفر والحصول (بالحياتين) أي الحياة الحسية بالأرزاق المعاشية والحياة المعنوية بالأرزاق المعادية أو الحياة الإنسانية بالإمدادات الربانية والحياة الحيوانية بالإمدادات النفسانية أو الحياة الكونية أو الحياة الأزلية أو الحياة الدنيوية أو الحياة الأخروية (يسرها) أي التقوى بمعنى جعلها ميسرة (الله) تعالى (لنا وإياكم أنه) أي الله تعالى (هو البر) بالفتح أي المحسن المتفضل (الرحيم والجواد) من الجود وهو العطاء (الكريم) الذي لا يخيب راجيه ولا يخسر مناجيه (النوع الثاني) من الأنواع الثلاثة (في تفسيرها) أي التقوى وهو بيان معناها لغة وشرعا قدم معناها اللغوي لأنه عام ومعناها الشرعي خاص والعام جزء الخاص والجزء مقدم فقال (هي) أي التقوى (في اللغة) أي لغة العرب مشتقة (من) قولك (وقاه) وقيا ووقاية صانه كوقاه والتوقية الكلاءة والحفظ واتقيت الشيء وتقيته حذرته والاسم التقوى أصله تقيا قلبوه للفرق بين الاسم والصفة كذا في مختصر القاموس (فاتقى) يتقي أصله أوتقى يوتقي على افتعل فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وأبدلت منها التاء وأدغمت فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء من لفظ الحرف فجعلوه اتقى يتقي بفتح التاء فيهما ثم لم يجدوا له مثالا في الكلام يلحقونه به فقالوا تقى يتقى مثل قضى يقضي كذا في الصحاح (والوقاية) بالكسر والفتح (فرط) أي كثرة (الصيانة) مصدر صانه صونا وصيانة حفظه (أصلها) أي التقوى (وقيا) بالقصر مصدر وقا كما مر (قلبت واوها) التي هي فاء الكلمة (تاء) مثناة فوقية (كما) قلبت الواو تاء (في تكلان) أصله وكلان مصدر وكل الأمر إلى الله تعالى فوضه إليه (وتجاه) أصله وجاه لأنه من المواجهة (و) قلبت (ياؤها) أي يا وقيا (واوا) أيضا فصارت تقوى (كما) قلبت الياء واوا (في بقوى) بفتح الباء الموحدة قال في الصحاح أبقيت على فلان إذا ارعويت عليه ورحمته يقال لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ والاسم منه البقيا وكذلك والبقوى بفتح الباء (وألفها) أي ألف التقوى للتأنيث مثل ألف حبلي فهو اسم ممنوع من الصرف بعلة واحدة فيه تقوم مقام علتين

وهي ألف التأنيث المقصورة وذلك (لقوله تعالى) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ (عَلَى تَقْوَى) بالقصر بلا تنوين لأنه ممنوع من الصرف (مِنَ اللهِ) إلى آخر الآية ولو كان مصروفا لكان منونا (و) التقوى (في) اصطلاح (الشريعة) المحمدية (لها معنيان) المعنى الأول (عام) أي شامل لأكثر مما يشمله المعنى الثاني (وهو الصيانة) أي الحفظ (والاجتناب) أي التباعد (عن كل) أمر (مضر في) الدار (الآخرة قله) أي لهذا المعنى العام الذي للتقوى (عرض) بفتح العين المهملة وسكون الراء سعة وكثرة (عريض) فعيل نعت له مشتق منه أي واسع كليل اليل ومنه قوله تعالى (**فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ** * فصلت: ٥١) (يقبل) ذلك العرض (الزيادة) بحسب المحافظة على الأنواع الخيرية (النقصان) بحسب ترك بعضها ففي الناس تقي وأتقى بخلاف المعنى الثاني الخاص الآتي فإنه لا يقبل الزيادة والنقصان فلصاحبه تقوى ومن نقص شيئا منه كان فاسقا (أدناه) أي أقل ذلك العرض بمعنى الوسع الذي للتقوى بحيث لا أدنى منه (الاجتناب) أي التباعد (عن الشرك) بالله تعالى أي اعتقاد وجود إله آخر مع الله تعالى أو مشابهة شيء له تعالى في ذاته أو صفة من صفاته أو فعل من أفعاله باعتقاد وجود مؤثر في ملك الله تعالى من دونه سبحانه (المخلد) نعت للشرك أي المقتضي لخلود أي دوام صاحبه الذي مات عليه (في النار) أي نار جهنم بحكم عدل الله تعالى وصدق وعيده وهذا النوع من الشرك يسمى الشرك الجلي وأما الشرك الخفي فهو الغفلة عن الله تعالى باعتقاد نسبة الوجود استقلالا إلى الأشياء ونسبة التأثيرات استقلالا إلى الأسباب أيضا فهو كفر خفي وليس بظاهر لا لصاحبه ولا لغيره فلا حكم له في الشرع إذا الشرع إنما يحكم على الظاهر فقط من كل أمر دون الباطن المغيب الذي لا يعرفه أحد ولا يتحققه صاحبه ولا غيره وإنما حكمه في حقيقة الشريعة المتلقاة بالإلهام في الكتاب والسنة دون اجتهاد فكري وتأمل عقلي كما هو معروف عند أهل المعرفة والفتح الرباني مثل حكم الشرك الجلي من غير فرق بينهما كما بينته في كتاب خمرة ألحان ورنة الألحان شرح رسالة الشيخ رسلان (وأعلاه) أي أعلى العرض المذكور (التنزه) أي التباعد (عما) أي عن كل شيء (يشغل

سره) أي قلب العبد (عن) ظهورات (الحق) تعالى بآثار تجلياته الجلالية والجمالية (والتبتل) أي الانقطاع (إليه) سبحانه وتعالى (بشراشره) أي بكليته قال في مختصر القاموس الشراشر النفس والأثقال والمحبة وجميع الجسد (وهو) أي هذا الأعلى من المعنى الخاص للتقوى هو معنى (التقوى الحقيقي) في علم الطريقة المحمدية (المراد بقوله تعالى (اتَّقُواْ) يا معشر المكلفين (اللهَ) تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه مع الإخلاص (حَقَّ تُقَاتِهِ) بحيث لا يصدر منكم فتور في الخدمة ولا تقصير في شكر النعمة (و) المعنى الثاني للتقوى (خاص) وهو ما لا بد منه في النجاة من الله تعالى يوم القيامة (وهو) المعنى المتعارف في الشرع) المحمدي أي يعرفه العلماء والمتعلمون (المراد) لهم (عند الإطلاق) أي إطلاق لفظ التقوى (وعدم) وجود (القرينة) التي تكون في الكلام فتشير إلى إرادة المعنى الأول العام (أعني) أي أقصد بهذا المعنى الخاص المذكور (صيانة النفس) أي حفظها (عما يستحق) أي تستوجب (به) أي بسببه العقوبة) من الله تعالى في ويوم القيامة (من فعل) معصية (وترك) طاعة ثم بينه بقوله (فاجتناب الكبائر) من الذنوب أمر (لازم) لا بد منه (فيه) أي في هذا المعنى الخاص للتقوى (بالاتفاق) بين العلماء لأن مرتكب الكبيرة فاسق والفسق ينافي التقوى (وأما) ارتكاب (الصغائر) من الذنوب (فقيل لا) أي ليس بلازم في هذا المعنى الخاص للتقوى (لأنها) أي الصغائر (مكفرة) بصيغة اسم المفعول (عن مجتنب الكبائر) بنص قوله تعالى (**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** * النساء: ٣١) ويلزم من اجتناب الكبائر المواظبة على الطاعات وقد ورد في الحديث أن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر فيكون اجتناب الكبائر مكفرا للصغائر بسبب هذه الطاعات لا نفس الاجتناب وحده هو المكفر ولهذا يجوز عندنا العقاب في الآخرة على الصغيرة ولو مع اجتناب الكبائر خلافا للمعتزلة كما مر بيانه فالحديث يشرح الآية (فلا يستحق بها) أي بسبب الصغيرة (العقوبة) لتكفيرها عنه بفعل الطاعة في حالة اجتناب الكبائر (وقيل نعم) أي ارتكاب الكبائر لازم في هذا

المعنى الخاص للتقوى (لأن بعض المفسرين) للقرآن المبين (حمل الكبائر) الواقعة (في الآية الكريمة) وهي قوله تعالى (**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**) (على أنواع الشرك) بالله تعالى لأن أكبر الكبائر الشرك فيحمل عليه عند الإطلاق وقد قوبل فيه الجمع بالجمع فاقتضى انقسام الآحاد على الآحاد أي كل واحد من المأمورين بالاجتناب يجتنب كبيرته التي هي الشرك ومعلوم أن الإسلام يجب ما قبله فمن اجتنب شركه وكفره كفرت عنه ذنوبه ولهذا قوبلت الكبائر بالسيئات الشاملة لجميع الذنوب (فلم يتعين التكفير) للصغائر حينئذ باجتناب الكبائر وفي تفسير البغوي واختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنابها تكفيرا للصغائر وأطال في تقرير ذلك ثم قال وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي إليه وما دون الشرك فهو من السيئات قال تعالى (**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** * النساء: ٤٨) ثم قال (**نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** * النساء ٣١) أي من الصلاة إلى الصلاة ومن الجمعة إلى الجمعة ومن رمضان إلى رمضان كما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) وفي التنوير مختصر التفسير الكبير لابن جميل التونسي الأكثرون على أنه سبحانه لم يميز جملة الكبائر ويعينها قالوا لأن تمييزها وتعيينها مع إخباره أن اجتنابها يكفر الصغائر إغراء بالإقدام على الصغائر وذلك قبيح لا يليق بالحكمة أما إذا لم يميزها فتجويز كون المعصية كبيرة زاجر عن الإقدام عليها قالوا وذلك كإخفاء ليلة القدر وساعة الجمعة والصلوات الوسطى ووقت الموت وقد سبق في الفصل الأول من الباب الثاني أن العقاب على الصغيرة جائز كما قررناه هناك ولو مع اجتناب الكبائر عند أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة فكيف يكون مجرد اجتناب الكبائر هو المكفر الصغائر إنما المكفر مع الاجتناب فعل الطاعات كما ذكرنا قال ابن جميل في التنوير والمعنى إن أتيتم بجميع الوجبات واجتنبتم جميع الكبائر كفرنا عنكم بقية السيئات ومن المعلوم أن عدم السبب الواحد لا يوجب عدم المسبب بل ههنا سبب آخر سوى السبب الأصلي

وهو فضل الله وكرمه ورحمته (**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ** * يونس: ٥٨) (وأيضا لم يثبت تغايرهما) أي الصغائر والكبائر (بالذات) بحيث يتميز أحدهما عن الآخر بالنص القاطع للخلاف حتى قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لأن الله كريم يغفر الذنوب واحتج بما روي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (**ينادي منادي من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد إن الله عز وجل قد عفى عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي**) وقال مالك بن معول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما أكره عليه وحديث النفس المرفوعة عن هذه الأمة وقيل الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام وقال السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبار والسيئات مقدماتها مثل القبلة والنظر وتوابعها وما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظر واللمسة والقبلة وأشباهها قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (**العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تنيان ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**) وقيل الكبائر ما يستحقره العباد والصغائر ما يستفظعونه فيخافون مواقعته كما روي عن أنس قال أنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر وكنا نعدها على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الموبقات ذكره البغوي (وعلى التسليم) أي تسليم ثبوت التغاير بالذات (لم يعلم) بالبناء للمفعول يقينا أي لم يعلم أحد على وجه التيقن والتحقق (عدد الكبائر) كم هي حتى (قيل) أنها (سبع وقيل سبعون وقيل سبعمائة و) قيل (غير ذلك) كما ذكر البغوي عن عبد الله بن عمر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس ويمين الغموس**) وعن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**ألا أنبكم بأكبر الكبائر**) ثلاثا قالوا بلى يا رسول الله قال (**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**) وجلس وكان متكئا قال

(**ألا وقول الزور**) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وعن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**اجتنبوا السبع الموبقات**) قالوا يا رسول الله وما هن قال (**الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل ما اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**) وعن سعيد بن جبير أن رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي؟ قال هي إلى السبعمائة أقرب ألا إنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وقال كل شيء عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل منها شيئا فليستغفر الله فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة إلا راجعا عن الإسلام أو جاحدا فريضة أو مكذبا بقدر وفي التنوير مختصر التفسير الكبير وعن ابن عباس كل ما نهي عنه من أول النساء إلى ثلاث وثلاثين آية فهو كبيرة لقوله عقبيه (**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ** * النساء: ٣١) وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام (فيما خرجه ت) يعني الترمذي (وحسنه) بالتشديد أي قال هو حسن والحديث الحسن دون مرتبة الصحيح هو قسمان أحدهما الحديث الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور لم يتحقق أهليته غير أنه ليس مغفلا كثير الخطأ فيما يرويه ولا هو متهم بالكذب (في الحديث) أي لم يظهر منه تعمد الكذب في الحديث ولا سبب آخر مفسق ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بأنه روى مثله أو نحوه من وجه آخر أو أكثر حتى أعتضد بمتابعة من تابع راويه على مثله أو بما له من شاهد وهو ورود حديث آخر نحوه فيخرج بذلك عن أن يكون شاذا أو منكرا والقسم الثاني أن يكون رواية من المشهورين بالصدق والأمانة غير أنه لا يبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم في الحفظ والإتقان وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ما ينفرد به من حديثه منكرا ذكره العراقي في شرح ألفيته (و) خرجه أيضا (مج) يعني ابن ماجه (و) أيضا (حك) يعنى الحاكم (وصحه) أي قال هو صحيح والحديث الصحيح هو ما اتصل سنده وعدلت نقلته وسلم من الشذوذ والعلة القادحة (عن عطية) رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال (لا يبلغ) أي يصل (العبد ان يكون من المتقين) لله تعالى في ظاهره

وباطنه (حتى يدع) أي يترك (ما لا بأس) أي شدة في الدين (به) أي بسببه من الأمور الجزئية (حذرا) أي لأجل الحذر (عما به بأس) أي شدة دينية من الأمور المحظورة في الشرع (يقول العبد الضعيف) وهو مصنف متن هذا الكتاب (عصمه) أي حفظه (الله تعالى هذا الحديث) المذكور هنا أخيرا (نص) صريح من النبي صلّى الله عليه وسلّم (في لزوم اجتناب الصغائر) من الذنوب (لأنها) أي الصغائر (بعد) حصول (الإغماض) أي الخفاء فيها وعدم الظهور والتميز (ومساعدة الخصم) القائل بذلك كما مر فيما قاله (مما لا بأس به) لخفة الجناية فيها بالنسبة إلى الكبائر (بل يزيد) يعنى هذا العبد الضعيف (ويقول كلمة ما) الواقعة في قوله عليه السلام كما سبق في الحديث (ما لا بأس به) (عامة) شاملة (لكل ما فيه احتمال الحرمة) من المشتبهات (و) ما فيه (الإفضاء) أي الإيصال (إلى الحرام) أيضا مثل النظر بشهوة ونحوه (لعموم ما الثانية) الواقعة في الحديث المذكور أيضا ثانيا في قوله عليه السلام عما به بأس (الحرام) مفعول المصدر فإنه إذا كان ما به بأس هو الحرام القطعي كان ما لا بأس به هو المشتبه والموصل إلى الحرام القطعي (وأما الحلال الخالص عن شبهة) من اشتباه حرمة أو إيصال إليها (فلا يتناوله) أي عموم ما لا بأس به (عرفا) أي في عرف الشرع إذ لا يطلق على الحلال الخالص ما لا بأس به في اصطلاح الفقهاء (وأن تناوله لغة) أي من حيث صحة الكلام لأن الحلال الخالص ما ليس به بأس (خرج خ م) يعني البخاري ومسلما بإسنادهما (عن النعمان بن بشير) رضي الله عنه (أنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول إن الحلال) وهو ضد الحرام لغة وشرعا (بين) أي ظاهر واضح لا يخفى حله وهو ما نص الله تعالى أو رسوله عليه السلام أو أجمع المسلمون على تحليله بعينه أو جنسه ومنه ما لم يرد فيه منع في أظهر الأقوال (والحرام بين) أي واضح لا تخفى حرمته وهو ما نص أو أجمع على تحريمه بعينه أو جنسه أو على أن فيه عقوبة أو وعيدا (وبينهما) أي بين الحلال والحرام الواضحين (مشتبهات) أي أمور مشتبهة بغيرها لكونها غير واضحة الحل والحرمة لتجاذب الأدلة وتنازع المعاني والأسباب فبعضها

يعضدها دليل الحرمة والبعض بالعكس ولا مرجح لأحدهما إلا في خفاء ومن المشتبه معاملة من في ماله حرام فالورع تركه وإن حل ثم الحصر في الثلاثة صحيح لأنه نص أو إجماع على الفعل فالحلال أو على المنع جزما فالحرام أو سكت أو تعارض فيه نصان ولا مرجح فالمشتبه (لا يعلمهن كثير من الناس) أي من حيث الحل والحرمة لخفاء نص أو عدم صراحته أو تعارض نصين وإنما يؤخذ من عموم أو مفهوم أو قياس أو استصحاب أو لاحتمال الأمر فيه الوجوب والندب والنهي والكراهة والحرمة أو لغير ذلك وما هو كذلك إنما يعلمه قليل من الناس وهم الراسخون فإن تردد الراسخ في شيء لم يرد به نص ولا إجماع اجتهد بدليل شرعي فيصير مثله وقد يكون دليل غير خال من الاحتمال فيكون الورع تركه كما قال (فمن اتقى) أي احترز من (الشبهات) المذكورة (استبرأ) بالهمز وقد يخفف أي طلب البراءة (لدينه) من الذم الشرعي (وعرضه) بصونه عن الوقيعة فيه بترك الورع الذي أمر به فهو هنا الحسب أو النفس لأنها التي يتوجه إليها المدح والذم (ومن وقع في الشبهات) أي فعلها وتعودها (وقع في الحرام) أي يوشك أن يقع فيه لأنه حام حول حرمه وقال وقع دون يوشك أن يقع كما قال في المشبه به الآتي لأن من تعاطى الشبهات صادف الحرام وإن لم يتعمده إما لإثمه بسبب تقصيره في التحري أو لاعتياده التساهل وتجريه على شبهة بعد أخرى إلى أن يقع في الحرام أو تحقيقا لمداناة الوقوع كما يقال من اتبع هواه هلك وسره أن حمى الملوك محسوسة يحترز عنها كل بصير وحمى الله لا يدركه إلا ذووا البصائر ولما كان فيه نوع خفاء ضرب المثل بالمحسوس بقوله (كالراعي) أصله الحافظ لغيره ومنه قيل للوالي راع والعامة رعية وللزوج راع ثم خص عرفا بحافظ الحيوان كما هنا (يرعى حول الحمى) أي المحمي وهو لمحظور على غير مالكه (يوشك) بكسر الشين المعجمة يسرع (أن يقع فيه) أي تأكل ماشيته منه فيعاقب شبه آخذ الشهوات بالراعي والمحارم بالحمى والشبهات بما حوله ثم أكد التحذير من هذا المعنى بقوله (ألا) حرف افتتاح قصد به أمر السامع بالإصغاء لعظم موقع ما بعده (وإن لكل ملك) من ملوك الدنيا (حمى) يحميه عن

الناس ويتوعد من قرب منه بأشد العقوبات (ألا وإن حمى الله محارمه) أي المحارم التي حرمها وأريد به هنا ما يشمل المنهيات وترك المأمورات ومن دخل حمى الله بارتكاب شيء منها استحق العقاب ومن قاربه يوشك الوقوع فيه فالمحافظ لدينه لا يقرب مما يقرب إلى الخطيئة والقصد إقامة البرهان على تجنب الشبهات وأنه إذا كان حمى الملك يحترز منه خوف عقابه فحمى الحق أولى لكون عذابه أشق ولما كان التورع يميل القلب إلى الصلاح وعدمه إلى الفجور أردف ذلك بقوله (ألا وإن في الجسد) أي بالبدن (مضغة) أي قطعة لحم بقدر ما يمضغ لكنها وإن صغرت حجما عظمت قدرا ومن ثمة كانت (إذا صلحت) بفتح اللام انشرحت بالهداية (صلح الجسد كله) أي استعملت الجوارح في الطاعات لأنها متبوعة له (وإذا فسدت) أي أظلمت بالضلالة والجهالة (فسد الجسد كله) باستعماله في المنكرات والمخالفات (ألا وهي) أي تلك المضغة (القلب) سمي به لأنه محل الخواطر المختلفة الحاملة على الانقلاب أو لأنه خالص البدن وخالص كل شيء قلبه أو لأنه وضع في الجسد مقلوبا وذلك لأنه مبدأ الحركات والبدنية والإرادات النفسانية فإن صدرت عنه إرادة صالحة تحرك البدن حركة صالحة أو إرادة فاسدة تحرك البدن حركة فاسدة فهو ملك والأعضاء رعيته وهي تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وأوقع هذا عقب قوله الحلال بين إشعارا بأن أكل الحلال ينوره ويصلحه والشبه تقسيه وتظلمه كذا في شرح الجامع الصغير للمناوي (وأيضا المعنى اللغوي) التقوى كما مر (مرعى) أي ملاحظ (في) المعنى (الشرعي) لها (ما أمكن) أي مقدار الإمكان حتى لا يخرج الشرع بالكلية عن قانون اللسان العربي لأنه ورد عن الله تعالى مترجما به (وفرط الصيانة) الذي هو معنى التقوى في اللغة كما سبق (يقتضي الاجتناب عن الصغائر) من الذنوب (و) عن (الشبهات أيضا) أي كما يقتضي الاجتناب عن الكبائر (لكن الاحتراز عن جميع الشبهات) في الأعمال وغيرها (لا يمكن في هذا الزمان) لغلبة الشبهات وعسر التجنب عنها (على ما سيجيء) بيانه (إن شاء الله تعالى) في الفصل الثاني من الباب الثالث آخر الكتاب (فخرج) من لزوم

الاجتناب في التقوى (ما عدا الشبهة القريبة من الحرام) وهي الشبهة التي يرجح فيها الحلال والشبهة التي فيها الحلال والحرام سواء كما بينته مفصلا في كتاب المطالب الوفية (لأن الطاعة) الله تعالى إنما تكون (بقدر الطاقة) وعلى حسب الاستطاعة من غير حرج كما قال تعالى (**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** * التغابن: ١٦) وقال (**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** * الحج: ٧٨) (فتعين لزوم اجتناب كل حرام و) كل (مكروه تحريما في تحقق التقوى) للمكلف وما عدا ذلك فلا يلزم اجتنابه ولا يطعن وجوده في التقوى (هذا) المذكور (ما) أي الذي (عندي) في بيان التقوى (والعلم) الحقيقي بمعنى ذلك على مراده سبحانه (عند الله) تعالى

(**النوع الثالث**) بقية الأنواع الثلاثة (في مجاريها) أي مجاري التقوى يعنى مواضع جريانها من أعضاء المكلف (اعلم) يا أيها السالك (أنّ التقوى لا تحصل إلا باجتناب المنكرات) القطعية والظنية و (المنهي عنها) من قبل الشارع وقيل المكروهة كراهة تحريم (وإتيان المعروفات) الاعتقادية و العملية و (المأمور بها) من الفروض والواجبات وكل ذلك مع الإخلاص واليقين (إذ ترك المأمور به) من الاعتقاد والعمل (مما يستحق) أي يستوجب العبد (به) أي بسببه من الله تعالى (العقوبة) في يوم القيامة (ولكن المتبادر) للأذهان (منها) أي من التقوى (ومن ذنوب) التي تركها كناية عن التقوى (في أول السماع) لذلك عند إطلاق الذنوب (الوجوديات) أي المنسوبة إلى الوجود إذ هي وجود معنى من المعاني (كالزنا) وهو في الشرع وطئ مكلف ناطق طايع في قبل مشتهات خال عن ملك وشبهته في دار الإسلام أو تمكينه من ذلك أو تمكينها (وشرب الخمر) وهو النيئ من ماء العنب إذا غلي واشتد وقذف بالزبد وحرم قليلها وكثرها لعينها وهي نجسة نجاسة مغلظة كالبول ويكفر مستحلها ويحد شاربها وإن لم يسكر منها وشارب غيرها إن سكر ولا يؤثر فيها الطبخ كذا في تنوير الأبصار (لا) الذنوب (العدميات) أي المنسوبة إلى العدم لأنها عدم شيء (مثل ترك الصلاة) (و) ترك (الصوم) ونحو ذلك (فلذا لم يعد) بالبناء للمفعول يعني الترك الصلاة والصوم وغيرهما

(من) جملة (الكبائر) كما سيأتي في عدها (مع كونه) أي الترك المذكور (من أكبر الكبائر) لأنه ترك فروض قطعية (فلنذكر) الآن الذنوب (الوجوديات) ذكرا (مفصلا ثم) نذكر الذنوب (العدميات) بعد ذلك ذكرا (مجملا فنقول) الفعل (المنكر) بصيغة اسم المفعول أي الذي ينكره الشرع ولا يقر فاعله عليه (أما مخصوص) ظهوره (بعضو معين) من أعضاء المكلف (أو لا) خصوص له بعضو دون عضو (والأول) أي المخصوص بعضو معين (في الغالب) من الناس يكون في (ثمانية) مواضع إذ قد يكون في غير الغالب أكثر من ذلك كالظهر في حمل محرم به والجنب في الميل به عن طاعة الله الأول (قلب) والمراد به اللطيفة الروحانية المنفوخة في الجسم الصنويري المودع في جانب اليسار من تجويف الصدر الجسماني من الإنسان (و) الثاني (أذن) والمراد بها القوة المودعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ (و) الثالث (عين) والمراد بها القوة المودعة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان ثم تفترقان فتتأديان إلى العينين (و) الرابع (لسان) والمراد به القوة المودعة في الجرم المتصل بالفم الذي يقرع الهواء الخارج من الجوف فتظهر عنه صور الحروف (و) الخامس (يد) والمراد بها القوة المودعة في العضو المعروف للتصرف فيما يمكن بها (و) السادس (بطن) والمراد به القوة المودعة في الباطن لطبخ الغذاء وتقسيمه في البدن (و) السابع (فرج) وهو آلة الرجل والمرأة والمراد به القوة المودعة في ذلك لحصول الجماع (و) الثامن (رجل) والمراد بها القوة المودعة في العضو المعروف للمشي ونحوه ولا دخل لهذه الأعضاء في اقتراب الذنوب من دون القوى المنبثة فيها فالعمدة فيها على تلك القوى لا خصوص تلك الأعضاء إذ قد تكون في الحيوانات فلا يصدر منها شيء من الذنوب لعدم وجود القوى المخصوصة فيها وإن كان فيها قوى أيضا ولكن ليست من جنس ما في الإنسان (فعلى السالك) في طريق الله تعالى (أن يحفظ كل عضو) من أعضائه (من كل معصية) تصدر منه مع المواظبة على ذلك (حتى يكون) ذلك الحفظة له (ملكة) أي قوة راسخة في نفسه لا يتكلف لها أصلا من كثرة الرياضة والمجاهدة الشرعية (فينخرط) أي فيرسل يقال خرط الإبل في

المرعى والدلو في البئر أرسلهما (في سلك) أي خيط (المتقين) لله تعالى (فلا بد) حينئذ (من) ذكر (تسعة أصناف) ثمانية في الأعضاء المذكورة الثمانية والتاسع في جملة البدن من دون عضو مخصوص

(**الصنف الأول**) من الأصناف التسعة (في) بيان (منكرات القلب) أي ما ينكره الشرع من أحواله (وآفاته) أي آفات القلب جمع آفة وهي العاهة المفسدة له (اعلم أن إصلاحه) أي إصلاح القلب بإزالة ما يفسده (أهم من كل شيء) ولهذا قدمه على بقية الأعضاء (إذ هو ملك) في المدينة الإنسانية (مطاع) أمره ونهيه على كل حال (نافذ الحكم) في جميع البدن (والأعضاء) كلها (رعيته) تابعة له لا تخالف شيئا من أحكامه عليها (وخدم) بالتشديد جمع خادم (له) في تحصيل مراداته وقضاء حاجاته (فلهذا قال) النبي (صلّى الله عليه وسلّم) كما ورد في الحديث السابق (ألا وإن في الجسد مضغة) اقرأ (الحديث) إلى آخره (وإصلاحه) أي القلب (تخليته) أي تبعيده وتخليصه (عن) جميع (الأوصاف الذميمة) أي المذمومة عقلا وشرعا (وتحليته) أي تزيينه (بالأوصاف الحميدة) أي المحمودة في العقل والشرع (فلا بد) حينئذ (من) ذكر (قسمين) ليتضح منهما بيان ذلك

(**القسم الأول**) من القسمين (في تفسير) معنى (الخلق) بضم الخاء واللام ويجوز إسكانها قال الراغب، الخلق والخلق بالفتح والضم في الأصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذي بالفتح الهيئات والصور المدركة وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة ذكره القسطلاني في مواهبه (و) في (بيان منشأته) أي الأمر الذي ينتشئ منه في الإنسان (و) في تقسيمه إلى) الخلق (المذموم و) الخلق (الممدوح و) في (طريق إزالة الأول) أي الخلق المذموم (و) طريق (علاجه) أي مداواته وتدبيره حتى يرتفع عن صاحبه (إجمالا) أي على وجه الإجمال لا التفصيل لأنه يطول (و) في كيفية (تحصيل الثاني) أي الخلق الممدوح فيمن لم يكن حاصلا له (و) في كيفية (إبقائه) أي الخلق الممدوح حتى لا يزول عن صاحبه (و) في (حفظ صحته) أي

دوام متانته وصلابته (وتقويته) لينمو ويزداد (إجمالا أيضا) أي بطريق الإجمال على وجه الاختصار (فنقول) في بيان ذلك (الخلق) بضمة أو بضمتين كما مر (ملكة) أي قوة راسخة في النفس (تصدر عنها) أي عن تلك الملكة (الأفعال النفسانية) من اعتقاد أو قول أو عمل (بسهولة) أي لطف ولين (من غير روية) بالتشديد من روي في الأمر نظر وتفكر والاسم الروية وفي الصحاح الروية التفكر في الأمر جرت في كلامهم غير مهموزة انتهى وهو تعريف للخلق المذموم والممدوح لأن الأفعال الإنسانية عامة في الاعتقاد الحق أو الباطل والعمل الحق أو الباطن (ويمكن تغييره) أي الخلق بأن يصير ممدوحا بالمعالجة والرياضة النفسانية بعد أن كان مذموما أو يصير مذموما بالتدرج في السوء ومعاشرة أهل الفساد بعد ما كان ممدوحا (لورود الشرع) المحمدي (به) أي بالتغيير المذكور حيث أمر الله تعالى ونهى عباده وأغراهم على أمور وحذرهم عن أمور وما ذلك إلا لاكتساب الأخلاق الحميدة والتباعد عن الأخلاق الذميمة ولو لم يمكن التغيير في الأخلاق ما كان للأمر والنهي فائدة (واتفاق العقلاء) من كل ملة على ذلك ولهذا كانت الرياضة والتجريد عن الشواغل الدنيوية والعلائق الجسمانية أمرا عظيما عند جميع الملل للتخلي عن الأخلاق الردية والتجلي بالأخلاق الفاضلة المرضية (والتجربة) حاكمة بصحة ذلك أيضا كما هو الواقع عند أهل هذا الشأن وفي المواهب اللدنية وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة أو مكتسب وتمسك، من قال بأنه غريزة بحديث ابن مسعود رضي الله عنه **(إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم)** الحديث رواه البخاري وقال القرطبي الخلق جبلة في نوع الإنسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا وإلا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذلك إن كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد وقع في حديث الأشج أنه صلّى الله عليه وسلّم قال له **(إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناءة)** قال يا رسول الله قديما كانا في أو حديثا قال **(قديما)** قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهم رواه أحمد والنسائي وصححه ابن حبان فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما

هو مكتسب وقد كان صلّى الله عليه وسلّم يقول (**اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي**) أخرجه أحمد وصححه ابن حبان وعند مسلم في حديث دعاء الافتتاح (**واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت**) ولما اجتمع فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد اثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم فقال (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** * القلم: ٤) وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على أنه مستعل على هذه الأخلاق مستول عليها (وتختلف الاستعدادات) من الناس (فيه) أي في تغيير الخلق (بحسب الأمزجة) القوية والضعيفة وعلى مقدار الهم يكون اكتساب الكمال (ومنشاؤه) أي موضع ابتداء منشأ الخلق في الإنسان ممدوحا كان أو مذموما (قوى) جمع قوة (النفس) الإنسانية (وهي) أي تلك القوى منقسمة إلى (ثلاث) قوى القوة الأولى (النطق) الذي به الإنسان يفارق جميع الحيوان (وهو قوة الإدراك) أي الشعور والإحساس بالأشياء وهو على ثلاث مراتب مرتبة الاعتدال وهي الوسطى كما قيل خير الامور اوساطها ومرتبة الزيادة ومرتبة النقصان وهما الإفراط والتفريط (فاعتداله) أي النطق (الحكمة) أي دال على وجودها في الإنسان (وهي ملكة) أي قوة راسخة (للنفس) الإنسانية (تدرك) أي النفس (بها) أي بتلك القوة (الصواب) في كل شيء من الخطأ كما قال سبحانه وتعالى (**يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً** * البقرة: ٢٦٩) (وإفراطه) أي النطق والإفراط تجاوز الحد في الأمر كذا قاله ابن فارس في مجمل اللغة (الجربزة) بالجيم فالراء فالباء الموحدة فالزاي قال في الصحاح رجل جربزة بالضم بين الجربزة بالفتح أي خب وهو القربزة أيضا وهما معربان وفي مختصر القاموس جربز الرجل ذهب أو انقبض أو أسقط والجربز بالضم الخب الخبيث (وهي) أي الجربزة (ملكة إدراك) أي قوة شعور بالأشياء زائدة (تدعو) أي توصل صاحبها (إلى اطلاع) عقله على (ما لا يمكن) غيره (معرفته) من دقائق العلوم (كالمتشابهات) من الكتاب والسنة (وبحث القدر) بالتحريك أي قدر الله تعالى بمعنى تقديره سبحانه للأشياء مما نصب عليه علامات كونية يمكن أن يتوصل

بها إلى معرفة ذلك كصفاء الأذهان في العاقلين والإشارات الفلكية في المنجمين ونحو ذلك (أو يصدر بها) أي بسببها من العبد (أفعال) اختيارية أو اضطرارية (يتضرر الغير بها) كما هو عادة أهل المكر والدهي والخديعة من الفجار المتحذقين في الأحوال الدنيوية (وتفريطه) أي النطق وهو التقصير والتضييع (البلادة) وهو ضد الذكاء وقد بلد بالضم فهو بليد وبلد تكلف البلادة وتبلد أي تردد متحيرا كذا في الصحاح وفي مختصر القاموس والمبلود المعتوه البليد لا ينشطه تحريك (وهي) أي البلادة ملكة يقصر بها أي بسببها (صاحبها عن إدراك الخير والشر) من كل نوع من أنواع الأحوال الكونية الدنيوية والأخروية فيلزم من قصوره في ذلك عدم نشاطه إليه

(و) **القوة الثانية** (الغضب) وهو ضد الرضاء (وهو) أي الغضب (حركة النفس) الحيوانية (دفعا) أي لأجل الدفع (للمنافر) في الحال أو المآل من جميع الأمور وللغضب أيضا اعتدال وإفراط وتفريط (فاعتداله الشجاعة وهي ملكة) راسخة في النفس (بها يقدم) الإنسان (على أمور) مهولة تسهل عليه وتصعب على غيره (ينبغي) أي يليق بحاله (أن يقدم عليها) حيث هو كفؤ لها قادر على دفعها (وإفراطه) أي الغضب (التهور) وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالات يقال فلان متهور كذا في الصحاح (وهو) أي التهور (ملكة بها يقدم) الإنسان (على أمور) مهولة يصعب عليه الإقدام عليها (لا ينبغي) له أي لا يليق بحاله لضعفه عنها (أن يقدم عليها) ولكن حمله على ذلك نقصان حاله بالنسبة إلى الشجاع (وتفريطه) أي الغضب (الجبن) بالضم وهو مصدر الجبان (وهو هيئة راسخة) في النفس (بها) أي بسببها (يحجم) أحجم عنه كف ونكص هيبة كذا في مختصر القاموس وفي المجمل أحجمت عن الشيء إذا نكصت عنه وحجم طرفه عن الشيء إذا صرفه (عن مباشرة ما ينبغي) له أي يليق بحاله الإقدام عليه لكفاءته في ذلك وقدرته عليه (و) القوة الثالثة (الشهوة وهي حركة النفس) الحيوانية (طلبا) أي لأجل طلبها (للملايم) أي الأمر المناسب (لها) مما تجد فيه حظا عاجلا ولها اعتدال وإفراط وتفريط أيضا (فاعتدالها) أي الشهوة (العفة) بالكسر (وهي ملكة بها

يباشر) الإنسان أي يفعل الأمور (المشتهيات) له بمقتضى نفعه وطبعه (على وفق) أي موافقة أحكام (الشرع) المحمدي من غير مخالفة في شيء أصلا (و) على وفق (المروءة) أيضا قال في الصحاح المروءة الإنسانية ولك أن تشدد وفي المجمل المروءة مهموزة كمال الرجولية ولا فعل له (وإفراطها) أي الشهوة (الشره) مصدر شره كفرح غلب حرصه فهو شره وشرهان كذا في مختصر القاموس (والفجور) وهو الكذب والانبعاث في المعاصي كذا في المجمل وفي الصحاح فجر فجورا أي فسق وفجر أي كذب وأصله الميل والفاجر المائل (وهو) إفراط الشهوة المذكورة (ملكة بها يتناول) الإنسان أنواع (المشتهيات مطلقا) أي سواء كانت حلالا أو حراما من غير مبالاة (وتفريطها) أي الشهوة (الخمود) في طبيعة النفس (وهو) أي الخمود (ملكة بها يقصر) الإنسان لضعف في البنية أو كبر أو مرض أو خوف ونحوه (عن استيفاء ما ينبغي) له (من المشتهيات) المباحة في الشرع بسبب انطفاء نار القوة الشهوانية (والأوساط) وهي الاعتدالات في هذه القوى الثلاث المذكورة وهي الحكمة والشجاعة والعفة (تحصل) في الإنسان (باستخدام الأول) وهو النطق (الآخرين) وهما الغضب والشهوة والمراد باستخدامهما قهرهما وإذلالهما بحيث لا يبقى لهما أثر أصلا في النفس حتى تتمكن القوة النطقية في الحقيقة الإنسانية وهي طريقة السالك بالمجاهدة (والاطراف) تحصل في الإنسان وهي الجربزة والبلادة والتهور والجبن والشره والخمود (باستخدامهم) أي الآخرين وهما الغضب والشهوة (إياه) أي الأول وهو النطق يعني بقهره وإذلاله واستيلائهما عليه بالغلبة (والأطراف) المذكورة (مطلقا) أي على أي وجه كانت حاصلة في الإنسان (و) كذلك (الأوساط) المذكورة (المشوب) أي المخلوط (بها غرض) أي مقصد (فاسد) كما إذا قصد بالحكمة حصول الجاه في الدنيا وبالشجاعة ظهور الصيت أو تشفي النفس وبالعفة الكبر أو ثناء الناس ونحو ذلك فإنها (رذائل) حينئذ لا محامد فصاحبها مذموم بها لا محمود عليها لفرضه الفاسد (فكل خلق مذموم) من الأخلاق الإنسانية كالحسد والبغض والحقد والرياء والتكبر ونحوها فإنه (ناش) أي منتش في الحقيقة الإنسانية متولد

(منها) أي من الأطراف المذكورة (منفردة كانت) موجودة في الإنسان تلك الأطراف أي واحد منها (أو مجتمعا) فيه (بعضها) كالاثنين منها أو الثلاثة (أو كلها) وهي الستة المذكورة (وعلاجه) أي الخلق المذموم الناشئ في الإنسان من الأطراف المذكورة أو أحدها (الكلي) أي العام في كل فرد فرد من أفراد الإنسان الذي يوجد فيه ذلك الخلق المذموم وفي كل فرد فرد من الأخلاق المذمومة (الإجمالي) أي المجمل دون المفصل (معرفة حقايق الأمراض) التي هي الأخلاق المذمومة وسماها أمراضا لما ذكر لها من العلاج وهو المداواة إذ من لم يعلم حقيقة المرض ما هو لا يمكنه مداواته (و) معرفة (غوائلها) أي الأمراض جمع غائلة وهي الشر الباطن فيها والمراد ما تعقبه من النتاج الفاسدة والمهالك المردية (و) معرفة (أسبابها) أي الأمراض جمع سبب وهو الموصل إليها (و) معرفة (أضدادها) أي الأمراض أي ما يضادها من العافية والصحة المرغوب فيها (وفوائدها) أي الأضداد وهي ما يترب عليها حصولها من المنافع والكمال (وأسبابها) أي الأضداد وهي ما يتوصل به إليها (ثم) بعد ذلك (معرفة وجود الأمراض) المذكورة (في نفسه) وتكون بأربعة أمور الأول (بالتفتيش) عليها وهو الطلب مع البحث يقال فتش الشيء فتشا وفتشته تفتيشا (والتأمل) في أحوال النفس بعد التفرغ لذلك عن جميع الشواغل لأنه أهم من كل شيء (و) الثاني (اختيار) أي قصد خدمة (من) أي شيخ كامل وعالم عامل (ينبهه) أي يوقظ الإنسان (على عيبه) الذي فيه وهو غير مطلع عليه (من أصدقاء) جمع صديق أي محبين (الصدق) وهو ضد الكذب وهم أهل الشفقة والمرحمة على أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم الناصحين لهم الخائفين عليهم من كل سوء (و) الثالث (تفحص) مصدر تفحص قال في مختصر القاموس فحص عنه كمنع بحث كتفحص وافتحص (قول أعدائه) أي عن قولهم فيه (فإنهم ينظرون إلى عيوبه) فقط دون محاسنه فيكشفون ما يرونه منها (ويذكرونه بها) أي بتلك العيوب بين الناس بقصد تحقيره فيتفحص عن معاني كلامهم فيه ويرجع إلى نفسه وينصفهم في ذلك فإنه يعرف الأمراض النفسية بهذه الكيفية (و) الرابع (النظر إلى الناس) في

اختلاف طبقاتهم الأعلى منهم والأدنى والمساوي ويتأمل اختلاف أحوالهم ليعرف المذموم منها والممدوح (فإنهم مرآة) له ينظر نفسه فيهم لأنه مثلهم في الصورة الإنسانية كما ورد المرء مرآة أخيه (و) هم أيضا (تذكرة) أي مذكرون بأقوالهم وأحوالهم الحسنة والقبيحة (لكل طالب) لمعرفة الحق والعمل به (مستبصر) أي راغب في تحصيل البصيرة المنورة بأنوار التوفيق والهداية (ثم) بعد ذلك (تمييز أسبابها) أي الأمراض وهي الأمور الموصلة إلى تلك الأمراض (ثم) بعد ذلك (إزالة) تلك (الأسباب) بالكلية لتنقطع مادة الأمراض من أصلها (وارتكاب) أي الاتصاف بصفة (الفضيلة المقابلة) لتلك الأسباب المذكورة (والتكلف) أي إتعاب النفس (في تحصيلها) أي الفضيلة المذكورة (إذ) أي لأن (الأمراض) البدنية (تعالج) بالبناء للمفعول أي يعالجها الأطباء ويداوونها (بالأضداد) فالحرارة تعالج البرودة واليبوسة تعالج بالرطوبة وهكذا فكذلك الأمراض النفسانية تعالج بأضدادها (كما أن الصحة) البدنية (تحفظ) بالبناء للمفعول على صاحبها (بالأنداد) أي الأمثال وهي الأمور المناسبة للاعتدال الملائمة للخلقة التركيبية المستقيمة (ثم بعد) ذلك (التعنيف) أي اللوم والزجر للنفس (بالتعيير) أي نسبة العار إليها (والتوبيخ) لها أي اللوم والتهديد (في السر) وهو الخفية (والعلانية) أي ظاهر الحال بصريح المقال (ثم) أنه لا ينسى (الرذيلة المقابلة) للفضيلة المذكورة (فلتحفظ) عنده (حتى لا يتجاوز) عن الفضيلة (إلى الطرف الآخر) وهو الرذيلة فإن المحفوظ يسهل الاحتراز عنه (ثم) بعد ذلك فعل (الرياضات) جمع رياضة وهي تمرين النفس وتعليمها الأمر المشق عليها شيئا فشيئا (الشاقة) صفة للرياضة أي المتعبة (كالنذور) لله تعالى بأنواع القربات الكثيرة (والإيمان) بالفتح أي الحلف على أفعال الطاعات العظيمة (والعهود) أي المواثيق الشديدة (على التزام الأعمال الشاقة) على النفس من قبيل ما نقل القشيري في رسالته عن أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه أنه قيل له ما لقيت في سبيل الله فقال ما لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقي نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها إلى الشيء من الطاعات فلم تجبني فمنعتها الماء سنة، وقال أيضا منذ ثلاثين سنة أصلي

واعتقادي في نفسي كل صلاة أصليها كأني مجوسي أريد أن أقطع زناري (حتى تذعن) أي النفس بمعنى تذل وتنقاد (إلى ما هو أسهل منها) أي من هذه الأشياء الشاقة عليها (بالطيب) أي اللذاذة من قولهم طاب الشيء إذا راق وحسن ومنه الأطيبان الأكل والجماع قال في الصحاح شيء طياب بالضم أي طيب جدا وتقول هذا شراب مطيبة للنفس أي تطيب النفس إذا شربته (والسهولة) منها في ذلك من غير نفرة ولا كراهة (و) بعد ذلك (استماع ما ورد) من الأخبار النبوية والآثار المروية (في ذم سوء الخلق إجمالا وتفصيلا) فإن في ذلك تربية النفرة عن الأخلاق السيئة في النفس ومحبة الأخلاق الحسنة ورؤية الكمال فيها (والثاني) أي ذم سوء الخلق تفصيلا (سيجيء في القسم الثاني) من هذا البحث الذي هو سوء الخلق إن شاء الله تعالى (وأما الأول) أي ذم سوء الخلق إجمالا (فمنه) إذ هو كثير وارد في الأخبار النبوية وغيرها (ما خرج) بالتشديد أي روى (صف) يعنى الأصفهاني بإسناده (عن ميمونة بن مهران رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما من ذنب) من الذنوب مطلقا (أعظم عند الله) تعالى أي أكبر جرما (من سوء الخلق) أي العادة القبيحة إذا اعتادها العبد وانطبع عليها (وذلك أن صاحبه) أي صاحب سوء الخلق (لا يخرج من ذنب) بالتوبة منه والإقلاع عنه (إلا وقع في ذنب) آخر فلا يكاد يتخلص من الذنوب (وخرج) أي روى (طط) يعنى الطبراني في المعجم الأوسط بإسناده (عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (الشؤم) وهو ضد اليمن والبركة ومعناه الشر (سوء الخلق) لأنه لا يأتي بخير في الدين ولا في الدنيا (طط صف) يعنى روى الطبراني في معجمه الأوسط والأصفهاني بإسنادهما (عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال ما من شيء) من المخلوقين (إلا له توبة) مقبولة عند الله تعالى من الذنب إذا ألم به (إلا صاحب سوء الخلق) من الناس ثم بينه بقوله (فإنه لا يتوب من ذنب) أذنبه (إلا عاد) أي رجع (في) ذنب آخر (شر منه) بسبب سوء خلقه وقبيح عاداته (طكط هق) يعنى روى الطبراني في معجمه الكبير وفي

معجمه الأوسط والبيهقي بإسنادهما (عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخلق الحسن) من أخلاق الإنسان (يذيب) أي يذهب ويمحق (الخطايا) أي الذنوب من الكبائر والصغائر للتوصل به إلى نيل أكمل الطاعات وأرفع القربات (كما يذيب الماء الجليد) أي الماء الجامد إذا وضع عليه (والخلق السوء يفسد) أي يبطل (الأعمال) الصالحة (كما يفسد الخل) الحامض (العسل) الحلو إذا وضع فوقه (والأوساط) المتقدم ذكرها بين الإفراط والتفريط وهي الحكمة والشجاعة والعفة (الخالية) في استعمالها (عن الغرض الفاسد) أي القصد السوء (فضائل) يفضل بها الإنسان على غيره لا رذائل (فكل مخلوق محمود) فإنه (ناشئ) في الإنسان (منها) حال كونها (منفردة) أي متفرقة تظهر في الإنسان واحدة فواحدة فيكون ذلك الخلق المحمود صادرا عن واحدة منها فقط (أو مجتمعا بعضها) مع بعض بحيث يصدر ذلك الخلق عن ثنتين منها (أو من مجموعها) أي كلها (المسمى) ذلك المجموع في الشريعة (بالعدالة) وهي استقامة الدين والسيرة وحاصلها كيفية راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة وترك البدعة والمعتبر فيها رجحان الدين والعقل على الهوى والشهوة ولما كانت العدالة هيئة خفية نصب لها علامات هي اجتناب أربعة أمور وإن إثم بمعصية لأن في اعتبار الكل سد باب العدالة الأول الكبائر الثاني الإصرار على الصغائر فقد قيل لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار والثالث الصغائر الدالة على خسة النفس كسرقة لقمة والتطفيف بحبة والرابع المباح الدال على ذلك كاللعب بالحمام والاجتماع مع الأرذال والأكل والبول على الطريق ونحو ذلك كذا في مرآة الأصول (فمن حصل له) ذلك الخلق المحمود (بكسب) أي سعي وتحصيل (أو طبع) بأن كان مجبولا عليه (فليحفظه) لئلا يتبدل فيه بضده (بملازمة أهله) أي من فيهم ذلك الخلق ليدوم عليه خلقه بسببهم فإن الصاحب يقتدي بصاحبه والمجاورة توجب الاشتراك في المجاورة (و) ملازمة (عدم صحبة الأشرار) البعيدين عن الأخلاق الحميدة فإن صحبتهم تزيل عنه ذلك الخلق المحمود وتثبت فيه ضده (وإياه) أي ليحذر من حصل

له ذلك الخلق المحمود (والاسترسال) أي من المداومة (في) الأمور (الملاهي) أي المشغلة للقلب عن تحصيل الكمال (والمزاح) مصدر مزح كمنع مزحا ومزاحة ومزاحا بضمهما كذا في مختصر القاموس وفي الصحاح المزح الدعابة وقد مزح يمزح والاسم المزاح بالضم والمزاحة أيضا وأما المزاح بالكسر فهو مصدر مازحه وهما يتمازحان (والمراء) أي المجادلة مع الغير في العلم أو الدنيا (وليرض) أي يذلل من راض المهر رياضا ذلّله فهو رائض واستراضت النفس طابت وراوضه داراه كذا في مختصر القاموس (نفسه) أي ذاته ليدوم عليه ذلك الخلق المحمود (بوظائف) أي أمور راتبة (علمية) كقراءة العلوم والتدريس فيها ومطالعة أبحاثها وتصنيف مسائلها ونسخ كتبها (و) وظائف (عملية) كالاشتغال بنوافل الصلوات الصيام والحج والصدقات وزيارة الصالحين أحياء وأمواتا وخدمتهم ونحو ذلك ثم بين رياضة نفسه بقوله (فليذكر) أي يتذكر ولا ينسى (جلالته) أي عظمة ذلك الخلق المحمود (ودوامه) أي دوام ذلك الخلق فإنه من أشرف الأمور (وصفاءه) له من كدر ضده (وحقارة الدنيا) بالنسبة إلى الآخرة فإنها أي الدنيا لا توازن عند الله تعالى جناح بعوضة (وزوالها) السريع فكأنك بها ولم تكن (ونكدها) الكثير أي عسرها وشدتها على أهلها

دُعَاءُ التَّوْحِيدِ

يَا اَللهُ يَا اَللهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوُّ يَا كَرِيمُ فَاعْفُ عَنِّي وَارْحَمْنِي يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلآبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَلآبَاءِ وَاُمَّهَاتِ زَوْجَتِي وَلأَجْدَادِي وَجَدَّاتِي وَلأَبْنَائِي وَبَنَاتِي وَلإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَلأَعْمَامِي وَعَمَّاتِي وَلأَخْوَالِي وَخَالاَتِي وَلأُسْتَاذِي عَبْدِ اْلحَكِيمِ اْلآرْوَاسِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَلاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَاْلاَمْوَاتِ «رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاْلحَمْدُ ِللهِ رَبِّ اْلعَالَمِينَ

دُعَاءُ اْلاِسْتِغْفَارِ

اَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ اِلَهَ إِلاَّ هُوَ اْلحَيَّ الْقَيُّومَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ

إن ناشر كتب – **دار الحقيقة للنشر والطباعة** – هو المرحوم حسين حلمي ايشيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـ. [١٩١١ م] بمنطقة –**أيوب سلطان إستانبول**– وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصنفا من العربية وأربع وعشرون مصنفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإلى لغات أخر بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في –**دار الحقيقة للنشر والطباعة**– وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد تتلمذ للعلاّمة الحبر البحر الفهامة الولي الكامل المكمل ذي المعارف والخوارق والكرامات عالي النسب السيد عبد الحكيم الاروا‌سي عليه رحمة الباري وأخذ منه وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد لبى نداء ربه المتعال وتوفي ليلة ٢٥ على ٢٠٠١/١٠/٢٦ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقبرة أيوب سلطان تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين

اسماء الكتب العربية التي نشرتها مكتبة الحقيقة

اسماء الكتب	عدد صفحاتها

اسماء الكتب	عدد صفحاتها
٢٢ - الحبل المتين في اتباع السلف الصالحين ويليه العقود الدرية ويليهما هداية الموفقين	١٣٦
٢٣ - خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام (من الجزء الثاني) ويليه ارشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى ويليهما نبذة من الفتاوى الحديثية	٢٨٨
٢٤ - التوسل بالنبي وبالصالحين ويليه التوسل للشيخ محمد عبد القيوم القادري	٣٣٦
٢٥ - الدرر السنية في الرد على الوهابية ويليه نور اليقين في مبحث التلقين	٢٢٤
٢٦ - سبيل النجاة عن بدعة اهل الزيغ والضلالة ويليه كف الرعاع عن المحرمات ويليهما الاعلام بقواطع الاسلام	٢٨٨
٢٧ - الانصاف ويليه عقد الجيد ويليهما مقياس القياس والمسائل المنتخبة	٢٤٠
٢٨ - المستند المعتمد بناء نجاة الابد	١٦٠
٢٩ - الاستاذ المودودي ويليه كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية	١٤٤
٣٠ - كتاب الايمان (من رد المحتار)	٦٥٦
٣١ - الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الاول)	٣٥٢
٣٢ - الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثاني)	٣٣٦
٣٣ - الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثالث)	٣٨٤
٣٤ - الادلة القواطع على الزام العربية في التوابع ويليه فتاوى علماء الهند على منع الخطبة بغير العربية ويليهما الحظر والاباحة من الدر المختار	١٢٠
٣٥ - البريقة شرح الطريقة (الجزء الاول)	٦٠٨
٣٦ - البريقة شرح الطريقة ويليه منهل الواردين في مسائل الحيض (الجزء الثاني)	٣٣٦
٣٧ - البهجة السنية في آداب الطريقة ويليه ارغام المريد	٢٥٦
٣٨ - السعادة الابدية في ما جاء به النقشبندية ويليه الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية ويليهما الرد على النصارى والرد على الوهابية	١٧٦
٣٩ - مفتاح الفلاح ويليه خطبة عيد الفطر ويليهما لزوم اتباع مذاهب الائمة	١٩٢
٤٠ - مفاتيح الجنان شرح شرعة الاسلام	٦٨٨
٤١ - الانوار المحمدية من المواهب اللدنية (الجزء الاول)	٤٤٨
٤٢ - حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ويليه مسئلة التوسل	٢٨٨
٤٣ - اثبات النبوة ويليه الدولة المكية بالمادة الغيبية	١٢٨

اسماء الكتب	عدد صفحاتها